تأملات في سفر المزامير

مواعظ تفسيرية

مزمور ٧٣ - ١٥٠

الدكتور القس منيس عبد النور
راعي الكنيسة الإنجيلية
قصر الدوبارة - القاهرة

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

تأملات
في سفر المزامير

مواعظ تفسيرية

مزمور ٧٣ - ١٥٠

الدكتور القس منيس عبد النور
راعي الكنيسة الإنجيلية
قصر الدوبارة - القاهرة

اسم الـــكتاب : تأملات فى سفر المزامير (مواعظ تفسيرية)
اسم المـؤلـــف : الدكتور القس منيس عبد النور
راعى الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة ـ القاهرة.
الطبعة: العربية الأولى ـ أغسطس ١٩٩٩
المطبـعـــة : دار الطباعة القومية ـ بالفجالة
ت: ٥٩٠٥٤٨٦ ـ فاكس ٥٨٨٢٩٧٦
رقم الإيـداع : ١٠٥٧٣ / ١٩٩٩
الترقيم الدولى : 2 - 24 - 5302 - 977
النـاشـر: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة
جاردن سيتى ـ القاهرة ـ مصر

هذا الكتاب

انشغلتُ بالوعظ التفسيري من سفر المزامير منذ سنوات طويلة، وبدأته عام١٩٨٣، فكنتُ ألقي من منبر الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة عظة تفسيرية لنحو عشرة مزامير كل سنة، سُجِّلت كلها على أشرطة كاسيت، وسُجِّل معظمها على أشرطة فيديو. وقدت تلقّاها المؤمنون الذين يعرفون اللغة العربية في مختلف بلاد العالم بقبول طيب، شجَّعني كثيراً. ثم نشرتُ ملخّصاً لمزامير ١-٧١ في مجلة «أجنحة النسور» القاهرية، وقدَّمتُ الكثير منها في سلسلة أحاديث بالراديو، وبالتلفزيون، من محطات عالمية متنوّعة.

وطلب مني أحباء لي أن أنشر هذه المواعظ في كتاب، كما طلبت مني دار نشر «نداء الرجاء» بألمانيا أن أنقلها إلى اللغة الإنكليزية، لفائدة قراء هذه اللغة، ولتسهيل ترجمتها منها إلى لغات أخرى.. فكان لا بد من تفريغها من أشرطة التسجيل، وكتابتها على الكمبيوتر. ثم الاستعانة بالمذكرات المختصرة المحتوية على أقسام المزمور، والتي كنت آخذها معي إلى المنبر وقت الوعظ، وبها معلومات قد لا تتَّضح للمستمع أثناء الوعظ (مثل أقسام المزمور)، كما أن بها معلومات لم يسمح الوقت المخصَّص للوعظ بإلقائها.. فأضفتُ ما جاء بها إلى ما كنت أُلقيه أثناء الوعظ. ثم بدأتُ تعديل الأسلوب الوعظي إلى أسلوب كتابي، لأن الأسلوب المقروء يختلف عن الأسلوب المسموع.. وهذه هي الطريقة نفسها التي اتّبعتها عندما أعانني الرب على إصدار بعض كتبي، مثل «معجزات المسيح» و«المحبة لا تسقط أبداً» و«ثمر الروح» و«أمثال المسيح» والتي تُرجمت جميعها إلى الإنكليزية.

وقد منحني الرب عوناً من أشخاص عديدين ساعدوني في هذا العمل، ولولا معونتهم ما تمكنتُ من إصدار هذا الكتاب في هذه الصورة. وأود أن أسجل شكري القلبي لهذه المجموعة الرائعة التي عملت معي بكل قلبها، وصرفت الشهور الطويلة في تفريغ العظات من الأشرطة، وكتابتها بالكمبيوتر، وذلك قبل أن أحوّلها من أسلوب الوعظ المسموع إلى أسلوب الكتابة المقروء.. ثم قيامهم بمراجعة البروفات، وتقديم التعليقات، وعمل التنسيق الطباعي للمخطوطة لتظهر كما هي بين أيديكم. لهم جميعاً شكري القلبي وتقديري العميق، ولهم أطلب مكافأة السماء.

صلاتي أن يكون هذا الكتاب سبب بركة لكل قارئ، يرشد حياتنا جميعاً لتكون كلمة الله سراجاً لأرجلنا ونوراً لسبيلنا، وواقعاً مُعاشاً، لخيرنا الروحي، ولخير من نخدمهم.

د. القس منيس عبد النور
القاهرة - أغسطس ١٩٩٩

مقدمة

المزامير تسابيحُ لله. ونلتقي في سفر الخروج ١٥ بأول مزمور تسبيح لموسى احتفاءً بالخلاص من عبودية فرعون، فأخذت مريم النبيَّة الدفَّ، وتبعها رجال ونساء بني إسرائيل يرنمون: «رنِّموا للرب فإنه قد تعظَّم! الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥: ٢٠، ٢١). ثم نقرأ ترنيمة النبية دبورة في سفر القضاة ٥، وبعدها ترنيمة حنة أم النبي صموئيل (١صم ٢). ثم نقرأ رثاء داود للملك شاول (٢صم ١). أما القسم الأعظم من المزامير فهو في سفر المزامير (وفي العبرية: تهلّيم، ومعناه: تسبيحة). ويبدأ السِّفر بتطويب الإنسان الذي باركه الله، وينتهي بالتهليل تمجيداً لله الذي بارك الإنسان. والمزامير أناشيد حمدٍ وتسبيح وعبادة لله، كانت تُرتَّل بمصاحبة العزف على الآلات الموسيقية. وهي عامرة بالأمل في صلاح الله ومحبته وحكمته وقدرته وقداسته وأمانته. إنه الإله اللامحدود البار الصالح. ويتحدث المرنِّمون عن الله أكثر من حديثهم عن أنفسهم أو عن البشر، لأنهم يدركون أنه قريبٌ منهم، وأنه إله الخلاص والإنقاذ من الظلم والاضطهاد، وهو معين البائسين والمظلومين والمهمَّشين الذين لا يجدون من يهتم بهم، وهو الفاعل في الطبيعة وفي البشر وفي التاريخ. وهو سامع الصارخين المستغيثين والمحبين المتعبِّدين، ويستجيب دعاءهم. وهو غافر الخطايا ومطهِّر القلوب. وحسناً قال مارتن لوثر: «في المزامير نُمعن النظر في قلوب كل القديسين».

ويسبِّح المرنمون الله لأنه ينقذ الفرد كما ينقذ العائلة والأمة، فهو إله الفرد، وإله العائلة، وإله الشعب كله. إنه المخلِّص والمنقذ من الضيق والحرب والجوع والخطية.

كُتَّاب المزامير:

أوحى الله بالروح القدس إلى مجموعة من أنبيائه بكتابة المزامير، لا نفرِّق بين أحدٍ منهم. وقد أُطلق على سفر المزامير اسم «مزامير النبي داود» لأننا من دراسة عناوين سفر المزامير نكتشف أنه كتب ٧٣ مزموراً، فسُمِّي السفر باسمه من باب التغليب. ويتَّضح من العهد القديم أن داود كتب مزموري ٩٦، ١٠٥ (راجع ١أي ١٦: ٢٣-٢٦ و١أي ١٦: ٧-٢٢)، ويعزو العهد الجديد إليه أيضاً أنه كتب مزمور ٢ (أع ٤: ٢٥) ومزمور ٩٥ (عب ٤: ٧). وكتب آساف ١٢ مزموراً، وأولاد قورح ١٠ مزامير، وسليمان مزموري ٧٢، ١٢٧، وهيمان مزمور ٨٨، وإيثان مزمور ٨٩، وموسى مزمور ٩٠. وهناك ٤٩ مزموراً لا نعرف من كتبها.

وقد جمع النبي عزرا هذه المزامير بإرشاد الروح القدس في كتاب واحد.

أقسام سفر المزامير:

قسَّم اليهود المزامير إلى خمسة كتب، يتوافق كل كتاب منها مع واحدٍ من أسفار موسى الخمسة، وينتهي كل كتاب منها بتمجيد ختامي:

والـكتاب الأول من مزمور ١-٤١ وهو يتناسق مع سِفر التكوين، الذي يتحدث عن سموّ الإنسان، وعن سقوطه.

والكتاب الثاني من مزمور ٤٢-٧٢ وهو يتناسق مع سِفر الخروج، الذي يركّز على الأمة كمركز للسّفر.

والكتاب الثالث من مزمور ٧٣-٨٩ ويتناسق مع سفر اللاويين الذي يتحدث عن المقدس.

والكتاب الرابع من مزمور ٩٠ - ١٠٦ ويـتناسـق مع سـفر العدد الذي يـتحدث عن الأرض المقدسة.

والكتاب الخامس من مزمور ١٠٧-١٥٠ ويتناسق مع سفر التثنية الذي ينبّر على كلمة الله.

مزامير لمناسبات خاصة:

هناك سبعة مزامير توبة، وهي: ٦، ٣٢، ٣٨، ٥١، ١٠٢، ١٣٠، ١٤٣.

وهناك سبعة مزامير لداود الطريد أمام شاول، وهي: ٧، ٣٤، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ١٤٢.

وهناك سبعة مزامير لتسبيح الله الملك، وهي: ٩٣، ٩٥-١٠٠.

وهناك ستة مزامير «التهاليل المصرية» وهي: ١١٣-١١٨.

وهناك ١٥ مزموراً للمصاعد، وهي: ١٢٠-١٣٤.

وهناك ستة مزامير تهليل ختامية، وهي: ١٤٥-١٥٠.

مزامير طلب الانتقام:

نجد في الكثيـر من المزاميـر صلوات طلب انتقام، ولعل أهمها مزامير ٣٥، ٦٩، ١٠٩، ١٣٧. وهي تتفق مع روح شريعة موسـى التي نادت أن العين بالعين والسـن بالسن (لا ٢٤: ١٩)، ولكنها تتعارض مع روح تعاليم المسيـح التي تنادي بالغفـران للأعداء والصلاة من أجل المسيئين (مت ٥: ٤٣-٤٨). وقد عاش المرنمون في عهد الشريـعة الموسـوية، فرفعوا صلواتهم لله بضمائر صالحة بغيـر انفعال ولا تهوُّرٍ عاطفي، لأنهم كرهوا الخطيـة، وبالتالي كرهوا الخاطئ الذي يـرتكبها. وقد طالب المرنم تسـليم الخطاة للرب لينفّذ فيهم عدالتـه(مز ١٣٧: ٨، ٩) فيرى الصدّيقون ويخافون (مز ٥٢: ٦). وكان اليهود يقولون إن السـماء تفرح بخاطئ واحد يهلك لتستريح الأرض من شرّه، بـينما علّمنا المسيح أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥: ٧، ١٠) فتستريح الأرض من شره بتوبته، وليـس بهلاكه. ولكن بعض المفسـرين يرون أن المرنم كان يتحدث عن السـبب والنتيجة، فالخاطئ لا بد أن يـنال أجرة خطيته. وعلى هذا فاللعنات نبوّات عمّا سـيحلّ بالخاطئ. فيكون طلب الانتقام صلوات مرفوعةً للإله العادل الذي لا بد ينصف المظلوم ويعاقب الظالم.

عدد المزامير:

عـــدد المزامير ١٥٠ مزموراً كما جاء في التوراة العبرية. وفي منتصف القرن الثاني قبل المسيح تُرجمت المزامير إلى اللغة اليونانية لخدمة اليـــــهود الذين تشتَّتوا في أرجاء العالم المعروف وقتها، وهي الترجمة المعروفة باســـم «السبعينية» والتي عنها أخذ القديس إيرونيموس (جيروم) ترجمته إلى اللاتينية، والمعروفة بـــ«الفولجاتا». وقد أدمجت «السبعينية» مزموري ٩، ١٠ في مزمور واحد، كما أدمجت ١١٤، ١١٥ في مزمور واحد. وقســـمت كلاًّ من مزموري ١١٦، ١٤٧ إلى مزمورين، فبقي عـدد المزامير ١٥٠ مزموراً. واحتوت الترجمة السبعينية على مزمور إضافي هو مزمور ١٥١، وله أصل عبري في الـــمخطوطات التي اكتُشفت في الكهف الثاني من كهوف وادي قمران (ونُشرت في ١٩٦٥-١٩٦٧). إلا أن الـــنص الـــيـــوناني يـــذكر أن مزمور ١٥١ هو «خارج العد». وواضحٌ أن الاختلافات في الترجمة الســـبعيـــنية عنها في الأصل العبري لا يؤثر على مضمون المزامير، ولكنه يؤثر على «الترقيم» الذي أخذت عنه «الفولجاتا» وباقي الترجمات التي نُقلت عنها.

عناوين المزامير :

هـناك ٣٤ مزموراً بدون عناوين، أما بقية المزامير (وعددها ١١٦ مزموراً) فتحمل عناوين، منها ٣٢ مزموراً تذكر مناسبة كتابة المزمور (هي ٣، ٧، ١٨، ٣٠، ٣٤، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٩٠، ٩٢، ١٠٢، ١٢٠-١٣٤، ١٤٢).. وهناك ١٢ مزموراً تذكر اسم اللحن الذي يُرتَّل به المزمور.. وهناك ١٦ مزموراً تذكر اســـم الآلة الموسيقية التي تصاحب ترنيم المزمور.. وهناك مئة مـزمور تحمل اسم الكاتب، منها ٧٣ مزموراً لداود (هي ٣-٩، ١١-٣٢، ٣٤-٤١، ٥١-٦٥، ٦٨ - ٧٠، ٨٦، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨-١١٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٣٨-١٤٥)، و١٢ مــــــزموراً لآســـاف (هي ٥٠، ٧٣-٨٣)، و١٠ مزاميـــر لـــبـــني قورح (هي ٤٢، ٤٤-٤٩، ٨٤، ٨٥، ٨٧)، ومـــزموران لسليمان (هما ٧٢، ١٢٧)، ومزمور واحد لكل من هيْمان الأزراحي (هو مز ٨٨) وأيْثان الأزراحي (هو مز ٨٩) وموســـى (هو مز ٩٠). ويقول المفسرون إن عنونة المزمور بكلمة «لداود» لا يـــعني بالضرورة أن داود هو الكاتب، لأن «لداود» أو «لســـليـــمان» أو «لإمام المغنين» له ثلاثة معان: أولـــها أن الـــكاتب هو داود (وهو الأغلب)، وثانيـــها: أن المزمور مُهدى لداود، وثالثها: أنه يختص بحالةٍ مرَّ بها داود.

معاني بعض كلمات و تعبيرات متكررة في المزامير:

سـلاه: هذا تعبير موســـيقي ورد ٧١ مرة في ٣٩ مزموراً، لا نعرف معناه بالضبط. ويقول بعض المفســـرين إنه يعني تقوية اللحن وتوقيعه بشِدَّة، فيتوقف المرنمون عن الترتيل لتعزف الآلة الموسيقية

وحدها. ويقول آخرون إن معناه وقفة موسيقية، فتتوقَّف الآلات الموسيقية والمرتلون، ليتأملوا معنى ما رتَّلوه. ويـــقول يعقوب (الذي من الرها) إنها تشبه «آمين» بعد الصلاة، ومعناها «اســتجب» فيكون معنى « سلاه» «أعطِ بركتك». (وردت « سلاه» أيضاً ثلاث مرات في نبوة حبقوق).

لإمام المــغنين: وردت في عنوان ٥٥ مزموراً، هي ٤-٦، ٨، ٩، ١١-١٤، ١٨-٢٢، ٣١، ٣٦، ٣٩-٤٢، ٤٤-٤٧، ٤٩، ٥١-٦٢، ٦٤-٧٠، ٧٥-٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ١٠٩، ١٣٩، ١٤٠. وهناك تفســيــرات كثيــرة لهذا العنوان، أقربها إلى الصواب أن قائد فرقة ترنيم الهيكل (إمام المغنّيــن) كـــــان يـــقود العابدين في ترنيم هذا المزمور بالهيكل. وقد يكون أن أحد الشعراء أهدى المزمور لإمام المغنيـــن، كما جاء عنوان المزمور الرابع «لإمام المغنّين .. مزمور لداود» لأن داود كتب المزمور وأهداه لإمام المغنين.

علــى القرار: وردت في عنوان مزموري ٦، ١٢. وهي ترجمة لكلمة عبرية معناها «الثامنة» قال بعض المفســـرين إنها آلة موسيقية ذات ثمانية أوتار، وقال البعض إنها تشير إلى خفض الصوت في السلَّم الموسيقى، ولو أن البعض قالوا إن السلم الموسيقي لم يكن معروفاً عند بني إسرائيل.

شجويَّة: وردت عنوانا للمزمور الســابع، وهي غالبا من أصل أكادي، وتعني ترنيمة شجوى وحزن. وفي اللغة العربية: شجاه الأمر شجواً، أحزنه. (وردت أيضا في صيغة الجمع في حبقوق ٣: ١).

الجتيـَّة: وردت في عنوان مزامير ٨، ٨١، ٨٤. وقد تكون آلة موسيقية اختُرعت أو استُخدمت في العاصمة الفلســــطينية «جت» وعرفها منهم بنو إسرائيل. أو قد يكون اسم لحن تُغنَّى به أغنية قطاف العنب، الذي كان يوافق موعد عيد المظال.

موت الإبن: وردت في عنوان المزمور التاسع. وربما كان اسم لحن حزين وُضع لرثاء ابن مات، استُعير ليُرتَّل به المزمور.

ضــرب الأوتار: وردت في مزمور ٩: ١٦. وهي توجيه للموسيقيين، قد يعني تهدئة العزف ليعطي المرنمين فرصة التفكير الهادئ والتأمل في معاني كلمات المزمور.

مذهَّبـة: وردت في عنوان مزاميــر ١٦، ٥٦-٦٠. وهي تعني «مغطاة برقائق الــذَّهب» أي أن كلمات المزمور لامعة ثمينة كالذهب.

علـى أيَّلة الصبح: وردت في عنوان مزمور ٢٢. ولا نعرف معناها، والأغلب أنها اسم اللحن الذي يُرتَّل به المزمور.

قصيــدة: وردت في عنوان ١٣ مزموراً هي ٣٢، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٥٢-٥٥، ٧٤، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ١٤٢. وهي تعني في الأصل العبري «ما يعطي فطنة وحكمة» وترجمتها السبعينية «مزمورُ فَهْمٍ».

للتذكير: و ردت في عنوان مزموري ٣٨، ٧٠. وتعني تذكير المرنم بأحداث مقدسة لا يجب أن ينساها.

على السوسن: وردت في عنوان مزامير ٤٥، ٦٠، ٦٩، ٨٠. والسوسن آلة موسيقية تشبه في شكلها زهرة السوسن. وكلمة «سوسن» قريبة من كلمة «ستة» في اللغة العبرية، وربما كانت آلة «السوسن» ذات ستة أوتار.

على الجواب: وردت في عنوان مزمور ٤٦. وهو اسم اللحن الذي يُرتَّل به المزمور، ويمكن ترجمته «لحن العذارى».

على الحمامة البكماء بين الغرباء: وردت في عنوان مزمور ٥٦. ومعناه غير معروف، والأغلب أنه اسم اللحن الذي يُرتَّل به المزمور.

على لا تُهلِك : وردت في عنوان مزامير ٥٧-٥٩، ٧٥. ربما تشير إلى لحنٍ كانت تُرتَّل به صلاة موسى في تثنية ٩: ٢٦ «وصلَّيتُ للرب: يا سيد الرب، لا تُهلِك شعبك وميراثك الذي فديتَه بعظمتك». ثم استُخدم اللحن لترتيل هذه المزامير الأربعة.

على يدوثون: وردت في عنوان مزموري ٦٢، ٧٧. ويدوثون اسم عبري معناه «حامد أو مُسبِّح» من سبط لاوي، وأحد الموسيقيين الثلاثة الكبار الذين عيَّنهم الملك داود لقيادة التسبيح في الهيكل (١أي ١٦: ٤١-٤٣ و٢٥: ١-٣). والأغلب أن يدوثون هو واضع اللحن الذي يُرنَّم به المزمور.

ترنيمة المصاعد: وردت عنواناً لخمسة عشر مزموراً هي مزامير ١٢٠-١٣٤. كان بنو إسرائيل يرنمونها وهم صاعدون إلى أورشليم للاحتفال بالعيد.

الإنجيل في سفر المزامير:

يحب المسيحيون المزامير كما أحبها اليهود، لأنهم يكتشفون فيها المعاني الروحية والاختبارات الدينية التي يعلنها العهد الجديد، وهم ينتقلون من قراءة الإنجيل إلى قراءة المزامير دون أن يشعروا بأي اختلاف في مستوى الفكر الروحي.

١ - **المسيح في المزامير:** كان لقب «المسيح» يُطلق على ملوك بني إسرائيل (مز ٨٩: ٣٨، ٥١) كما كان يشير إلى الابن الأكبر لداود، ملك بني إسرائيل المخلِّص الآتي (مز ٢: ٢). ويصف لقب «المسيح» أيضاً كل من يمسحونه ليتولى منصباً خاصاً، كالأنبياء (مز ١٠٥: ١٥). وهناك نبوّات كثيرة في المزامير عن حياة المسيح، كما قال: «لا بد أن يتمَّ جميع ما هو مكتوب عنّي في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤: ٤٤)، فقد استشهد بمز ٨: ٣ حين هتف الأولاد له يوم

دخوله الانتصاري إلى أورشليم (مت ٢١: ١٦)، وعندما كان معلّقاً على الصليب اتّجه فكره إلى سفر المزامير، فدعا الآب بأول كلمات مز ٢٢ (مت ٢٦: ٤٦)، واستودع روحه إليه بكلمات مز ٣١: ٥ (لو ٢٣: ٤٦)، وفي عطشه سقوه خلاً كما جاء في مز ٦٩: ٢١ (يو ١٩: ٢٩). ويصوّر مز ٢٢ آلام الصليب. وقد وصفت المزامير المسيح بأنه «ابن الله» الذي يهزم أعداءه (مز ٢، ٧٢، ١١٠) ولا بد أن يهلك كلّ مقاوميه.. كما تحدثت المزامير عن امتداد ملكوته في كل العالم (مز ٤٧، ٦٧-١٠٠، ١١٧). وقد حوت مزامير ٢، ٨، ١٦، ٢٢، ٤٠، ٤٥، ٦٩، ٧٢، ٨٩، ١٠٢، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٣٢ نبوات واضحة عن حياة المسيح وموته وقيامته.

٢ - ***الأنس بالله في المزامير***: يرى المرنم قداسة الله، فيتعبّد له (كما في مزامير ٩٥-١٠٠) ويشتاق إليه ويعطش للوجود في حضرته (كما في مز ٤٢، ٤٣، ٦٣) ويسبحه (كما في مز٣٣، ٣٤، ٤٠، ٩٢، ١٠٥) ويحب بيته (كما في مز ٨٤، ١٢٢)، ويحب كلمته (مز ١٩، ١١٩)، ويختبر حضوره الدائم معه (مز ٢٣، ٩١).

٣ - ***الخلاص من الخطية***: تركز المزامير على أن الإنسان خطّاء، فيقول المرنم: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب، يا سيد، فمن يقف؟» (مز ١٣٠: ٣) وهو يرى أن الخطية هي أساساً ضد الله «إليك وحدك أخطأتُ والشرّ قدام عينيك صنعتُ» (مز ٥١: ٤). وتوضح المزامير أن الأمل الوحيد في الخلاص من الخطية وأجرتها يكمن في الفداء، ولا يمكن للإنسان أن يفدي نفسه، ولا يقدر أخٌ أن يفدي أخاه «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفارةً عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم، فغلقت إلى الدهر (وفي ترجمة دار المشرق: «فدية نفوسهم باهظة، وهي للأبد ناقصة») (مز ٤٩: ٧، ٨). أما الفدية المقبولة فهي الذبيحة الدموية كما أوضحت شريعة موسى (مز ٥١: ١٩) والتي كانت ترمز إلى المسيح حمل الله، الذي يرفع خطية العالم (يو ١: ٢٩). ويقول المرنم: «لأن عندك المغفرة، لكي يُخاف منك» (مز ١٣٠: ٤) «طوبى لرجلٍ لا يحسب له الرب خطية» (مز ٣٢: ٢). ويجد الإنسان خلاصه من خطاياه بالاعتراف والتوبة (مزمور ٣٢، ٥١) فيتمتع بفرح الخلاص (مز ٥١: ١٢).

٤ - ***الحياة الأبدية في المزامير***: لم تكن فكرة الحياة الأبدية واضحة في فكر كُتّاب العهد القديم، فإن المسيح هو الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١: ١٠).

ويبدو من بعض آيات المزامير أن تسبيح الله سينتهي بنهاية حياة المرنم على الأرض، فيقول: «ليس في الموت ذكرك. في الهاوية من يحمدك؟» (مز ٦: ٥). ولكن لا يوجد إنكار للحياة الأبدية، كما قال المرنم: «جسدي أيضاً يسكن مطمئناً، لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً» (مز ١٦: ٩، ١٠). وهو يرى الفرح بوجه الله بعد الموت «أشبع إذا استيقظتُ بشبهك»

(مز ١٧: ١٥) ويـــقول: «برأيـــك تهديني، وبعدُ إلى مجدٍ تأخذني» (مز ٧٣: ٢٤). ويقول: «إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية، لأنه يأخذني» (مز ٤٩: ١٥).

* * *

والآن تعالوا نتأمل هذه المزامير فنسبح الله الذي خلق الإنسان أسمى من كل ما سواه، ولكنه سقط، فأوجد الله له الفداء والخلاص. إننا صاعدون مع أصحاب المزامير إلى مستوى أعلى. فلنطلب أن تكون أقدامنا كالأيائل و يمشّينا على مرتفعاتنا (حب ٣: ١٩).

الجزء الثالث

المزمور الثالث والسبعون

إلى المزمور التاسع والثمانين

المزمور الثالث والسبعون

مزمور لآساف

١ إنما صالحٌ الله لإسرائيل، لأنقياءِ القلب. ٢ أما أنا فكادت تزلُّ قدماي. لولا قليلٌ لزلقت
خطواتي. ٣ لأني غِرتُ من المتكبِّرين، إذ رأيتُ سلامةَ الأشرار. ٤ لأنه ليستْ في موتِهم شدائدُ،
وجسمُهم سمينٌ. ٥ ليسوا في تعبِ الناس، ومع البشرِ لا يُصابون. ٦ لذلك تقلَّدوا الكبرياءَ. لبسوا
كثوبٍ ظلمَهم. ٧ جحظتْ عيونُهم من الشَّحم. جاوزوا تصوُّراتِ القلب. ٨يستهزئون ويتكلمون
بالشرِّ ظلماً. من العَلاءِ يتكلمون. ٩ جعلوا أفواهَهُم في السماء، وألسنتُهم تتمشَّى في الأرض.
١٠ لذلك يرجعُ شعبُه إلى هنا، وكمياهٍ مُرْويةٍ يُمتصّون منهم. ١١ وقالوا: كيف يعلمُ الله؟ وهل عند
العليِّ معرفةٌ؟. ١٢ هوذا هؤلاء همُ الأشرارُ، ومستريحين إلى الدَّهر يُكثِرون ثروةً.
١٣ حقاً قد زكّيتُ قلبي باطلاً وغسلتُ بالنقاوةِ يديَّ، ١٤ وكنتُ مصاباً اليومَ كلَّه، وتأدَّبتُ كلَّ
صباحٍ. ١٥ لو قلتُ أحدِّثُ هكذا لَغدَرْتُ بجيلِ بنيك. ١٦ فلما قصدتُ معرفةَ هذا إذا هو تعبٌ في
عينيَّ. ١٧ حتى دخلتُ مقادسَ اللهِ وانتبهتُ إلى آخرتِهم. ١٨ حقاً في مزالقَ جعلتَهم. أسقطتَهم
إلى البوار. ١٩ كيف صاروا للخراب بغتة! اضمحلّوا، فَنوا من الدَّواهي. ٢٠ كحُلمٍ عند التيقُّظ يا
رب، عند التيقُّظ تحتقرُ خيالَهم.
٢١ لأنه تمرمر قلبي، وانتخسْتُ في كُليتيَّ. ٢٢ وأنا بليدٌ ولا أعرف. صرتُ كبهيمٍ عندك.
٢٣ ولكني دائماً معك. أمسكتَ بيدي اليمنى. ٢٤ برأيك تهديني، وبعدُ إلى مجدٍ تأخذُني.
٢٥ مَن لي في السماء؟ ومعك لا أريدُ شيئاً في الأرض. ٢٦ قد فنيَ لحمي وقلبي. صخرةُ قلبي
ونصيبي اللهُ إلى الدهر. ٢٧ لأنه هوذا البُعداءُ عنك يبيدون. تُهلك كلَّ مَن يزني عنك. ٢٨ أما
أنا فالاقترابُ إلى الله حسنٌ لي. جعلتُ بالسيد الربِّ ملجإي لأُخبرَ بكلِّ صنائِعك.

حيرة من نجاح الأشرار

هذا المزمور شكوى مرفوعة لله من مؤمن متألم مضطهد لأنه يرى الأشرار ناجحين، يعطيهم شرُّهم عائداً أكبر مما تعطيه التقوى والنقاوة، فتشكَّك في صلاح الله من نحو الأبرار، واعتبر التقوى والنقاوة تجارةً بائرة، بل إنها مؤذية، وافتكر أن شر الأشرار مفيد ونافع. وفي بدء حيرته خاف من أن يعلن رأيه لئلا يُعثِر العابدين الأتقياء، ولكن عندما انتهت حيرته ووجد الجواب سجَّل مشاعره كلها في هذا المزمور.

إنجلت ظلمة أفكار المرنم عندما دخل مقادس الرب، فرأى الأمور في منظورها الصحيح، وأدرك أن البوار والخراب سيحلُّ بنجاح الأشرار فجأة، أما التقوى فلها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة.

واعترف للرب بخطئه، وقدّم له شكره على مجد الاقتراب منه.

يتحدث هذا المزمور عن حيرة المؤمن وهو يمرُّ بأزمات لا يجد لها تفسيراً، ويعلمنا أن خير ما نفعله هو أن نمثُل في محضر الله ونسأله أن يجاوب على أسئلتنا. وهو لا يتضايق من شكوكنا، ولا يطردنا من محضره لأننا ناقصو الفهم، بل يقرّبنا إليه ويكشف لنا أسرار محبته، فنقول مع صاحب هذا المزمور: «ولكني دائما معك. أمسكت بيدي اليمنى. برأيك تهديني، وبعد إلى مجد تأخذني» (آيتا ٢٣، ٢٤).

يذكّرنا مزمور ٧٣ بمزمور ٣٧ الذي فيه يواجه المرنم مشكلة نجاح الأشرار ومتاعب المؤمنين، فيطلب من المؤمنين الصبر والثقة في الرب، لأن نجاح الأشرار قصير المدى، بينما مجازاة المؤمن أبدية. كما يذكّرنا بمزمور ٤٩ الذي قال إن الثروة لا تستمر في إسعاد صاحبها، بينما عناية الرب بالأبرار دائمة لا تنقطع. ومع تشابه مزمورنا مع مزموري ٣٧، ٤٩ في الحديث عن نجاح الأشرار، إلا أن مزمور ٧٣ يضيف بُعداً آخر هو متاعب المؤمنين وحيرتهم وهم يرون نجاح الأشرار، ويتميَّز بأنه يطوِّب المؤمن على علاقته المفرحة بالرب، ويشرح جمال الأنس بالله في الدنيا والآخرة باعتباره الخير الأسمى، فإن الحياة في هذا العالم فصل واحد من فصول قصة الحياة، ولكن هناك حياة أفضل قادمة.. فماأجمل أن يسلِّم المؤمن أمره للرب، وأن يعبِّر عن حبه له، باعتبار أن هذه العلاقة أسمى من كل شيء في الوجود.

وعلى كل متعب حائر صاحب شكوى أن يجثو أمام الله ليتعلَّم في مقادسه كما تعلَّم آساف، فليس السؤال ممنوعاً ولا الشك جريمة.. لقد استجاب المسيح لشكوك تلميذه توما لما شك في القيامة، وقال له: «هات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو ٢٠: ٢٧). وهو نفس ما يفعله مع كل مؤمن يسأل ويشكو، فيجيبه الرب على تساؤلاته، ويمحو شكوكه، فيهتف مع توما: «ربي وإلهي».

في هذا المزمور نجد:

أولاً - إعلان ثقة (آية ١)

ثانياً - المؤمن يتساءل في حيرته (آيات ٢-١٤)

ثالثاً - المؤمن يجد الجواب المطمئن (آيتا ١٥-٢٨)

أولاً - إعلان ثقة
(آية ١)

قبل أن يدخلنا المرنم إلى متاهة شكوكه وتساؤلاته يفتتح مزموره بالنتيجة النهائية التي توصّل إليها، فيقول: «إنما صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب». و«إنما» هنا للتأكيد، فهو يعلن أن الله وحده

هو الصالح لشعبه. وحتى لو سمح بدخولهم في المتاعب إلا أنه محب و«طيبٌ هو الرب للذين يترجّونه، للنفس التي تطلبه» (مرا ٣: ٢٥)، ولإسرائيل «الذي يجاهد مع الله» (تك ٣٢: ٢٨). لقد جاهد المرنم مع الرب بسؤاله وشكواه، فباركه كما بارك يعقوب عندما جاهد لينال البركة، فتأكد أن الله صالح لأنقياء القلب «لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨).

عندما يشرق علينا صلاح الله ينقشع الظلام من عيوننا، فنراه صالحاً دائماً لأن صلاحه نابع من طبيعته الصالحة، ونتأكد من هذا الصلاح حتى لو كانت الظروف التي نجوزها تقول عكس هذا، لأن شمس محبته تشرق من وراء غيوم الهموم، ولأن الغلاف الخارجي الأسود يحتوي على رسالة حب كبير، فندرك معنى قول المرنم: «من يصعد إلى جبل الرب، ومن يقوم في موضع قُدسه؟ الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل، ولا حلف كذباً. يحمل بركة من عند الرب، وبراً من إله خلاصه» (مز ٢٤: ٣-٥).

ثانياً - المؤمن يتساءل في حيرته
(آيات ٢-١٤)

١- **مشكلة المؤمن:** أما أنا فكادت تزل قدماي. لولا قليل لزلقت خطواتي، لأني غرتُ من المتكبّرين، إذ رأيتُ سلامة الأشرار» (آيتا ٢، ٣). قول المرنم: «أما أنا» يعني أنه اختلف مع الرب حتى كادت تضيع منه سبُل الرب المستقيمة، فبدأ رحلة خطيرة كادت تزلُّ فيها قدماه في بالوعة اليأس، لأنه سار في أرض موحلة. ولولا رحمة الرب لزلقت خطواته، لأنه غار من نجاح الأشرار، مع أن داود قال: «لا تغَر من الأشرار، ولا تحسد عُمَّال الإثم، فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطَعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون» (مز ٣٧: ١، ٢). وقال الحكيم: «لا تحسد الظالم، ولا تختَرْ شيئاً من طرقه.. لا يحسدنَّ قلبُك الخاطئين، بل كُن في مخافة الرب اليوم كله..» (أم ٣: ٣١ و٢٣: ١٧). وكان يجب أن يرتل مع داود: «تمسَّكت خطواتي بآثارك فما زلت قدماي» (مز ١٧: ٥) ومع بني قورح: «لم يرتد قلبنا إلى وراء، ولا مالت خطوتنا عن طريقك» (مز ٤٤: ١٨).

وفي غمرة آلام المرنم من متاعبه نسي أن الذين غار منهم «متكبرون» يظنون أنهم يقدرون أن يعيشوا وينجحوا بدون الرب، مع أنه «لا يقف المفتخرون قدام عينيك. أبغضت كل فاعلي الإثم» (مز ٥: ٥)، وأنهم أشرار، وكل شرير لا بد يهلك.

٢- **سبب مشكلة المؤمن:** يذكر المرنم أربعة أسباب لمشكلته:

(أ) **راحة الأشرار:** «لأنه ليست في موتهم شدائد، وجسمهم سمين. ليسوا في تعب الناس، ومع

البشر لا يُصابون» (آيتا ٤، ٥). يقول المرنم إنه لم يرَ شريراً يموت في مقتبل عمره، ولا في الأسر، ولا مصاباً بمرض خطير، ولا مقتولاً. رأى الأشرار دوماً في صحة وعافية «جسمهم سمين»، مع أن «الإنسان مولودٌ للمشقة» (أي ٥: ٧). ولم يقاسِ هؤلاء الأشرار الأتعاب التي يقاسي منها سائر البشر الصالحون. ولا بد أنه كان يذكر جدّه الأكبر يعقوب لما سأله فرعون عن عمره فقال: «أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة. قليلة وردية» (تك ٤٧: ٩). فكيف يقاسي أبو الأسباط ويسمن جسم الأشرار؟

(ب) كبرياء الأشرار: «لذلك تقلّدوا الكبرياء. لبسوا كثوب ظلمهم. جحظت عيونهم من الشحم. جاوزوا تصوُّرات القلب» (آيتا ٦، ٧). تحيّر المرنم من كبرياء الأشرار، فعندما عاشوا في راحة افتخروا وكأن كبرياءهم قلائد شرف حول أعناقهم، وصارت حياتهم ظلماً مستمراً للمساكين، وكأن ظلمهم ثياب لا يستغنون عنها. وقد وصف داود الشرير بأنه «لبس اللعنة مثل ثوبه» (مز ١٠٩: ١٨).. وعندما أكلوا ما ظلموا به الفقير سمنوا، فجحظت عيونهم من كثرة السِّمن! ووصف أليفاز التيماني أحد هؤلاء الأشرار المتكبّرين بالقول: «لأنه قد كسا وجهه سمْناً، وربّى شحماً على كليتيه» (أي ١٥: ٢٧) وقد بلغت كبرياؤهم القمّة فتفوقوا في الشر على من سبقوهم وزادوا عنهم. ولم يسبق للمرنم أن رأى شخصاً أو سمع عن شخص بمثل هذه الكبرياء!

(ج) حديث الأشرار: «يستهزئون ويتكلمون بالشر ظلماً. من العلاء يتكلمون. جعلوا أفواههم في السماء وألسنتهم تتمشى في الأرض» (آيتا ٨، ٩). استراح الأشرار وتكبّروا وظلموا الآخرين، فظنوا أنهم آلهة وأن أقوالهم فروض يجب على مستمعيها أن يصدقوها! فتكلموا كأصحاب سلطان، ونادوا بمبادئهم الشريرة كأنها شرائع إلهية لا تتغير، فجدّفوا على الله وأهانوا البشر المخلوقين على صورته.

(د) اتباع الأشرار: «لذلك يرجع شعبه إلى هنا، وكمياه مروية يُمتَصّون منهم. وقالوا: كيف يعلم الله؟ وهل عند العلي معرفة؟» (آيتا ١٠، ١١). يتحيّر المرنم من شعبية هؤلاء الأشرار،فقد رجع كثيرون من شعب الرب عن طريق الرب وتبعوا هؤلاء الناجحين الأشرار بعد أن رأوا نجاحهم، وظنوا أن كلامهم مُنزل وأن أفكارهم نماذج يُقتدى بها، فأخذوا يشربون من كأس خطاياهم وكأنه مياه تروي ظمأهم! وهتف هؤلاء التابعون المضلَّلون: «هل عند العلي معرفة؟»، مردّدين ما قاله الأشرار. «الشرير حسب تشامخ أنفه يقول: (الله) لا يطالب. كل أفكاره أنه لا إله.. قال في قلبه: إن الله قد نسي. حجب وجهه. لا يرى إلى الأبد.. لماذا أهان الشرير الله؟ لماذا قال: لا تطالب؟» (مز ١٠: ٤، ١١، ١٣).

٣ - **المؤمن يكرر شرح مشكلته:** هوذا هؤلاء هم الأشرار، ومستريحون إلى الدهر يُكثِرون ثروةً. حقاً قد زكّيتُ قلبي باطلاً وغسلتُ بالنقاوة يديَّ، وكنتُ مصاباً اليوم كله، وتأدّبتُ كل صباح» (آيات ١٢-١٤). في هذه الآيات الثلاث يلخّص المرنم مشكلته، فيقول إن الأشرار مستريحون وأغنياء، فما هي إذاً مجازاة التقوى؟ إن ضميره صالح، وقد مارس كل فرائض شريعة موسى من غسل اليدين والرِّجلين (خر ٣٠: ١٧، ٢١)، ولكنه لم يأخذ من تقواه ونقاوته وممارسته للشريعة إلا المتاعب والاضطهادات والتأديبات كل صباح، وكان مصاباً اليوم كله، مع أن الذين يعصون الشريعة لا يصابون مع البشر (آية ٥)!

ثالثاً - المؤمن يجد الجواب المطمئن
(آيات ١٥-٢٨)

لم يستسلم المرنم لشكوكه، بل صارع مع أسئلته. وفي مقادس الرب وجد الجواب المطمئن، بعد أن كشف له الرب مشيئته الصالحة.

١- **انتقل من التذمُّر إلى الانتصار:** (آيات ١٥-١٧).

(أ) **لم يشكك المرنم لإخوته المؤمنين:** لو قلتُ أحدِّثُ هكذا لغدرتُ بجيل بنيك» (آية ١٥). كان المرنم رغم تساؤلاته يحب الرب، ويحب المؤمنين، فرفض أن يغدر بهم بتصدير شكوكه إليهم. كما كان يثق أن الرب لا بد سيجلو غمّته، فلماذا يذيع أسئلة الغم؟.. صحيحٌ أنه لو حدَّث الناس بأسئلته المحيرة لفرَّج عن نفسه بالتعبير عن دواخله، ولاستراح قليلاً. لكن هذه الراحة كانت ستُفضي به إلى الانضمام لجماعة الأشرار، وسيحزن مرة أخرى وهو يرى الفكر المضلِّل ينتصر وينتشر ويزيد أتباعه، فيقولون: «من هو القدير حتى نعبده، وماذا ننتفع إن التمسناه؟» (أي ٢١: ١٥). لقد كان يعلم أن شعب الرب هم أبناء الرب، فكيف يوقع الشك في قلوبهم، وكيف يهجر قضيتهم، وكيف يجرح مشاعرهم، وكيف يضع العثرات في طريقهم؟

(ب) **لم يخدع المرنم نفسه:** «فلما قصدت معرفة هذا إذا هو تعب في عينيَّ» (آية ١٦). كان المرنم متحيراً لأنه عجز عن مصالحة محبة الله وعدالته وأمانته مع واقعه الصعب وآلامه المتزايدة.. صحيح أنه لم يُرِد إزعاج غيره، لكن أمانته مع نفسه حيّرته.وأرهقته وهو يقلب الأفكار في رأسه.

(ج) **وجد المرنم النصرة في حضرة الله:** حتى دخلتُ مقادس الله وانتبهتُ إلى آخرتهم» (آية ١٧).وصل المرنم للحل وانتصر عندما دخل بيت الله وحدثت مواجهة روحية بينه وبين ربه، فكانت هذه نقطة التحوُّل في موقفه، بعد أن أدرك أن وعود الله صادقة، وأن الشرير لا بد سينال عقوبة شره، وهي الموت. وكان يوسف قد سبق المرنم في حل مشكلة شرور إخوته، بعد أن عجز وهو الصغير

عن ردِّهم إلى رُشدهم، فحمل أخبارهم إلى أبيـــه يعقوب، وهو الأقدر والأجدر بنصح أولاده. ويمكننا أن نـــتبع مثال يوسف والمرنم، لأن لنا أباً سماوياً نحكي له مشاكلنا في مخدع الصلاة أثناء خلوتنا به، فيجيئنا التأكيد منه والراحة عنده.

٢- **رأى المرنم نهاية الأشرار:** حقاً في مزالق جعلتهم. أســقطتهم إلى البوار. كيف صاروا للخراب بغتة؟ اضمحلوا. فنوا من الدواهي. كحُلم عند التيــقظ يا رب، عند التيقظ تحتقر خيالهم» (أيات ١٨-٢٠). في محضر الرب رأى المرنم أســرار عنايــة الله المقدســة، وعرف أن أخرة الأشرار مزالق وبوار وخراب ودواهي تحل بهم فجأة، دون انتظار منهم ولا من تابعيـــهم. وكأن الله كان نائماً يترك الأشرار وشأنهم، فاســتيــقظ ليحتقر خيالاتهم، فيكتشفون أنهم عاشوا حُلماً وخيالاً، لا حقيقة. وصدق صوفر النعماتي: «فرح الفاجر إلى لحظة.. كالحُلم يــطير فلا يوجد، ويُطرد كطيف الليل» (أي ٢٠: ٥، ٨). إنهم كالزوان وســط الحنطة، فلا بد أن يجيء يوم الحصاد عندما يُحرقون بنار لا تُطفأ (مت ١٣: ٣٠).

في مطلع مزموره بدأ المرنم رحلة خطيرة كادت تزل فيها قدماه، لأنه ســار في أرض موحلة. ولكن في بيت الرب اكتشف أنه ثابت على صخرة، وعرف أن الأشرار هم الذين سينزلقون إلى الهاوية فإذا نجاحهم حلم، وإذا هم أشباح يوجدون اليوم ويتدمَّرون فوراً لأن شمس الحقيقة تنهي وجودهم الوهمي، ولأن الشر لا يــمكن أن يســود، كما قال الله عن الأشرار: «يكون المزمور طريقهم لهم كمزالق في ظلام دامس، فيُطردون ويسقطون فيها، لأني أجلب عليهم شراً سنة عقابهم، يقول الرب» (إر ٢٣: ١٢).

٣- **تعلُّق المرنم بالرب:** (آيات ٢١-٢٨).

(أ) **اعترف لــه:** «لأنه تمرمر قلبي وانتخستْ في كليتيّ. وأنا بليد ولا أعرف. صرتُ كبهيم عندك» (آيــتا ٢١، ٢٢). تألم المرنم لأنه كان متعجِّلاً فلم ير عدالة الله وحقَّه إلى أن دخل مقادس الله، فبكّته ضميــره، وتمرمر قلبه، وانتخس في كليــتيــه. وكان الأقدمون يعتبرون الكلية مركز العواطف، كما نتحدث نحن اليــوم عن القلب. واعترف المرنم أنه كان بليداً غبياً كالبهيم الذي لا يدرك. وقد ميّز الله الإنســـان عن الحيوان بنعمة العقل، فكيف فات المرنم تاريخ الله الرقيق شعبه؟ وكيف نسي معاملات الله الصالحة معه؟ حقاً «الرجل البليد البليد لا يعرف، والجاهل لا يفهم هذا» (مز ٩٢: ٦).

(ب) **انتنس بــه:** «ولكني دائماً معك. أمســكتَ بيــدي اليــمنى. برأيــك تهديني، وبعد إلى مجد تأخذني. من لي في الســماء؟ ومعك لا أريــد شيــئاً في الأرض. قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونــصيبي الله إلى الدهر» (آيات ٢٣-٢٦). عاد المرنم يقارن بين نفسه والأشرار، فقال «ولكني دائماً معك» فقد عزم أن يسير مع الرب، ولسان حاله: «التصقت نفسي بك. يمينك تعضدني» (مز ٦٣: ٨).

وقرر أن تكون شريعة الرب سراجاً لرجله ونوراً لسبيله (مز ١١٩: ١٠٥) فيطيع وصايا الرب لتكون بركة لحاضره ومستقبله، فيهتدي برأي الرب هنا ويدخل مجده هناك، كما سار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه (تك ٥: ٢٤). ويا له من مجد أن يمسك ملك الملوك يمين المرنم ليؤكد له محبته ورعايته.. وفي صُحبة الرب للمرنم، وصُحبة المرنم للرب عرف أنه إن كان الرب ساكن السماء له، فلن تكون به حاجة إلى شيء أو شخص في الأرض، لأن الرب خيره ومصدر سعادته، فيقول: «قلتُ للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك» (مز ١٦: ٢). لم يعُد يعنيه إن نجح الأشرار أو إن تألم هو، لأنه في صحبة الرب.. ومع أن جسده وقواه يخوران إلا أن الرب سيبقى ملجأه الحصين يحميه من كل خطر، فيقول: «إنما الرب صخرتي وخلاصي، ملجإي فلا أتزعزع. على الله خلاصي ومجدي. صخرة قوتي محتماي في الله» (مز ٦٢: ٦). الرب نصيبه إلى الأبد، فلا ينزعه أحدٌ من الرب، ولا الربُّ منه. إنه في هذا يعبر عن انتمائه للرب كأحد كهنة الرب، الذين لم يكن لهم نصيب في الأرض، لأن الرب نصيبهم (تث ١٠: ٩)، ونعم النصيب!

(ج) اقترب منه: «هوذا البعداء عنك يبيدون. تُهلك كل من يزني عنك. أما أنا فالاقتراب إلى الله حسنٌ لي. جعلتُ بالسيد الرب ملجإي لأخبر بكل صنائعك» (آيتا ٢٧، ٢٨). لما كان الله مصدر الحياة فإن كل بعيد عنه ميت في ذنوبه وخطاياه. ولما كان البشر جميعاً ملكٌ لله لأنه خلقهم واعتنى بهم وافتداهم، فإن كل من يبتعد عنه يُعتبر خائناً له ولملكوته. وكان بنو إسرائيل يعتبرون أنفسهم «عروس الله» فكل ابتعاد عن الله خيانة وزنى روحي (هو ٢: ٢-٤).. أما كل من يقترب إليه فينال الحياة الفضلى، فقد جاء المسيح ليعطينا حياة وحياة أفضل (يو ١٠: ١٠). ومن اختبر الحياة في المسيح لا يتوقَّف عن الحديث عنها، فيخبر بكم صنع الرب معه.

تعالوا بنا ندخل مقادس العلي دائماً فنجد إجابات شافية لأسئلتنا، ونتمتع بصحبته الرقيقة، ونخبر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب. وإن كان أحدنا بعيداً عن الرب، فليقترب إليه تائباً. وإن كان أحدنا حائراً فالرب يطمئن قلبه.

ليثبِّت الرب إيماننا، وليعمِّق رجاءنا به، مهما بدت الظروف من حولنا صعبة أو قاسية.

المزمور الرابع والسبعون

قصيدة لآساف

**١ لماذا رفضتَنا يا اللهُ إلى الأبد؟ لماذا يُدخّن غضبُك على غنمِ مرعاك؟ ٢ اذكُر جماعتك التي
اقتنيتَها منذ القِدم وفديتَها، سبطَ ميراثِك. جبلَ صهيونَ هذا الذي سكنتَ فيه. ٣ ارفعْ خطواتِك
إلى الخِربِ الأبدية. الكلَّ قد حطم العدوُّ في المقدِس. ٤ قد زمجر مقاوموك في وسط معهدِك،
جعلوا آياتِهم آياتٍ. ٥ يَبَانُ كأنه رافعُ فؤوسٍ على الأشجار المشتبكة. ٦ والآن منقوشاتِه معاً
بالفؤوسِ والمعاولِ يكسرون. ٧ أطلقوا النارَ في مقدسِك. دنّسوا للأرضِ مسكَنَ اسمِك. ٨قالوا في
قلوبهم: لنُفنيَنَّهم معاً. أحرقوا كلَّ معاهدِ اللهِ في الأرضِ. ٩ آياتِنا لا نرى. لا نبيَّ بعْدُ، ولا بيننا من
يعرفُ حتى متى.**

**١٠ حتى متى يا الله يعيّرُ المقاومُ، ويهينُ العدوُّ اسمَك إلى الغاية؟ ١١ لماذا تردُّ يدَك ويمينَك.
أخرِجْها مِن وسط حضنك. أفْنِ. ١٢ واللهُ ملكي منذ القِدَم، فاعلُ الخلاص في وسط الأرض. ١٣
أنت شققتَ البحرَ بقوَّتك. كسرْتَ رؤوسَ التنانين على المياه. ١٤ أنت رضضْتَ رؤوسَ لوياثان.
جعلتَه طعاماً للشعب، لأهلِ البريَّة. ١٥ أنت فجَّرت عيناً وسيلاً. أنت يبَّست أنهاراً دائمةَ الجريان.
١٦ لكَ النهارُ ولك أيضاً الليلُ. أنت هيَّأتَ النورَ والشمسَ. ١٧ أنت نصبْتَ كلَّ تخوم الأرض.
الصيفَ والشتاءَ أنت خلقتَهما.**

**١٨ اذكُرْ هذا: أن العدوَّ قد عيّر الربَّ، وشعباً جاهلاً قد أهان اسمَك. ١٩ لا تُسلّم للوحشِ
نفسَ يمامتِك. قطيعَ بائسيك لا تنْسَ إلى الأبد. ٢٠ انظُر إلى العهد. لأنَّ مُظلماتِ الأرضِ امتلأتْ
من مساكنِ الظلم. ٢١ لا يرجعنَّ المنسحقُ خازياً. الفقيرُ والبائسُ ليسبّحا اسمَك.**

**٢٢ قُمْ يا الله. أقِمْ دعواك. اذكُرْ تعييرَ الجاهلِ إياكَ اليومَ كلَه. ٢٣ لا تنسَ صوتَ أضدادِك،
ضجيجَ مقاوميك الصاعدَ دائماً.**

لماذا يدخّن غضبك؟

هذا المزمور قصيدة رثاء كتبها آساف المرنم بعد أن خرّب نبوخذنصّر ملك بابل بلاده عام ٥٨٦ ق م، وذبح الكثيرين من شعبه وترك جثثهم في الشوارع، فصارت بلاده موضوع سخرية جيرانها.. وهدم الهيكل الذي بناه الملك سليمان وأحرقه، فتوقّفت العبادة، وكأن الله قد رفض شعبه (٢مل ٢٥). وقد بكى النبي إرميا هذا الموقف في مراثيه وقال عن بلاده: «تاخت (غاصت) في الأرض أبوابُها. أهلك وحطّم (العدوّ) عوارضها. ملِكُها ورؤساؤها (مسبيون) بين الأمم. لا شريعة. أنبياؤها أيضاً

لا يجدون رؤيا من قِبل الرب. شيوخ بنت صهيون يجلسون على الأرض ساكتين. يرفعون التراب على رؤوسهم. يتنطَّقون بالمسح» (مرا ٢: ٩، ١٠).

هذا المزمور صرخة متألمٍ يطالب الله أن يذكر عهده مع شعبه، ويرحمه. وكان بنو إسرائيل يُرنِّمونه في أيام الصوم التي يعترفون فيها للرب بخطاياهم، ويتذلَّلون أمامه ليُعيد إلى هيكلهم أمجاده. ويوجد تشابه كبير بين هذا المزمور ومزمور ٧٩ في الموضوع والمحتوى، ولا بد أن الله ألهم كاتبيهما أن يكتباهما في المناسبة المؤلمة نفسها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - شكوى المرنم (آيات ١-١١)

ثانياً - ذكريات الرحمة الماضية (آيات ١٢-١٧)

ثالثاً - طلب النجاة (آيات ١٨-٢٣)

أولاً - شكوى المرنم
(آيات ١-١١)

عندما زادت آلام المرنم وجَّه أسئلته من قلب يحب الله إلى الإله الذي يحبه وهو يذكر كلمات النبي إرميا: «يا رب، عزِّي وحصني وملجإي في يوم الضيق» (إر ١٦: ١٩)

١ - **السؤال لماذا؟**: «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخِّن غضبُك؟» (آية ١أ وب). يبدأ المرنم شكواه بتوجيه سؤالين لله:

(أ) **لماذا رفضتنا؟**: بدا للمرنم أن الله رفض شعبه بصفة دائمة، فصارت بلادهم «خرباً أبدية» (آية ٣) وأهان العدو اسم الله «إلى الغاية» (آية ١٠). وهو يسأل: لماذا؟ لا لأنه يتذمَّر على الله، بل لأنه يريد أن يعرف ليعدِّل مساره ومسار شعبه، فيشرق وجه الرب عليه بالرضا «لأن السيد لا يرفض إلى الأبد» (مرا ٣: ٣١).

(ب) **لماذا يدخِّن غضبك؟**: والدخان يرمز إلى اشتعال نار الغضب الإلهي، كما قال داود إن الرب في غضبه «صعد دخانٌ من أنفه، ونارٌ من فمه أكلت. جمرٌ اشتعلت أمامه» (مز ١٨: ٨).

٢ - **وصف الشعب المتسائل**: «لماذا يدخِّن غضبك على غنم مرعاك؟ اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القِدم وفديتها، سبط ميراثك، جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه» (آيتا ١ج، ٢). يذكر المرنم ثلاثة أوصاف لشعبه دفعته للسؤال:

(أ) **هم غنم الراعي الصالح**: «غنم مرعاك». تشجَّع المرنم وسأل الرب، لأنه راعيه الأمين

الصالح المسـؤول عنه، كما قيـل: «نحن شعبك وغنم رعايـتك، نحمدك إلى الدهر. إلى دور فدور نحدِّث بتسبيحك» (مز ٧٩: ١٣). إنه يثق أن الله راعيه، فطالما نادى: «هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا. لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده» (مز ٩٥: ٦، ٧). والغنم مشهورة بضعفها وجهلها وسـهولة ضلالها، فهي تعرف كيف تضل ولا تعرف كيف ترجع، ولا تسـتطيع الدفاع عن نفسـها. والقول: «غنم مرعاك» يعني الحاجة إلى الهداية والحماية، وتدبير المصالح بطريقة مستمرة من الراعي الذي «يـرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات» (إش ٤٠: ١١).

(ب) **هم المفديـون الذين اشتراهم:** «اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القِدم وفديتَها، سبط ميراثك» (آيـة ٢أ). أعطى المرنم نفسـه حق الالتجاء إلى الله لأنه من الجماعة التي اختارها الله منذ القديم، وافتداها من عبودية فرعون وأطلقها حرَّةً من سـوء العذاب، فصاروا ميراث الرب بين الأمم. وكان موسـى قد ترنَّم بعد الخروج من مصر: «ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوّتك إلى مسكن قُدسك.. تقع عليهم (المصريين) الهيبة.. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته» (خر ١٥: ١٣، ١٦).. وفي نور العهد الجديـد ندرك معنى الفداء والاقتناء أكثر «عالميـن أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهـب، من سيرتكم الباطلة التي تقلَّدتموها من الآباء، بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (١بط ١: ١٨، ١٩).

(ج) **هم الذين سـكن الله وسطهم:** «جبل صـهيون هذا الذي سكنت فيه» (آية ٢ب). فالرب رعى شعبه، وفداهم، ويحلُّ وسطهم في هيكله المقدس. ولا يمكن أن يخرب إلى الأبد المكان الذي يسكن الله فيـه، كما لا يمكن أن يغرق القارب الذي كان المسـيح فيه بالرغم من العاصفة العاتية التي واجهت التلاميذ.. إن كل الذين يطيعون الأمر: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧) لا يمكن أن يغرقوا في بحار الهموم والمشاكل!

٣ - ***الدافع على السؤال:*** (آيات ٣-٩). يذكر المرنم خمسة أسباب دفعته للسؤال:

(أ) **الـعدو حطَّم الكل:** «ارفع خطواتك إلى الخرب الأبدية. الكلَّ قد حطم العدوُّ في المقدس» (آية ٣). صـرخ المرنم بعبارات بالغة القوة، طالباً التدخُّل الإلهي للإنقاذ من العدو الذي نشر الخراب، فقد هـاجم الأشرار جماعة المؤمنين وهزموهم ودمَّروا كل شيء، وأخذوا آنية الهيكل المقدسة ووضعوها في بيـت صنمهم النجس، فأصبح الهيكل خرباً لا يمكن أن يُعاد بناؤها. ولا نجاة إلا من الرب الذي يجب أن يفتقد شعبه ليتحقَّق وعده: «ومنكَ تُبنَى الخِرب القديمة. تقيم أسـاسات دورٍ فدور.. ويبنون الخِرب القديمة، يقيمون الموحشات الأُوَل، ويجدِّدون المدن الخرِبة» (إش ٥٨: ١٢ و٦١: ٤).

(ب) **وضع العدو آياته مكان آيات الله:** «قد زمجر مقاوموك في وسط معهدك. جعلوا آياتهم آيات»(آية ٤). رفع أعداء الله أصواتهم كالأسود المزمجرة في معهد الله الذي هو هيكله، حيث يأتي شعبه ليسمعوا كلمته ويتعلّموها. وكان معهد الله أولاً يُسمّى «خيمة الاجتماع» كما قال الله لموسى: «عند باب خيمة الاجتماع.. حيث أجتمع بكم لأكلّمك هناك، وأجتمع هناك ببني إسرائيل فيُقدّس بمجدي» (خر ٢٩: ٤٢، ٤٣). ولكن الأعداء رفعوا شعارات ديانتهم فوق التعاليم الإلهية، وجعلوا أصنامهم وأوثانهم آيات وآلهة في وسط الهيكل، فأبدلوا الحقّ الإلهي بالباطل الوثني.

(ج) **حطم العدو زينة الهيكل:** «يبان كأنه رافعٌ فؤوس على الأشجار المشتبكة. والآن منقوشاته معاً بالفؤوس والمعاول يكسرون» (آيتا ٥، ٦). حطم العدو زينة الهيكل، فقد قيل عن هيكل سليمان: «و(خشب) أرز البيت من داخل كان منقوراً على شكل قِثّاء وبراعم زهور. الجميع (خشب) أرز. لم يكن يُرى حجر.. وجميع حيطان البيت في مستديرها رسمها نقشاً بنَقْر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج» (١مل ٦: ١٨، ٢٩). فجاء العدو بفؤوسه ومعاوله الغاشمة وحطم هذا كله.

(د) **احرقوا الهيكل:** «أطلقوا النار في مقدسك. دنّسوا للأرض مسكن اسمك. قالوا في قلوبهم: لنُفنينّهم معاً. أحرقوا كل معاهد الله في الأرض» (آيتا ٧، ٨). أحرق نبوخذنصَّر الهيكل، وهو المكان الذي اختاره الله ليحلّ اسمه فيه (تث ١٢: ١١)، والذي قال فيه داود: «يا ربُّ، أحببتُ محلَّ بيتك وموضع مسكن مجدك» (مز ٢٦: ٨). وقد «أحرق (العدو) بيت الملك وكل بيوت أورشليم. وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار، وجميع أسوار أورشليم مستديراً هدمها» (٢مل ٢٥: ٩، ١٠).

(هـ) **لم يعُد هناك واعظ:** «آياتنا لا نرى. لا نبيَّ بعْد، ولا بيننا من يعرف حتى متى» (آية ٩). لم يعْد هناك شيء يذكِّر بني إسرائيل بعبادة الرب، فلا عبادة، ولا أعياد، ولا حفظ سبوت، ولا ملك ولا كاهن. وكان الرب قد قال لموسى: «سبوتي تحفظونها، لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم، لتعلموا أني أنا الرب الذي يقدّسكم» (خر ٣١: ١٣). وتحقّق المرنم من قول النبي حزقيال: «ستأتي مصيبة على مصيبة.. فيطلبون رؤيا من النبي، والشريعة تُباد عن الكاهن والمشورة عن الشيوخ» (حز ٧: ٢٦).

٤ - **المرنم يطلب إيضاحاً واستجابة:** «حتى متى يا الله يعيِّر المقاوم ويهين العدو اسمك إلى الغاية؟ لماذا تردُّ يدك ويمينك؟ أخرجها من وسط حضنك. أفنِ» (آيتا ١٠، ١١). في هاتين الآيتين يتساءل المرنم إن كانت هذه الحالة البائسة ستستمر إلى الأبد. فإن كانت ستنتهي، فمتى يكون هذا؟.. وهو يطالب الرب أن ينقذ شعبه ويفني الأعداء الذين عيَّروا اسم الله بكلامهم وأهانوه بأفعالهم، كما قال ملك أشور: «كما أصابت يدي ممالك الأوثان وأصنامها المنحوتة، هي أكثر من التي لأورشليم وللسامرة. أفليس كما صنعتُ بالسامرة وبأوثانها أصنع بأورشليم وأصنامها؟» (إش ١٠: ١٠، ١١)

وبهذه الكلمات ساوى بين الأوثان والرب الإله! وبدا للمرنم أن الرب ممتنعٌ عن إنقاذ شعبه، كما قال صاحب المراثي: «ردَّ إلى الوراء يمينه أمام العدو، واشتعل في يعقوب مثل نار ملتهبة تأكل ما حواليها» (مرا ٢: ٣). فدعا المرنم الرب أن يُخرج يمينه من وسط حضنه ويمدّها بقوته الفاعلة كما سبق أن مدّها، فابتلع البحر المصريين وأفناهم (خر ١٥: ١٢).

ثانياً - ذكريات الرحمة الماضية
(آيات ١٢-١٧)

في ذكر مراحم الله الماضية رأى المرنم ثلاثة أمور عظيمة في الله:

١ - ***الرب إله الخلاص***: «والله ملكي منذ القِدم. فاعل الخلاص في وسط الأرض. أنت شققت البحر بقوتك. كسرت رؤوس التنانين على المياه» (أيتا ١٢، ١٣). يعلن المرنم أن الله ملكه الآن كما كان، وكما سيكون. وهو الديّان العادل لكل الأرض، الذي يصنع عدلاً وخلاصاً، لأنه يقول: «في وقتٍ مقبولٍ سمعتك، وفي يوم خلاصٍ أعنتك» (٢كو ٦: ٢). وبالرغم من المصاعب المؤلمة التي مرَّ بها هو وشعبه، إلا أنه يدرك أن «الرب يملك إلى الدهر والأبد» (خر ١٥: ١٨)، فيقول له: «أنت هو ملكي يا الله، فَأْمر بخلاص يعقوب» (مز ٤٤: ٤). لقد خلَّص شعبه بالخروج من مصر أمام كل الأمم والبلاد، وأنقذهم من سوء العذاب (مز ٧٧: ١٤)، كما كان فاعل الخلاص أيام إيليا وأنزل النار لتحرق الذبيحة، فهتف الشعب كله: «الرب هو الله» (امل ١٨: ٣٩)، وفعل الخلاص أيام دانيال عندما أنقذ الفتية الثلاثة من أتون النار (دا ٣) وعندما أنقذ دانيال من جب الأسود (دا ٦).

لقد شقَّ إله الخلاص البحر الأحمر بقوّته السماوية، وعبَّر شعبه المستضعف في الأرض وأغرق فرعون وجنوده، فانكسرت رؤوسهم وطفت جثثهم على المياه، «فخلَّص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين، ونظر إسرائيلُ المصريين أمواتاً على شاطئ البحر» (خر ١٤: ٣٠). ويسمّي الوحي فرعون «التنين» لفرط قوته، و«لوياثان»، و«رَهَب»، و«التمساح الكبير»، فقد قال النبي إشعياء: «في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة، لوياثان الحية المتحوِّية، ويقتل التنين الذي في البحر» (إش ٢٧: ١)، ويدعو ذراع قوة الرب قائلاً: «استيقظي. البسي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القِدم، كما في الأدوار القديمة. ألستِ أنتِ القاطعة رَهَب (مصر)، الطاعنة التنين؟» (إش ٥١: ٩)، وكما قال النبي حزقيال: «هكذا قال الرب: هأنذا عليك يا فرعون ملك مصر، التمساح الكبير الرابض في وسط أنهاره، الذي قال: نهري لي، وأنا عملته بنفسي» (حز ٢٩: ٣).

٢ – **الرب إله العناية:** «أنت رضضتَ رؤوس لويـــاثان. جعلته طعاماً للشعب، لأهل البريـــة. أنت فجّرت عيناً وسيلاً. أنت يبَّست أنهاراً دائمة الجريان» (أيتا ١٤، ١٥). انكسرت رؤوس جنود فرعون وترضّضت فصارت طعاماً لحيوانات البرية، كما قال الله لفرعون: «أتركك في البرية أنت وجميع سمك أنهارك. على وجه الحقل تسقط فلا تُجمع ولا تُلمّ. بذلتك طعاما لوحوش البر ولطيور السماء» (حز ٢٩: ٥).

وعندما عطش الشعب فجّر إله العناية عيون الماء من صخور شبه جزيرة ســيناء فشرب الشعب أربعين ســنة (خر ١٧: ٦ وعد ٢٠: ٨) «ولم يعطشوا في القفار التي ســيّرهم فيها. أجرى لهم من الصـخر ماءً، وشقّ الصخر ففاضت الميـــاه» (إش ٤٨: ٢١). لذلك يقول المرنم: «أخرج مجاري من صخرة، وأجرى مياهاً كالأنهار» (مز ٧٨: ١٥).

وعندما احتاج الشعب أن يـــعبر المياه ليصل إلى الأرض التي وعده الرب بها، جفّف الرب نهر الأردن الـدائم الجريان «فعند إتيان حاملي التابوت إلى الأردن، وانغماس أرجل الكهنة حاملي التابوت في ضفّة المياه، والأردن ممتلئ إلى جميع شطوطه.. وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندّاً واحداً بعيـــداً جداً عن «أدام» المديـــنة.. انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل أريـــحا» (يش ٣: ١٥-١٧). «لأن الرب إلهكم قد يبّس مياه الأردن من أمامكم حتى عبرتم، كما فعل الرب إلهكم ببحر سوف الذي يـــبّســـه من أمامنا حين عبرنا، لكي تعلم جميع شعوب الأرض يد الرب أنها قوية، لكي تخافوا الرب إلهكم كل الأيام» (يش ٤: ٢٣، ٢٤).

٣ – **الرب إلـه الخَلْق:** «لك النهار ولك أيـــضاً الليـــل. أنت هيّأت النور والشمس. أنت نصبتَ كل تخوم الأرض. الصيف والشتاء أنت خلقتهما» (أيتا ١٦، ١٧). خلق الرب النهار والليل بسبب دوران الأرض حـــول نفسها، عندما قال: «ليكن نور» فكان نور، ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً.. وقـــال الله: «لتكن أنوار في جلَد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون لآيات وأوقات وأيام وسنين، وتكون أنواراً في جلَد الســـماء لتنير على الأرض». وكان كذلك. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لـــحكم الـــنهار، والنور الأصغر لحكم الليـــل (تك ١: ٥ و١٤-١٦). وخلق الله تخوم الأرض ورســـم حدودها يوم فصل بين الأرض والماء، «وقال: لتجتمع المياه تحت الســـماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابســـة» (تك ١: ٩). وخلق الله الفصول ومنها الصيف والشتاء بسبب دوران الأرض حول الشمس.

ثالثاً - طلب النجاة
(آيات ١٨-٢٣)

١ – **طلب النجاة لأن العدو عيَّر الرب:** «اذكر هذا: أن العدو قد عيـّـر الرب، وشعباً جاهلاً قد أهان

اسـمك» (آية ١٨). عندما يهاجم العدوُ شعب الرب وينتصر يظنّ أن أصنامه أعظم من الرب، ويعتبر هجومه الظافر تعييـراً لإله الشعب المغلوب على أمره. والعدو في هذه الحالة جاهل بعظمة الرب وبكريم رعايته لشعبه، فقد قال الجاهل في قلبه: «ليس إله!» (مز ١٤: ١)، و«كثيرون يقولون لنفسي: ليس له خلاص بإلهه» (مز ٣: ٢).

٢ - **طلب النجاة لأنه بريء وضعيف**: «لا تسـلِّم للوحش نفس يمامتك. قطيع بائسيك لا تنْسَ إلى الأبد» (آية ١٩). يشبِّه المرنم شعب الرب باليمامة، لأنها لا تستطيع أن تدافع عن نفسـها، وهي لا تؤذي أحداً، وتغني دوماً بصوت حزين، بينما العدو وحشٌ كاسـر. ويشبِّه شعبه أيضاً بأنه قطيع من البائسـين، لا يقدرون أن يرشدوا أنفسهم، ولا أن يدفعوا الأذى عنها، فيطلب من الراعي الصالح أن يذكرهم في ضيقهم.

٣ - **طلب النجاة لأن للرب عهداً مع شعبه**: «انظر إلـى العهد، لأن مُظلمات الأرض امتلأت من مسـاكن الظلم. لا يرجعنّ المنسحق خازياً. الفقير والبائس ليسبِّحا اسمك» (آيتا ٢٠، ٢١). دخل الرب في عهد مع شعبه ليحفظهم وليكونوا له، فقال لنوح ونسله: «وها أنا مقيمٌ ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم» (تك ٩: ٩). و«قطع الرب مع إبراهيـم ميثاقاً» (تك ١٥: ١٨). وعندما كتب موسـى جميع أقوال الرب أرسـل فتيان بني إسرائيل فذبحوا ذبائح، أخذ موسى نصف دمها ووضعه في الطسوس، ورشَّ النصف الآخر على المذبح، وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسـامع الشعب، وأخذ الدم ورشَّ على الشعب، وقال: «هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميـع هذه الأقوال» (خر ٢٤: ٤-٨). وقطع الرب عهداً مع داود، وقال: «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفتُ لداود عبدي» (مز ٨٩: ٣).

ولكن بدا للمرنم أن الله أدار وجهه بعيداً عن عهده مع شعبه، فسُـبي بنو إسرائيل من أرضهم إلى «مُظلمات الأرض» في بابل، حيـث العبادة الوثنيـة المظلمة، وهي بلاد يعشِّش فيها الظلم ويملأ كل ركن منها، فانسـحقوا وخزوا وافتقروا وابتئسـوا. ويذكِّر المرنم الرب بعهده مع شعبه حتى لا يرجع المنسـحق بالخزي لأن صلاته لم تلقَ اسـتجابة، بل بالحري يرتل ويسبِّح الرب الذي سمع صلاته، فيكون «الرب ملجأً للمنسـحق، ملجأ في أزمنة الضيق، ويتكل عليك العارفون اسمك، لأنك لم تترك طالبيك يا رب.. تُميل أذنك لحقِّ اليتيم والمنسـحق، لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسـان من الأرض» (مز ٩: ٩، ١٠ و١٠: ١٧، ١٨).

٤ - **طلب النجاة لأن القضية قضيةُ الرب**: «قُم يـا الله. أقم دعواك. اذكر تعيير الجاهل إياك اليوم كـله. لا تنْسَ صوت أضدادك، ضجيج مقاوميك الصاعد دائماً» (آيتا ٢٢، ٢٣). هذا هو النداء الأخير في هذا المزمور لطلب النجاة.. لقد تعوَّد المرنم أن يـطلب من الله الدفاع عن قضيـته الشخصية أو

قضية شعبه، فيقول: «اقضِ لي يا الله وخاصِم مخاصمتي مع أمة غير راحمة، ومن إنسان غشٍّ وظلمٍ نجِّني» (مز ٤٣: ١).. ولكنه هنا يطالب الله بالدفاع عن القضية الإلهية، فيقوم الرب ليقيم دعواه على الجاهل الذي يفتري على الخالق، سيد الأرض كلها. ويبدو للمرنم أن الله نسي تعييرات معيِّريه، وأصوات أضداده وأعدائه وضجيجهم الصاعد ليتحدَّى السماء من أفواه مجدِّفة لا تتوقَّف عن التجديف، وينتظر أن يسمع مرةً أخرى قول الله لملك أشور: «لأن هيجانك عليَّ وعجرفتك قد صعدا إلى أذنيَّ، أضع خزامتي في أنفك، وشكيمتي في شفتيك، وأردُّك في الطريق الذي جئت فيه» (إش ٣٧: ٢٩).

العدو جاهل بالرب وبشدة قوته، وهو مقاومٌ لا يقدر المرنم أن يواجهه لأنه كاليمامة البريئة التي لا تقدر أن تدافع عن نفسها. والظلم كامن في كل ركن مظلم من الأرض! ولكن الرب إله العدل لا بد ينقذ مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً.

المزمور الخامس والسبعون

لإمام المغنين. على «لا تُهلك». مزمور لآساف. تسبيحة

١ نحمدُك يا الله. نحمدُك واسمُك قريبٌ. يحدِّثون بعجائبك. ٢ لأني أعيِّن ميعاداً. أنا بالمستقيمات أقضي. ٣ ذابتِ الأرضُ وكلُّ سكانِها. أنا وزنتُ أعمدتَها. سلاه.

٤ قلتُ للمفتخرين: لا تفتخروا وللأشرار: لا ترفعوا قَرْناً. ٥ لا ترفعوا إلى العُلى قرنَكم. لا تتكلموا بعُنُقٍ متصلِّب. ٦ لأنه لا مِن المشرقِ ولا مِن المغربِ ولا من برِّية الجبال، ٧ ولكنَّ اللهَ هو القاضي. هذا يضعُه وهذا يرفعُه. ٨ لأنَّ في يدِ الربِّ كاساً وخمرُها مختمرةٌ. ملآنةٌ شراباً ممزوجاً، وهو يسكبُ منها. لكن عَكَرَها يمَصُّه، يشربُه كلُّ أشرار الأرضِ.

٩ أما أنا فأخبرُ إلى الدَّهر. أرنِّمُ لإلهِ يعقوبَ. ١٠ وكلَّ قرونِ الأشرار أعْضِبُ. قرونُ الصِّدِّيق تنتصبُ.

لأني أعيِّن ميعاداً

هذا المزمور والذي يليه ترنيمتا شكر لآساف على النجاة، بعد أن استمع الله إلى شكواه التي رفعها في مزمور ٧٤، وكانا يُرتَّلان في مناسبات الانتصار القومي. وهما يشبهان مزموري ٤٦، ٤٨ اللذين رنمهما بنو قورح، فقد دان الله العدو المتكبِّر وحطمه، واختبر المرنم من جديد أن الله هو القاضي العادل الذي ينصر شعبه، وتحقَّقت نبوة إشعياء: «وتكون لكم أغنيةٌ كليلة تقديس عيد، وفرحُ قلبٍ كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب، إلى صخر إسرائيل» (إش ٣٠: ٢٩).

ولا نعرف بالضبط ما هي مناسبة كتابة هذا المزمور، ولعلها هلاك ١٨٥ ألف جندي أشوري ممن كانوا يحاصرون أورشليم (٢مل ١٩: ٣٥).. وهو اختبار يكرره الله مع شعبه عبر العصور.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يحمد الرب (آية ١)

ثانياً – الرب يجيب المرنم (آيتا ٢، ٣)

ثالثاً – المرنم يحذِّر أعداءه (آيات ٤–٨)

رابعاً المرنم يمجِّد الرب (آيتا ٩، ١٠)

أولاً - المرنم يحمد الرب
(آية ١)

يبدأ المرنم مزموره ويختمه بحمد الله وتمجيده لأنه جاوبه على شكواه.

١ – **يحمده حمداً مؤكداً:** «نحمدك يا الله نحمدك» (آية ١أ). تتكرر كلمة «نحمدك» للتبير على

توحُّد القلب في شكر الله الدائم على مراحمه التي تتجدَّد كل صباح. لقد فاض قلب المرنم بالحمد لله المنقذ من المعاناة الشديدة، والذي كانت رحمته أقوى من كل ضيقة. ويتعلم كل مؤمن حقيقي أن يشكر في كل حين على كل شيء، ويفعل ما فعله السامري الأبرص الذي شفاه المسيح مع تسعة آخرين، فرجع ليقدم شكره لشافيه. وسأل المسيح: «أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟» (لوقا ١٧: ١٧) لأن كثيرين ينالون ولا يشكرون.

والمؤمن الحقيقي يشكر حتى على الظروف السيئة، لا لأنها سيئة، ولكن لأن الله سيُخرج منها شيئاً حسناً، فمن الآكل يخرج أكل، ومن الجافي تخرج حلاوة (قض ١٤: ١٤)، ونقول دائماً إن للصدِّيق خيراً (إش ٣: ١٠).

٢ - **يحمده على قُربه:** «واسمك قريب» (آية ١ب). اسم الرب هو شخصه وما أعلن به ذاته للبشر، وهو دائماً قريب من طالبيه، ولو أن قُربه يتَّضح لهم أكثر في زمان الضيق عندما يبرهن لهم حضوره الحي الفعّال وينقذهم. قال موسى لبني إسرائيل: «أيُّ شعبٍ هو عظيم، له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا إليه؟» (تث ٤: ٧).. «قريبٌ هو الرب من المنكسري القلوب، ويخلِّص المنسحقي الروح.. الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق» (مز ٣٤: ١٨، ١٤٥: ١٨)، «ليستجب لك الرب في يوم الضيق. ليرفعك اسم إله يعقوب» (مز ٢٠: ١).. لذلك قال الرسول بولس وهو مسجون في روما للمتألمين من الاضطهاد في فيلبي: «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا.. الرب قريب» (في ٤: ٤، ٥)، فهو قريب من المؤمنين أكثر مما يتصوَّرون، كما أن مجيئه ثانيةً قريب.

٣ - **يحمده على عجائبه:** «يحدِّثون بعجائبك» (آية ١ج). يتحدَّث المرنم والمحيطون به عن عجائب الإنقاذ الإلهي، ولسان حاله: «أحمد الرب بكل قلبي. أحدِّث بجميع عجائبك.. اللهمَّ، قد علَّمتني منذ صباي، وإلى الآن أُخبر بعجائبك» (مز ٩: ١ و٧١: ١٧). وهم مندهشون من المعجزات المتكررة التي زادت نضوجهم الروحي، وكأنهم يقولون مع الرسول بولس: «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا» (رو ٨: ١٨).

ثانياً - الرب يجيب المرنم
(آيتا ٢، ٣)

لا بد أن الله يعاقب الشرير، ويحافظ على المبادئ الأخلاقية في العالم الذي خلقه، حتى لو ظهر لعيوننا البشرية في أحيان كثيرة أن الفوضى تعمُّه، لكنه سبحانه بنى الكون مثل بيت متَّزن الأعمدة

تخبر السماوات بعدله، «لأن الله هو الديّان» (مز ٥٠: ٦).. وتقول هاتان الآيتان:

١- **للتدخُّل الإلهي موعد**: «لأني أعيّن ميعاداً» (آية ٢أ). يبدو للمتضايق أن الله نسي، لكن «لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماوات وقت» (جا ٣: ١). قال المسكين الذي أعيا وسكب شكواه قدام الله: «أنت تقوم وترحم صهيون، لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد» (مز ١٠٢: ١٣). فما أعظم الحكمة في التوقيت الإلهي، فالهدية التي نتلقاها وقت الحاجة إليها هي أفضل هدية. «فإن كنتم، وأنتم أشرار، تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات!» (مت ٧: ١١). «لأن الرؤيا بعدُ إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها، لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حب ٢: ٣)، فهناك ميعاد معيَّن لكل عمل يُعمل. فلننتظر ميعاد الرب ونحن نقول: «انتظاراً انتظرتُ الرب» (مز ٤٠: ١).

عندما قطع الرب ميثاقاً مع خليله إبراهيم ووعده أن يمنحه أرض الميعاد، لم يعطها له فوراً «لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً» (تك ١٥: ١٦)، ومنح الرب الأموريين أربعمئة سنة ليتوبوا. وكان يجب أن يفهموا التحذير الحكيم: «أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالمٍ أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟» (رو ٢: ٤).

٢ **في التدخُّل الإلهي تحقيق للعدالة**: «أنا بالمستقيمات أقضي» (آية ٢ب). يؤكد الله أنه وحده سيُحق الحق، ويوقع العقاب بالعدو إن لم يتُب، وسيُجري الحق كالمياه، والبر كنهر دائم (عا ٥: ٢٤)، ولن يكون هناك ظلم. «لأنه أقام يوماً هو فيه مزمعٌ أن يدين المسكونة بالعدل» (أع ١٧: ٣١).

٣ - **التدخُّل الإلهي يُخضع الجميع**: «ذابت الأرض وكل سكانها. أنا وزنتُ أعمدتها» (آية ٣). قد تبدو العدالة في هذا العالم متعثِّرة، وقد يتزعزع إيمان المؤمن بسبب هذا، فيقول: «حقاً قد زكّيتُ قلبي باطلاً وغسلت بالنقاوة يديَّ» (مز ٧٣: ١٣). ولكن الله أقام عالمه على أسُس أخلاقية كالأعمدة الثابتة المتّزنة. فعندما تهتز العدالة الأرضية ويسود الظلم يُعيد الله للعدالة ثباتها ويعاقب الظلم والظالمين، فيقول المؤمن: «انتبهتُ إلى آخرتهم. حقاً في مزالق جعلتهم. أسقطتهم إلى البوار» (مز ٧٣: ١٧، ١٨).. لقد وزن الله كل شيء ووضعه في مكانه الصحيح، ولم يخلق الكون وتركه للصدف، ولا أهمل شعبه لحظة! وهذا ما نراه في كل التاريخ.. لقد ذابت الأرض وكل سكانها وهي تشهد حادثة الخروج من مصر، ثم ذابت مرة أخرى وهي تشاهد عودة الشعب من سبي بابل ليعيدوا بناء الهيكل. وستذوب الأرض كلها عند مجيء المسيح ثانية ليدين العالمين. «لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناسٌ، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلصٍّ في الليل يوم الرب، الذي فيه تزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر

مــحترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها. فبما أن هذه كلها تنحل، أيّ أناسٍ يجب أن تكونوا أنتم في ســيرة مقدســـة وتقوى، منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب. ولكننا بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر» (٢بط ٣: ٩-١٣).

ثالثاً - المرنم يحذر أعداءه

(آيات ٤-٨)

كانت شريعة العهد القديم تقول إن «عيناً بعين، وســناً بســـن، ويداً بيد ورِجلاً برِجل» (خر ٢١: ٢٤)، فكان يــحقّ للمرنم أن يـــطلب تدمير أعدائه، ولكنه بدلاً من هذا قدَّم لهم التحذيرات والنصائح، ونبّههم إلى قضاء الله العادل ليتوبوا:

١ - **حذّرهم من الـكبريـاء**: «قلتُ للمفتخريــن: لا تفتخروا، وللأشرار: لا ترفعوا قرناً. لا ترفعوا إلى العُلى قرنكم» (آيــتا ٤، ٥أ). المفتخرون هم الذين يعتزّون بأنفســهم لا بالرب، فيُقال لهم: «لماذا تفتخر بالشر أيــها الجبار؟» (مز ٥٢: ١). لقد رفع الشريــر قرنه إلى العُلى، إلى مكان سُــكنى الله. والـقرن يرمز إلى القوة، فبه ينطح الثور. وكان القرن لقباً للملوك لأنهم ذوو سلطة وقوة (دا ٧: ٧، ٨ ومز ١٣٢: ١٧). ويـــحذر المرنم أعداءه من الافتخار، فطوبى للمســاكين بالروح (مت ٥: ٣) لأنهم يدركون أن كل ما عندهم من سلطان هو عطية الله، فيقول كلٌّ منهم: «بالرب تفتخر نفسي» (مز ٣٤: ٢).

تضايق الوزير الفارســي هامان لأن مُردخاي بوّاب القصر رفض أن يســجد له، طاعةً للوصية: «للرب إلهك تســـجد، وإياه وحده تعبد» (مت ٤: ١٠)، وفي كبريائه قرر أن يقتل مردخاي مصلوباً، فصُلب هو على الخشبة التي جهزها لمردخاي (أس ٧: ٩، ١٠).

وفي كبرياء قلبه نظر نبوخذنصَّر إلى عاصمته العظيمة وقال: «أليست هذه هي بابل العظيمة التي بنيتها لبيت المُلك بقوة اقتداري ولجلال مجدي؟ والكلمة بعد بفم الملك وقع صوتٌ من السماء قائلاً: لك يــقولون يا نبوخذنصَّر الملك: إن المُلك قد زال عنك، ويطردونك من بين الناس، وتكون سُــكناك مع حيوان البر، ويطعمونك العشب كالثيران، فتمضي عليك ســبعة أزمنة حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس، وأنه يــعطيــها من يشاء» (دا ٤: ٢٨-٣٢). وهكذا كان، حتى أدرك أن العلي صاحب الســـلطان في مملكة الناس، فرجع إليه عقله وأعادوه لعرشه.«كان هيرودس ساخطاً على الصوريين والصيداويين فحضروا إليه بنفس واحدة واســـتعطفوا بلاستس الناظر على مضجع الملك، ثم صاروا يلتمســـون المصالحة لأن كورتهم تقتات من كورة الملك. ففي يوم معيَّن لبس هيرودس الحلة الملوكية

وجلس على كرسي المُلك وجعل يخاطبهم. فصرخ الشعب: هذا صوت إله لا صوت إنسان. ففي الحال ضربة ملاك الرب لأنه لم يعطِ المجد لله. فصار يأكله الدود ومات» (أع ١٢: ٢٠-٢٣). وهكذا أهلك هيرودس نفسه بكبريائه، لأنه قبل أن يصيبه المرض الجسدي أصابه داء الكبرياء.

٢ - **حذَّرهم من العناد**: «لا تتكلموا بعُنق متصلِّب» (آية ٥ب). قالت حنَّة أم النبي صموئيل: «لا تُكثِّروا الكلام العالي المستعلي، ولتبرح وقاحة من أفواهكم، لأن الرب إلهٌ عليم، وبه توزن الأعمال» (١صم ٢: ٣). والعنق المتصلب هو المتكبر. وعلى الإنسان أن يتعلم التواضع، فكم ضمَّ باطن الأرض من عظماء وأصحاب مراكز أثرياء، وستظل تضم. فلنتخلَّ عن العنق المتصلب، ولننحنِ أمام الله بتواضع، كما تواضعت العذراء القديسة مريم وقالت: «تعظِّم نفسي الرب.. لأنه نظر إلى اتِّضاع أمته، فهوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوِّبني، لأن القدير صنع بي عظائم.. صنع قوة بذراعه. شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتَّضعين» (لو ١: ٤٦-٥٢).

٣ - **ذكَّرهم بالسلطان الإلهي**: «لأنه لا من المشرق ولا من المغرب ولا من برية الجبال. ولكن الله هو القاضي. هذا يضعه وهذا يرفعه» (آيتا٦، ٧). هاجم الأعداء شعب الرب من كل جهة: من الشمال والجنوب وشبه الجزيرة. و«لكن» هناك أمل للمؤمن ورعب للظالم، لأن الله هو القاضي، كما قال إشعياء: «فإن الرب قاضينا. الرب شارعنا (المشرِّع لنا). الرب ملكنا، هو يخلِّصنا» (إش ٣٣: ٢٢). «الرب يُميت ويحيي. يُهبط إلى الهاوية ويُصعِد. الرب يُفقِر ويُغني. يضع ويرفع» (١صم ٢: ٦، ٧). «الرب يرفع الودعاء، ويضع الأشرار إلى الأرض» (مز ١٤٧: ٦).

٤ - **حذَّرهم من العقاب الإلهي**: «لأن في يد الرب كأساً وخمرها مختمرة. ملآنة شراباً ممزوجاً وهو يسكب منها. ولكن عكرها يمصُّه، يشربه كل أشرار الأرض» (آية ٨). يشير الكأس هنا إلى العقاب الإلهي، كما قال المرنم عنه: «أسقيتَ (يا رب) شعبك عُسراً. سقيتنا خمر الترنُّح» (مز ٦٠: ٣). وقد أمر الرب النبي إرميا: «خُذ كأس خمر هذا السخط من يدي، واسقِ جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم إياها، فيشربوا ويترنَّحوا ويتجنَّنوا» (إر ٢٥: ١٥، ١٦). وقال النبي إشعياء لبلاده: «قومي يا أورشليم التي شربتِ من يد الرب كأس غضبه. ثُفل كأس الترنُّح شربتِ، مصصتِ» (إش ٥١: ١٧). وكأس الخمر المختمرة في يد الله يعني أن العقاب الإلهي على الشرير عقاب شديد. والكأس «ملآنة شراباً ممزوجاً» بمعنى أن عقوباتها متنوعة وكثيرة، «يسكب» الله منها، لأنها لا تزال تمتلئ من غضبه ولا تفرغ، يشربها الأشرار حتى العكر المترسِّب في قاعها، فلا تبقى فيها قطرة.

وقد يبدو هذا الكلام قاسياً، لكن الحقيقة هي أن الذي يشرب كأس غضب الله حتى ثمالتها هو الذي رفض رحمة الله، مع أن الله طالما دعاه للتوبة فرفض، وبرفضه يذخر لنفسه غضباً في يوم الغضب

ويوم استعلان دينونة الله العادلة (رو ٢: ٥).

رابعاً - المرنم يمجِّد الرب
(آيتا ٩، ١٠)

بعد أن حذَّر المرنم الأشرار من سوء مصيرهم، أوضح موقفه الذي يجاهر به علناً. كانوا يعلنون الحرب، أما هو فيطلب السلام. كانت ألسنتهم تلعن، أما لسانه فيبارك.

١ - **يمجِّد المرنم الرب بالإعلان عن عمله:** «أما أنا فأُخبر إلى الدهر» (آية ٩أ). عمل الله مع المؤمن عملاً لا يستحقه، ولم يكن يتوقعه، لأنه أكثر جداً مما طلب أو افتكر، وفي انبهار يخبر بكم صنع الرب به ورحمه (مر ٥: ١٩). ويقول الوحي للمؤمنين: «وأما أنتم فجنسٌ مختار وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله. الذين كنتم غير مرحومين، وأما الآن فمرحومون» (١بط ٢: ٩، ١٠). فيقولون: «متكلِّمٌ أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر» (مز ٤٥: ١).

٢ - **يمجِّده بالفرح بما عمله:** «أرنِّم لإله يعقوب» (آية ٩ب). لم يكن تاريخ يعقوب تاريخ من يستحق الرحمة الإلهية، لا هو ولا بنوه. فلما أنقذهم الله عبَّر المرنم عن تمجيده لله بالترنيم.. لم يكن يعقوب يستحق الرحمة، فقد خدع أخاه وأباه وخاله، وبدأت علاقته بالله أنانية لمصلحته، فنذر: «إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه، وأعطاني خبزاً لآكل وثياباً لألبس ورجعتُ بسلام إلى بيت أبي، يكون الرب لي إلهاً. وهذا الحجر الذي أقمتُه عموداً يكون بيت الله، وكل ما تعطيني فإني أعشِّره لك» (تك ٢٨: ٢٠-٢٢). وحقق الله مطالب يعقوب، ولكنه نسي نذره، فعاتبه الله على عدم وفائه بالعهد، وقال له: «قم اصعد إلى بيت إيل، وأقِم هناك. واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك» (تك ٣٥: ١). وقد شعر يعقوب بعد ذلك أنه لا يستحق أفضال الله عليه، فقال لابنه يوسف عن حفيديه منسى وأفرايم: «الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحاق، الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم، الملاك الذي خلَّصني من كل شر يبارك الغلامين» (تك ٤٨: ١٥، ١٦). ويسبح المرنم إله يعقوب لأنه رحم يعقوب، كما يفتح باب رحمته لكل من يطلبها، لأنه«يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون» (١تي ٢: ٤).

٣ - **يمجِّده بإعلان نصره:** «وكل قرون الأشرار أعْضِب. قرون الصدِّيق تنتصب» (آية ١٠). يعلن المرنم أن الله سيهزم الأمم وينصف شعبه، فيعضب المرنم (يقطع) كل قرون الشرير وكل

مظاهر سطوته، وتنتصب قرون الصديق، لأن الله يرد الحق إلى نصابه وينقذ أولاده من الخطر. «قومي ودوسي يا بنت صهيون، لأني أجعل قرنك حديداً.. فتسحقين شعوباً كثيرين» (مي ٤: ١٣). «مخاصمو الرب ينكسرون. من السماء يُرعِد عليهم. الرب يدين أقاصي الأرض، ويعطي عزّاً لملِكه، ويرفع قرن مسيحه» (١صم ٢: ١٠). حقاً «من يرفع نفسه يتّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (مت ٢٣: ١٢).

ليكن هذا المزمور مصدر تشجيع حقيقي لنا. «إنما لله انتظري يا نفسي لأن من قِبله رجائي. إنما هو صخرتي وخلاصي، ملجإي فلا أتزعزع» (مز ٦٢: ٥، ٦).

المزمور السادس والسبعون

لإمام المغنين. على ذوات الأوتار. مزمور لآساف. تسبيحة

١ اللهُ معروفٌ في يهوذا. اسمُه عظيمٌ في إسرائيلَ. ٢ كانت في ساليمَ مَظلَّتُه، ومَسْكَنُه في
صهيون. ٣ هناك سَحَقَ القِسِيَّ البارقةَ، المجنَّ والسيفَ والقتالَ. سلاه

٤ أبهى أنت أمجدُ مِن جِبالِ السَّلَبِ. ٥ سُلِبَ أشدَّاءُ القلب. ناموا سِنَتَهم. كلُّ رجالِ البأسِ
لم يجدوا أيديَهُم. ٦ مِن انتهارِكَ يا إلهَ يعقوبَ يُسبَّخُ فارسٌ وخيلٌ. ٧ أنت مهوبٌ أنت. فمَن يقفُ
قدامَكَ حالَ غضبِكَ؟ ٨ مِن السماءِ أسمعتَ حُكماً. الأرضُ فزِعَت وسكَتت ٩ عند قيامِ اللهِ
للقضاءِ، لتخليصِ كلِّ وُدعاءِ الأرضِ. سلاه. ١٠ لأن غضبَ الإنسانِ يحمدُكَ. بقيَّةُ الغضبِ
تتمَنْطَقُ بها.

١١ أنذُروا وأوفوا للربِّ إلهكم يا جميعَ الذين حوله. ليقدِّموا هديةً للمهوب. ١٢ يقطِفُ روحَ
الرؤساءِ. هو مهوبٌ لملوكِ الأرض.

قوة الله المخلِّصة

في مزمور ٧٤ رفع المرنم لله شكوى من ظلم العدو لشعب يحبه الله، فقد حطم الهيكل محل سكن الله وسط شعبه. واستمعنا في مزمور ٧٥ رداً إلهياً على الشكوى، يقول الله فيه إنه قاضٍ عادل، وقد عيَّن لكل أمرٍ ميعاداً، وإنه بالمستقيمات يقضي. وفي هذا المزمور ردٌّ إلهي آخر، يقول إن قوة الله العظيمة لا بد ستحطم العدو.. وواضح أن في عالمنا مملكتين تتحاربان، كما أن هناك معارك مستمرة تدور داخل نفوسنا بين الخير والشر. فنحن نعيش في عالم أسلم قياده لإبليس، وقد خضع أغلبية البشر للشرير واستسلموا له. ولكثرة ما هُزموا أمامه لم تعُد لديهم ثقةٌ أنهم يقدرون أن ينتصروا، لأن الهزيمة صارت أسلوب حياتهم اليومي.

على أن النصرة النهائية هي دائماً من نصيب مملكة الخير، مع أنها تواجه الهجوم المستمر من مملكة الشر. ويوصينا الوحي: «تقوَّوا في الرب وفي شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (أف ٦: ١٠-١٢).. وعلى كل من يريد الحياة المقدسة، الخادمة، الشُّجاعة أن يتوقع المقاومة، ويتأكد في الوقت نفسه أنه «يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧).

يشبه هذا المزمور مزمور ٤٦ الذي يقول مطلعه: «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً». ويتكوَّن مزمورنا من ١٢ آية، تحوي أربعة أفكار، تشغل كل فكرة منها ثلاث آيات.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - قوة الرب (آيات ١-٣)

ثانياً مجد الرب (آيات ٤-٦)

ثالثاً سلطان الرب (آيات ٧-٩)

رابعاً نصائح للودعاء (آيات ١٠-١٢)

أولاً - قوة الرب
(آيات ١-٣)

١- **قوة مُعلَنة:** «الله معروف في يهوذا، عظيم في إسرائيل» (آية ١). تاريخ الله مع شعبه معروف ومشهور، بالخروج المعجزي من مصر، وشق البحر الأحمر، وإطعام الشعب بالمن والسلوى في الصحراء، وري عطشهم بالماء الذي خرج من الصخر. وعندما كانوا يحتفلون بالفصح كان الأبناء يسألون آباءهم: «ما هذه الخدمة لكم؟» فيجاوبونهم: «هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني إسرائيل في مصر، لما ضرب المصريين وخلَّص بيوتنا» (خر ١٢: ٢٦، ٢٧). الله معروف بأنه صاحب القوة اللانهائية، فهو الخالق، الذي قال «ليكن نور» فكان نور. وهو «حاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب ١: ٣). فقد خلق العالم وهو يعتني به ويضبطه، وكل الأشياء بإرادته كائنة وخُلقت (رؤ ٤: ١١)، وهو يكافئ البار ويعاقب الشرير. «معروفٌ هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يَعْلَقُ بعمل يديه» (مز ٩: ١٦). «الله في قصورها يُعرَف ملجأ» (مز ٤٨: ٣).

ملَكَ داود وسليمان على مملكة متحدة، ولكنها انقسمت إلى مملكتين: شمالية هي مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة، وجنوبية هي مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم. والله معروف في مملكتي يهوذا وإسرائيل. أعلن لهما عن ذاته بواسطة الأنبياء الذين أرسلهم إليهما، وبالمعجزات التي أجراها بواسطة أنبيائه فيهما.

معروف الله بأمانته الكاملة، فقد حقَّق كل وعوده لأب الأسباط يعقوب، وغيَّر اسمه من يعقوب (بمعنى: يمسك العقب) إلى إسرائيل (بمعنى: يجاهد مع الله). وقال سليمان بعد صلاة تدشين الهيكل: «مباركٌ الرب الذي أعطى راحةً لشعبه حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (١مل ٨: ٥٦).

٢- **قوة مُقيمة:** «كانت في ساليم مظلته، ومسكنه في صهيون» (آية ٢). يقول المرنم إن الله أقام مظلته في ساليم، وهو تدليل واختصار لاسم أورشليم، بمعنى «مدينة السلام» أو «أساس السلام».

. وقد حلّت أورشليم السماوية في عهد الإنجيل مكان أورشليم الأرضية، لأن خاصة المسيح من اليهود لم تقبله، فمنح كل الذين قبلوه من كل أمة وشعب ولسان امتيازات شعبه القديم، الذين قال المسيح لهم: «ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره» (مت ٢١: ٤٣).

«في ساليم مظلته». وتُطلَق «مظلته» أحياناً على عرين الأسد، والمعنى أن الرب يدافع عن شعبه كما يدافع الأسد عن عرينه «لأنه هكذا قال الرب كما يهرُّ فوق فريسته الأسد والشبل الذي يُدعى عليه جماعة من الرعاة وهو لا يرتاع من صوتهم ولا يتذلل لجمهورهم.. هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم. يحامي فينقذ، يعفو فينجي» (إش ٣١: ٤، ٥).

يقيم الله وسط شعبه، ويسكن بينهم. رأى يوحنا المسيح في وسط سبع منابر ذهبية هي السبع الكنائس (رؤ ١: ١٣). وقال المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).

٣- قوة منتصرة: «هناك سحق القسيَّ البارقة. المجنّ والسيف والقتال» (آية ٣). «هناك» في كل الحروب التي أغار فيها العدو ضد شعب الرب كانت قسيُّ العدو (جمع قوس) بارقة، أي سريعة كالبرق، فسحقها الرب بقوته الأقوى والتي لا بد ستنتصر وتنصر شعبه. ويُقال عن سهام الرب المدافعة عن شعبه، والتي تهزم أعداءه: «أرسل سهامه فشتَّتهم، وبروقاً كثيرة فأزعجهم» (مز ١٨: ١٤)، وقال النبي: «يُرى الرب فوقهم وسهمه يخرج كالبرق» (زك ٩: ١٤). وتوضح هذه الآية أن الرب المنتصر سيسحق كل أسلحة الحرب من مجن (وهو الترس الصغير)، وسيف وجنود.

ثانياً - مجد الرب
(آيات ٤-٦)

١ - دمَّر التحصينات: «أبهى أنت، أمجد من جبال السَّلب» (آية ٤). جبال السلب هي الجبال الراسخة العالية، التي تعلوها تحصينات العدو القوية، والكهوف الحصينة التي لا يمكن لأحد من سكان الوادي أن يصل إلى الأعداء المعسكرين فوقها والمختبئين داخلها. ولكن الله أبهى وأمجد منها كلها، لأن الذين معنا أعظم وأقوى وأكثر من الذين معهم. ويقدِّم الله لشعبه التشجيع العظيم على لسان النبي ناحوم، فيقول بخصوص هجوم الأشوريين (وعاصمتهم نينوى) على شعبه: «أين مأوى الأسود ومرعى أشبال الأسود؟.. الأسد المفترس لحاجة جرائه، والخانق لأجل لبواته، حتى ملأ مغارته فرائس ومأويه مفترسات. ها أنا عليه يقول رب الجنود» (ناحوم ٢: ١١-١٣).

٢- دمَّر الجنود: «سُلِب أشداء القلب. ناموا سِنتهم. كل رجال البأس لم يجدوا أيديهم. من انتهارك

يـــا إله يعقوب يُســبِّخ فارسٌ وخيلٌ» (آيتا ٥، ٦). قال ملك أشور: «بقدرة يدي صنعت، وبحكمتي، لأني فهيـــمٌ.. فأصابت يدي ثروة الشعوب كعُش، وكما يُجمع بيضٌ مهجور جمعتُ أنا كل الأرض» فقال الله لـــه: «هل تفتخر الفأس على القاطع بها، أو يــتكبّر المنشار على مردِّده؟» (إش ١٠: ١٣-١٥). لقد ســـلب الله الأعداء الشجعان، وأنامهم نوم الموت، وقال عنهم: «لكي يناموا نوماً أبدياً ولا يستيقظوا، يقول الرب» (إر ٥١: ٣٩). وعندما حاولوا أن يستخدموا أيديهم للهجوم أو للدفاع وجدوها مقطوعة، إما لأنهم فقدوها، أو لأنها عجزت عن الحركة.

لقد انتهر الله العدو بصوت ســلطانه «انتهرتَ الأمم. أهلكت الشرير» (مز ٩: ٥)، فسُبِّخ الفارس والخيـل، أي ناموا نوماً عميـــقاً وراح في سُبات الموت.. ســـقط أعداء الله جميعاً وماتوا. إنه الله «المُخرِج المركبةَ والفرس، الجيـــش والعزَّ. يضطجعون معاً لا يقومون. قد خمِدوا. كفتيلةٍ انطفأوا» (إش ٤٣: ١٧).

ثالثاً - سلطان الرب
(آيات ٧-٩)

١ - **لأنه المهوب**: «أنت مهوب أنت. فمن يقف قدامك حال غضبك؟» (آية ٧). الله صاحب الهيبة الذي لا يســتطيع أحد أن يقف أمامه. وقف شاول الطرســـوســـي ضد المسيح وضد كنيسته، وحمل رســـائل من رؤســـاء اليهود في أورشليم ليُلقي القبض على المســـيحيين رجالاً ونساءً ليسوقهم إلى الســـجون والعذاب. ولكنه بكل علمه وســـلطانه وغيرته لعقيدته لم يقدر أن يقف أمام هيبة الله الذي أبرق حوله بنور من الســـماء فسقط إلى الأرض، وسمع المسيح يسأله: «لماذا تضطهدني؟.. صعبٌ عليـــك أن ترفس مناخس» فخضع أمام المهوب يقول: «ماذا تريد يا رب أن أفعل؟» (أع ٩: ٤-٦). حقاً «الرب عليٌّ مخوف» (مز ٤٧: ٢) ، و«إلهنا نارٌ آكلة» (عب ١٢: ٢٩). «من يقف أمام ســخطه، ومن يقوم في حموّ غضبه؟» (نا ١: ٦). له قال المرنم: «إن كنت تراقب الآثام يا رب يا ســـيد، فمن يقف؟» (مز ١٣٠: ٣).

٢ -**لأنه القاضي**: «من السـماء أسـمعتَ حُكماً. الأرض فزعت وســكتت، عند قيام الله للقضاء لـتخليص كل ودعاء الأرض» (آيتا ٨، ٩). الله هو القاضي العادل الذي يصدر أحكامه على الأشرار ويـــعلنها، فيرتعبون ويعجزون عن الدفاع عن أنفسهم. قالت حنة في صلاة شكرها: «مخاصمو الرب ينكســـرون. من السماء يُرعِد عليهم. الرب يدين أقاصي الأرض» (١صم ٢: ١٠)، وقال بنو قورح: «عـــجَّت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته. ذابت الأرض» (مز ٤٦: ٦). وقال النبي إشعياء: «يُســـمِّع الرب جلال صوته، ويُري نزول ذراعه بهيجانِ غضبٍ ولهيبِ نارٍ آكلة.. لأنه من صوت

الرب يرتاع أشور» (إش ٣٠: ٣٠، ٣١).

لا بد أن يـقوم الله ليـُجري القضاء العادل، ويُفزِع الشرير ويخلِّص كل ودعاء الأرض، «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه» (إش ١١: ٤). ينقذ الله كل من لا يستطيعون أن يخلِّصوا أنفسهم، فيدافع عنهم وهم صامتون. وعندما نلتقي بمتجِّبر يظلم العاجزين، يجب أن نذكر أن الله يقوم ليخلص كل ودعاء القلب، فهو يقول: «كل قرون الأشرار أعضب (أقطع). قرون الصديق تنتصب» (مز ٧٥: ١٠).

رابعاً - نصائح للوديع
(آيات ١٠-١٢)

أوضح المرنم أن قوة الله تحطم العدو وتدافع عن الوديع الذي لا يقدر أن يدافع عن نفسه. ثم يطمئن هذا الوديع، ويقدم له ثلاث نصائح:

١ – *الله صاحب السلطان:* «لأن غضب الإنسان يحمدك. بقية الغضب تتمنطق بها» (آية ١٠). لا بد أن يتحوَّل غضب الإنسان ضد شعب الرب إلى تمجيد للرب وإلى خيرٍ لشعبه، لأنه لا بد يُجري معجزات لينقذ شعبه، ويُخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة (قض ١٤: ١٤)، كما قال لفرعون: «لأجل هذا أقمتُك لكي أريك قوتي، ولكي يُخبَر باسمي في كل الأرض. أنت معاندٌ بعد» (خر ٩: ١٦). وإن تبقَّى من غضب الإنسان الشرير شيء لم يُفصِح عنه، يتمنطق الله به ويحوِّله أيضاً لخير شعبه، ويقول للخطاة: «تَنَفُّسكم نارٌ تأكلكم» (إش ٣٣: ١١).

عندما غضب هامان على مُردخاي صُلب على الخشبة التي نصبها ليصلب عليها مُردخاي، ونزع الملك خاتمه الذي أخذه من هامان وأعطاه لمردخاي، فدمَّر العدو نفسه، وأكرم الله شعبه (أس ٧: ٩ و٨: ٢).

قال المسيح: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨: ١٨). وهذا ما حدث بعد رجم استفانوس، الشهيد المسيحي الأول، فقد «حدث في ذلك اليوم اضطهادٌ عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتَّت الجميع في كُوَر اليهودية والسامرة، ما عدا الرسل.. فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة» (أع ٨: ١، ٤).. لقد حقَّق غضب العدو انتشار كلمة الله.

٢ – *أوفِ النذر:* «انذروا وأوفوا للرب إلهكم يا جميع الذين حوله. ليقدموا هدية للمهوب» (آية ١١). في وقت الضيق ينذر الإنسان للرب نذوراً، وعندما يحقق الله الطلب كثيراً ما ينسى الإنسان نذره. والنذر نوع من المساومة بين الإنسان الضعيف والله القوي. والله في محبته يقبل هذا، لا لأنه ينتظر من الإنسان عطاءً، فهو الخالق، لكنه يريدنا أن نكون أمناء في وعودنا. عندما نذر يعقوب أبُ

الأسباط أن يبني بيتاً للرب إن حفظه الرب وأكرمه، حقَّق الرب طلب يعقوب، لكن يعقوب نسي نذره (تكوين ٢٨: ٢٠-٢٢). صدق كلام الرب، ولم يصدق يعقوب! فطلب الله من يعقوب أن يذكر نذره، ويذهب إلى بيت إيل ليفي به (تك ٣٥: ١).

ويضم المرنم صوته إلى صوت الله طالباً من كل من ينذر أن يفي، «إذا نذرتَ نذراً للرب فلا تتأخر عن الوفاء به، لأنه لا يُسرُّ بالجهال. فأوفِ بما نذرته. أن لا تنذر خيرٌ من أن تنذر ولا تفي» (جا ٥: ٤، ٥).

٣-اطمئن: «يقطف روح الرؤساء. هو مهوبٌ لملوك الأرض» (آية ١٢). عندما ينفصل الإنسان عن الله يدمر نفسه ويهلكها، وعندما يتعارض فعله مع القوانين الإلهية يقطع نفسه بسيف حاد، لأن قوانين الله كالسيف، يحمينا إذا سرنا إلى جواره، ويمزقنا إن اعترضنا طريقه.

ويصوِّر كاتب سفر الرؤيا منظر قطف روح الرؤساء بالقول: «خرج ملاك من المذبح له سلطان على النار، وصرخ صراخاً عظيماً إلى الذي معه المنجل الحاد قائلاً: أرسِل منجلك الحاد واقطف عناقيد كرم الأرض، لأن عنبها قد نضج. فألقى الملاك منجله إلى الأرض وقطف كرم الأرض، فألقاه إلى معصرة غضب الله العظيمة» (رؤ ١٤: ١٨، ١٩).

هذا المزمور هو صوت الله لنا لتعزيتنا وقت الضيق والشدة، يقول لنا إن الله هو الغالب، وسيضع أعداءه موطئاً لقدميه. فلنبتهج بإله خلاصنا.

المزمور السابع والسبعون

لإمام المغنين على «يدوثون». لآساف. مزمور

**١ صوتي إلى الله فأصرخُ. صوتي إلى الله فأصغى إليَّ. ٢ في يـوم ضيقي التمَسْتُ الربَّ.
يـدي في الليلِ انْبَسَطَتْ ولم تَخْدَرْ. أبَتْ نفسي التعزيةَ. ٣ أذكُرُ اللهَ فأَئِنُّ. اناجي نفسي فيُغشى
على روحي. سلاه.**

**٤ أمْسَكْتَ أجفانَ عينيَّ. انزعجتُ فلم أتكلم. ٥ تفكَّرتُ في أيامِ القِدَم، السنينَ الدهريَّةِ.
٦أذكرُ ترنُّمي في الليلِ. مع قلبي أناجي وروحي تبحثُ. ٧ هل إلى الدهور يرفضُ الربُّ ولا
يعودُ للرِّضا بعْدُ؟ ٨ هل انتهت إلى الأبدِ رحمتُه؟ هل انقطعَتْ كلمتُه إلى دور فدور؟ ٩ هل نسي
اللهُ رأفةً، أو قَفَصَ برِجْزِه مراحمَه؟ سلاه.**

**١٠ فقلتُ: هذا ما يُعِلُّني. تَغَيُّرُ يمينِ العَليِّ. ١١ أذكرُ أعمالَ الربِّ إذْ أتذكَّرُ عجائبَك منذُ
القِدَم، ١٢ وألهجُ بجميعِ أفعالِك، وبصنائعِكَ أناجي.**

**١٣ اللهمَّ في القُدس طريقُك. أيُّ إلهٍ عظيمٌ مثلُ الله! ١٤ أنت الإلهُ الصانعُ العجائبَ. عَرَّفْتَ
بين الشعوبِ قوَّتَك. ١٥ فكَكْتَ بذراعِك شعبَك بني يعقوب ويوسف. سلاه. ١٦ أبصرتْكَ المياهُ يا
اللهُ، أبصرتْكَ المياهُ ففزِعَت. ارتعدَتْ أيضاً اللججُ. ١٧ سكبتِ الغيومُ مياهاً. أعطتِ السُّحبُ
صوتاً. أيضاً سهامُك طارت. ١٨ صوتُ رعدِك في الزَّوبعةِ. البروقُ أضاءتِ المسكونةَ. ارتعدتْ
ورجفتِ الأرضُ. ١٩ في البحرِ طريقُك، وسُبُلُك في المياهِ الكثيرة، وآثارُك لم تُعرَف. ٢٠ هديتَ
شعبَك كالغنمِ بيدِ موسى وهارون.**

هديت شعبك

يتوافق هذا المزمور مع صلاة النبي حبقوق التي رفعها لله عندما رأى جيوش الكلدانيين قادمة لتخرب بلاده، فاهتزَّ إيمانه اهتزازاً عنيفاً، وتساءل إن كانت عدالة الله تقبل انتصار الرعب والعنف، فأجاب الرب نبيّه حبقوق بأن العدالة قادمةٌ لا ريب فيها، ولكنها قد تتأخر، فلينتظرها. فلما طلب النبي سرعة عمل الله لئلا تخور القلوب المؤمنة أعلن الله له في رؤيا أنه آتٍ ليعاقب أعداءه وينصر شعبه، كما سبق وفعل في الماضي، فإن التاريخ يعيد نفسه.

وعندما كتب المرنم هذا المزمور كان الخراب قد حلَّ ببلاده، وسبى الكلدانيون شعبه، فعرض مشكلته على الله وانتظر الإجابة، التي جاءته تقول إن الله لا يرفض شعبه إلى الأبد، وإن الذي أجرى المعجزات في الماضي سيُجريها في المستقبل، والذي أخرج شعبه أحراراً من مصر سيُعيدهم أحراراً من السبي البابلي.

لقد تمنى المرنم في هذا المزمور أن يهرب من الواقع الأليم، ليستعيد أمجاد الماضي السعيد. ولكنه بعد التأمل تأكّد أن مستقبله سيكون أفضل من ماضيه وحاضره، لأن الله الذي رعى شعبه بيد موسى وهارون أربعين سنة في الصحراء هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المشكلة (آيات ١-١٠)

ثانياً – الحل (آيات ١١-٢٠)

أولاً - المشكلة
(آيات ١-١٠)

١ – مشكلة داخل النفس: (آيات ١-٤).

(أ) صراخ: «صوتي إلى الله فأصرخ. صوتي إلى الله فأصغى إليَّ» (آية ١). عندما يفتقد الطفل الأمان يصرخ بكل صوته، وعندما تضيع الطريق من قدم الناضج يصرخ كالطفل. هكذا بدأ المرنم مزموره وهو يجأر بالشكوى، يرفع صوته لله لا لإنسان، وهو يعلم أن الله سيستجيبه، لأنه سبق أن أصغى إليه. «طلبت إلى الرب فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني» (مز ٣٤: ٤).

(ب) التماس: «في يوم ضيقي التمستُ الرب. يدي في الليل انبسطت ولم تخدر. أبتْ نفسي التعزية» (آية ٢). كانت الرؤية غير واضحة للمرنم، فالتمس الله وفتّش عنه، وجعل يبسط يده مصلّياً طول الليل دون كلل أو تعب، وهو يتساءل: هل نسي الله شعبه؟ أين مراحمه الماضية؟! وكأنه يقول مع داود: «أستغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (مز ٢٨: ٢).. رفض المرنم كل تعزية لأن مشكلته كانت لا تزال قائمة، فكان مثل يعقوب الذي بكى يوسف ابنه المفقود، ظاناً أن وحشاً افترسه «فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه، فأبى أن يتعزى وقال: إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية» (تك ٣٧: ٣٥). وكان مثل راحيل التي تبكي على أولادها «صوتٌ سُمع في الرامة. نوحٌ، بكاءٌ مرٌّ. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين» (إر ٣١: ١٥).

أبت نفس المرنم أن تتعزى، لأن معرفته محدودة ولم يقدر برؤيته البشرية المحدودة أن يضع ثقته في الرب، كما ظنّ يعقوب أن يوسف مفقود، مع أنه حي، وكما رفضت راحيل التعزية مع أن العائلة المقدسة في أمان كامل في مصر، والأطفال الذين قتلهم هيرودس يقيمون في محضر الله.

(ج) أنين: «أذكر الله فأئن. أناجي نفسي. فيُغشَى على روحي» (آية ٣). كان المرنم يصلي ويذكر الله وهو ينتظر منه الخلاص السريع، فلما أبطأ قدومه بدأ يئن، وهو يناجي نفسه: «قدامي

اغتصاب وظلمٌ، ويحدث خصامٌ، وترفع المخاصمة نفسها. لماذا جمُدت الشريعة ولا يخرج الحكم بتّةً؟ لأن الشرير يحيط بالصديق، فلذلك يخرج الحكمُ مُعوجاً.. على مرصدي أقف، وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي، وماذا أُجيبُ عن شكواي» (حب ١: ٣، ٤ و٢: ١). ولكثرة ما ناجى نفسه غُشي على روحه من السهر والكمد والحيرة. ويمرُّ المؤمنون بمثل هذا الاختبار عندما يواجهون مواقف صعبة، فيُغشى على روحهم في مرضهم، أو في فقد حبيب، أو في خيبة أمل، أو في ضعف روحي. غير أن بني قورح وجدوا علاج مثل هذا الموقف، فقال قائدٌ لهم يناجي نفسه: «لماذا أنتِ منحنيةٌ يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجّي الله لأني بعدُ أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (مز ٤٢: ١١).

(د) انزعاج: «أمسكْتَ أجفان عينيَّ. انزعجْتُ فلم أتكلم» (آية ٤). بسبب شدة انزعاج المرنم وعمق حزنه وكثرة تساؤلاته وعنف حيرته طار نومه من عينيه، وفقد القدرة على التعبير، وكأن الله أمسك أجفان عينيه فلم يذُق للنوم طعماً، وكأن لسانه عجز عن النطق بسبب انزعاجه، ولسان حاله: «تعبتُ في تنهُّدي.. ساخت من الغم عيني. شاخت من كل مضايقيَّ» (مز ٦: ٦، ٧).

٢ - **مشكلة المقارنة بالماضي**: «تفكَّرتُ في أيام القِدم، السنين الدهريَّة. أذكر ترنُّمي في الليل. مع قلبي أناجي، وروحي تبحث» (آيتا ٥، ٦). في هاتين الآيتين يقارن المرنم حاضره بالماضي كله. لقد تذكر كل ما عمله الله مع شعبه منذ اختار إبراهيم، وتأمله وحلَّله، ففرح بما كان، ولسان حاله: «مؤتي الأغاني في الليل.. بالنهار يوصي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي.. حسنٌ هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي، أن يُخبَر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة» (أي ٣٥: ١٠ ومز ٤٢: ٨ و٩٢: ١، ٢). ولكن حاضر المرنم كان غير ماضيه، فأخذ يتساءل في حيرة، يتناجى مع قلبه وروحه تبحث إن كان الله سيحقق له وعده: «وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته، نسل إبراهيم خليلي الذي أمسكته من أطراف الأرض، ومن أقطارها دعوته وقلت لك: أنت عبدي. اخترتك ولم أرفضك. لا تخف لأني معك. لا تتلفَّت لأني إلهك. قد أيَّدتك وأعنتُك وعضدتُك بيمين برّي» (إش ٤١: ٨-١٠).

٣ - **مشكلة مع الله**: (آيات ٧-١٠).

(أ) الرب لا يرضى: «هل إلى الدهور يرفض الرب، ولا يعود للرضا بعد؟» (آية ٧). تساءل المرنم: إلى متى يحجب الله وجهه عنه، وقد طال زمن بقائه وبقاء شعبه في الآلام، مع أنه وشعبه كانوا في أيام القِدم والسنين الدهرية محل رضاه. فلماذا يستمر يرفض، ولماذا لا يعود إلى الرضا؟ إنه يشارك آساف سؤاله: «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخِّن غضبك على غنم مرعاك؟» (مز ٧٤: ١) وسؤال بني قورح: «هل إلى الدهر تسخط علينا؟ هل تطيل غضبك إلى دور فدور؟» (مز ٨٥: ٥).

(ب) الرب لا يرحم: «هل انتهت إلى الأبد رحمته؟ أنقطعت كلمته إلى دور فدور؟» (آية ٨).ويستمر المرنم في تساؤله: لو رفضتنا يا الله، فأين مراحمك؟ هل انتهت؟ وهل انقطعت وعودك عن التحقيق؟.. في وقت فرح وسلام قال أحد المرنمين: «هو الرب إلهنا. في كل الأرض أحكامه. ذكر إلى الدهر عهده، كلاماً أوصى به إلى ألف دور، الذي عاهد به إبراهيم وقسمه لإسحاق، فثبّته ليعقوب فريضةً ولإسرائيل عهداً أبدياً» (مز ١٠٥: ٧-١٠). لكن الله سمح بسبي لشعبه طال زمنه. فهل لم تعُد لديه رحمة تستر عيوب شعبه؟ وهل انقطعت وعوده الصالحة التي عاهد بها إبراهيم؟

(ج) الرب نسي وتغيَّر: «هل نسي الله رأفةً، أو قفص (منع) برجزه (بغضبه) مراحمه؟ فقلتُ: هذا ما يعلّني: تغيُّر يمين العلي» (آيتا ٩، ١٠). لقد نزل الرب في السحاب ونادى: «الرب إلهٌ رحيم ورؤوف. بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية» (خر ٣٤: ٥-٧). فهل غضب الله غضباً جعله يمنع مراحمه عن شعبه؟ وهل لهذا ناداه حبقوق: «في الغضب اذكر الرحمة»؟ (حب ٣: ٢).

شعر المرنم أن اليد التي كانت تسنده في الماضي لم تعُد تفعل، بل لعلها أصبحت تعمل على إسقاطه، وهذه بالطبع مشاعر لا حقائق، فلن يتغيَّر الله لأنه الأول والآخِر، ولن ينسى شعبه لأنهم أعزاء على قلبه، ولن يعطل غضبُه أعمال رحمته لأنه محبة.. لكن المرض أصاب المرنم فاعتلّت صحته بعد أن صرخ وأنَّ، وناجى نفسه فغشي على روحه، وطار النوم من عينيه، وضاع الكلام من شفتيه، وتساءل أسئلة لا إجابة لها وهو يرى تغيُّر أعمال الله من أعمال مراحم إلى عقوبات.

ولا بد أنَّ مشاعر المرنم هذه جعلته يتواضع أمام الله وكأنه يقول مع إرميا: «ويلٌ لي من أجل سحقي. ضربتي عديمة الشفاء. فقلتُ: إنما هذه مصيبة فأحتملها» (إر ١٠: ١٩)، وجعلته يشعر مع المتألمين وشعاره «بكاءً مع الباكين» (رو ١٢: ١٥)، وجعلته يسهر ويصلي لئلا يدخل في تجربة (مت ٢٦: ٤١)، وجعلته يلجأ إلى الله أكثر ويقول: «إذا قلت: قد زلّت قدمي، فرحمتك يا رب تعضدني. عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذّذ نفسي» (مز ٩٤: ١٨، ١٩).

ثانياً - الحل
(آيات ١١-٢٠)

عندما نركز انتباهنا على المشاكل يضيع النوم من عيوننا، وتصيبنا العِلل. ويكمن العلاج في تركيز النظر على الرب الذي يحل المشاكل المعقّدة، طاعةً للنصيحة: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله: يسوع» (عب ١٢: ٢)، فنقدر أن نقول: «جعلتُ الرب أمامي في كل حين. لأنه عن يميني

فلا أتزعزع» (مز ١٦: ٨). عندما ثبَّت بطرس نظره على المسيح استطاع أن يسير على الأمواج، ولكن عندما حوَّله عن المسيح وثبَّته على الأمواج بدأ يغرق (مت ١٤: ٣٠).

وقد وجد المرنم حلَّ مشكلته في أن يثبِّت نظره على الله ويتأمل صفاته التي لا تتغيَّر، ويذكر أفعاله المجيدة المتكررة، فملأ الماضي المجيد نفسه بالأمل للمستقبل، وصار لسان حاله: «إحسانات الرب أذكر، تسابيح الرب. حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم.. حسب مراحمه وحسب كثرة إحساناته.. في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلَّصهم. بمحبته ورأفته هو فكَّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش ٦٣: ٧، ٩).

١ - **الحل عند إله العجائب:** «أذكر أعمال الرب، إذ أتذكَّر عجائبك منذ القِدم، وألهج بجميع أفعالك، وبصنائعك أناجي» (آيتا ١١، ١٢). لا بد أن يتدخَّل الروح القدس في الوقت المناسب ليغيِّر جوَّ البؤس والشكوى إلى شكر وتقدير لنعمة الله، فيذكِّرنا بكل ما قال الله لنا (يو ١٤: ٢٦). ذكَّر روح الله المرنم بأعمال الرب وعجائبه وأفعاله وصنائعه، بدءاً بالخروج والمعجزات التي صاحبته والترنيمة التي قالت بشأنه: «من مثلك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزّاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح، صانعاً عجائب؟» (خر ١٥: ١١)، فاطمأنت نفسه.

عندما كان المعمدان مسجوناً أرسل اثنين من تلاميذه ليسألا المسيح: «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟!»، فقد كان يتوقَّع أن المسيح صاحب المعجزات ينقذه. ولم يفرج المسيح عن المعمدان، لكنه ثبَّت إيمانه بأن طلب من تلميذيه أن يخبرا معلِّمهما بما سمعا ونظرا «العمي يبصرون، والعُرج يمشون، والبُرص يطهَّرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشَّرون» ثم قال المسيح للمعمدان: «وطوبى لمن لا يعثر فيّ» (مت ١١: ٣-٦). ولا بد أن نفس المعمدان استراحت وهو يسمع أخبار ملكوت الله المفرحة، بالرغم من أنه كان لا زال مسجوناً.

٢- **الحل عند إله القداسة:** «اللهمَّ، في القدس طريقك. أي إله عظيمٌ مثل الله!» (آية ١٣). كل ما يفعله الله طاهر لا عيب فيه فإن «الله نور، وليس فيه ظلمة البتة» (١يو ١: ٥)، قال له حبقوق: «ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهي قدوسي؟» (حب ١: ١٢). هو إله عظيم في قداسته، وكل طرقه مقدسة، تهتف له الملائكة: «قدوس! قدوس! قدوس! رب الجنود، مجده ملْ كل الأرض» (إش ٦: ٣). ولكن عندما انقشعت غيوم الشكوك ودموع الأنين من عيني المرنم استراحت نفسه وهو يرى قداسة الله الكاملة التي لا تفعل إلا الصالح.

٣ - **الحل عند إله الخلاص:** «أنت الإله الصانع العجائب. عرَّفتَ بين الشعوب قوتك. فككت بذراعك شعبك، بني يعقوب ويوسف» (آيتا ١٤، ١٥). إله العجائب القدوس هو المخلِّص، الذي قصَّ

موســـى كل أفعاله على حميه يثرون كاهن مديان وأخبره «كل ما صنع الرب بفرعون والمصريين مـــن أجل إسرائيل، وكل المشقة التي أصابتهم في الطريق فخلّصهم الرب. ففرح يثرون بجميع الخير الذي صنعه إلى إســـرائيـــل.. وقال يـــثرون: مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين ومن يد فرعون.. الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم. فأخذ يثرون حمو موسى محرقة وذبائح لله» (خر١٨: ٨-١٢).

هذا هو الإله المتفرِّد في قدرته الذي نقدم له ذبائح الحمد والتســـبيـــح، ونجد في محضره الأُنس والســلام والشبع. هو الذي فكَّ «بني يعقوب ويوسف» من الأسر. وقد ورد هذا التعبير هنا وفي نبوَّة عوبديا ١٨ فقط. والمقصود ببني يعقوب المملكة الجنوبية، والمقصود ببني يوســف المملكة الشمالية، لأن يوســف أبا أقوى ســبطين فيها، وهما سبطا أفرايم ومنسى. فيكون المعنى أن كل بني إسرائيل، شمالاً وجنوباً، اختبروا خلاص الإله العظيم الذي أنقذهم بمعجزاته.

٤- الحل عند إله السلطان: (آيات ١٦-٢٠).

(أ) **سلطانه على البحار:** «أبصرتْك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت. ارتعدت أيضاً اللجج» (آيـــة ١٦). كأن للمياه واللجج عيوناً تبصر جلال الله فتفزع وترتعد. له خضعت مياه البحر الأحمر «فأجْرى الرب البحر بريـــح شرقية شديدة كل الليل، وجعل البحر يابســـة، وانشقَّ الماء، فدخل بنو إســرائيل في وســط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (خر ١٤: ٢١، ٢٢). وله خضعت ميـــاه نهر الأردن «فعند إتيان حاملي التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حــاملي التابوت في ضفَّة المياه، والأردن ممتلئ إلى شطوطه كل أيام الحصاد، وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً.. فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابســـة في وسط الأردن» (يش ٣: ١٥-١٧). وللمسيح خضعت أمواج بحيرة طبرية الهائجة عندما «انتهر الريح، وقال للبحر: اسكت. ابكم. فسكنت الريح وصار هدوء عظيم» (مر ٤: ٣٩).

(ب) **سلطانه على المطر:** «ســكبت الغيوم مياهاً. أعطت السحب صوتاً. أيضاً سهامك طارت. صوت رعدك في الزوبعة. البروق أضاءت المســكونة. ارتعدت ورجفت الأرض» (آيتا ١٧، ١٨). يـــصوِّر المرنم هنا عاصفة مطيرة، صاحبها الرعد والبرق، فضاءت أرجاء البلاد «أرعد الرب من الســماوات، والعليُّ أعطى صوته. أرســـل سهاماً فشتَّتهم، برقاً فأزعجهم» (٢صم ٢٢: ١٤، ١٥). ارتــعدت الأرض من صوت العاصفة. فمن يملك مثل هذا السلطان المطلق؟ إنه الرب القدير صاحب السلطان.

(ج) **سلطانه سري:** «في البحر طريقك، وسبلك في المياه كثيرة، وآثارك لم تُعرف. هديت شعبك

كالغنم بيد موسى وهارون» (أيتا ١٩، ٢٠). أعمال الله سرية لا يقدر أحد أن يتنبأ بها، فهو القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر (أف ٣: ٢٠). ولا يكشف الله خططه مسبّقاً، فإن «مجد الله إخفاء الأمر» (أم ٢٥: ٢). سبل الله سرية، لا يستطيع أحد أن يدركها، وهو يقول: «أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي، يقول الرب. لأنه كما علت السماوات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إش ٥٥: ٨، ٩). «يا لعُمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء!» (رو ١١: ٣٣).

من كان يصدق أن جيش فرعون يغرق بينما ينجو البؤساء المستضعفين في الأرض! من كان يتوقع أن الله سيعول نحو مليوني نفس مدة أربعين سنة في صحراء التيه! فلنترك أمرنا بين يدي ولي أمرنا ونطمئن إلى محبته وقداسته وقدرته. لقد هدى شعبه كالغنم بيد موسى وهارون، والغنم ضعيفة لا تقدر أن تحمي نفسها. وهي تعرف أن تضل ولكنها لا تعرف كيف تعود. فهداهم الله بيد موسى وهارون، وكلاهما محتاجان إلى الهداية من رب الهداية. والرب يهدينا اليوم بكلمته المقدسة، وبروحه القدوس، وبأعمال عنايته، وبخدّامه العاملين مرضاته. وقيادته شخصية لكل فرد، وهي جماعية لكل المؤمنين.

هذا المزمور دعوة لنا لنحوّل أنظارنا عن المشاكل ونثبتها على الله، ونسجد في محضره خاضعين مطمئنين، منتظرين الإرشاد والهداية، فترتفع نفوسنا فوق كل مشكلة! «هوذا الله عزيز، ولكنه لا يرذل أحداً. عزيز قدرة القلب.. لا يحوّل عينيه عن البار، بل مع الملوك يُجلسهم على الكرسي أبداً، فيرتفعون.. إن سمعوا وأطاعوا قضوا أيامهم بالخير وسنيهم بالنِّعم» (أي ٣٦: ٥، ٧، ١١).

المزمور الثامن والسبعون

قصيدةٌ لآساف

١ إصْغَ يا شعبي إلى شريعتي. أميلوا آذانكم إلى كلام فمي. ٢ أفتحُ بمثلٍ فمي. أذيعُ ألغازاً
منذ القِدَم. ٣ التي سمعناها وعرفناها، وآباؤنا أخبرونا. ٤ لا نُخفي عن بنيهم إلى الجيلِ الآخِر،
مُخبرين بتسابيحِ الربِّ وقوتِه وعجائبه التي صنع. ٥ أقام شهادةً في يعقوب، ووضع شريعةً في
إسرائيل التي أوصى آباءنا أن يعرّفوا بها أبناءَهم، ٦ لكي يَعْلم الجيلُ الآخِر. بنون يُولدون
فيقومون ويخبرون أبناءَهم، ٧ فيجعلون على الله اعتمادَهم، ولا ينسون أعمالَ الله، بل يحفظون
وصاياه، ٨ ولا يكونون مثلَ آبائهم جيلاً زائغاً ومارداً، جيلاً لم يُثبِّت قلبَه، ولم تكُن روحُه أمينةً لله.

٩ بنو أفرايمَ النازعون في القوسِ الرّامون، انقلبوا في يومِ الحرب. ١٠ لم يحفظوا عهدَ الله،
وأبوا السلوكَ في شريعتِه ١١ ونسوا أفعالَه وعجائبَه التي أراهم. ١٢ قُدام آبائهم صنع أعجوبةً في
أرضِ مصر، بلادِ صوعنَ. ١٣ شقَّ البحرَ فعبّرهم، ونصب المياهَ كنَدٍّ، ١٤وهداهم بالسحاب نهاراً،
والليلَ كلَّه بنور نار. ١٥ شقَّ صخوراً في البرية وسقاهم، كأنه من لججٍ عظيمة. ١٦أخرج مجاريَ
من صخرةٍ، وأجرى مياهاً كالأنهار. ١٧ ثم عادوا أيضاً ليخطئوا إليه، لعصيانِ العليِّ في الأرضِ
الناشفة، ١٨ وجرّبوا الله في قلوبهم بسؤالهم طعاماً لشهوتهم، ١٩ فوقعوا في الله. قالوا: هل يقدرُ
اللهُ أن يرتِّبَ مائدةً في البرية؟ ٢٠هوذا ضرب الصخرةَ فجَرَتِ المياهُ وفاضتِ الأوديةُ. هل يقدرُ
أيضاً أن يعطي خبزاً ويهيِّئ لحماً لشعبه؟. ٢١ لذلك سمع الربُّ فغضب، واشتعلت نارٌ في يعقوب،
وسَخَطٌ أيضاً صعد على إسرائيل، ٢٢ لأنهم لم يؤمنوا بالله، ولم يتكلوا على خلاصه. ٢٣ فأمر
السحابَ من فوقُ، وفتح مصاريعَ السماوات ٢٤ وأمطر عليهم مَنّاً للأكل، وبُرَّ السماءِ أعطاهم. ٢٥
أكل الإنسانُ خبزَ الملائكة. أرسل عليهم زاداً للشّبع. ٢٦ أهاج شرقيةً في السماء، وساق بقوته
جنوبيةً ٢٧ وأمطر عليهم لحماً مثلَ التراب، وكرملِ البحرِ طيوراً ذواتِ أجنحةٍ، ٢٨وأسقطها في
وسط محلّتِهم حوالَيْ مساكنهم، ٢٩ فأكلوا وشبعوا جداً، وأتاهم بشهوتِهم. ٣٠لم يزوغوا عن
شهوتِهم. طعامُهم بعدُ في أفواهِهم، ٣١فصعد عليهم غضبُ اللهِ وقتل مِن أسمنِهم، وصرع مختاري
إسرائيل. ٣٢ في هذا كلّه أخطأوا بعدُ، ولم يؤمنوا بعجائبه.

٣٣ فأفنى أيامَهم بالباطل وسنيهم بالرُّعب. ٣٤ إذ قتلهم طلبوه ورجعوا وبكّروا إلى الله،
٣٥وذكروا أن اللهَ صخرتُهم، واللهَ العليَّ وليُّهم. ٣٦ فخادعوه بأفواهِهم وكذبوا عليه بألسنتِهم.
٣٧أما قلوبُهم فلم تُثبَّت معه ولم يكونوا أمناءَ في عهدِه.

٣٨ أما هو فرؤوفٌ، يغفرُ الإثمَ ولا يُهلك، وكثيراً ما ردَّ غضبَه ولم يُشعل كلَّ سَخَطِه. ٣٩ ذَكَرَ

أنهم بشرٌ. ريحٌ تذهبُ ولا تعود. ٤٠ كم عصَوْهُ في البرية وأحزنوه في القفر! ٤١ رجعوا وجرَّبوا
الله، وعَنُّوا قدوسَ إسرائيل. ٤٢ لم يذكروا يدَهُ يومَ فداهم من العدو، ٤٣ حيث جعل في مصرَ
آياتِه وعجائبَه في بلادِ صوعن، ٤٤ إذْ حوَّل خُلجانَهم إلى دمٍ ومجاريَهم لكي لا يشربوا. ٤٥
أرسل عليهم بعوضاً فأكلهم وضفادعَ فأفسدتهم.

٤٦ أسلم للجردم غلَّتهم وتعبَهم للجراد. ٤٧ أهلك بالبَرَدِ كرومَهم وجُمَّيزَهم بالصَّقيع،
٤٨ ودفع إلى البَرَد بهائمَهم ومواشيَهم للبروق. ٤٩ أرسل عليهم حموَّ غضبه سَخَطاً ورجْزاً وضيقاً،
جيشَ ملائكةِ أشرار. ٥٠ مهَّد سبيلاً لغضبه. لم يمنعْ من الموتِ أنفسَهم، بل دفع حياتَهم للوبإ.
٥١ وضرب كلَّ بكرٍ في مصر. أوائلَ القُدرةِ في خيام حام. ٥٢ وساق مثلَ الغنمِ شعبَه، وقادهم
مثلَ قطيعٍ في البرية، ٥٣ وهداهم آمنين فلم يجزعوا. أما أعداؤهم فغمرهم البحر. ٥٤ وأدخلهم
في تخومِ قدسِه، هذا الجبلِ الذي اقتنتْهُ يمينُه، ٥٥ وطرد الأممَ من قدّامِهم، وقسمهم بالحبلِ
ميراثاً، وأسكن في خيامِهم أسباطَ إسرائيل.

٥٦ فجرَّبوا وعَصَوُا اللهَ العليَّ، وشهاداتِه لم يحفظوا، ٥٧ بل ارتدّوا وغدروا مثلَ آبائهم.
انحرفوا كقوسٍ مُخطئةٍ. ٥٨ أغاظوه بمرتفعاتِهم، وأغاروه بتماثيلِهم. ٥٩ سمع اللهُ فغضب ورذل
إسرائيلَ جداً، ٦٠ ورفض مسكنَ شيلوهَ، الخيمةَ التي نصبها بين الناس. ٦١ وسلَّم للسبيِ عِزَّه
وجلالَه ليدِ العدوِّ، ٦٢ ودفع إلى السيفِ شعبَه، وغضِبَ على ميراثِه. ٦٣ مختاروه أكلتهم النارُ،
وعذاراه لم يُحْمَدْنَ. ٦٤ كهنتُه سقطوا بالسيف، وأراملُه لم يَبْكِينَ.

٦٥ فاستيقظ الربُّ كنائمٍ، كجبّارٍ مُعيِّطٍ من الخمر، ٦٦ فضرب أعداءَه إلى الوراء. جعلهم
عاراً أبدياً، ٦٧ ورفض خيمةَ يوسف، ولم يَختَرْ سبطَ أفرايم، ٦٨ بل اختار سبطَ يهوذا، جبلَ
صهيونَ الذي أحبَّه، ٦٩ وبَنى مثلَ مرتفعاتٍ مقدِسَه، كالأرضِ التي أسَّسها إلى الأبد. ٧٠ واختار
داودَ عبدَه، وأخذه من حظائرِ الغنم. ٧١ من خلفِ المرضِعاتِ أتى به ليرعى يعقوبَ شعبَه
وإسرائيلَ ميراثَه. ٧٢ فرعاهُم حسبَ كمالِ قلبه، وبمهارةِ يديه هداهم.

أمانة الله رغم عدم أمانة شعبه

مزمور تاريخي

في مزمور ٧٧ تأمل المرنم أعمال الله الماضية ليشجع نفسه وغيره من الخائرين الحائرين، وقال: «ألهج بجميع أفعالك، وبصنائعك أناجي» (مز ٧٧: ١٢). وفي هذا المزمور يطالب المرنم سامعيه أن يذكروا المعجزات الماضية ليحترسوا من تكرار أخطاء آبائهم الذين نسوا معجزات الله.

وأشار المرنم بصفة خاصة إلى خطايا سبط أفرايم الذي رفضه الله من أن يكون قائد شعبه بسبب عصيانه، وقارنه بسبط يهوذا الذي اختاره الله ليجيء منه الملك داود.

ومزمورنا أول المزامير التاريخية، ومنها مزامير ١٠٥، ١٠٦، ١٣٦. ويتكوَّن مزمورنا من ٧٢ آية تروي تاريخ معاملات الله مع شعبه، الذين وجدهم في مصر يُسامون سوء العذاب وهم يصرخون إليه، فاستجاب لهم وأرسل كليمه موسى فأنقذهم بمعجزات عظيمة، وأخرجهم من مصر، وعالهم في صحراء سيناء أربعين سنة: أطعمهم المن والسلوى، وسقاهم ماءً من الصخر، ولم تتورَّم أرجلهم ولا بليت نعالهم (تث ٨: ٣ و٢٩: ٥). ولكنهم ظلوا يخطئون ويتذمرون، وعندما أعلنوا التوبة كانت توبتهم سطحية.. وعندما انتهت سنوات التيه ومات موسى، أُعطيت القيادة ليشوع فأجرى الله معه معجزة شق نهر الأردن في وقت فيضانه، فمرَّ بنو إسرائيل في وسط الأردن على أرض يابسة، ولما عبروا جميعاً عادت المياه لمجراها الطبيعي. وقُسِّمت أرض الميعاد بين الأسباط كما وعد الله إبراهيم، ولكن الشعب انحرف عن عبادة الرب بعد كل هذه المعجزات!

ولا نستطيع أن نلوم بني إسرائيل، لأننا مثلهم ننسى أفضال الله علينا، ولذلك يقول داود: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ٢). ويقول لنا مزمورنا إن فضل الله علينا عظيم، وإننا لا نستحق إنعامه علينا، وهو ينتظر منا طاعته لأنه أحبنا أولاً. «من إحسانات الرب أننا لم نفْنَ، لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة كل صباح. كثيرة أمانتك» (مرا ٣: ٢٢، ٢٣).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - تحذير للجيل القادم (آيات ١-٨)

ثانياً- معجزات منسيَّة (آيات ٩-١٦)

ثالثاً - تذمُّر مستمر (آيات ١٧-٣٣)

رابعاً - توبة سطحية (آيات ٣٤-٣٩)

خامساً - لم يشكروا على معجزة الخروج (آيات ٤٠-٥٣)

سادساً - لم يشكروا على أرض الموعد (آيات ٥٤-٦٧)

سابعاً - بداية جديدة (آيات ٦٨-٧٢)

أولاً - تحذير للجيل القادم
(آيات ١-٨)

١ - دعوة للإصغاء: (آيات ١-٤). في مطلع المزمور يحذر المرنم الجيل الجديد من خطايا الجيل

الماضي حتى لا يــكرروها، ويــفتح فمه بمثَل ويــذيــع ألغازا قديمة، بمعنى أنه يتناول قصة قديمة بالشرح ليستــخرج منها دروسا نافعة، فلا تكون مجرد حادثة تاريخية ولكن درسا روحيا، ولا مجرد ذكريات أحداث مضت بل بركة روحية حاضرة للنفوس. والمثل الذي يضربه المرنم حقيقة صاغها الذين اختبروها في عبارة مختصرة مسـجوعة ليســهل حفظها على الجميع فيتعلمون حكمتها ويمارسونها. وقد كان اختبار المرنم لغزا مبهما عند كثيــرين، فأراد أن يوضحه، كما فعل صاحب مزمور ٤٩، وكما أوصى موســى بني إســرائيل: «وجِّهوا قلوبكم إلى جميــع الكلمات التي أنا أشهد عليـكم بها اليــوم، لكي توصُوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة، لأنها ليســت أمرا باطلاً عليكم، بل هي حياتكم. وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليــها لتمتلكوها» (تث ٣٢: ٤٦، ٤٧).. ولهذا لم يشأ المرنم أن يخفي عن الجيل الجديد من الأبناء والأحفاد أخبار معجزات الله العظيمة الماضية مع الجدود.

٢ - **ما فعله الله:** (آية ٥). يطلب الله من شعبه أن يصغوا إليه في أمرين:

(ا) **في شهادة:** أقام الله شهادة في يعقوب، لأنها تشهد على المؤمنين، وقد حُفظت في تابوت العهد لأنها عهد بيــن الله وشعبه، يــشهد عليهم وعلى أعمالهم وعلى إيمانهم، و«طوبى لحافظي شهاداته» (مز ١١٩: ٢). فليس لدينا عذر لأنه شهد لنا وأعلمنا، كما قال الرســول بولس: «لم أؤخِّر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلَّمتكم به جهراً وفي كل بيت» (أع ٢٠: ٢٠).

(ب) **في شــريــعة:** وهي في العبرية «توراه» وفي اليونانية «نوموس» أخذت منها اللغة العربية: ناموس، أي طريق ســلوك للتهذيب والتعليم. ويجب طاعتها لأنها طريق الرب المستقيمة التي تقودنا إلى السلام والراحة والسعادة «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب» (مز ١١٩: ١).

٣- **ما يجب أن يفعله الجيل الآخِر:** (آيات ٦-٨).

(ا) - **يعلمون:** «لكي يعلم الجيلُ الآخِر» (آية ٦). لأنهم يسمعون بما لم يروه، فيتوقعون بركة الله لهم.

(ب) **يخــبرون أبـنـاءهم:** «فيــقومون ويخبرون أبناءهم» (آية ٦). «قصَّها على أولادك.. اكتُبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث ٦: ٦-٩).

(ج) **يعتمـدون على الله:** «فيجعلون على الله اعتمادهم» (آية ٧)، ويتصرَّفون بحسب ما يعتقدون، فلا يقلقون ولا ينحرفون.

(د) **يذكرون:** «ولا ينسون أعمال الله». وكل من له أذنان للسمع فليسمع.

(هـ) **يحـفظون:** «بل يــحفظون وصاياه» ويعيشون حياة الطاعة. و«طوبى لمن يحفظون أقوال نبوَّة هذا الكتاب» (رؤ ٢٢: ٧).

(و) **يختلفون عن الجيـل الذي أخطأ:** «ولا يــكونون مثل آبائهم جيلاً زائغاً ومارداً، جيلاً لم يثبِّت قلبه، ولم تكن روحه أمينة لله» (آية ٨).

ثانياً - عجائب منسيّة
(آيات ٩-١٦)

١- سبط أفرايم نسي: (آيات ٩-١١).

أفرايم هو ثاني أبناء يوسف الصدّيق، وكان أعظم من شقيقه الأكبر منسى، ومعنى اسمه «الأثمار المضاعفة» وصار سبط أفرايم قائد المملكة الشمالية، لكنه انقلب يوم الحرب لأنه لم يحفظ عهد الله وأبى السلوك في شريعته، ونسي أفعال الله وعجائبه. وليس المقصود هنا انقلاب أفرايم في معركة حربية معينة، لكن المعنى أنه هُزِم في معركة روحية سقط فيها بين أنياب إبليس. كان أفرايم متقدماً روحياً، ومنه يشوع خليفة موسى، وصموئيل النبي، وحنة النبية. ولكنه ارتد عن الله ارتداداً أليماً، فرفض الله خدمة هذا السبط. وسيتضح لنا في نهاية المزمور أن الله اختار داود من سبط يهوذا بدلاً من سبط أفرايم. وواضحٌ أن الله لا يرفض الإنسان نفسه، لأنه يعطيه فرصة للتوبة، لكنه يأخذ منه الخدمة التي لم يكن أميناً عليها ليعطيها لشخص آخر يكون أميناً.

٢- ما نسيه سبط أفرايم: (آيات ١٢-١٦).

(أ) **نسي شقَّ البحر:** (آيتا ١٢، ١٣). أجرى الرب عجائب في «بلاد صوعن». وتقع صوعن في شرق الدلتا، وقد جعلها أول ملوك الأسرة الفرعونية الثانية عشرة عاصمته ليراقب حدود مصر الشرقية، وحصَّنها الملوك الرعاة، وهي معروفة باسم تانيس. ومن أعظم ما جرى في مصر (بلاد صوعن) أن الرب شقَّ البحر الأحمر ليعبر بنو إسرائيل، ويغرق فيه المصريون.

(ب) **نسي عمودي السحاب والنار:** (آية ١٤)، اللذين هدى بهما الرب شعبه وحماهم نهاراً وليلاً أثناء سفرهم في صحراء سيناء (خر ١٣: ٢١).

(ج) **نسي الماء الذي خرج من صخر:** (آيتا ١٥، ١٦). شقَّ الرب الصخر وروى العطاش (خر ١٧: ٦ وعد ٢٠: ١١). وهل يمكن أن ينسى أحدٌ هذه المعجزة؟

ثالثاً - تذمُّر مستمر
(آيات ١٧-٣٢)

١- تذمروا على الطعام: (آيات ١٧-٢٠). أخطأ الشعب ضد الله بعصيانهم المستمر لأوامره الواضحة، وجرَّبوه بشكوكهم في صلاحه، وطالبوه أن يُظهر قوته. ولما أعطاهم الماء قالوا: أين الطعام؟ وتذمروا على موسى وهارون وقالوا: «ليتنا مُتنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين

عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع» (خر ١٦: ٣). وقالوا: «لماذا أصعدتنا من مصر لتميـــتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟» (خر ١٧: ٣).

٢ – **عقاب الـتذمر:** (آيـتا ٢١، ٢٢). لم يؤمن الشعب بالله ولا اتكلوا على خلاصه، واشتكوا شراً في أذني الرب، فغضب عليهم، واشتعلت فيهم ناره وأحرقت من طرف معســكرهم، فصلى موســى للرب فخمدت النار، ودعوا اسم ذلك المكان «تبعيرة» بمعنى: اشتعال (عد ١١: ١-٣).

٣ – **عطاء بالرغم من التذمر:** (آيات ٢٣-٢٩). وبالرغم من الشكوى والشكوك والتذمر والعصيان فتح الرب أبواب الســماء وأعطاهم المن ، وهو طعام ملائكي، دعاه الوحي «خبزاً من السماء» (خر ١٦: ٤) ولونه أبيــض مثل بذور الكزبرة، وطعمه كطعم قطائف بزيت (عد ١١: ٧، ٨).. ثم ســاق الســلوى بريــح شرقيـــة قوية، وهي طيور تهاجر بأعداد كبيرة من الجنوب في أفريقيا إلى الشمال، ولحومها حلوة المذاق (خر ١٦: ١٣ وعد ١١: ٢٣).

٤ – **عقاب الجــحود:** (آيات ٣٠-٣٣). يعاقب الله بعض الناس بأن يعطيهم سؤل قلوبهم الطماعة، وقد عاقب الله أولئك المتذمريـــن بعد أن أتاهم بشهوتهم، وأوقع الله العقاب القاســي بهم وهم يأكلون (عد ١١: ٢٠، ٣٣). وكان هدف العقاب إصلاح حال هؤلاء العصاة الجاحدين للفضل! ومع ذلك فقد اســتمر الله يُحسن إليهم.

رابعاً - توبة سطحية
(آيات ٣٤-٣٩)

١ – **توبة الخائفين:** (آيات ٣٤-٣٧). عاقب الله المتذمرين، فصرخوا، لا توبةً حقيقية، ولكن هروباً من العقاب، وهي توبة ســطحيــة يــصفها الرب بالقول: «هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه، وأكرمني بشفتيــه، أما قلبه فأبعده عني، وصارت مخافتهم مني وصيــّة الناس معلّمةً (أي: وصية أناسٍ تعلّمها الشعبُ)» (إش ٢٩: ١٣، مت ١٥: ٨).

٢– **رحمة إلهية:** (آيتا ٣٨، ٣٩). يعرف الله جبلة البشر، ويذكر أنهم تراب، لأن ريحاً تعبر عليهم فلا يــكونون (مز ١٠٣: ١٤، ١٦). وهو رحيم وغفور وطويل أناة، ولهذا فهو لا يعاقب الخطاة بما يستحقونه (خر ٣٤: ٦، ٧ وعد ١٤: ١٨ وتث ٤: ٣١).

خامساً - لم يشكروا على معجزة الخروج
(آيات ٤٠-٥٢)

١– **كم عصوه:** (آيــات ٤٠-٤٣). كلــما ضاعف الله إحســـاناته لــبــني إســرائيــل ضاعفوا

عصيانهموتذمرهم. عصوه، وأحزنوه، وارتدوا عنه وجرّبوه وعنّوه (أغاظوه) ونسوا أفضاله، مع أنه أجرى المعجزات الخارقة ضد مصر، أكبر امبراطورية في وقتها، وعاصمتها صوعن.

٢- ضربات على مصر: (آيات ٤٤-٥١). يذكر المرنم سبع ضربات حلّت بمصر بغير ترتيب وقوعها، فيبدأ بتحويل الماء إلى دم (الضربة الأولى خر ٧: ٢٠)، والبعوض (الضربة الثالثة خر ٨: ١٦)، والضفادع (الضربة الثانية خر ٨: ٢)، والجردم (الجراد في طور اليرقة) والجراد (الضربة الثامنة خر ١٠: ١٢)، والبرد (الضربة السابعة خر ٩: ١٨)، وموت المواشي (الضربة الخامسة خر ٩: ٣)، وموت الأبكار (الضربة العاشرة خر ١١: ٥).

٣- معجزة الخروج: (آيتا ٥٢، ٥٣). وأخيراً جرت معجزة الخروج (خر ١٥: ١٣-١٧، ٢٢). وما أعظم الفرق بين ما انتهى إليه شعب الله وما وصل إليه جيش البُغاة.

سادساً - لم يشكروا على أرض الموعد
(آيات ٥٤-٦٧)

١- أدخلهم الأرض: (آيتا ٥٤، ٥٥). وأخيراً، وبالرغم من كل عصيان أدخل الله شعبه الأرض المقدسة التي وعد بها إبراهيم بحسب أمانته التي لا تتغيّر، ولأنه يريد أن يقيم فيها هيكله المقدس الذي بناه سليمان، كما قالت ترنيمة مريم: «تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك. المكان الذي صنعته يا رب لسكنك. المقْدِس الذي هيّأتْهُ يداك يا رب» (خر ١٥: ١٧). وقال يشوع وهو يقسم الأرض للأسباط: «قسمتُ لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين مُلْكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتُها والبحر العظيم نحو غروب الشمس» (يش ٢٣: ٤).

٢- عصيانهم في الأرض: (آيات ٥٦-٥٨). ولكن الشعب ضلّ زمن حُكم القضاة، وانحرفوا عن الهدف الذي أوجدهم له، وعبدوا الأوثان.

٣- عقاب العصاة: (آيات ٥٩-٦٧). كانت شيلوه عاصمة سبط أفرايم، وفيها وُضع تابوت العهد في خيمة الاجتماع التي عملها موسى. وسبب اختيارها لإقامة التابوت أن يشوع قائد الشعب كان من سبط أفرايم. وبهذا أكرم الرب هذا السبط. ولكنه ارتدّ عن عبادة الرب، فرفضه الرب لأنه «انقلب في حربه» الروحية وضل عن العبادة الصحيحة. ورفض الله خيمة شيلوه حيث أقام تابوت العهد نحو ثلاثمئة سنة (آية ٦٠)، وسمح للتابوت أن يذهب إلى السبي (آية ٦١)، وقُتل الكاهنان حفني وفينحاس ابنا عالي رئيس الكهنة (آية ٦٢، ٦٣أ انظر ١صم ٤:١٧)، ولم تجد العذارى أزواجاً، ولم تبقَ فيؤ عيون الأرامل دموع لكثرة ما بكين (آية ٦٣ب، ٦٤).

وبـالرغم من كل هذا الارتداد لم يترك الله شعبه، بل هبَّ لنجدتهم. ويصوِّر المرنم هذه الهبَّة (آية ٦٥) بتشبيــه غريب، فقد شبَّه الله بجبار جعلته الخمر يصرخ للنزال والقتال (آية ٦٥) ليُوقف الظلم عن شعبه، وليُجري تغييراً في سياسة البلاد، فيرفض خيمة الاجتماع التي أُقيمت في شيلوه في أرض سبط أفرايم بن يوسف، لأنه اختار سبط يهوذا.

سابعاً - بداية جديدة
(آيات ٦٨-٧٢)

١- اختيـار سبط يهوذا: (آيتا ٦٨، ٦٩). أوقف الله النظام القديم وأبدله بنظام جديد، فحلَّ سـبط يـهوذا محل سبط أفرايم، وحلَّ جبل صهيون في أورشليم محل مدينة شيلوه القديمة، وعلى المرتفعات المقدسة أقام هيكل سليمان.

٢- اختيـار داود: (آيـتا ٧٠، ٧١). ولـتبدأ هذه البدايـة الجديـدة اختار الله داود راعي الأغنام المتواضع، كما سبق أن اختار إبراهيم وموسى وأضفى عليهم شرف خدمته، وأنعم عليهم أن يكونوا بُناة عهد جديد من العبادة المخلصة لله. «أقام لهم داود ملكاً، الذي شهد له أيضاً إذ قال: وجدتُ داود بن يسـى رجلاً حسـب قلبي، الذي سـيصنع مشيئتي» (أع ١٣: ٢٢). وهكذا انتقل داود من رعاية أغنامه ليرعى شعب الله في سبُل البر، كما قال له رؤساء الشعب: «قال لك الرب: أنت ترعى شعبي إسرائيل، وأنت تكون رئيساً لإسرائيل» (٢صم ٥: ٢).

٣ - داود يـرعى الشعب: (آية ٧٢). رعى داود شعبه حسب كمال قلبه وحسب مهارة يديه، حتى قال الله لسـليمان: «سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة» (١مل ٩: ٤). وسار سليمان أول الأمر في خطوات داود أبيـه، فطلب من الله قلباً فهيماً «لأحكم على شعبك وأميِّز بين الخير والشر» (١مل ٣: ٩)، فأعطاه «حكمةً وفهماً كثيراً جداً» (١مل ٤: ٢٩).

ولا بد أن الله أكرم القارئ الكريـم ببركات مادية وروحية كثيرة، فلنشكر الله ولنعش في طاعته، ولنكن «مخبرين بتسابيح الرب وقوته وعجائبه التي صنع.. لكي يعلم الجيل الآخر» (مز ٧٨: ٤، ٦).

المزمور التاسع والسبعون

مزمور. لآساف

١ اللهمَّ، إن الأمم قد دخلوا ميراثك. نجّسوا هيكلَ قدسك. جعلوا أورشليمَ أكواماً. ٢دفعوا
جُثثَ عبيدِك طعاماً لطيور السماء، لحمَ أتقيائِك لوحوشِ الأرضِ. ٣ سفكوا دمَهم كالماءِ حولَ
أورشليمَ وليس من يدفنُ. ٤ صِرنا عاراً عند جيرانِنا، هُزءاً وسُخرةً للذين حولَنا. ٥إلى متى يا ربُّ
تغضبُ كلَّ الغضبِ وتتّقدُ كالنارِ غيْرتُك؟ ٦ أفِض رِجْزَك على الأممِ الذين لا يعرفونك وعلى
الممالكِ التي لم تَدْعُ باسمِك، ٧ لأنهم قد أكلوا يعقوبَ وأخربوا مَسْكنَهُ.

٨ لا تذكُرْ علينا ذنوبَ الأوّلين. لتتقدّمْنا مراحمُك سريعاً، لأننا قد تذلَّلنا جداً. ٩ أعِنّا يا إلهَ
خلاصِنا مِن أجلِ مجدِ اسمِك، ونجِّنا واغفرْ خطايانا من أجلِ اسمِك. ١٠ لماذا يقولُ الأممُ: أين
هو إلهُهم؟. لتُعْرَف عند الأممِ قدام أعيننا نقمةُ دمِ عبيدِك المُهراق. ١١ ليدخُلْ قدامَك أنينُ
الأسيرِ. كعظمةِ ذراعِك استبْقِ بني الموت، ١٢ ورُدَّ على جيرانِنا سبعةَ أضعافٍ في أحضانِهم العارَ
الذي عيّروك به يا ربُّ. ١٣ أما نحن شعبُك وغنمُ رعايتِك نحمدُك إلى الدهرِ. إلى دورٍ فدور
نحدّثُ بتسبيحِك.

دعاء لرفع الغضب

هذا المزمور صلاة تطلب أن يرفع الله غضبه عن شعبه، وهو يشبه مزمور ٧٤، كتبهما أحد أبناء آساف عندما هاجم نبوخذنصر أورشليم عام ٥٨٦ ق.م وحاصرها ثمانية عشر شهراً، ودمرّها، وأخرب هيكلها العظيم، مركز عبادتها ومكان تقديم ذبائحها ومحل إقامة تابوت العهد الذي كان يحوي الشريعة (٢مل ٢٤).

في هذا المزمور عبّر المرنم عن آلامه لكن بغير يأس، لأن عنده أملاً راسخاً في ربه.. فالذي سيرى الأبواب المحترقة والأسوار المهدمة والهيكل المخرب يضيع أمله. لكن المرنم رأى من لا يُرى، وما لا يُرى، فرفع نظره من الحاضر المؤلم إلى رب الماضي والحاضر والمستقبل، ورأى نفسه في نور علاقته بالرب، فتأكد أن النجاة قادمة لا ريب فيها. وبسبب انتمائه للرب وجد الشجاعة أن يطلب: «ليدخُل قدامك أنين الأسير. كعظَمة ذراعك استبْق بني الموت» (آية ١١)، وكانت عنده الثقة أن يختم مزموره بالقول: «أما نحن شعبك وغنم رعايتك نحمدك إلى الدهر». لقد أخذ نبوخذنصر عظماء البلاد أسرى ليقتلهم، ولكن ذراع الرب العظيمة ستُبقيهم، وبأمر من كورش الفارسي سيعودون.

وقد أوضح النبي إرميا الحالة السيئة التي دفعت المرنم ليرتل مزموره، فقال: «في الشهر الخامس

في عاشر الشهر، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذنصر ملك بابل، جاء نبوزرادان رئيس الشرط الذي كان يقف أمام ملك بابل إلى أورشليم، وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم،وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار. وكل أسوار أورشليم مستديراً هدمها كل جيش الكلدانيين الذي مع رئيس الشرط. وسبى نبوزرادان رئيس الشرط بعضاً من فقراء الشعب، وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة، والهاربين الذين سقطوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور. ولكن نبوزرادان رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين. وكسر الكلدانيون أعمدة النحاس التي لبيت الرب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب، وحملوا كل نحاسها إلى بابل» (إر ٥٢: ١٢-١٧).

نتعلم من هذا المزمور أننا عندما نواجه صعوبة يجب أن ندرس حالتنا الروحية دراسة موضوعية، فنعرف أين أخطأنا لنتوب، ومن أين سقطنا لنقوم، فنعرف ما لنا وما علينا ثم نرفع طلباتنا لله في نور واقعنا الروحي الحقيقي. وفي كل موقف صعب نعجز فيه عن إنقاذ أنفسنا يجب أن نرفع عيوننا إلى الله ونثبتها عليه، لأننا إن ظللنا ننظر إلى ما يحيط بنا يصيبنا الاكتئاب واليأس، ونتدمَّر في الداخل كما في الخارج. لكن تثبيت النظر عليه يضمن لنا السلام والانتصار، فنحدِّث بتسبيح الرب إلى دور (جيل) فدور (جيل بعد جيل).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - طلب الإغاثة (آيات ١-٥).

ثانياً - طلب العدالة (آيتا ٦، ٧).

ثالثاً - طلب الغفران (آيتا ٨، ٩)

رابعاً - طلب النجاة (آيات ١٠-١٢)

خامساً - إعلان الثقة (آية ١٣)

أولاً - طلب الإغاثة
(آيات ١-٥)

١ -**شكوى من الأمم**: «اللهم، إن الأمم قد دخلوا ميراثك، نجسوا هيكل قدسك، جعلوا أورشليم أكواماً. دفعوا جثث عبيدك طعاماً لطيور السماء، لحم أتقيائك لوحوش الأرض. سفكوا دمهم كالماء حول أورشليم وليس من يدفن» (آيات ١-٣). رأى المرنم أن الصعوبة التي يجوزها هو وشعبه يجوزها هو وشعبه تتعلق أولاً بالله ومرتبطة بمجد إلهه، لأنه هو مِلكٌ للرب، وأرضه «جبل ميراث» الرب. فكيف يسمح بدخول الوثنيين إلى ميراثه، مع أن الميراث أعز ما يملكه الإنسان، ليس فقط

بسبب قيمته المادية لكن بسبب قيمته المعنوية؟ وللمؤمنين عند الله قيمة عظيمة لأنهم ميراثه، يعتبرهم «غِنى مجد ميراثه في القديسين» (أف ١: ١٨).

والهيكل هو «المقدس الذي هيأته يداك يا رب» (خر ١٥: ١٧). فكيف يسمح للوثنيين بتدنيسه؟ وأورشليم هي مدينة الملك العظيم، فلماذا يسمح بأن تصبح أكواماً؟ ولماذا يسمح بقتل عبيده فتُطرح جثثهم بأعداد كبيرة حتى لا تجد من يدفنها، فتلتهمها الطيور وتنهشها وحوش الأرض؟ لقد سفك الأعداء دماء شعب الله كالماء كأنهم بلا قيمة وبلا ثمن، ولم يبقَ بين الأحياء من يدفن الموتى! فلماذا سمح الرب بكل ما حدث لميراثه، وهيكله، ومدينته، وأتقيائه؟ ألم يقل المرنم: «عزيز في عيني الرب موت أتقيائه»؟ (مز ١١٦: ١٥). وألم يقل المسيح لمضطهِد الكنيسة: «لماذا تضطهدني؟» (أع ٩: ٤).

يعلم المرنم أنه عندما يصيبه الضرر يصيب ملكوت الله أيضاً. وسعيد هو المؤمن الذي يرى انتماءه القوي للرب فيتأكد أنه معه في وقت الضيق، لأنه «في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلّصهم» (إش ٦٣: ٩)، ويدرك أن قضيته ليست قضيته وحده، لكنها قضية أبيه السماوي أيضاً.

٢ - **خجلٌ من الجيران:** «صرنا عاراً عند جيراننا، هزءاً وسخرة للذين حولنا» (آية ٤). كان بنو إسرائيل محاطين بأمم تعبد أوثاناً، يعتبرونها أقوى من الإله الحقيقي خالق السماء والأرض. فلما نجّس الوثنيون هيكل الله المقدس هزأ جيران إسرائيل بهم وبإلههم، ولا بد أنهم أطلقوا عليهم النكات الساخرة، لأن الإله الذي يعبدونه لم ينصرهم، بينما انتصر الجيش البابلي!

٣ - **توسُّلٌ من المرنم:** «إلى متى يا رب تغضب كل الغضب، وتتّقد كالنار غيرتك؟» (آية ٥). يعلم المرنم أن الشر الذي أصابه وأصاب شعبه يرجع إلى خطاياهم، ويعلم أن الله إله غيور لا يسمح أن يُشرك به ولا يقبل القلب المنقسم (تث ٤: ٢٤). وعندما يعرج المؤمن بين عبادة الرب وعبادة الأوثان يغضب الله عليه غضباً نارياً، لأنه يريد أن يكون القلب كله له، ويصبح شوق القلب: «علِّمني يا رب طريقك أسلك في حقك. وحِّد قلبي لخوف اسمك» (مز ٨٦: ١١)، لأنه «إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز ٦٦: ١٨). والمرنم يتساءل في حالة توبته: إلى متى يستمر غضب الله عليه وعلى شعبه؟

ثانياً - طلب العدالة
(آيتا ٦، ٧)

«أفِض رِجزك على الأمم الذين لا يعرفونك، وعلى الممالك التي لم تَدْعُ باسمك، لأنهم قد أكلوا يعقوب وأخربوا مسكنه» (آيتا ٦، ٧). وهناك أربعة احتمالات لتفسير هاتين الآيتين:

١ - **العدالة من منظور شريعة موسى:** كانت هذه الشريعة تقول: «وإن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس، وعيناً بعين، وسناً بسن، ويداً بيد، ورجلاً برجل، وكياً بكيّ، وجُرحاً بجرح، ورضاً برضّ» (خر ٢١: ٢٣-٢٥ نفس الفكرة مكررة في لا ٢٤: ٢٠ وتث ١٩: ٢١). وبحسب هذه الشريعة يطلب المرنم من الرب أن يصبّ غضبه على الوثنيين الذين لا يعرفون الرب ولا يدعون باسمه، لأنهم أساؤوا إلى شعب الرب إساءات بالغة. وكان هذا طلب داود: «خاصِم يا رب مخاصميّ. قاتل مقاتليّ.. ليخزَ وليخجل الذين يطلبون نفسي» (مز ٣٥: ١، ٤).

٢ - **حتمية العدالة:** في هاتين الآيتين يعلن المرنم أن الغضب الإلهي قادم، ولا بد أن يحل بالخطاة كنتيجة طبيعية لخطاياهم، وينزل على الذين لا يعرفونه ولم يدعوا باسمه، وعبدوا المخلوق دون الخالق، مع أنه أظهر وجوده لهم في الطبيعة التي تخبر بعمل يديه. وبالرغم من ذكاء الخطاة في أمور دنياهم كانوا جاهلين في أمور دينهم، فاقتطعوا شجرة أحرقوا بعض أغصانها وقوداً وتدفئة، ونحتوا بعضها وثناً يسجدون له (إش ٤٤: ١٤-١٧) فلا بد أن يعلن الله غضبه عليهم كنتيجة طبيعية لضلالهم.

٣ - **الرحمة والعدالة:** يحب الله الخاطئ ويكره خطيته، والسماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥: ٧). فيكون معنى الآيتين أن الله يفيض غضبه على من لا يعرفونه، ولكنه يدعوهم ليتوبوا ويهجروا ضلالهم. وقد قال رجل تقي: «يا رب، ساعدني أن أدمر أعدائي بأن أجعلهم أصدقائي». ونحن نكره العداوة لكننا نحب العدو، وندعو الله أن يهدم حائط السياج المتوسط أي العداوة، كما يفعل المسيح (أف ٢: ١٤). والله «يريد أن جميع الناس يخلُصون وإلى معرفة الحق يُقبلون» (١تي ٢: ٤).

٤ - **قوات الظلمة الروحية والعدالة:** يمكن أن يكون معنى الآيتين أن يبيد الله قوات الظلمة الروحية التي تقاوم قوة النور السماوي، فإن مصارعتنا هي مع ظلمة هذا الدهر ومع أجناد الشر الروحية (أف ٦: ١٢). ونحن نصلي: «لا تُدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير» (مت ٦: ١٣).

ثالثاً - طلب الغفران
(آيتا ٨، ٩)

١ - **نسيان ذنوب الأوَّلين:** «لا تذكر علينا ذنوب الأولين» (آية ٨أ). عندما يخطئ الآباء يتركون لأبنائهم تركة ثقيلة من الحزن والبؤس. فعندما يستدين الآباء يتركون ديونهم للأبناء، وعندما يسيئون التصرف يتركون لأبنائهم الصيت الرديء، وعندما يتخذون قرارات خاطئة يورطون الأبناء في

نتائج تلك القرارات. وعندما يتوب الآباء يغفر الله لهم، ولكن سيرتهم تظل حديث الأجيال القادمة. لقد غفر الله للص التائب وقال المسيح له: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣)، ولكن أبناءه وأحفاده حملوا لقب «أبناء وأحفاد اللص الذي أعدم صلباً»! ولن يذكر الله للآباء ذنوبهم إن هم تابوا عنها، ولكن لا بد أن يعاني الأبناء في سمعتهم وصحتهم واقتصادياتهم بسبب ذنوب الآباء.. ولو أنهم في الأمور الروحية لا يعانون، لأن الرب قال: «في تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصرماً وأسنان البنين ضرست، بل كل واحد يموت بذنبه. كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه» (إر ٣١: ٢٩، ٣٠ - انظر أيضاً حزقيال ١٨: ١-٥).

٢ - **الرحمة للأخيرين:** «لتتقدّمنا مراحمك سريعاً لأننا قد تذللنا جداً» (آية ٨ب). لا يدّعي المرنم براءته وبراءة جيله من الخطأ الذي جرّ عليهم المتاعب، فيطلب أن تتقدّمه مراحم الرب ليحتمي بها، فيسير وراءها في طريقٍ ممهدة. وفي مزمور ٢٣: ٦ قال المرنم: «إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» مما يعني أن الرحمة أيضاً تسير وراء المؤمن لتضمن له السلامة من طعنة قد تأتيه من الخلف. وهكذا يكون المؤمن مُحاطاً بالمراحم الإلهية، من أمامه ومن ورائه. وهي تتقدمه «سريعاً» لأنه بلغ أقصى ما يستطيع احتماله من الضيق والتعب، وقد تذلل هو وشعبه جداً.

٣ - **الغفران من أجل اسمه:** «أعنا يا إله خلاصنا من أجل مجد اسمك. ونجنا واغفر خطايانا من أجل اسمك» (آية ٩). كانت هزيمة شعب الله في نظر الوثنيين هزيمة لله نفسه! ويطلب المرنم الرحمة والخلاص من أجل مجد اسم الرب، وحتى لا يقول الوثنيون إن الله عاجز عن إنقاذ شعبه. فلأجل مجد اسمه يسرع بخلاصنا من خطايانا بالغفران، ومن عوزنا بتسديد الاحتياجات، ومن مرضنا بالصحة، ومن أعدائنا بالنجاة. ونحن نعتمد على الذبيحة الكفارية الكاملة التي قدّمها حملُ الله فرفع خطية العالم، فكل بركة ننالها هي من أجل مجد اسمه، ومن أجل اسمه.

رابعاً - طلب النجاة
(آيات ١٠-١٢)

١ - **لمجد الرب:** «لماذا يقول الأمم أين هو إلههم؟ لتُعرف عند الأمم قدام أعيننا نقمةُ دم عبيدك المهراق» (آية ١٠). يطلب المرنم مجد إلهه، ولا يشاء أن يُعيِّر الأمم الوثنيون شعبه بأن إلههم ليس معهم. وهو يرى أن الانتقام من العدو يصاحب النجاة، فلا بد أن ينتقم الله لقتل عبيده من الذين سفكوا دماءهم، بحسب قول موسى في نشيده بعد كتابة التوراة: «اهتفوا أيها الأمم مع شعبه، لأنه يثأر لدم عبيده، ويردُّ الانتقام على أعدائه، ويكفر عن خطايا شعبه» (تث ٣٢: ٤٣ ترجمة حديثة)، فيخاف

العدو، ويـــتشدّد قلب شعب الله المنكســـر، كما قال الرب: «قولوا لخائفي القلوب: تشددوا. لا تخافوا. هوذا إلهكم. الانتقام يأتي. جزاء الله. هو يأتي ويخلصكم» (إش ٣٥: ٤).

٢- **لاطمئنان الأسير:** «ليدخل قدامك أنين الأســـير. كعظمة ذراعك استبْقِ بني الموت» (آية ١١). وقـــد استجاب الله هذه الطلبة، وسمع أنين الأسرى في بابل، واستبْقت ذراعه القوية كثيرين ممن كانوا يُحســـبون في عداد الموتى، ومن هؤلاء دانيال وشدرخ وميشخ وعبدنغو، الذين حفظهم الله من خطر الموت عندما أمرهم مملك بابل أن يـــأكلوا من طعامه وأن يشربوا من خمره. «أما دانيال فجعل في قـلبه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه» وحفظه الله وزملاءه، وأعطى دانيال نعمة ورحمة عـند مسؤول القصر الملكي (دا ١). ولما رفض شدرخ وميشخ وعبدنغو أن يسجدوا لتمثال الملك أمر بإلقائهم في أتون النار، ولكن الله اســـتبقى حياتهم وأنقذهم فلم يحترقوا (دا ٣). ولما رفض دانيال أن يصلي للملك ألقاه في جب الأســـود، ولكن الله أرسل ملاكه وسدّ أفواه الأسود فلم تؤذه (دا ٦). وهذا عـين ما فعله يوم أنقذ بطرس من سجن هيرودس (أع ١٢). لقد سمع أنين الأسير وطمأنه على حياته وعلى مستقبله.

٣- **لعقاب المعتدي:** «ورُدَّ على جيـــراننا ســـبعة أضعاف في أحضانهم العار الذي عيَّروك به يا رب» (آيـــة ١٢). كان العمونيون والموآبيون والأدوميون جيران بني إســـرائيل، ولكنهم لم يتعاطفوا معهم عندما أخرب البابليون عاصمتهم وهيكلهم، بل إنهم سخروا من إله بني إسرائيل وشمتوا بشعبه. وقد تنبأ النبي حزقيـــال بحلول غضب الله على هؤلاء الجيـــران الشامتين الذين عيَّروا الله بما جرى لـشعبه (اقرأ حزقيال ٢٥).. والمرنم يطلب لهم سبعة أضعاف ما فعلوه في أحضانهم، فلا يجدون منه مهرباً.

خامساً - إعلان الثقة
(آية ١٣)

«أما نحن شعبك وغنم رعايـــتك نحمدك إلى الدهر. إلى دور فدور نحدِّث بتســـبيحك» (آية ١٣). عندما نطق المرنم بهذه الكلمات المليـــئة بالشكر لم تكن نجاته قد تحققت بعد، بل كانت لا تزال طلبة يـــرفعها إلى الله. لكنه رأى اســـتجابة طلبته قادمةً لا شك فيها، لأن الإيمان يرى من لا يُرى وما لا يُـرى، وهو الثقة بما يُرجى مما لم نأخذه بعد، وهو الإيقان بأمور لا نراها الآن، لكننا ســـنراها بكل تأكيد.

كان المرنم متأكداً أن شعبه شعب الرب، وأنهم غنم رعايـــته، فلا بد أن يـــحمده طوال حيـــاته،

ويحدّث بتسبيحه إلى دور (جيل) فدور (بعد جيل). وقد تحقق ما انتظره المرنم، ومضت سنوات السبي السبعون، وعاد الشعب إلى بلاده بأمر من كورش الفارسي، فرجعت مجموعة مع عزرا الكاتب، ومجموعة أخرى مع زربابل الوالي، ومجموعة ثالثة مع نحميا، وبدأ بناء بيت الرب بتشجيع من النبيين حجي وزكريا. ومع أن الهيكل الثاني لم يكن في فخامة هيكل سليمان إلا أن مجده كان أعظم، لأن المسيح طهّره مرتين، وفيه تحققت مواعيد الله لداود النبي في المسيح ابن داود. واليوم يقف المؤمنون في محضر الرب، يرفعون له التسبيح والشكر لأنهم شعبه وخاصته، بعد أن أدخلهم في عهد جديد معه، فأصبحوا غنم رعاية هذا الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف، ويحمدونه في هذا الجيل وفي الأجيال القادمة أيضاً، لأنه قال: «هذا الشعب جبلته لنفسي. يحدّث بتسبيحي» (إش ٤٣ : ٢١).

المزمور الثمانون

لإمام المغنين. على السوسن. شهادةٌ. لآساف. مزمور

١ يا راعيَ إسرائيلَ اصغَ، يا قائدَ يوسفَ كالضأن، يا جالساً على الكروبيمِ أشرِقْ. ٢ قدامَ
أفرايمَ وبنيامينَ ومنسّى أيقظْ جبروتَك، وهلمَّ لخلاصنا. ٣ يا الله، أرجِعْنا وأنِر بوجهِك فنخلصَ.
٤ يا ربُّ إلهَ الجنودِ، إلى متى تُدخِّنُ على صلاةِ شعبك؟ ٥ قد أطعمتَهم خبزَ الدموعِ وسقيتَهم
الدموعَ بالكيل. ٦ جعلتَنا نزاعاً عند جيرانِنا، وأعداؤنا يستهزئون بينَ أنفسِهم. ٧ يا إلهَ الجنودِ،
أرجِعنا وأنِرْ بوجهِك فنخلصَ.
٨ كرمةً من مصر نقلتَ. طردتَ أمماً وغرستَها. ٩ هيّأتَ قدامَها فأصّلت أصولَها فملأتِ الأرضَ.
١٠ غطّى الجبالَ ظلُّها، وأغصانُها أرزُ الله. ١١ مدّت قضبانَها إلى البحر، وإلى النهرِ فروعَها.
١٢ فلماذا هدمْتَ جدرانَها فيقطفُها كلُّ عابري الطريق؟ ١٣ يفسدُها الخنزيرُ من الوَعْرِ، ويرعاها
وحشُ البرية!
١٤ يا إلهَ الجنودِ، ارجِعنّ. اطّلِع من السماء وانظُر، وتعهّدْ هذه الكرمةَ ١٥ والغرسَ الذي
غرسَتْهُ يمينُك، والابنَ الذي اخترتَه لنفسِك. ١٦ هي محروقةٌ بنار، مقطوعةٌ. من انتهارِ وجهِك
يَبيدون. ١٧ لتكُنْ يدُك على رَجُلِ يمينِك، وعلى ابنِ آدمَ الذي اخترْتَه لنفسِك، ١٨ فلا نرتدَّ
عنك. أحيِنا فندعوَ باسمِك. ١٩ يا ربُّ إلهَ الجنود أرجِعنا. أنِر بوجهِك فنخلُصَ.

يا رب، ارجع وأرجعنا

كان بنو إسرائيل متّحدين في مملكة واحدة تحت حكم الملك الأول شاول، ثم تحت حكم الملكين داود وسليمان. وبعد ذلك انقسمت المملكة قسمين: شمالية وجنوبية. وتكوّنت المملكة الشمالية من عشرة أسباط تحت حكم يربعام بن ناباط الذي كانت شهرته أنه «جعل بني إسرائيل يخطئون» (١مل ١٥: ٢٦). وكانت عاصمتها مدينة السامرة. أما المملكة الجنوبية فكانت عاصمتها مدينة أورشليم، وتكوّنت من سبطين، تحت حكم رحبعام بن سليمان. وبسبب تمادي أهل مملكة الشمال في خطاياهم غزا ملك أشور بلادهم ودمرها، وسباهم عام ٧٢٤ ق م. وأدرك مؤمنو المملكة الجنوبية أنهم سيلاقون نفس مصير إخوتهم في الشمال، إن لم يتوبوا، وإن لم يتحنّن الرب عليهم، فرتّلوا هذا المزمور طالبين إنقاذ المملكة التي سقطت، وحماية مملكتهم التي توشك أن تسقط، وأن يرعى الرب بني إسرائيل ليُرجعهم إليه، ولينير بوجهه عليهم فيخلصوا.

وقد اهتم مؤمنو المملكة الجنوبية دائماً بالحالة الروحية للملكة الشمالية، فكانوا يرسلون إليهم من يدعونهم للتوبة وعبادة الرب وحده. فقد أرسل الملك الجنوبي حزقيا يدعو جميع إسرائيل ويهوذا،

وكتب أيضاً رســائل إلى أفرايم ومنسى أن يأتوا إلى بيت الرب في أورشليم ليعملوا فصحاً للرب إله إســرائيل. «فكان السُّعاة يعبرون من مدينة إلى مدينة في أرض أفرايم ومنسى حتى زبولون، فكانوا يضحكون عليهم ويهزأون بهم. إلا إن قوماً من أشير ومنسى وزبولون تواضعوا وأتوا إلى أورشليم» (٢أخ ٣٠: ١، ١٠، ١١). ونتعلم من الملك حزقيــا أننا لا يــجب أن نتأخر أبداً عن أن نكلّم الجميع بكلمة الرب حتى إن كانوا مختلفين معنا ســياسياً ودينياً وعرقياً. ولا شك أن اهتمام مؤمني الجنوب بأهل الشمال كان بحســب فكر الرب الذي أمر النبي إرميا: «اذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال، وقل: ارجعي أيتها العاصية إســرائيل يقول الرب. لا أوقع غضبي بكم لأني رؤوف يقول الرب. لا أحقد إلى الأبد. اعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبتِ، وفرّقتِ طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء، ولصوتي لم تسمعوا يقول الرب. ارجعوا أيها البنون العُصاة يقول الرب لأني سُدت عليكم، فآخذكم واحداً من المديـــنة واثنين من العشيرة وآتي بكم إلى صهيون. وأعطيكم رعاة حســب قلبي فيرعونكم بالمعرفة والفهم» (إر ٣: ١٢-١٥).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - طلب رضى الرب (آيات ١-٧)

ثانياً - دروس من المملكة الشمالية (آيات ٨-١٩)

أولاً - طلب رضى الرب
(آيات ١-٧)

١ -طلب رضاه لأنه يحب شعبه: (آية ١). وعلاقته بشعبه ثلاثية:

(أ) **هو راعي شعبه:** «يا راعي إســرائيل اصغَ» (آية ١أ). قال يعقوب عنه: «الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليــوم» (تك ٤٨: ١٥). وشعبه هُم «غنم مرعاه» (مز ٧٤: ١) يــــقولون له: «نـــحن شعبُك وغنمُ رعايتك» (مز ٧٩: ١٣). والراعي يقود قطيعه إلى الأمن والغذاء، ويدافع عنهم ضــد كل مهاجم، ويمدُّهم بكل ما يحتاجون إليه، فيقولون مع داود: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» (مــز ٢٣: ١). ويطلب المرنم من الله أن يصغي إلى دعائه، فإلى من يذهب القطيع إلا إلى الراعي؟ لن يـذهب إلى الأجيــر الذي لا يــبالي بالخراف، ولن يذهب إلى الذئب الذي يفترس الخراف، بل سـيذهب إلى محب الخراف، الذي قال: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفســه عن الخراف» (يو ١٠: ١١).

(ب) **هو المعتني بشعبه:** «يا قائد يوسف كالضأن» (آية ١ب). يوسف هو ابن إسرائيل الحبيب إليه.

يذكره المرنم باعتباره البطل الذي لم يخطئ، والبار الذي أكرم أباه وإخوته مع أن إخوته لم يكرموه، فقاده الرب لحياة الصلاح، ولينقذ العالم من الجوع. ويطلب المرنم أن يعمل الرب معه ومع شعبه كما عمل مع يوسف. والمقصود باسم «يوسف» هنا المملكة الشمالية، وهم بعض من قادهم الرب في صحراء سيناء مدة أربعين سنة، وقيل عنهم: «هديتَ شعبك كالغنم بيد موسى وهارون» (مز ٧٧: ٢٠). «ساق مثل الغنم شعبه، وقادهم مثل قطيع في البرية» (مز ٧٨: ٥٢) ولا بد أنه سيقودهم اليوم وغداً، فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد (عب ١٣: ٨).

(ج) هو ملك شعبه: «يا جالساً على الكروبيم، أشرِق» (آية ١ج). الكروب ملاك (وجمعه في اللغة العبرية كروبيم). وكان هناك تمثال كروبيْن يمدّان أجنحتهما على غطاء تابوت العهد، ويرمزان إلى الرحمة، وكان بنو إسرائيل يدعون تابوت العهد «تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم» (١صم ٤: ٤ و٢صم ٦: ٢). إنه الملك السماوي، والملك على الأرض، والساكن وسط شعبه، الذي قال لموسى: «في التابوت تضع الشهادة التي أعطيك. وأنا أجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة» (خر ٢٥: ٢١، ٢٢). وخاطب الملك حزقيا الرب قائلاً: «أيها الرب إلهَ إسرائيل، الجالسُ فوق الكروبيم، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت السماء والأرض» (٢مل ١٩: ١٥). فلنأتِ إليه بجراءة وقدوم عن ثقة (أف ٣: ١٢) ولنتقدّم دوماً إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه (عب ٤: ١٦). ويتّجه المرنم إلى الرب الجالس على الكروبيم، الذي كلّمهم من بين الكروبيْن من على الغطاء الذي يستر عيوبهم وخطاياهم حتى لا تقاضيهم شريعته، ويطلب منه أن يشرق عليهم إشراقة الرضى، فيظهر لهم في قوته ومجده لينقذهم بكلمةٍ من عنده، لأنه «من صهيون كمالِ الجمالِ، الله أشرق» (مز ٥٠: ٢).

٢ -طلب رضاه لأنه قوي: «قدام أفرايم وبنيامين ومنسى أيقِظ جبروتك، وهلمّ لخلاصنا» (آية ٢). يطلب المرنم أن يوقظ الرب قوته الجبارة التي تبدو له أنها نائمة، وأن يسرع لخلاص شعبه العزيز عليه، الذين يدعوهم أفرايم ومنسى ابني يوسف، وبنيامين شقيق يوسف. وهما ابنا يعقوب من زوجته المحبوبة راحيل، التي اعتُبرت أم المملكة الشمالية (إر ٣١: ١٥). وقد أعطى يعقوب لكلٍّ من حفيديه أفرايم ومنسى نصيباً، فنال أحدهما نصيب سبط لاوي، سبط الكهنوت، الذي لم يُعطَ نصيباً في الأرض لأن الرب نصيبه، ونال الثاني نصيب يوسف أبيهما. وعندما كان بنو إسرائيل يعسكرون في صحراء سيناء كانت هذه الأسباط الثلاثة تقيم غرب خيمة الاجتماع، وعندما كانوا يرتحلون كانت هذه الأسباط تسير خلف الخيمة مباشرة (عد ٢: ١٧-١٩). والقول «قدام أفرايم وبنيامين ومنسى»

يعني أن الله يسير أمام شعبه يقودهم للنصر، كما فعل في صحراء سيناء. يُخيَّل إلينا أحياناً أن الرب نائم عن معونتنا، بينما قوة الله مستيقظةٌ دائماً. وعندما نستعجله يقول لنا: «لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماوات وقت» (جا ٣: ١) و«أنا الرب، في وقته أُسرع به» (إش ٦٠: ٢٢).

٣-**طلب رضاه لأنه توَّاب:** «يا الله، أرجِعنا وأنِر بوجهك فنخلص» (آية ٣). الرجوع المطلوب هنا هو العودة من السبي، والتوبة من الضلال، والابتعاد عن عصيان الرب، وإصلاح ما فسد، كما صلى أفرايم: «أدبتني فتأدبتُ.. توِّبني فأتوب، لأنك أنت الرب إلهي» (إر ٣١: ١٨). «اردُدنا يا ربُّ إليك فنرتدّ. جدِّد أيامنا كالقديم» (مرا ٥: ٢١). يطلب المرنم أن يعود إلى محضر النعمة، وإلى مركزه الأول، فيقول: «يردُّ نفسي، يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (مز ٢٣: ٣). لقد ضل الشعب كأفراد وكجماعة، وهم يطلبون وجه الله بالتوبة، لأنه لا يمكن أن يرجعوا إلا بفضل عمل نعمته، فيبتسم لهم ويرون مجده وقوته لخلاصهم.

هل ظروفك سيئة لأنك بعيد عن الرب؟ قُل مع المرنم: يا الله أرجِعنا، وسيسمع صلاتك فوراً. وعندما ترجع تائباً ينير بوجهه عليك فتخلص، ويُقال لك: « يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك.. ويمنحك سلاماً» (عد ٦: ٢٤-٢٦).

٤-**طلب رضاه بسبب سوء حالة الشعب:** (آيات ٤-٦). وهنا ثلاثة أوصاف لحالتهم:

(أ) **رفض الله صلاتهم:** «يا ربُّ إله الجنود، إلى متى تدخِّن على صلاة شعبك؟» (آية ٤). يخاطب المرنم الرب إله الجنود، الوحيد القادر أن يدافع عن شعبه الصارخ إليه في صلاة مقبولة تُسِرُّ قلبه كبخور عطر يصعد أمامه. لكن عندما يغضب الله على شعبه بسبب خطاياهم يدخِّن على صلواتهم دخان الغضب، فتتغيَّر رائحة البخور. ويتساءل المرنم: إلى متى يا رب تغضب علينا وترفض أن تدافع عنا. «لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد؟ لماذا يدخِّن غضبك على غنم مرعاك؟ اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القِدم» (مز ٧٤: ١، ٢).

(ب) **أكلوا خبز الدموع:** «قد أطعمتَهم خبز الدموع، وسقيتَهم الدموع بالكيل» (آية ٥). جعل الله الدموع طعامهم وشرابهم اليومي، فبكوا باستمرار لأن الخراب حلَّ بهم. وفي أسلوب مبالغة شعري يقول المرنم إن دموعهم كانت غزيرة وكثيرة «بالكيل» أي بالإيفة (وهي نحو ٤٥ لتراً)! وكان هذا بأمرٍ من الله أو بسماحٍ منه لكي يتوبوا ويحيدوا عن طرقهم الشريرة.

(ج) **عيَّرهم جيرانهم:** «جعلتنا نزاعاً عند جيراننا، وأعداؤنا يستهزئون بين أنفسهم» (آية ٦). هاجمهم الأعداء المحيطون بهم ونازعوهم أرضهم، وعيَّروهم، ثم تنازع الأعداء معاً على قسمة ما سلبوه منهم، يريد كل عدو أن يأخذ النصيب الأكبر، وهم يسخرون من المهزومين لأن إلههم لم ينقذهم من يدهم.

ثانياً - دروس من المملكة الشمالية
(آيات ٨-١٩)

نتعلّم من سقوط السامرة سنة ٧٢٤ ق م دروساً سجلها لنا الوحي المقدس:

١ -**فضل الله على الكرمة**: (آيات ٨-١١).

(أ) **زرعها الله**: «كرمةً من مصر نقلت. طردتَ أمماً وغرستَها. هيَّأت قدامها فأصّلت أصولها، فملأت الأرض» (آيتا ٨، ٩). قال يعقوب في ابنه يوسف: «يوسف غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين. أغصانٌ قد ارتفعت فوق حائط» (تك ٤٩: ٢٢) بمعنى أن يوسف كرمة مثمرة. وتُزرع الكرمة في فناء البيت لتعطي الثمر، ولتغطي حوائطه بورقها الأخضر، ولتظلل. ويذكر المرنم أن شعبه كرمة الله التي نمت في مصر، فنقلها الله بمعجزة الخروج بعد أن خلّصها من عبودية فرعون، وزرعها في أرض جهَّزها قبل أن يصلوا إليها، بأن طرد منها سكانها الذين كانوا يعبدون الوثن حتى لا يتجرَّب شعبه بالوثنية. والله في محبته يجهز المكان قبل أن يغرسنا فيه، كما فعل عندما جهّز جنة عدن بكل ما يحتاجه أبوانا الأولان من قبل أن يخلقهما. وبارك الله كرمته في الأرض الجديدة، فأصّلت أصولها وتعمّقت جذورها وملأت الأرض، فأشبهت حبة خردل يُضرب بها المثل في الصِّغر، نمت وصارت شجرة كبيرة تتآوى طيور السماء في أغصانها (مر ٤: ٣١، ٣٢).

(ب) **نماها الله**: «غطى الجبالَ ظلُّها، وأغصانُها أرزَ الله. مدَّت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها» (آيتا ١٠، ١١). امتدّت أغصان الكرمة حتى ظللت الجبال، كما غطت أشجار الأرز العالية في لبنان، ووصلت إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، وإلى نهر الفرات شرقاً، كما قال الرب: «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم: من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم» (تث ١١: ٢٤). وكانت هذه حدود مملكة داود قُرب نهاية أيامه وحدود مملكة سليمان كل أيامه.

وهذا الذي جرى مع كنيسة العهد القديم جرى أيضاً مع كنيسة العهد الجديد في يوم الخمسين، ولكن بمعنى روحي، فقد انضمّ إليها نحو ثلاثة آلاف نفس من مختلف بلاد العالم (أع ٢: ٤١) وكان الرب يضم إليها كل يوم الذين يخلصون (أع ٢: ٤٧).

٢ -**عقاب الله للكرمة**: «فلماذا هدمتَ جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق؟ يفسدها الخِنزير من الوعر، ويرعاها وحش البرية؟» (آيتا ١٢، ١٣). هذا استفهام استنكاري، واستفهام مباشر معاً. فالمرنم يتعجب من هدم أسوار الكرمة، حتى جاء الغزاة وأخذوا أثمارها. ويسأل الرب الذي نقل الكرمة وزرعها ونمّاها عن سبب عقابه لها، حتى أنه سمح لخنزير الوعر ووحش البرية لا أن يأخذا

ثمرها فقط بل أيضاً أن يفسدا الكرمة نفسها. لم يكونا كالغزاة الذين يأخذون الثمر ويرحلون، لكنهما دمَّرا الأصل والفرع! ويجيب الرب على سؤال المرنم بسؤال: «ماذا يُصنع أيضاً لكرمي وأنا لم أصنعه له؟ لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنباً صنع عنباً رديئاً؟» (إش ٥: ٤). لما لم تحقق كرمة بني إسرائيل القصد من وجودها سحب الرب حمايته عنها. لقد اختارهم ليكونوا مملكة كهنة للشعوب المحيطة بهم ليكرزوا باسمه (خر ١٩: ٦). والكاهن هو الذي يكلّم الله عن الشعب، ويكلم الشعب عن الله. ولكنهم لم يقوموا بما كلَّفهم الرب به، واحتقروا سائر الشعوب، وحسبوا اختيار الرب لهم استعلاءً على غيرهم، فرفضهم الرب. وقد قال المسيح للتلاميذ: «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم». ولكنه لم يتوقف عند الاختيار والإقامة، بل مضى يقول: «وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم» (يو ١٥: ١٦). وفي نور هذا التكليف نشر التلاميذ تعاليم المسيح إلى أقصى الأرض.

فإن كنا غير مثمرين، فلنطلب من الله أن يعمل فينا لنصبح مثمرين، ولنخضع إرادتنا لكل توجيهاته. ليسأل كل مؤمن نفسه من بداية حياته الروحية، منذ زرعه الله ونمّاه، وحتى هذه الساعة: ما هي شهادته لله في مجتمعه؟ وما هي الخدمة التي أدّاها لإلهه ولعائلته ولمواطنيه؟ وأرجو ألا يحكم أحدٌ على نفسه حكماً ظالماً، فكثيراً ما يظن الناس أن خدمتهم لله تكون بالوعظ فقط، بينما كل عمل رحمة هو خدمة للرب، حتى لو كان كأس ماء بارد (مت ١٠: ٤٢).. فالأم التي ترعى بيتها وأطفالها في محبة، والموظف الذي يؤدي عمله بأمانة يقدمان خدمة عظيمة لله. فإن لم تكن قد أدّيت للرب الخدمة الواجبة، أو إن كنت قد أدّيتها بتهاون، فاطلب منه أن يعلّمك كيف تخدمه الخدمة التي يرضاها.

٣ - صلاة الكرمة: (آيات ١٤-١٨).

(أ) صلاة طلب الرضى: «يا إله الجنود ارجعنَّ» (آية ١٤أ). في الآيات ٣ و٧ و١٩ طلب المرنم من الرب أن يُرجِعه، بمعنى أن يتوّبه. وفي هذه الآية يطلب أن يَرجع الرب إليه بمعنى أن يغفر له ويرضى عليه.

(ب) صلاة طلب الحماية: «اطّلِع من السماء وانظر، وتعهَّد هذه الكرمة والغرس الذي غرسَتْهُ يمينك، والابن الذي اخترته لنفسك. هي محروقة بنار. مقطوعة. من انتهار وجهك يبيدون» (آيتا ١٤ب-١٦). زرع الرب الكرمة بيمينه القوية، لهدف مقدس، ولكنها انحرفت عن الهدف، فاحترقت بنار البُعد عن الله، وبنار غضبه، فطلب المرنم نظرة رحمة سماوية للكرمة العزيزة على الرب، ولملك البلاد الذي اختاره الله لنفسه ليحكم شعبه، فيتعهّد الرب الكرمة وملكها بالحماية والرعاية. كما يطلب أن ينتهر الله أعداء الكرمة وأعداء الملك فيبيدون. والتوسّل هنا موجّهٌ إلى أمانة الله ورحمته،

فقد غرس الكرمة بحسب قصده، وبدأ بها عملاً صالحاً، ولا بد أن يكمله.

(ج) صلاة من أجل القائد: «لتكن يدك على رجُل يمينك وعلى ابن آدم الذي اخترته لنفسك» (آية ١٧). يطلب المرنم أن يمدَّ الله يده على من اختاره لنفسه قائداً فيعطيه القوة ويُعِزُّه. وهناك ثلاثة تفاسير لرجل يمينه:

* ربما قصد المسيا: فهو الابن الوحيد الذي أتى في الجسد مولوداً من العذراء القديسة مريم بالروح القدس، فصار «ابن الإنسان» الذي قيل عنه: «قَبِّلوا الابن لئلا يغضب» (مز ٢: ١٢). و«عظيم هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦).
* وربما قصد الملك: ابن داود الذي تعهَّد الرب له أن «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧: ١٦).
* ربما قصد شعب الرب: فإن الرب يدعو شعبه «ابني البِكر» (خر ٤: ٢٢) وهم الذين صلى من أجلهم في آية ٢ لأنهم مسبيون.

(د) صلاة طلب الانتعاش: «فلا نرتدّ عنك. أحْيِنا فندعوَ باسمك. يا ربُّ إله الجنود، أرجِعنا. أنِر بوجهك فنخلُص» (آيتا ١٨، ١٩). وفي هذه الصلاة خمس طلبات:

* طلب عدم الارتداد: «فلا نرتد» بل نرتبط بالرب ارتباطاً عميقاً، ولا ننفصل عن محبته وعبادته.
* طلب الإحياء: «أحينا فندعو باسمك» لنكون دعاةً للرب، ندعو الناس لعبادته، لأن روحنا منتعشة به، فنريد أن نتحدَّث عنه، وأن نرى الناس يرجعون إليه بالتوبة.
* طلب الإرجاع: «أرجعنا» فإن حدث ارتداد، يغفر لنا ولا يسمح بارتدادنا مرة أخرى.
* طلب الرضى: «أنِر بوجهك» حسب البركة الكهنوتية (عد ٦: ٢٥).
* طلب الخلاص: «فنخلص» من الماضي المزعج، ومن الحاضر المتعِب، وفي المستقبل أيضاً. والمقصود بالخلاص هو خلاص من الخطية بالغفران (لو ١٩: ١٠) ومن الجوع بالشبع (مز ٣٦: ٦) ومن الحرب بالنصرة والسلام (مز ٢٧: ١، ٢) ومن المرض بالصحة (لو ٨: ٣٦).

المزمور الحادي والثمانون

لإمام المغنين على الجتّية. لآساف

١ رنّموا لله قوّتنا. اهتفوا لإلـه يـعقوب. ٢ ارفعوا نغمةً وهاتوا دُفاً، عوداً حلـواً مع ربـاب.
٣انفُخوا في رأسِ الشّهرِ بالبوقِ عند الهلالِ ليومِ عيدِنا. ٤ لأن هذا فريضةٌ لإسرائيلَ، حكمٌ لإلهِ
يعقوبَ. ٥ جعله شهادةً في يوسفَ عند خروجِه على أرضِ مصرَ. سمعتُ لساناً لم أعرفْهُ. ٦أبعدتُ
مِن الحِمْلِ كَتِفَه. يداه تحوّلتا عن السَّلِّ. ٧ في الضيقِ دعوتَ فنجيتُك. استجبتُك في سِترِ الرّعدِ.
جرّبتُك على ماءِ مَريبَةَ. سلاه.

٨ اسمع يا شعبي فأحذّرَك. يا إسرائيلُ إن سمعتَ لي. ٩ لا يكُنْ فيك إلهٌ غريبٌ، ولا تسجُدْ
لإلهٍ أجنبيٍّ. ١٠ أنا الربُّ إلهُك الذي أصعدك من أرضِ مصرَ. أفغِرْ فاك فأملأه. ١١فلم يسمعْ شعبي
لصوتي، وإسرائيلُ لم يرضَ بي. ١٢ فسلّمتُهم إلى قساوةِ قلوبهم ليسلكوا في مؤامراتِ أنفسِهم. ١٣
لو سمع لي شعبي، وسلك إسرائيلُ في طرقي، ١٤ سريعاً كنتُ أخضِع أعداءَهم،وعلى مضايقيهم
كنتُ أردُّ يدي. ١٥ مبغضو الربِّ يتذلّلون له، ويكونُ وقتُهم إلى الدهر. ١٦ وكان أطعمَهُ مِن شَحْمِ
الحنطةِ، ومِن الصخرةِ كنتُ أشبعُك عسلاً.

دعوة للاحتفال

هذا المزمور هتاف ودعوة للاحتفال ببدء سنة جديدة، وللشكر على الحصاد، فقد أمر الله بني إسرائيل أن يحتفلوا ببداية كل شهر بالنفخ في البوق (عدد ١٠: ١٠). وكان الشهر السابع أول شهور السنة الدينية العبرية، وهو في الوقت نفسه الشهر الأول في السنة العبرية المدنية. وكان أول يوم من هذا الشهر السابع يحظى باهتمام خاص، ويدعونه «عيد الأبواق» أو «عيد هتاف البوق» (لا ٢٣: ٢٤ وعدد ٢٩: ١). وفي منتصف هذا الشهر لما يكتمل القمر يرنمون مزمورنا وهم يجمعون غلّة الأرض ويعيّدون عيد المظال (لا ٢٣: ٣٩)، وهو أكثر الأعياد بهجةً، يقيمون أثناء الاحتفال به في مظال يبنونها من أغصان الأشجار في ساحات المدن وفوق سطوح البيوت وعلى الجبال المحيطة بأورشليم، ليذكروا إقامتهم في مظال بصحراء سيناء أثناء سنوات التيه الأربعين، وليشكروا الله على الحصاد بحسب أمره: «أما اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ففيه عندما تجمعون غلة الأرض تعيّدون عيداً للرب سبعة أيام. في اليوم الأول عطلة وفي اليوم الثامن عطلة.. لكي تعلم أجيالكم أني في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر. أنا الرب إلهكم» (لا ٢٣: ٣٩، ٤٣). وكان عيد المظال يقع بعد يوم الكفارة العظيم الذي يتطهّر فيه الشعب من آثامه. وكانوا أثناء عيد المظال يقرأون شريعة موسى مرة كل سبع سنوات (تث ٣١: ١٠).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - دعوة للاحتفال (آيات ١-٥)

ثانياً - نصيحة إلهية (آيات ٦-١٠)

ثالثاً - عقاب العصيان (آيات ١١-١٦)

أولاً - دعوة للاحتفال
(آيات ١-٥)

يقدم لنا المرنم في هذه الآيات أربعة أسباب للاحتفال بعيد المظال:

١ - **لأن الله قوتنا:** «رنموا لله قوتنا» (آيـة ١أ). الباعث الأول على الاحتفال هو تنشيـط أذهان الشعب ليذكروا قوة الله التي خلّصتهم من عبودية فرعون، وليرتلوا من جديد ترنيمة موسـى وشعبه: «أرنّم للـرب فإنه قد تعظّم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيـدي، وقد صار خلاصي. هذا إلـهي فأمجّده، إلـه أبي فأرفّعه» (خر ١٥: ١، ٢). «الله لـنا ملـجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً» (مز ٤٦: ١).. والاحتفال ينعش الذاكرة أن خلاصنا ليس من عند أنفسـنا بل من إلـهنا، لأن الأغصان لا تقدر أن تأتي بثمرٍ من ذاتها إن لم تثبت في الكرمة، ونحن بدون الله لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٤، ٥).

٢ - **لأنه إلـه العهد:** «اهتفوا لإله يعقوب» (آية ١ب). في الاحتفال بالعيد يذكر الشعب أن الله دخل في عهد مع يعقوب أب الأسـباط، لا لأن يعقوب يسـتحق، بل لأن الله أنعم عليه، ورضي أن يُدعى «إله يـعقوب». ولا زال الله يقبل كل خاطئ تائب فيكون له إلهاً ويحسـبه من شعبه. وعندما يذكر شعب الرب عهد الرب يهتفون. ونذكر مناسبتين كان الشعب يهتف فيهما:

(أ) **الهتاف للملك:** هتف الشعب وهو يـرى الملك الذي اختاره الرب، لأنه ليـس مثله في جميع الشعب (اصم ١٠: ٢٤). ونحن نهتف لرب الأرباب وملك الملوك، ونقول: «من مثلك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزّاً في القداسة، مخوفاً بالتسابيح، صانعاً عجائب؟» (خر ١٥: ١١).

(ب) **الهتاف للمنتصر:** «ترنمي.. افرحي وابتهجي.. الرب في وسطك جبار يخلّص. يبتهج بك فرحاً. يسـكت في محبته. يبتهج بك بترنُّم» (صف ٣: ١٤، ١٧). ونحن نهتف للملك المنتصر الذي هزم الشيطان والخطية والموت، ولنقُل: «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟.. شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (اكو ١٥: ٥٥، ٥٧).

٣ - **لأنه يـوم عيد:** «ارفعوا نغمةً، وهاتوا دُفاً وعوداً حُلـواً مع رباب. انفخوا في رأس الـشهر

بـــالبوق عند الهلال ليوم عيدنا» (آيتا ٢، ٣). يحتفل الناس بالعيد لأنه ذكرى حادثة مفرحة، والاحتفال بعيد المظال يذكِّر شعب الرب بحادثة مضت هي إعالة شعب كامل في صحراء مدة أربعين سنة، كما أنه يـــدفعهم لرفع الشكر لله الذي أعطى الحصاد. فيـــجب أن يشكر الشعب إلهه على ما كان وما هو كـــائن، بنغمة عالية، مصحوبة بـــ«دف» وهو نوع من الطبل، تُعلَّق في أطرافه أجراس صغيرة، فيهزُّ الطبال الدف فتقرع الأجراس، وبأصابع يـــده الأخرى يـــضرب على جلد الطبلة. وبمصاحبة «عود» وهو آلة ذات أوتار ربما يـــصل عددها إلى عشرة، وهو ســـهل الحمل. وبعزف «رباب» وهي آلات وتريـــة مرتفعة النغم من بعض أنواع القيثار. و«البوق» وهو آلة موسيقية كالقرن، وكانت أبواق الكهنة من الفضة.

يطلب المرنم من الشعب أن يرتلوا لله بآلات موســـيقية مختلفة الرنين، لكنها متوافقة، ويطالبهم أن «يرفعوا نغمة» تليق بالإله العلي، وأن «ينفخوا» بكل ما في باطنهم بفكر واحد وقلب واحد للإله الواحد.

٤ - **لأنه واجب:** «لأن هذا فريـــضةٌ لإســـرائيل، حكمٌ لإله يعقوب. جعله شهادة في يوســـف عند خـــروجه على أرض مصر. سمعتُ لساناً لم أعرفه» (آيتا ٤، ٥). الاحتفال بالعيد واجب وفرضٌ على شـــعب الرب، لأنه يستحق الشكر. لقد اعتنى بشعبه قبل سنوات التيه، كما اعتنى بهم أثناءها. وعنايته أزلـــية أبدية، واضحة للعيان، شهادة للجميع. لقد قال ليعقوب النائم وحيداً في الصحراء: «ها أنا معك، وأحفظك حيـــثما تذهب.. لا أتركك حتى أفعل ما كلـــمتك به» (تك ٢٨: ١٥). وأشهد الرب الســـماء والأرض على عنايته العظيمة أيام أخرج يوسف من سجن فرعون ليجعله رئيس وزراء مصر، بدونه لا يـــرفع إنســـانٌ يده ولا رِجله في كل أرض مصر (تك ٤١: ٤٤). ولما جاء فرعون جديد لم يكن يـــعرف يوســـف، وأذلَّ بني إســـرائيل خرج الرب بقوته على أرض مصر وعاقب فرعون، وأطلق الأسرى أحراراً.

وعند حدوث هذه الـــمعجزات ســـمع شعب الله لـــغةً لم يـــســـبق لهم أن عرفوها، هي لغة الفداء والخلاص والحرية. لقد تعوَّدوا الذل ولم يعرفوا الســـيادة، فجاءتهم لغةٌ جديدة تقول: «الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث ٧: ٩).

ثانياً - نصيحة إلهية
(آيات ٦-١٠)

١ - **لنذكر فعل الله العجيب:** (آيتا ٦، ٧).

(أ) **حريـــة من الاســـتعباد:** «أبعدتُ من الحمل كتفه. يداه تحوَّلتا عن السَّـــلِّ» (آية ٦). فعل الله مع شعبه أموراً فريـــدة، وغيـــر عاديـــة، وغيـــــر متوقَّعة، وفائقة الطبيعة، ولا يمكن أن تُنســـى.. كان

بنو إسـرائيل يحملون الطوب على أكتافهم، فأنقذ الله الكتف المستعبَدة بأن أبعدها عن حمل الطوب، ونقلها إلى مكان فيه حرية وكرامة! وكانوا يصنعون السلال بأيديهم، ثم يحملون فيها الطين والتبن، فحوّل الله أيديهم عن عمل السلال وعن حملها.

(ب) نجاة من الضيق: «في الضيق دعوت فنجّيتك» (آية ٧أ). يربط الله بين بني إسـرائيل الذين يخاطبهم المرنم وجدودهم القدماء، فيقول إنهم دعوا الرب في ضيقهم فنجاهم، وهو القائل: «ادعُني في يـوم الضيـق أنقذك فتمجدني» (مز ٥٠: ١٥) «تنهّد بنو إسـرائيـل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله.. فسـمع الله أنينهم» (خر ٢: ٢٣، ٢٤). هذا الإله المحب «نجّانا من موت.. وهو ينجي، الذي لنا رجاءٌ أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ١٠).

(ج) أسرار الرعد: «استجبتك في ستر الرعد» (آية ٧ب). أعلن الله قوته وخلاصه لشعبه في ستر الرعد، (والرعد ظاهرة طبيعية لم يكن الشعب القديم يعرف لها تفسيراً). والمعنى أن الله اسـتجاب شعبه بطريـقة سـرية لا يفهمونها، لكنهم يرون نتائجها المعجزية. «وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين» (خر ١٤: ٢٤).. وأعلن الله ذاته لشعبه في إعطائهم الشريـعة في سـتر الرعد أيضاً وأسـراره، فقد «صارت رعود وبروق وسـحاب ثقيـل على الجبل وصوت بوق شديد جداً» (خر ١٩: ١٦). وهكذا أعلن الرب في الرعد أسرار الخلاص، وأسرار الشريعة.

(د) ماء للعطاش: «جرّبتك على ماء مريبة» (آية ٧ج). مريبة اسم عبري معناه خصام، وهو اسم نبع ماء خرج من الصخر عندما ضربه موسـى بأمرٍ إلهي، بعد أن خاصم بنو إسرائيل موسى لأنهم عـطشوا، ويُطلَق عليه أيضاً اسم «مسّة» بمعنى تجربة، فقد تساءل بنو إسرائيل وقت عطشهم إن كان الرب في وسـطهم أم لا (خر ١٧: ٧). ومن أعمال الله الفريدة أنه يعتني بالشعب المخاصم المتسائل عن وجوده بالرغم من كل معجزاته، فيسـتمر يعتني بهم ويُحسن إليهم، ويرويهم من الصخر! (راجع عدد ٢٠: ١٣). ويحذرنا الوحي من إعادة خطأ بني إسـرائيل، فيقول: «إن سـمعتم صوته فلا تقسّوا قـلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر، حيث جرّبني آباؤكم.. انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلبٌ شرير بعدم إيمانٍ في الارتداد عن الإله الحي، بل عظوا أنفسكم كل يوم.. لكي لا يُقسَّى أحدٌ منكم بغرور الخطية» (عب ٣: ٧-١٣).

٢ - لنُطع الله: (آيات ٨-١٠).

(أ) تحذيـر: «اسمع يا شعبي فأحذّرك. يا إسرائيل، إن سمعتَ لي» (آية ٨). الأمر «اسمع» يذكرنا بالوصية الأولى والعظمى: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك

ومن كل نفسك ومن كل قدرتك» (تث ٦: ٤، ٥). وفي بداية النُصح بطاعة الله يحذر الرب شعبه من خطورة العصيـــان، ويــنبِّههم لبركات الطاعة. وقد تكرر هذا التحذيـــر عبر العصور، فقال الله : «ربَّيتُ بنين ونشّأتُهم، أما هم فعصوا عليَّ.. تركوا الرب. اســتهانوا بقدوس إســرائيل. ارتدوا إلى الوراء.. اغتسِلوا. تنقّوا. اعزِلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيَّ. كفّوا عن فعل الشر. تعلّموا فعل الخير.. إن شئتم وســمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تُؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم» (إش ١: ٢، ٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠). وقال المســيـــح: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣: ٣).. ولكن الله الذي يــنصح بالطاعة لا يُــجبر أحداً على طاعته، فهو يــــحترم حرية الإرادة التي أعطاها للإنسان، ويقول له: «إن سمعتَ لي».

(ب) امــر: «لا يكن فيك إلهٌ غريب، ولا تسجد لإله أجنبي» (آية ٩). بدأت الوصايا العشر بالقول: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيــت العبوديــة. لا يــــكن لك آلهة أخرى أمامي» (تث ٥: ٦، ٧). وقال المســيح: «لا يقدر أحدٌ أن يخدم ســيِّدين، لأنه إما أن يبغض الواحد ويــحب الآخر، أو يـــلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» (مت ٦: ٢٤). ولما كانت خدمة سيِّدين مستحيلة، قال إيليا للشعب: «حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله فاتّبعوه، وإن كان البعل فاتّبعوه» (امل ١٨: ٢١).

(ج) وعــد: «أنا الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. أفغر فاك فأملأه» (آية ١٠). كان الرب مع شعبه فأنقذهم بمعجزات الخروج من مصر، ولا زال يــريـــد أن يُشبع شعبه بقدر إيمان الشعب وانتظاره، فكلما فغر المؤمن فاه بجوعٍ وشوق إلى النعمة ملأ الرب فمه بالخيـــر. وقال موســـى في نــشيده، بعد تدوين التوراة: «إن قِسم الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض قفرٍ وفي خلاءٍ مستوحش خرِبٍ. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه.. أركبه على مرتفعات الأرض، فأكل ثمار الصحراء، وأرضعه عســـلاً من حجر، وزيتاً من صوّان الصخر» (تث ٣٢: ٩، ١٠، ١٣).. وقال المســيح: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون» (مت ٥: ٦). وكان يقول لطالبيه: «حسب إيمانك ليكن لك» (مت ٩: ٢٩).

ثالثاً - عقاب العصيان
(آيات ١١-١٦)

١ - **تسليم العاصي لعصيانه:** «فلم يســمع شعبي لصوتي، وإســرائيل لم يرضَ بي، فسلّمتُهم إلى قساوة قلوبهم ليسلكوا في مؤامرات أنفسهم» (آيتا ١١، ١٢).

عندما يعصى إنسانٌ الربَّ يدفع أجرة اختياره الخاطئ، ويحل به غضب الرب وعقابه. وأقسى عقاب هو أن يترك الله الخاطئ يسلك حسب هواه! وقد طبَّق بلدد الشوحي هذا المبدأ في قوله لأيوب: «إذْ أخطأ إليه بنوك دفعهم إلى يد معصيتهم» (أي ٨: ٤) والمبدأ هنا صحيح، ولكن تطبيقه على أبناء أيوب كان خاطئاً. وقال الحكيم: «لم يرضوا مشورتي. رذلوا كل توبيخي، فلذلك يأكلون من ثمر طريقهم، ويشبعون من مؤامراتهم» (أم ١: ٣٠، ٣١). وقال الرسول بولس عن عُبَّاد الوثن: «أبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبيه صورة الإنسان الذي يفنى، والطيور والدواب والزحافات. لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم. الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتَّقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق.. لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان» (رو ١: ٢٣-٢٦). وقال أيضاً في الذين يرفضون خلاص المسيح: «لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلُصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدِّقوا الكذب، لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سُرُّوا بالإثم» (٢تس ٢: ١٠-١٢). فلنطلب من الله أن يعيننا على طاعته، ولا يتركنا لجهالة قلوبنا. ولنصلِّ: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيَّة أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز ١٩: ١٤).

٢ - **حرمان العاصي من البركة: (آيات ١٣-١٦).**

(أ) **حرمان من بركة النصر:** «لو سمع لي شعبي وسلك إسرائيل في طرقي، سريعاً كنتُ أُخضِع أعداءهم، وعلى مضايقيهم كنت أردُّ يدي. مبغضو الرب يتذللون له، ويكون وقتهم إلى الدهر» (آيات ١٣-١٥). المفروض أن شعب الرب منصور بالرب، لأنهم شعبه، ولأنه يعتبر أعداءهم أعداءه. ولكن هذا الانتصار مشروط بطاعتهم للرب، فلو سلك شعب الرب في طرق الرب لانهزم مضايقوهم وأعداؤهم أمامهم لأن الابتعاد عن طرق الرب خراب وذل، كما أن الرب لا بد يوقع الذل والخراب بمبغضيه.. أما شعبه فيكون «وقتهم إلى الدهر»، لأنهم يتمتعون به وبعطاياه في حياتهم الحاضرة والمستقبلة، فتكون لهم حياة، ويكون لهم أفضل (يو ١٠: ١٠). لقد قال الله: «أنا الرب إلهك، معلِّمك لتنتفع، وأمشِّيك في طريق تسلك فيه. ليتك أصغيت إلى وصاياي، فكان كنهرٍ سلامك وبرُّك كلجج البحر» (إش ٤٨: ١٧، ١٨). ولكن شعبه لم يسمعوا له، فأصابهم ما أصاب أورشليم التي قال المسيح لها: «يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسَلين إليها، كم مرةٍ أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت ٢٣: ٣٧، ٣٨).

والمقصود بهذا التحذير السماوي أن يجنِّبنا الهزيمة، ويفتح عيوننا إلى طريق الانتصار. فلنثبت في الرب ونتبعه بكل القلب، فنقدر أن نقول: «يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧).

(ب) **حرمان من الشبع:** « وكان أطعمه من شحم الحنطة، ومن الصخر كنت أُشبعك عسلاً» (آية ١٦).

يُشبع الرب شعبه الذي يطيعه من كل خيراته، فيقولون مع المرنم: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيّ. مسحت بالدهن رأسي. كأسي ريا» (مز ٢٣: ١، ٥).. لقد سبق أن أطعم الرب شعبه «شحم الحنطة» (مز ١٤٧: ١٤) و«دسم لُبّ الحنطة» (تث ٣٢: ١٤)، أي أفضل حنطة، وأفضل ما في الحنطة. كما سبق أن أشبعهم عسلاً من صخور صحراء سيناء و«أرضعهم عسلاً من حجر» (تث ٣٢: ١٣).. ولا زال يحب أن يُشبع شعبه فهو الذي قال في مزمورنا: «أفغر فاك فأملأه» (آية ١٠). ويمكن أن يزيد فهمنا لبركة الامتلاء من الشبع عندما نشاهد طائراً يطعم فراخه في العش، وهي تفتح أفواهها عن آخرها لتنال حظها من الطعام. ولا يمكن أن يبقى الفرخ الصغير على قيد الحياة بدون رعاية الطائر له. ونحن لا نحيا ولا نتحرك ولا نوجد بدون رعاية الله وعنايته بنا.. فلماذا نعصاه فنحرم نفوسنا من كل هذه البركات التي يريد أن يعطيها لنا. إن الرغبة في الحصول على كل هذه البركات تدفعنا لنحيا حياة الطاعة لأبينا السماوي.

المزمور الثاني والثمانون

مزمورٌ لآساف

١ الله قائمٌ في مَجْمعِ الله. في وسطِ الآلهةِ يقضي. ٢ حتى متى تقضون جَوْراً، وترفعون وجوه الأشرار؟ سلاه. ٣ اِقْضوا للذليل ولليتيم. أنْصِفوا المسكينَ والبائس. ٤ نجّوا المسكينَ والفقيرَ. مِن يدِ الأشرار أنقِذوا.

٥ لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمةِ يتمشّون. تتزعزعُ كلُّ أُسُسِ الأرضِ. ٦ أنا قلتُ إنكم آلهةٌ وبنو العليِّ كلُّكم. ٧ لكنْ مثلَ الناسِ تموتون، وكأحدِ الرؤساءِ تسقطون. ٨ قُمْ يا اللهُ. دِنِ الأرضَ، لأنك أنت تمتلكُ كلَّ الأممِ.

أوامر للحكام والقضاة

هــذا المزمور موجّه لكل صاحب سلطة يحتل مكانة قيادية، يؤكد له أنه مسؤول أمام الرب سيد الأرض كـلها. إنه مزمور للقضاة، يطالبهم أن يحكموا بالعدل بعد أن فوّضهم الله أن ينوبوا عنه في إقرار العدالة وأعطاهم سـلطاناً أن يـصدروا حكماً على شخص بالموت وعلى آخر بالبراءة، فهم بتكليف منه، وتطبيقاً لشريعته يقومون مقامه ويمثلونه في إقرار العدالة. كما أن هذا المزمور موجَّه لـكل رئيس عمل في موقعه، ولكل رئيس دولة في بلاده، ولكل رب بيت في عائلته ليكونوا عادلين منصفين مع من أوكل الله لهم تدبير أمورهم. وواضحٌ أن الامتيازات التي يمنحها الله للمسـؤولين ليست لتمتّعهم الشخصي فقط، ولكنها لخدمة كل الذين كلّفهم بخدمتهم، فكل امتياز العظيم يحمل معه مسؤولية عظيمة.

ولا ندري المناسبة التي دفعت المرنم آساف أن يكتب هذا المزمور. الأغلب أنه لا توجد مناسبة خاصة، لأن الظلم منتشر في كل مكان ولم يتوقف. ولعل المرنم انفعل وهو يسـمع عن قاضٍ ظلم أرملة، أو رئيس دولة أصدر قانوناً لمصلحته الشخصية، أو رب أسـرة طلّق السـيدة التي تزوجها أيـام فقره ليـتزوج بغيـرها بعد أن نال حظاً من المال، أو لأبٍ يفرّق في المعاملة بين أولاده!.. فمناسـبة كتابة هذا المزمور هي كل يوم، كما قال النبي إشعياء: «انتصب الرب للمخاصمة، وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم.. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسـين؟» (إش ٣: ١٣، ١٥).. ولكن المزمور يرينا جانباً آخر، فهو ينتهي بأن يـعلن لنا أن الله هو ديان القضاة والمتقاضين، ولا بد أن يُرسـي قواعد العدالة، «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل» (إش ٢٦: ٩).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - الله يراقب القضاة (آية ١)

ثانياً - الله يقاضي القضاة (آيات ٢-٤)

ثالثاً - الله يوبخ القضاة (آيات ٥-٧)

رابعاً - الله القاضي العادل (آية ٨)

أولاً - الله يراقب القضاة
(آية ١)

١ -**الله موجود في المحكمة:** «الله قائم في مجمع الله» (آية ١أ). يمكن أن تُترجم هذه الآية «الله قائم في مجمع الأقوياء» أو «في مجمع النبلاء والشرفاء» باعتبار أن المحكمة تنعقد وتجتمع بتكليف من الله، وأنها تحت سلطانه، فهو يراقب تصرفات القضاة الأقوياء وأولياء الأمور النبلاء والشرفاء، كما قال موسى لحميه: «الشعب يأتي إليَّ ليسأل الله. إذا كان لهم دعوى يأتون إليَّ، فأقضي بين الرجل وصاحبه، وأعرّفهم فرائض الله وشرائعه» (خر ١٨: ١٥، ١٦)، وكما قال سليمان الحكيم: «إن رأيتَ ظلم الفقير ونزْعَ الحق والعدل في البلاد فلا ترتَعْ من الأمر، لأن فوق العالي عالياً يُلاحظ، والأعلى فوقهما» (جا ٥: ٨).. والكنيسة هي مجمع الله حسب قول المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠)، ولهذا يقول الوحي: «أيتجاسر منكم أحدٌ له دعوى على آخر أن يُحاكم عند الظالمين، وليس عند القديسين؟» (١كو ٦:١).

٢ - **الله يقضي بواسطة القضاة:** «في وسط الآلهة يقضي» (آية ١ب). يحتل القضاة مكانة عظيمة لذلك يسميهم «آلهة» لأن سلطانهم في الحكم هو من عند الله، ولأنهم يجب أن يحكموا بشريعة الله. والمسؤولون أصحاب المراكز العالية عندما يجتمعون معاً لإصدار الأحكام، لا يجب أن يظنوا أن السلطات الممنوحة لهم تفوّضهم ليحكموا كما يريدون، فإن الله قائم وسطهم، ويصدر أحكامه العادلة بواسطتهم، ولا بد أن يقدموا له حساباً عن وكالتهم. قبل وفاة موسى قال للرب: «ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم، ويُخرجهم ويُدخلهم، لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها». فقال الرب لموسى: «خُذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح (أي روح الله)، وضعْ يدك عليه، وأوقِفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة، وأوصِه أمام أعينهم، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل» (عدد ٢٧: ١٥-٢١).

أعطى الله القضاة والقادة والمسؤولين ألقاباً عظيمة ومسؤوليات كبيرة، وجعلهم ممثلين له. فما أعظم الشرف، وما أرهب المسؤولية!

ثانياً - الله يقاضي القضاة
(آيات ٢-٤)

١ - **لأنهم رفعوا الشرير**: «حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار؟ سلاه» (آية ٢). في هذه الآية والتي تليها يوجّه الله الاتهام للقضاة بأنهم ظلموا الناس وجاملوا الأشرار على حساب المساكين، ويسألهم «حتى متى؟» لينبّههم لتقييم تصرفاتهم، وليعطيهم فرصةً للدفاع عن أنفسهم. لقد نهى عن الحكم الجائر قائلاً: «لا ترتكبوا جوراً في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين، ولا تحترم وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك» (لا ١٩: ١٥). وكلمة «سلاه» تعني وقفة موسيقية، وقد تعني رفع اللحن الموسيقي، وقد تعني التأمل في ما يُسمع، لأن الله يعطي القضاة فرصة ليفكروا في الاتهام الذي يوجّهه لهم وليستعدوا للرد عليه. وتوبيخ الله هذا يشبه توبيخه لفرعون: «إلى متى تأبى أن تخضع لي؟ أطلق شعبي ليعبدوني» (خر ١٠: ٣).. وما أكثر ما نقع في خطأ مجاملة الأغنياء على حساب الفقراء، حتى أن مؤمني الكنيسة الأولى كانوا يقدمون الغني إلى مكان أمامي، وأما المسكين فكانوا يُجلسونه في مكان حقير (يع ٢: ١-٩). ولما دخل الزعيم الهندي المهاتما غاندي إحدى كنائس جنوب أفريقيا طلب منه المشرف على النظام أن يجلس في صفوف السود، لا البيض، فقال غاندي: «لولا المسيحيين لصرت مسيحياً». ونحن نقف أمام هذه الآية في خجل، لأننا نشترك في الخطأ مع القضاة الذين وجّه الله إليهم توبيخه هذا.

٢ - **لأنهم ظلموا المسكين**: «اقضوا للذليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجّوا المسكين والفقير. من يد الأشرار أنقذوا» (آيتا ٣، ٤). يمثّل الحاكم والقاضي عدالة الله الذي يطالبهم بالقضاء للذليل واليتيم فيصغون لشكواه، ويمنحونه فرصة طلب العدالة. ويأمرهم بإنصاف للمسكين والبائس فيمنحونه حقوقه المشروعة، وينقذونه من يد الشرير الظالم. وهو أمر يتكرر على صفحات كتاب الله «تعلّموا فعل الخير. اطلبوا الحق. أنصفوا المظلوم. اقضوا لليتيم حاموا عن الأرملة» (إش ١: ١٧)، كما أنه تحذير متكرر «ويل للذين يقضون أقضية البُطل، وللكتبة الذين يسجّلون جوراً، ليصدّوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حقّ بائسي شعبي، لتكون الأرامل غنيمتهم، وينهبوا الأيتام. وماذا تفعلون في يوم العقاب حين تأتي التهلكة من بعيد. إلى من تهربون للمعونة؟» (إش ١٠: ١-٣).

هذا نداء إلهي من الله للقضاة وأرباب الأمور كلٌ في موقعه بحسب مسؤوليته، لينصف الحاكم

شعبه، والقاضي طالبي العدالة، وصاحب العمل عمّاله، ورب البيت زوجته وأولاده.

ثالثاً - الله يوبخ القضاة
(آيات ٥-٧)

١ - **الله يوبخ القاضي الجاهل:** «لا يعلمون ولا يفهمون. في الظلمة يتمشّون. تتزعزع كل أسس الأرض» (آية ٥). معرفة الشريعة قبل تطبيقها هي مسؤولية القاضي الأولى، وهي أساس تعيينه للقيام بوظيفته. وقد صلى سليمان: «أيها الرب إلهي، أنت ملّكتَ عبدك مكان داود أبي، وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول.. فأعطِ عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك، وأميِّز بين الخير والشر، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟» (امل ٣: ٧، ٩). ولكن هؤلاء القضاة أهملوا الشريعة واختاروا عدم فهم كلمة الرب، وتقلّدوا الكبرياء، ولبسوا كثوب ظلمهم، مع أن الله ينادي: «إلى الشريعة وإلى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» (إش ٨: ٢٠) فإن إشراق نور الفجر مرتبط بالرجوع إلى الشريعة والشهادة التي هي «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥). «إذا دخلت الحكمة قلبك ولذّت المعرفة لنفسك، فالعقل يحفظك والفهم ينصرك، لإنقاذك من طريق الشر ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب» (أم ٢: ١٠-١٢) «لأن الوصية مصباح والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة» (أم ٦: ٢٣).

ونتيجةً لجهل القاضي الذي يقول «ليس إله» تتزعزع كل أسس الأرض، لأن الأعمدة الأخلاقية تتقلقل، و«إذا انقلبت الأعمدة، فالصدّيق ماذا يفعل؟» (مز ١١: ٣). حقاً «هلك شعبي من عدم المعرفة» (هو ٤: ٦)، فقد «أحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة، لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبَّخ أعماله» (يو ٣: ١٩، ٢٠).

٢ - **الله يذكِّر القاضي بمكانته:** (آية ٦). في توبيخ القضاة يذكِّرهم الرب بالمكانة الرفيعة التي منحها لهم:

(أ) **إنهم آلهة:** «أنا قلتُ إنكم آلهة» (آية ٦أ). كانت الشريعة تقضي في حالة عدم معرفة الشخص الذي سرق أن «يُقدَّم صاحب البيت إلى الله ليحكم.. في كل دعوى جناية.. تُقدَّم إلى الله دعواهما. فالذي يحكم الله بذنبه يعوِّض صاحبه» (خر ٢٢: ٨، ٩). والقاضي هنا ينوب عن الله، بتكليف من الله، أن يطبق شرع الله «لأن القضاء لله» (تث ١: ١٧) وقال الملك يهوشافاط للقضاة الذين أقامهم: «انظروا ما أنتم فاعلون، لأنكم لا تقضون للإنسان بل للرب، وهو معكم في أمر القضاء. والآن لتكن هيبة الرب عليكم» (٢أخ ١٩: ٦، ٧). ويقول الإنجيل: «لتخضع كل نفس

للســلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتّبة من الله، حتى أن من يقاوم الســلطان يقاوم ترتيب الله» (رو ١٣: ١، ٢). وقد اقتبس المسيح هذه الآية عندما أعلن: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠)، فتناول اليهود حجارة ليرجموه، فقال لهم: «أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم مــن عند أبي. بسبب أي عمل منها ترجمونني؟» أجابوه: «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً». فقال المسيح: «أليس مكتوباً في ناموسكم: أنا قلت إنكم آلــهة؟ إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله- ولا يمكن أن يُنقض المكتوب- فالذي قدّسه الآب وأرســـله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأني قلت إني ابن الله؟ إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولـــكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه» (يو ١٠: ٣١-٣٨).

(ب) إنهم أبناء الـعلي، «وبنو العلي كلكم» (آيـــة ٦ب). هذا اللقب الثاني يـــبيّن أن اللقب الأول «إنكم آلهة» ذو معنى روحي لأن اللقب الثاني ذو معنى روحي أيضاً، فلا توجد ولادة جســـدية من الله، ولكنها ولادة من فوق من الماء والروح (يـــو ٣: ٣، ٥). وهي ما جاء المســيـــح ليهبه للذين يـــؤمنون به «أما كل الذين قبلوه (المســيح) فأعطاهم ســلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باســـمه، الذين وُلدوا من الله» (يو ١: ١٢، ١٣). وبهذا صاروا «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤). فما أعظم المحبة التي أعطاها لنا الله حتى نُدعى أولاده (١يـــو ٣: ١). فمســـؤوليتنا أن نكون طاهريـــن كما هو طاهر، وقديســين كما أنه قدوس. «نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة» (١بط ١: ١٥).

٣ - **الله يعلن أن القاضي يُعاقَب**: «لكن مثل الناس تموتون، وكأحد الرؤساء تسقطون» (آية ٧). صحيـــح أن الله منحهم ســلطات من ســلطاته، ولكن فشلهم في تحقيق انتظارات الله منهم يوقع بهم عقاب الموت، شأنهم شأن كل نفس تخطئ فتموت (حز ١٨: ٤). وكل من لا يـــستطيع كلمة الله يدين نـفسه ويحكم عليها، لأن «أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣). ويروي المزمور التالي (مز ٨٣) أخبار الملوك والرؤساء الذين سقطوا وهلكوا بسبب ظلمهم (مز ٨٣: ٩-١١).

رابعاً الله القاضي العادل
(آية ٨)

«قُم يـــا الله دِن الأرض. لأنك أنت تمتلك كل الأمم» (آية ٨). عرف المرنم أن الله يقضي على قضاة شعبه الذين لم ينصفوا الذليل واليتيم والمسكين والبائس والفقير، فقرر أن يرفع قضيته للقاضي

الـــعادل الذي يـــنصفه ويـــنصف كل مظلوم. لقد رأى في مطلع مزموره الله «قائماً» ولكن القضاة عطلوا عدالة القضاء، فطلب من الله أن يأخذ بيده زمام أمور الأرض كلها، لأنه صاحب الســـلطان الـــذي يمتلك الأمم كلها.«الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقي» (مز ٧: ٨) «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملكٌ كبير على كل الأرض» (مز ٤٧: ٢). إنه القاضي العادل الذي يحوّل ظلم الشرير إلى بركة للمؤمن، كما قال يوسف لإخوته: «أنتم قصدتم لي شرا، أما الله فقصد به خيرا» (تك ٥٠: ٢٠).

أيها المؤمن، قضيتك لم تكن أبداً ولن تكون في يد إنسان، لكنها دوماً في يد الرب الذي يحلها بيد من يـــكلفهم بحلّها، أو بتدخّله هو شخصيـــاً. فدعونا نلجأ إلى ملك الأرض كلها لنســـمع منه الكلمة الحلوة: «دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨: ١٨).

«لأنك أنت تمتلك كل الأمم».

المزمور الثالث والثمانون

تسبيحةٌ. مزمورٌ لآساف

١ اللهمَّ لا تصمُتْ، لا تسكُتْ ولا تهدأ يا الله. ٢ فهوذا أعداؤك يَعِجّون ومبغضوك قد رفعوا الرأسَ. ٣ على شعبك مكروا مؤامرةً، وتشاوروا على أحميائك. ٤ قالوا: هلمَّ نُبِدْهُم مِن بين الشعوبِ، ولا يُذكَرُ اسمُ إسرائيلَ بعدُ.

٥ لأنهم تآمروا بالقلبِ معاً. عليك تعاهدوا عهداً. ٦ خيامُ أدومَ والإسماعيليين. موآبُ، والهاجَريّون. ٧ جبالُ، وعمونُ، وعماليقُ. فلسطينُ مع سكان صور. ٨ أشورُ أيضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط. سلاه.

٩ افعل بهم كما بِمديانَ، كما بسيسرا، كما بيابينَ في وادي قِيشُون. ١٠ بادوا في عينِ دور. صاروا دِمْناً للأرضِ. ١١ اجعلْ شرفاءَهم مثلَ غرابٍ ومثلَ ذئب ومثل زَبَحَ، ومثل صَلْمُنّاعَ كلَّ أمرائِهم. ١٢ الذين قالوا: لِنمتلكْ لأنفسِنا مساكنَ الله.

١٣ يا إلهي اجعلهمْ مثلَ الجُلِّ، مثلَ القشِّ أمامَ الريح. ١٤ كنار تُحرقُ الوَعْرَ، كلهيبٍ يشعلُ الجبالَ. ١٥ هكذا اطرُدهم بعاصفتِك، وبزوبعتِك روِّعْهم. ١٦ املأ وجوهَهم خزياً فيطلبوا اسمَك يا ربُّ. ١٧ ليَخزَوا ويرتاعوا إلى الأبد، وليَخْجلوا ويَبيدوا ١٨ ويعلموا أنك اسمَك يهوهُ. وحدَك العليُّ على كلِّ الأرضِ.

استغاثة ضد حلف الشرير

يجد قارئ المزامير في كثير منها أن عدواً قوياً يقاوم المؤمن، أو يهاجم شعب الرب، ويكتشف أن مملكة شريرة تقاوم ملكوت الله. ومع أن الأتقياء يخافون ويتزعزعون أحياناً، لكنهم دائماً يجدون ملجأهم الوحيد في ربهم الثابت الباقي، فيتعلّقون به لينقذهم وينصرهم. وعبر التاريخ كله عندما حاصر أعداء الرب شعب الرب، وعجز الأتقياء عن مواجهتهم، تدخّلت عناية الرب لتنقذ جماعته.

والمناسبة التي كُتب فيها هذا المزمور مناسبة هجوم شامل من كل جهة على شعب الرب، عجزوا عن مقابلته. فتدخلت اليد الإلهية العليا لتدفع العدو بعيداً وتحمي شعب الرب الضعيف، لأن الوعد يقول: «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩: ١٩). وربما كانت مناسبة كتابة هذا المزمور قدوم حلف قوي ضد الملك التقي يهوشافاط، فيقول المؤرخ المقدس: «أتى بنو موآب وبنو عمون، ومعهم العمونيون على يهوشافاط للمحاربة. فجاء أناس وأخبروا يهوشافاط قائلين: قد جاء عليك جمهور كثير من عبر البحر من أرام، وها هم في حصون تامار (هي عين جدي). فخاف يهوشافاط ورفع وجهه ليطلب الرب» (٢أي ٢٠: ١-٣) وقال: «لا نعلم ماذا نعمل، ولكن نحوك أعيننا».

فأرسل الرب واحداً من بني آساف، اسمه يحزئيل بن زكريا اللاوي، كان عليه روح الرب، ليقول للملك وللشعب: «لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير، لأن الحرب ليست لكم بل لله.. قفوا وانظروا خلاص الرب معكم». وكان الترتيل هو السلاح العجيب، فقد أقام الملك يهوشافاط مرتِّلين ومسبِّحين يهتفون: «احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمتَه». واستجاب الرب ونجَّى شعبه بأن نصب أكمنة للأعداء فسقطوا جميعهم فيها (٢أي ٢٠: ١٤-٢٢)، فإن «اسم الرب برجٌ حصين يركض إليه الصديق ويتمنَّع» (أم ١٨: ١٠). «معونتي من عند الرب صانع السماء والأرض» (مز ١٢١: ٢).

فلنشكر الله على يهوشافاط وعلى كل أقلية ترى الله فوق كل القوى المعادية «لأن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما» (جا ٥: ٨). ويصدق هذا على سلامة شعب الرب الأمنيّة والروحية. فعندما يأسر إبليس شخصاً، يعجز عن الفكاك من مخالبه، تتنازل اليد العلوية الرفيعة القادرة وترفعه من دائرة الموت وتنقله إلى رحب الحياة. وفي سبيل إنقاذ البشر من أسر الشيطان تنازلت يد المحبة الإلهية في المسيح ووصلت إلى عمق اليأس الذي انحدر البشر إليه لتخلِّصهم وتهبهم حرية مجد أولاد الله. «الكلمة صار جسداً، وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمةً فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٤، ١٦، ١٧).

في هذا المزمور نجد،

أولاً — وصف الخطر (آيات ١-٨)

ثانياً – تشجيع من التاريخ (آيات ٩-١٢)

ثالثاً – استغاثة (آيات ١٣-١٨)

أولاً - وصف الخطر

(آيات ١-٨)

١ - الله صمت: «اللهم لا تصمت. لا تسكت ولا تهدأ يا الله» (آية ١). يبدو للخائف المرتعب أن الله صمت وسكت وهدأ ولم يعُد فاعلاً، ولكنه يعلم أنه سبق أن فعل وأنقذ، فيلجأ إليه صارخاً: «اللهم لا تصمت». وقد كرر المؤمنون الخائفون عبر العصور مثل هذه الصلاة «إليك يا رب أصرخ. يا صخرتي لا تتصامم من جهتي، لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب» (مز ٢٨: ١). وقال بعضهم: «قد تركني الرب، وسيدي نسيني» فأجابهم: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك. على كفيَّ نقشتك» (إش ٤٩: ١٤-١٦).

٢ -**الأعداء يستعدون:** «فهوذا أعداؤك يعجّون، ومبغضوك قد رفعوا الرأس» (آية ٢). يصف المرنم المؤمن أعداءه بأنهم أعداء الرب وأنهم يبغضون الرب. ومع أنه يتحدث عن الخطر المحدق به، إلا أنه يرى الله في جانبه، ولا عجب، فالمؤمن ثابت في المسيح ثبات الغصن في الكرمة (يو ١٥: ٢)، وكل من يؤذي الغصن يؤثر على الكرمة، وكل من يمسه يمس حدقة عينه (زك ٢: ٨). وأعداء الرب يعجّون ويضجون. والعجيج هو ضجيج كثرة عدد الجنود القادمين لمهاجمة المرنم وشعبه، كما قال إشعياء: «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة» (إش ١٧: ١٢). وقد رفع الأعداء رؤوسهم في كبرياء، وهم واثقون من النصر «ولكن الله يسحق رؤوس أعدائه» (مز ٦٨: ٢١).

٣ - **الأعداء يتآمرون:** «على شعبك مكروا مؤامرةً، وتشاوروا على أحميائك. قالوا: هلم نبِدهم من بين الشعوب، ولا يُذكر اسم إسرائيل بعد. لأنهم تآمروا بالقلب معاً. عليك تعاهدوا عهداً» (آيات ٣-٥). استعد الأعداء وجلسوا معاً يتآمرون ويتشاورون ضد جماعة الله، بهدف إبادتهم فلا يعود أحدٌ يذكرهم. ويرى المرنم أن المؤامرة الشريرة تستهدف المصالح الإلهية قبل كل شيء، فالشعب المستهدف بالمؤامرة هو شعب الله، والمطلوب إبادتهم هم أحمياؤه الذين وعدهم بالحماية والحفظ، والذين يقولون: «لأنه يخبئني في مظلّته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته» (مز ٢٧: ٥).. ويرى المرنم أن المعاهدة التي عقدها الأعداء معاً في مؤامرتهم هي معاهدة ضد الله قبل أن تكون ضد شعب الله. ورغم كثرة عدد الأعداء واختلافهم في اللغة والجنس، إلا أن المؤامرة كانت قلبية بكل العزم والإصرار.

ولن تنجح مؤامرة الأعداء على شعب الله، فقد قال المسيح لبطرس: «أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٨). كانت أبواب المدن القديمة تؤدي إلى ساحة واسعة يجلس فيها الحاكم وعظماء الأرض والقضاة. ويجلس الشيطان وجنوده في أبواب الجحيم يتآمرون على شعب الرب، لكنهم لن يقووا عليه، فقد قال المسيح: «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي» (يو ١٠: ٢٧-٢٩).

٤ - **الأعداء كثيرون:** «خيام أدوم والإسماعيليين. موآب والهاجريون. جبال وعمون وعماليق. فلسطين مع سكان صور. أشور أيضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط» (آيات ٦-٨). صرخ المرنم طالباً معونة الرب لأن المتآمرين عليه كثيرون، وقد جاءوا من كل جهة، فقد جنّدت أشور، القوة الكبرى الشمالية، مجموعة شعوب ضد شعب الرب، فجاء الأدوميون من الجنوب الشرقي،

وهــم نسل عيسو شقيق يعقوب غير أنهم انقلبوا على أبناء عمومتهم، وكانوا يسكنون المنطقة الجبلية بـين البحر الميت وخليج العقبة.. وجاء الإسماعيليون البدو الرُّحل من حدود مصر الشمالية الغربية، وهم إخوة غير أشقاء لإسحاق.. وجاء المو آبيون، وهم من نسل لوط من شرق البحر الميت.. وجاء الهاجريون من الشمال الشرقي.. وجاء «جبال» الذين سكنوا الجبال الشرقية من أرض أدوم.. وجاء الـعمونيون من عبر الأردن، وهم أعداء بني إسرائيل التقليديون.. وجاء العمالقة، أول الأعداء الذين هاجموا بني إســرائيــل عندما خرجوا من أرض مصر (خروج ١٧).. وجاء الفلسـطيـــنيون من الـغرب.. وجاء الصوريون من الشمال.. «لماذا ارتجَّت الأمم وتفكَّر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤســاء معاً على الرب وعلى مســـيحه!» (مز ٢: ١، ٢). فإلى من يلجأ المرنم وشعبه الضعيف وسط هذا كله إلا إلى الله، يشكو له الخطر المحدق به!

ثانياً - تشجيع من التاريخ
(آيات ٩-١٢)

يــرجع المرنم بالذاكرة إلى حادثتيـــن تاريخيتين جرتا في عصر القضاة، وهو أشد عصور بني إســـرائيل ظلاماً، عندما نصر الله شعبه الضعيف على عدوين قويين، هما الكنعانيون والمديانيون، فيـــقول: «افعل بهم كما بمديان، كما بسـيســـرا، كما بيابين في وادي قيشون. بادوا في عين دور. صاروا دِمناً لــلأرض. اجعل شــرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب. ومثل زبـــح ومثل صلـْـمُنَّاع كل أمرائهم، الذين قالوا: لنمتلك لأنفسنا مساكن الله» (آيات ٩-١٢).

١ - **النصرة علــى الكنعانيين:** كان ســيسرا قائداً لجيش الملك يابين ملك حاصور. وكانت مملكته تقع على شاطئ نهر قيشون الشرقي، فكان يســـيطر على الطريق من السهل إلى البحر، فأذاق بني إســـرائيل مرارة الذل مدة عشرين ســـنة. وقد شجعت دبورة النبية، قاضية بني إسرائيل، رجلا اسمه باراق ليحارب سـيســـرا، وجرت الموقعة عند ســفح جبل تابور، فانهزم سيسرا وهرب ماشياً إلى الشمال الشرقي فوصل إلى خيـــام حابر القيني حيث قتلته زوجة حابر بأن دقَّت وتد الخيمة في صدغه أثناء نومه (قض ٤). ويــقول المرنم إن يـــابين وجيشه بادوا في عين دور، وهي مدينة في نفس الوادي الذي تقع فيه مدينتا تعنك ومجدّو (قض ٥: ١٩ قارن يش ١٧: ١١). وقد ســقطت جثث جيش يابين بقيادة ســيسرا على الأرض مثل الدِّمن (أي مثل الزِّبل).

٢ - **النصرة على المديانيين:** كان الملكان زَبَحُ (ومعنى اسمه ذبيحة) وصَلْمُنَّاعُ (ومعنى اسمه إله الظلمة) ملكين على المديانيين، وكان يقود جيشيهما قائدان، اســم أحدهما غراب، واسم الآخر ذئب. وكان الأقدمون يســـمّون أولادهم بأسماء غريبة كهذه لأنهم يتمنّون أن يكون الابن قوياً شرساً يهاجم

الأعداء ويهزمهم. وكان المديانيون ينهبون محاصيل بني إسرائيل بعد حصادها، ويتركونهم نهباً للجوع. واجتمع المديانيون في وادي يزرعيل للهجوم على بني إسرائيل، فكلّف الله القاضي جدعون ومعه ثلاث مئة رجل ليقوموا بهجوم ليلي ضدهم، فشاعت الفوضى في صفوف المديانيين وقتل بعضهم بعضاً، وقُتل غراب وذئب، وأسر جدعونُ زبحَ وصلمناع ثم قتلهما، وكان يوم انتصار مشهود أطلق عليه اسم «يوم مديان» (قضاة ٦-٨).

ويختم المرنم هذا الجزء بقوله إن أعداء شعبه قالوا: «لنمتلك لأنفسنا مساكن الله» وهي قولة لا يذكر سفر القضاة أن الكنعانيين أو المديانيين قالوها، لكن التاريخ المقدس يذكر أن الملك يهوشافاط قالها في صلاته: «والآن هوذا بنو عمون وموآب وجبل ساعير.. يكافئوننا بمجيئهم لطردنا من مُلكك الذي ملَّكتنا إياه» (٢أي ٢٠: ١٠، ١١). والمرنم واثق أن ما جرى سابقاً في عصر القضاة سيتكرر مع يهوشافاط ومن سيجيئون بعده، فإن الله هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.

ثالثاً - استغاثة
(آيات ١٣-١٨)

١ - طلب زوال العدو: «يا إلهي، اجعلهم مثل الجُلِّ. مثل القش أمام الريح. كنار تحرق الوعر، كلهيب يشعل الجبال. هكذا اطردهم بعاصفتك، وبزوبعتك روِّعهم» (آيات ١٣-١٥). يطلب المرنم من الرب أن يُبعد الأعداء عن بلاده كما يطرد الريح الجل (أي البعر، أو النفاية التي لا قيمة لها، وقد وردت الكلمة مرة أخرى في صف ١: ١٧) ومثل القش، ويطلب أنْ يحترقوا كما تشب النار في غابة على الجبال أيام الجفاف، فلا ينزل عليها مطر ليطفئها، ولا يقدر إنسان أن يصعد إليها ليوقف احتراقها، فيتحقق فيها قول إشعياء: «ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق، وجمهور العتاة كالعصافة المارة، ويكون ذلك في لحظةٍ بغتةً. من قِبَل ربِّ الجنود تُفتقَد برعدٍ وزلزلةٍ وصوتٍ عظيم، بزوبعةٍ وعاصفٍ ولهيب نار آكلةٍ» (إش ٢٩: ٥، ٦). ويقول الله عن أعداء شعبه: «أبدِّدهم كقشٍّ يعبر مع ريح البرية» (إر ١٣: ٢٤).

والمرنم هنا يتكلم بأسلوب العهد القديم، أسلوب «عين بعين وسن بسن» (لا ٢٤: ٢٠). لكننا نرفع هذه الطلبة بروح المسيح، روح العهد الجديد، الذي عبَّر عنه مسيحي حكيم بقوله: «اقتل أعداءك، بأن تجعلهم أصدقاء. اقتل عداوتهم بالمحبة ، واقتل مواقفك السلبية فيك من نحوهم بأن تخدمهم وأن تقدم لهم رسالة المسيح».

٢ - طلب توبة العدو: «املأ وجوههم خزياً فيطلبوا اسمك يا رب. ليخزوا ويرتاعوا إلى الأبد،

وليـــخجلوا ويبيدوا، ويعلموا أنك اســمك يهوه وحدك، العلي على كل الأرض» (آيات ١٦-١٨).
يــطلب المرنم توبة العدو في خطوتين، أولاهما أن الخزي والخوف يجعلانه يدرك خطأه، وثانيتهما أن يعرف العدو الصواب ويطلب أن يعرف الرب:

(أ) إدراك الخطأ: يــطلب المرنم من الرب أن يــفشل هجوم الأعداء وأن يــنهزموا، فيملأ الله وجوههم من الخزي والخجل والخوف، لأنهم اصطدموا بقوة أقوى منهم لا يــعرفونها ولم يــكونوا يــتوقعونها، هي القوة الإلهية. ومن حكمة الله أنه يصيب الإنسان بالفشل فيدرك عجزه ويطلب وجه الله، وهكذا يقوده خطؤه ليبحث عن الصواب، فيقول: «طرقك يا رب عرِّفني. سبلك علِّمني. درِّبني في حقك وعلِّمني، لأنك أنت إله خلاصي» (مز ٢٥: ٤، ٥).

(ب) معرفة الصواب: عندما تمتلــئ وجوه الأعداء بالــخزي يــطلــبون وجه الرب، وعندما يــوتاعون ويسقط كثيرون منهم قتلى يطلبون أن يعبدوا الرب سيد الأرض كلها، لأنه رب الأرباب، وســاكن الســماوات، وخالق السماء والأرض وما عليهما وفيهما، فهو «يهوه» رب الحياة، الكائن والذي كان والذي يأتي، الأول والآخر، العلي فوق كل عالٍ ومرتفع.

إن فشلنا من إصلاح نفوســنا بركة لأنه يقودنا إلى طلب الحياة الجديدة من الله، كما أن ضعفنا يــعيننا على الاحتماء بالله، وفقرنا يُلجئنا إلى طلب غنى الله، وضيعتنا تجعلنا نطلب رفعة الله العلي. فليــصلِّ كل مؤمن أن يــجعل الله أعداءه أحباء الله، وأن يــخضع مقاوميه للجلال الإلهي، فينالون البركة وينالها هو أيضاً معهم.

المزمور الرابع والثمانون

لإمام المغنين، على الجتّية. لبني قورح. مزمور

١ ما أحلى مساكنك يا ربَّ الجنودِ! ٢ تشتاقُ بل تتوقُ نفسي إلى ديار الربِّ. قلبي ولحمي يهتفان بالإلهِ الحيِّ. ٣ العصفورُ أيضاً وجد بيتاً والسُّنُونةُ عشّاً لنفسها حيث تضعُ أفراخها، مذابحَك يا ربَّ الجنودِ، ملكي وإلهي. ٤ طوبى للساكنين في بيتِك، أبداً يسبّحونك. سلاه.

٥ طوبى لأناسٍ عزُّهم بك. طُرُقُ بيتِك في قلوبهم. ٦ عابرين في وادي البكاءِ يصيِّرونه ينبوعاً. أيضاً ببركاتٍ يغطّون مورةَ. ٧ يذهبون مِن قوةٍ إلى قوة. يُرَوْن قدامَ اللهِ في صهيونَ.

٨ يا ربُّ إلهَ الجنودِ، اسمع صلاتي واصْغَ يا إلهَ يعقوبَ. سلاه. ٩ يا مجنَّنا انظُرْ يا الله، والتفِتْ إلى وجهِ مسيحِك. ١٠ لأنَّ يوماً واحداً في ديارك خيرٌ مِن ألفٍ. اخترتُ الوقوفَ على العتبةِ في بيتِ إلهي على السكنِ في خيامِ الأشرار. ١١ لأن الربَّ اللهَ شمسٌ ومِجَنٌّ. الربُّ يعطي رحمةً ومجداً. لا يمنعُ خيراً عن السالكين بالكمالِ. ١٢ يا ربَّ الجنودِ، طوبى للإنسانِ المتّكلِ عليك!

الاشتياق إلى ديار الرب

يصف هذا المزمور سعادة القلب المشتاق للوجود في بيت الله، العامر بالحماس في خدمته. وهو مثل مزموري ٤٢، ٤٣ اللذين يعبّران عن الاشتياق إلى بيت الرب، وعن الألم بسبب الحرمان من العبادة فيه. كما أن هناك تشابهاً كبيراً بين أفكار مزامير ٢٧، ٦١، ٦٣ ومزمورنا الذي ربما كتبه المرنم في يوم سبت كان فيه محروماً من التواجد في الهيكل لسبب خارج عن إرادته، وكان يأمل ألا يطول حرمانه من التعبُّد فيه، فطوَّب الذين لهم فرصة العبادة التي حُرم هو منها، بقوله: «طوبى (أي يالسعادة) للساكنين في بيتك، أبداً يسبحونك» (آية ٤). فهو المشتاق للعبادة في الهيكل، والذي يطوِّب السعيد المتواجد دوماً في بيت الرب. سمعنا أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى، ويمكن أن نقول أيضاً إن المرنم يرى ديار الرب تاجاً على رؤوس العابدين لا يراه إلا المحرومون منه.

ولكن المرنم يعتبر أن له نصيباً في التطويب، فيقول: «طوبى لأناس عزُّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم» (آية ٥). فلئن لم تكن له فرصة التواجد في بيت الرب، إلا أنه سعيد لأن طرق بيت الرب في قلبه، فما سمعه من تراتيل وصلوات وتلاوة من كلمة الله في الهيكل لا يزال يملأ قلبه وعقله ويشغل فكره.

ويختم مزموره بالقول: «طوبى للإنسان المتكل عليك» (آية ١٢). فمع أنه كان بالجسد بعيداً عن ديـار الرب إلا أنه متكل على الرب في نوال غفران خطيته بالفداء بالذبائح التي طالبت بها الشريعة الموسـوية، ولأنه يثق في الصُحبة الإلهية. وهناك الوعد العظيم القائل: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – أسباب الاشتياق إلى هيكل الرب (آيات ١–٤)

ثانياً – بركات هيكل الرب (آيات ٥–٧)

ثالثاً – صلاة إلى رب الهيكل (آيات ٨–١٢)

أولاً - أسباب الاشتياق إلى بيت الرب
(آيات ١-٤)

يقدم المرنم أربعة أسباب لاشتياقه إلى بيت الرب:

١ –بسبب **حلاوة هيكل الرب**: «ما أحلى مسـاكنك يا رب الجنود» (آية ١). لأن هناك يسكن الله وسـط شعبه، كما قال لموسـى: «يصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم» (خر ٢٥: ٨). وفي المسـكن مذبح المحرقة النحاسي الذي كانوا يقدمون عليه الذبيحة الرئيسية، كما كان الشعب يأتون إليـه بذبائحهم ويضعون أيديهم عليها معترفين بخطاياهم، فينالون المغفرة (لا ١: ٤). وهناك تابوت عهد الرب، وبه لوحا الشريعة اللذان أعطاهما الله لموسـى، وقسط به شيء من المنّ الذي أطعم الله به بني إسـرائيل أربعين سنة في صحراء سيناء، وبه عصا هارون اليابسة التي اخضرّت وأفرخت لـتبرهن اختيار الله لهارون ليكون له كاهناً. وكان غطاء التابوت (الذي يُدعى أيضاً كرسي الرحمة) من الذهب يظلله كروبان (ملاكان) من الذهب، وهناك يلتقي الله بشعبه على أساس الدم المسفوك من الذبائح، وبدون سـفك دم لا تحصل مغفرة (عب ٩: ٢٢). وفي مسـاكن الرب يسمع شعبه كلامه الـحلو، وقد قال المرنم: «ناموس الرب كامل يـردّ النفس. شهادات الرب صادقة تصيّـر الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها. أشهى من الذهب والإبريـز الكثير، وأحلى من العسـل وقطر الشهاد. أيضاً عبدك يُحذَّر بها، وفي حفظها ثواب عظيم» (مز ١٩: ٧–١١).

٢ –بسبب **حبه للرب**: «تشتاق بل تتوق نفسـي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (آية ٢). الإنسـان البعيد عن الله ميت في ذنوبه وخطاياه، ويكتفي بالإشباع المادي وحده، رغم أنه

قد يــعلم أنه ليــس بالخبز وحده يحيا الإنســان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت ٤: ٤). أما الإنسان الحي روحياً فلا يشبع إلا بالإله الحي، الذي به يحيا ويتحرك ويوجد (أع ١٧: ٢٨)، وهو يعلم كم يشتاق الله إليه، فقد حلّ وســط شعبه القديم في «خيمة الاجتماع» في صحراء سيناء. وفي مــلء الزمان حلّ بيننا في المسيح الكلمة، الذي صار جسداً (يو ١: ١٤). تشتاق نفس المرنم الحي (أي إرادته) إلى ديــار الرب، ويــهتف قلبه (أي عواطفه) ولحمه (أي عقله) بالإله الحي، لأن في ديـــار الرب يلتقي بالرب الذي هو الصديق الألزق من الأخ (أم ١٨: ٢٤). وعندما يأتي إلى بيت الرب يشترك مع اليونانيين الذين طلبوا أن يروا المســيح، فيراه ويســـمع إعلان حبه له، ويختبر صلاحه (يو ١٢: ٢٠، ٢١) ويتحقق معه قول المســيح: «الذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأُظهِر له ذاتي.. إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢١، ٢٣).

٣ -**بسبب سلامه بالرب**: «العصفور أيضاً وجد بيتاً والسُّنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها، مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي» (آية ٣). حسد المرنم العصفور والسنونة (وهي طائر صغير يــألف الناس ويــــبني عشه من الطين في البيوت ودور العبادة) لأنهما وجدا في بيت الرب مكاناً مــستقراً يبنيان فيه عشهما ويتركان فيه أفراخهما مطمئــنَّين أثناء طيرانهما بعيداً ليجلبا لها القوت! وكل من وجد لنفســه الشبع في الرب وفي بيــته يــريد لأولاده أن يجدوا نفس الشبع من المصدر نفســه. وكم يــفرح كل أب تقي وهو يرى أبناءه أتقياء يحبون الله، ويشتاقون إلى ســماع كلمته.. وبالحديث عن السنونة وأفراخها يعلن المرنم أنه عندما يأتي إلى بيت الرب يجد الطمأنينة والسلام، لأن الذبيحة المقدَّمة على المذبح (بحسب شريعة موسى) تؤكد له أن الله غفر خطاياه. ونحن عندما نتعب نلجأ إلى بيــت الرب فنجد بابه مفتوحاً يــرحب بنا، وكلمته تشجعنا، فنقول: «يا رب أقرب، فــأقرب. إليك أقرب وأرغب. في الحزن والشجون يا سيدي الحنون، إليك أقرب فأقرب» لأننا نعلم أنه غفر لنا ذنوبنا وكفَّر عن خطايانا بفضل الذبح العظيم، السيد المسيح الذي بذل نفسه فديةً عنا.

ويــطلـــق المرنم على الرب ألقاب «رب الجنود» و«ملكي» و«إلهي» فربُّ الملكوت القوي العظيم هو ربُّ المرنم نفســـه، فياله من ملك محب لشعبه، ويالها من علاقة حميمة عميقة مشجعة للمرنم، تعطيه الطمأنينة وتملأ نفسه بالسلام!

٤ -**بسبب اتحاده مع المؤمنين في هيكل الرب**: «طوبى للساكنين في بيتك أبداً يسبحونك» (آيـــة ٤). يطوِّب المرنم خدَّام الرب الماثلين في دياره يســبحونه في بيته، ويرفعون دوماً ترانيم لتســبيح له من كل قلوبهم في هيكله، فإنهم «أهل بيت الله» (أف ٢: ١٩). ويتمنى المرنم المحروم

من العبادة أن ينال التطويب نفسه، فيلتقي بخدّام الله وبالمؤمنين الذين يحبون الرب ويسبحونه، ويتّحد معهم بالروح والحق، لأنه في المكان البعيد عن بيت الرب يلتقي بمن يختلفون معه في الاهتمامات والعقيدة والعبادة. أما في بيت الرب المقدس فإنه يضمُّ صوته إلى أصوات المتفقين معه في حب الله والتسبيح له، فيطمئن قلبه وينال شحنةً قوة روحية يخرج بها إلى العالم مبتهجاً، يعلن لكل البعيدين عن الرب فرحة العيشة مع الرب، ويدعوهم إليها. «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً.. لأنه هناك أمر الرب بالبركة. حياة إلى الأبد» (مز ١٣٣: ١، ٣).

ثانياً - بركات هيكل الرب
(آيات ٥-٧)

لم يستطع المرنم أن يتواجد في بيت الرب، لأن ظروفاً خارجية منعته، لكنه يؤكد أن طرق بيت الرب في قلبه، وهو يتوجّه بروحه إليه، ولسان حاله يقول: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله» (مز ٥١: ١٠) فصار قلبه هيكلاً مقدساً يسكنه الرب. وعلى كل مؤمن أن يكون هيكلاً متحركاً، كما أن على كل أسرة أن تكون كنيسة مصلِّية، إذ يجتمع الزوج والزوجة والأولاد ليصلوا معاً، فيتحقق لهم وعد «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠). فلتكن أجسادنا وبيوتنا مساكن لله وديارا له، حتى نقول مع يشوع: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥).

وفي توجُّه روح المرنم إلى هيكل الرب ينال ثلاث بركات:

١- **بركة الاعتزاز بالرب:** «طوبى لأناسٍ عزُّهم بك. طرق بيتك في قلوبهم» (آية ٥). ما أسعدهم لأنهم جعلوا الرب مصدر قوتهم، فهو البرج الحصين الذي يركض إليه الصدِّيق ويتمنّع (أم ١٨: ١٠) فطوبى لمن جعل الرب متّكله (مز ٤٠: ٣) ووضع رجاءه في الرب إلهه (مز ١٤٦: ٥). وبالرغم من بُعد المرنم عن الهيكل بالجسد، إلا أنه يطوب نفسه لأن طرق بيت الرب المقدسة مطبوعة في قلبه، وتأثيراته عميقة في داخله، حتى يمكن أن يُقال له ما قاله الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقنٌ أنه فيك أيضاً» (٢تي ١: ٥). إنه لم يسلك في طرق الرب فقط، بل جعلها أيضاً في قلبه. وكم نحتاج اليوم أن تُطبع طريق بيت الرب في قلوبنا، وليس فقط أمام عيوننا، فنقول: «وُجد كلامك فأكلته» (إر ١٥: ١٦). وإن كان الله مصدر قوتنا وعزّنا فلنجعل كلمته سراجنا ونور سبيلنا، فننال عزماً وقوة منه، ونتقدم من قوة إلى قوة كما وعدنا المسيح: «ستنالون قوةً متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً» (أع ١: ٨). يريد الرب أن يعطينا قوة روحية، فيغذينا بكلمته،

ويــــملأنا بالروح القدس، حتى يجوز فينا القول: «كتبتُ إليكم أيها الأحداث لأنكم أقوياء، وكلمة الله ثابتة فيـــكم، وقد غلبتم الشرير» (١يو ٢: ١٤). وبكلمة الله وعمل روحه يزيد إيماننا، ويصير كل شيء مســتطاعاً لـــنا، لأن كل شيء مســتطاع للمؤمن (مر ٩: ٢٣) ونقول مع الرســول بولس: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣).

٢ - **بركة الفرح بالرب:** «عابريـــن في وادي البكاء يــصيّرونه ينبوعاً. أيضاً ببركات يغطون مورة» (آية ٦). وادي البكاء واد قاحل جاف، تكثر فيه أشجار البلســم التي لا تحتاج في نموّها إلى رطوبة كثيـــرة. وعندما كانت تُجرح كان يخرج منها ســائل، مثل أشجار المطاط، لذلك ســمّوها «أشجار البكاء» (٢صم ٥: ٢٣). وكان الحُجاج يـــجوزون في وادي البكا في طريق صعودهم إلى أورشليم، ولكن إيمانهم كان يحوّله إلى ينبوع، بمعنى «بركة» لأن فرح الرب يملأ قلب أحبائه حتى في أصعب ظروفهم. إنهم لا يـــســتمدون فرحهم مما يـــحيط بهم، بل مما يمنحه الله لهم من مباهج روحيـــة. وعندما يـــعبر محبّو الرب في وادي الدموع يجعلونه مصدر بركة حقيقية. «يقودك الرب على الدوام، ويــــشبع في الجدوب نفســك، وينشّط عظامك، فتصير كجنّة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه» (إش ٥٨: ١١).

ونـــلاحظ أن أول كلمة في آية ٦ هي كلمة «عابرين» في وادي البكاء. ولم يقل «مقيمين» فيه. وهناك فرق بين هذا وآية ٤ التي تقول: طوبى «للســــاكنين» في بيتك. فنحن نعبر في وادي البكاء ولكننا نسكن في بيت الله. وفي مزمور ٢٣ يقول: «إذا سرتُ» في وادي ظل الموت، ولا يقول «إذا توقّفت» في وادي ظل الموت، ولا «إذا أقمت». ففترة الضيـــق والألم مؤقتة وغير دائمة ولابد أن تعبر، لأن الله وعد المؤمنين أن يأتي إليهم لينقذهم.

«أيـــضاً ببركات يغطون مورة». ومورة تعني «المرار». وتل مورة هو المكان الذي هاجم فيه المديـــانيون شعب الرب، فنصرهم بنصره بواســطة القاضي جدعون، كما قيل: «فبكّر يربُّعل (أي جدعون) وكل الشعب الذي معه، ونزلوا على عيـــن حرود، وكان جيش المديانيين شماليّهم عند تل مورة» (قض ٧: ١).

إذاً عندما نأتي إلى وادي الدموع نجعله ينبوع بركة وفرح، وعندما يهاجمنا العدو في تل المرار نـــغطيه بالبركات، لأن الله يحوّل آلامنا إلى بركات، ويقول لنا: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣). وغلبته تصبح غلبتنا عندما نتّحد به اتحاد الغصن بالكرمة.

٣ - **بركة النمو في الرب:** «يذهبون من قوة إلى قوة. يُرون قدام الله في صهيون» (آية ٧). ينال الحجاج الذيـــن ســـيتعبّدون في هيكل الرب قوة وهم يصعدون إلى أورشليم، وتتزايد قوتهم وفرحهم

كلما اقتربوا من الهيــكل، لأنهم يـــتشجعون ويذهبون من قوة إلى قوة، وينمون في النعمة ومعرفة ربهم (٢بط ٣: ١٨). «أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوةً، يرفعون أجنحةً كالنســـور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون» (إش ٤٠: ٣١). إنهم من ملء الرب جميعاً يأخذون، ونعمة فوق نعمة، فيتقدمون من مجد إلى مجد (يو ١: ١٦ و٢كو ٣: ١٨). ويشتاق مؤمنو العهد الجديد إلى العبادة في صهيون الروحية، وســط جماعة المؤمنين من كل عِرق في كل مكان. وقد أســـس الرب على يد الرسول بولس في مدينة فيلبي كنيستين بدون مبانٍ، إحداهما على شاطئ البحر، ومن أعضائها ليديا بـائعة الأرجوان، والأخرى في مكان أغرب هو سجن المدينة وقد ارتفعت منه ترانيم بولس وسيلا، والـمسجونون يسمعونهما، فآمن السجان، ثم آمن أهل بيته. لقد أجرى الرب معجزة عظيمة. وذهب المؤمنون في فيلبي من قوة إلى قوة، ورآهم الناس قدام الله في كنيسته.

ثالثاً - صلاة إلى رب الهيكل
(آيات ٨-١٢)

١ - **لأنه إله الجنود:** «يا ربُّ، إله الجنود اسمع صلاتي، واصغَ يا إله يعقوب» (آية ٨). «رب الجنود» هو الذي قال عنه داود لجليـــات الجبار: «أنت تأتي إليَّ بســيف وبرمح وبترس، وأنا آتي إليك باســـم رب الجنود» (١صم ١٧: ٤٥). وجنوده هم كل الخلائق (تك ٢: ١). وهم شعبه الذين اختارهم (خر ٧: ٤). وهم الـــشمس والقمر والنجوم (تث ٤: ١٩ و١٧: ٣). وهم الملائكة (لو ٢: ١٣). إنه صاحب كل سلطان في السماء والأرض.

ومع كل عظمة «رب الجنود» فإن المرنم لا يــرتعب منه بل يأنس إليه، لأنه «إله يعقوب» إله العهد الذي صنع مع خليـــله إبراهيم ميثاقاً (تك ١٥: ١٨). والذي دخل في عهد مع يعقوب، وتعهد أن يتبارك فيه وفي نســـله جميع قبائل الأرض، وأن يكون معه وأن يحفظه حيثما يذهب (تك ٢٨: ١٤، ١٥). واليـــوم نعلم أنه أدخل المؤمنيـــن في عهد جديد مع المســيح، ففي كل مرة نقف أمامه مـــصلّين نعلم أنه الإله القوي «رب الجنود» و«إله العهد» الذي يفي بكل وعوده لنا، فلا تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به (يش ٢٣: ١٤).

٢ - **لأنه إله الحمايـة:** «يا مجننا، انظر يا الله والتفت إلى وجه مســيحك» (آية ٩). المجن هو الترس الكبير، وهو قطعة خشب يغطونها بالجلد، يمســكها الجندي بيده اليسرى ليتلقّى عليها السهام فلا تصيبـه. وقال الرب لخليـــله إبراهيـــم: «لا تخف.. أنا ترس لك» (تك ١٥: ١). فالرب يحمي المؤمن من ســـهام العدو القاتلة. ويطلب المرنم أن يلتفت الله بالحماية إلى وجه مســـيحه فلا تصيبه

السـهام. وربما يقصد بـ«مسيحك» الملك ابن داود الذي تعهّد الرب له أن «يأمن بيتك ومملكتك إلـى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧: ١٦). أو قد يقصد به شعب الرب الذين يـدعوهم «ابني البكر» (خر ٤: ٢٢). وقد يقصد به رئيس الكهنة (لا ٤: ٣). (راجع تعليقنا على مز ٨٠: ١٧).

٣ - **لأنه إله الفرح**: «لأن يـوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيـت إلهي على السـكن في خيام الأشرار» (آية ١٠). يصلي المرنم طالباً بهجة الوجود في ديار الرب وفي حضرته، فاليـوم الواحد في دياره هو يوم عيد واحتفال وابتهاج، حيث يذكر فضل الله عليه وعلى آبائه. وهناك يسمع كلمة الله المشجعة، خصوصاً وقت تعبه وضيقه، وبالتأمل في وعود الرب تتشجَّع نفسـه. وفي بيـت الرب يجد طريق الخلاص بالفداء «وبدون سـفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩: ٢٢) فيرتفع عن كاهله ثقل الإحساس بالذنب، ويعتبر اليوم الذي يلتقي فيه بالرب خير من ألف.

وفي بيـت الرب يـفرح بتقديم خدمة لإلهه مهما كانت متواضعة، ولو كانت خدمة بوّاب، فإن الوقوف على العتبة كبوّاب في بيـت الرب خيـر من السـكن والضيافة في خيام الأشرار، حيث تُمارس الرذائل. وكاتب هذا المزمور هو أحد أولاد قورح الذين اشتغلوا حرّاسـاً لبيت الرب، كما يـقول الوحي: «القورحيـون على عمل الخدمة حرّاس أبواب الخيـمة، وآباؤهم على محلّة الرب حراس المدخل» (١أخ ٩: ١٩).

٤ - **لأنه إله الخير**: «لأن الرب الله شمس ومجن. الرب يـعطي رحمة ومجداً. لا يمنع خيراً عـن السالكين بالكمال. يا ربَّ الجنود، طوبى للإنسان المتَّكل عليك» (آيتا ١١، ١٢). يصف المرنم الـرب بأنه «شمس» لأنه المعطي، فهو «شمس البر والشفاء في أجنحتها» (ملا ٤: ٢). والشمس تعطي النور، فالرب نوري (مز ٢٧: ١) وهي تطهر وتحرق الزغل «ويصير نور إسـرائيل ناراً وقدّوسـه لهيباً فيُحرِق» (إش ١٠: ١٧) وبنوره نرى نوراً (مز ٣٦: ٩). وهو يبهج النفوس فالنور «حلوٌ، وخيـرٌ للعينين أن تنظرا الشمس» (جا ١١: ٧). وهو يدفئ حياتنا بمحبته، ويعطينا الطاقة والـقوة، ويقيمنا من النوم ويبعث فينا الحياة لنتحرك ونعمل. ويصف الرب بأنه «مجن» لأنه يحمي المؤمن. (انظر آية ٩). وهو «يعطي رحمة ومجداً» ففي رحمته يمنع عنا ما نسـتحقه من عقاب، وفي مجده يعطينا ما لا نسـتحقه من بركة. إنه يرحمنا بمحبته، ويمجّدنا بقوته، فنقول له: «ولكني دائماً معك. أمسـكت بيـدي اليمنى. برأيك تهديني وبعدُ إلى مجد تأخذني» (مز ٧٣: ٢٣، ٢٤). صحيحٌ أنه يمجدنا بعد وصولنا للسـماء، ولكن عندما نهتدي برأيه نعيش حياة كلها مجد. وهو «لا

يـمنع خيراً عن السالكين بالكمال» والكمال عطية منه، ومع ذلك يضيف إليه الخير. «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو ٨: ٣٢).

وكردِّ فعلٍ طبيعي للصلاة التي يســتجيبها إله الخير يعتمد المؤمن عليه، ويتصرَّف مطمئناً في نور ما يــعرفه عنه، فهو رب الجنود (آية ١) الإله الحي (آية ٢) ملكي وإلهي (آية ٣) إله يعقوب (آية ٨) شمس ومجن (آية ١١)..

طوبى لمن يتكل عليه!

المزمور الخامس والثمانون

لإمام المغنين. لبني قورح. مزمور

١ رضيتَ يا ربُّ على أرضِك. أرجعتَ سبيَ يعقوبَ. ٢ غفرتَ إثمَ شعبك. سترتَ كلَّ خطيتِهم.
سلاه. ٣ حجَزْتَ كلَّ رجْزِك. رجعتَ عن حموِّ غضبك. ٤ أرجِعْنا يا إلهَ خلاصنا، وانْفِ غضبَك عنّا.
٥ هل إلى الدَّهرِ تسْخَطُ علينا؟ هل تطيلُ غضبَك إلى دور فدور؟ ٦ ألا تعودُ أنت فتحيينا فيفرحَ
بك شعبُك. ٧ أرنا يا ربُّ رحمتَك وأعطِنا خلاصك.

٨ إني أسمعُ ما يتكلمُ به اللهُ الربُّ، لأنه يتكلمُ بالسلامِ لشعبِه ولأتقيائِه فلا يرجِعُنَّ إلى
الحماقة. ٩ لأنَّ خلاصَه قريبٌ من خائفيه، ليسكنَ المجدُ في أرضِنا. ١٠ الرحمةُ والحقُّ التقيا.
البرُّ والسلامُ تلاثما. ١١ الحقُّ من الأرضِ ينبُتُ، والبرُّ من السماءِ يطَّلعُ. ١٢ أيضاً الربُّ يعطي
الخيرَ، وأرضُنا تعطي غلَّتها. ١٣ البرُّ قدّامه يسلكُ ويطأُ في طريقِ خطَواته.

الرحمة والحق التقيا

يبدأ المرنم المزمور بالشكر لله لأنه استجاب الصلاة وأرجع شعبه من سبي بابل، أيام نحميا، وأيام النبي زكريا. وكان أحد الملائكة قد تساءل: «يا ربَّ الجنود، إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبتَ عليها هذه السبعين سنة؟» فأجاب الرب الملاك بكلام طيب وكلام تعزية. فقال الملاك للنبي زكريا: «هكذا قال رب الجنود: غرتُ على أورشليم وعلى صهيون غيرةً عظيمة» (زك ١: ١٢-١٤).

لقد صلى بنو إسرائيل في سبيهم تائبين طالبين الإنقاذ، فسمع الرب لهم وردَّ سبيهم، فكان رجوعهم برهاناً على أنه غفر إثمهم وستر خطاياهم، كما قال على لسان النبي إرميا: «أردُّ سبي يهوذا وسبي إسرائيل وأبنيهم كالأول، وأطهّرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليَّ، وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ والتي عصوا بها عليَّ. فتكون لي اسم فرح للتسبيح وللزينة لدى كل أمم الأرض الذين يسمعون بكل الخير الذي أصنعه معهم، فيخافون ويرتعدون من أجل كل الخير ومن أجل كل السلام الذي أصنعه لها» (إر ٣٣: ٧-٩). لكن عندما رجعوا اكتشفوا أن أسوار أورشليم مهدومة، وأن الهيكل لم يُبنَ، وأن الراجعين عددٌ قليل، وكلهم من البسطاء الفقراء، فتحوّل شكرهم إلى شكوى، لأن الحالة الأليمة التي رأوها أعلنت لهم أن الله لا زال غاضباً عليهم. ولعلهم تساءلوا: متى يحقق لنا الله ما جاء في نبوات إشعياء أصحاحات ٤٠-٦٦ عن بركاته للعائدين من السبي؟ إنها تبدأ بالقول: «عزّوا عزوا شعبي يقول إلهكم. طيّبوا قلب أورشليم، ونادوها بأن جهادها

قد كمُل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يـــد الرب ضعفين عن كل خطاياها» (إش ٤٠: ١، ٢). يـبدأ المزمور بترنيـم من الشعب (آيات ١-٧) يطلبون فيه قوة الله لهم لينتعشوا ويفرحوا، فيردُ عليـهم الكاهن (آيـات ٨-١٣) بأنه قد جاءته إجابةٌ من الله يـؤكد فيها السـلام لشعبه ولأتقيائه فلا يـرجعون إلـى الحماقة، وبهذا التقت رحمةُ الله مع حقِّه، وتعانق البر والسـلام وتلاثما (آيـة ١٠). وواضـحٌ أن هذا لا يتحقق إلا في الصليب الذي فيه التقت عدالة الله برحمته، وتلاثم البر الذي يطالب بالعدالة مع السـلام الذي يمنح الغفران، فعدالة الله لا تتصالح مع رحمته إلا بالصليب الذي فيه يأخذ العدل حقه وتتبرهن لنا الرحمة السماوية والنعمة الإلهية.

هذا المزمور نبوَّة عن المسيا الآتي، ليحقق الوعود المباركة:

في المسـيا نجد السلام، كما رتَّـلت الملائكة يوم مولده: «المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السـلام وبالناس المسرة» (لو ٢: ١٤).. وبه ننال الخلاص، كما قال عنه سمعان الشيخ: «لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددْته قدام وجه جميـع الشعوب» (لو ٢: ٣٠، ٣١).. وبه يسـكن المجد أرضنا، لأنه: «نورُ إعلانٍ للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو ٢: ٣٢).. وفيه يلتقي العدل والرحمة: «أما النعمة والحق فبيسـوع المسيح صارا» (يو ١: ١٧) كما أن «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسـه، غيـر حاسـب لهم خطاياهم» (٢كو ٥: ١٩)، فأمكن للمصالَحين مع الله أن يقولوا: «فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥: ١).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – مراحم سابقة (آيات ١-٣)

ثانياً – طلب مراحم جديدة (آيات ٤-٧)

ثالثاً – صوت سماوي (آيتا ٨، ٩)

رابعاً – انتظار واثق (آيات ١٠-١٣)

أولاً - مراحم سابقة
(آيات ١-٣)

يذكر المرنم ثلاث بركات أعطاها الله لشعبه:

١ – **الرجوع من السبي**: «رضيـتَ يا رب على أرضك. أرجعْتَ سـبي يعقوب» (آية ١). عندما غـضب الله على شعبه سمح بأن يؤخذوا سبايا، وقيل فيهم: «الرب لم يقبلهم. الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم.. حين يصومون لا أسـمع صراخهم، وحين يُصعدون محرقةً وتقدمةً لا أقبلهم، بل بالسيف

والجوع والوبأ أنا أفنيهم» (إر ١٤: ١٠، ١٢). وعندما رضي عليهم بعد مضي سبعين سنة رفع عنهم غضبه وأرجعهم إلى أرضهم.. وهناك سبيٌ أسوأ من سبي بابل، هو سبي الشيطان للخطاة واستعباده لهم.

ولكن عندما يرجع الخاطئ لله تائباً، قارعاً على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو١٨: ١٣) يغفر الله له ويحرره من ذل الخطية وأسر العادات الشريرة، ويمنحه الحياة ذات المعنى. فإن رجعت إلى الله تائباً ينقلك من عبودية الشيطان وسلطان الظلمة إلى الحرية المجيدة (كو ١: ١٣).

٢ - **نوال الغفران**: «غفرتَ إثم شعبك. سترتَ كل خطيتهم» (آية ٢). الإثم هو العوج والفساد الأخلاقي، والخطية هي عدم إصابة الهدف. وقد غفر الله لشعبه عوجه وفساده، ولم يعُد يحسبه ضدَّهم، وستر كل خطيتهم فلم تعُد ظاهرة ولا محسوبة عليهم. لقد منحهم ما لم يكونوا قادرين على عمله لأنفسهم، فغفر ذنوبهم وكفَّر عن خطاياهم. «مَن هو إلهٌ مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسرُّ بالرأفة» (مي ٧: ١٨). وما فعله مع بني إسرائيل التائبين يفعله معنا نحن اليوم، فيدعونا: «ليترُك الشرير طريقه، ورجل الإثم أفكاره، وليتُب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثِرُ الغفران» (إش ٥٥: ٧)، ويحقِّق لنا قوله: «وأُطهِّرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليّ. وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ والتي عصوا بها عليَّ» (إر ٣٣: ٨). فلنأتِ إليه تائبين معترفين، لأنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩).

٣ - **رفع الغضب**: «حجزتَ كل رجزك. رجعتَ عن حموِّ غضبك» (آية ٣). الرِّجز هو الغضب الشديد، ورأى المرنم في السبي البابلي رجزاً من الله وغضباً متَّقداً، كما رأى في الرجوع من السبي رفعاً للغضب الإلهي. «قد محوتُ كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأني فديتك» (إش ٤٤: ٢٢). فلنذكر مراحم الله ولنتواضع أمامه، فهو المعطي بسخاء ولا يعيِّر (يع ١: ٥)، والغافر الماحي الذنوب ولا يعود يذكرها (إش ٤٣: ٢٥)، والمبارك الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات (أف ١: ٣)، ولنقدِّم له الشكر القلبي، ولنضع ثقتنا فيه، ولنرفع دوماً صلواتنا إليه قائلين: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك، الذي يفدي من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة، الذي يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣: ١-٥).

ثانياً - طلب مراحم جديدة
(آيات ٤-٧)

في الآيات الثلاث الأولى رفع المرنم شكره على فضل الله وإحسانه، لأنه أرجع كثيرين من السبي،

ولو أن البعض كان لا يـزال باقيـاً فيه باختياره. فطلب من الله أن يكمل الأمور الناقصة، كما قال المرنم: «عندما ردّ الرب سـبي صهيون صرنا مثل الحالمين. حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنماً..» (مز ١٢٦: ١، ٢). ثم قال: «اردُد يا رب سبينا مثل السواقي في الجنوب» (آية ٤). فعندما ردّ الرب سـبيهم صاروا كأنهم يحلمون، ولكنهم ذكروا بقية إخوتهم في السبي، فرفعوا الطلبة لأجلهم. إنهم كالخاطئ المستعبَد للخطيـة، ولا يـرى طريقاً للنجاة منها. وعندما يخلّصه الرب منها بالتوبة ويـنصره عليها بالتقديس، يهتف مهللاً: «الفخّ انكسـر ونحن انفلتنا» (مز ١٢٤: ٧). ولكنه بعد ذلك يـكتشف في نفسـه عيـوباً ونقائص، فيطلب من الله أن يكمل خلاصه بمزيد من التقديس والخضوع للروح القدس. فلنطلب من الرب المزيد من البركة، فيعطينا بحسب غناه وسخائه.

١ - **لا زال رجوعهم ناقصاً، عدداً ونوعاً:** «أرجِعنا يـا إله خلاصنا» (آية ٤ أ). كان عدد الراجعين من السـبي قليلاً، وبقي كثيرون في بلاد السبي طمعاً في الربح المادي، وهروباً من مشقّة السفر إلى مسـقط رؤوسـهم. وبعض الذين رجعوا واجهوا متاعب ومشاكل، فحنّت نفوسهم للرجوع إلى أرض السـبي، فكان رجوعهم بالجسد فقط وليس بالقلب، فرفع المرنم صلاته لأجلهم ليكون رجوعهم للرب المخلّص رجوعاً بالجسد والقلب والنفس معاً.

ونحتاج اليوم أن نرفع نفس هذه الصلاة بمعنى روحي، فهناك كثيرون بعيدون عن الرب، يعيشون أسـرى إبليس، يجب أن نصلي لأجلهم ليُرجعهم الرب إليه بالتوبة. وهناك كثيرون يتوبون ويرجعون إلى الرب، ولكنهم يـحتاجون إلى قوة روحيـة وعزم صادق للحيـاة معه، والتعمّق أكثر في محبته، والاجتهاد أكثر في طاعته. لأجل هؤلاء نصلي مع المرنم: «أرجِعنا يا إله خلاصنا».

٢ - **لا زال الله غاضباً عليهم:** «وانفِ غضبك عنا. هل إلى الدهر تسـخط علينا؟ هل تطيل غضبك إلى دور فدور؟» (آيـتا ٤ب، ٥). أغضب الشعب إلههم وأغاظوه بخطايـاهم، فغضب عليهم واغتاظ منهم، كما قال عن عبَدة الأوثان منهم: «لسـكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيظوني. أفإيّاي يغيظون، يقول الرب؟ أليس أنفسـهم؟ .. ها غضبي وغيظي ينسـكبان على هذا الموضع، على الناس، وعلى البهائم، وعلى شجر الحقل، وعلى ثمر الأرض، فيـتّقدان ولا يـنطفئان» (إر ٧: ١٨-٢٠). والمرنم يـطلب من الله أن يوقف غضبه عليهم وأن يضع له حداً، وكأنه يقول: «يا رب، لا توبّخني بغضبك، ولا تؤدبني بغيظك» (مز ٦: ١).

٣ - **لا زالوا محتاجين إلى انتعاش:** «ألا تعود أنت فتحيـيـنا فيـفرح بك شعبك؟» (آية ٦). طلب المرنم من الله انتعاشاً روحياً ونهضة حقيقية، تُنهض الأفراد، وتُحيي جماعة العابدين. «يعود يرحمنا، يـدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميعُ خطاياهم» (مي ٧: ١٩). قال النبي هوشع: «هلمّ نرجع

إلى الرب، لأنه هو افترس فيــــشفينا، ضرب فيجبرنا. يُحيينا بعد يومين. في اليوم الثالث يُقيمنا فنحيا أمـــامه» (هو ٦: ١، ٢). وصلى النبي حبقوق: «يا رب، عملك في وسط السنين أحيِهِ» (حب ٣: ٢). وهم يحتاجون إلى اختبارٍ شبيه باختبار النبي حزقيال «فقال لي: يا ابن آدم، أتحيا هذه العظام؟ فقلتُ: يا ســـيد الرب أنت تعلم. فقال لي: تنبأ على هذه العظام وقُل لها: أيتها العظام اليابســـة اسمعي كلمة الرب. هكذا قال السيد الرب لهذه العظام: هأنذا أُدخِلُ فيكم روحاً فتحيون» (حز ٣٧: ٣-٥).

٤ - **لا زالوا محتاجين إلى الرحمة والخلاص**: «أرِنا يـــا رب رحمتك وأعطِنا خلاصك» (آية ٧). لقد رأوا غضبه، والآن يطلبون رؤية رحمته. «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ» (مز ٥١: ١). والــــخلاص الأول والأهم هو من أجرة الخطيـــة ومن ســـلطانها الشريـــر، وخلاصنا منها هو من عمل رحمة الله وحدها، لأنها تغفرها لنا وتكفِّر عنها. ولا يـــمكن أن يـــحصل الـــمرنم على استجابة صلاته والنجاة من ضيقاته إلا برحمة من عند الله، فيصلي: «في الغضب اذكر الرحمة» (حب ٣: ٢).

ثالثاً - صوت سماوي
(آيتا ٨ ، ٩)

بعد أن طلب المرنم لنفســـه ولشعبه الخلاص انتظر الإجابة من الرب، فجاءته في هاتيـــن الآيتين، فهتف بفرح. هاتان الآيتان إذاً اســـتجابة الله لدعاء شعبه، كما قال النبي حبقوق: «على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يـــقول لي، وماذا أُجيبُ عن شكواي. فأجابني الرب وقال: اكتُب الرؤيـــا وانقُـــشها على الألواح لكي يركض قارئها، لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر» (حب ٢: ١-٣) وكما قال المرنم: «مرةً واحدة تكلم الرب، وهاتين الاثنتين سمعتُ، أن العزة لله. ولك يا رب الرحمة، لأنك أنت تجازي الإنسان كعمله» (مز ٦٢: ١١، ١٢). وفي هاتين الآيتين يقول الرب لشعبه أمرين:

١ - **الرب يكلم شعبه بالسلام**: «إني أسمع ما يتكلم به الله الرب، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه فلا يـــرجِعُنَّ إلى الحماقة» (آية ٨). «لا ســـلام، قال الرب، للأشرار» (إش ٤٨: ٢٢). ولكن عندما يتوب الشرير يمنحه الله الســـلام معه، ومع نفســـه، ومع جيرانه. وتجيء إجابة الله على لسان متكلم يـــقول بصيغة المفرد: «إني أسمع». ولعل كاهناً رنَّم بصوت منفرد معلناً إجابة السؤال، فقال إن ربَّ الســـماء والأرض يتكلم برسالة سلام لشعبه ولأتقيائه الذين يحبونه ويوقِّرونه ويخشونه، وقد قال لهم: «لأني عرفتُ الأفكار التي أنا مفتكرٌ بها عنكم يـــقول الرب، أفكار ســـلام لا شرٍّ، لأعطيـــكم آخرةً ورجـــاء، فتدعونني وتذهبون، وتصلُّون إليَّ فأسمعُ لكم، وتطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم»

(إر ٢٩: ١١-١٣). وقال: «يتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض» (زك ٩: ١٠). ولا بد أن يعود هذا السلام بالخير للشعب، فلا يرجعون مرةً أخرى إلى حماقة الخطية، والاعتماد على الذات. وعندما نتساءل: «ألا تعود أنت فتحيينا؟» (آية ٦) يطمئننا ويعدُنا بالسلام قائلاً: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب» (يو ١٤: ٢٧). فعندما نشكو من ضعف المؤمنين ومن انتشار الشر، يقول الرب لنا: «حيث كثُرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رو ٥: ٢٠) فيعمِّر الأمل قلوبنا ولا نيأس، لأن الرب عاملٌ في وسط شعبه، ونقول: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥: ١).

٣ - **الرب يخلِّص شعبه ويمجِّده:** «لأن خلاصه قريب من خائفيه ليسكن المجد في أرضنا» (آية ٩). عندما يتكلم الرب على شعبه بالسلام يقترب إليهم ويخلِّصهم وينقذهم من الذل والخطر، وبهذا يستجيب صلاتهم «أرنا يا رب رحمتك وأعطنا خلاصك» (آية ٧) فيسكن المجد أرضهم بعد أن أضاعه منهم ذلُّ السبي البابلي. عندما أخذ الأعداء تابوت عهد الرب مات رئيس الكهنة عالي حزناً، ومن شدة الصدمة ماتت أيضاً زوجة ابنه فينحاس وهي تلد. وفي لحظات احتضارها سمَّت ولدها «ايخابود» أي زال المجد. لكن خلاص الرب يُعيد المجد للمؤمنين الذين يخافونه، فيتحقَّق معهم القول: «غطَّت السحابة خيمة الاجتماع، وملأ بهاءُ الرب المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلَّت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن» (خر ٤٠: ٣٤، ٣٥). وهذا ما دُعي «الشكينا» أي حلول الله بمجده في هيكله وسط شعبه. وهو نفس ما حدث عندما دُشِّن هيكل سليمان، فملأ مجد الله المكان (٢أخ ٧: ١-٣). وعندما يتحقَّق هذا الوعد نتغنَّى: «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم ويكونون لي شعباً، فأسكن في وسطك، فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك» (زك ٢: ١٠، ١١).

أما المجد الكامل للرب فنجده في المسيح «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمةً فوق نعمة . لأن الناموس بموسى أُعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١، ١٤، ١٦، ١٧). فالمسيح هو «صورة الله غير المنظور.. لأنه فيه سُرَّ أن يحِلَّ كلُّ الملء.. الذي هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته» (كو ١: ١٥، ١٩ وعب ١: ٣).

رابعاً - انتظار واثق
(آيات ١٠-١٣)

تذكر شعب الرب مراحمه الماضيــة، وطلبوا منه مراحم جديـــدة، فأرســل إليهم صوته المشجّع برسالة سلام. وكنتيجة لهذا السلام انتظر الشعب ثلاثة أمور:

١ - **المصالحة مع الله**: «الرحمة والحق التقيا. البر والســلام تلاثما» (آية ١٠). الرب إله رحيم، وفــي رحمته العظيمة دخل في عهدٍ مع محبّيه، وقد صدقت وعود رحمته دائماً. وفي الوقت نفسه هو إله بار وعادل، قال عن نفســه: «أنا الربُ ولا إله غيري. إله بارٌ ومخلِّص. ليس سواي. التفتوا إليّ واخلصوا يــا جميـــع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليس آخر» (إش ٤٥: ٢١، ٢٢). فكيف يخلِّص الـــخاطئ العاصي وهو الإله البار؟ كيف يكون رحيماً وعادلاً معاً؟ وكيف يمارس رحمته مع الخاطئ فيقول له: «مغفورة لك خطاياك» (مر ٢: ٥) وفي الوقت نفســـه ينفذ عدالته «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣)؟.. إن رحمه وسامحه يكون هذا على حساب عدالته. وإن عاقبه لا يكون رحيماً معه. فكيف يلتقي الحق بالرحمة، وكيف يعانق البرُّ العادلُ الســلامَ الغافر؟ لا بد أن المرنم كتب هذه الآية بوحي الروح القدس، وقد أدرك بعض معناها في الذبائح الكفارية التي أمرت بها شريعة موسى، وكلها كانت ترمز إلى ما ندركه نحن اليـــوم إدراكاً كاملاً بعد أن جاءنا المســيح الذبح العظيم بالفداء والكفارة، ففي صليــب المســيح اســتوفى العدل الإلهي حقّه، وفيه أُعلنت رحمته بكامل جلالها. وقد لـخّص المسيح رسالته بقوله: «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحيــاة الأبديــة» (يــو ٣: ١٦). مدّ الرب لنا يد محبته في الصليب، فانشقّ حجاب الهيكل من أعلى إلى أســفل، لكيلا يكون هناك حاجز بين الله العادل والإنســـان الخاطئ اللاجئ إلى رحمته المخلِّصة (مت ٢٧: ٥١). وكانت البدايــة والمبادرة من فوق إلى أســفل، من عند الله «الذي صالحنا لنفســه بيســـوع المسيح.. أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خـطاياهم» (٢كو ٥: ١٨، ١٩). «الرحمة والحق التقيا» في الصليب، حيث دفع المسيح أجرة الخطية وصالحنا مع الله. وتلاثم البر الذي هو العدل مع الســلام، لأن عدالة الله أخذت حقها من المســيـــح، فأُطلق الخاطئ التائب المعترف حراً، لأن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين!

٢ - **بركة الله**: (آيتا ١١، ١٢).

(أ) **صنع الـبر**: «الحق من الأرض ينبت» (آية ١١أ) لعن الله الأرض بســبب الخطية، وقال لآدم بعد أن عصاه: «ملعونةٌ الأرض بســببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تُنبت لك، وتأكل عشب الــــحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذتَ منها، لأنك ترابٌ

وإلى تراب تعود» (تك ٣: ١٧-١٩) فخرج الحق من الأرض. ولكن عندما يسود سلام الله قلوبنا نبدأ حياة الحق، ونسلك سلوك البر، لأن إيماننا يظهر في أعمالنا الصالحة، التي سبق الربُّ فأعدَّها لنا لنسلك فيها (أف ٢: ١٠). فيتمّ فينا القول: «ترنّمي أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنّماً. الوعرُ وكل شجرة فيه، لأن الرب قد فدى يعقوب، وفي إسرائيل تمجّد» (إش ٤٤: ٢٣).

(ب) **بركة السماء**: «لأن البر من السماء يطّلع» (آية ١١ب). عندما يسود سلام الله قلوب المؤمنين يتطلّع برُّ الله إليهم من السماء كما تشرق الشمس، فينمو البر ويزيد ويزدهر في قلوب الناس، ويسود التوافق بين الناس والله، فيقول لهم: «في ذلك اليوم.. أستجيب السماوات وهي تستجيب الأرض. والأرض تستجيب القمح والمسطار والزيت» (هو ٢: ٢١، ٢٢) ويأمر الرب: «اقطِري أيتها السماوات من فوق، ولْيُنزل الجوُّ براً. لتنفتح الأرض فيثمر الخلاص. ولتُنبتْ براً معاً. أنا الرب قد خلقتُه» (إش ٤٥: ٨).

(ج) **بركة الأرض**: «أيضاً الرب يعطي الخير، وأرضنا تعطي غلتها» (آية ١٢). عندما يسود البر والحق يجيء النجاح الاقتصادي «يفتح لك الربُّ كنزه الصالح، السماء، ليُعطيَ مطر أرضك في حينه، وليبارك كل عمل يدك، فتُقرِضُ أمماً كثيرة وأنت لا تقترض، ويجعلك الرب رأساً لا ذَنَباً، وتكون في الارتفاع فقط» (تث ٢٨: ١٢، ١٣). ويتحقّق الوعد: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه. اتّقوا الرب يا قدّيسيه لأنه ليس عوزٌ لمتّقيه» (مز ٣٤: ٨، ٩). لقد منحنا الله السلام في المسيح، وصالحنا به «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو ٨: ٣٢). فإن كان قد وهبنا البركة الروحية التي هي أثمن من البركة الجسدية، ألا يعطينا البركة الجسدية! «انظروا إلى طيور السماء.. تأملوا زنابق الحقل» (مت ٦: ٢٦-٣٢) كيف يعتني الرب بها «أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة» (مت ١٠: ٣٠). حقاً «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني.. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقيَّ. مسحتَ بالدهن رأسي، كأسي ريا» (مز ٢٣: ١-٥).

٣ - **قيادة الله**: «البر قدامه يسلك، ويطأ في طريق خطواته» (آية ١٣). يقود الله أولاده دائماً في طرق البر، ويجعل عدله يسلك أمامهم، فيسلكون في آثار خطواته «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤). «حينئذ ينفجر مثل الصبح نورُك، وتنبت صحتك سريعاً، ويسير برُّك أمامك، ومجد الرب يجمع ساقتك» (إش ٥٨: ٨). والساقة هم الذين يسيرون في المؤخّرة، فالرب يرشد أول السائرين، كما يرشد آخرهم، ويفتح أمامهم جميعاً طرق البر، فيسير البر أمامهم، ويسير المؤمنون إلى الأمام أيضاً في طرقه، وهم يقولون: «يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (مز ٢٣: ٣).

فلنرنم هذا المزمور بالشكر، ولندعُ إله خلاصنا أن يتكلم بالسلام علينا، فيسكن مجده في أرضنا.

المزمور السادس والثمانون

صلاةٌ لداود

١ أمِلْ يا ربُّ أذنك. استجب لي، لأني مسكينٌ وبائسٌ أنا. ٢ إحفظْ نفسي لأني تقيٌّ. يا
إلهي، خلِّصْ أنت عبدَك المتَّكلَ عليك. ٣ ارحمني يا ربُّ لأنني إليك أصرخُ اليومَ كلَّه. ٤ فرِّحْ
نفسَ عبدِك لأنني إليك يا ربُّ أرفعُ نفسي. ٥ لأنك أنت يا ربُّ صالحٌ وغفورٌ وكثيرُ الرحمةِ لكلِّ
الداعين إليك.

٦ إصغَ يا ربُّ إلى صلاتي وأنصت إلى صوتِ تضرُّعاتي. ٧ في يوم ضيقي أدعوك لأنك
تستجيبُ لي. ٨ لا مِثْلَ لك بين الآلهةِ يا ربُّ، ولا مثلَ أعمالِك. ٩ كلُّ الأممِ الذين صنعتَهم يأتون
ويسجدون أمامَك يا ربُّ ويمجِّدون اسمَك، ١٠ لأنك عظيمٌ أنت، وصانعٌ عجائب. أنت اللهُ
وحدَك.

١١ علِّمني يا ربُّ طريقَك أسلكْ في حقِّك. وحِّدْ قلبي لخوفِ اسمِك. ١٢ أحمدُك يا ربُّ
إلهي مِن كلِّ قلبي، وأمجِّدُ اسمَك إلى الدهرِ، ١٣ لأنَّ رحمتَك عظيمةٌ نحوي، وقد نجَّيتَ نفسي
من الهاويةِ السُّفلى.

١٤ اللهمَّ، المتكبِّرون قد قاموا عليَّ، وجماعةُ العتاةِ طلبوا نفسي، ولم يجعلوك أمامَهم. ١٥ أما
أنت يا ربُّ فإلهٌ رحيمٌ ورؤوفٌ، طويلُ الروح وكثيرُ الرحمةِ والحقِّ. ١٦ التفِتْ إليَّ وارحمْني.
أعطِ عبدَك قوَّتك وخلِّصْ ابنَ أمَتِك. ١٧ اصنعْ معي آيةً للخير، فيرى ذلك مبغضيَّ فيَخزوا، لأنك
أنت يا ربُّ أعنتني وعزَّيتني.

وحِّد قلبي لخوف اسمك

هذا المزمور هو الوحيد في الجزء الثالث من المزامير (مز ٧٣-٨٩) الذي كتبه داود، وعنوانه «صلاة لداود». وتشترك كل مزامير داود في أنها تتحدَّث عن عدوٍّ يهاجم، ومصاعب تزعج، ولكنها تنتهي دوما بالانتصار بفضل الرب. وفي أثنائها يرى المرنمُ العدوَّ بوضوح، ولكنه يرى الله أكثر وضوحاً.

يتميز هذا المزمور بعدة أمور، فهو صلاة تبدأ بالشكر وتنتهي بالشكر، رغم أنه لا يقول إن الأزمة انتهت أو حتى تكاد تنتهي، مما يعني أن المرنم يرى مَن لا يُرى وما لا يُرى. إنه يرى الشمس خلف الغيمة، ويدرك أنه بعد ظلمة الليل الشديدة لا بد أن يجيء الفجر، ثم تُشرق شمس صباح اليوم الجديد.

في حياة كل مؤمن حقيقي بالمسيح صليبٌ، لا ينتهي الأمر به، لأن القيامة والصعود والمجد ومجيء المسيح ثانية تجيء بعد ذلك الصليب، فيتعبَّد المؤمن إلى الرب الذي يصفه أليهو (صديق أيوب) بأنه «مؤتي الأغاني في الليل» (أي ٣٥: ١٠)، ويقول: «عند المساء يبيت البكاء، وفي

الـــصباح ترنُّم» (مز ٣٠: ٥)، ومرنمنا لم يـــر بعدُ شمس الصباح، لكنه واثق أنها لا بد ســـتشرق، فالانتصـار النهائي دوماً للمسيح، ولكل من يتبعه.

ويتميَّز هذا المزمور أنه (في لغته العبرية الأصلية) يذكر اســم الجلالة «أدوناي» ســـبع مرات، بـــمعنى أنه السيد والرب، الذي يتعبَّد له المرنم ويحيا في خدمته، وبالتالي يعيش تحت حمايته وبفضل إرشـاده. وهو في هذا يسير في خُطى والدته، ويقول: «خلِّص ابن أمتك» (آية ١٦) كما قالت العذراء القديســـة مريم للملاك: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك» (لو ١: ٣٨). وقد كرر داود الوصف نفسه في مز ١١٦: ١٦ إذ قال: «أنا عبدك ابن أمتك». وسيادة الله تعني أن يده القوية الكريمة تمسك بالعدو الشريـــر الذي يطارد داود، وتجعله يحقق المقاصد الإلهية دون أن يدري. ويحيا كل مؤمن في حماية الرب مثل عليقةٍ تتوقَّد بالنار لكنها لا تحترق (خر ٣: ٢)، فيتقدم روحياً بالرغم من الصعوبات التي تعترضه، بل إنها تجعله أكثر قوة. تقول أسطورة إن الطيور أول ما خلقها الله اشتكت له من ثقل جناحيها، لأنها لم تكن تعلم أن هذا «الثقل» هو الذي ســـيجعلها تحلِّق عالياً. إن رفع الأثقال هو الذي يـقوّي العضلات. وعندما يسمح الله لنا أن نحمل حملاً ثقيلاً يعطينا القوة التي تمكننا من حمله، وتبقى هذه القوة معنا بعد زواله، فيتلاشى الحمل وتبقى النعمة، لأن الرب لا يسترد نعمته الموهوبة. فطوبى للمؤمنين الذين يدركون أنهم عبيد السيد الرب، وأن الكون كله في يده يحقق مقاصده.

ويتفرَّد هذا المزمور أيضاً بطلبة «وحِّد قلبي لخوف اســـمك» (آية ١١ب). فما أكثر ما تتنازعنا هموم العالم وغرور الغنى واشتهاء الماديات، فنتشـــتَّت. فلنرفع صلاة المرنم هذه، عالمين أن «شهوة الصديقين تُمنَح» (أم ١٠: ٢٤) وهي شهوة عمل مشيئة الرب، والحياة في طاعته وخدمته.

ويـــتميـّـز هذا المزمور أيـــضاً بالقول: «كل الأمم الذين صنعتَهم يأتون ويســـجدون أمامك يا رب، ويمجِّدون اســـمك» (آية ٩) فيرفع أبصارنا إلى مجيء المسيح ثانية الذي يجب أن نستعد له، لا لأن الأحداث الســـيـــاســـيـــة تذكِّرنا به، لكن لأن مخلِّصنا أكَّده لنا (مت ٢٤ مثلاً). فلنكن دائماً منتظرين وطالبين ســـرعة مجيئه، فتراه كل عين والذين طعنوه، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض (رؤ ١: ٧) فتفيض دموع المؤمنين فرحاً لاستقباله ويخضعون له، وتنهمر دموع الذين ابتعدوا عنه رعبا من سوء المصير.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – طلب الغفران (آيات ١–٥)

ثانياً – طلب النجاة (آيات ٦–١٠)

ثالثاً – طلب التكريس (آيات ١١–١٣)

رابعاً – طلب آية (آيات ١٤–١٧)

أولاً - طلب الغفران
(آيات ١-٥)

في هذا الجزء من المزمور يطلب المرنم الغفران من الله الغفور وكثير الرحمة، للأسباب التالية:

١ - **بسبب بؤس المرنم**: «أمِل يا ربُّ أذنك. استجب لي، لأني مسكينٌ وبائس أنا» (آية ١). يشعر المرنم بصغر النفس وقِلَّة القيمة أمام عظمة الرب وارتفاعه، كما صرخ إشعياء وهو يرى عظمة الله: «ويلٌ لي. إني هلكت، لأني إنسانٌ نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود» (إش ٦: ٥)، وكما صرخ بطرس وهو يختبر معجزة صيد السمك الوفير، فقال للمسيح: «اخرُج من سفينتي يا رب، لأني رجلٌ خاطئ» (لو ٥: ٨). إنه «مسكين بالروح» (مت ٥: ٣) يشعر ببؤسه، ويدرك أن الله العليَّ العظيم محب قريب، فيطلب منه أن يميل أذنه إليه، وأن يدنو منه وينحني عليه ليسمع طلباته. وكأنه يقول مع جدِّه يعقوب: «صغيرٌ أنا عن جميع ألطاف وجميع الأمانة التي صنعتَ إلى عبدك» (تك ٣٢: ١٠). إنه يدرك حجمه وقدراته المحدودة، كطفل صغير يقف إلى جوار أمه، يصرخ بكل ما فيه من قوة، فتحنو الأم عليه، وتنحني حتى تصل إلى مستوى قامته، وتميل أذنها إليه، وتسمع شكواه، وتهتم به، وتطعمه، وتطمئنه. والمرنم يعلم أنه مسكين وبائس، لا نفوذ عنده ولا مال ولا علم، ولكنه يلجأ إلى الله المحب، عالماً أنه لا بد سيستجيبه ويغفر خطاياه.

٢ - **بسبب تقوى المرنم**: «احفظ نفسي لأني تقي. يا إلهي خلِّص أنت عبدك المتَّكل عليك» (آية ٢). هناك علاقة قوية بين المرنم وإلهه، فهو «تقي» وهو «عبد» وهو «متَّكل» وهو واثق أن الله يحبه. وفي تقواه، واستعباد نفسه لله، واعتماده على محبة الله وأمانته وصدق مواعيده، يطلب منه أن يحفظ نفسه من التجارب وأعداء الصلاح، لأنه «حافظٌ نفوس أتقيائه» (مز ٩٧: ١٠) وكأنه يصلي: «لا تُدخِلنا في تجربة، لكن نجِّنا من الشرير» (مت ٦: ١٣). وهذا ما فعله المسيح لبطرس، فقال له: «الشيطان قد طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكنني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣١). ولما كان كل مؤمن مستهدفاً من العدو، فيطلب الحفظ والخلاص الإلهيين، من الخطايا الماضية بالغفران (لو ٧: ٤٨، ٥٠) ومن خطايا الحاضر بالتقديس والتطهير (في ٢: ١٢، ١٣) كما ينتظر منه مستقبلاً أن يكمل خلاصه بتمجيده في السماء (١بط ١: ٥). وخلاص الرب يشمل كل نواحي الحياة، فهو يخلِّص من هجوم الأعداء (مز ٢٧: ١-٣)، ومن المرض (لو ٨: ٣٦)، ومن الجوع (مز ٣٦: ٦)، ومن كل ضيق (مز ٣٤: ٦). وقول المرنم: «خلِّص أنت» يعني ثقته أنه لا خلاص له بعيداً عن إلهه، ففي الضيق يصلي المرء مع الملك حزقيا: «أيها الرب إلهنا، خلِّصنا من يده (العدوّ)،

فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك» (إش ٣٧: ٢٠) وفي خطايـــاه يســتمع المرء إلى نصيحة الرســول بطرس: «ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع ٤: ١٢).

٣ - *بسبب صراخ المرنم*: «ارحمني يا رب لأنني إليك أصرخ اليوم كله» (آية ٣). يصرخ المرنم اليـــوم كله لأنه يرى خطاياه، ويشعر بشديد حاجته إلى الغفران الإلهي. إنه في غاية الكرب والضيق لأنه يـعلم أن أعماله الصالحة وجهاده الشخصي وتعبُّده وبكاءه وندمه لن تمنحه الغفران. ويـــصف الرســـول بولس حالة الخاطئ بأنه ميــت في ذنوبه وخطايــاه، لأنه بعيد عن الله. ويوضح أن الأمل الوحيـــد للحصول على الغفران هو في «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبَّنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المســيح، وأقامنا معه، وأجلســنا معه في السماويات في المســيح يســـوع، ليُظهِر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيــمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أف ٢: ٤-٩).

٤ - *بسبب حزن المرنم*: «فرِّح نفس عبدك، لأنني إليك يا رب أرفع نفســي» (آية ٤). لا يوجد شيء يكســر قلب الإنسان أكثر من الخطية والبُعد عن الله والشعور بالذنب، فالخطية حِملٌ ثقيل، وهمٌّ مـرعب. ولا يقدر العالم أن يعطي أتباعه الفرح الحقيقي والدائم، فحتى أخباره التي تبدأ مفرحة تنتهي بـالحزن والألم. وقد اكتشف الملك داود هذه الحقيقة، فلجأ إلى الرب، المصدر الوحيد للفرح الحقيقي، ورفـع نفسه من بؤسها إليه وطلب الفرح، لأن فرح الرب هو قوته (نح ٨: ١٠). قال المرنم: «فإني فقير ومســكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي» (مز ١٠٩: ٢٢)، وقال النبي إرميا: «توجعني جدران قلبي. يئنُّ فيَّ قلبي» (إر ٤: ١٩). ولجأ المرنم، كما لجأ النبي إرميا إلى الرب رافع نفس الإنسان من حـفرة الحزن واليأس، فكان لهما ما أرادا. فلنردد مع الرسول بطرس قوله: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك» (يو ٦: ٦٨) لأنه قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريـــحكم» (مت ١١: ٢٨). وعندما نجيء إليه تائبين، طالبين فرح الغفران نقول: «أما أنا فمســكين وبائس. الرب يهتم بي. عوني ومنقذي أنت» (مز ٤٠: ١٧) ونطيع الوصية الرســولية: «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا» (في ٤: ٤).

٥ - *بسبب ثقة المرنم*: «لأنك أنت يا رب صالحٌ وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك» (آية ٥). يـطلب المرنم الغفران وهو واثق من نواله لأن الله صالح وغفور وكثير الرحمة، وقلبه متَّسع لكل من يـــدعوه. «الرب إلهٌ رحيم ورؤوف. بطيء الغضب وكثير الإحســان والوفاء. حافظ الإحســان إلى

ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية» (خر ٣٤: ٦، ٧). وبسبب هذه الصفات يدعونا: «ارجعوا إليَّ بكل قلـوبكم، وبالـــصوم والبكاء والنوح، ومزّقوا قلوبكم لا ثيــابكم، وارجعوا إلى الرب إلهكم، لأنه رؤوف رحيم، بطيء الغضب وكثير الرأفة» (يوئيل ٢: ١٢، ١٣).

ثانياً - طلب النجاة
(آيات ٦-١٠)

طلب المرنم الغفران من الإله الصالح الغفور كثير الرحمة، ووثق في الاســتجابة، فاتَّجه إليه مرة أخرى يـــطلب منه الفرج من ضيقاته. وكثيراً ما يحس الخاطئ بعدم أهليّته لطلب أي شيء من الله، لأنه يـــعلم أنه غير راضٍ عنه. لكن عندما يعلم أن الله قبله وغفر له يتقدم بثقة إلى عرش النعمة. في هذه الآيات الخمس يقدم المرنم طلب النجاة من الضيق (أيتا ٦، ٧)، ثم يمجد الله الذي سينجيه (آيات ٨-١٠).

١ - **تضرعات المرنم**: «اصغ يــا رب إلى صلاتي وانصت إلى صوت تضرعاتي. في يوم ضيقي أدعوك لأنك تســتجيــب لي» (أيتا ٦، ٧). كان المرنم يعلم أن ضيقه مؤقت، وليس كل يوم! فلم يقُل «ســنة ضيقي» ولا «عُمر ضيقي» لأن الرب لا يسمح للمؤمن أن يتضايق بلا نهاية، كما قال المسيح لملاك كنيســة ســميرنا: «يكون لكم ضيق عشرة أيام. كُن أميناً إلى الموت، فسأعطيك إكليل الحياة» (رؤ ٢: ١٠). وكما يوجد يوم ضيق، يوجد أيضاً يوم فرج وبركة، لأن الرب يستجيب صلاة المؤمن الــمتضايق، وقد أمره: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز ٥٠: ١٥). و«الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو ١٠: ١٣).

٢ -**إله المرنم**: (آيات ٨-١٠).

(أ) **هـو الأعظم**، «لا مثلَ لك بين الآلهة يا رب، ولا مثلَ أعمالك» (آية ٨). عبد فرعون أصناماً، وعبد موســـى الإله الحي، الذي لا يمكن مقارنة عظمته بآلهة الوثن، فالرب هو الله وليس آخر سواه (تث ٤: ٣٥). ترنَّم موســـى وشعبُه المفدي لهذا الإله الحي، صانع السماوات والأرض، الذي ينجي الداعي الذي يـــدعوه وهم يرون جيش فرعون يغرق، فقالوا: «مَن مثلُك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزاً في الــــقداســـة. صانعاً عجائب؟» (خر ١٥: ١١). وله قال موســـى وهو على مشارف أرض الميعاد: ««يا ســـيدُ الربُّ، أنت قد ابتدأت تُري عبدك عظمتك ويدك الشديدة. فإنه أيُّ إلهٍ في السماء وعـلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك؟» (تث ٣: ٢٤). هذا الإله عظيم في صفاته وأعماله، فعّال لما يريد «الذي نجانا من موتٍ مثلِ هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ١٠).

(ب) **يسجد له كل البشر:** «كل الأمم الذين صنعتَهم يأتون ويسجدون أمامك يا ربُّ، ويمجِّدون اسمك» (آية ٩). «صنع من دمٍ واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض، وحتم بالأوقات المعيَّنة وبحدود مسكنهم» (أع ١٧: ٢٦). فلا بد أن يجيء اليوم الذي فيه يسجدون جميعهم له، يمجدونه بشفاههم وبأعمالهم الصالحة. لم تتحقق هذه النبوَّة الكريمة بتمامها بعد، ولكن لا بد أن تتم. لقد تمت جزئياً في قول المسيح: «إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢) فآمن به بلايين البلايين بعد أن رُفع على الصليب. ولكن سيجيء الوقت الذي تتحقق فيه هذه النبوة بكمالها، عندما يجيء المسيح ثانيةً بمجده إلى أرضنا، فتجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن المسيح هو رب (في ٢: ١٠، ١١) «ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده، واسمه وحده» (زك ١٤: ٩). ويتحقق قول المرنم: «تتذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتسجد قدامك كل قبائل الأمم، لأن للرب المُلك، وهو المتسلط على الأمم» (مز ٢٢: ٢٧، ٢٨). كما تتحقق نبوة إرميا: «ولا يعلِّمون بعد كل واحد صاحبه، وكل واحد أخاه قائلين: اعرفوا الرب، لأنهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب» (إر ٣١: ٣٤). وهذا هو موضوع ترنيمة موسى والحمل «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلةٌ وحقٌّ هي طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك؟ لأنك وحدك قدوس. لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهرت» (رؤ ١٥: ٣، ٤).

(ج) **يُجري المعجزات:** «لأنك عظيم أنت وصانعٌ عجائب. أنت الله وحدك» (آية ١٠). يصنع الله معجزات كل يوم في العناية بمخلوقاته «تأملوا الغربان، إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن، والله يقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور!» (لو ١٢: ٢٤). قال لموسى: «ها أنا قاطعٌ عهداً: قدام جميع شعبك أفعل عجائب لم تُخلَق في كل الأرض وفي جميع الأمم، فيرى جميع الشعب الذي أنت في وسطه فِعل الرب. إن الذي أنا فاعله معك رهيب» (خر ٣٤: ١٠). قد يصادفنا شيء جميل نقول إنه أعجوبة، لكنه لا يتكرر. أما معجزات الله فهي واحدة بعد الأخرى، وهي لا تجري صدفةً، بل بتدبير سماوي يفوق كل إدراكنا البشري.

ثالثاً - طلب التكريس

(آيات ١١-١٢)

بعد أن نال المرنم الغفران والنجاة قرر أن يعيش لله كل أيام حياته حياة الاتِّباع والطاعة والحب.

١-قلـــب موحَّد: «علِّمني يا رب طريقك، أســلك في حقك. وحّد قلبي لخوف اسمك» (آية ١١).

يــطلب المرنم أن يتعلم طريق الرب، طريق الحق، الطريق المستقيم، فيسلك فيها بكل قلبه، ويتّجه بمجامع نفسه نحو الرب وحده، فليس من يستحق الثقة المطلقة والطاعة الكاملة إلا هو! تقول الوصية الأولى والعظمى: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نــفسك ومن كل قوتك» (تث ٦: ٤، ٥). «ماذا يطلب منك الرب إلهك، إلا أن تتقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفســك» (تث ١٠: ١٢). والمرنم يعلم صعوبة تنفيذ هذا الطلب، ويتفق مع القول: «لأني لســتُ أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده، بل ما أبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لســت أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن. فالآن لستُ بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطيـــة الســاكنة فيَّ» (رو ٧: ١٥-١٧). وفي صلاته «وحّد قلبي» يرفض انقســـام ولائه، وكأنه يصرخ: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي» (مز ٥١: ١٠)، فيــتحقق معه الوعد الإلهي: «وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام، لخيرهم وخير أولادهم من بعدهم» (إر ٣٢: ٣٩).

٢ - قلب شاكر: «أحمدك يا رب إلهي من كل قلبي، وأمجّد اســمك إلى الدهر، لأن رحمتك عظيمةٌ نحوي، وقد نجّيت نفســـي من الهاوية السفلى» (آيتا ١٢، ١٣). يسبّح المرنم ربه لأن الترنُّم صالح، لأنــه مُلذٌّ. التسبيح لائق (مز ١٤٧: ١) ويسبّح ربّه بسبب فضل الله عليه وعلى أُمّته، فيقول: «أحمدك بين الشعوب يا رب. أرنِّم لك بين الأمم، لأن رحمتك قد عظمت إلى الســـماوات، وإلى الغمام حقُّك» (مز ٥٧: ٩، ١٠). وربما يقصد المرنم بنجاته من الهاوية الســفلى نجاته من حفرة ومكيدة دبَّرها له أعداؤه وفشلوا في تنفيذها.. أو لعله كان معرَّضاً للموت، فنجاه الرب من الهاوية السفلى، وهي القبر.. ولعله كان يفكر في أمّته المعرَّضة للهزيمة والسبي، فأنقذها الله من الهاوية السفلى بنصر من عنده.

حقا «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته.. الذي يفدي من الحفرة حياتك» (مز ١٠٣: ٢، ٤).

رابعاً - طلب آية
(آيات ١٤-١٧)

يطلب المرنم من الرب أن يصنع معه آية، لأربعة أسباب:

١ - بسبب شرور أعدائه: «اللــــهمَّ، المتكبّرون قد قاموا عليَّ، وجماعة العُتاة طلبوا نفســي، ولم يــجعلوك أمامهم» (آية ١٤). عندما وشى أهل برية زيف بداود، وقالوا لشاول إن داود عندهم، صلى داود: «غــرباء قد قاموا عليَّ، وعتاة طلبوا نفسي. لم يجعلوا الله أمامهم» (مز ٥٤: ٣). ومع أن أهل

برية زيف كانوا أقرباء داود حسب الجسد، إلا أنهم كانوا غرباء عنه في مشاعرهم، فلجأ إلى إلهه القريب منه طالباً الإنقاذ، وكأنه يردِّد: «لأنه قد أحاطت بي كلاب، جماعة من الأشرار اكتنفتني» (مز ٢٢: ١٦).

٢ - **بسبب رحمة إلهه:** «أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة والحق» (آية ١٥). صحيح أن الأعداء متكبرون عتاة لا يخافون الله، ولكنه واثق من رحمة إلهه، فيتشجع ويطلب الرحمة والرأفة، كما يطلب العدالة. إنه يستحق عقاب الله على خطاياه، ولكنه يثق أن الله لم يهمله ولن يتركه.

٣ - **بسبب انتمائه لإلهه:** «التفت إليَّ وارحمني. أعط عبدك قوتك، وخلِّص ابن أمتك» (آية ١٦). يحس داود أنه عبد لله، مولود في بيت سيده (تك ١٤: ١٤) يُوثَق فيه ويؤتمَن على مسؤولية. إنه من أهل البيت (أف ٢: ١٩) وهو يشبه النبي صموئيل الذي نذرته أمه للرب. وبسبب هذه العلاقة الخاصة جداً طلب الرحمة والخلاص. لقد وعد الرب عبده ابن أمته بمواعيد صالحة، حقَّقها لأنه إلهٌ صالح وكثير الرحمة والحق، ولا بد أن يستمر معه يجدد له تحقيق ما سبق أن وعده به، قائلاً له: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل» (٢كو ١٢: ٩).

٤ - **ليخزَى أعداؤه:** «اصنع معي آيةً للخير فيرى ذلك مبغضيَّ فيخزوا، لأنك أنت يا رب أعنتني وعزَّيتني» (آية ١٧). يطلب المرنم آية جديدة منظورة وواضحة. لقد سبق وصنع الله معه آيات ومعجزات كثيرة، أعانته في محنته، وعزَّت قلبه وشجعته في الماضي. ويحتاج الموقف الجديد إلى آية جديدة للخير، بحسب وعد الرب «أجعل عينيَّ عليهم للخير.. وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقلعهم، وأعطيهم قلباً ليعرفوني أني أنا الرب، فيكونوا لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً، لأنهم يرجعون إليَّ بكل قلبهم» (إر ٢٤: ٦، ٧). حقاً «إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير، وصولته (نفوذه) وغضبه على كل من يتركه» (عز ٨: ٢٢). «هكذا قال الرب: في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك، فأحفظك.. ترنَّمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض. لتَشِدِ الجبال بالترنُّم لأن الرب قد عزَّى شعبه، وعلى بائسيه يترحَّم» (إش ٤٩: ٨، ١٣).

ليستجب الله صلاتنا ونحن نصلي مع داود: «التفت إليَّ وارحمني. أعط عبدك قوتك وخلِّص ابن أمتك» وليكن الرب سيد حياتنا، وصاحب الكلمة الأخيرة في كل قراراتنا وأعمالنا.

المزمور السابع والثمانون

لبني قورح. مزمورٌ تسبيحةٌ

١ أساسُه في الجبالِ المقدَّسةِ. ٢ الربُّ أحبَّ أبوابَ صهيونَ أكثرَ من جميعِ مساكنِ يعقوب.
٣ قد قيل بكَ أمجادٌ يا مدينةَ الله. سلاه.
٤ أذكُرُ رَهَبَ وبابلَ عارفتيَّ. هوذا فلسطينُ وصورُ مع كوشَ. هذا وُلِدَ هناكَ. ٥ ولصهيونَ
يُقال: «هذا الإنسانُ وهذا الإنسانُ وُلِد فيها، وهي العليُّ يثبِّتها». ٦ الربُّ يَعُدُّ في كتابةِ الشعوبِ
أن هذا وُلد هناكَ. سلاه. ٧ ومغنّون كعازفين كلُّ السُّكانِ فيك.

مدينة الله

هذا المزمور ترنيمة ابتهاج بصهيون، حيث هيكل الرب الذي بناه سليمان. وصهيون معناها «الحصن» والجبل المنيع الذي له مكانة خاصة عند بني إسرائيل، لأن داود استولى عليه من اليبوسيين بقوة الرب، فأُطلق عليه اسم «مدينة داود» (٢صم ٥: ٧)، ونقل إليه تابوت عهد الرب (٢صم ٦: ١٠-١٢)، فصار الحصن مكان سكنى الله، ورمز حضوره وسط شعبه، ورمز الانتصار على العدو. ثم بنى الملك سليمان هيكله على جبل المريا ونقل إليه التابوت. واتسع نطاق صهيون لتشمل حصن صهيون وجبل المريا، وصار المريا معروفاً بصهيون حيث هيكل الله، وموضع قدسه، حتى قال المرنم: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا جبل قدسه، جميل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون.. مدينة الملك العظيم» (مز ٤٨: ١، ٢). وكثيراً ما تطلق التوراة اسم صهيون على مدينة أورشليم كلها (مثلاً ٢مل ١٩: ٢١ وإش ١: ٨).

يحقق مزمورنا ما جاء في مزمور ٨٦: ٩ «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك» وهذه نبوّة تحققت بصورة مجيدة يوم الخمسين في الكنيسة التي امتدت إلى كل الأمم، الذين كانوا بدون مسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، فصاروا في المسيح رعيّة مع القديسين وأهل بيت الله (أف ٢: ١٢، ١٩). وصهيوننا وأورشليمنا اليوم روحيتان، هما الكنيسة التي تضم كل من آمن بالمسيح من كل شعب، الأمر الواضح في قول الرسول بولس: «أورشليم الحاضرة مستعبَدة مع بنيها، وأما أورشليم العليا، التي هي أمنا جميعاً، فهي حرّة» (غل ٤: ٢٥، ٢٦). ونحن ندرك أن كل مؤمن بالمسيح كان حصناً يحتله إبليس وجنوده، فأنقذه المسيح بمحبته التي حاصرته، وأعتقته من أسر الخطية وأطلقته إلى حرية مجد أولاد الله، وحل الرب بالإيمان في قلبه وسكن فيه، فصار مُلكاً للذي اشتراه بدمه، وجعل منه هيكلاً مقدساً له. صهيون اليوم هي الكنيسة، لا بالمعنى الحرفي من احتلال حربي لجبال مادية، لكن بالمعنى الروحي

في امتلاك الرب للفكر والقلب والحياة، فيتحقق الوعد روحياً «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبله» (إش ٢: ٢، ٣).

في هذا المزمور نجد:

أولاً- المدينة المجيدة (آيات ١-٣)

ثانياً- المدينة الولودة (آيات ٤-٦)

ثالثاً- المدينة الفرحانة (آية ٧)

أولاً - المدينة المجيدة
(آيات ١-٣)

١ - **مجيدة في أساسها:** «أساسه في الجبال» (آية ١). أساس بيت الله في الجبال المقدسة، ولذا فهو ثابت ومستقر، والمدينة حوله مجيدة بسبب وجوده في وسطها «الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح» (مز ٤٦: ٥). وهي ثابتة لأن الرب يحميها ويحرسها. «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار» (مز ٤٦: ١، ٢). والكنيسة تبقى ثابتة مجيدة لأن أساسها المسيح صخر الدهور و«لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح» (١كو ٣: ١١).

ويعتبر صاحب مزمور الأسرة أن بيت الإنسان التقي مدينة صغيرة ثابتة على الصخر، لا يسقط حتى لو جاءت عليه الرياح ونزلت الأمطار، لأنه مؤسس على المسيح صخرنا. حقاً «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (مز ١٢٧: ١).

٢ - **مجيدة في قداستها:** «أساسه في الجبال المقدسة» (آية ١). بيت الله مقدس لأنه يخص الله، ولأن الله القدوس يسكنه، وقد بُني على جبل ليكون منارة يرى الجميع نورها، لأنه لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل (مت ٥: ١٤). وكل من يُقبل إليه يترك هموم العالم وظلامه ويسلك في النور والقداسة (يو ٨: ١٢). وقد وصف يوحنا الرائي الكنيسة المقدسة، أورشليم السماوية بقوله: «رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله.. وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلاً: هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلها لهم» (رؤ ٢١: ١، ٣). فما أعظم فرحنا بما أعدّه الله القدوس لنا في حياتنا الحاضرة والمستقبلة.

٣ - **مجيدة في حب الرب لها:** «الرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب» (آية ٢).ارتحل تابوت الرب مرات عديدة وأقام في أماكن كثيرة لفترات طالت وقصرت، لكن الرب

اختار جبل صهيون ليكون المقرَّ الأخير لإقامته، ويكون قد أحبه أكثر من كل الأماكن التي أقام فيها بنو إسرائيل، وقال عن صهيون: «هذه راحتي لأني اشتهيتها» (مز ١٣٢: ١٤). كانت هناك جبال كثيرة عالية «جبل الله جبل باشان جبل أسنمة.. لماذا أيتها الجبال المسنَّمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه؟ بل الرب يسكن فيه إلى الأبد» (مز ٦٨: ١٥، ١٦). اختار الرب جبل صهيون ليس لأنه أكثرها ارتفاعاً أو أعظمها منظراً، فهو أقل من غيره، ولكنه اختاره اختيار النعمة، كما قال لبني إسرائيل: «ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية، من يد فرعون ملك مصر» (تث ٧: ٧، ٨). فالرب لم يختر بني إسرائيل لأنهم أكثر الشعوب عدداً، ولا لأنهم أقوى الشعوب، لأنهم كانوا المستضعفين في الأرض. «اختار الله جهّال العالم ليخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود» (١كو ١: ٢٧، ٢٨). ونحن نسجد بكل تواضع للرب الذي أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا، وسيق للموت طوعاً ليفدينا، وقال لنا: «ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم» (يو ١٥: ١٦).

اختار الرب داود من وراء الغنم لأنه وجده حسب قلبه (أع ١٣: ٢٢)، واختار العذراء القديسة مريم لتكون أم المخلص، فقالت بكل تواضع: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك» (لو ١: ٣٨). واختار بطرس الصياد وقال له: «على هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٨). واليوم يختارك ليقول لك إنه يحبك ويريد أن يخلِّصك.

٤ - **مجيدة في الإشادة بها:** «قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله» (آية ٣). مدينة الله مجيدة في حاضرها، ومجيدة في مستقبلها. فيها أعظم فكر، ويسكنها أفاضل الناس. وقد اختارها الرب مسكناً له ليعلن فيها مجده، وليكرمها بسكناه، كما حدث عندما صلى سليمان صلاة تدشين الهيكل «أن بيت الرب امتلأ سحاباً. ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملأ بيت الله» (٢أي ٥: ١٣، ١٤). ويقول المرنم: «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا، جبل قدسه. جميل الارتفاع، فرح كل الأرض جبل صهيون. فرح أقاصي الشمال مدينة الملك العظيم.. كما سمعنا هكذا رأينا في مدينة رب الجنود، مدينة إلهنا. الله يثبتها إلى الأبد» (مز ٤٨: ١، ٢، ٨).

وتصدق هذه الأقوال العظيمة على كل مؤمن لأنه هيكلٌ للروح القدس، بعد أن حلَّ المسيح بالإيمان في قلبه (أف ٣: ١٧) ومنحه مجد التبني «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (١يو ٣: ١)، وسيمنحه المجد العظيم في السماء «ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر

على بال إنســـــان: ما أعدّه الله للذين يحبونه» (اكو ٢: ٩). ويتطلع المؤمن الذي يسكن المسيح قلبه إلى الأمام، إلى الحياة الأفضل التي يهبها المســـــيح له في هذا العالم (يو ١٠: ١٠). أما الأفضل من الحاضر فهو الآتي «المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله» (عب ١١: ١٠) والكنيسة مشهود لها بأعظم فكر وأســــمى تعاليم، وأعظم من يعلنون محبة الله للناس ويُظهرون رائحة المسيح الذكية. فلنحقق فكر الرب ونجعل له السيادة الكاملة على حياتنا الحاضرة مهما كلفنا هذا.

ثانياً - المدينة الوالدة
(آيات ٤-٦)

١ - **البعيدون يولدون فيها:** «أَذكر رهب وبابل عارفتيَّ. هوذا فلسطين وصور مع كوش. هذا وُلد هناك» (أية ٤). المتكلم هنا هو الرب، الذي وحده يســـتطيع أن يفتح قلوب الوثنيين ليسمعوا رسالته ويـــقبلوها، والذي وحده يعطي ميلاداً جديداً. وهذه الآية تتطابق مع نبوَّة إشعياء: «لأنه من صهيون تـــخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب.. يكون في ذلك اليوم أن أصل يسى (المسيح) القائم رايةً للشعوب، إيـــاه تطلب الأمم، ويكون محله مجداً» (إش ٢: ٣ و١١: ١٠). فيقول المولودون من الله: «مباركٌ الله أبو ربنا يســوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي، بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات» (١بط ١: ٣، ٤)، ويقولون إن الله «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه» (يع ١: ١٨).

شاء الله أن تولد ضمن عائلته أممٌ بعيدة عن شريعته، يبدأها بدولة «رهب». وهو اســـم تنين ذُكر في أيـــوب ٢٦: ١٢. و«رهب» في مزمورنا هي مصر (هكذا دعاها الـــوحي في إش ٣٠: ٧ ومز ٨٩: ١٠) وذلـــك لكبريائها وعظمتها التي ظهرت في فرعون الذي سام موسى وشعبه سوء العذاب. وكانت مصر القوة الجنوبية العظمى بالنســـبة لبني إسرائيل.. ثم شاء أن تولد «بابل» القوة الشمالية العظمى ضمن عائلته، وكذلك فلســطين وصور العدوتان المتحالفتان ضد بني إســـرائيل.. ثم تولد كـــوش المعروفة بتجارتها وشهرتها، وهي البعيدة عن جبل صهيون. وحقق الرب يوم الخمسين نبوة إشعيـــاء القائلة: «يـــبارك رب الجنود قائلاً: مباركٌ شعبي مصر، وعمل يـــديَّ أشور، وميـــراثي إســـرائيل» (إش ١٩: ٢٥)، فيقول الوحي: «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة. وكان يـــهود رجال أتقيـــاء من كل أمة تحت الســـماء ســـاكنيـــن في أورشليـــم: فرتيون وماديون وعـــيلاميون،والساكنون ما بين النهرين، واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليـــبية التي نحو القيروان، والرومانيون المســـتوطنون، يهود ودخلاء، كريتيون وعرب..

يتكلمون بألســـنتنا بعظائم الله» (أع ٢: ١، ٥، ٩-١١). فهذه كلها خرافٌ أُخر ليست من حظيرة بني إسرائيل، أتي الرب بها لتكون رعية واحدة وراع واحد (يو ١٠: ١٦).

٢ - **محل المـيـلاد**: «ولصهيون يُقال: هذا الإنســـان وُلد فيها. وهى العلي يثبّتها» (آية ٥). عندما حدَّثت المرأة الســـامرية المسيح عن المكان الذي يجب أن يُسجد فيه أجابها: «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنســجد لما نعلم، لأن الخلاص هو من اليهود» (يو ٤: ٢٢). وقصد المسيح بقوله هـــذا أنه المخلِّص «وليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليسْ اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع ٤: ١٢)، وأن مكان الخلاص هو حيث يوجد المســـيح الذي قال: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).. قال لي أحد الذين عمَّدتُهم: «أليس غريباً أن الإنســـان لا يقدر أن يحدد موعد أو مكان ميلاده الجسدي، ولكنه يستطيع أن يختار موعد ومكان ميلاده الروحي؟». «وأما كل الذين قبلوه (المســيح) فقد أعطاهم ســـلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باســــمه. الذين وُلدوا ليس من دم (أي بتناسل طبيعي)، ولا من مشيئة جسدٍ (أي بمجهود إنساني)، ولا من مشيئة رجلٍ (أي بالاتكال على إنسان آخر)، بل من الله» (يو ١: ١٢، ١٣). إن كل من يســـلِّم حياته للرب يصير من مواليد صهيون الروحية، ويحمل الجنسية السماوية، ويُقال له: «أنتم جنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدســـة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلا لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله» (ابط ٢: ٩، ١٠).

٣ - **المـولودون من الله**: «الرب يَعُدُّ في كتابة الشعوب أن هذا وُلد هناك» (آية ٦). تجهِّز الشعوب ســـجلات تدوِّن فيها أســـماء مواليدها وتاريخ ومكان كل مولود ونســـبه ولقبه. هذا من جهة الميلاد الجســـدي. وأما الميلاد الروحي فله ســـجل أعظم وأجل من كل ما على الأرض، لأن الله هو الذي يكتب أســـماء المولودين في سفر الحياة، كما قال المسيح لتلاميذه الذين فرحوا لأن الشياطين تخضع لـــهم باسمه: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء. ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أســـماءكم كُتبت في السماوات» (لو ١٠: ١٧-٢٠) قال أحد المؤمنين: «حين أدخل السماء سأتعجب لأني سأرى أناساً لم أكن أتوقع وجودهم، وسأتعجب أيضاً لأني لن أجد بعض من كنت أتوقع أن أجدهم. ولكن ذهولي الأكبر هو أني أنا نفســـي سأكون هناك، لأن الله كتب اســـمي في سفر الحياة بفضل عمل المسيح». فهل أنت متأكدٌ أن اسمك مكتوب في سفر الحياة، لأنك قبلت المسيح الفادي المخلِّص مخلِّصاً شخصياً لك؟!

وهناك ســـفر محزن، نرجو أن تتأكد أن اســـمك ليس مكتوباً فيه، هو سفر التراب، الذي قال الله عنه: «الحائدون عني في التراب يُـكتبون، لأنهم تركوا الرب يـــنبوع المياه الحية» (إر ١٧: ١٣).

تعال للمسـيح تائباً واطلب منه أن يكتب اسـمك في سـفر الحياة، لتدخل المجد الذي قال عنه يوحنا الـرائي: «لم أر فيها هيكلاً لأن الرب القادر على كل شيء هو والحمل هيكلها. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها لأن مجد الله قد أنارها والحمل سراجها. وتمشي شعوب المخلَّصين بنورها، وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها. ولن يدخلها.. إلا المكتوبين في سـفر حياة الحمل» (رؤ ٢١: ٢٢-٢٧).

ثالثاً - المدينة الفرحانة
(آية ٧)

«ومغنون كعازفين كل السـكان فيك» (آية ٧). سكان هذه المدينة المجيدة في أساسها، وقداستها، ومحبة الله لها، وإشادته الربانية بها تجعل سـكانها سعداء يشعرون بفضل الله عليهم، ويعبِّرون عن هذا الشعور بالترتيل والهتاف والعزف. وكل من ينتمي إلى هذه المدينة وُلد من الله، وكُتب اسمه في سـفر الحياة. فأي فرح يفوق هذا الفرح الذي يجعل صاحبه يرتل بمصاحبة الموسـيقى! وحتى إن اجتازت هذه المديـنة في ضيق، فإنها تعرف أن «خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثِقل مجد أبدياً» (٢كو ٤: ١٧)، وأن «آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يسـتعلن فينا» (رو ٨: ١٨)، وتدرك أن الضيق لن يطول، لأن المسـيح قال: «كلمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سـيـكون لكم ضيق. لكن ثقوا، أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣). وهذا ما اختبره بولس وسـيلا المقيَّدان في سـجن فيلبي، ومع ذلك كانا يصليان ويسبحان الله بصوت مرتفع سمعه كل المسجونين (أع ١٦: ٢٥). ما أجمل أن نعلم أن الرب يـمنح أتقياءه في كل الظروف ثمر الروح الذي هو فرح وسلام «نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلي. الله في وسطها فلن تتزعزع».

إن كنت تمر بظروف صعبة في وطنك الأرضي، ندعوك أن تتطلـع بفرح إلى وطنك السـماوي الذي تنتمي إليه، والذي سـتصل إليه بنعمةٍ من الله، فيفرح قلبك ولا ينزع أحد فرحك منك «سيمسح الله كل دمعة من عيـونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت» (رؤ ٢١: ٤). وفي أورشليم الجديدة سـيعزف جميع السكان بلا اسـتثناء ويرنمون «ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوة بخوراً هي صلوات القديسين، وهم يرنمون ترنيمة جديدة» (رؤ ٥: ٨، ٩). إذاً «سـبحوا الرب لأن الترنم لإلهنا صالح. لأنه مُلذ. التسبيح لائق» (مز ١٤٧: ١).

المزمور الثامن والثمانون

تسبيحةٌ. مزمورٌ لبني قورح. لإمام المغنين على العود للغناء. قصيدة لهيْمان الأزْراحي

١ يا ربُّ إلهَ خلاصي، بالنهار والليلِ صرختُ أمامَك. ٢ فلتأتِ قدامَك صلاتي. أمِل أذُنك إلى صراخي، ٣ لأنه قد شبعَتْ من المصائبِ نفسي، وحياتي إلى الهاويةِ دَنَتْ. ٤حُسِبتُ مثل المنحدرين إلى الجبِّ. صِرتُ كرَجُلٍ لا قوَّةَ له. ٥ بين الأمواتِ فراشي مثلُ القتلى المضطجعين في القبرِ، الذين لا تذكرُهُم بعدُ، وهُم من يدِك انقطعوا. ٦ وضعْتَني في الجبِّ الأسفلِ، في ظُلماتٍ، في أعماقٍ. ٧ عليَّ استقرَّ غضبُك، وبكلِّ تياراتك ذلَّلتني. سلاه. ٨أبعدتَ عني معارفي. جعلتَني رجْساً لهم. أُغلِقَ عليَّ فما أخرجُ. ٩ عيني ذابَتْ من الذلِّ. دعوتُك يا ربُّ كلَّ يومٍ. بسطتُ إليك يديَّ.

١٠ أفلعلك للأمواتِ تصنعُ عجائبَ، أم الأخْيلةُ تقوم تمجِّدُك؟ سلاه. ١١ هل يُحَدَّثُ في القبرِ برحمتِك أو بحقِّك في الهلاك؟ ١٢ هل تُعرَفُ في الظلمةِ عجائبُك وبرُّكَ في أرضِ النِّسيان؟

١٣ أما أنا فإليك يا ربُّ صرختُ، وفي الغداةِ صلاتي تتقدَّمُك. ١٤ لماذا يا ربُّ ترفضُ نفسي؟ لماذا تحجُبُ وجهَك عنّي؟ ١٥ أنا مسكينٌ ومُسلِّمُ الروحِ منذُ صباي. احتملتُ أهوالَك. تحيَّرتُ. ١٦ عليَّ عبر سَخَطُك. أهوالُك أهلكَتْني. ١٧ أحاطتْ بي كالمياهِ اليومَ كلَّه. اكتنفَتْني معاً. ١٨أبعَدْتَ عني مُحباً وصاحباً. معارفي في الظلمةِ.

أُغلِقَ عليَّ فما أُخرج

يتفرَّد هذا المزمور بأنه أكثر المزامير حزناً، فهو صرخة تقي محبط يائس يجوز آلاماً قاتلة، وليس عنده بارقة أمل. كل المزامير تبدأ بمشكلة يجد لها صاحبها في نهايتها حلاً يشكر الله عليه. أما هذا المزمور فيبدأ بصراخ الألم، وينتهي بكلمة «الظلمة». لهذا اختارته الكنيسة مع مز ٢٢ ليكونا مزموري يوم الجمعة العظيمة، يوم جمعة الآلام.

يبدو أن المرنم أُصيب في مطلع حياته بمرض قاسٍ لا أمل في شفائه، لأنه يقول: «أنا مسكين ومسلِّم الروح منذ صباي. احتملت أهوالك. تحيَّرت» (آية ١٥). الأغلب أنه أُصيب بمرض البرص، فصار «الميت الحي» فحُرم من الصحة، ومن العلاقات الاجتماعية، ومن الممارسات الدينية في الهيكل، لا يجد صُحبةً إلا صحبة المرضى أمثاله، فبقي معزولاً في هاوية الجب السفلى.

هناك أوجه شبه بين هذا المزمور وسفر أيوب المليء برثاء الذات، فيقول أيوب: «لِمَ يُعطى لشقيٍّ نور، وحياةٌ لمُرّي النفس، الذين ينتظرون الموت وليس هو، ويحفرون عليه أكثر من الكنوز؟» (أي ٣: ٢٠). كما أنه يشبه سفري إرميا ومراثي إرميا الحزينين برثاء شعب لا شفاء له،

فيقول إرميا: «توجعني جدران قلبي. يئنُّ فيَّ قلبي» (إر ٤: ١٩). قال البعض إنه ربما كان أيوب هو الكاتب الأصلي لهذا المزمور، ثم أدخل هيمان الأزراحي عليه إضافات أو تعديلات ليناســـب العبادة الجمهورية! ومهما كان اســـم الكاتب، فإنه بالرغم من الألم الكبير الذي عاش فيه، بدون أمل في نجاة منه، كان صاحب علاقة قوية بالرب، فرفع قلبه إلى الله مصلّياً: «يا رب إله خلاصي، بالنهار والليل صرخت أمامك.. دعوتك يـــا رب كل يوم. بســـطت إليك يديَّ.. أما أنا فإليك يا رب صرخت، وفي الغداة صلاتي تتقدمك» (آيات ١، ٩، ١٣). فهو لم يترك إلهه أبداً بالرغم من ضياع أمله في الشفاء!

قديـــماً اشتكى إبليـــس على أيوب قائلاً: «هل مجاناً يتقي أيوب الله؟» (أي ١: ٩) ولم تكن تقوى أيـــوب لأســـباب نفعية، بل كانت حباً في الله. وصاحب مزمورنا يقدم لنا نموذج إنســـان «يتقي الله مجاناً». وما أبعد الفرق بين كلمات المرنم هنا وكلمات آســـاف: «حقاً قد زكيتُ قلبي باطلاً» (مز ٧٣: ١٣). فـالمرنم هنا استمر مصلياً رغم صعوبة حالته، ورغم أنه لم يحصل على استجابة. وكم نشكر الله من أجل الذين يحبون الرب لشخصه، لا لعطاياه، والذين يســـلّمون نفوسهم له حتى لو لم ينالوا ما طلبوه، والذين يتمســـكون به ولا يتذمرون عليه، ويقولون: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّةٌ، أم ضيق، أم اضطهاد، أم جوع، أم عري، أم خطر أم ســـيـــف؟.. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٥، ٣٧).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – استغاثة وسط الألم (آيات ١–٩)

ثانياً – أسئلة بلا إجابة (آيات ١٠–١٢)

ثالثاً – صلاة بلا استجابة (آيات ١٣–١٨)

رابعاً – ونحن نسأل..

أولاً - استغاثة وسط الألم
(آيات ١-٩)

١ –**طلبـة طال انتظار تحقيقها:** «يا رب إله خلاصي، بالنهار والليل صرخت أمامك. فلتأتِ قدامك صلاتي. أمِل أذنك إلى صراخي» (أيتا ١، ٢).

(أ) طلبة من إله الخلاص: «يـــا رب، إله خلاصي». كان المرنم يعيش في ظلام الألم، ولكنه كان

واثقاً من صدق اختبار داود: «الـرب نوري وخلاصي» (مز ٢٧: ١). ولـهذا تشجع وصلـى إلى «الـرب» صاحب السلطان، وإلى «إله الخلاص» والنجدة والإنقاذ. لقد رأى وسمع عن خلاص الرب لآخرين، وهو يصرخ وينتظر لأنه واثق أن الرب يقدر أن يخلِّص، ويحب أن يخلِّص.

(ب) طلبة مستمرة: «بالنهار والليـل صرختُ أمامك». لعل المرض الذي أصابه جعله قليـل النوم بسـبب الألم، فأخذ يصلي نهاره وليله، يضم صوته مع صاحب القول: «إلهي، في النهار أدعو فلا تسـتجيـب، في الليـل أدعو فلا هدوٌ لي» (مز ٢٢: ٢)، ويذكر صرخة بني قورح: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله لأني بعدُ أحمده لأجل خلاص وجهه» (مز ٤٢: ٥).

(ج) طلبة ممزوجة بصراخ الألم: «صرخت أمامك». هناك صلاة الـشكر، وصلاة التضرع، وصلاة الطلب. وهنا نسمع صلاة الصارخ إلى الله، لأن ألمه يفوق الوصف.

(د) طلبة فيها رجاء: «فلتأتِ قدامك صلاتي. أمِل أذنك إلى صراخي» (آيـة ٢). مع أن انتظار تحقيق الطلبة طال، إلا أن المرنم يتضرع إلى ربه وإله خلاصه راجياً الاستجابة «اجعل أنت دموعي في زقِّك. أما هي في سفرك؟» (مز ٥٦: ٨).

٢ - سوء حال المرنم: (آيات ٣-٥).

«لأنه قد شبعت من المصائب نفسي، وحياتي إلى الهاوية دنت. حُسبتُ مثل المنحدرين إلى الجب. صرتُ كرجلٍ لا قوة له. بيـن الأموات فراشي، مثل القتلى المضطجعيـن في القبر الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا» (آيات ٣-٥). منذ أن وعت ذاكرة المرنم وهو في مصائب مسـتمرة لا تحتمل المزيـد، أدنته من هاويـة القبر. وكان المحيطون به يحسـبونه من المائتين، وعجز هو عن مسـاعدة نفسـه بعد أن صار شبه ميت لا عافية فيه ولا قدرة على الحركة. ولأنه خسر معركته مع المرض صار مثل القتلى الذيـن سـقطوا في أرض المعركة ودُفنوا في قبر جماعي لا يميِّزهم أحد. واعتبر نفسـه منقطعاً من يد الله، فلم تعد لتلك اليد القادرة المخلِّصة المُعينة الشافية صلة به. لقد كان مثل مريض بركة بيت حسدا الذي قضى ثمانٍ وثلاثين سنة ليس له إنسان يعتني به (يو ٥).

٣ غضب الله على المرنم: (آيات ٦-٩).

(أ) اوصله إلى حافة القبر: «وضعتني في الجب الأسفل، في ظلمات، في أعماق» (آية ٦). تعامل الله معه باعتبار أنه قد مات فوضعه في الـجب الأسـفل، كما قال صاحب المراثي: «أسـكنني في ظلمات كموتى القِدم.. دعوتُ باسـمك يا رب من الجب الأسفل» (مرا ٣: ٦، ٥٥)، وكما قال أيوب: «كُفَّ عني فأتبلَّج قليلاً قبل أن أذهب ولا أعود. إلى أرض ظلمة وظل الموت، أرض ظلام مثل دُجى ظل الموت» (أي ١٠: ٢٠، ٢١).

(ب) **غضب عليه**: «عليَّ استقرّ غضبك، وبكل تيـــاراتك ذللتني» (آية ٧). كأن مصائب المرنم جاءت عليه متلاحقة لا تتوقّف مثل موجة بعد موجة، كما قال المرنم: «يا إلهي، نفســـي منحنية فيَّ.. كل تياراتك ولججك طمت عليَّ» (مز ٤٢: ٦، ٧). وكما قال يونان في جوف الحوت: «جازت فوقي جميع تياراتك ولججك» (يون ٢: ٣).

(ج) **ابـعـد عنه أصدقاءه**: «أبعدت عني معارفي. جعلتني رجساً لهم. أُغلِق عليَّ فما أخرج» (آية ٨). وذلك غالباً بســـبب مرضه بالبرص. ويعزو المرنم ما وصل إليه من ابتعاد معارفه عنه إلى الله، وهذا ما قاله أيوب: «قد أبعد عني إخوتي، ومعارفي زاغوا عني. أقاربي قد خذلوني، والذين عرفوني نســوني.. كرهني كل رجالي، والذيـــن أحببتهم انقلبوا عليَّ» (أي ١٩: ١٣، ١٤، ١٩). وما أقســى الشعور بعجز الشفاء من المرض، وكآبة الوحدة، وقهر الحاجة إلى التعاطف والمودّة!

(د) **ضيَّع امله**: «عيني ذابت من الذل. دعوتك يا رب كل يوم. بســـطت إليك يديَّ» (آية ٩). كما قـال أيوب: «كلَّت عيني من الحزن، وأعضائي كلها كالظل» (أي ١٧: ٧) وبالرغم من أنه كان يدعو الرب كل يوم، ويبسط إليه يدي المحتاج، لم يسمع له، ولا أجاب ملتمسه.

ثانياً - أُسئلة بلا إجابة
(آيات ١٠-١٢)

بعد أن صدرت عن المرنم المتألم صرخة الاســتغاثة، جعل يتســاءل. وكما أن اســتغاثته لم تلقَ اســتجابة فإن أســئلته أيضاً لم تلقَ إجابة! ولم يكن لدى أهل العهد القديم فكرة متكاملة عن الحياة بعد الموت. صحيـــحٌ أن أيوب قال: «أما أنا فقد علمت أن وليي حي، والآخِر على الأرض يقوم. وبعد أن يُــفنى جلدي هذا، وبدون جســـدي أرى الله» (أي ١٩: ٢٥، ٢٦). إلا أن المرنم قال: «لأنه ليس في الــموت ذكرك. في الهاوية، من يحمدك؟» (مز ٦: ٥)، وقال: «ليس الأموات يسبحون الرب، ولا من يـــنحدر إلى أرض الســكوت. أما نحن فنبارك الرب من الآن وإلى الدهر. هللويا» (مز ١١٥: ١٧، ١٨). وصلى الملك حزقيا وهو على سرير الموت طالباً الشفاء وقال: «لأن الهاوية لا تحمدك. الموت لا يســـبحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك. الحي الحي هو يحمدك كما أنا اليوم. الآب يُعرِّف البنين حقك» (إش ٣٨: ١٨، ١٩).

ومن هذه الخلفية يثير المرنم ثلاثة أسئلة:

١ - **هل يُجري الله معجزات لـلموتى؟**: «أفلعلك للأموات تصنع عجائب، أم الأخيلة تقوم تمجدك؟» (آيـــة ١٠). الرب هو صانع العجائب والمعجزات، والمؤمنون يمجدونه ويشكرونه عليها. ويتســاءل

المرنم الذي يطلب الشفاء ولا يناله إن كان الرب يُجري عجائب مع الأموات بعد أن فات أوان إجراء المعجزة؟ كما أنه يتساءل إن كانت الأخيلة تقدر أن تقوم لترفع للرب تسبيحاً وتمجيداً. والأخيلة هي الأطياف، والطيف هو روح الميت.. ولم يجد المرنم على سؤاله الأول جواباً.. على أننا في العهد الجديد نملك الجواب، فقد أجرى المسيح معجزة إقامة ابن أرملة نايين (لو ٧) وابنة يايرس (مر ٥) ولعازر (يو ١١). وفي اليوم الأخير سيأتي المسيح ويقيم الأموات (١تس ٤: ١٦).

٢ - **هل يُحدَّث الموتى برحمة الله؟**: «هل يُحدَّث في القبر برحمتك، أو بحقك في الهلاك؟» (آية ١١). يقول المرنم إنه بموته سينقص عدد المؤمنين المرنمين المخبرين بفضل الرب واحد. أما لو نال الشفاء وعاش على الأرض فسيكون هناك مؤمن، يصنع معه معجزة، فيحدِّث برحمة ربه ويخبر بكم صنع الرب به ورحمه.. ولم يجد المرنم على سؤاله الثاني جواباً.

٣ - **هل يعرف ساكنو القبور معجزات الله؟**: «هل تُعرف في الظلمة عجائبك، وبرُّك في أرض النسيان؟» (آية ١٢). يقول المرنم إن موته سيُدخله القبر، أرض الظلام حيث يُنسى الإنسان. فهل يُجري الله صانع المعجزات عجائب في ظلمة القبر، وهل يدرك الميت برَّه وصلاحه وقد نُسي أمره؟ يريد المرنم أن يذكره الرب أثناء حياته على الأرض، ويصنع معه معجزة فيمجد إلهه ويسبحه.. ولم يجد المرنم على سؤاله الثالث جواباً.

ونحن اليوم في نور العهد الجديد بعد قيامة المسيح، نشكر الله أن المسيح أبطل الموت، وأنار لنا الحياة، وأنار لنا الخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١: ١٠). لقد جاز المسيح وادي ظل الموت قبلنا، وأباد بموته إبليس الذي له سلطان الموت، وحرَّر الذين كان الموت يخيفهم من عبودية خوفهم (عب ٢: ١٤، ١٥). لقد أضاء المسيح مصباحا لينير لنا الجانب الآخر من الحياة، بعد أن نترك هذا العالم، فنرى ما ينتظر المؤمنين من مجد.

ثالثاً - صلاة بلا استجابة
(آيات ١٣-١٨)

١ - **شعور المرنم بالرفض**: «أما أنا فإليك يا رب صرخت، وفي الغداة صلاتي تتقدَّمك. لماذا يا رب ترفض نفسي؟ لماذا تحجب وجهك عني؟» (آيتا ١٣، ١٤). رأى المرنم نفسه في عِداد الأموات، لأن كل صلواته الماضية لم تلقَ استجابة. ولكنه ظل يرفع صلاته لله لأن الإيمان والرجاء كانا يعمِّران قلبه، فلم يتوقف عن الصلاة حتى النَّفَس الأخير. كان يبدأ كل يوم بالصلاة، وكأنه يقول: «يا رب، بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجِّه صلاتي نحوك وأنتظر» (مز ٥: ٣). في كل يوم وكل وقت كان يُصعِد بخور صلاته أمام ربِّه، ولم يمنعه شيء من الحديث مع الله الذي يحبه.

فهل رفض الرب نفس المرنم؟ وهل حجب وجهه عنه؟.. الحقيــــقة هي أن الله لا يرفض المؤمن التقي، ولا يــحجب وجهه عنه، لكنه قد يــعطيـــه ما يطلب. وقد يعطيه عطية أفضل مما طلب، كما أعطى بولس نعمة ليحتمل شوكة الجسد ولم يشفِه منها (٢كو ١٢: ٩). وقد يرفض أن يعطيه ما طلب لأنه ليس الأفضل له، كما رفض صلاة إيليا في وقت يأسٍ أن يأخذ حياته منه (١مل ١٩: ٤).. ونحن في نور العهد الجديد نقول في كل حال: «من ســيفصلنا عن محبة المســيح؟.. في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٥، ٣٧).

٢ – **شدَّة حاجة المرنم**: «أنا مسكين ومسلِّم الروح منذ صباي. احتملتُ أهوالك. تحيرتُ. عليَّ عبر ســخطك. أهوالك أهلكتني. أحاطت بي كالميــاه اليــوم كله. اكتنفتني معاً» (آيات ١٥-١٧). يشارك المرنم هنا أيوب في قوله: «سهام القدير فيّ، وحمتها شاربةٌ روحي. أهوال الله مصطفَّة ضدي!» (أي ٦: ٤). كما يــشارك إرميا قوله: «قرضوا في الجب حياتي، وألقوا عليَّ حجارة» (مرا ٣: ٥٣). إنه يغرق تحت طوفان الألم واليأس!

٣ – **وحدة المرنم**: «أبعدت عني مُحبّاً وصاحباً. معارفي في الظلمة» (آيــة ١٨). لم يعُد أصحابه القدماء يـــزورونه، ومات بعض معارفه، وكأنه يقول مع أيوب: «قلت للقبر: أنت أبي، وللدود: أنت أمي وأختي. فأيـــن إذاً آمالي؟ آمالي من يعاينها؟ تهبط إلى مغاليق الهاوية إذ ترتاح معاً في التراب» (أي ١٧: ١٤-١٦).

رابعاً - ونحن نسأل:

وفي نهاية تأملنا في هذا المزمور نثير ثلاثة أسئلة:

١ – **هل مات المرنم قبل أن يكتب نهاية مزموره؟** في بيت الآب منازل كثيرة، وقد مضى المسيح ليجهِّز لكل مؤمن مكاناً. وعندما يكمل إعداد بيت المؤمن يأتي المســيح ليأخذه إليه، حتى حيث يكون الـمسيح يكون المؤمن أيضاً. وقد يكون بيت هذا المرنم قد كمل قبل أن ينتهي من وضع نهاية مفرحة لمزموره، فنضع نحن بالإيــمان هذه النهايـــة المفرحة، ونقول إنه «مات وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم.. والآن هو يتعزى» (لو ١٦: ٢٢، ٢٥).

٢ – **هل بدأ المرنم كتابة مزموره في وقت الأزمة ولم يـكمله؟** هل انتهت مشكلته فعبَّر عنها شعراً ولم يســجل لنا الحل؟ لا يمكن أن تكون المشكلة قد بقيت معلَّقة. أحياناً نشكو وعندما تُحل مشكلتنا لا نتحدث عن الحل، ولا نرفع شكرنا لله. وكان المســيــح قد ســأل: «أليـــس العشرة قد طهروا؟ فأين الـتسعة؟» (لو ١٧: ١٧). ونتعلم من مزمورنا أن لنا الحق أن نعبِّر عن شكوانا، ومن واجبنا أن نعبر أيضاً عن شكرنا.

٣ - هل يمكن أن تكون الآية الأولى من المزمور التالي نهاية لمزمورنا هذا؟ يبدأ مزمور ٨٩ بالقول: «بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» فتكون شكوى مزمور ٨٨ قد أجيبت، وأخذ المرنم يغني بمراحم الرب. «لأني قلت إن الرحمة إلى الدهر تُبنى. السماوات تثبّت فيها حقك. قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي» (مز ٨٩: ٢، ٣). لقد وعد أن يفعل، وسيفعل.

المزمور التاسع والثمانون

قصيدةٌ لأيثان الأزراحي

١ بمراحمِ الربِّ أغنّي إلى الدهر. لدور فدور أخبرُ عن حقّك بفمي. ٢ لأني قلتُ: «إنَّ
الرحمةَ إلى الدهرِ تُبْنَى. السماواتُ تثبِّت فيها حقّك».
٣ قطعتُ عهداً مع مُختاري. حلفتُ لداودَ عبدي. ٤ إلى الدهرِ أثبِّت نسلَك، وأبني إلى دور
فدور كرسيَّك. سلاه.
٥ والسمواتُ تحمدُ عجائبَك يا ربُّ، وحقّك أيضاً في جماعةِ القدّيسين. ٦ لأنه مَن في
السماءِ يعادلُ الربَّ؟ مَن يُشبه الربَّ بينَ أبناءِ الله؟ ٧ إلهٌ مهوبٌ جداً في مؤامرةِ القدّيسين،
ومخوفٌ عند جميعِ الذين حولَه.
٨ يا ربُّ إلهَ الجنود، مَن مثلُك قويٌّ، ربٌّ، وحقُّك مِن حولك؟ ٩ أنت متسلِّطٌ على كبرياءِ
البحرِ. عند ارتفاعِ لُججِه أنت تسكّنُها. ١٠ أنت سحقتَ رَهَبَ مثلَ القتيل. بذراعِ قوّتك بدّدتَ
أعداءَك. ١١ لك السماواتُ. لك أيضاً الأرضُ. المسكونةُ وملؤُها أنت أسّستَهما. ١٢ الشمالُ
والجنوبُ أنت خلقتَهما. تابورُ وحرمونُ باسمِك يهتفان. ١٣ لك ذراعُ القدرةِ. قويّةٌ يدُك. مرتفعةٌ
يمينُك. ١٤ العدلُ والحقُّ قاعدةُ كرسيِّك. الرحمةُ والأمانة تتقدَّمان أمامَ وجهك. ١٥ طوبى
للشعبِ العارفين الهتافَ. يا ربُّ، بنور وجهك يسلكون. ١٦ باسمِك يبتهجون اليومَ كلَّه، وبعدلِك
يرتفعون. ١٧ لأنك أنت فخرُ قوّتِهم، وبرضاك ينتصبُ قرنُنا. ١٨ لأن الربَّ مِجنُّنا، وقدوسَ إسرائيلَ ملكُنا.
١٩ حينئذٍ كلمتَ برؤيا تقيَّك، وقلتَ: «جعلتُ عوناً على قويٍّ. رفعتُ مختاراً مِن بين
الشعب. ٢٠ وجدتُ داودَ عبدي. بدهنِ قُدسي مسحتُه. ٢١ الذي تثبُتُ يدي معه. أيضاً ذراعي
تشدِّده. ٢٢ لا يُرغِمه عدوٌّ، وابنُ الإثمِ لا يذلِّله. ٢٣ وأسحقُ أعداءَه أمامَ وجهِه، وأضربُ مبغضيه.
٢٤ أما أمانتي ورحمتي فمعه، وباسمي ينتصبُ قرنُه. ٢٥ وأجعلُ على البحرِ يدَه، وعلى الأنهار
يمينَهُ. ٢٦ هو يدعوني: أبي أنت. إلهي وصخرةُ خلاصي. ٢٧ أنا أيضاً أجعلُه بكراً أعلى مِن ملوكِ
الأرض. ٢٨ إلى الدهرِ أحفظُ له رحمتي. وعهدي يُثبَّت له. ٢٩ وأجعلُ إلى الأبدِ نسلَه، وكرسيَّه
مثلَ أيامِ السماوات. ٣٠ إنْ ترك بنوه شريعتي ولم يسلكوا بأحكامي، ٣١ إنْ نقضوا فرائضي ولم
يحفظوا وصاياي، ٣٢ أفتقدُ بعصا معصيتَهم، وبضرباتٍ إثمَهم. ٣٣ أما رحمتي فلا أنزعُها عنه، ولا
أكذبُ من جهة أمانتي. ٣٤ لا أنقضُ عهدي، ولا أغيِّرُ ما خرج من شفتيَّ. ٣٥ مرّةً حلفتُ بقُدسي
أني لا أكذبُ لداودَ. ٣٦ نسلُه إلى الدهرِ يكونُ، وكرسيُّه كالشّمسِ أمامي. ٣٧ مثلَ القمرِ يُثبَّت
إلى الدهر. والشاهدُ في السماءِ أمينٌ». سلاه.

٣٨ لكنك رفضتَ ورذلتَ. غضبتَ على مسيحك. ٣٩ نقضتَ عهدَ عبدك. نجستَ تاجَه في
التراب. ٤٠هدمتَ كلَّ جدرانه. جعلتَ حصونَه خراباً. ٤١ أفسده كلُّ عابري الطريق. صار عاراً
عند جيرانه. ٤٢رفعتَ يمينَ مضايقيه. فرّحتَ جميعَ أعدائه. ٤٣ أيضاً رددتَ حدَّ سيفه، ولم
تنصُره في القتال. ٤٤ أبطلتَ بهاءَه وألقيتَ كرسيَّه إلى الأرض. ٤٥ قصّرتَ أيامَ شبابه. غطّيته
بالخزي. سلاه.

٤٦ حتى متى يا رب تختبئُ كلَّ الاختباء؟ حتى متى يتّقدُ كالنار غضبُك؟ ٤٧ اذكُرْ كيف أنا
زائلٌ. إلى أيِّ باطلٍ خلقتَ جميعَ بني آدم. ٤٨ أيُّ إنسانٍ يحيا ولا يرى الموت؟ أيٌّ ينجّي نفسَه
من يدِ الهاوية؟ سلاه. ٤٩ أين مراحمُك الأُوَل يا ربُّ التي حلفتَ بها لداودَ بأمانتِك؟ ٥٠اذكُر يا
ربُّ عارَ عبيدِك الذي أحتملُه في حِضني من كثرةِ الأممِ كلِّها، ٥١ الذي به عيَّر أعداؤك يا ربُّ،
الذين عيّروا آثارَ مسيحِك. ٥٢مباركٌ الربُّ إلى الدهرِ. آمين فآمين.

مراحم الرب

يعبِّر هذا المزمور عن الأزمة النفسية التي اجتازها مؤمنٌ تقي أثناء سبيه في بابل، لأنه كان متأكداً من رحمة الله، وواثقاً في أمانته لوعوده أنه سيسحق أعداء داود، ويجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض (آيتا ٢٣، ٢٧). ولكنه في الوقت نفسه كان يرى الملك يهوياكين، حفيد داود، مسبياً وقد زال تاجه، وأُخربت مملكته، فيقول: «لكنك رفضت ورذلت .. نقضت عهد عبدك. نجّستَ تاجه في التراب» (آيتا ٣٨، ٣٩). فكيف تتم المصالحة بين صفات الله من رحمة وأمانة لوعوده الكثيرة لداود ونسله، من ناحية، ومن الناحية الأخرى الأمر الواقع الحزين المؤلم من سبي شعب داود وهوان نسله؟؟

ولكن حيرة المرنم تنتهي بأمرين، أولهما: أن الوعد الإلهي لداود كان مشروطاً بطاعة داود ونسله، فلما سقط نسله في العصيان أرسل إليهم الأنبياء يحذرونهم، ولكنهم استمروا في عصيانهم، فأوقع بهم عقاب السبي، ليؤدبهم، لكنه لن يرفضهم. والثاني: أن وعود الله ومراحمه ستتحقق بكمالها في المسيح ابن داود. فالبكر الأعلى من ملوك الأرض هو المسيح الملك، صاحب المملكة الروحية، وقد تمّ تحقيق الوعود لداود في المسيح الذي تنبأ عنه النبي إشعياء: «لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه.. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» (إش ٩: ٦، ٧). وهي مملكة روحية لا سياسية، كما قال المسيح لبيلاطس: «مملكتي ليست من هذا العالم.. ليست مملكتي من هنا» (يو ١٨: ٣٦).

قال أحد المفسرين أن مزمور ٨٩ يتكون من ٥٢ آية، وأسابيع السنة ٥٢ أسبوعاً، فيها نجد

الشتاء والصيــف والربيع والخريف. وفي حياة المؤمن ارتفاعات وانخفاضات، وفيها الفرح والحزن. وهذا ما نجده في هذا المزمور.. ولكن في وســط هذه كلها يــجب أن يــكون المؤمن متواضعاً غاية التواضع، معتمداً كل الاعتماد على النعمة الإلهية وحدها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يتغنى بمراحم الله (آيات ١-٤)

ثانياً – المرنم يمجد الله (آيات ٥-٣٧)

ثالثاً – المرنم يشكو إلى الله (آيات ٣٨-٥١)

رابعاً – تمجيد ختامي (آية ٥٢)

أولاً - المرنم يتغنى بمراحم الله
(آيات ١-٤)

١ – **رحمة الله وحقه:** «بمراحم الــرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي، لأني قلت إن الـرحمة إلى الدهر تُبنى. السماوات تُثبِت فيها حقك» (آيتا ١، ٢). ورد ذكر رحمة الله في مزمورنا سبع مرات (آيــات ١، ٢، ١٤، ٢٤، ٢٨، ٣٣، ٤٩)، وورد ذكر الحق خمس مرات (آيات ١، ٢، ٥، ٨، ١٤). ومراحم الله وحقه موضوعان مفرحان يــبهجان قلب المرنم ويفتحان شفتيه ليرنم تســابيح الفرح والشكر. ويبدأ المرنم بالتركيز على هاتين الفكرتين ليرتفع فوق آلامه، ويطمئن وســط تساؤلاته، ويؤكد عزمه على أن يستمر يتذكر مراحم الرب ويــخبر بها، لأنه واثق أن رحمة الله قائمة كبناء شاهق الارتفاع، وأن حقه ثابت في الســماوات، حيث لا يقدر شيطانٌ أو بشر أن يعبث به.

٢ – **أمانة الله لــوعوده:** «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي: إلى الدهر أثبّت نســلك، وأبني إلــى دور فدور كرسيك» (آيتا ٣، ٤). لا تتوقف أمانة الرب على أمانة الإنسان التقي، لأنها مستمدّة من طبيعة الله نـفسه. عندما أراد داود أن يبني هيكلاً للرب أرسل الرب إليه ناثان النبي يقول: «الرب يصنع لك بيتاً. متى كملت أيــامك واضطجعت مع آبائك أقيــم بعدك نســلك الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته. هو يبني بيتاً لاســمي، وأنا أثبّت كرســيّ مملكته إلى الأبد.. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ١٧: ١١، ١٦). وقد تحقق وعد الله كاملا لداود في المسيح الذي جاء، حسب الجسد، من نسله.

ثانياً - المرنم يمجد الله
(آيات ٥-٣٧)

١ – **تمجيد الله على جلاله:** (آيات ٥-١٨). يهدف المرنم من الحديث عن جلال الله إلى أمرين:

أن يطلب من الله العظيم مساعدة شعبه، وأن يشجع شعبه الذي يعبد هذا الإله الجليل.

(أ) جلال الله في ملائكته: (آيـات ٥-٧). يـظهر جلال الله في سـماواته حيـث يحمد الملائكة القديسون عجائبه وحقه (آية ٥). ووصف المرنم الملائكة بأنهم قديسون لأنهم مخصَّصون لخدمة الله. ولكن رغم قداستهم فإنهم لا يعادلون الله ولا يساوونه في سمائه (آية ٦)، كما قال أليفاز: «هوذا عبيده لا يأتمنهم، وإلى ملائكته ينسـب حماقة» (أي ٤: ١٨). ويظهر جلال الرب من أنه «إلهٌ مهوب جداً في مؤامرة القديـسـين. ومخوف عند جميع الذين حوله» (آية ٧). وكلمة «مؤامرة» يمكن ترجمتها «مجلس» فهناك مجلس للملائكة، وهم واقفون حول الله مسـتعديـن لتنفيـذ أوامره، فجميعهُم أرواح خادمة مرسـلة لخدمة الذين سينالون الخلاص (عب ١: ١٤)، قال دانيال عنهم: «إلهي أرسل ملاكه وسـدّ أفواه الأسود» (دا ٦: ٢٢). فهل رأى دانيال ذلك الملاك، وهل شعر بحفيف أجنحته؟ أم وجد الأسود تحوم حوله دون أن تؤذيه؟ أتساءل، لأننا قد لا نرى ملاكاً بعيوننا، لكننا نختبر خدمته لنا. وقد لا تـشعر أجسادنا بشيء فائق الطبيعة، لكننا نتيقن في قلوبنا أن الله يجري معنا معجزات، وأن ملاكه حال حول خائفيه وينجيهم (مز ٣٤: ٧).

(ب) جلال الله في الخليقة: (آيات ٨-١٤).

(١) جلال سـلطانه على البحر: (آيتا ٨، ٩). ليس مثل الله المتسلط على كبرياء البحر عندما ترتفع لججه، فيأمره: «اسكت. ابكم» فيصير هدوء عظيم (مر ٤: ٣٩)!

(٢) جلال سلطانه على الأعداء: (آية ١٠). سـحق الله بقوته «رَهَب»، أي الإمبراطورية العظيمة مصر، فغرق جيش فرعون. وصلى إشعياء: «اسـتيقظي. اسـتيقظي. البسـي قوة يا ذراع الرب. استيقظي كما في أيام القِدم، كما في الأدوار القديمة. ألستِ أنت القاطعة رهب، الطاعنة التنين؟ ألستِ أنت هي المنشّفة البحر، مياه الغمر العظيم، الجاعلة أعماق البحر طريقاً لعبور المفديين؟» (إش ٥١: ٩، ١٠).

(٣) جلال سلطانه على كل المسكونة: (آيات ١١-١٣). لله السماوات والأرض لأنه أسسهما. وله الشمال والجنوب (أي جبل غرب الأردن حيـث انتصرت القاضية دبورة). وله حرمون (جبل شرق الأردن الـشاهق الارتفاع)، وكلها تشهد لقوته الخالقة العظيمة وقدرته السرمدية «يمين الرب مرتفعة. يـميـن الرب صانعة ببأس» (مز ١١٨: ١٦). إليـه نلجأ، فنجده في الضيقات عوناً شديداً، لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار (مز ٤٦: ١، ٢).

(٤) جلال سـلـطان عدله ورحمته: «العدل والحق قاعدة كرسـيـك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام

وجهك» (آيـــة ١٤). يظهر جلال الله الفريد من أنه العادل الجبار، كما أنه الرحيم الأمين. ولا يلتقي العدل مع الرحمة إلا في الصليب حيث استوفى العدل حقه، وأخذت الرحمة مجراها (مز ٨٥: ١٠).. ولو كان الله عادلاً فقط مع البشر لأهلكهم بســبب خطايـــاهم ولم يرحمهم. ولو كان رحيماً فقط معهم لــكان هذا على حســاب عدالته. أما الصليـــب فقد أرانا عدالة الله التي تقتصُّ من الخاطئ، كما أرانا رحمته في يد محبته التي تمتد لتصالحنا معه. فليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه (يو ١٥: ١٣)، «لكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٨).

(ج) جلال الله في المؤمنين: (آيات ١٥-١٨).

(١) يســلكون في نور وجهه: (آيتا ١٥، ١٦). يســبح المؤمنون الرب، فيســلكون في نور وجهه، ويــبتهجون باسمه، ويرتفعون بعدله. والسالكون في نور وجهه هم الذين ينالون رضاه، لأنهم يفرحون به، ويـــســيرون في نور كلمته قائلين: «ســراجٌ لرجلي كلامك ونور لســبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥)، ويسلكون في نور المسيح الذي قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢)، ويتمتعون بعدالته التي ترفعهم.

(٢) يتمتعون بنصره: (آيـــتا ١٧، ١٨). يمنح الرب شعبه قوة مجيدة، لأنه راضٍ عليهم، فينتصب قـرنهم على أعدائهم. ويرمز القرن للقوة لأن الحيوان القوي يستخدم قرنه في الدفاع وفي الهجوم (تث ٣٣: ١٧)، ويـــرمز القرن أيــضاً للمجد (مرا ٢: ٣)، وللانتصار (١مل ٢٢: ١١). ويـــرمز ارتفاع القرن إلى زيـــادة المجد (١صم ٢: ١). ويــــنتصب قرن شعب الرب لأنه مجنُّهم. والمجن هو الترس الــكبير، وهو قطعة خشبية مغطاة بالجلد الذي يغمسونه في الزيت لحمايته من التشقُّق، يمسكه الجندي بيده اليســرى ليتلقَّى عليه الســهام الموجَّهة ضده، فينغرس ســـنُّ السهم في الخشب المغطى بالجلد.. وينتصب قرن شعب الرب لأنه ملكهم، الذي يدافع عنهم، ويدبر أمورهم، ويشرِّع لهم.

٢ - تمجيد الله على عهده مع داود: (آيات ١٩-٣٧).

(أ) اختيـــار نعمة: (آيـــتا ١٩، ٢٠). اختار الـــرب داود من وراء الغنم وجعله ملكاً، وكلَّف النبي صموئيل ليمسحه بدهن المسحة. وظن يسى أبو داود أن أكبر أولاده هو الجدير بالمنصب، ولكن ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنســـان ينظر إلى العينين، وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب. وعندما رأى صموئيل داود أمره الرب: «قم وامســحه لأن هذا هو». فأخذ صموئيل قرن الدهن ومســحه وســط إخوته. وحل روح الرب على داود من ذلك اليـــوم فصاعداً (١صم ١٦: ١-١٣).ولم يكن داود يتوقع شيئاً من هذا، لكن الرب أكرمه. وحدَّث الله ناثان النبي في رؤيا أن ســليمان بن داود ســيبني الهيكل

العظيـــم (٢صم ٧: ١٧). فما أعظم اختيار النعمة، كما قال المســيح: «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم، لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم» (يو ١٥: ١٦).

(ب) اختيـار لـلنصر: (آيــات ٢١-٢٥). بفضل أمانة الرب ورحمته أعان داود وكان معه ونصره على جليات (١صم ١٧) «وكان داود يتزايد متعظماً والرب إله الجنود معه.. فســكن في مكانه، ولا يـــضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذللونه» (٢صم ٥: ١٠، ٧: ١٠). وحقّق له وعده: «أجعل على البحر يـــده، وعلى الأنهار يمينه» (آية ٢٥)، فامتدّ مُلكه إلى البحر الأبيض في الغرب، والفرات في الشمال الشرقي بحســب وعد الله لإبراهيم (تك ١٥: ١٨) ولموســـى (خر ٢٣: ٣١)، وكان سليمان «متسلطاً على كل ما عبر النهر من تفسح إلى غزة» (١مل ٤: ٢٤).

(ج) اختيـار للتبنـي: «هو يـــدعوني أبي أنت. إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض» (آيتا ٢٦، ٢٧). وواضح أن هذا الوعد العظيم لم يتحقق إلا في المسيح ابن داود، الذي «له على ثوبه وعلى فخذه اسمٌ مكتوب: ملك الملوك ورب الأرباب» (رؤ ١٩: ١٦). والبكر هو الأعظم لأنه كان يرث ضعف إخوته، وهو كبير عائلته وقائدها، كما أنه يقوم بدور كاهن العائلة.

(د) اختيــار دائـم: (آيـــتا ٢٨، ٢٩). حفظ الله أمانته وعهده لداود إلى الدهر، وأدام نســله، وثبَّت عرشه، كما وعده في الرؤيا التي رآها ناثان النبي: «أنا أثبِّت كرســيَّ مملكته إلى الأبد.. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرســيُّـك يــكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧: ١٣، ١٦). ولكن هذا الوعد تحقق بكماله في المســيــح، الذي صُلب ومات ودُفن، ولكنه قام في اليـــوم الثالث من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب شفيعاً. وسيعود إلى عالمنا ليدين الأحياء والأموات.

(هـ) اختيـار مشـروط بتأديب المخطئ: (آيـــات ٣٠-٣٤). كان وعد الله لداود مشروطاً بطاعة نسله. فإن لم يكونوا أمناء يعاقبهم ويؤدبهم كما يؤدب الأب أولاده الذين يحبهم. وهذا ما قيل لداود في رؤيـــا ناثان النبي: «أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً. إن تعوَّج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم» (٢صم ٧: ١٤). «ثم قد كان لنا آباء أجســادنا مؤدِّبيـــن، وكنا نهابهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيـــا؟!» (عب ١٢: ٩). فعقاب المخطئ جزء من العهد. لكن الله يبقى أميناً، لا يتخلى عن وعوده. «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً. لا يقدر أن ينكر نفسه» (٢تي ٢: ١٣).

(و) اختيـار بوعد دائم: (آيـــات ٣٥-٣٧). حلف الله لداود بقُدســـه، أي بكل كيانه المقدس، فلا يمكن أن يســـقط الوعد. ســيبقى داود ونسله ملوكاً طالما بقيت الشمس وظلَّ القمر. «هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً وفرائض القمر والنجوم للإضاءة ليــلاً» (إر ٣١: ٣٥). «والشاهد في الســماء أميـــن». الذي هو الله في ســمائه، كما قال أيوب: «هوذا في الســماوات شهيدي، وشاهدي

في الأعالي» (أي ١٦: ١٩). ووضع قوس قزح في السحاب علامة ميثاقه مع نوح ونسله أنه لن يعود يُغرِق الأرض بالطوفان (تك ٩: ١٣).

ثالثاً - المرنم يشكو إلى الله (آيات ٣٨-٥١)

١ - **شكوى**: «لكنك» (آيات ٣٨-٤٥). ذكر المرنم الوعود الرائعة الأمينة من إله صادق رحيم، ولكن كانت عنده تساؤلات بسبب ما رآه في واقع الحياة في أيامه، وكان مختلفاً عمّا توقّعه من تحقيق الله لمواعيده، فرفع الأمر للرب الذي منه وبه وله كل الأشياء، يشكو لأن الله العظيم لم يساعد شعبه، بل إنه غضب على مسيحه!

(أ) **رفض الله الملك**: (آيات ٣٨-٤٠). في جرأة مثل جرأة النبي حبقوق يعاتب المرنم ربّه بأنه نقض العهد ونجّس الحصون وأخربها (حب ١: ٢، ١٣). لقد تنجّس تاج الملك (٢صم ١: ١٠) وتاج رئيس الكهنة (خر ٢٩: ٦)، والتاج رمز التخصيص للوظيفة ورمز كرامتها. ويربط المرنم بين حالة الملك وحالة البلد، فيقول: «هدمت كل جدرانه. جعلت حصونه خراباً».

(ب) **شماتة أعداء الملك**: (آيات ٤١-٤٣). تثير شماتة الأعداء مرارة النفس المهزومة، فالعدو يرتفع والتقي ينخفض، فيهزأ العدو لأنه انتصر ويخزى التقي لأنه عجز عن حماية نفسه.

(ج) **زال مجد الملك**: (آيتا ٤٤، ٤٥). يشكو المرنم أن الله أبطل بهاء الملك لأن روعة المملكة انطفأت، وقصّر الله أيام شبابه فانحنت قامته من الهم والذل، وأصابته الشيخوخة قبل موعدها. ولعل المرنم يشير إلى الملك يهوياكين الذي ملك في الثامنة عشرة من عمره (٢مل ٢٤: ٨)، وملك مئة يوم فقط، وقضى بقية عمره في السبي.

٢ - **طلب**: «حتى متى؟» (آيات ٤٦-٥١).

(أ) **طلب رحمة عاجلة**: (آيات ٤٦-٤٨). طال انتظار المرنم للنجاة، واقتربت أيامه من نهايتها، ومع هذا فلا زال غضب الله عليه وعلى شعبه مستمراً، فيقول: «إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم؟» (آية ٤٧). فهل لا بد أن تنتهي حياة الإنسان بالمرارة والذل؟ إنه يطلب الرحمة قبل أن يموت، وكأنه يردد: «هوذا جعلت أيامي أشباراً، وعُمري كلا شيء قدامك.. بتأديبات إن أدّبتَ الإنسان من أجل إثمه، أفنيت مثل العثّ مشتهاه» (مز ٣٩: ٥، ١١).

(ب) **طلب عودة المراحم الأولى**: (آيات ٤٩-٥١). في ضراعة يتساءل المرنم: «أين مراحمك الأُوَل يا رب التي حلفت بها لداود بأمانتك؟». فهل كانت المراحم لجيل مضى؟ أم أنها انتهت

إلى غيــر عودة؟.. ولا بد أن المرنم كان يـــذكر هوان الملك يهوياكين وهم يجرّونه في شوارع بابل ويهزأون به وبإلهه، فقال: «عيّروا آثار مســيحك» (عدد ٥١). وكان هذا تســاؤل القاضي جدعون: «إذا كان الـــرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه؟ وأيــن كل عجائبه التي أخبرنا بها آباؤنا قائليــن: ألم يُصعدنا الرب من مصر؟ والآن قد رفضنا الرب» (قض ٦: ١٣).

رابعاً - تمجيد ختامي
(آية ٥٢)

«مبارك الرب إلى الدهر. آميــن فآميـــن» (آية ٥٢). في ختام الكتاب الثالث من كتب المزامير الـخمسة يبارك المرنم الرب كما سبق أن فعل في خاتمة الكتاب الأول (مز ٤١: ١٣) وخاتمة الكتاب الثاني (٧٢: ١٩). ويتوّج التسبيح الأخير شكوى المرنم باستجابة الرب له، فيبارك ربّه على صلاحه حتى لو كانت الظروف المحيطة قاتمة وســـوداء. إنه كأيوب الذي بارك الرب في وقت ظلام حالك، فقال: «الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اســم الرب مباركاً» (أي ١: ٢١). سنبارك الرب حتى لو لم نفهم فكره، عالمين أن المسيح لا بد أن يسحق رأس الحية.

«بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» هي أول آيـــة في مزمورنا، والآية الأخيرة منه تقول: «مبارك الرب إلى الدهر. آمين فآمين». فنجيب جميعنا: «آمين، فآمين».

هللويا بالشكر لله الملك الذي يملك على حياتنا.

الجزء الرابع

المزمور التسعون

إلى المزمور المئة والسادس

المزمور التسعون

صلاةٌ لموسى رجلِ الله

١ يـا ربُّ، ملـجأً كنتَ لـنا في دورٍ فدور. ٢ مِن قبـلِ أن تُولـدَ الجبـالُ، أو أبـدأتَ الأرضَ
والمسكونةَ، منذ الأزلِ إلى الأبدِ أنت اللهُ. ٣ تُرجِعُ الإنسانَ إلى الغبار، وتقول: «ارجِعوا يا بني
آدم». ٤ لأنَّ ألفَ سنةٍ في عينيك مثلُ يومِ أمسٍ بعدما عبر، وكهزيعٍ مِن الليل. ٥ جرفتَهم. كسِنَةٍ
يكونون. بالغداةِ كعُشبٍ يزولُ. ٦ بالغداةِ يُزهِرُ فيزولُ. عند المساءِ يُجَزُّ فييبسُ.

٧ لأننا قد فنينا بسَخَطِك، وبغضبكَ ارتعَبْنا. ٨ قد جعلتَ آثامَنا أمامَك، خفيّاتِنا في ضوءِ
وجهِك. ٩لأنَّ كلَّ أيامِنا قد انقضَتْ برِجْزِكَ. افنينا سنينا كقِصَّةٍ. ١٠ أيامُ سنينا هي سبعون سنةً،
وإن كانت مع القوةِ فثمانون سنةً، وأفخرُها تعبٌ وبليَّةٌ، لأنها تُقرَضُ سريعاً فنطيرُ. ١١ مَن يعرفُ
قوَّةَ غضبِك؟ وكخَوْفِك سَخَطُك. ١٢ إحصاءَ أيامِنا هكذا علِّمنا فنُؤتى قلبَ حكمةٍ.

١٣ ارجِعْ يـا ربُّ. حتى متى؟ وترأَّف على عبيـدِك. ١٤ أشبِعنا بالغَداةِ مِن رحمتِك فنبتهجَ
ونفرحَ كلَّ أيامِنا. ١٥ فرِّحْنا كالأيامِ التي فيها أذلـلتَنا، كالسِّنينِ التي رأينا فيها شراً. ١٦ ليظهَرْ
فعلُك لعبيدِك وجلالُك لبنيهم. ١٧ ولتكُنْ نعمةُ الربِّ إلهِنا علينا، وعملَ أيدينا ثبِّتْ علينا، وعملَ
أيدينا ثبِّتْهُ.

صلاة لموسى رجل الله

هذا المزمور هو الوحيد الذي كتبه موسى، والأغلب أنه أقدم المزامير التي كُتبت، ويشبه في أسلوبه بركة موسى التي جاءت في التثنية ٣٣. وما أجمل لقب موسى في أول المزمور بأنه «رجل الله». وقد جاء هذا اللقب في مطلع بركة موسى للشعب (تث ٣٣: ١)، وأطلقه كالب بن يفنة على موسى وهو يحدّث يشوع بن نون (يش ١٤: ٦) وورد وصفاً لموسى كاتب التوراة بإلهام الروح القدس (عز ٣: ٢). ولُقِّب موسى بأنه «رجل الله» لأن الله اختاره عندما دعاه ليُخرج شعبه من مصر، ثم استخدمه فأخرجهم منها، وكان قائدهم في البرية أربعين سنة حتى حدود أرض الموعد. وسمي «رجل الله» لأنه أكرم الله وأطاعه. نعم كانت هناك أخطاء في حياة موسى، لكن أي إنسان لا يخطئ؟.. المسيح وحده هو الذي لم يخطئ أبداً.

أحب موسى الله من كل قلبه وقرر أن يطيعه وأن يخدمه، ففضل «أن يُذلَّ مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتي بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب ١١: ٢٥، ٢٦). اعتبر موسى بقاءه في القصر الملكي المصري خطيئة، لا لأنه خطية في ذاته، بل لأنه الأولوية الثانية في حياته. ووضع موسى أولويته الأولى أولاً، ففضل أن يُذَل

مع شعب الله لأنه «رجل الله». فلندْعُ الله أن يــعيننا لنضع مرضاته وعمل مشيئته والقيام بخدمته قبل كل شيء في حياتنا، فينال المرء منا لقب «رجل الله».

الأغلب أن هذا المزمور كُتب قرب نهاية أربعين ســنة من التيهان في البرية، وقد رأى موســى عقاب الله الذي حلّ بالشعب. ففي بداية رحلة الخروج أرسل موسى جواسيس ليستكشفوا الأرض التي وعد الله أن يــعطيها لهم، فرجعوا بتقارير رائعة عنها، تؤكد صدق ما قاله الله في وصفها، ولكنهم لم يســتطيعوا أن يصدقوا أنهم قادرون أن يمتلكوها، لأن ســكانها أقوياء وهم ضعفاء، وقالوا: «كنا في أعيــننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم» (عد ١٣: ٣٣). ولكن وقف رجلان عظيمان، هما يشوع بن نون وكالب بن يفنة، يقولان إن الشعب قادر على امتلاكها، لا من أنفســهم، لكن لأن الله وعدهم بها. وثار الشعب على موســى وعلى هارون، وقالوا: «نقيــم رئيســاً ونرجع إلى مصر» (عد ١٤: ٤). وأرادوا أن يرجموا موســى وهارون، فقال الله لموسى: «إني أضربهم بالوبأ وأبيدهم، وأصيِّرك شعباً أكبر وأعظم منهم» (عد ١٤: ١٢) ولكن موســى، الذي كانت الثورة ضده، تضرع إلى الله في غيرة صادقة ومحبة عظيمة، وفي حكمة القائد الذي يزن الأمور بدقة ورويّة وصلى: «اصفح عن ذنب هذا الـشعب كعظمة نعمتك» (عد ١٤: ١٩). فقال الله: «قد صفحت حسب قولك.. إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي.. وجرَّبوني الآن عشر مرات ولم يســمعوا لقولي، لن يروا الأرض التي حلفتُ لآبائهم.. قل لهم: في هذا القفر تســقط جثثكم.. لن تدخلوا الأرض.. أما أطفالكم.. فإني سأُدخلهم.. فجثثكم أنتم تســقط في هذا القفر» (عدد ١٤: ٢٠-٣٢). وقرب نهاية الأربعين سنة تأمل موسى الجيل الذي خرج معه من أرض مصر، فإذا هم قد ماتوا جميعاً، فكتب مزمورنا عن عقاب الله الأزلي الأبدي للإنسان الفاني!

في هذا المزمور نجد:

أولاً – عظمة الله وفناء الإنسان (آيات ١-٦)

ثانياً – غضب الله على الإنسان (آيات ٧-١٢)

ثالثاً – طلبات الإنسان (آيات ١٣-١٧)

أولاً -عظمة الله وفناء الإنسان
(آيات ١-٦)

١ – عظمة الله: (آيات ١-٤).

(ا) هو الـرب: «يا رب» (آية ١أ). الرب هو الســيد، يخاطبه الإنســان التراب، كما قال إبراهيم: «شرعتُ أكلم المولى وأنا تراب ورمادٌ» (تك ١٨: ٢٧). والرب هو المدافع الذي يحرس شعبه ويشق

لهم طريقاً في البحر، ويُغرق أعداءهم فيه! هذا الرب الســيد قريب من شعبه حتى أنه تجسد وصار مجرَّباً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيــة، ومات عنا على الصليــب ليــفتح لنا طريقاً إلى الأقداس، ونحن ننتظر مجيئه ثانية ديّاناً عادلاً للعالم.

(ب) هو الملجأ: «ملــجأ كنت لنا في دور فدور» (آيــة ١ب). أنقذ الله الأذلاء من ســوء العذاب وعبودية فرعون، وشق أمامهم البحر، وكان ملجأهم في صحراء سيناء عندما لم يكن لهم بيت يأوون إليه، ولا حقل يزرعونه ويحصدونه، ولا نهر يســتقون منه. أطعمهم في البرية وأعطاهم الســلوى، وظلل عليهم نهاراً بعمود سحاب، وحماهم ليلاً من الأعداء والوحوش بعمود نار. ومع أنهم ساروا في صــحراء قاحلة إلا أن ثيابهم لم تبل وأرجلهم لم تتورَّم أربعين سنة (تث ٨: ٤) كما قال الله على لسان موسى: «ســرتُ بكم أربعين سنة في البرية لم تبل ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبل على رجلك» (تث ٢٩: ٥). ولم تتوقف عناية الله بهم أبداً، بل كان لهم الملجأ الدائم، في دور فدور، في كل جيل. فنعم الملجأ الذي نحتمي فيه دوماً.

(ج) هو الأزلي الأبدي: «من قبل أن تولــد الجبال أو أبدأت الأرض والمســكونة، منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (آية ٢). وصف ســفر التكوين الخلق بقوله: «هذه مبادئ الســماوات والأرض حين خُلقت، يــوم عمل الرب الإله الأرض والســماوات» (تك ٢: ٤). فمن قبل أن يــعطي الرب للجبال وجودها، ومن قبل أن أبدأ المسكونة هو الله، منذ الأزل، والباقي إلى الأبد، لا يحدُّه زمن، لأنه العظيم الخالق الأزلي الأبدي، لا بداية أيام له، ولا نهاية حياة، وقد قال: «أنا هو. أنا الأول وأنا الآخِر، ويدي أسَّســت الأرض، ويميني نشرت الســماوات» (إش ٤٨: ١٢، ١٣). «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن، والذي كان، والذي يأتي، القادر على كل شيء» (رؤ ١: ٨).

(د) هو الممسك بمصير الإنسان: «تُرجع الإنســان إلى الغبار، وتقول: ارجعوا يا بني آدم» (آية ٣). حياة الإنسان بيد الله، فقد قال لآدم: «بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تك ٣: ١٩). والأمر الإلهي «ارجعوا يــا بني آدم» قد يعني أن الله هو الذي يأمر بأن تنتهي حياة الإنســان بالموت. «يسلِّم الروحَ كلُّ بشرٍ جميعاً، ويعود الناس إلى التراب» (أي ٣٤: ١٥). أو قد يعني أن الله يأمر بقيامة الموتى بعد فنائهم، كما قال المســيح: «تأتي ســاعة فيــها يســمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة» (يو ٥: ٢٨، ٢٩).

(هـ) هو خارج نطاق الـزمن: «لأن ألف ســنة في عينيك مثل يوم أمسٍ بعدما عبر، وكهزيع من الليل» (آية ٤). ينتهي جيل بعد جيل من البشر وكأنه يوم أمس. عاش متوشالح بن أخنوخ ٩٦٩ سنة، وهي لا شيء بالنســـبة للأبدية التي لا نهاية لها، وهي في الذاكرة الإلهية كأنها يوم أمس! «لا يخفَ

عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء، أن يوماً واحداً عند الرب كألف سـنة، وألف سنة كيوم واحد» (٢بط ٣: ٨). بل إن ألف سنة عند الله كهزيعٍ من الليل. وكان اليهود يقسمون الليل إلى ثلاثة هُزُع: الهزيـع الأول من حلول الظلام إلى منتصف الليـل، والهزيع الثاني من منتصف الليل إلى صياح الديـك أي الفجر تقريـباً، والهزيـع الثالث من صياح الديك إلى طلوع النهار. أما الرومان فكانوا يقسـمون الليل إلى أربعة هُزُع. وألف سنة عند الرب كهزيع من الليل، لا يحس به النائم، فليس عند الله ماضٍ ومستقبل، لأن الكل حاضر. ولا يوجد عنده قبل وبعد، بل الكل عنده الآن.

٢- **فناء الإنسان**: (آيتا ٥، ٦).

(أ) **سريع النهاية**: «جرفتهم» (آية ٥أ). كأنهم بناء أقيم على رمل، جرفه السيل فلم يعد له وجود.

(ب) **قصير العمر**، «كسِنةٍ يكونون» (آية ٥ب). السِّنة هي النومة القصيرة أو الإغفاءة. ويقول الله إنه يجعل أعداءه ينامون نوماً أبدياً ولا يستيقظون (إر ٥١: ٣٩).

(ج) **يشبه العُشب**: «بالغداة كعشب يزول. بالغداة يزهر فيزول. عند المسـاء يُجزُّ فييبس» (آيتا ٥ج، ٦). ما هو الإنسـان؟ إن قارنته بالجبال أو الأرض تجده لا شيء. فما بالك إن قارنته بالخالق الذي هو إلى دور فدور (إلى كل الأجيال). الإنسـان كالعشب الأخضر في مطلع النهار، اليابس في نـهايته! يأكله الحيوان أو يجزُّه الإنسان! «صوتُ قائل: نادِ. فقال: بماذا أنادي؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يـبس العشب، ذبل الزهر، لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقاً الشعب عشب. يبس العشب، ذبل الزهر، وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» (إش ٤٠: ٦-٨). «الإنسان مولود المرأة قليل الأيـام وشبعان تعباً. يـخرج كالزهر ثم ينحسـم، ويبرح كالظل ولا يقف» (أي ١٤: ١، ٢). تأمل موسـى زملاءه بعد نحو أربعين سنة من الخروج، فوجدهم قد ماتوا جميعاً، وتأمل نفسه وقد اشتعل الرأس شيـباً، فبدت الحياة هزيلة والأيام قليلة، لكنه لم يحوِّل عينيه قط عن إلهه، فرأى الحي الباقي الذي له وحده الدوام. وعندما نرفع نحن نظرنا إلى الله ندرك أنه ملجأنا في كل أدوار الحيـاة، وأنه الملجأ الوحيد الذي يدوم إلى الأبد.

ثانياً -غضب الله على الإنسان
(آيات ٧-١٢)

١ - **غضب يُفني ويُرعب**: «لأننا قد فنينا بسخطك، وبغضبك ارتعبنا» (آية ٧). يعلن المرنم ضعف الإنـسان أمام الغضب الإلهي الذي يُفني الخاطئ ويرعبه. وهذه صورة جيش يواجه كارثة ستحل به ولا يـقدر أن يواجهها، كما قيل عن سبط بنيامين لما انهزم أمام سائر الأسباط: «هرب رجال بنيامين برعدة، لأنهم رأوا أن الشر قد مسَّـهم» (قض ٢٠: ٤١). ونرى الرعب من الفناء على وجوه إخوة

يوسف عندما اكتشفوا فجأة أن ممثل فرعون الذي يكلمهم هو أخوهم الذي سبق أن باعوه «لم يستطع إخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه» (تك ٤٥: ٣). قبل أن يكتشفوا من هو يوسف كانوا يظنون أنهم قادرون أن يحبكوا كذبهم، وأن يقولوا للرجل العظيم شيئاً ينطلي عليه فيتمكنون من أخذ القمح ليرجعوا إلى عائلاتهم. لكن ماذا عساهم يفعلون وقد انكشف أمرهم؟ لقد أصابهم الرعب، لأنهم ظنوا أنه سيفنيهم. فإن كان هذا رعب إخوة يوسف أمام أخيهم البشري، فكم يكون رعب الخاطئ غير التائب في محضر الله كلي القداسة؟

٢ - **غضب يكشف الآثام:** «قد جعلت آثامنا أمامك، خفيّاتنا في ضوء وجهك» (آية ٨). عندما ثار الشعب على موسى وأرادوا أن يرجعوا إلى مصر غضب الله عليهم، ولم يعد يُريهم وجه الرضا، ولم يستر خطاياهم، بل أظهرها ووبخهم، وأعلن أن عقابهم آتٍ لا ريب فيه. فلم تكن تلك الثورة في حقيقتها ضد موسى، لكنها كانت ضد الله بسبب ضعف إيمان الشعب بمواعيده الصادقة والأمينة، والتي أعلنها الرب على فم موسى، وبرهن موسى إيمانه بها لما حمل عظام يوسف معه من مصر، لأن يوسف استحلف بني إسرائيل قائلاً: «إن الله سيفتقدكم فتُصعدون عظامي من هنا معكم» (خر ١٣: ١٩). ومع ذلك فلم يؤمن بمواعيد الله هذه إلا يشوع بن نون وكالب بن يفنة.

كم نحتاج إلى توبة فورية عن خطايانا حالما نعرفها، فنعترف بها ونتوب عنها فوراً، مصلين: «اغسلني كثيراً من إثمي، ومن خطيتي طهِّرني، لأني عارفٌ بمعاصيَّ وخطيتي أمامي دائماً» (مز ٥١: ٢، ٣). ونحن نرتكب خطايا خافية على عيوننا ولو أنها موجودة فينا، «السهوات من يشعر بها؟ من الخطايا المستترة أبرئني» (مز ١٩: ١٢)، فإن كانت مستورة عنا إلا أنها مكشوفة لله صاحب العينين اللتين تخترقان أستار الظلام وتريان كل شيء. «وليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤: ١٣). وهناك خطايا مفضوحة وأخرى مستورة، قال عنهما الرسول بولس: «خطايا بعض الناس واضحة تتقدّم إلى القضاء (لأنها علنية ومكشوفة)، وأما البعض فتتبعهم (لأنها غير منظورة ومستورة وخفية). كذلك أيضاً الأعمال الصالحة واضحة، والتي هي خلاف ذلك لا يمكن أن تُخفى» (١تي ٥: ٢٤، ٢٥). ويقول موسى رجل الله للرب إن خطاياه وخطايا شعبه واضحة مكشوفة، وإن أجرتها هي موت، وهو يطلب الرحمة والستر له ولشعبه.

٣ - **غضب يقصّر العمر:** «لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك. أفنينا سنينا كقصةٍ. أيام سنينا هي سبعون سنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعب وبلية، لأنها تُقرض سريعاً فنطير» (آيتا ٩، ١٠). عندما تأمل موسى مصير الجيل غير المؤمن، رأى أيامهم تنقضي تحت شدَّة الغضب الإلهي، وكأنه يقول مع إرميا: «ويل لنا لأن النهار مال، لأن ظلال المساء امتدت» (إر ٦: ٤).

كانت أيام الآباء تقرب من الألف سـنة، فقد عاش أدم ٩٣٠ سـنة، وابنه شيث ٩١٢ سـنة، ونوح ٩٥٠ سـنة (تك ٥: ٥، ٨ و٩: ٢٩). ولكن الخطية قصرت عمر الناس، فصارت أيام سنينا سبعين سـنة، وإن كانت مع القوة فثمانون سنة، وأفخرها تعب وبلية. عندما سأل فرعون يعقوب أبا الأسباط: «كـم هي أيام سني حياتك؟» أجاب: «أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة، قليلة وردية كانت أيام سني حيـاتي، ولم تبلغ إلى أيام سـني حياة آبائي في أيام غربتهم» (تك ٤٧: ٨، ٩). وقال أليفاز لأيوب: «الإنسان مولود للمشقّة، كما أن الجوارح لارتفاع الجناح» (أي ٥: ٧).

«أفنينا سـنينا كقصة» وما أسـرع ما تنتهي رواية القصة، سـواء كانت طويلة أو قصيرة! لكن تـأثيراتها لا تنتهي، فقد ترتفع بأفكارنا إلى مستوى أخلاقي عالٍ، وقد تقودنا إلى أفكار نجسة. صحيح أنا حياتنا قصيرة وتنتهي بسـرعة، لكن تأثيراتها على المحيطين بنا وعلى الجيل القادم لا تنتهي. فما هو تأثير قصة حياتك في شريك حياتك وأولادك وأصدقائك وأحفادك؟

٤ - **غضب قوي**: «مَن يـعرف قوة غضبك؟ وكخوفك سـخطك» (آية ١١). كل من يعرف قوة غضب الله على الخطيـة يـخشى الله ويتقيه حتى لا يثير غضبه عليه، كما قال الحكيم: «اتّقِ الرب وابعُد عن الشر» (أم ٣: ٧) «مخافة الرب بُغض الشر. الكبرياء والتعظُّم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضتُ» (أم ٨: ١٣). وقال الله على فم موسى: «يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم حتى يتقوني ويحفظوا جميع وصاياي كل الأيام، لكي يكون لهم ولأولادهم خير إلى الأبد» (تث ٥: ٢٩).

٥ - **غضب يُعلِّم الحكمة**: «إحصاء أيامنا هكذا علِّمنا فنؤتي قلب حكمة» (آية ١٢). قال موسى في نـشيده، قرب نهاية حياته عن شعبه: «إنهم أمة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم» (تث ٣٢: ٢٨، ٢٩). وفي مزموره يـطلب من الرب أن يـعلّمه ويعلمنا أن أيامنا قليـلة، وأن نهايتها مجهولة، فنكون حكماء في قراراتنا «لأنه ماذا ينتفع الإنسـان لو ربح العالم كله وخسـر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟» (مت ١٦: ٢٦). ولو أدرك الإنسان إحصاء أيـامه وكم هي زائلة، لقضاها يجهِّز نفسـه للأبدية السـعيدة مع الله. وتأتينا الحكمة الإلهية من الله، بـحسب القول الرسولي: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله، الذي يعطي بسخاء ولا يعيِّر، فسيُعطى له» (يع ١: ٥).

ثالثاً - طلبات الإنسان
(آيات ١٣-١٧)

راقب موسـى أصدقاءه وزملاءه أثناء سـنوات التيه الأربعين في صحراء سـيناء وهم يموتون

واحداً بعد الآخر، فرفع وجهه إلى الله مصلياً طالباً أربعة أشياء:

١ –**طلب الرحمة**: «ارجع يــا رب. حتى متى؟ وترأف على عبيدك. أشبعنا بالغداة من رحمتك» (آيــتا ١٣، ١٤أ). طلب موســى من الله أن يــرجع عن غضبه على شعبه، وأن يشرق عليهم بنور رحمته، فيــشبعون منها في الغداة (في الصباح الباكر).. عندما صنع الشعب عجلاً ذهبياً ســجدوا له فغضب الرب عليــهم، فصلى موســى: «ارجع عن حمو غضبك» (خر ٣٢: ١٢) وصلى داود من بعده: «وأنت يا رب، فحتى متى؟ عُد يا رب. نجِّ نفسي. خلصني من أجل رحمتك» (مز ٦: ٣، ٤). قال مارتن لوثر إننا ســنظل دوماً شحاذين نســتجدي رحمة الله، فلا يوجد من هو مســتحق. روى المســيح مثلاً عن فريسي ظنَّ أنه يستحق رضى الله، فصلى مفتخراً بنفسه محتقراً الآخرين، فرفض الله صــلاته. ووقف عشار من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء خجلاً من ذنوبه، وقرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» فغفر الله له (لو ١٨: ١٠-١٣). وطلب الرحمة يكون دوماً مصحوباً بالاعتراف والتوبة، لأننا نأســف على ما ارتكبناه، ونعزم على هجره، قائليــن: «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه. الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد.. إذ الجميــع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (إش ٥٣: ٦ ورو ٣: ١٢، ٢٣). لكن في صليــب المســيح جاءتنا الرحمة عندما مات الكامل من أجل الناقصيــن، والبار من أجل الأثمة، فقد أخلى نفســه وأخذ صورة عبد ليــجعلنا أبناء لله. صار ما لم يكُنْهُ ليجعل منا ما لم نكنه. هذه هي الرحمة الحقيقية. «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيــرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ٤-٦).

٢ – **طلب الفرح**: «فنبتهج ونفرح كل أيــامنا. فرِّحنا كالأيام التي فيها أذللتنا، كالســنين التي رأينا فيها شراً» (أيتا ١٤ب، ١٥). طلب موسى من الرب أن يفرِّحهم ويعوضهم عن الأيام التي أذاقهم فيها الذل، لأن الرب عندما يرجع عن غضبه يرحم الخاطئ التائب، فيبتهج التائب المغفور له ويفرح، لأن الرب رضي عنه وأرضاه، ويــكون فرحه النابع من رحمة الله عليه فرحاً دائماً «كل أيامنا». ويقول الذيــن غُفرت خطاياهم بعضهم لبعض: «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (١يو ٣: ١) ويرنمون:

ما أبهج اليوم الــــذي ... آمنتُ فيـــه بالمسيح
أضحى سروري كامـــلاً ... ورنَّ صوتــي بالمديح
حبــــي لفاديَّ المجيد ... يومــاً فيومــاً ســيزيد
عمـــر جديد، يوم سعيد ... يوم اختصاصي بالوحيد

عندما غفر الله لـــشعبه التائب، قال: «عزوا عزوا شعبي يـــقول إلهكم. طيـّـبوا قلب أورشليـــم و نادوا..أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها» (إش ٤٠: ١، ٢). مـــا أجمل حياة التوبة، فإنه «يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يـــحتاجون إلي توبة.. يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب» (لو ١٥: ٧، ١٠). أما الفرح الأعظم فهو من نصيـــب التائب الراجع إلي الله، لأنه يغفر له خطاياه، ويصالحه معه، ويمنحه الأُنس الدائم معه، ويـــجعله ملِكا له. هذا الإله العجيـــب في محبته يؤكد للتائب الراجع حضوره الدائم معه، ويفيض عليه بركات الســـماء والأرض دائماً، ويســـتجيب طلباته، وينقذه من المآزق، ويجعله يختبر الرحمة الإلهيـــة كل يوم وكل اليوم، فيقول: «إنما خير ورحمه يتبعانني كل أيام حياتي، وأســـكن في بيت الرب إلي مدى الأيام» (مز ٢٣: ٦).

٣ - **طلـب إظهار قوة الله:** «ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنيهم» (آية ١٦). يطلب موســـى من الرب أن يُظهر أفعال عنايته بطريقة مرئية كما فعل وقت الخروج من مصر، فرأى الجميع عمود النار وعمود السحاب اللذين قاد الرب بهما شعبه في صحراء سيناء (خر ١٣: ٢١، ٢٢)، كما رأوا شق البحر الأحمر فعبروا ونجوا من يد فرعون (خر ١٤: ٢١، ٢٨). واســـتجاب الله صلاة موســـــى، فرأى البعيد والقريب فعل الله المعجزي لعبيده، وجلال أعماله لبنيهم الذين شاهدوا انفلاق مياه نهر الأردن ولمسوا أعمال العناية الإلهية التي بلا حدود (يش ٣: ١٣، ١٥، ١٦ و٤: ٧).

إلهنا إلهٌ فاعل في التاريخ، كما أنه فاعلٌ بيننا اليوم، وغداً «كنتُ فتى وقد شخت ولم أر صدِّيقا تُخلِّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويُقرض، ونسله للبركة» (مز ٣٧: ٢٥، ٢٦) «فيُعلن مجد الرب، ويراه كل بشر معاً» (إش ٤٠: ٥).

٣ - **طلـب تثبيـت عمل الـيديـن:** «ولتكن نعمة الرب إلهنا علينـــا، وعمل أيدينا ثبِّت علينا، وعمل أيـــدينا ثبِّته» (آية ١٧). يطلب موسى من الله أن يثبت ويؤيد كل ما يقوم به من عمل يومي، فهل نظن أن موســـــى طلب أن يثبت الرب عليه عمله لو لم يكن عملاً صالحاً؟ هل يمكن أن يطلب تثبيت العمل الرديء عليـــه؟ إذا فمعنى الطلبة أن يـُـنعم الله عليه بأن يجعل عمله صالحا، فلا يمكن أن يعمل الصالح إلا إن عمل الله فيه أولا، كما قالت النصيحة الرســـولية: «لأننا نحن عمله (عمل الله) مخلوقين في المســـيح يســـــوع لأعمال صالحة قد ســـبق الله فأعدَّها لكي نســـلك فيها» (أف ٢: ١٠). «إذاً يا إخوتي الأحباء، كونوا راسخين، غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلا في الرب» (١كو ١٥: ٥٨).

عندما نعمل أي شيء دعونا نعمله لمجد الله. ولتكن نعمة الرب إلهنا علينـــا فيـــصبح عملنا صالحا، يثبته علينا ليســـتمر ويمتد ويتســـع. فما هو العمل الذي تقوم به للرب؟ وما هي الخدمة التي تؤديها له لتســـتطيع أن تصلي: امنحني نعمتك يا رب، وعمل يديَّ ثبت عليّ؟

المزمور الحادي والتسعون

١ السـاكنُ في سِتْرِ العليِّ في ظلِّ القديرِ يبيتُ. ٢ أقولُ للربِّ: «ملجإي وحِصني. إلهي فأتَّكلُ
عليـه». ٣ لأنه يـنجّيك مِن فخِّ الصيّادِ ومِن الـوبإ الخَطِرِ. ٤ بخوافيه يظلّلُك وتحتَ أجنحتِه
تحتمي. ترسٌ ومِجنٌّ حقُّه. ٥ لا تخشى مِن خوفِ الليلِ، ولا مِن سهمٍ يطيرُ في النهار، ٦ ولا من وبإٍ
يسـلكُ في الدُّجى، ولا مِن هلاكٍ يفسِدُ في الظّهيرةِ. ٧ يسقطُ عن جانبك ألفٌ، وربَواتٌ عن
يمينك. إليك لا يقرُبُ. ٨ إنما بعينيك تنظرُ وترى مجازاةَ الأشرار.
٩ لأنك قلتَ: «أنت يا ربُّ ملجإي». جعلتَ العليَّ مسكَنَكَ. ١٠ لا يلاقيك شرٌّ، ولا تدنو ضربةٌ
مِن خيـمتِك. ١١ لأنه يـوصي ملائكتَه بـك لـكي يحـفظوك في كلِّ طُرُقِكَ. ١٢ علـى الأيـدي
يحـملونك لـئلا تصدمَ بحجرٍ رِجْلَك. ١٣ على الأسـدِ والصِّلِّ تطأُ. الشبلَ والثعبانَ تدوسُ. ١٤ لأنه
تعلّق بـي أنجّيه. أرفّعُه لأنه عرف اسمي. ١٥ يدعوني فأستجيبُ لـه. معه أنا في الضيـق. أنقذُه
وأمجّدُه. ١٦ من طولِ الأيامِ أشبعُه، وأُريه خلاصي.

الساكن في ستر العلي

توجد نصوص كتابيـــة يتهيّب الواعظ أمامها لئلا يُنقِص من جمالها وهو يحاول أن يشرحها. وقد وجدتُ نفسي أقف هذا الموقف أمام المزمور الحادي والتسعين، كما وقفته أمام نصوص كتابية أخرى كثيرة.

يتحدّث هذا المزمور عن طمأنينة الإنســـان التقي الذي يحفظه الله من الأخطار التي تهدّده، روحياً وجســـدياً ونفسياً وفكرياً واجتماعياً. وهي بالرغم من كثرتها وخطورتها لا تدمّر المؤمن، وإن كانت أحياناً تزعجه، لأنها حتى لو اجتمعت معاً فهي لا شيء أمام عظمة القدرة الســماوية، والمحبة الإلهية للمؤمن. فما أكثر المخاطر ولكن ما أعظم العناية، التي تجعل المؤمن يقول: «الســاكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت».

يتعرّض المؤمن لأخطار روحية تهدد علاقته بالله، وتحاول أن تدمّر أخلاقياته. ويصف الرســـول بطرس عدوّنا الروحي إبليس بأنه كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه (١بط ٥: ٨) ولكن الرب يعطي الـمؤمن نصرةً على إبليس وجنوده، فيسمع كلمات الملاك المشجّع: «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود. مَن أنت أيها الجبل العظيم! أمام زربابل تصير سهلاً (بمعنى: تصير مستوياً)» (زك ٤: ٦، ٧)، فيقول المؤمن: «ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧)، ويردّد قول المســيح: «رأيتُ الشيطان ســـاقطاً مثل البرق سهلاً (بمعنى: تصير مستوياً)» (زك ٤: ٦، ٧)، فيــقول المؤمن: «ولكننا في هذه جميــعها يـــعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧)، ويردّد قول

المسـيح: «رأيتُ الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو ١٠: ١٨). فمهما كانت قسوة الصعوبة الـروحيـة التي تواجه المؤمن فإنها لا تفشله أبداً، بل تتحوّل بنعمة الله إلى معونة ترفعه إلى أعلى، وتكون بركة له وللمحيـطيـن به، كما حدث ليوسـف الذي باعه إخوته في مصر، فقال لهم بعد أن وصل إلى القمة: «لا تتأسّـفوا.. لأنكم بعتموني إلى هنا، لأنه لاسـتبقاء حياة أرسـلني الله قدامكم.. ليجعل لكم بقية في الأرض، وليسـتبقي لكم نجاة عظيمة. فالآن ليس أنتم أرسـلتموني بل الله.. أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً» (تك ٤٥: ٤-٨ و٥٠: ٢٠).

ويـتعرّض المؤمن لأخطار جسـدية، فيهاجمه الأعداء ليصيبوه أو يقتلوه، ولكنه يقول: «إن نزل عليّ جيـش لا يـخاف قلبي. إن قامت عليّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن» (مز ٢٧: ٣).. ويـهاجمه الـمرض، ولكنه يعرف أن الرب هو شافيه (خر ١٥: ٢٦). قد يشفيه باستعمال العقاقير كما حدث مع حزقيا (إش ٣٨: ٢١)، أو بمعجزة كما حدث مع بارتيماوس وغيره (مر ١٠: ٥٢)، وقد يعطيه نعمة كافيـة ليحتمل مرضه كما حدث مع الرسـول بولس (٢كو ١٢: ٩). وسـيكون المؤمنون في كمال الـصحة بعد انتقالهم ليـكونوا مع الرب حيـث لا مرض ولا وجع (رؤ ٢١: ٤). أما الأعداء فإنهم سيرتدّون على أعقابهم ويدفعون أجرة خطيتهم.

ويتعرّض المؤمن لأخطار فكرية، وقد يصيبه الشك، أو الحيرة. وقد يخاف من المسـتقبل أو من الـفشل، أو من الأعداء، فيصرخ: «يا ربّ، ما أكثر مضايقيَّ! كثيرون قائمون عليَّ. كثيرون يقولون لنفسـي: ليس له خلاصٌ بإلهه» (مز ٣: ١، ٢). ولكن نعمة الرب تسنده، فيهتف: «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي ورافع رأسـي» (مز ٣: ٣)، ويطيع قول المسيح: «لا تهتمّوا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شرُّه» (مت ٦: ٣٤).

ويـتعرّض المؤمن لأخطار من مجتمعه، فقد يضطهدونه، أو يطردونه من عمله، أو يخونه أقرب الناس إليه، ولكنه يقول: «من سـيفصلنا عن محبة المسـيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟» (رو ٨: ٣٥).

ما أكثر ما يـحيـط بالـمؤمن من صعوبات في كل مراحل حيـاته، ولكل مرحلة عُمر تجاربها ومتاعبها. لكن المواعيـد الإلهيـة تسـانده فيها كلها، وتنصره عليها، وعندها يقول للرب: «ملجإي وحصني إلهي فأتَّكل عليـه». فإذا تعلقنا به يـنجينا. وقد تجوز كنيسـتنا اليوم اختباراً كاختبار بني إسـرائيل في مصر، لكن لا بد أن نخرج منه بنعمة الله. وقد ندخل اختباراً كسبي بابل، لكن لابد أن يـردّ الرب سـبينا فنعود منه وقد تخلّصنا من كل ما يُضعف صلتنا بالله، فيكون مجد البيت الأخير أعظم من مجد الأول «وفي هذا المكان أعطي السلام، قال رب الجنود» (حج ٢: ٩).

يـــتكوّن هذا المزمور من ١٦ آية، نصفها الأول حديث عن اختبارات المؤمن مع الرب، ونصفها الثاني حديث الله للمؤمنين.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – حديث المرنم عن نفسه (آيتا ١، ٢)

ثانياً – حديث المرنم لقريبه (آيات ٣-٨)

ثالثاً – حديث الله للمرنم (آيات ٩-١٦)

أولاً - حديث المرنم عن نفسه
(آيتا ١، ٢)

١ – **قاعدة عامة:** «الســـاكن في ســـتر العلي في ظل القدير يبيت» (آية ١). ليســـت هذه الكلمات شعارات لتطميـــن الناس، لكنها حقائق واختبارات. لقد انهار الذيـــن قالوا إن الديـــن أفيون الشعوب وانتهوا، أما أقوال الله فهي حقائق مُعاشة وثابتة، اختبرها المؤمنون عبر الأجيال، وسيظلّون يعيشونها واثقين فيها إلى يوم الدين، فهي ليســـت ماضياً انتهى بل حاضر دائم، وواقع يومي. ويقول المرنم إن كل من يسكن في ستر العلي يبيت في ظل القدير، فالذي يسكن هو الذي يبيت في ظله وحمايته، وهو من صارت الحيـــاة له هي المســـيـــح، وعرف معنى القيامة المنتصرة، والجلوس مع المســـيح في السماويات (في ١: ٢١ و٣: ١٠، ١١ وأف ٢: ٦).

(أ) **المؤمن ساكن ويبيت:** ســـاكن بمعنى أنه مقيم، ويبيت لأنه مُنتمٍ يقضي ليله في مكان آمن، فبعد أن أنعم الله عليـــه بالتبنّي يقيم في بيت الرب أبيه «إلى مدى الأيام» (مز ٢٣: ٦)، ويســـكن في شركة حلوة بيـــن المؤمنين، ويغمض عينيه ليبيت مطمئناً لأن عيناً ســـاهرة تحرســـه هي عين الإله المحب، ويـــقول: «أنا اضطجعت ونمت. اســـتيـــقظت لأن الرب يعضدني» (مز ٣: ٥) «بســـلامة أضطجع، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز ٤: ٨).

(ب) **الرب هو العلي القدير:** العلي فوق كل عالٍ، الذي يـــرى من علياء ســـمائه كل شيء، ولا يخفى عنه أمر. الماضي والمســـتقبل حاضران أمامه، وهو يعرف حاجة المؤمن من قبل أن يســـأل (مـــت ٦: ٨) فيسدّد كل احتياجاته. الرب العلي هو سيد الأرض كلها، ساكن السماء، الذي يُشرف من ســـمائه على البشر ليرى «هل من فاهم طالب الله؟» (مز ١٤: ٢). «ليست خليقة غير ظاهرة قدامه، بـــل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤: ١٣).. وهو القدير الذي صلى

له النبي إرميا قائلاً: «أيها السيد الرب، ها إنك قد صنعت السماوات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة. لا يعسر عليك شيء» (إر ٣٢: ١٧). وقال المسيح: «عند الناس غير مستطاع، ولكن ليس عند الله، لأن كل شيء مستطاع عند الله» (مر ١٠: ٢٧). له يهتف المؤمنون الغالبون: «عظيمةٌ وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلةٌ وحقٌ هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ ١٥: ٣).

(ج) **المؤمن مستور مظلَّل**: يستر الرب المؤمن بستره فيمتِّعه بالسَّتر والسُّتر، فلا يقرب إليه شر أو عدو. ويُنعم عليه بظل حمايته، فلا تدنو منه ضربة. لا متاعب من البشر، ولا من الأرواح الشريرة. لا متاعب من أعدائه الذين يكيدون له، ولا من أصدقائه الذين قد يتابعونه بحصار نصائحهم التي لا تفيد! ويحاول العالم أن يُذل المؤمن، لكن الذل لا يدخل إلى نفسه، لأنه يقول: «يخبِّئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته» (مز ٢٧: ٥).. «أنت سترٌ لي. من الضيق تحفظني. بترنُّم النجاة تكتنفني» (مز ٣٢: ٧). «يستر الرب سكان أورشليم، فيكون العاثر منهم في ذلك اليوم مثل داود» (زك ١٢: ٨). «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (مز ٣٦: ٧). «الرب حافظك. الرب ظلٌ لك عن يدك اليمنى» (مز ١٢١: ٥). ويحاول الأشرار مضايقة المؤمن لكنه لا يتضايق، لأن نعمة الرب تطرد الضيق عنه فينتصر، لأنه يدرك أنه لا يتعامل مع البشر، بل مع رب البشر.

٢- **اختبار شخصي**: (آية ٢).

(أ) **المرنم رجل صلاة**: «أقول للرب» (آية ٢أ). فالحديث الحبي والتواصل الفكري مع الله بالصلاة هو بداية الحياة الإيمانية، وهو إعلان جهاري يمجد الله ويقود الآخرين إلى طريق الإيمان والتوبة. عندما يصلي الخاطئ التائب: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو ١٨: ١٣) تنفتح أبواب السماء وترسل الاستجابة فوراً ويتبرَّر المصلي التائب. عندما التقى شاول الطرسوسي بالمسيح الحي المُقام قيل عنه: «هوذا يصلي» (أع ٩: ١١). وتستمر السماء تستجيب للخاطئ الذي تاب، ويقول الرب عنه: «ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب. وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥: ٢٤). ويتميَّز أبناء الله الأتقياء بالحديث الدائم مع الله واتقين فيه متكلين عليه وشعارهم: «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩: ٤).

(ب) **للمرنم علاقة شخصية بالله**: «ملجاي. حصني. إلهي» (آية ٢ب). الملجأ هو الحصن المبني على جبل، والمحاط بالأسوار العالية، فيصعب على العدو الوصول إليه أو تسلُّق أسواره واقتحامه. والرب سور نار للمؤمن، وهو الحصن الذي يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع (أم ١٨: ١٠)

فلا يـــرى فيه أي تغيير ولا ظل دوران (يع ١: ١٧). والرب هو العظيم صانع السـماء والأرض، ومع ذلك فهو يـــعطي المؤمن مكانةً خاصة في قلبه المحب، فيدعوه التقي: «إلهي». «حبيبي لي وأنا له» (نش ٢: ١٦) «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع ٢٧: ٢٣).

(ج) لـلـمرنم علاقة مطمئنة بالله: «فأتكل عليـــه» (آيـــة ٢ج). ما أعظم طمأنينة المؤمن الذي عرف الله واختبره وتأكد من انتمائه له، فبدأ يتصرَّف بحسب ما عرف واختبر. الفاء هنا فاء السببية، وتعني أنه: بما أنك ملـــجاي وحصني وإلهي لذلك أتكل عليـــك، خصوصاً في وقت الاحتيـــاج، لأنك وحدك تســـــتحق أن أتكل عليك، وأنا مطمئن إليك. «الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقَب» (مز ٣٤: ٢٢).

ثانياً - حديث المرنم لقريبه
(آيات ٣-٨)

١- **يحدِّث المرنم قريبه عمّا يفعله الله:** «لأنه يـــنجّيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطر. بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي. تُرسٌ ومِجنٌّ حقُّه» (آيتا ٣، ٤).

(أ) ينجيك:

* من «فخ الصيـــاد»: الصيـــاد الأكبر الذي يـــنصب الفخاخ للناس هو إبليس، ومعه جنوده ممَّن يـــخدعهم من البشر، ويصفهم المرنم بالقول: «طالبو نفسي نصبوا شركاً، والملتمسون لي الشر تكلموا بالمفاسد، واليوم كله يلهجون بالغش» (مز ٣٨: ١٢). ويطلب الرسول بولس من تلميذه تيموثاوس أن يـــؤدِّب المقاومين بوداعةٍ «عســـى أن يعطيهم الله توبةً لمعرفة الحق، فيســـتفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته» (٢تي ٢: ٢٥، ٢٦). ويـــلعب إبليـــس دور أســـد ليحقق غايته من اقتناص الناس، فيـــزأر ليرعب المؤمنين (١بط ٥: ٨) ولكنه ليس أســـداً حقيقياً. وعندما يكون المؤمن داخل حظيرة المســـيح يكون في أمان من فخ الصياد غير المنظور، ولن يقدر إبليس أن يصل إليه، ولن ينال منه، لأنه في رعايـــة الرب الذي يحفظه، فيتحقَّق معه القول: «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح» (إش ٥٤: ١٧)، ويقول مع عزرا الكاهن: «كانت يد إلهنا علينا فأنقذنا من يد العدو والكامن على الطريق» (عز ٨: ٣١). وإبليس لا يملك إلا اقتراح الثورة ضد فكر الله، لكنه لا يُجبر أحداً على ارتكاب الشر، وهو لا يمكن أن يخطف المؤمن من يد الرب طالما كان المؤمن متمسّكاً بالرب. فلنكن يقظين حتى نرفض اقتراحات إبليس وعروضه المغرية فلا نقع في فخ الصياد.

* من «الوبإ الخطر»: هناك أوبئة وأمراض يـــنجي الرب المؤمن منها، ولكن أخطر وبإ هو وبأ الخطية التي تفسـد الإنســـان. ويفسد المجتمع عندما تصبح الخطية هي الأصل، وتكون التقوى هي الدخيل! حقاً «البر يرفع شأن الأمة، وعار الشعوب الخطية» (أم ١٤: ٣٤).

(ب) يـظللـك: «بخوافيه يظللك» (آية ٤أ). والخوافي هي الريش الصغير الناعم في بطن الجناح وتحته. والفرخ الصغيـــر لا يحتمل خشونة الريش الكبير، فأعطى الله الخوافي للطائر لتحمي فراخه لئلا يـــجرحهم الريـــش الكبير. ما أحلى عناية الرب الذي يعتني بالصغير كما بالكبير. عندما يكون الإنسان مجروحاً في داخله وخارجه يضمد جراحه بكل المحبة.

(ج) يحـميـك: «تحت أجنحته تحتمي. ترسٌ ومجنٌ حقُّه» (آيــة ٤ب، ج). كأن للرب جناحيـن كبيـــريــن يـــحمي بهما المؤمن من شرور العالم ومن شمس التجارب ومن هجوم العدو. قال بوعز لراعوث الموآبيـــة: «ليكافئ الرب عملك، وليكن أجرك كاملاً من عند الرب الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيـــه» (را ٢: ١٢). فقد يجيء طائر كبير يحاول أن يخطف الفرخ الصغير، فيمدُّ الأب أو الأم جناحيهما ليحميا الصغير. ويعلّم النســر صغاره الطيران بالاســتعانة بجناحيه الكبيرين «يحرّك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويحملها على مناكبه» (تث ٣٢: ١١).

ويـــجد المؤمن حمايته في حقّ الرب المعلَن في كلمته، وهي أمضى من كل سيف ذي حدَّين (عب ٤: ١٢). كان الجندي قديـــماً يحتمي بالترس الكبير وبالمجن (وهو الترس الصغير). والترس قطعة خشب مغطاة بجلد، خلفها مقبض جلدي، وكانوا يغمســـون الجلد الذي يغطي الخشب بالزيت لحمايته من التشقّق. ويمســك الجندي الترس من المقبض ليتلقّى عليه ســـهام العدو، فينغرس السهم في الجلد والخشب. وكثيراً ما كان العدو يغطي ســـهمه بقماش مشتعل، فكان الترس يحمي الجندي من الحريق ومن النزيف الدموي. وكان الجندي يســـحب السهم من الترس ويعيد توجيهه نحو العدو، فيرتد سهم العدو إلى نحره. ويـــقول الإنجيـــل إن الترس الذي يـــحمي المؤمن هو ترس الإيمان وتصديق الحق الإلهي، الذي به يطفئ المؤمن جميع سهام الشرير الملتهبة (أف ٦: ١٦). وكلما هاجمنا العدو احتجنا أكثر إلى حق الله المعلَن في كتابه، فلا يـــضيع منطقنا الســليم بســبب الهجوم، بل ننال من حق الله المنطق الســليـم، فإن «الله لم يـــعطنا روح الفشل، بل روح القوة والمحبة والنصح» (٢تي ١: ٧). والنصح هو التفكير السليم.

هل يـنتابنا شك في محبة الرب لنا؟ كثيـــراً ما نصلي ولا يعطينا الله ما طلبناه، فيُخيَّل لنا أنه لا يســـمع، لكن حق الرب يقول: «اسألوا تُعطَوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتَح لكم» (لو ١١: ٩)، ويقول الـمرنم: «انتظاراً انتظرتُ الرب فمال إليَّ وســمع صراخي» (مز ٤٠: ١). الرب يـــســـمع عندما

نـدعوه.. أحياناً يسمع طلبنا ويرفضه لأنه ليس الأفضل لنا. وفي أحيان أخرى قد يتأنى في الاستجابة ليعطينا احتياجنا في موعدٍ أفضل. وقد يعطينا ما طلبناه. هذا هو الحق الذي يحمينا من الشكوك. قال المســيــح: «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يو ٨: ٣٢). والحق هو أن الله محبة، وهذا ما اكتشفه الابن الضال، ففي طريق عودته إلى أبيه كان خائفاً من أن يرفضه أبوه، وســرعان ما عرف حقيقة أن أباه يــحبه، وكان في كل يوم ينتظر عودته، فتحرر من شكوكه في قبول أبيه له. وعلينا أن نتأكد أن الآب السماوي لا يشاء أن يبقى الخاطئ في مكان بعيد، بل أن يرجع إليه فيحيا. فلا تيأس أبداً من محبة أبيــك الســماوي، لأن قلبه مفتوح لك. قال الأب عن ابنه الضال الراجع: «يــنبغي أن نفرح ونســر.. لأن ابني هذا كان ميــتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد» (لـــو ١٥: ٢٣، ٢٤). وهذا هو الحق المحرِّر من الخطية ومن الخوف ومن الشك.

٢ - **يحدِّث المرنم قريبه عما يجب أن يفعله القريب:** (آيات ٥-٨).

(أ) **لا يجـب أن يخـاف:** «لا تخشى من خوف الليــل، ولا من ســهم يــطير في النهار، ولا من وبإ يسلك في الدُّجى، ولا من هلاك يفسد في الظهيرة» (آيتا ٥، ٦). عينا الرب تلاحظان المؤمن في كل وقت، في الليــل والنهار، وقت الدجى ووقت الظهيــرة. كان اليهود يقســمون اليوم إلى شروق وظُهر، وغروب ونصف ليــل. ويُطمئن المرنم أخاه المؤمن بأن لا يخاف في أية ســاعة على مدار اليــوم، فقد يجيء المرض والوبأ، أو يهاجمنا العدو ليلاً. وأحياناً يحدث كل هذا نهاراً. وفي كل هذه الحالات لا داعي للخوف أو القلق. فلنطلب من الله أن يــحقِّق لنا وعده: «إذا اضطجعتَ فلا تخاف، بل تضطجع ويلذّ نومك. لا تخشى من خوف باغت ولا من خراب الأشرار إذا جاء، لأن الرب يكون معتمدك، ويصون رجلك من أن تؤخَذ» (أم ٣: ٢٤-٢٦).. وقال بعض المفســرين إن الليل والدجى يــرمزان إلى وقت الفشل، وإن النهار والظهيــرة يرمزان إلى أوقات النجاح. وهناك أخطار تصيبنا وقت الفشل، فننهار ونســقط تحت الضغوط. ولكن أوقات النجاح قد تكون أكثر خطورة على حياتنا الروحية، فننســى الله ونظن أن ذكاءنا جلب لنا النجاح، وقد نضل عن الرب لأننا نعتمد على المال، أو على أصحابنا، أو على شهاداتنا العلميــة، أو على نفوذ عائلاتنا. فلا يــجب أن نخشى من خوف الليل، ولا من ســهام النهار. فلتكن صلاتنا: «لا تعطني فقراً ولا غنى. أطعمني خبز فريضتي، لئلا أشبع وأكفر وأقول: من هو الرب! أو لئلا أفتقر وأسرق وأتّخذ اسم إلهي باطلاً» (أم ٣٠: ٨، ٩).

(ب) **سيرى سقوط الأشرار:** «يســقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك، إليك لا يقرب. إنما بعيــنيــك تنظر وترى مجازاة الأشرار» (آيتا ٧، ٨). يؤكد المرنم لكل مؤمن أنه متميِّز ومحروس

بقوة الله لخلاصٍ مستعدٌ أن يُعلَن في الزمان الأخير (١بط ١: ٥) «فتعودون وتميِّزون بين الصدِّيق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملا ٣: ١٨). لقد ميَّز الرب تقيَّه، ففي وقت الخروج من مصر تحوَّل الماء إلى دم في كل البلاد إلا في أرض جاسان (خر ٧: ٢٠)، وساد الظلام أرض عُبّاد الوثن، بينما كان لشعب الله نور في مساكنهم (خر ١٠: ٢١)، وكان صراخ في كل بيت إلا في بيوت الذين احتموا بالدم فعبر الملاك المهلك عنهم (خر ١٢: ٢٣)، وعبر شعب الله البحر الأحمر بسلام، وسقط أمامهم الألوف غرقى فيه (خر ١٤: ٣٠، ٣١).

فلننتبه ونتعظ ونتوب لننجو من مصير الأشرار الذين يسقطون في الحُفر التي يحفرونها لغيرهم فيسقطون فيها. ولنصلِّ «اللهم ارحمني أنا الخاطي» لتُمحى خطايانا ونضمن أبديتنا ونقول: «كُن ضامني عند نفسك» (أي ١٧: ٣). وليكن لنا الإيمان الواثق بالله ومواعيده، ولنكن مثل كالب بن يفنة ويشوع بن نون اللذين قالا إن الرب سيحقق وعده لشعبه، فنالا المكافأة، وسقطت في القفر جثث جميع الذين لم يؤمنوا، فرأى كالب ويشوع مجازاة الأشرار الذين لم يؤمنوا بوعد ربهم (عدد ١٤: ٣٦-٣٨).

ثالثاً - حديث الله للمرنم
(آيات ٩-١٦)

بدأ المرنم مزموره بالحديث عن اختباره المفرِّح مع الله، ثم التفت يحدِّث قريبه بأفضال الله. وتدخَّل الله ليشجع المؤمن وقريبه بمراحمه الإلهية:

١- **يعِدُ الرب المؤمن بدوام الحماية:** «لأنك قلت أنت يا رب ملجإي، جعلتَ العليَّ مسكنك، لا يلاقيك شر، ولا تدنو ضربةٌ من خيمتك» (أيتا ٩، ١٠). يتشجَّع المؤمن بصدق كلام الرب الذي بدأ به المزمور، فيقول: «لأنك قلت» «لأنك جعلت». فلم يحب المؤمنُ الله باللسان فقط، بل أحبه بالعمل والحق. لقد صدَق وهو يقول: «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت»، وصدق وهو يشجع قريبه بأن الألوف يسقطون من حوله، دون أن يقربه شر. شهد المؤمن عن اختباره، وتحدَّث مع قريبه عن صلاح الرب، فشهد الله للمؤمن أنه أمين وواثق. ومن له إيمان سيُعطى ويُزاد (مت ١٣: ١٢)، فزاد الرب المؤمن تأكيداً أنه سيستمر معه، فلا يلاقيه هو شخصياً شر، ولا تدنو ضربة من خيمته، أي جسده أوعائلته وكنيسته ومجتمعه. دخل المسيح سفينة حياة المؤمن، فلا يمكن أن تغرق مهما اشتدَّت الزوابع ومهما علت الأمواج! قال المسيح: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤) ولن يلاقي الغصن الثابت في الكرمة السماوية شر، ولن تدنو ضربة من بيته.. فإذا سمح الله بوقوع

ضـربة على المؤمن فإن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو ٨: ٢٨). فيحوّل الرب الضربة التي سـمح لها أن تدنو من خيـمة المؤمن إلى بركة تُثبّت أوتادها وتزيدها رسـوخاً وقوة.

٢- **يعِدُ الرب المؤمن بالخدمة الملائكية:** «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيـدي يـحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك. على الأسـد والصّل تطأ. الشبل والثعبان تدوس» (آيات ١١-١٣). والملائكة «أرواح خادمة مُرسـلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١: ١٤). ونـادراً ما يرى المؤمن الملائكة بعينيه الجسديتين لكنهم موجودون حوله. فتح الملاك عيني هاجر لترى بئر الماء، فروت إسـماعيـل الذي كان يـكاد يـموت عطشاً (تك ٢١: ١٩). وطمأنت الملائكة يـعقوب أب الأسـباط وهو ينام في الصحراء وحيداً (تك ٢٨: ١٢). وجاء ملاك الرب إلى إيـليا في الصحراء بكعكةٍ وكوز ماء، فأكل ونام من شدة التعب، وأيقظه الملاك بعدها ليتناول وجبة أخرى (١مل ١٩: ٤-٨). وقال دانيال في جب الأسـود: «إلهي أرسل ملاكه وسدّ أفواه الأسود» (دا ٦: ٢٢). وفتح الملاك أبواب السـجن لبطرس السجين، وأيقظه وقاده إلى الحرية (أع ١٢: ٧-١٠). وخدمت الملائكة المسـيـح بعد انتصاره على تجارب إبليـس الثلاث في الصحراء (مت ٤: ١١). وتفرح الملائكة بالخاطئ التائب (لو ١٥: ١٠) وتحمل نفس المؤمن إلى النعيـم (لو ١٦: ٢٢) وفي اليـوم الأخير يكون الملائكة حصّادي نفوس الناس (مت ١٣: ٣٩). «ملاك الرب حالٌّ حول خائفيه وينجيهم» (مز ٣٤: ٧). ويعرف الشيطان خدمة الملائكة للمؤمنين، فاقتبس للمسـيح آيتي ١١، ١٢ من مزمورنا وهو يجرّبه أن يطرح نفسه من على الجبل، فتحرسه الملائكة، فيتبعه الناس (مت ٤: ٦).

وتـحمي ملائكة الله المؤمنين من الخطر الظاهر الذي يعبِّر عنه المرنم بالأسد والشبل، كما يحميهم مـن الخطر المختفي وهو الصل (نوع خبيث من الحيات) والثعابين. ويصف الكتاب إبليس بأنه كأسد يزأر (١بط ٥: ٨) وبأنه الحية القديمة (رؤ ١٢: ٩ و٢٠: ٢) «لأن إله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً» (رو ١٦: ٢٠). فليطمئن المؤمنون، لأن نسل المرأة الذي سحق رأس الحية سينجيهم من الأسـود والثعابيـن، ويجعلهم يدوسـونهم. وكلمة «تدوس» لها معنى عسـكري، فقد كان القائد المنتصر يـضع قدمه على عنق القائد المهزوم، ويـكون هذا إعلان استسـلام المهزوم وانتصار المنتصر. وفي المسيح نقول: «يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧).

«لأنه هكذا قال الرب: هئنذا أدير عليها سلاماً كنهرٍ، ومجد الأمم كسيل جارف، فترضعون وعلى الأيدي تُحملون، وعلى الركبتين تُدلَّلون. كإنسان تعزّيه أمه هكذا أعزيكم أنا» (إش ٦٦: ١٢، ١٣).

٣ - يعدُ الرب المؤمن بعلاقة حميمة: (آيات ١٤-١٦).

(أ) **المؤمن يحب الله فينجّيه:** «لأنه تعلّق بي أنجيه» (آية ١٤أ). يتعلّق المؤمن بالرب لأن الرب تعلّق بالمؤمن، فيحب الرب لأن الرب أحبه أولاً (١يو ٤: ١٩). «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا» (١يو ٤: ١٠). قال موسى لشعب الله: «التصقَ الرب بكم واختاركم.. الرب التصق بآبائك ليحبَّهم، فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم، فوق جميع الشعوب، كما في هذا اليوم» (تث ٧: ٧ و١٠: ١٥) فيقولون: «بترنّم النجاة تكتنفني» (مز ٣٢: ٧)، وصدَق الملك داريوس وهو يقول: «هو ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السماوات وفي الأرض. هو الذي نجى دانيال من يد الأسود» (دا ٦: ٢٧). وهو نفسه الذي سبق أن نجى يوسف من سجن فرعون وأقامه على العرش (تك ٤١: ١٤، ٤١-٤٤)، ونجى داود من يد شاول وولاه المُلك على شعبه (٢صم ١: ٤)، ونجى مُردخاي من مؤامرة هامان (أس ٣-٨).

(ب) **المؤمن يعرف الله فيرفَعه:** «أرفّعه لأنه عرف اسمي» (آية ١٤ب). بسبب إعلان الوحي عن الله، ونتيجةً لعمل الروح القدس في القلب، يعرف المؤمن الرب معرفة شخصية، فيتمُّ فيه القول: «ويتّكل عليك العارفون اسمك، لأنك لم تترك طالبيك يا رب» (مز ٩: ١٠). ويستمر المؤمن يقول: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، متشبّهاً بموته.. لست أحسب أني قد نلت أو صرت كاملاً، لكني أسعى لعلي أدرك» (في ٣: ١٠، ١٢). وهنا يرفّع الرب المؤمن، فيصل إلى مستويات أعلى في التقوى والقُرب من الله، ويرتفع رأسه على أعدائه من حوله. «الرب يرفع الودعاء، ويضع الأشرار إلى الأرض» (مز ١٤٧: ٦). «يُقيم المسكين من التراب. يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء، ويملّكهم كرسي المجد» (١صم ٢: ٨).

(ج) **المؤمن يدعو الله فيستجيبه:** «يدعوني فأستجيب له» (آية ١٥أ). يحب المؤمن الرب فيخاطبه بدالة البنين «يا أبانا الذي في السماوات» (مت ٦: ٩) فيستجيب الله ويمنحه بركات السماء والأرض.

(١) **ينقذه من الضيق:** «معه أنا في الضيق: أنقذه وأمجّده» (آية ١٥ب). فالرب يقول: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز ٥٠: ١٥) والمؤمن يجيب: «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي ورافع رأسي. بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه» (مز ٣: ٣، ٤).

(٢) **يطيل أيامه:** «من طول الأيام أشبعه» (آية ١٦أ). هذا تحقيق للمواعيد الإلهية «إذ تحب الرب إلهك، وتسمع لصوته، وتلتصق به، لأنه هو حياتك، والذي يطيل أيامك» (تث ٣٠: ٢٠).

وقال الحكيم: «يا ابني لا تنسَ شريعتي، بل ليحفظ قلبك وصاياي، فإنها تزيدك طول أيام، وسني حياة، وسلامة.. في يمينها طول أيام، وفي يسارها الغنى والمجد» (أم ٣: ١، ٢، ١٦). وهذا بخلاف الأشرار الذين يسقطون عن جانبك، والذين يجازيهم الله حسب شرهم (آيتا ٧، ٨). وليس المقصود بطول الأيام كثرة السنين، فهناك سنون طوال لا ثمر فيها ولا عطاء، وهناك سنون قليلة تترك بصمات مباركة. لقد صرف المسيح على أرضنا ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت السنوات الثلاث الأخيرة في خدمته العلنيَّة هي أغنى السنين. فلنستخدم أيامنا لمجد الله، ولنطلب منه أن يعوّضنا عن السنين التي أكلها الجراد (يوئيل ٢: ٢٥).

(٣) يريه خلاصه: «وأريه خلاصي» (آية ١٦ ب). يطلب المرنم خلاص الرب لشعبه من السبي، ومن الحرب، ومن الأعداء، ومن الجوع، ومن المرض. ويقدم الإنجيل لنا معنى أعمق للخلاص، هو الخلاص من الخطية بفداء المسيح الذي مات من أجلنا على الصليب «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنّس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات لأجلكم» (١بط ١: ٣، ٤). وخلاص المسيح ليس قاصراً على الخلاص من الخطية، لكنه خلاص كامل وشامل.

تعالوا نسكن في ستر العلي ونبيت في ظل القدير، ليرينا خلاصه.

المزمور الثاني والتسعون

مزمورٌ تسبيحةٌ. ليوم السبت

**١ حسنٌ هو الحمدُ للربِّ والترنُّمُ لاسمِك أيها العليُّ. ٢ أن يُخبَرَ برحمتِك في الغداةِ وأمانتِك
كلَّ ليلةٍ. ٣ على ذاتِ عَشْرَةِ أوتارٍ وعلى الربابِ، على عَزْفِ العودِ. ٤ لأنك فرَّحتَني يا ربُّ
بصنائعِك. بأعمالِ يديك أبتهجُ. ٥ ما أعظمَ أعمالَك يا ربُّ، وأعمقَ جداً أفكارَك! ٦ الرَّجُلُ البليدُ
لا يعرفُ، والجاهلُ لا يفهمُ هذا. ٧ إذا زها الأشرارُ كالعُشبِ، وأزهر كلُّ فاعلي الإثمِ، فلكي يُبادوا
إلى الدهرِ. ٨ أما أنت يا ربُّ فمتعالٍ إلى الأبدِ. ٩ لأنه هوذا أعداؤك يا ربُّ، لأنه هوذا أعداؤك
يَبيدون. يتبدَّدُ كلُّ فاعلي الإثمِ. ١٠ وتنْصِبُ مثلَ البقرِ الوحشيِّ قرني. تدهَّنْتُ بزيتٍ طَرِيٍّ.
١١ وتبصرُ عيني بمُراقبيَّ، وبالقائمين عليَّ بالشر تسمعُ أذناي.**

**١٢ الصِّدِّيق كالنخلةِ يزهو، كالأرز في لُبنانَ ينمو. ١٣ مغروسين في بيتِ الربِّ، في ديار إلهنا
يُزهِرون. ١٤ أيضاً يُثمِرون في الشَّيْبَةِ. يكونون دِساماً وخُضراً. ١٥ ليُخبروا بأنَّ الربَّ مستقيمٌ.
صخرتي هو ولا ظُلمَ فيه.**

دعوة للتسبيح في يوم الرب

هذا المزمور تسبيحة «ليوم السبت» يسبِّح فيها المرنم للرب، مستخدماً مختلف الآلات الموسيقية من ذات العشرة أوتار والرباب والعود (آية ٣) لتضفي المزيد من البهجة على تسبيحه المُلذّ. وهو مزمور متفائل عامر بالفرح، لأنه حمدٌ لله العلي المرتفع (آية ١) المتعالي جداً (آية ٨) الذي من علوِّ سمائه يرى كل احتياجات المؤمن فيمدُّ يد عظمته ومحبته ليسدِّدها كلها. وهو تسبيح للرب العادل الذي يبدِّد كل فاعلي الإثم (آية ٩) ويمنح المؤمنين الثمر الروحي فيصير «الصدِّيق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو» (آية ١٢). ويسبح المرنِّم الرب الذي يرى الخاطئ ويعاقبه ويطهِّر الأرض من أفعاله الشريرة، كما أنه يرحم الذين يقبلون رحمته، وينقِّيهم ليأتوا بثمر كثير ودائم في كل مراحل عمرهم. «يثمرون في الشيبة. يكونون دِساماً وخُضراً» (آية ١٤) ولا يخافون من الشيخوخة لأنهم يقضونها مع المسيح الذي قال: «أتيتُ لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠).

دعونا نشترك مع صاحب المزمور في تسبيح الله الذي خلقنا على صورته كشَبهه، فالإنسان على صورة الرحمان. ولما أفسد الإنسان صورته الجميلة بعصيانه عمِل الله على فدائه وكفَّر عنه خطاياه ليُعيد له الصورة الأولى التي شوَّهتها الخطية. وكل مؤمن مولود من الله يشهد لهذه الحقيقة، فإنه «بإنسانٍ واحد (آدم الأول) دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع.. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً

الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو ٥: ١٢، ١٧). عندها يخبرون بأن الرب مستقيم، لا ظلم فيه، وهو صخرة المؤمن الذي عليه يستند وبه يحتمي (آية ١٥).

ودعونا نشترك مع المرنم في التسبيح في يوم الرب، الذي كان الشعب القديم يحتفل فيه باكتمال عمل الخَلق، ويحتفل فيه المسيحيون باكتمال عمل الفداء بقيامة المسيح من بين الأموات، فقد صُلب يوم الجمعة وقام يوم الأحد «لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي، وقد صار لي خلاصاً» (إش ١٢: ٢).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – البار يسبِّح الله (آيات ١-٧)

ثانياً – البار يفرح بالله (آيات ٨-١٥)

أولاً - البار يسبِّح الله
(آيات ١-٧)

تشبه فاتحة مزمور ٩٢ فاتحة مزمور ٣٣، في وصف جمال الترنيم للرب بمصاحبة الموسيقى.

١ – وصف الترنُّم: (آيات ١-٣).

(أ) الترنُّم واجب: «حسنٌ هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي» (آية ١). الرب هو الله الذي خلقنا، وهو سيد الأرض كلها، وهو العلي والأعلى فوق كل عالٍ في كل الأرض، وفي يده زمام الأمور، وهو صاحب السلطان والحل والربط، لذلك يستحق وحده أن نرنم له «لأن الترنُّم لإلهنا صالح. لأنه مُلِذٌّ. التسبيح لائق» (مز ١٤٧: ١). فلنسبحه في كل حين، لأنه يرعانا ويدبِّر أمورنا، وليكن شعارنا: «ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟ كأس الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعو» (مز ١١٦: ١٢، ١٣).

والترنيم حسن للمؤمن، فعندما يرنم يتخفَّف من آلامه. في وسط الصعوبات جرِّبْ أن تشكر الله، وستكتشف أنك قد انتعشت. قُلْ: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ٢). كان مارتن لوثر يقول لأصحابه: «تعالوا نرنم مزموراً فنطرد الشيطان» لأن روح التسبيح والشكر والفرح يبدد اليأس والحزن والفشل، وعندها نقول: «حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً» (مز ١٢٦: ٢). بالتسبيح نرتفع عن متاعب العالم ونركز على الرب ملك الملكوت، فهو أبونا السماوي الذي يُنعم علينا بالبركات، ويُخرج لنا من الآكل أُكلاً ومن الجافي حلاوة (قض ١٤: ١٤)، والذي يشجعنا بقوله: «قولوا للصدِّيق خير» (إش ٣: ١٠). فلنجرِّب الشكر والتسبيح، ولا نركز تفكيرنا على الصعوبات التي تواجهنا، لأنه سينصرنا عليها وعلى آثارها، فتمتلئ نفوسنا بشكر ملك

الملوك، فيســمع الجميع من حولنا «صوت ترنُّم وخلاص في خيام الصدِّيقين» (مز ١١٨: ١٥). وما أروع أصوات المؤمنين الغالبين وهم يرتلون ترنيمة موســى والحمل (رؤ ١٥: ٣) فقد رنَّم موســى وهـو يقود شعب الله إلى الحرية السياسية، أما ترنيمة الحمل فهي ترنيمة الحرية الروحية برفْع خطية العالم.

والترنيم حســن لأنه لغة الطبيعة التي تســبح الله «السماوات تحدِّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يـديــه» (مز ١٩: ١). وعندما نتأمل الحقول نقول: «اكتســت المروج غنماً، والأودية تتعطَّف بُرّاً (قمحاً). تهتف وأيضاً تُغنّي» (مز ٦٥: ١٣).

والتســبيح حســن لأنه لغة الملائكة، فما أمجد التسابيح التي ملأت جوَّ الأرض قبل مولد المسيح مباشرة، وكان ختامها الترنيــمة العظيمة: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض الســلام، وبالناس المسرة» (لو ٢: ٤). وما أجمل ترنيمة الملائكة التي سمعها إشعياء النبي: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣).

(ب) الـترنُّم شـهادة: «أن يُخبَر برحمتك في الغداة، وأمانتك كل ليلة» (آية ٢). في الغداة (أي في الصباح) وفي المســـاء يعلن المرنم لكل المحيطين به عن رحمة الله وأمانته، ويكون إعلانه بترنيمه وحمده. في بدء كل يوم وفي نهايته يشهد لأمانة الله. وقد طالبت شريعة موســـى بتقديم ذبيحة للرب في الصباح وأخرى في المســاء (خر ٢٩: ٣٨، ٣٩)، وقال المرنم: «أما أنا فإلى الله أصرخ والرب يخلِّصني. مســاءً وصباحاً وظهراً أشكو وأنوح فيســـمع صوتي» (مز ٥٥: ١٦، ١٧). في الصباح يرتل مخبراً برحمة الله التي حفظته بســلام في الليل لأنه «عند المســـاء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مز ٣٠: ٥). «مراحمه لا تزول. هي جديـــدة في كل صباح» (مرا ٣: ٢٣). وفي المســاء يرتل معلناً أن الله الأمين سار معه كل اليوم.

(ج) الترنُّم مبهج: «على ذات عشرة أوتار، وعلى الرباب، وعلى عزف العود» (آيــة ٣). يرتل المرنم مزموره بابتهاج بمصاحبة الآلات الموســـيقية، فيشترك مع كل خليقة الله في الترنيم والتسبيح لله، فأشجار الــوعر تغني (١أي ١٦: ٣٣)، وكواكب الـــصبح معاً وجميــع بني الله (أي ٣٨: ٧)، والأوديــة تغني (مز ٦٥: ١٣)، والجبال تغني (إش ٥٥: ١٢). وفي سفر الرؤيا نقرأ عن ترنيم ١٤٤ ألف مؤمن كُتب اسم الرب على جباههم، يعزفون بقيثاراتهم ويرنمون ترنيمة جديدة أمام العرش (رؤ ١٤: ١-٥). وتصاحب الآلات الموســـيــقية الترنيم لتضفي عليه جمالاً، من عود ورباب ذي عشرة أوتار، وهي أفضل آلات الــعزف في زمان الــمرنم. لـــكن حتى لو لم تكن هناك آلات عزف فإن المؤمنين يترنمون ويرتلون في قلوبهم للرب (أف ٥: ١٩). وفي هذا التســـبيح تشابُهٌ كما أن به جدَّة

«غنّوا له أغنية جديدة. أحسنوا العزف بالهتاف» (مز ٣٣: ٣).

٢ - دافعان على الترنُّم: (آيات ٤-٧).

(أ) **لشكر الخالق:** «لأنك فرّحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج. ما أعظم أعمالك يا رب، وأعمق جداً أفكارك» (أيتا ٤، ٥). أعمال الرب متسعة الدوائر، ومستمرة، وكلها تهدف إلى خير البشر، وكل وسائل عملها مقدسة. فما أعظم أعماله وما أبهجها للمؤمن، في الخلق، وفي الفداء، وفي العناية. فلنتأمل الطبيعة وجمالها والجبال وجلالها والبحار وقوتها، ولنتأمل معها زنابق الحقل بألوانها البديعة ورقّتها الفريدة. كلها بحكمة صنع!.. وتأملوا أعماله في الكفارة والفداء والغفران، وكيف كسا أبوينا الأوّلين بعد أن عرّاهما العصيان وعجزا عن ستر نفسيهما، وكيف افتُدي إسحاق بن إبراهيم الخليل بالذبح العظيم الذي يرمز إلى المسيح فادي البشر، والذي ليس بأحدٍ غيره الخلاص. في صليب المسيح وحده تلتقي الرحمة والعدل، كما قال المرنم: «الرحمة والحقُّ التقيا. البرُّ والسلام تلاثما» (مز ٨٥: ١٠).. وتأملوا أعمال عنايته الفريدة وهو يطعم الطيور ويكسو الزهور! لقد وسعت عناية الله كل شيء، وما أجمل كلمات المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو ٥: ١٧). الرب الحي يعمل في وسطنا، وهو صانع المعجزات التي لا تتوقّف، ولن تتوقف، لأن احتياجاتنا مستمرة، ولأنه هو لم يتغيَّر، و«يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨). ومن الغريب أننا نجد من ينكر حدوث المعجزات في يومنا. كأنه يقول إن الإنسان أصبح مكتفياً بقدراته العلمية والمادية التي تحل له كل مشاكله، أو كأنه يقول إن الله لم يعُد راغباً في إجراء المعجزات. والحقيقة هي أن التقدُّم العلمي يكشف للإنسان مقدار ما يجهله، وهذا هو تواضع العلماء. كما أن الله لا زال يحب البشر وسيظل، ويريد أن يمدَّ لهم يد العون في كل حين.

(ب) **للبُعد عن الجهالة:** «الرجل البليد لا يعرف، والجاهل لا يفهم هذا. إذا زها الأشرار كالعشب وأزهر كل فاعلي الإثم، فلكي يُبادوا إلى الدهر» (أيتا ٦، ٧). الإنسان بليد وجاهل ما لم يرفع عينيه ليتعلّم من الله، والحكيم هو الذي يطلب من الله أن يعرّفه ويعلّمه ويدرّبه (مز ٢٥) فيسمع الرب يقول له: «أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨).. بعد أن فتح الرب عيني المرنم على الحق رفض أن يسلك سبُل الأشرار، حتى لو رآهم ناجحين في أمور هذا العالم، لأن زهوهم ونجاحهم سرعان ما يذبل، فإنهم كالعشب الذي ينمو سريعاً ويجف سريعاً. «لا تَغَر من الأشرار، ولا تحسد عمّال الإثم، فإنهم مثل الحشيش سريعاً يُقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون» (مز ٣٧: ١، ٢). ومن الغريب أن الأشرار الأذكياء في أمور دنياهم جُهّالٌ في أمور دينهم، لا يدركون معجزات الخَلق والفداء والعناية. إنهم يظنون أن ثراءهم ناتج عن ذكائهم

واجتهادهم، وينسون نعمة الله المخلِّصة من الخطية، المتوافرة لهم، لكنهم لا يتمتعون بها، لأنهم كافرون بها أو رافضون لها. «قال الجاهل في قلبه: ليس إله!» (مز ١٤: ١). صحيحٌ أنه «لا يهلك كلُّ من يؤمن به» (يو ٣: ١٦)، أما الذي يرفض فإنه لا بد يهلك، ويُباد من الأرض ذكره، ويكون الجحيم مثواه. إنهم كالعصافة التي تذرّيها الريح، مهما بدا أنهم خُضرٌ ناجحون (مز ١: ٤). الشرير عشب (آية ٧) والمؤمن نخلة وشجرة أرز (آية ١٢). فماذا تريد أن تكون؟

ثانياً - البار يفرح بالله
(آيات ٨-١٥)

في هذا القسم من المزمور يعبّر المرنم عن فرحه بالرب العادل الذي يعاقب الخاطئ على شرّه. وقد يبدو أن هذا قسوةٌ من البار على الشرير، لكن الحقيقة هي أن الشرير يجلب الشر على رأس نفسه، أما البار فلا بد أن يفرح ببركات الإله المحب الذي برّره.

١ - **يفرح البار بعدالة الله التي تعاقب الخاطئ:** «أما أنت يا رب فمتعالٍ إلى الأبد. لأنه هوذا أعداؤك يا رب، لأنه هوذا أعداؤك يبيدون. يتبدَّد كل فاعلي الإثم» (آيتا ٨، ٩). في هاتين الآيتين يحدِّث المرنم ربَّه العالي المرتفع، الذي يرى كل شيء ولا يخفى عنه أمر، ولا بد أن يجازي كل واحد حسب عمله (مت ١٦: ٢٧). ويطلق المرنم على الخطاة صفتين، فيسمِّيهم «أعداء الرب» و«فاعلي الإثم». وهل يجرؤ أحدٌ أن يعادي الرب، وهو العالي الأزلي الأبدي؟ لا بد أنه فقد كل منطق سليم، لأنه «مخيف هو الوقوع في يدي الإله الحي» (عب ١٠: ٣١). ويوضح لنا الرسول بولس سبب هذه الحماقة في قوله: «إله هذا الدهر (إبليس) قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو ٤: ٤). فليس سبب عداوتهم للرب غموض إعلان الرب عن نفسه لهم، لكن لأن الشيطان أعمى قلوبهم وعقولهم. ومع أن الله أرسل إليهم الأنبياء والرسل، وجاءهم مخلِّصاً في المسيح، إلا أنهم «لما عرفوا الله لم يمجِّدوه أو يشكروه كإله، بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي» (رو ١: ٢١). قال المسيح لأهل أورشليم الذين رفضوه: «يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرةٍ أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (مت ٢٣: ٣٧، ٣٨). فالذين يفعلون الإثم يعملون إرادة الشيطان، وهم أبناء لإبليس، ولا بد أن يدفعوا أجرة انحرافهم وينالوا جزاء شرورهم، فيكونون «كالثوب يأكلهم العث، وكالصوف يأكلهم السوس» (إش ٥١: ٨).

٢ - يفرح البار بعدالة الله التي تكافئ المؤمن: (آيات ١٠-١٥).

(أ) **ينصره الله على أعدائه:** «وتنصب مثل البقر الوحشي قرني. تدهّنت بزيت طري. وتبصر عيني بمراقبيّ (الجواسيس)، وبالقائمين عليّ بالشر تسمع أذناي» (آيتا ١٠، ١١). القرن رمز القوة، به يهاجم البقر الوحشي عدوه فيعجز عن مواجهته. والرب يعطي المؤمن قوة فلا تصيبه هزيمة، بل ينتصب أمام أعدائه منتصراً. ««كل قرون الأشرار أعضب (أقطع). قرون الصدّيق تنتصب» (مز ٧٥: ١٠). ويمنح الرب المؤمن «زيتاً طرياً» يتدهّن به. والزيت الطري هو زيت الزيتون الطازج، يدهن الرب المؤمن به ليكرمه وينعشه، وهو يرمز للنعمة الإلهية التي يمسحنا الله بها كل يوم. عندما تحس بفتور وجفاف روحي تدخل إلى مخدعك وتغلق بابك وتصلي إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية بالانتعاش الحقيقي (مت ٦: ٦). الجفاف الروحي يصيبنا بالخشونة وتيبُّس العضلات الروحية فننهزم أمام التجارب البسيطة، ولكن مسحة الروح القدس تقوينا بالرب فنواجه تجارب الحياة بانتصار. فلنطلب من الرب دوماً «الزيت الطري» لأن المسيح قال: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو ١٦: ٢٤). وقال: «ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً» (أع ١: ٨).

ويراقب الأشرار المؤمن، بمعنى أنهم يتجسسون عليه ليشتكوه، أو ليهاجموه. وهم يتجسسون لأنهم لا يملكون شجاعة المواجهة، بسبب ضعفهم أمام قوته الأخلاقية. ولا بد أن يحل بهم العقاب فترى عينا المؤمن وتسمع أذناه بمصيرهم السيء. إنه لا ينتقم منهم، لكنه يرى ويسمع أن الرب الإله العادل فعل هذا. «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو ١٢: ١٩) «والرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤:١٤). «لا يغلبنّك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢: ٢١).

(ب) **يزرعه الله في بيته:** «الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب. في ديار إلهنا يزهرون» (آيتا ١٢، ١٣). يحب المؤمن بيت الرب ويريد أن يسكن فيه إلى مدى الأيام (مز ٢٣: ٦). ولا بد أن المرنم كان يفكر في نخلة وشجرة أرز مزروعتين في ساحة الهيكل، فرآهما، ورأى نفسه فيهما.

* النخلة وشجرة الأرز دائمتا الخضرة حتى لو كانت المياه حولهما قليلة، والظروف المناخية حولهما قاسية. فتنمو النخلة حتى في الصحراء، وتنمو شجرة الأرز على الجبال وسط الثلوج. وكلتاهما تنموان ببطء، وترتفعان إلى أعلى باستقامة، وجذورهما تتعمق إلى أسفل. وكذلك المؤمن لا ينمو بسرعة لأنه يتأصّل ويضرب بجذوره إلى أسفل فيرتفع إلى أعلى ويثمر، وذلك بالصلاة ودراسة

الـكتاب والتأمل، وتطبيق ما يعرفه في حياته اليومية، وهذا يحتاج إلى وقت وجهد وشجاعة وإصرار واستمرار عملاً بالوصية: «انموا في النعمة وفي معرفة ربنا يسوع المسيح» (٢بط ٣: ١٨). المؤمن إذاً كشجرة مغروسـة عند الميـاه الجارية، تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل، وكل ما يصنعه ينجح (مز ١: ١-٣. راجع إر ١٧: ٧، ٨).

* النخلة وشجرة الأرز معمِّرتان: تعيش النخلة أكثر من مئة سـنة وتعيش شجرة الأرز إلى ألف سـنة. ولما كانتا مزروعتين في فناء الهيكل فإنهما تنالان بركة أكبر لوجودهما في المكان المقدس، ورعـاية أفضل فتُعمِّران أطول. وهذا هو حال المؤمن الساكن في ستر العلي.. تنظر إلى الشرير فلا تجده، أما المؤمن فإن الله يـمتعه بطول الأيام وعمقها، ويكون ذكره في حياته وبعد موته للبركة (أم ١٠: ٧).

* الـنخلـة وشجرة الأرز مفيـدتان ومثمرتان: نأخذ من النخلة التمر، وهو غذاء غني بالفوائد، والمؤمن شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة (مت ٧: ١٧). وكم اسـتراح بنو إسرائيل في الصحراء في إيليم، حيث وجدوا اثنتي عشرة عين ماء وسـبعين نخلة (خر ١٥: ٢٧). ويُسـتخدم سعف النخل في الاحتفال بعيـد المظال (لا ٢٣: ٤٠) واسـتعمله سـكان أورشليـم للترحيب بالمسـيح يوم دخوله الانـتصاري (يو ١٢: ١٣). وكانت دبورة القاضية تجلس تحت نخلة دُعيت «نخلة دبُورة» (قض ٤: ٥). أما خشب الأرز فكان يُسـتخدم في التطهير الطقسـي (لاويين ١٤: ٤) وفي الأبنية الفخمة مثل قـصر الملك داود (٢صم ٥: ١١) وقصر الملك سليمان (١مل ٧: ٢) وهيكل سليمان (١أي ٢٢: ٤). ولخشب الأرز رائحة جميلة، وكان القدماء يستخرجون منه نوعاً من التربنتينا لحفظ الرقوق والثياب. ويشكِّل المؤمن عنصراً أسـاسياً في تجميل مجتمعه وحفظه من الفساد، فهو ملحٌ للأرض ونورٌ للعالم (مت ٥: ١٣، ١٤).

(ج) **يُـثمره الله في الشيبة:** «أيضاً يثمرون في الشيبة. يكونون دِساماً وخُضراً» (آية ١٤). يتحقَّق معهم الـوعد: «تاج جمالٍ شَيـْبةٌ توجد في طريـق البر» (أم ١٦: ٣١)، وتسـتجاب الصلاة: «إلى الشيـخوخة والشَّيـْـبة يا الله لا تتركني حتى أخبر بذراعك الجيل المقبل، وبقوَّتك كلَّ آت» (مز ٧١: ١٨)، فيـقول الله: «إلى الشيــخوخة أنا هو، وإلى الشيبة أنا أحمل. قد فعلتُ، وأنا أرفع، وأنا أحمل وأنجّي» (إش ٤٦: ٤). كلما تقدَّم المؤمن في العمر يـكون دسِماً وأخضر، لأنه يذكر الأعمال التي أكملها، فيقول مع المسيح: «العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يو ١٧: ٤)، ويأمُل أن يُنجز في الـمستقبل أفضل من كل ما أنجز في ماضيه، فليس الثمر قاصراً على مرحلة عمر معيَّنة، لأنه نتيجة عصارة النعمة التي تسـري في المؤمن، ولأنه عمل الله فيــه. وعندما يـضعف المؤمن يجدد الرب

قوّته، «وإن كان إنســاننا الخارج يفنى فالداخل يتجدّد يوماً فيوماً» (٢كو ٤: ١٦). فلنطمع في ثمر روحي أكثر مهما تقدّم بنا العُمر، فننمو روحيــاً، وتزيـــد محبتنا للرب، ونصبح أكثر طاعةً، فنكون كــنخلة وكشجرة أرز، وكزيتونة خضراء في بيت الرب (مز ٥٢: ٨) نتدهّن بزيت طري، هو مسحة الروح القدس (ايو ٢: ٢٠، ٢٧).

(د) **يجعلـه الله يـشهد لـه:** «ليــخبروا بأن الرب مســتقيم. صخرتي هو، لا ظلم فيه» (آية ١٥). يــعطي الرب المؤمن شرف الشهادة له، ويجعله كارزاً بحقّه، يخبر بفضائل الذي دعاه من الظلمة إلى نوره العجيب (١بط ٢: ٩). والله المســتقيم يعطي المؤمن به اســتقامةً ويمنحه العلاقة السليمة معه، فــيشهد لربّه أنه صخر الدهور الذي لا يتغير، الذي يستند إليه الخاطئ للاختباء والاحتماء. ومن أمانة الرب أنه لا يترك أتقياءه إن ابتعدوا عنه، بل يردُّهم إليه.. فتح شاب قلبه للمســيح وقبله مخلِّصاً له، وعاش عدة ســنوات يــحب الرب من كل قلبه، وأكرمه الرب فصار رجل أعمال ناجحاً. ولكنه بعد نجاحه انشغل بأعماله ونســي إلهه مدة أربعين سنة. وفجأة أصابه مرض اضطره للرقاد على ظهره أربعيـــن يوماً فلم يكن لديه إلا أن يتطلع إلى فوق! فقال: «كم أشكر الله لأنه يحبني، وقد افتقدني بعد طول بُعدِ عنه. نسيته أربعين سنة، فأرقدني على ظهري أربعين يوماً لأرفع عينيَّ نحوه وأذكر محبته لي. لقد أكرمني بمرضي أضعاف ما أكرمني بنجاحي في عملي».

دعونا نشكر الرب ونفرح به، ونخبر بأنه مستقيم، فنكون دساماً وخُضراً في حياتنا الروحية.

المزمور الثالث والتسعون

**١ الربُّ قد مَلَكَ. لبسَ الجلالَ. لبس الربُّ القدرةَ. ائْتزر بها. أيضاً تثبَّتتِ المسكونةُ. لا تتزعزعُ.
٢ كرسيُّك مُثبَّتةٌ منذُ القِدم. منذُ الأزلِ أنت. ٣ رفعَتِ الأنهارُ يا ربُّ، رفعَتِ الأنهارُ صوتَها. ترفعُ
الأنهارُ عجيجَها. ٤ مِن أصواتِ مياهٍ كثيرةٍ، مِن غِمار أمواجِ البحرِ، الربُّ في العُلى أقدرُ.
٥شهاداتُك ثابتةٌ جداً. ببيتِك تليقُ القداسةُ يا ربُّ إلى طولِ الأيام.**

الرب الملك

هذا المزمور مقدّمة لستّة مزامير موضوعها تسبيح الله الملك (هي مزامير ٩٥-١٠٠). يبدأ كل مزمور منها بالتسبيح لله والهتاف له، والترنيم والإعلان أنه هو الملك وقد ملَك، فهو الملك منذ الأزل وإلى الأبد. قال موسى في ترنيمته بعد عبور البحر الأحمر إن الله «يملك إلى الدهر والأبد» (خر ١٥: ١٨) وقال صموئيل النبي لبني إسرائيل: «الرب إلهكم ملِكُكم» (١صم ١٢: ١٢). ولما بوّق الملاك السابع هتف الشيوخ الأربعة والعشرون، الذين يمثّلون الشعبين القديم والجديد، وقالوا: «نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شيء، الكائن والذي كان والذي يأتي، لأنك أخذتَ قدرتك العظيمة وملكت» (رؤ ١١: ١٧). ويقول يوحنا الرائي: «وسمعتُ كصوت جمعٍ كثير، وكصوت مياهٍ كثيرة، وكصوت رعود شديدة، قائلة: هللويا، فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء» (رؤ ١٩: ٦).

ويبدو أحياناً للبشر محدودي الرؤية أن زمام بعض الأمور ليس في يد الرب الملك، كما حدث عندما ضلّ عنه شعبه القديم، فسلّط عليهم الملك نبوخذنصّر ليسبيهم مدة سبعين سنة، فتساءل البعض: كيف يسمح الرب بتسليم شعبه لأعدائهم؟ هل صار العدو أقوى من قدرة الرب على حماية شعبه؟.. لكن الحقيقة هي أن الله الملك العظيم يسمح للبشر الذين خلقهم أن يكوّنوا حزب معارضة، ولكن زمام الأمور يظل دائماً في يده، فعندما كملت السنوات السبعون للسبي البابلي أعاد الرب شعبه إلى أرضهم. وقال النبي دانيال: «في السنة الأولى لداريّوس بن أحشويروش، من نسل الماديين الذي مُلِّك على مملكة الكلدانيين، في السنة الأولى من مُلكه، أنا دانيال فهمتُ من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبي لكَمالة سبعين سنة على خراب أورشليم، فوجّهتُ وجهي إلى الله السيد، طالباً بالصلاة والتضرعات» (دا ٩: ١-٣). وفي الموعد المعيَّن من الله عاد الشعب إلى أرضهم وقد تابوا عن عبادة الوثن، ولم يعودوا إليها أبداً، فهتفوا «الرب قد ملك»!

في هذا المزمور نجد،

أولاً – مُلك الملك (آيتا ١، ٢)

ثانياً – أعداء يقاومون الملك (آيتا ٣، ٤)

ثالثاً - انتصار كلمة الملك (آية ٥)

أولاً - مُلك الملك
(آيتا ١، ٢)

١ - **الرب هو الملك:** «الرب قد ملك» (آيــة ١أ). هذه حقيــقة تظهر في أعمال الله حولنا، فنصلي قائلين: «لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد» (مت ٦: ١٣). قال بعض المفســرين إن قول المرنم «الرب قد ملك» يــعني أن الله خلق الملائكة والكون والطبيعة والبشر واســتراح في اليوم الســابع، فاســتوى على عرشه وجلس ملكاً، تخضع له الملائكة والطبيــعة، وينفّذ كل البشر مشيئته، ســواء بإرادتهم أم رغماً عنهم. وقال مفســرون آخرون إن هذا القول يــعني أن الله خلق العالم، ولكن «قام ملوك الأرض وتآمر الرؤســاء معاً على الرب وعلى مســيحه قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربــطهما» (مز ٢: ٢، ٣)، فيحطمهم بقضيب من حديد، ومثل إناء خزّافٍ يكسّرهم (مز ٢: ٩) «لأنه يــجب أن يــملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه» (١كو ١٥: ٢٥). يبدو للعين البســيطة أن معارضي الرب قد عطلوا مُلكه، ويبدو للمؤمنين في وقت ضعفهم أن الأشرار قد تسلّطوا على العالم، وكأن الرب قد فقد سلطانه على الكون، فيصرخون مع النبي إشعياء: «استيقظي استيقظي، البَسي قوةً يا ذراع الرب. اســتيقظي كما في أيام القِدم كما في الأدوار القديمة.. ألستِ أنتِ هي المنشِّفة البحر.. الجاعلة أعماق البحر طريــقاً لعبور المفديــين؟» (إش ٥١: ٩، ١٠)، فيثبِّت الرب إيمانهم الضعيف ويــزيــل الغشاوة من على عيونهم فيرون أنه الملك، ويهتفون: «ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر، المخبر بالســلام، المبشِّر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل: قد ملك إلهك» (إش ٥٢: ٧). والخلاص كائنٌ في أن «الرب قد ملك» فأرجع شعبه من الســبي البابلي ليعيدوا بناء الهيكل، ويقدموا له العبادة فيه بحسب شريعة موسى.

ونمرُّ نحن بمثل هذا الاختبار، إذ يتســلَّط علينا إبليس، أو يهزمنا القلق، أو تغلبنا الشكوك، فنصرخ إلى الله فيســتجيــب صلاتنا وينقذنا ويرفعنا، فنهتف مع المرنم: «الرب قد ملك»، ونقول مع الملك داود: «مباركٌ أنت أيــها الرب من الأزل وإلى الأبد. لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض. لك يا رب المُلك وقد ارتفعت رأساً على الجميع. والغِنى والكرامة من لدنك، وأنت تتسلط على الجميع، وبيدك القوة والجبروت، وبيدك تعظيم وتشديد الجميع» (١أخ ٢٩: ١٠-١٢). وما أجمل صلاة الملك يــهوشافاط: «يــا رب، إله آبائنا، أما أنت هو الله في الســماء، وأنت الــمتســلّط على جميــع ممالك الأمم، وبيــدك قوةٌ وجبروتٌ، وليــس من يــقف

معك؟» (٢أخ ٢٠: ٦). بعدها نرتل:

قد تحيـــــرت كثيـــــراً ... واستبدَّت بي الهمـــــوم
عصـــــف الحزن بقلبـــي ... ضِعتُ في ليلٍ بهيـــــم
غيـــــر أن الله أســـــرى ... بي إلى فجرٍ عميـــــم
وإذا بـــــي بعد ذاك اليأسِ ... أجثـــو للصـــــــلاة
وأرى نفســـــي اطمأنَّــت ... عنـــــد أعتاب الإلـــــه

٢ - **جلال المـــلك:** «لبس الجلال» (آيـــة ١ب). الجلال هو المجد والعظمة والمقام المرتفع، وقد لبســه الله ليحارب أعداء شعبه «لبس البرّ كدِرعٍ، وخوذة الخلاص على رأســـه» (إش ٥٩: ١٧). لم يـــلبس مظهر الجلال لكنه لبس الجلال نفسه كثوب فريد وحيد! ويدعونا إمام المغنّين لننشد: «يا جميع الأمم صفِّقوا بالأيـــادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج. لأن الـــرب علـــيٌّ مخوف. ملكٌ كبيـــر على كل الأرض. يـُـخضِع الـــشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا» (مز ٤٧: ١-٣). فعندما نرى أبناء الملكوت يعانون من الاضطهاد، يجب أن نتشجَّع لأن الرب لبس الجلال. لقد جاءنا المســـيح في غاية التواضع مولـــوداً في مذود، لكنه يـــلبس الجلال، فرنمت الملائكة وقت مولده، وجاء المجوس من بلاد بعيـــدة يسجدون له بعد أن رأوا نجمه في المشرق. وحمله سمعان الشيخ بين يديه بفرح وقال: «لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك» (لو ٢: ٣٠). فهو خلاص الله حتى وهو في مظهره الفقيـــــر «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح: أنه من أجلكم افتقر وهو غني، لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو ٨: ٩). ورفع على خشبة الصليب ومات، ثم بُعث حيا وصعد إلى السماء، ومنها سيعود إلى أرضنا ديانا للأحياء والأموات.

٣ - **قوة المـــلك:** «لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبَّتت المســـكونة، لا تتزعزع» (آية ١ج، د). مـــرة أخرى يشبِّه المرنم قدرة الله برداء فريد وحيد، فهو «المُثبِت الجبال بقوَّته، المتنطِّق بالقدرة» (مـــز ٦٥: ٦). وما أعظم الذي ائتزر بقدرة المحبة لشعبه. والمحبة هي القدرة في عظمة خدمتها بينما الجبروت هو القوة في عجز طغيانها. في ليلة العشاء الأخير أخذ المســـيح منشفةً وائتزر بها، وصبَّ ماءً في مغســـــل وجعل يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة (يو ١٣: ٥) فثبّت قلوبهم في المحبة والتواضع والخدمة.. وائتزر الرب بالعدل وهو القوة الدائمة، بيـــنما الظلم هو القوة المؤقَّتة «يـــديـــن المســـكونة بالعدل والشعوب بالاســـتقامة» (مز ٩٨: ٩). لبس الرب القدرة فتثبتت المســـكونة حسب القوانين التي وضعها لها «يا رب إله الجنود.. لك الســـماوات. لك أيضاً الأرض. المســـكونة وملؤها أنت أسّـــستها. الشمال والجنوب أنت خلقتهما» (مز ٨٩: ٨-١٢).. ولبس الرب القدرة فثبَّت القوانين الأخلاقية «لأنه من قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنسـان، وفي طريقه يُســـرُّ» (مز ٣٧: ٢٣)، فقانون

«الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٧: ٦) لا استثناء فيه. وكل من يتحدى القوانين الإلهية يؤذي نفسه. قال الرب لشاول الطرسوسي: «صعبٌ عليك أن ترفس مناخس» (أع ٩: ٥)، والمنخاس هو ســـنٌ المحراث الحديدي، فإذا تضايق الثور من جر المحراث يرفس السن، فلا يؤذينْ إلا نفسه، ويبقى السن يحرث التربة.

٤ - **أزلية الملك**: «كرسيُّك مُثبتة منذ القِدم. منذ الأزل أنت» (آية ٢). يومٌ واحدٌ عنده كألف سنة، وألـف سنة كيوم واحد (٢بط ٣: ٨). وهو القائل: «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن، والذي كان، والذي يـأتي، القادر على كل شيء» (رؤ ١: ٨). وهو منذ الأزل يعتني بشعبه ويـخلِّصهم، ويـُحصي شعور رؤوسـهم (مت ١٠: ٣٠ ولو ١٢: ٧). «الإله القديم ملجأ، والأذرع الأبدية من تحت» (تث ٣٣: ٢٧). لن ينسى بنو إسـرائيل حادثة الخروج. وتبدأ سنة بني إسرائيل بعيـد الفصح، من سـاعة حريـتهم من عبودية فرعون، كما يبدأ عمرنا الجديد في حياتنا الإيمانية بميلادنا الثاني عندما يدخل المسيح القلب ويغيِّر الحياة ويحررنا من أجرة الخطية التي هي موت (رو ٦: ٢٣) ومن تسلُّطها، لأن كل من يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية (يو ٨: ٣٤). لقد أعدّ الله فداءنا من قبل تأسيس العالم، وقدَّم المسيح نفسه عنا بروح أزلي (عب ٩: ١٤) فلما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من العذراء القديسة مريم (غل ٤: ٤). حقاً «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أع ١٨: ١٥). فـلنبتهج ونفرح لأننا أبناء الملك الذي ملك منذ الأزل. إنه «ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى، الإله الحكيم وحده، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور» (١تي ١: ١٧).

ثانياً - أعداء يقاومون الملك
(آيتا ٣، ٤)

١ - **الأعداء يـقاومون**: «رفعت الأنهار يـا رب، رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها» (آيـة ٣). كانت بلاد بني إسـرائيـل تقع بين ثلاث بلاد تكوِّن قوتين عُظميين، هما بابل وأشور في الشمال، ومصر في الجنوب. فإذا حارب الشماليُّ الجنوبيَّ، أو حارب الجنوبيُّ الشماليَّ يـصبح بنو إسـرائيل بين شقَّي الرحى! فيشعرون بالانسحاق والضياع. ويرفع المرنم للرب أمر أعدائه، كما فعل حزقيـا وهو يـنشر رسـائل أعدائه أمام الرب (إش ٣٧: ١٤). ويصف المرنم الأعداء بأنهم أنهارٌ تـضرب الشاطئ، ولكنها لا تؤذيه، ويقول للرب: «أنت متسلِّطٌ على كبرياء البحر. عند ارتفاع لججه أنت تسـكِّنها» (مز ٨٩: ٩)، ويقول النبي: «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩: ١٩).ويـشبِّه الوحي القوتيـن العظميـين بنهرين هائلين يريدان أن يغرقا بلاده، ولكن دون جدوى،

فيقول إن أشور مثل نهر الفرات (إش ٨: ٧، ٨)، وإن مصر كنهر النيل (إر ٤٦: ٧، ٨). ولكن هذه المقاومة باطلة لأن الرب الملك يدافع عن شعبه، كما أمر المسيح الرياح فهدأت والأمواج فسكنت (مت ٨: ٢٦).

٢ - **المقاومة تنهزم:** «من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحر، الرب في العُلى أقْدرُ» (آية ٤). تُحديث المقاومة ضوضاء عالية الصوت، ولكن الرب في عُلاه أكثر قدرة، وكلمته هي النهائية. ويصف النبي إشعياء ملك أشور القوي في الشمال بأنه خادم الرب ورسوله الذي يحقق أهدافه، فيقول: «لذلك هوذا السيد (الرب) يُصعِد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة، ملك أشور وكلَّ مجده. فيصعد فوق جميع مجاريه، ويجري فوق جميع شطوطه، ويندفق إلى يهوذا. يفيض ويعبر. يبلغ العُنق. ويكون بسطُ جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل» (إش ٨: ٧، ٨). ويصف النبي إرميا كبرياء ملك مصر بقوله: «مَن هذا الصاعد كالنيل، كأنهارٍ تتلاطم أمواهها؟ تصعد مصرُ كالنيل، وكأنهارٍ تتلاطم المياه، فيقول: أصعد وأغطي الأرض. أهلك المدينة والساكنين فيها» (إر ٤٦: ٧، ٨). ومن هول خطر العدو يصرخ النبي: «آه! ضجيج شعوب كثيرةٍ تضجُّ كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياهٍ غزيرة. قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة. ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً، وتُطرد كعُصافة الجبال أمام الريح وكالجُل (أي القش الصغير الدقيق) أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعب. قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيب ناهبينا وحظُّ سالبينا» (إش ١٧: ١٢-١٤). ثم يهتف مع المرنم مطمئناً يرتل: «الله لنا ملجأ وقوة، عوناً في الضيقات وُجد شديداً. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار. تعجُّ وتجيش مياهها، تتزعزع الجبال بطموِّها. نهرٌ سواقيه تُفرّح مدينة الله، مقدس مساكن العلي» (مز ٤٦: ١-٤). نعم إنها تعجُّ وتجيش، ولكن النصرة هي للرب، الذي نصر موسى وقومه على فرعون، فغنَّى أغنية النصر: «الرب قوّتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده، وإله أبي فأرفِّعه. مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر، فغرق أفضل جنوده المركبيّة في بحر سوف. تغطيهم اللجج. قد هبطوا في الأعماق كحجر. يمينك يا رب معتزّة بالقدرة. يمينك يا رب تحطِّم العدو» (خر ١٥: ١-٦).

ثالثاً - انتصار كلمة الملك
(آية ٥)

١ - **كلمته ثابتة:** «شهاداتك ثابتة جداً» (آية ٥أ). شهادات الرب هي وعوده الصادقة والأمينة، وهي ثابتة لا تغيير فيها لأنها إعلانات الرب الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران (يع ١: ١٧).

وحيث كلمة الرب هناك سلطان الرب، فعندما نادى المسيح: «لعازر، هلمَّ خارجاً» قام الميت (يو ١١: ٤٣، ٤٤). ولو أنه قال: «هلم خارجاً» دون تحديد اسم الميت لقام كل المدفونين في تلك القبور! وأمر المسيح المفلوج: «لك أقول قُم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك» فقام وحمل السرير وخرج قدام الكل (مر ٢: ١١، ١٢).

سأل أحد اللاإمبراطور الروماني تراجان نجاراً مسيحياً قبل استشهاده: «ماذا يصنع نجار الناصرة اليوم؟» فأجابه: «يجهّز نعشاً للإمبراطورية الرومانية». ثم جاء الإمبراطور الروماني المسيحي الأول قسطنطين، فأوقف اضطهاد الكنيسة، وعقد مجمع نيقية للدفاع عن الإيمان المسيحي حضره ٣١٨ أسقفاً، وقبّل أحد الأساقفة في عينه التي فقدها بسبب الاضطهاد، وأمر بنسخ خمسين كتاباً مقدساً على نفقة الدولة، وهكذا تجهّز النعش لأعداء النجار الناصري. صدق كليم الله موسى وهو يقول لبني إسرائيل: «أيُّ شعب هو عظيمٌ، له آلهة قريبةٌ منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا إليه! وأي شعب هو عظيم له فرائضُ وأحكامٌ عادلة مثلُ كل هذه الشريعة التي أنا واضعٌ أمامكم اليوم!» (تث ٤: ٧، ٨).

«شهاداتك ثابتة جداً» تشهد للمؤمنين أن الرب أمين، فهو يعطي شعبه أرضاً صالحة «عينا الرب إلهك عليها دائماً من أول السنة إلى آخرها» (تث ١١: ١٢) ويقول له: «لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣: ٥).. وشهاداته ثابتةٌ جداً عن أعدائه فإنهم «كالعُصافة التي تذرّيها الريح، لذلك لا تقوم الأشرار في الدّين، ولا الخطاة في جماعة الأبرار. لأن الرب يعلم طريق الأبرار، أما طريق الأشرار فتهلك» (مز ١: ٤-٦).

٢ – **مكان إعلان كلمته**: «ببيتك تليق القداسة يا رب إلى طول الأيام» (آية ٥ب). بيت الله هو الهيكل، أو هو الأرض المقدسة التي قال الله عنها: «فتعرفون أني الرب إلهكم، ساكناً في صهيون جبل قدسي. وتكون أورشليم مقدّسة، ولا يجتاز فيها الأعاجم في ما بعد» (يوئيل ٣: ١٧). وقال عنها النبي إشعياء: «وتسير شعوبٌ كثيرة ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبُله» (إش ٢: ٣). لما أكمل سليمان بناء الهيكل رنّم الكهنة «لأن إلى الأبد رحمته» فامتلأ الهيكل سحاباً، ولم يقدروا أن يقفوا للخدمة لأن مجد الرب ملأ بيت الله (٢أخ ٥: ١٣، ١٤). وعندما صلى سليمان وهو يدشن الهيكل ملأ مجد الرب البيت (٢أخ ٧: ٢). فالله يقدس بيته وأرضه بوجوده في وسطها. وبيت الرب هو مكان إعلان كلمته حيث يتعبد الناس، وحيث يوجد المسيح حسب وعده: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠).. وأجساد المؤمنين هي بيوت للرب، لأنهم هياكل للروح القدس الساكن فيهم، حسب القول الرسولي: «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله: إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون

لي شعباً» (٢كو ٦: ١٦، ١٧).. وبيــوت المؤمنين هي بيوت للرب، وشعار المؤمن: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥). وقال المســـيح لزكا بعد توبته: «ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك» (لو ١٩: ٥). فلا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، ولا يجب أن تتزوج المؤمنة إلا مؤمناً، ولا يتزوج المؤمن إلا مؤمنة ليكون بيتهما بيتاً للرب. في بدء تاريخ الكنيســـة لم تكن هناك مبانٍ للكنائس، فكان المؤمنون يجتمعون في بيوت بعضهم البعض، فصار بيت كل مؤمن كنيسة روحية وكنيسة فعلية (فل ٢). فليـــجعل الرب بيوتنا كنائس تشهد لنعمة المســيح، فتليق القداســة بمحل مُلكه إلى طول الأيام. عندها نقول بالشكر إن «الرب قد ملك» على المســكونة كلها، فتجثو له كل ركبة ممن في الســـماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ينفِّذون مشيئته

المزمور الرابع والتسعون

١ يـا إلـهَ النقماتِ، يـا ربُّ يـا إلـهَ الـنقماتِ أشـرِقْ. ٢ ارتفِعْ يـا ديّـانَ الأرضِ. جازِ صنيـعَ
المـستكبريـن. ٣ حتى متى الخطاةُ يـا ربُّ، حتى متى الخطاةُ يشمَتون؟ ٤ يُبقّون، يتكلّمون
بوقاحةٍ. كلُّ فاعلي الإثمِ يفتخرون. ٥ يسحقون شعبَك يا ربُّ، ويُذلّون ميراثَك. ٦ يقتلون الأرملةَ
والغريبَ، ويُميتون اليتيمَ، ٧ ويقولون: «الربُّ لا يبصرُ، وإلهُ يعقوبَ لا يلاحظُ».
٨ افهموا أيها البُـلداءُ في الشعبِ، ويا جهلاءُ، متى تعقلون؟ ٩ الغارسُ الأُذنَ، ألا يسمعُ؟
الصانعُ العينَ، ألا يبصرُ؟ ١٠ المؤدِّبُ الأممَ، ألا يُبكِّتُ؟ المعلِّمُ الإنسانَ معرفةً. ١١ الربُّ يعرفُ
أفكارَ الإنسانِ أنها باطلةٌ. ١٢ طوبى للرجلِ الذي تؤدِّبُه يا ربُّ وتعلِّمُه من شريعتِك، ١٣ لتُريحَه
من أيامِ الشرِّ، حتى تحفرَ للشريرِ حفرةٌ. ١٤ لأنَّ الربَّ لا يرفضُ شعبَه ولا يتركُ ميراثَه. ١٥ لأنه إلى
العدلِ يرجعُ القضاءُ، وعلى أثرِهِ كلُّ مستقيمي القلوبِ.
١٦ مَن يقومُ لي على المسيئين؟ مَن يقفُ لي ضدَّ فعَلةِ الإثمِ؟ ١٧ لولا أن الربَّ معيني
لسكَنَتْ نفسي سريعاً أرضَ السُّكوتِ. ١٨ إذْ قلتُ: «قد زلَّتْ قدمي» فرحمتُك يا ربُّ تعضُدُني.
١٩ عند كثرةِ همومي في داخلي تعزياتُك تلذِّذُ نفسي. ٢٠ هل يعاهدُك كرسيُّ المفاسدِ،
المختلقُ إثماً على فريضةٍ؟ ٢١ يزدحمون على نفسِ الصِّدِّيق، ويحكمون على دمٍ زكيٍّ. ٢٢
فكان الربُّ لي صَرْحاً، وإلهي صخرةَ ملجإي. ٢٣ ويردُّ عليهم إثمَهم، وبشرِّهم يُفنيهم. يُفنيهم
الربُّ إلهُنا.

نداء لطلب العدالة

في هذا المزمور يشكو المرنم للرب من نجاح الأشرار واضطهادهم للمؤمنين، ولسان حاله يقول: إن كان الرب هو الملك، فلماذا يضطهد الأشرار المؤمنين ويصيبونهم بالأذى، وهم يدَّعون بشرورهم أنهم يقيمون فرائض الرب. كانت مشكلة المرنم كامنةً في أهله وشعبه المنتمين لإله يعقوب (آية ٧) المختلقين إثماً على فريضة (آية ٢٠)، لأنهم يعرفون الفريضة الإلهية، لكنهم يلوون معانيها ليستخرجوا منها معاني وشرائع تناقض ما قصده الله منها. وانزعج المرنم من الاضطهاد الذي يقع عليه من قريبه. ولو أن الاضطهاد جاء من عدو لما استغربه، أما وقد جاءه من القريب فقد صرخ منه متسائلاً.

يعبِّر هذا المزمور عن صرخة المضطهدين في كل زمن: كيف يكون الله ملكاً يسود على كل الخليقة ويسمح باضطهاد الشرير للصدّيق؟ ولكن تعزية المؤمن كامنةٌ في أنه يقدر أن يرفع قلبه للرب الملك، فيجده عوناً في الضيقات وُجد شديداً (مز ٤٦: ١)، ويسمعه يقول: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – التماس لطلب العدالة (آيتا ١، ٢)

ثانياً ثلاثة أسئلة (آيات ٣-٢٣)

أولاً - التماس لطلب العدالة
(آيتا ١، ٢)

١ – **الاتجاه لإله العدالة:** «يـا إله النقمات، يـا رب يا إله النقمات أشرق. ارتفع يا ديّان الأرض. جازِ صنيـع المسـتكبريـن» (آيتا ١، ٢). صرخ المرنم يطلب النقمات من مضايقيه، لأن الله قوي مرتفع، وهو ديان الأرض، صاحب الحق وحده في الانتقام لأنه يقول:«لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل أعطوا مكانا للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة، أنا أجازي، يـقول الرب» (رو ١٢: ١٩ مقتبسـة من تث ٣٢: ٣٥). وهـو «إله مجازاة، يكافئ مكافأة» (إر ٥١: ٥٦) يقيم ميزان العدل ويعطي كل ذي حق حقه، لأنه «لـيست خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤: ١٣)، فنقول له: «العدل والحق قاعدة كرسيّك. الرحمة والأمانة تتقدمان أمام وجهك» (مز ٨٩: ١٤).

٢ – **الطلب من إله العدالة:**

(أ) **أشرق:** لأن الله هو النور الحقيقي الذي يبدد كل ظلم وظلام عندما يشرق بنور عدله وبره على شعبه الذي يـعاني من الخطاة الذيـن يـعوّجون الحق، ويقول لشعبه: «أجعل الظلمة أمامهم نوراً والمعوجات مستقيمة. هذه الأمور أفعلها ولا أتركهم» (إش ٤٢: ١٦).

(ب) **ارتفع:** الرب هو المرتفع القدوس اسـمه الذي يلجأ إليه البائس ويحتمي به المظلوم فينصفه عندما يعتلي منصّة القضاء ليدين الظالم، الصارخ: «اقضِ لي حسـب عدلك يا رب إلهي فلا يشمتوا بي» (مز ٣٥: ٢٤).

(ج) **جـاز:** ولا يملك المجازاة إلا الرب الخالق العادل «مُجري العدل والقضاء لجميع المظلومين» (مز ١٠٣: ٦) القائل: «إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار» (مز ٩١: ٨).

ثانياً - ثلاثة أسئلة
(آيات ٣-٢٣)

في حيرة المرنم من كثرة المضايقين، وجد نفسـه يثير ثلاثة أسئلة، وكأنه يقول: «إلى متى أجعل يا رب هموماً في نفسـي وحزناً في قلبي كل يوم؟ إلى متى يرتفع عدوي عليّ؟ انظر واسـتجب لي

يـــا رب إلهي» (مز ١٣: ٢، ٣). وبعد أن يســـأل يجد الإجابة المطمئنة، لأنه ثابت في الرب مهما أحاطت به الهموم.

السؤال الأول: (آيات ٣-١٥).

١ - السـؤال: «حتى متى الخطاة يـــا رب، حتى متى الخطاة يشمتون؟» (آية ٣). يعكس التكرار صرخة الإنســـان الضعيف الذي طالت معاناته، فيستعجل الرب ليسرع إلى معونته، مؤمناً أن الحل ســـيأتيه، كما صرخت نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله: «حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الســـاكنيـــن على الأرض؟ فأُعطوا كل واحد ثيـــاباً بيـــضاً، وقيل لهم أن يســـتريحوا زماناً يســـيراً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدون أن يُقتلوا مثلهم» (رؤ ٦: ١٠، ١١).

٢ - دوافع السؤال: (آيات ٤-٧).

(أ) تكلـموا بـوقاحة: «يـُـبقّون. يتكلمون بوقاحة. كل فاعلي الإثم يفتخرون» (آية ٤). يقون أي يثرثرون ويخرج من أفواههم سيل من كلمات الوقاحة المليئة بالجرأة والكبرياء والإساءات والكذب، بغير خجل ولا خوف من الرب «تقلّدوا الكبرياء. لبســـوا كثوب ظلمهم. جعلوا أفواههم في السماء وألسنتهم تتمشى على الأرض» (مز ٧٣: ٦، ٩).

(ب) سحقوا: «يـــســـحقون شعبك يـــا رب ويذلون ميراثك. يقتلون الأرملة، والغريب، ويميتون اليتيم» (آيتا ٥، ٦). يسحقون الشعب الذي اختاره الرب لنفسه ويذلونه في التراب، فيبدو وكأن عهد الرب مع شعبه قد أُلغي. إنهم مثل الطرســـوســـي في جهالة تعصبُّه «ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب.. حتى إذا وجد أناساً من الطريق، رجالاً ونساء، يسوقهم موثقين إلى أورشليم» (أع ٩: ١-٣). وفي أفعالهم الشريرة كسروا وصية الله القائلة: «لا تضطهد الغريب ولا تضايقه.. لا تسئ إلى أرملة ولا يتيم. إن أســـأت إليه فإني إن صرخ إليَّ أسمع صراخه» (خر ٢٢: ٢١-٢٣). ولا عجب فهو «أبو اليتامى وقاضي الأرامل، الله في مســـكن قدســـه.. مخرج الأسرى إلى فلاح. إنما المتمردون يسكنون الرمضاء» (مز ٦٨: ٥، ٦).

(ج) جـدّفوا: «يقولون: الرب لا يبصر، وإله يعقوب لا يلاحظ» (آية ٧). ظلم الأشرار الأبرار، ووجدوا لأنفســـهم مبررات من الشريـــعة، وهم يـــجدفون على الله بقولهم إنه لا يبصر ولا يلاحظ! فكيف يقولون إنه الرب سيد الكون، وإنه إله يعقوب الأمين للعهود، ثم يناقضون أنفسهم ويقولون إنه لا يعاقب ولا يكافئ؟ لقد قال ليعقوب الخائف الهارب من أخيه: «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إســـحاق..

أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض، لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به» (تك ٢٨: ١٣، ١٥). فكيف يقولون إنه لا يرى؟ لقد شابهوا من قالوا: «الرب لا يُحسن ولا يسيء» (صف ١: ١٢).

٣-نصيحة للأشرار: (آيات ٨-١١).

عندما ذكر المرنم أشرار شعبه الذين أساءوا إلى الله وإلى أتقيائه، هاله الموقف، فقدّم لهم النصيحة لعلهم يتوبون. «الحكمة تنادي في الخارج. في الشوارع تعطي صوتها. تدعو في رؤوس الأسواق في مداخل الأبواب. في المدينة تبدي كلامها قائلة: إلى متى أيها الجهال تحبون الجهل؟.. ارجعوا عند توبيخي. هأنذا أفيض لكم روحي. أعلمكم كلماتي» (أم ١: ٢٠، ٢٣).

(أ) **تحذير من الجهل:** «افهموا أيها البلداء في الشعب. ويا جهلاء، متى تعقلون؟» (آية ٨). إساءتهم للمؤمنين وإلى ربهم تنمُّ عن حماقة وجهل روحيين خطيرين، يستحقان وصفهم بالبلداء والجهلاء. «لأن شعبي عمل شرين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماءً» (إر ٢: ١٣).

(ب) **تنوير من الحق:** (آيات ٩-١١).

قدم المرنم للأشرار الجهلة ثلاث حقائق:

(١) **الله خلقكم:** «الغارس الأذن، ألا يسمع؟ الصانع العين، ألا يبصر؟» (آية ٩). الذي خلق الأذن يسمع والذي خلق العين يبصر هؤلاء الأشرار القائلين إنه لا يبصر ولا يلاحظ! كيف يكون مبدئ الفكر بلا فكر؟ وكيف لا يملك الصانع أسرار صناعته؟ «نسجتني في بطن أمي.. لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعتُ في الخفاء.. رأت عيناك أعضائي، وفي سِفرك كلها كُتِبت يوم تصوّرت إذ لم يكن واحدٌ منها» (مز ١٣٩: ١٣، ١٥، ١٦).

(٢) **الله يبكّتكم:** «المؤدّب الأمم، ألا يبكت؟ المعلّم الإنسان معرفة» (آية ١٠). أباد الله شعوباً أخطأت بالطوفان، وعلّم فرعون بأن أدّبه، ولا بد أنه يبكت الخطاة على خطاياهم ليتوبوا، فإن الروح القدس «يبكت العالم على خطية» (يو ١٦: ٨). كما أن كلمة الله تبكت وتقول: «قد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني، لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخر إذا وبّخك. لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله» (عب ١٢: ٥، ٦). وتأديبه دائماً للخير، ليعلّم الإنسان الحكمة الإلهية كما تعلمها بولس الذي كان مجدّفاً ومفترياً، وفعل ما فعله بجهلٍ في عدم إيمان (١تي ١: ١٣)، فقال: «إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي،الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية، لكي أربح المسيح» (في ٣: ٨).

ولا زال الله ينادي: «ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياي» (٢مل ١٧: ١٣).

(٣) الله يعرفكم: «الرب يعرف أفكار الإنسان أنها باطلة» (آية ١١). ينبّه المرنم الأشرار أن الله يعرف أفكارهم، وأن كل مؤامراتهم ضد شعبه باطلة. وهو يعرف الأفكار والخطط والنيات، وليس الأعمال الظاهرة فقط، «لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصديقين الرب» (مز ٣٧: ١٧).

٤ - إجابة السؤال الأول: (آيات ١٢-١٥).

في إجابة السؤال «حتى متى الخطاة يشمتون؟» يقدم المرنم أربعة أفكار:

(أ) **الرب يؤدب المؤمن ليعلّمه:** «طوبى للذي تؤدّبه يا رب وتعلّمه من شريعتك» (آية ١٢). قال أليفاز التيماني: «طوبى لرجلٍ يؤدبه الله، فلا ترفض تأديب القدير» (أي ٥: ١٧) وقال الحكيم: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تكره توبيخه، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، وكأبٍ بابنٍ يُسرُّ به» (أم ٣: ١١، ١٢). وقال الله لداود عن نسله: «إن تعوَّج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم. ولكن رحمتي لا تنزع منه» (٢صم ٧: ١٤، ١٥). فليعتبر المؤمن كلام الأشرار ضده، وعنفهم معه، وتجديفهم على الله امتحانات له، يهدف الرب بها تأديبه وتعليمه وتهذيبه، فيقول: «تأديباً أدّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز ١١٨: ١٨). ولا بد أن الألم يصاحب التأديب، فإن «كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب ١٢: ١١). ويلاحظ التقي أن كلمة الله وعصاه يسيران جنباً إلى جنب، فهو يعلمنا من كلمته، ويؤدبنا إن ضللنا، والتأديب بدون كلمة من الله أتون يصهر المعدن ويشقيه، لكن كلمة الله مع الأتون تصهر المعدن وتنقيه. ويدخلنا الرب بوتقة الألم ليشكل حياتنا لنكون مشابهين صورة ابنه (رو ٨: ٢٩). «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع ١: ١٢).

(ب) **الرب يعاقب الشرير:** «لتريحه من أيام الشر حتى تحفر للشرير حفرة» (آية ١٣). يتعلم التقي أن الرب لا بد أن يريحه من أيام الشر، عندما يكتمل حفر الحفرة للشرير. صرخ التلاميذ في سفينتهم الموشكة على الغرق قائلين للمسيح: «أما يهمك أننا نهلك؟» وكان يجب أن يعرفوا أن السفينة التي يستقلّها المسيح لا يمكن أن تهلك، فأسكت البحر الهائج، ثم قال لهم: «كيف لا إيمان لكم؟». لا بد أن ينتهي شر الشرير كما أمر المسيح البحر: «اسكت! ابكم». فصار هدوء عظيم (مر ٤: ٣٨-٤٠). «كعبور الزوبعة فلا يكون الشرير. أما الصدّيق فأساسٌ مؤبّد» (أم ١٠: ٢٥).

(ج) **الرب يقضي للمؤمن:** «لأن الرب لا يرفض شعبه، ولا يترك ميراثه» (آية ١٤). بسبب سحق العدو للمؤمن يبدو للعين أن الرب رفض شعبه، ولكن كيف يرفض شعبه وميراثه، مع أن الميراث أغلى ما عند الإنسان، ليس فقط لقيمته المادية، بل لمعناه العاطفي؟ يقول الله لشعبه: «لحيظة

تركتك وبمراحم عظيـــمة ســـأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة، وبإحســـان أبدي أرحمك، قال وليُّكِ الرب» (إش ٥٤: ٧، ٨).

(د) **ضيق المؤمن سينتهي:** «لأنه إلى العدل يرجع القضاء وعلى أثره كل مستقيمي القلوب» (آية ١٥). لا بـد أن ينتهي ضيق المؤمن من شر الأشرار وظلمهم، لأن القاضي العظيم سيجيء ليبدأ حكم العدل، فتســـير الأمور بالاســـتقامة، ويفرح الأتقياء، وتتحرك عربة العدالة منتصرة، يتبعها مستقيمو القلوب، فيـــعلم الكل أن العدل عاد ظافراً، ويســـير المؤمن في البر بلا عائق ولا معطل. وقد يتأنى العدل لكن القاضي العظيم لا بد ســـيأتي. «هوذا بالعدل يملك ملك، ورؤســـاء بالحق يترأسون» (إش ٣٢: ١).

السؤال الثاني: (آيات ١٦-١٩).

١ – **السؤال:** «من يقوم لي على المسيئين؟ من يقف لي ضد فعلة الإثم؟» (آية ١٦). يسأل المرنم نفســـه: من هو المنقذ الذي يعينني ويدافع عني ضد الأشرار الذين يســـيئونني ويرتكبون الإثم ضدي باستمرار؟

٢ – **دافعان على السؤال:** (آيتا ١٧، ١٨).

(أ) **خطر الموت:** «لولا أن الرب معيني لســـكنت نفســـي سريعاً أرض السكوت» (آية ١٧). رأى المرنم نفسه في خطر الموت والدفن في أرض السكوت (القبر) لولا أن الرب أعانه «الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته. الرب لا يتركه في يده» (مز ٣٧: ٢٣، ٣٣).

(ب) **خطر الشك:** «إذ قلت قد زلت قدمي فرحمتك يـــا رب تعضدني» (آيـــة ١٨). حين أحاط الأشرار بالمرنم خارت قواه وظن أن ســـيده نسيه، وكادت قدماه أن تزل في عالم الشكوك وتنزلق إلى هاويـــة الارتداد عن الإيمان، فيقول مع آســـاف: «أما أنا فكادت تزل قدماي. لولا قليل لزلقت خطواتي» (مز ٧٣: ٢). لكن رحمة الله أســـندته فلم يســـقط، ولسان حاله: «لأنك أنقذت نفسي من الموت، وعيني من الدمعة، ورجلي من الزلق» (مز ١١٦: ٨).

٣ – **إجابة السؤال الثاني:** «عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذِّذ نفســـي» (آية ١٩). عندما ســـخر الأشرار من المرنم وهزؤوا به وســـحقوا شعبه زادت همومه ومخاوفه وتحيَّر عقله، كملاحٍ هاجمته الزوابع ودخلت داخل ســـفيـــنته. ولكن تعزيـــات الله كانت موضوع تأمله وتلذذه فلم تغرق ســـفينته. «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلَّصه» (مز ٣٤: ٦). لقد وجد كنزا وذخيـــرة حية من تعزيات مواعيد الله الصالحة، فأحسَّ بالاطمئنان والأمان، فهتف: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يروون من دسم بيتك، ومن نهر نِعمك تسقيهم» (مز ٣٦: ٧، ٨).

السؤال الثالث: (آيات ٢٠-٢٣).

١ - **السؤال:** «هل يعاهدك كرسي المفاسد المختلق إثماً على فريضة؟» (آية ٢٠). هذا سؤال استنكاري: هل يمكن أن يدخل كرسيُّ المفاسد ومعقل الشر في معاهدة مع الكرسي السماوي؟ هل يمكن أن يقوم هناك عهد وميثاق بين النور والظلمة، وبين الحق والإثم؟ هل يتحالف العرش الفاسد مع الله صاحب العرش المقدس؟.. اضطربت أفكار المرنم واختلطت عليه الأمور وهو يرى ظلم الأشرار ونجاحهم، مع أنهم يختلقون إثماً على فريضة، فيصدرون قوانين آثمة تظلم الناس، ويستخدمون شريعة موسى لإذلال المساكين، ويعوجون فروضاً شرعية تُظهر الخطأ كأنه صواب. فكيف يتعاهد هؤلاء مع الله؟! وقد قال المسيح لأمثال هؤلاء: «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس، فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون» (مت ٢٣: ١٣).

٢- **الدافع على السؤال:** «يزدحمون على نفس الصديق ويحكمون على دم زكي» (آية ٢١). يشكو المرنم من خطورة موقفه، لأن هؤلاء الأشرار الذين يعوّجون المستقيم يجتمعون ضد الصدّيق ويصدرون عليه أحكاماً جائرة قد تصل إلى الإعدام، وهو بريء. وهذا ما حدث في محاكمة المسيح «قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يُدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليُصلب!.. فأخذ ماءً وغسل يديه أمام الجميع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار.. فأجاب جميع الشعب: دمه علينا وعلى أولادنا» (مت ٢٧: ٢٢-٢٥).

٣ - **إجابة السؤال الثالث:** (آيتا ٢٢، ٢٣).

يقدم الرب للمرنم إجابتين عن سؤاله الثالث:

(أ) **الرب خط دفاعه:** «فكان الرب لي صرْحاً، وإلهي صخرة ملجإي» (آية ٢٢). الصرح هو القلعة العالية والحصن المنيع. وقد كان الرب للتقي المظلوم صرحاً عالياً طمأن نفسه وصار ملجأه، فيقول: «أصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليّ. ثبّت خطواتي» (مز ٤٠: ٢) «الرب نوري وخلاصي، ممن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممن أرتعب؟» (مز ٢٧: ١). «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي، به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي» (مز ١٨: ٢).

(ب) **الرب سيعاقب الشرير:** «يردّ عليهم إثمهم. بشرّهم يفنيهم» (آية ٢٣). يطمئن الله المرنم أن الشرير سينال جزاءه «لأن عاملي الشر يُقطَعون، والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض» (مز ٣٧: ٩). «قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلّص المنسحقي الروح» (مز ٣٤: ١٨).

المزمور الخامس والتسعون

١ هلمّ نرنّمُ للربِّ، نهتفُ لصخرةِ خلاصِنا. ٢ نتقدّمُ أمامَه بحمدٍ، وبترنيماتٍ نهتفُ له. ٣ لأن الربَّ إلهٌ عظيمٌ. ملكٌ كبيرٌ على كلِّ الآلهةِ. ٤ الذي بيدِه مقاصيرُ الأرضِ، وخزائنُ الجبالِ له. ٥الذي له البحرُ، وهو صنعَهُ، ويداه سبكتا اليابسةَ.

٦ هلمّ نسجدُ ونركعُ ونجثو أمامَ الربِّ خالقِنا. ٧ لأنه هو إلهُنا، ونحن شعبُ مرعاهُ وغنمُ يدِه. اليومَ إنْ سمعتُم صوتَه ٨ فلا تقسّوا قلوبكم، كما في «مَرِيبَة» مثل يوم «مَسَّة» في البرية ٩حيث جرّبني آباؤكم. اختبروني. أبصروا أيضاً فِعلي. ١٠ أربعين سنةً مقتُّ ذلكَ الجيلَ، وقلتُ: «هُم شعبٌ ضالٌّ قلبُهم، وهُم لم يعرفوا سُبُلي». ١١ فأقسمتُ في غضبي لا يدخلون راحتي.

دعوة للعبادة

رأينا في مزمور ٩٣ أن الرب قد ملك ولبس الجلال، فحلّقنا معه في سماء المحبة والقوة. ولكن مزمور ٩٤ أرجعنا إلى أرض الواقع والألم، وكأنه يتساءل مع جدعون: إن كان الرب هو الملك، فلماذا أصابتنا كل هذه المتاعب والكوارث، وأين كل عجائبه؟ (قض ٦: ١٣). في هذا المزمور يعود المرنم إلى تفاؤله، ويوجّه النظر إلى عظمة الله التي تدعو شعبه لعبادته بالحمد والترنيم. ويُقال إن مزمور ٩٥ كُتب بمناسبة تدشين بناء الهيكل بعد الرجوع من السبي عام ٥١٦ ق.م.. كانت خيمة الاجتماع التي أقامها موسى أول مكان لعبادة بني إسرائيل بعد الخروج من مصر، وعندما استقر الأمر بالشعب أراد داود أن يبني بيتاً للرب، فقال الرب له إنه قد سفك دماً كثيراً، فيبني البيت ابنه الملك سليمان. ولم يُرد الملك داود أن يحرم نفسه من شرف الاشتراك في بناء هيكل الرب فأعدّ مواد بناء كثيرة ليستخدمها ابنه في البناء. وقام سليمان ببناء الهيكل العظيم وحل الرب فيه بمجده (٢أخ ٥: ١٣ و٧: ٢). ولكن الشعب ابتعد عن عبادة الرب، فسلّمهم لنبوخذنصّر ملك بابل، الذي سباهم وهدم هيكلهم. وبقي الشعب في السبي ٧٠ سنة كما قال الرب (إر ٢٥: ١٢-١٤). بعدها حرّك الرب روح كورش الفارسي ليسمح لهم بالرجوع إلى أرضهم وبناء هيكلهم، فبدأوا العودة بقيادة عزرا الكاتب، وبدأوا في بناء الهيكل، ثم توقّفوا. فأرسل الرب النبيين حجي وزكريا ليشجعاهم على البناء. قال لهم النبي حجي: أنتم رجعتم من السبي إلى أرضكم، فبنيتم بيوتكم، وتركتم بيت الرب خراباً. ليس حسناً ما أنتم تفعلون (حج ١: ٣، ٤). فأكملوا البناء ودشّنوه. ويُقال إن هذا المزمور كُتب بمناسبة إعادة بناء الهيكل بعد السبي.

يقول المرنم في هذا المزمور أن بني إسرائيل كانوا مستعبدين في مصر، وأخرجهم الرب بمعجزة. بعدها سمح لهم ببناء هيكل عظيم له، وكان كريماً مع أبنائهم، ولكن آباءهم لم يكونوا كرماء

ـسعه. وها هم يرون هيكلاً جديداً، فليحترسوا من أن يكرروا غلطة آبائهم. وهو يدعوهم: «هلمَّ نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا.. اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في مريبة (عندما خاصم بنو إسرائيل الرب بسبب نقص الماء - عدد ٢٠: ١٣)، ومثل يوم مسة في البرية (عندما تساءل بنو إسرائيل إن كان الرب في وسطهم أم لا - خر ١٧: ٧) حيث جرَّبني آباؤكم.. مقتّ ذلك الجيل».

أنقذ الرب شعبه بالخروج من مصر، ولكنهم نسوه، فسمح بسبيهم، ثم أعادهم منه. ولكنَّ الطاعة شرطُ استمرار البركة، ورضى الله علينا وتمتّعنا بالأنس به يتوقّفان على ثباتنا في الرب، وعلى أمانتنا له.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - دعوة مسبّبة للعبادة (آيات ١-٧أ)

ثانياً - تحذير من رفض الدعوة للعبادة (آيات ٧ب-١١)

أولاً - دعوة مسبَّبة للعبادة
(آيات ١-٧أ)

يقدم المرنم خمسة أسباب لعبادة الرب:

١ - **لأنه صخرة خلاصنا**: «هلم نرنم للرب. نهتف لصخرة خلاصنا. نتقدَّم أمامه بحمد، وبترنيمات نهتف له» (آيتا ١، ٢). يهتف المرنم للرب ويقدم له السجود والعبادة، لأنه صخرة الخلاص الذي نؤسس عليه بناءنا الروحي فيثبت، مهما جاءت الأمطار وهبَّت الرياح وصدمته، لأنه مؤسس على الصخر. وبيتنا الروحي لا يمكن أن يُبنى إلا على المسيح صخر الدهور «فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع، الذي هو يسوع المسيح» (١كو ٣: ١١).. وهو صخرة خلاصنا الذي يروي حياتنا. عندما عطش بنو إسرائيل أثناء سيرهم في البرية أمر الرب موسى أن يضرب الصخرة بعصاه، فخرج الماء الذي شرب منه الشعب جميعه (خر ١٧: ١-٧). والصخرة رمزٌ للمسيح، صخر الدهور، الذي ضُرب من أجلنا على الصليب فأعطانا ماء الحياة، الذي قال عنه للسامرية: «لو كنتِ تعلمين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك: أعطيني لأشرب، لطلبتِ أنتِ منه، فأعطاك ماءً حياً» (يو ٤: ١٠).. وهو الصخرة الذي به نحتمي، كما قال له داود: «أحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي. أدعو الرب الحميد فأتخلَّص من أعدائي» (مز ١٨: ١-٣).

وتأمّلنا في «صخرة خلاصنا» يجعلنا نتقدّم أمامه بحمد وبترنيمات نهتف له، لأنه «عظيمٌ هو

الرب وحميـــدٌ جداً» (مز ٤٨: ١) فنشكره لأجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها. وكل الذين يأتون إلى الرب يفرحون به. «الصدِّيقون يفرحون. يبتهجون أمام الله ويطفرون فرحاً» (مز ٦٨: ٣). ومكتوب: «فرح التلاميـذ إذ رأوا الرب» بعد قيـــامته من الأموات (يو ٢٠: ٢٠). كان تلميذا عمواس يمشيان عـابسَيْن، ولكن عبوسهما انتهى عند كسر الخبز حالما عرفا أن المسيح حي، فرجعا إلى أورشليم وقد امتلأ قلباهما بالفرح العظيم ليخبرا باقي التلاميذ (لو ٢٤: ١٣-٣٥). وعندما نتناول من جســد الرب ودمه نفرح بمخلِّصنا، كما نفرح كلما تذكرنا يـوم انتمائنا إليـــه بولادتنا الروحية من الروح القدس، ويوم تسـليم حياتنا له. هلم نرنم ونهتف، فليســـت العبادة واجباً مفروضاً علينا، لكنها امتياز وفرحة حقيقية لنا، لأننا عندما نمثُل في محضر الرب نلتقي به شخصياً، فنحمده ونرنم له اعترافاً بفضله.

٢ - ***لأنه الإله الوحيد***: «لأن الرب إلهٌ عظيـم، ملكٌ كبير على كل الآلهة» (آية ٣). قال موســى للشعب: «الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيـم الجبار المهيـب» (تث ١٠: ١٧). ربما يـقصد المرنم بقوله «الآلهة» الأصنام. وتوجد في عالمنا آلهة كثيرة من صُنع الناس، كالتماثيل أصنام الوثنيين، والمال إله الماديين، والجنس إله الشهوانيين. عندما أدخل الفلســـطينيون تابوت عهد الرب إلى بيـت صنمهم «داجون» وجدوا داجون في الصباح ســاقطاً على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب، فأقاموه. وفي اليوم التالي وجدوه أيضاً ســاقطاً على وجهه على الأرض، ورأسه ويداه مقطوعة على العتبة (١صم ٥: ٣، ٤). وكل من يـــعبد المال يكتشف أن قوته الشرائية تقل، كما أن هناك أشيـــاء لا يمكن أن يشتريها، مثل الصحة والمحبة، و«متى كان لأحدٍ كثير فليســت حياته من أموالـــه» (لو ١٢: ١٥). ومن يـتكل على الصحة يـجدها تتأخر مع تقدُّم العمر، ومن يـتكل على الأصدقاء قد يهجرونه وقت الاحتياج. أما الرب فهو الإله العظيم وحده، الكبير على كل الآلهة التي لا تُشبع، ولا تعين، ولا تدوم. فالشبع والعون والدوام هي في الرب وحده.

وقد ظهرت عظمة الله على كل آلهة الوثن عندما تحدّى النبي إيـليـا كهنة الصنم أن يـقدموا له ذبـيحة، ويقدم هو ذبيحة للرب، والإله الذي يُنزِل ناراً على الذبيحة يكون هو الإله الحقيقي. وأعطاهم إيليا الفرصة الأولى ليقدموا ذبيحتهم. وبالرغم من كل دعائهم لأوثانهم لم تنزل أية نار على ذبيحتهم. ثم دعا إيليا الرب، فأنزل ناراً من الســماء التهمت ذبيحة إيليا، فهتف الشعب: «الرب هو الله» (١مل ١٨: ٢١-٣٩).

وربما يـــقصد المرنم بـــ«الآلهة» القضاة والحكام، بحســب القول: «الله قائم في مجمع الله. في وسـط الآلهة يقضي». ويقول الرب لهم: «أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم» (مز ٨٢: ١، ٦) لأن القاضي يحكم على المتقاضين بالبراءة أو بالإدانة، وذلك بتكليف من الله، وبحســب شريعته. والرب إله عظيم

وملك كبيـــر على كل القضاة، لأن فوق العالي عاليـــا، والأعلى فوقهما يلاحظ (جا ٥: ٨). وكل حاكم يموت ويـــجيء بعده حاكم آخر، أما الرب فهو هو أمســـا واليـــوم وإلى الأبد (عب ١٣: ٨)، وملكوته لا يتغير ولا ينتهي.

٣ - **لأنه الإلـه الغني**: «الــذي بيـــده مقاصيـــر الأرض، وخزائن الجبال له. الذي له البحر وهو صـــنعه، ويداه سبكتا اليابسة» (آيتا ٤، ٥). المقاصير هي الأماكن المنخفضة كالمناجم وآبار البترول مثلاً، ومقاصير الأرض تحوي ثروة أوجدها الرب. وخزائن الجبال العالية أيضاً له، بكل ما فيها من غـــابات ومراعٍ.. وله البحر الذي يرمز إلى التقلقل وعدم الثبات، وله الأرض اليابسة التي ترمز إلى الـثبات. أمر الرب موسى أن يشقّ بعصاه البحر الأحمر فانفلق وظهرت اليابسة وسطه، ومرّ عليها شعب الله. ثم عادت الميـــاه إلى حالتها الطبيـــعية فغرق جيش فرعون (خر ١٤: ٢١، ٢٢). وتكرر الأمر مع مياه نهر الأردن فـــي أيام يشوع (يش ٣: ١٣). ومشى المسيح على البحر كأنه يسير على أرض يابسة، وأعطى تلميذه بطرس ذات الامتياز (مت ١٤: ٢٩). وأمر المســـيح بطرس أن يصيد سمكة بصنارة ليجد في فمها عُملة هي «إستار» ليدفع الضريبة عنه وعن بطرس (مت ١٧: ٢٤-٢٧). فلنرنم للرب لأنه الغني القدير.

٤ - **لأنه خالقنا**: «هلم نســـجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا» (آية ٦). يقدم المرنم التســـبيح لله بالســـجود والركوع والجثو أمامه لأنه الخالق الذي صنعه وصنعنا. وليس المقصود بهذا اتّخاذ وضع معيّـن في الـــصلاة، بل التوقيـــر والاحترام، فإن «ذبائح الله هي روحٌ منكســـرة. القلب المنكســـر والمنســـحق يـــا الله لا تحتقره» (مز ٥١: ١٧). لقد جلس داود يصلي وقبل الله صلاته (١أي ١٧: ١٦)، ويـقف المؤمنون للصلاة باسطين أيديهم نحو السماء (مز ١٤١: ٢)، ووجّه الملك حزقيا وجهه إلى الحائط فسمعه الرب (إش ٣٨: ٢). وعندما أتلفت الخطية الخَلق الأول أعاد الله خلق الإنسان من جديـــد، وتحقّق القول: «إن كان أحدٌ في المســـيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديـــداً» (٢كو ٥: ١٧). وقد كشف الرب لنبيّـــه إرميا هذا الأمر عندما ذهب مره أن يـــذهب إلى محل فخاري ليرى كيف يصنع الفخار، فرآه يمســـك قطعة طين ليصنع منها إناءً، لكن الـــطينة لم تتجاوب مع عمل يديه وتفتّتت، فجمعها من جديد وأعاد صنعها وعاءً كما حسن في عينيه أن يـــصنعه. وقال الرب للنبي إرميا: «كالطين بيد الفخاري، أنتم هكذا بيدي يا بيت إســـرائيل» (إر ١٨: ٦). فما أروع الـــصُّنع الأول الذي أفســـدته الخطيـــة، وما أعظم الصنع الثاني الذي تبرّر بدم المســـيح! دعنا نصلي: «اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحنّي واعرف أفكاري، وانظر إن كان فيّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً» (مز ١٣٩: ٢٤). «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيّةً أمامك يا رب صخرتي ووليي» (مز ١٩: ١٤).

٥ - **لأنه راعينا:** «لأنه هو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده» (آية ٧أ). الرب هو إلهنا لأنه خلقنا وهو يقودنا ويرعانا ويسدد كل أعوازنا الجسدية والروحية والفكرية، وقد اختارنا لنكون له شعباً خاصاً، وتنازل وأدخلنا معه في عهد جديد، قال عنه: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٦، ٢٧). فأصبحنا جميعاً ملكاً له وشعب مرعاه. هو الراعي الصالح الذي قال: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١)، وهو الذي منحنا امتياز أن نقول: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ خضر يربضني. إلى مياه الراحة يوردني» (مز ٢٣: ٢) «نحن شعبك وغنم رعايتك. نحمدك إلى الدهر. إلى دور فدور نحدِّث بتسبيحك» (مز ٧٩: ١٣) «يا راعي إسرائيل اصغَ، يا قائد يوسف كالضأن، يا جالساً على الكروبيم أشرِق» (مز ٨٠: ١).

ثانياً - تحذير من رفض الدعوة للعبادة
(آيات ٧ب-١١)

يقدم المرنم ثلاثة تحذيرات من رفض الدعوة للعبادة:

١ - **خوفاً من القساوة:** «اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (آيتا ٧ب، ٨أ). الحياة قصيرة وغدُها ليس ملكنا، لأنه بين يدي الرب. لذلك يجب أن نسمع صوته «اليوم» ونطيعه، لأن تأجيل التوبة يقسّي قلب من يظن أن مصيره بيده، فيتّكل على صحته أو على غناه، ويعتقد أنه يمكن أن يتوب غداً. ولكن «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو ٦: ٢). اليوم يوم توبة ويوم خلاص، لا يدعونا الله إليهما فقط بل يأمرنا بهما «اليوم»! هذه دعوة واضحة لجميعنا لأخذ قرار فوري وحاسم بالحياة مع الرب. قال المسيح: «هئنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤ ٣: ٢٠). فلا تترك المسيح واقفاً على باب قلبك يقرع أطول مما تركته. لو لم تتّخذ اليوم خطوة التوبة فقد لا تأخذها أبداً، لأن روح الله لا يدين في الإنسان الزائغ إلى الأبد (تك ٦: ٣). كفى إهمالاً طال أمده، لأن كل يوم يمرُّ بك بدون معرفة المسيح معرفة شخصية هو خسارة حقيقية لك. ولن تجد الحياة ذات المعنى إلا إذا عشتَ مع الله، متمتعاً بقربك منه.

«اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم». وكلمة قلب في الكتاب المقدس تحمل عدّة معانٍ:

* الإرادة: «فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من

كل قلـــوبكم ومن كل أنفســـكم، أعطي مطر أرضكم» (تث ١١: ١٣، ١٤). فلـــتكن إرادتك خاضعة لمشيئة الرب.

* الضمير: «قلب داود ضربه على قَطْعه طرف جبة شاول» (١صم ٢٤: ٥). فلتكن حسـّاســـاً لصوت الرب. وإذا دعاك تقول: «تكلَّم يا رب، لأن عبدك سامع» (١صم ٣: ٩).

* الذاكرة: «خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (مز ١١٩: ١١). فلا تنسَ كلمة الرب.

* الـــعقل: «وجَّهتُ قلبي لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل» (جا ١: ١٧). فليـــكن عقلك منفتحاً لكلمة الرب.

* العواطف: «تحب الرب إلهك من كل قلبك« (مت ٢٢: ٣٧). فلتكن مشاعرك وعواطفك متَّجهة للرب.

فلا تُقسِّ إرادتك، ولا ضميرك، ولا ذاكرتك، ولا عقلك، ولا عواطفك، بل أخضِعها كلها لله.

٢ – **ابتعاداً عن أخطاء الماضي**: «كما في مريبة، مثل يوم مســّة في البرية، حيث جرَّبني آباؤكم. اخـــتبروني. أبصروا فعلي» (آيتا ٨ب، ٩). يطلب المرنم من الشعب ألا يقسّوا قلوبهم، ويعطيهم مثالاً من قســـاوة قلوب آبائهم حتى لا يخطئوا كما أخطأ الآباء. تعوَّدنا أن نتحدث عن آبائنا بفخر واعتزاز وأن ننسى أخطاءهم لأننا نحبهم، ولكن الرب يصف الأمور بأوصافها الموضوعية لا العاطفية، فيذكر ما جرى في «مريبة» (ومعناها عراك وخصام)، وما جرى في «مسَّة» (ومعناها تجربة أو امتحان). فقد تذمَّر بنو إســـرائيل على الله وعلى موسى وهارون بسبب عدم وجود الماء. وكان تذمرهم الأول في رفيديم، في بداية ســـنوات التيهان في البرية (خر ١٧: ١-٧) وتذمروا أيضاً في قادش في السنة الأربعين للتيهان (عد ٢٠: ١-١٣). وما أكثر ما تذمر بنو إســـرائيل على الله، فقال عنهم: «جرَّبوني الآن عشر مرات ولم يســـمعوا لقولي» (عد ١٤: ٢٢). وتسمَّى «مريبة» أيضاً «مسَّة» وهو اسم نبعٍ خـــرج من صخرةٍ في حوريب لما ضرب موسى الصخرة بعصاه، بعد أن أمر الله موسى أن يضرب الصخرة. حقاً ما أشقى الإنســـان الذي لا يمكن إرضاؤه! ودعا موسى اسم المكان: مسة ومريبة «من أجل مخاصمة بني إســـرائيل، ومن أجل تجربتهم للرب قائلين: أفي وسطنا الرب أم لا؟». والمؤلم أن هذا التذمر حدث بالرغم من أن الآباء اختبروا صلاح الله وأمانته وقوته، وأبصروا أيـــضاً فِعْله. فلم يـكن تذمُّر الشعب بسبب عمى أو جهل، إنما لغلاظة قلوبهم وعدم إيمانهم، بالرغم من أنهم رأوا محبة الله وعنايته ورعايته.

٣ – **اتقاءً لعقوبات الماضي**: «أربعين سنة مقتُّ ذلك الجيل، وقلت: هم شعبٌ ضالٌّ قلبهم، وهم لم يعرفوا ســبلي. فأقســـمتُ في غضبي لا يدخلون راحتي»» (آيتا ١٠، ١١). وكلمة «مقتُّ» قد تعني ندمت وحزنت. وقيـــل عن الـــشعب الـــنادم: «ومقتوا أنفســـهم لأجل الـــشرور التي فعلوها في كل

رجاســـاتهم» (حز ٦: ٩). حزن الرب على ضلال الإنسان لأنه لا يُسرُّ بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا (حز ٣٣: ١١). فيا حسرةً على العباد!.. وقد تعني كلمة «مقتُ» أحبّ أقل، فقد أنقص الرب عنايته بهم، ورفع عنهم حمايته ورعايته. قيل إن الذي يريد أن يتبع المسيح يجب أن يــبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته (لو ١٤: ٢٦)، بمعنى أن يجيء حبه لله قبل حبه لعائلته، فتقْوى محبته لله على محبته لعائلته، وتصير محبته لعائلته كضوء شمعة أمام نور الشمس، إذ تملك محبة الله على كل قلبه ومشاعره، فيقول: «محبة المسيح تحصرنا» (٢كو ٥: ١٤).

لـقد ضلَّ الشعب عن الرب، وهجروا سبُله المستقيمة، لأنهم كفّارون ظلومون، وتاهت قلوبهم عن الــرب فتاهت أقدامهم عن سبُل الرب. قال عنهم المرنم: «زاغ الأشرار من الرَّحِم. ضلّوا من البطن، متكلمين كذباً» (مز ٥٨: ٣)، وقال عنهم النبي إشعياء: «كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه» (إش ٥٣: ٦). هذا الـــجيــل «شعبٌ ضالٌ قلبهم» ضلالهم من داخل نفوســـهم، بإرادتهم وعواطفهم وعقولهم. ونتيجة لهذا الضلال مقتهم الرب وحرمهم من دخول أرض الموعد، فسقطت جثثهم في الصحراء.

وبـسبب هذا الضلال والإصرار عليه أقسم الرب في غضبه أن لا يُدخِلهم أرض راحته، فقد قال الرب لموســـى وهارون: «قد سمعتُ تذمُّر بني إسرائيل الذين يتذمرونه عليَّ. قُل لهم: حيٌّ أنا يقول الرب، لأفعلنَّ بكم كما تكلَّمتم في أذنيَّ. في هذا القفر تســقط جثثكم، جميـــع المعدودين منكم حسـب عددكم، من ابن عشريــن ســنة فصاعداً، الذيـــن تذمَّروا عليَّ. لن تدخلوا الأرض التي رفعتُ يدي لأسكنــنَّكم فيها، ما عدا كالب بن يفنة ويشوع بن نون» (عد ١٤: ٢٦-٣٠).

ويـــنتهي المزمور بهذه الكلمات نهاية فجائية. والنصيحة المقدَّمة لنا فيه والتي يجب أن تبقى أمام عيوننا دائماً، هي أن كرم الرب معنا يجب أن يذكّرنا بمسؤوليتنا الروحية، وأن الإنعام الإلهي علينا لا يــعني أبداً أن نحيا كما نشاء، لكن أن نعيش كما يريد مخلِّصنا وراعينا. اليوم إن ســمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم. هلم نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا، لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده.

المزمور السادس والتسعون

١ رنّموا للربِّ ترنيمةً جديدةً. رنّمي للربِّ يا كلَّ الأرضِ. ٢ رنّموا للربِّ. باركوا اسمَه. بشّروا
مِن يومٍ إلى يومٍ بخلاصِه. ٣ حدّثوا بين الأممِ بمجدِه، بين جميعِ الشعوبِ بعجائبِه. ٤ لأن الربَّ
عظيمٌ وحميدٌ جداً. مهوبٌ هو على كلِّ الآلهةِ. ٥ لأن كلَّ آلهةِ الشعوبِ أصنامٌ، أما الربُّ فقد صنع
السماواتِ. ٦ مجدٌ وجلالٌ قدامه. العزّ والجمالُ في مقدسِه.

٧ قدّموا للربِّ يا قبائلَ الشعوبِ، قدّموا للربِّ مجداً وقوةً. ٨ قدّموا للربِّ مجدَ اسمِه. هاتوا
تقدمةً وادخلوا ديارَه. ٩ اسجدوا للربِّ في زينةٍ مقدسةٍ. ارتعدي قدامه يا كلَّ الأرضِ. ١٠ قولوا
بينَ الأممِ: «الربُّ قد ملك. أيضاً تثبّتت المسكونةُ فلا تتزعزعُ. يدينُ الشعوبَ بالاستقامةِ».
١١ لتفرحِ السماواتُ، ولتبتهجِ الأرضُ. ليعجَّ البحرُ وملؤُه. ١٢ ليَجْذَلِ الحقلُ وكلُّ ما فيه. لتترنّم
حينئذٍ كلُّ أشجارِ الوعرِ ١٣ أمامَ الربِّ، لأنه جاء. جاء ليدينَ الأرضَ. يدينُ المسكونةَ بالعدلِ
والشعوبَ بأمانتِه.

العز والجمال في مقدسه

هذا المزمور أحد مزامير تسبيح الله الملك (مزامير ٩٥-١٠٠)، وكان يُرنّم استجابة للدعوة الواردة في مطلع المزمور السابق: «هلم نرنم للرب، نهتف لصخرة خلاصنا». وقد ذكرت الترجمة السبعينية في مطلع مزمورنا أنه لداود. والأغلب أن داود كتبه بمناسبة نقل التابوت إلى الخيمة التي بناها له في أورشليم (كما ورد المزمور في ١أي ١٦: ٨-٣٣)، ورنمه آساف وإخوته، ثم أُدخلت عليه بعض التعديلات ليصبح مناسباً لكل عبادة جمهورية، على الصورة الواردة في مزمورنا. وقد استنتج بعض المفسرين أن إدخال هذه التعديلات كان بمناسبة تدشين بناء الهيكل بعد الرجوع من سبي بابل عام ٥١٦ ق م، لأن الترجمة السبعينية أوردت في مطلع مزمور ٩٥ (أول مزامير تسبيح الله الملك) القول: «لما بُني البيت بعد السبي».

ولما كان الله هو الملك فلا بد أن يمتد ملكه على كل المسكونة، وتدخل كل الأمم دياره، في زينة مقدسة، تحمل تقدمة، وتسبح جميع الشعوب، وتفرح السماوات، وتبتهج الأرض والبحر والحقل والأشجار، لأن «الرب قد ملك. أيضاً تثبّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة».

في هذا المزمور نجد:

أولاً - تمجيد الله في كل الأرض (آيات ١-٣)

ثانياً - تمجيد الله المهوب (آيات ٤-٦)

ثالثاً - تمجيد الله في دياره (آيات ٧-٩)

رابعاً - تمجيد الله الملك (آيات ١٠-١٢)

أولاً - تمجيد الله في كل الأرض
(آيات ١-٣)

١ - **تمجيده بترنيمة جديدة:** «رنموا للرب ترنيمة جديدة. رنمي للرب يا كل الأرض» (آية ١). تدعونا مراحم الله الجديدة إلى التسبيح بترنيمة جديدة. وهي دعوة مقدسة لكل سكان الأرض ليفكروا في البركات الإلهية بصورة مستمرة، كما أمر الرب: «غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر» (إش ٤٢: ١٠-١٢). فهو يدعو قيدار، ابن إسماعيل الثاني، ويدعو سالع أحصن حصون أدوم التي يسكنها نسل عيسو، كما يدعو سكان الجزائر البعيدة للترنيم والهتاف والتبشير بمجد الرب «خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً» (إش ٤٢: ٥). فهو صاحب الفضل في حياتهم الجسدية والروحية لأنه مانح الحياة ومجدد الصحة، الذي يعطي للمعيي قوة ولعديم القدرة يكثر شدة، المعطي خبزاً للجياع، وإليه يرجع الفضل في كل نجاح، لأنه بمهارة يديه يقود ويهدي. له نهتف مع موسى: «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥: ١)، ومع دبورة وباراق: «أنا للرب أترنم. أزمر للرب إله إسرائيل» (قض ٥: ٣). وقد منحنا نعمة الخلاص المجانية، وأنقذنا من عبودية الخطية، وأطلقنا أحراراً. فهو يستحق أن نسبحه كل يوم جديد لأن مراحمه جديدة كل صباح. وعندما نرنم تتقشع الغيوم ونرتفع فوق عثرات الطريق ولا تعود الأشواك تدمي أقدامنا لأن أنظارنا مثبتة على إله العناية. «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤: ١٦).

٢ - **تمجيده بالتبشير بخلاصه:** «رنموا للرب. باركوا اسمه. بشّروا من يوم إلى يوم بخلاصه» (آية ٢). الخلاص بمعناه الواسع هو خلاص من المرض، ومن الجوع، ومن ويلات الحروب، ومن الخطية، بفضل فداء المسيح الذي بشر الملاك بمولده قائلاً: «ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب: أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلِّص هو المسيح الرب» (لو ٢: ١٠، ١١). فلنرنم له ونبارك اسمه ونتحدث عن خلاصه الكامل، هاتفين: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف ١: ٣)، و«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السماوات» (١بط ١: ٣، ٤). فلنرفع تسبيحنا: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ١، ٢).

ولنبشر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب وجعلنا أبناء وورثة لملكوته، ولننشر بشارة الإنجيل المفرحة لأنه «قوة الله للخلاص لكل من يؤمن.. لأن فيه معلن بر الله بإيمان» (رو ١: ١٦، ١٧). وهو البشارة المفرحة المعلنة من الرب الذي «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (اتي ٢: ٤-٦)، وليكن شعارنا: «إن كنت أبشر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة عليَّ. فويل لي إن كنت لا أبشر» (اكو ٩: ١٦). ولنطع أمر المسيح: «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر ٥: ١٩).

٣ - **تمجيده بالحديث عن معجزاته:** «حدثوا بين الأمم بمجده، بين جميع الشعوب بعجائبه» (آية ٣). لا شك أن المرنم كان يذكر معجزة الخروج، ومعجزة العودة من سبي بابل، والتي كانوا يسمونها «الخروج الثاني» وقد صاحبت الخروجين معجزات وعجائب. واليوم نشكر الله على خروج روحي هو إنقاذنا من مذلّة خطايانا بالغفران والتقديس، وهموم متاعبنا المادية.. وكلها عجائب ومعجزات. وتحيط بنا الآن معجزات الرب اليومية، وهي مذهلة لا نستطيع أن نتمتع بها صامتين، فنتحدث عنها بين الأمم ولجميع الشعوب، ونهتف: «ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جداً أفكارك.. عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقيناً.. أحمد الرب بكل قلبي. أحدِّث بجميع عجائبك» (مز ٩٢: ٥، ١٣٩: ١٤، ٩: ١).

ثانياً - تمجيد الله المهوب
(آيات ٤-٦)

١ - **تمجيده لأنه الخالق المهوب:** «لأن الرب عظيم وحميد جداً. مهوب هو على كل الآلهة. لأن كل آلهة الشعوب أصنام، أما الرب فقد صنع السموات» (آيتا ٤، ٥). «الرب إلهك في وسطك إلهٌ عظيم ومخوف.. الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب، الإله العظيم الجبار المهيب» (تث ٧: ٢١، ١٠: ١٧). هو الرب العظيم جداً في قدرته، والحميد جداً في محبته. عظيم وحميد في غفرانه وخلاصه وشفائه وأعماله وحكمته وجوده وسخائه «لا مثل لك يا رب. عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت.. في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك. أما الرب الإله فحق. هو إله حي وملك أبدي» (إر ١٠: ٦، ٧، ١٠). كل أعماله صالحة، وإحساناته وافرة، ومراحمه عجيبة تستحق كل شكرنا «نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب. يحدثون بعجائبك» (مز ٧٥: ١). هو المقتدر الفعال المهوب، الذي يأمر فيصير. رأفته على خائفيه كثيرة جداً ومحبته واسعة جداً وليس لعلمه

استقصاء «عند الله جلال مرهب. القدير لا تدركه. عظيم القوة والحق وكثير البر.. لذلك فلتخفه الناس» (أي ٣٦: ٢٢-٢٤).

ومن المؤسف أن هناك شعوباً عبدت الأصنام الباطلة من خشب وحجارة وذهب وفضة. واليوم، نسي بعض الناس الرب، وعبدوا المال أو السلطان أو الشهوات «وإن وُجد ما يسمى آلهة، سواء كان في السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون. لكن لنا إلة واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء ونحن به» (١كو ٨: ٥، ٦).

٢ - **تمجيده لأنه الخالق الجليل**: «مجد وجلال قدامه. العز والجمال في مقدسه» (آية ٦). في برية سيناء كان المجد والجلال يتقدمان شعب الرب، في عمود سحاب نهاراً ليحميهم من حرارة الشمس، وعمود نار ليلاً ليضيء لهم الطريق ويرهب وحوش البرية. «وكان عمود السحاب، إذا دخل موسى الخيمة، ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى.. فقال: أرني مجدك. فقال: أجيز كل جودتي قدامك» (خر ٣٣: ٩، ١٨، ١٩). أما في مقدسه فكل العز «طوبى لأناس عزهم بك، طرق بيتك في قلوبهم» (مز ٨٤: ٥)، وفيه كمال الجمال الذي يغيِّر ويصيِّر كل من يستمتع به إلى صورة مجيدة، كما حدث مع موسى لما قضى في حضرته المقدسة أربعين نهاراً وأربعين ليلة. وعند نزوله من الجبل كان جلد وجهه يلمع، وهو لا يعلم (خر ٣٤: ٢٨، ٢٩). وفي مقدس الرب يتجدد الإنسان وينال الخلاص «لأن الرب راضٍ عن شعبه. يجمّل الودعاء بالخلاص» (مز ١٤٩: ٤). فيردد المؤمن مع داود: «واحدة سألت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس في هيكله» (مز ٢٧: ٤).

ثالثاً - تمجيد الله في دياره
(آيات ٧-٩)

تحتوي هذه الآيات الثلاث على ثلاثة أوامر، أولها تكرر ثلاث مرات: «قدموا.. قدموا.. قدموا.. هاتوا.. اسجدوا».

١ - **تمجيده بتقديم المجد له**: «قدموا للرب يا قبائل الشعوب، قدموا للرب مجداً وقوة. قدموا للرب مجد اسمه» (آيتا ٧، ٨أ). «قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب مجداً وعزاً. قدموا للرب مجد اسمه. اسجدوا للرب في زينة مقدسة» (مز ٢٩: ١، ٢)، ولتنادِ كل أمم العالم، وأصحاب القوة

والجاه، أن للرب كل المجد وكل القوة، لأنه المجيد القوي، ونحن مديونون أن نعترف علناً بهذه الحقيقة أمام كل العالم، ونمارس هذا الاعتراف عملياً بأن نخضع له ونكون آلات مقدسة في يده، مستعدين أن نحقق مقاصده.

٢ - **تمجيده بتقديم التقدمات له:** «هاتوا تقدمة وادخلوا دياره» (آية ٨ب). أمر الوحي: «لا يحضروا أمام الرب فارغين. كل واحد حسبما تعطي يده، كبركة الرب إلهك التي أعطاك» (تث ١٦: ١٦، ١٧). والتقدمة التي ندخل بها دياره هي عبادتنا وعشورنا وتسبيحنا، وهو القائل: «من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم، قال رب الجنود» (ملا ١: ١١). كل ما عندنا عطية منه، وهو يعطي الجميع بسخاء ولا يعيِّر، فمن يده نعطيه (١أي ٢٩: ١٤)، وأمرنا المسيح: «أعطوا تُعطوا، كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم، لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم» (لو ٦: ٣٨). ومع أن الوحي يقول: «لا تجربوا الرب إلهكم» (تث ٦: ١٦)، إلا أنه يقول: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام، وجربوني بهذا قال رب الجنود، إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع» (ملا ٣: ١٠).

٣ - **تمجيده بتقديم السجود له:** «اسجدوا للرب في زينة مقدسة. ارتعدي قدامه يا كل الأرض» (آية ٩). أمر الرب موسى أن يصنع ثياباً مقدسة لهارون، للمجد والبهاء، يلبسها أثناء خدمته للرب (خر ٢٨: ٢)، فعلى شعب الرب أن يمثلوا في حضرته بلباس التقوى والقداسة، خاشعين أمامه ساجدين له، لأنه «مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (لو ٤: ٨). ولا تكن زينتنا الزينة الخارجية من ثياب وعطور «بل إنسان القلب الخفي، في العديمة الفساد، زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن» (١بط ٣: ٤). وبدون القداسة لن يعاين أحدٌ الرب (عب ١٢: ١٤) الذي يدير أعظم معهد تجميل، فهو يجمِّل شفاهنا بالكلمات النافعة للبنيان، ويجمِّل عيوننا بالنظر إليه، ويجمِّل أيدينا بخدمة الآخرين. فلنأت إليه بتواضع ليجملنا بالحق ويقدسنا بالبر «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه. فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين.. تواضعاً ووداعة» (كو ٣: ٩، ١٠، ١٢). وفي حضرة الرب العظيم ترتعد كل الأرض خشية وعبادة لأن «الرب في هيكل قدسه. فاسكتي قدامه يا كل الأرض» (حب ٢: ٢٠).

رابعاً - تمجيد الله الملك
(آيات ١٠-١٣)

١ - ***الملك الذي يُطمئن***: «قولوا بين الأمم: الرب قد ملك. أيضاً تثبّتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة» (آية ١٠). ليس الرب ملك شعب، لكنه الملك الأعظم لخليقته كلها. ولما كان هو الملك فإنه ينصر العدل فيسود الاستقرار وتتثبت المسكونة فلا تتزعزع. الظلم يقلب الأوضاع، ويجعل الظالم والمظلوم متقلقلين في أفكارهما وأفعالهما. وكثيراً ما ييأس المظلوم فيمارس الظلم، أما الرب فيعطي الثبات والدوام للعدالة لأنه إله العدل، وهو يعلمنا: «لا تضلوا. الله لا يُشمخ عليه، فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً» (غل ٦: ٧). «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل» (إش ٢٦: ٩). فليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، فيضعف عمل إبليس الذي يريد أن يغربل المسكونة ويزعزع استقرارها بالظلم والجشع ورعب الحروب.

٢ - ***الملك الذي يُفرّح***: «لتفرح السموات ولتبتهج الأرض. ليعج البحر وملؤه. ليجذل الحقل وكل ما فيه. لتترنم حينئذ كل أشجار الوعر أمام الرب لأنه جاء. جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بأمانته» (آيات ١١-١٣). وقد تحققت هذه النبوّة جزئياً في مولد المسيح من العذراء القديسة مريم كما تنبأ إشعياء: «يخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله.. يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه، والأمانة منطقة حقويه» (إش ١١: ١-٥)، وستتحقق بكمالها عند إعلان مُلكه السعيد، عندما يأتي ثانية ليدين المسكونة بالعدل، ويجازي كل واحد بحسب عمله، و«بحسب وعده ننتظر سماوات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر» (٢بط ٣: ١٣).. أما الآن فإننا نسمع كل الخليقة تئن وتتوجع بسبب الخطية ونتائجها، لأنها أُخضعت للبطل لما لُعنت فأثمرت شوكاً وحسكا (تك ٣: ١٨)، وتدنّست الأرض تحت سكانها لأنهم تعدّوا الشرائع (إش ٢٤: ٦)، وهي تتوقع إعلان حق الله ومجيء المسيح للدينونة ليعتقها من عبودية الفساد. وحتى الذين قبلوا المسيح مخلّصاً يئنون اليوم في أنفسهم متوقّعين ثمار تبني الله لهم، ومنها كمال فداء أجسادهم عندما يغيّر شكل جسد تواضعهم ليكون على صورة جسد مجده (في ٣: ٢١). ويعين الروح القدس ضعفات المؤمنين ويعلمهم كيف يصلّون حتى في أنينهم الذي يعبّر عن آلامهم بدون كلمات مسموعة (رو ٨: ٢٠-٢٦). وعندما يجيء المسيح ثانية تستطيع الخليقة كلها أن تطيع الأمر: «ترنمي أيتها السموات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي ترنماً، الوعر وكل شجرة فيه، لأن الرب قد فدى يعقوب وفي إسرائيل تمجد» (إش ٤٤: ٢٣).

«رنموا للرب ترنيمة جديدة. رنمي للرب يا كل الأرض».

المزمور السابع والتسعون

١ الربُّ قد ملك فلْتبتهجِ الأرضُ، ولْتفرحِ الجزائرُ الكثيرة. ٢ السحابُ والضبابُ حولَه. العدلُ
والحقُّ قاعدة كرسيِّه. ٣ قدامَه تذهبُ نارٌ وتُحرِقُ أعداءَه حوله. ٤ أضاءت بروقُه المسكونةَ.
رأتِ الأرضُ وارتعدت. ٥ ذابتِ الجبالُ مثلَ الشمعِ قدامَ الربِّ، قدامَ سيِّدِ الأرضِ كلِّها.
٦أخبرتِ السماواتُ بعدلِه، ورأى جميعُ الشعوبِ مجدَه.
٧ يَخزَى كلُّ عابدي تمثالٍ منحوتٍ، المفتخرين بالأصنامِ. اسجدوا له يا جميعَ الآلهةِ.
٨سمعتْ صهيونُ ففرحت، وابتهجتْ بناتُ يهوذا من أجلِ أحكامِك يا ربُّ. ٩ لأنك أنت يا ربُّ
عَليٌّ على كلِّ الأرضِ. علَوْتَ جداً على كلِّ الآلهةِ.
١٠ يا محبِّي الربِّ أبغضوا الشرَّ. هو حافظُ نفوسِ أتقيائِه. من يدِ الأشرارِ ينقذُهم. ١١ نورٌ قد
زُرِعَ للصِّدِّيق وفرحٌ للمستقيمي القلب. ١٢ افرحوا أيها الصِّدِّيقون بالربِّ، واحمدوا ذِكْرَ قُدسِه.

نور زرع للصدّيق

هذا أحد مزامير تسبيح الله الملك (مزامير ٩٥-١٠٠). «الرب قد ملك» فأعلن أنه الجالس على عرش القضاء يذري بعينه كل شر (أم ٢٠: ٨)، فتفرح المسكونة لأن سيدها ووليها سيثبت حقه وعدله في كل الأرض. وما أجمل أن يرفع الأتقياء عيونهم إلى أعلى، فيشرق نوره وبهاؤه على وجوههم وتمتلئ نفوسهم فرحاً وتشدو ألسنتهم ترنماً لرب الكون الصالح العظيم المحب، الذي يستحق أن نعبده بكل القلب والنفس والفكر والقدرة، وأن نتبعه في ثقة وطاعة ورجاء، لأنه لما يملك على حياة المؤمن يبارك عائلته، وينجح عمله، ويحفظه من الشر حتى لا يتعبه. «الرب قد ملك» على عالمنا، ليمنح المظلوم عدلاً ويجازي الظالم، وينصر الحق. ولأنه الملك لا بد أن تجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، لأنه يجب أن يملك فيضع أعداءه موطئاً لقدميه (١كو ١٥: ٢٥).

«الرب قد ملك» دائماً وخلّص شعبه وأنقذهم بالخروج من مصر، وأعطى موسى شريعته على جبل سيناء. ثم جاءنا في المسيح الذي أعطانا شريعته في الموعظة على الجبل مفتتحاً إياها بالتطويبات ليفتح لنا أبواب السعادة والخلاص «لأن الناموس بموسى أُعطي، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٧). ثم جاء يوم الخمسين بروح القوة والحكمة والإعلان في معرفته (أف ١: ١٧) معلناً حبه للبشر، فخلص في يوم واحد نحو ثلاثة آلاف نفس (أع ٢: ٤١). وبين مجيء المسيح الأول المتواضع في مذود بيت لحم ومجيئه الثاني العظيم الآتي يجيء للمؤمن آلاف المرات: في وقت المرض ليشفيه، وفي وقت الضيق لينقذه، وفي وقت الحاجة

ليسددها بحسب غناه في المجد. «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة. لا تتزعزع. كرسيك مثبتة منذ القدم. منذ الأزل أنت» (مز ٩٣: ١، ٢).

«الرب قد ملك» وسيأتي بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ليجمعوا مختاريه من أقصاء السماوات إلى أقصائها (مت ٢٤: ٣٠، ٣١). فلنستعد لملاقاته فنسعد بها.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – مظاهر مجيء الملك (أيات ١-٣)

ثانياً – تأثير مجيء الملك (أيات ٤-٩)

ثالثاً بركات مجيء الملك (أيات ١٠-١٢)

أولاً - مظاهر مجيء الملك
(آيات ١-٣)

١ – **مجيئه بالفرح:** «الرب قد ملك. فلتبتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة» (أية ١). أسس الرب المسكونة بالحق والخير والجمال، وخلقها نقية جاهزة لسكن الإنسان فيها. ولكن الإنسان دنس أرض الله بخطيته، فقيل له: «ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. شوكاً وحسكاً تنبت لك» (تك ٣: ١٧، ١٨). ولأن الله ملك المحبة لم يترك الإنسان في ضلاله، فافتقده بالشريعة على يد موسى، ولكن «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد» (رو ٣: ١٢). وكشفت الشريعة عجز الإنسان عن طاعة الله، ولكنها لم تساعده ليحيا حياة الطاعة. وفي ملء الزمان أرسل الله ابنه فادياً ومخلّصاً وشفيعاً يكرز ببشارة الملكوت ويقول: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٤، ١٥)، فافتدى الذين تحت الناموس ليمنحهم التبني (غل ٤: ٤، ٥)، وانتشل من فخ إبليس الذين استفاقوا بعد أن كان إبليس قد اقتنصهم لإرادته (٢تي ٢: ٢٦). وفي الصليب والقيامة أعلن الملك انتصاره، ونصر معه كل من يتبعه، ومنحهم العدل والسلام فارتفع الحق، وتحقق لهم الوعد: «عوضاً عن الخجل يبتهجون بنصيبهم. لذلك يرثون في أرضهم ضعفين. بهجة أبدية تكون لهم. لأني أنا الرب محب العدل، مبغض المختلس بالظلم» (إش ٦١: ٧، ٨).

٢ – **مجيئه بالجلال:** «السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه» (آية ٢). الله نور لا يقدر الإنسان أن يراه ويعيش (خر ٣٣: ٢٠)، وهو ساكن في نور لا يُدنى منه (١تي ٦: ١٦). لكننا نرى صلاحه في أعماله، كما نرى كمال مجده في المسيح الكلمة الذي صار جسداً وحلّ بيننا، فرأينا

مـجده (يو ١: ١٤)، والذي قيل عنه: «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو ١: ١٨). ويصوِّره المرنم وقد أحاطه السحابُ والضباب، فلا تراه العين البشرية، ولو أنها ترى حقه وعدله في أعماله وأحكامه. فعند خروج بني إسـرائيل من مصر «كان الرب يسير أمامهم نـهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق» (خر ١٣: ٢٠). ولما تبع فرعون الشعب «انتقل عمود السـحاب من أمامهم ووقف وراءهم، فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل، وصار السحاب والظلام وأضاء الليـل. فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل» (خر ١٤: ١٩، ٢٠). وفي حادثة التجلي أخذ المسـيح بطرس ويعقوب ويوحنا إلى جبل عال منفردين «وإذا موسـى وإيليا قد ظهرا يتكلمان معه. وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيِّرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُـررت. له اسمعوا» (مت ١٧: ١-٥). وفي مجيئه ثانيةً سيأتي بكل جلاله مع السحاب، وستنظره كل عين (رؤ ١: ٧).

على قاعدتي العدل والحق ثبَّت الرب عرشه في السـماء، وجعل الأرض موطئاً لقدميه «فيسكن في البرية الحق، والعدل في البسـتان يقيم. ويكون صُنع العدل سلاماً وعمل العدل سكوناً وطمأنينة إلى الأبد. ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة» (إش ٣٢: ١٦-١٨).

٣ - **مجيـئه بالنصرة:** «قدامه تذهب نار، وتحرق أعداءه حوله» (آيـة ٣). مخيفٌ هو الوقوع في يـدي الله الحي، فإن إلهنا نار آكلة تحرق الأعداء والمقاوميـن (عب ١٠: ٣١ و١٢: ٢٩). وكلمته أيـضاً نار تذهب أمامه (إر ٢٣: ٢٩) ترعب من يرفضونها، وتفرح من يقبلونها. هكذا كانت كلمة الـرب لشاول الطرسوسي نوراً عظيماً كالبرق أسقطه على الأرض (أع ٢٢: ٦، ٧) فأحرقت عداوته وشكوكه، وغيَّرت حياته، وجعلت منه رسـولاً كارزاً بالمسيح ينفق وينفَق من أجل اسمه (٢كو ١٢: ١٥)، قال عنه الرب: «لأن هذا لي إناء مختار، ليحمل اسـمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع ٩: ١٥، ١٦). إنها نار المحبة والدينونة معاً. هي نور الرحمة لمن يقبل العدل، ونار العدل لمن يرفض الرحمة.

ثانياً - تأثير مجيء الملك
(آيات ٤-٩)

١ - **تأثيره في الأرض:** «أضاءت بروقه المسـكونة. رأت الأرض وارتعدت» (آيـة ٤). تصاحب مجيء الملك العظيـم القوة، وتحيط به مظاهر الجلال الإلهي، وتنبئ عنه البروق المضيئة التي تعلن قدوم النور إلى عالم الظلام، فترتجف الأرض وترتعد خشيـةً وخشوعاً أمام إله الخليقة المهوب. وقد

صاحبت البروق نزول الشريعة لموســـى، فيقول الوحي: «حدث في اليوم الثالث.. أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً. فارتعد كل الشعب.. وكان الجبل كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جداً» (خر ١٩: ١٦-١٨).

٢ - **تأثيره في الجبال:** «ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب، قدام ســيــد الأرض كلها» (آية ٥). تفتخر الجبال بارتفاعها، وقد اختار الرب أحدها مكاناً لهيــكله (مز ٦٨: ١٦). ويتطلع الإنســـان إلى القمم الشامخة المغطاة بالثلوج بإجلال، فتتحداه ليحاول التســلُّق إلى أعلاها. ولكن هذه الجبال المهيبة في وقت الزلازل والبراكيــن تفقد قوتها وتذوب أمام ســيد الأرض كلها كما يذوب الشمع أمام النار. «ومن يــحتمل يـــوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار الممحِّص، ومثل أشنان القصار» (ملا ٣: ٢). وســـيظهر تأثيره في الجبال عند مجيء المسيح ثانيةً «لا يتباطأ الرب عن وعده.. لكنه يتأنى علينا، ولا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة. ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول الســـموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها» (٢بط ٣: ٩، ١٠).

٣ - **تأثيره في الســماوات:** «أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده» (آية ٦). الرب في الســـماء عرشه، وحوله ملائكته يــفعلون مرضاته ويــنفذون أوامره العادلة، وتحت قدميـــه كل الكواكب. و«ملاك الرب حالٌ حول خائفيـــه وينجيهم» (مز ٣٤: ٧). وتنفذ الكواكب أوامره، فعندما وُلد المســـيح أعلن النجم عن مكان ميلاده، وقاد المجوس ليســـافروا إلى بيت لحم ليسجدوا له، فرأى ممثلو جميـــع الشعوب مجده (مت ٢: ١، ٢، ٧). وعندما صُلب عن خطايانا أظلمت الشمس لصلبه (مت ٢٧: ٤٥)، ورأى جميع الشعوب في الصليب التقاء عدالة الله مع رحمته. وتعلن الســـماء عدالة الله في البروق والرعود، كما رأى جميـــع الشعوب مجده في الطوفان يوم قال لنوح: «نهاية كل بشر أتت أمامي، لأن الأرض امتلأت ظلـــماً منهم، فها أنا مهلـــكهم مع الأرض. ها أنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جســـد فيه روح حياة من تحت السماء» (تك ٦: ١٣، ١٧). حقاً «السماوات تحدِّث بمجد الله والفلك يـــخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً وليل إلى ليل يبدي علماً.. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مز ١٩: ١-٤).

٤ - **تأثيره في الـوثنيـين:** «يخزى كل عابدي تمثالٍ منحوت، المفتخرين بالأصنام. اســجدوا له يا جميـــع الآلهة» (آيـــة ٧). يخزى عابدو الوثن يوم يكتشفون أنهم يعبدون ما صنعته أيديهم. فهل يعبد الصانع صنعة يـــديه؟ ويخزون يوم يكتشفون أنها لا تســـمع ولا ترى ولا تتكلم ولا تعين، كما خزي

سحرة فرعون وهم يقولون له عن ضربة البعوض: «هذا إصبع الله» (خر ٨: ١٩). ولله تسجد جميع آلهة الوثنيين، فما يتعبّد له الوثنيون من حجر ومعادن وحيوان هي خليقة الله. وما يتعبد له أهل عصرنا الحاضر من مال وجاه وصحة وعائلة هي من عطايا الله. ويخزى عابدو هذه كلها وهم يسمعون قول المسيح للسامرية: «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون.. تأتي ساعة، وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالبٌ مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٢-٢٤).

٥ - تأثيره في المؤمنين: «سمعت صهيون ففرحت، وابتهجت بنات يهوذا من أجل أحكامك يا رب، لأنك أنت يا رب عليٌّ على كل الأرض. علوت على كل الآلهة» (آيتا ٨، ٩). عندما يخزى الوثنيون لأن أوثانهم باطلة، وعندما يكتشفون أن الله علا على كل الأرض والسماء، يبتهج المؤمنون لأن زمن معرفة الوثنيين بالإله الحقيقي قد جاء، فقد أعلن الله لهم الحق، ولأنه «لا مثل لك يا رب. عظيم أنت وعظيم اسمك في الجبروت. من لا يخافك يا ملك الشعوب لأنه بك يليق. لأنه في جميع حكماء الشعوب وفي كل ممالكهم ليس مثلك» (إر ١٠: ٦، ٧). و«ما أجمل على الجبال قدمي المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون: قد ملك إلهك. صوت مراقبيك. يرفعون صوتهم، يترنمون معاً» (إش ٥٢: ٧، ٨).. ويبشر المسيح بأخبار مفرحة عن عهد النعمة للبشر جميعاً، ويقول لكل من يقبل خلاصه وفداءه: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفَك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٨)، وأنه «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو ٨: ١).

ثالثاً - بركات مجيء الملك
(آيات ١٠-١٢)

١ - قداسة أتباعه: «يا محبي الرب أبغضوا الشر» (آية ١٠أ). عندما يعلن الملك ملكوته يحيط به محبوه وتابعوه وحافظو وصاياه، فيحبونه أكثر لأنهم يقتربون منه أكثر، ويبغضون الشر بكل صوره ويطردونه من قلوبهم وأفكارهم وبيوتهم، ويعملون بالوصية الرسولية: «امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر» (١تس ٥: ٢١، ٢٢). ولأنهم يحبون الرب القدوس يكونون نظير القدوس الذي دعاهم قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١: ١٦، ١٧). وكما كان بنو إسرائيل في عيد الفصح يفتشون بيوتهم بمصباح ليعثروا على أي خمير ليخرجوه من بيوتهم هكذا يفعل المؤمنون، قائلين مع المرنم: «إن راعيتُ

إنما في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز ٦٦: ١٨). ولأنهم يحبون الرب لا يفرحون بالإثم بل يفرحون بالحق (١كو ١٣: ٦).

٢ - **سلامة أتباعه:** «هو حافظ نفوس أتقيائه. من يد الأشرار ينقذهم» (آية ١٠ب). عندما يبغض محبو الرب الشر لا يعودون يرهبون الأشرار، لأن الرب يحفظ نفوسهم، وهو الحافظ الذي لا ينعس ولا ينام (مز ١٢١: ٤). بخوافيه يظللهم وتحت أجنحته يحتمون (مز ٩١: ٤). باع الإخوة أخاهم يوسف فصار عبداً ألقي في السجن ظلماً، ولكن الرب كان يجهزه ليصبح رئيس وزراء أعظم مملكة في عصره. وأخيراً قال لإخوته: «أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً» (تك ٥٠: ٢٠). ووقف بولس أمام محكمة نيرون، وتركه جميع المؤمنين، فقال: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني. لا يُحسب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقواني.. وسينقذني من كل عمل رديء ويخلصني لملكوته السماوي» (٢تي ٤: ١٦-١٨). ولا زال المسيح الراعي الصالح يرعى قطيعه ويحفظه، فلا يسرقه لص في الليل ولا يفترسه ذئب في النهار، ويقول لهم ما قاله لبطرس: «الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢: ٣١، ٣٢). واجتاز بطرس غربلة الشيطان بسلام. ومع أنه أنكر المسيح ثلاث مرات إلا أن المسيح حفظ عليه إيمانه، فعاد يعترف بمحبته له ثلاث مرات (يو ٢١: ١٥- ١٧). ولا زال المسيح يؤكد لنا: «لا أهملك ولا أتركك» (عب ١٣: ٥).

٣ - **استنارة أتباعه:** «نور قد زُرع للصديق» (آية ١١أ). الصديق هو البار، وهو صاحب الموقف السليم من الله. وهو ليس صالحاً في ذاته، لكنه صدِّيق بار لأن المسيح برَّره بعد أن صلى: «اللهم، ارحمني أنا الخاطي» فنزل إلى بيته مبرراً (لو ١٨: ١٣، ١٤)، وصار وجهه يلمع من رضى الرب عليه «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف ٥: ٨). الله نور وليس فيه ظلمة البتة، وبنوره نرى نورا (مز ٣٦: ٩) فتستنير عيون أذهاننا (أف ١: ١٨). ونور الصديق قد زُرع، كما يسبق الفجر انبلاج نور النهار، ليصير ظاهراً معلناً لا يمكن إخفاؤه. «نور أشرق في الظلمة للمستقيمين» (مز ١١٢: ٤).

٤ - **حمد أتباعه:** «فرح للمستقيمي القلب. افرحوا أيها الصديقون بالرب. احمدوا ذكر قدسه» (آيتا ١١ب، ١٢). يحق للصديقين، مستقيمي القلوب، أصحاب الموقف السليم من الله، أن يفرحوا بالرب في كل حين (في ٤: ٤)، لأن فرح الرب قوتهم (نح ٨: ١٠)، ولا ينزعه أحدٌ منهم (يو ١٦: ٢٢). ويعبِّرون عن هذا الفرح بالترتيل في بيت الرب، فيحمدون ذكر قدسه ويقولون: «افتحوا لي أبواب البر، أدخل فيها وأحمد الرب. هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه. أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً» (مز ١١٨: ١٩-٢١). «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك، لأنك وحدك قدوس ، لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهرت» (رؤ ١٥: ٣، ٤).

المزمور الثامن والتسعون

مزمورٌ

١ رنِّموا للربِّ ترنيمةً جديدةً لأنه صنع عجائبَ. خلَّصَتْهُ يمينُه وذراعُ قُدسِه. ٢ أعلن الربُّ
خلاصَه. لعيونِ الأممِ كشف برَّهُ. ٣ ذكر رحمتَه وأمانتَه لبيتِ إسرائيلَ. رأت كلُّ أقاصي الأرضِ
خلاصَ إلهنا.

٤ اهتفي للربِّ يا كلَّ الأرض. اهتفوا ورنِّموا وغنّوا. ٥ رنِّموا للربِّ بعودٍ. بعودٍ وصوتِ نشيدٍ.
٦ بالأبواقِ وصوتِ الصّورِ اهتفوا قدامَ الملكِ الربِّ. ٧ ليعِجَّ البحرُ وملؤُه، المسكونةُ والساكنون
فيها. ٨ الأنهارُ لتصفِّقْ بالأيادي. الجبالُ لترنِّمْ معاً ٩ أمامَ الربِّ، لأنه جاء ليدينَ الأرضَ. يدينُ
المسكونةَ بالعدلِ والشعوبَ بالاستقامةِ.

تعظم نفسي الرب

هذا هو المزمور الوحيد في كل سفر المزامير الذي يحمل عنوانه كلمة «مزمور» بدون إضافة شيء بعدها. وهو أحد المزامير السبعة التي تدعونا لنسبح الرب الملك (هي ٩٣ و٩٥-١٠٠) لأنه جاء بالخلاص لشعبه، ودعاهم دعوة مقدسة، وأخرجهم من العالم الشرير ليتبعوه. وهو يدعو الطبيعة بأنهارها وبحارها وجبالها وسكانها لتسبِّح الرب. والأغلب أن المرنم غنى كلمات هذا المزمور بمناسبة رجوع بني إسرائيل من السبي البابلي. وعلى الكنيسة المفدية أن تترنم به اليوم، وهي تتأمل سلطان الرب الملك على أرضنا، فيصنع العجائب ويخلص شعبه. فلنترنم كلمات هذا المزمور حتى لو أحاطت بنا المشاكل والمتاعب، وخيِّل لنا أن مملكة الله مهزومة وأن مملكة إبليس منتصرة. حدثني أحد القادة المسيحيين عن معجزة أجراها الله في بلده استجابة لصلوات الكنيسة، ثم قال: «أحياناً نعطي الشيطان أكثر من حقه ونعلي من شأنه فنقول إنه ضايق وعطل وعاكس، بينما الحقيقة هي أن الرب هو الملك المنتصر، وأن كل الأمور في يده، وهو الذي يحرك المسكونة وسكانها بكلمة منه. ومهما بلغت قوة الشيطان فهو مجرد عامل مُرغَم على خدمة مملكة الله». وقد صدق هذا القائد الحكيم.

يستحق الله الملك أن يستسلم المؤمنون له باختيارهم، وأن يخدموه بكل قلوبهم، ويقدموا له نفوسهم بكامل رغبتهم (رو ١٢: ١)، لأنه ملكهم، والذي يمسك دفة سفينة العالم ويقودها لصالح الذين هم له. فلنجدد عهودنا دائماً معه ليكشف لنا قوة محبته وعنايته التي تسبي قلوبنا.

قال المفسر آدم كلارك إن هذا المزمور نبوة عن مجيء المسيح الملك ليخلِّص العالم من خطاياه، وإن ما تنبأ به صاحب مزمورنا أعلنت العذراء تحقيقه في تسبيحتها بعد أن بشرها الملاك بولادة المسيح (لو ١: ٤٦-٥٤). وإليك بعض كلمات المزمور، وتسبيح العذراء استجابة للبشارة:

المرنم: رنموا للرب ترنيمة جديدة.

العذراء: تعظم نفسي الرب.

المرنم: لأنه صانع عجائب.

العذراء: لأن القدير صنع بي عظائم.

المرنم: خلّصته يمينه وذراع قدسه.

العذراء: صنع قوة بذراعه. شتّت المستكبرين بفكر قلوبهم.

المرنم: أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف بره.

العذراء: رحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه.

المرنم: ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل.

العذراء: عضد إسرائيل فتاه ليذكر رحمة.

ولا بد أن كلمات مزمورنا كانت ماثلة في ذهن العذراء وهي ترنم تسبيحتها بمجيء المخلص الذي يصنع خلاصاً لشعبه أعظم من خلاص الخروج من مصر، وأعظم من العودة من السبي البابلي، لأن خلاص المسيح خلاص شامل لكل العالم، كما أنه خلاص أبدي من الخطية وسلطانها وأجرتها.

في هذا المزمور نجد:

أولاً لماذا نسبح الرب؟ (آيات ١-٣)

ثانياً - كيف نسبح الرب؟ (آيات ٤-٦)

ثالثاً - من يسبح الرب؟ (آيات ٧-٩)

أولاً- لماذا نسبح الرب؟
(آيات ١-٣)

١ - **نسبحه لأن أعماله عجيبة:** «رنموا للرب ترنيمة جديدة لأنه صانع عجائب. خلصته يمينه وذراع قدسه» (آية ١). عجائب الله ملموسة في حياة كل مؤمن، وهي الدافع على كل يغيّر الله قلب الخاطئ الحجري ويعطيه قلباً لحمياً بالولادة الروحية الثانية من الله، بحسب قوله الكريم: «وأجعل في داخلكم روحاً جديداً، وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم، لكي يسلكوا في فرائضي» (حز ١١: ١٩، ٢٠). فامتلأ فم المؤمن بتسبيحة جديدة لله. كانت أعظم عجائب الله مع بني إسرائيل هي معجزة الخروج من عبودية فرعون، بعد أن أهلك الملاك المهلك كل أبكار مصر، دون أن يمس أبكار بني إسرائيل الذين أطاعوا أمر الرب ورشوا الدم على قائمتي أبواب بيوتهم وعلى عتباتها العليا (خر ١٢: ٢٣)، فاضطر فرعون أن يأمرهم بمغادرة البلاد. ولما ندم على خروجهم،

تبعهم بجيشه ليسعيدهم إلى عبوديته، فشق الله أمامهم البحر الأحمر فعبروه، بينما غرق عدوهم فيه (خر ١٤: ٢٩، ٣٠). وعندما وصلوا إلى حدود أرض الميعاد شق الله لهم نهر الأردن فعبروه سالمين (يش ٣: ١٧). وأجرى الله مع بني إسرائيل معجزة أخرى، يسمونها «الخروج الثاني» هي إعادتهم من السبي البابلي الذي استمر سبعين سنة، فقد كلف الرب كورش الفارسي أن يسهل لهم أمر عودتهم لبلادهم وإعادة بناء هيكلهم بعد نهاية السنوات السبعين.. أجرى الرب كل هذه العجائب، وخلص شعبه من كل ضيقاتهم دون حاجة لمعونة من بشر. «قد شمَّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا» (إش ٥٢: ١٠). «فخلصت ذراعه لنفسه، وبرُّه هو عضده» (إش ٥٩: ١٦) وبين الخروجين العظيمين استمر حب الله لشعبه يصنع العجائب.

واليوم نرى أكثر بكثير مما رآه بنو إسرائيل، لأن المسيح هو «عمانوئيل» ومعناه «الله معنا» (مت ١: ٢١-٢٣)، فقد أعلن الوحي لنا أنه «عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦). وعندما يسألنا المحيطون بنا: كيف يتجسد الله؟ نجيب: أليس هو القادر على كل شيء؟ أليس هو صاحب السلطان أن يعلن نفسه للبشر بالطريقة التي يريدها؟ فكيف لا يتجسد؟ إنه محبة، فانظروا محبة من تنازل إلينا ليتمم خلاصنا. إنه الآب السماوي الذي منه يتعلم كل أب وكل أم أرضيين كيف يحبون أولادهم غريزياً وتطوعياً. لاحظ تضحياتهما لأجل أولادهما خصوصاً في مرحلة الصغر، وفي وقت المرض. فلماذا يبدو غريباً أن يتنازل الله إلينا ويهتم بنا ليخلصنا؟ لقد أظهر صليب المسيح أعظم عجائب الله وخلاصه المقدس، لأن لنا فيه الفداء. كان المسيح قادراً لو أراد أن ينزل من على الصليب، لكن المعجزة الكبرى هي أنه بقي على الصليب ليخلص نفوسنا بذراع قدسه، فهزم الشيطان، وأمات الموت بموته الفدائي (كو ٢: ١٥ وعب ٢: ١٤). ثم قام في اليوم الثالث من بين الأموات. وقال الرسول بطرس لشيوخ اليهود عن المسيح: «بأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكناً أن الموت يمسكه» (أع ٢: ٢٣، ٢٤).

وعندما نتأمل حياة المسيح على أرضنا نرى خلاصه العجيب وأعمال رحمته، فذات مرة توقف فجأة أثناء سيره مع الجمع لأنه مريضة بنزيف دم لمست طرف ثوبه لتنال الشفاء، فنالته في الحال. وكانت شريعة موسى تقول إن هذه المرأة نجسة طقسياً، وإن من تلمسه يتنجس. ولم يكتفِ المسيح بأن سمح لها أن تلمسه، وأن يشفي مرضها الجسدي بالقوة التي خرجت منه، ولكنه منحها حياة روحية جديدة عندما قال لها: «يا ابنة، إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام، وكوني صحيحة من دائك» فضمَّد جراحها، وداوى كسور نفسها، وقدم لها خلاصه العظيم (مر ٥: ٢٥-٣٤). ولا زلنا اليوم نرى معجزات محبته واضحة بيننا، فعندما كان على أرضنا شفى المرضى، والآن قد رفعه الله هو

حي يجري المعجزات نفسها. فلنرنم للرب ترنيمة جديدة لأنه صنع عجائب ولا يزال يصنع.

٢ - **نسبحه لأن أعماله معلنة:** «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف بره» (آية ٢). قال الرب: «لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان برّي» (إش ٥٦: ١) فخلاص الله وبره (الذي هو عدالته) يسيران معاً. وعدالة الله هي أمانته لوعوده، وعمله على تنفيذ تلك الوعود. أعلن الله خلاصه بمجيء المسيح إلى أرضنا وتتميم فدائنا، ثم بانسكاب روحه القدوس على المؤمنين به لينالوا قوة فيشهدون له. وهكذا حقق وعوده التي أعلنها بفم أنبيائه القديسين. أعلن الله بره ورحمته في الصليب الذي عليه حمل إثمنا، وفيه استوفى أجرة خطايانا، وفيه «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز ٨٥: ١٠). أعلن الرب خلاصه وكشف بره لعيون الأمم الذين لا يملكون كتاباً منزلاً، وهم أصحاب بصيرة دينية مغلقة وعيون روحية عمياء، لأن إبليس، إله هذا الدهر، أعمى أذهانهم حتى لا يتبعوا الحق. لهؤلاء العميان أعلن الرب خلاصه وكشف بره ليفتح بصيرتهم ويقودهم إلى سبل البر. وليعلن حتى لأشد الناس قساوة أنه إله المحبة، كما فعل مع شاول الطرسوسي مضطهد الكنيسة، ففتح بصيرته وأزال القشور عنها، وقال عنه: «لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل، لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي» (أع ٩: ١٥، ١٦). فتغيّر من «الطرسوسي» إلى «بولس الرسول» الذي قال: «لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي، والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع ٢٠: ٢٤). لقد فتح المسيح عيني المولود أعمى، كما فتح عيون الذين أعمتهم الخطية. ذات يوم قاد البعضُ الأصدقاء الأعمى للمسيح طالبين أن يفتح عينيه، فوضع يديه على عينيه وسأله: هل أبصر شيئاً؟ فأجاب أنه يرى الناس كأشجار يمشون، ولكنه لم يكن متحمساً ليحصل على بركة أكبر. ومع ذلك فقد وضع المسيح يديه مرة أخرى على عينيه، ووهبه البصر الكامل، فكشف بهذا الشفاء بر الله ومحبته وقدرته لذلك الأعمى ولنا (مر ٨: ٢٢-٢٦). وفي هذه المعجزة وغيرها نرى إله الخلاص الذي لا يعطي نصف البركة فقط، بل يعطي البركة كلها. أعلن الرب خلاصه وكشف بره، ولا يوجد ما يعطل عمل نعمته أو يوقف فعالية ذراع قدسه.

٣ - **نسبحه لأن أعماله بحسب عهده:** «ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل» (آية ٣أ). لا يمكن أن ينسى الله العهد الذي دخل فيه مع شعبه، وهو القائل: «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفت لداود عبدي» (مز ٨٩: ٣)، وقد قيل له: «تصنع الأمانة ليعقوب، والرأفة لإبراهيم، اللتين حلفت لآبائنا منذ أيام القِدم» (مي ٧: ٢٠). ولكن شعب الرب قد يقول في يأسه: «قد تركني الرب وسيدي نسيني» فيجيبهم: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك. هوذا

على كفيَّ نقشتك. أسوارك أمامي دائماً» (إش ٤٩: ١٤-١٦).

هذا الإله المخلص البار الذي دخل مع شعبه القديم في عهد، دخل مع كل الذين يقبلون المسيح مخلصاً في عهد جديد، قال عنه: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٦، ٢٧). وهو يدعونا لنكون أمناء في هذا العهد معه كما أنه أمين دائماً في عهده معنا، ويذكر رحمته وأمانته.

٤ - **نسبحه لأن أعماله منظورة**: «رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا» (آية ٣ب). خلاص الله عظيم ومرتفع يراه القريب والبعيد، لأنه يكشفه لعيون الأمم (آية ٢). «يرى ذلك الودعاء فيفرحون، وتحيا قلوبكم يا طالبي الله» (مز ٦٩: ٣٢). يقول المؤرخ المقدس: «عندما سمع جميع ملوك الأموريين الذين في عبر الأردن غرباً، وجميع ملوك الكنعانيين الذين على البحر (شرقاً) أن الرب قد يبَّس مياه الأردن.. ذابت قلوبهم، ولم تبق فيهم روح بعد» (يش ٥: ١). إن أعمال الله الخلاصية واضحة للمؤمنين الذين يختبرونها، كما أنها واضحة لكل المحيطين بهم. عندما زرع إسحاق بن إبراهيم حصد مئة ضعف وباركه الرب، فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيماً جداً، وأرحب الرب له، وأثمر في الأرض. فجاء ملك البلاد وقائد الجيش وقالا له: «رأينا أن الرب كان معك، فقلنا: ليكن بيننا حلف، ونقطع معك عهداً» (تك ٢٦: ١٢-٣٣). وعندما التقى المسيح بالسامرية الخاطئة خلَّص نفسها من خطاياها، فرجعت تشهد لأهل بلدها عنه، فأتوا إليه وسمعوا منه وقبلوا خلاصه، ثم قالوا لها: «لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم» (يو ٤: ٤٠)

ثانياً- كيف نسبح الرب؟
(آيات ٤-٦)

١ - نسبِّحه بفرح: «اهتفي للرب يا كل الأرض. اهتفوا ورنموا وغنوا» (آية ٤). يطلب المرنم من كل الخلائق أن تهتف لخالقها «اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنماً، الوعر وكل شجرة فيه، لأن الرب فدى يعقوب» (إش ٤٤: ٢٣). عندما كان ملك يعتلي العرش كان الشعب يحتفل به بالهتاف، كما هتفوا للملك شاول (١صم ١٠: ٢٤).. وبالغناء تصاحبه الموسيقى، كما احتفلوا بالملك سليمان (١مل ١: ٣٩).. وبالتصفيق، كما صفقوا للملك يوآش (٢مل ١١: ١٢). والهتاف هو صيحات إنسان فرحان، والغناء هو كلمات ملحَّنة ومنغَّمة بصوت منفرد أو من جوقة،

لأن من فضلة القلب يتكلم الفم. «طوبى للشعب العارفين الهتاف.. باسمك يبتهجون اليوم كله» (مز ٨٩: ١٥، ١٦).. وعندما رد الرب سبي شعبه قال النبي لهم: «أشيدي، ترنمي معاً يا خرب أورشليم، لأن الرب قد عزى شعبه، فدى أورشليم» (إش ٥٢: ٩).

٣ - **نسبحه بمصاحبة الموسيقى:** «رنموا للرب بعود وصوت نشيد. بالأبواق وصوت الصور» (آيتا ٥، ٦أ). يطلب المرنم أن يكون الترنيم للرب بعود، وهو آلة وترية تكون أحياناً ذات عشرة أوتار، ويطلب أن تنطلق الحناجر الفرحانة بصوت النشيد للرب الملك، الذي يطمئننا بقوله: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)، فيقول: «جعلت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز ١٦: ٨).

أما الصور فهو البوق وكان قرن خروف أو ثور، عالي الصوت يسمعه الجميع. وكانوا يستخدمونه لدعوة الشعب للعبادة في بيت الرب، كما أمر الرب موسى: «اصنع لك بوقين من فضة. مسحولين تعملهما، فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات. إذا ضربوا بهما يجتمع إليك كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع» (عد ١٠: ٢، ٣).. كما كانوا يستخدمون البوق لدعوة الشعب للدفاع في وقت الحرب وللابتهاج بالانتصار: «إذا ذهبتم إلى حرب في أرضكم على عدو يضربكم، تهتفون بالأبواق فتذكرون أمام الرب إلهكم وتُخلَّصون من أعدائكم» (عد ١٠: ٩).. وكان صوت البوق يدعو الشعب للاحتفال بالعيد، فيقول الرب: «في يوم فرحكم وفي أعيادكم ورؤوس شهوركم تضربون بالأبواق» (عد ١٠: ١٠).. وكان صوت البوق يعلن سنة اليوبيل، فيقول الرب: «وتعُدّ لك سبعة سبوت سنين، سبع مرات، فتكون لك أيام السبعة السبوت السنوية تسعاً وأربعين سنة. ثم تعبِّر بوق الهتاف في الشهر السابع في عاشر الشهر في يوم الكفارة، تعبِّرون البوق في جميع أرضكم» (لا ٢٥: ٨، ٩). وسنة اليوبيل هي سنة تحرير العبيد، وسنة عودة الأرض المرهونة إلى أصحابها. فلنحتفل وندعو بعضنا بعضاً للتمتع بالحرية التي يمنحها المسيح لنا «فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦).

٣ - **نسبحه بالاحترام:** «اهتفوا قدام الملك الرب» (آية ٦ب). يعلم المؤمنون عظمة الشرف الممنوح لهم في أن الرب هو ملكهم، وأنهم أعضاء في ملكوت محبته، وأن لهم حق المثول في محضره، فالرب هو الملك الذي يجب أن يملك على حياتنا، وهو الإله الذي اشترانا لنفسه من كل قبيلة وشعب وأمة ولسان لنكون له. والهتاف أمام الملك يعلن الحب والطاعة لله والخضوع لسلطانه، كما استقبلت الجموع المسيح في دخوله الانتصاري إلى أورشليم هاتفة: «أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (مت ٢١: ٩).

ثالثاً -من يسبح الرب
(آيات ٧-٩)

١ - **البحار والأنهار**: «ليعج البحر وملؤه.. الأنهار لتصفق بالأيادي» (آيتا ٧أ و٨أ). البحار والأنهار خليقة الله، فيدعوها المرنم ليصفقوا بالأيادي، وكأن صوت المياه وهي تضرب الشاطئ تصفيق لمن أوجدها ووضع لها حداً لا تتعداه (مز ١٠٤:٩). وترمز البحار والأنهار للعدو، أو القوة المضادة للرب، ولو أنها خليقته. ولا بد أن المخلوق يتمم إرادة الخالق طوعاً أو كرهاً، فإن «غضب الإنسان يحمدك يا رب» (مز ٧٦: ١٠). وعلى ذلك فإنه مهما عج البحر فإنه في النهاية يطيع الله خالقه. لقد عج البحر الأحمر ولكنه صفّق وبنو إسرائيل يعبرونه، كما صفق نهر الأردن وهو ينشق ليعبروه: «الآن هكذا يقول الرب: لا تخف لأني فديتك، دعوتك باسمك، أنت لي. إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذع واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك» (إش ٤٣: ١-٣). يقول المرنم: «رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها» (مز ٩٣: ٣). لكن «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩: ١٩).

٢ - **الأرض والبشر**: «المسكونة والساكنون فيها» (آية ٧ب). المسكونة وساكنوها مدعوون ليسبحوا الرب الذي خلقهم ويعتني بهم. وينقسم ساكنو المسكونة إلى قسمين: أبناء للرب وشحاذين منه، وكلاهما يأخذ من الرب الذي يفتح يديه فيشبعون خيراً (مز ١٠٤: ٢٨). ولكن ما أعظم الفرق بين الذين يأخذون من الله فيشبعون لأنه أنعم عليهم بالتبني حسب القول: «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١٢)، وبين الشحاذين الذين يأكلون من الفتات الساقط من مائدة البنين (لو ١٦: ٢١). فهل أخذت البنوية من الله؟ أم هل أنت مجرد شحاذ تستجدي الخبز منه؟

٣ - **الجبال**: «الجبال لترنم معاً أمام الرب إلهنا لأنه جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة» (آيتا ٨ب، ٩). يدعو المرنم الجبال، وهي أعلى ما في الأرض لتسبح الرب، لأنه عادل وقوي، ولا ضعف فيه. وكل مظلوم يفرح لأن الرب يدين البشر فيعطي كل ذي حق حقه. «لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تُحضرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً، وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي.. ويكون للرب اسماً علامة أبدية لا تنقطع» (إش ٥٥: ١٢، ١٣). وعندما نسمع صوت المسيح الذي سيدين العالم يقول «أنا آتي سريعا» نهتف: «آمين. تعال أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠).

* * *

عندما تأملنا في تمجيد الرب الملك دعونا نجاوب على ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: قال المرنم: «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف برّه». فهل اختبرت خلاصه الذي صنعه بحبه العظيم في فدائه لك على الصليب؟ وهل نلت غفران خطاياك وتكفيره عنك؟

السؤال الثاني: قال المرنم: «اهتفوا ورنموا وغنوا». فهل أنت فرحان بالرب؟.. اختبر كثيرون خلاص الرب، لكن وجوه بعضهم عابسة لا تُظهر فرح خلاصهم. فليظهر فرح خلاصنا لا بابتسامة خارجية لكن من عمق قلوبنا، فإن فرح الرب هو قوتنا.

السؤال الثالث: قال المرنم: «رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا». فهل نعلن خلاصه لكل الأرض؟ وهل نشهد لإيماننا؟ يكتفي كثيرون من المؤمنين بحياة الأنس الدافئ مع إخوتهم المؤمنين، ولا ينتبهون لصرخة العالم الذي يستنجد بهم قائلاً: اعبروا إلينا وأعينونا. فلنعلن خلاص إلهنا ليراه الجميع وليسمع به الجميع.

المزمور التاسع والتسعون

١ الربُّ قد ملك. ترتعدُ الشعوبُ. هو جالسٌ على الكروبيمِ. تتزلزلُ الأرضُ. ٢ الربُّ عظيمٌ في
صهيونَ وعالٍ هو على كلِّ الشعوبِ. ٣ يحمدون اسمَكَ العظيمَ والمهوبَ. قدوسٌ هو. ٤ وعِزُّ
الملكِ أن يحبَّ الحقَّ. أنت ثبَّتَّ الاستقامة. أنت أجريْتَ حقاً وعدلاً في يعقوبَ.
٥ علّوا الربَّ إلهَنا، واسجدوا عند موطئِ قدميه. قدوسٌ هو. ٦ موسى وهارونُ بين كهنتِه،
وصموئيلُ بين الذين يدعون باسمه. دعوا الربَّ وهو استجاب لهم. ٧ بعمودِ السحابِ كلَّمهم.
حفظوا شهاداتِه والفريضةَ التي أعطاهم. ٨ أيها الربُّ إلهُنا أنت استجبتَ لهم. إلهاً غفوراً كنتَ
لهم، ومنتقماً على أفعالِهم. ٩ علّوا الربَّ إلهَنا، واسجدوا في جبلِ قُدسِه، لأن الربَّ إلهَنا قدوسٌ.

قدوسٌ هو

هذا ثالث المزامير التي تبدأ بالقول «الرب قد ملك» (وهي مزامير ٩٣، ٩٧، ٩٩)، وهو آخرها، ويبدأ بالتسبيح لله الملك القدوس، تتكرر فكرة قداسة الرب فيه ثلاث مرات، فيقول في آيتي ٣، ٥ «قدوس هو» وفي آية ٩ «إلهنا قدوس». وهو يدعو كل الشعوب ليضمّوا أصواتهم مع شعب الرب في إعلان قداسته الكاملة، ويهتفوا له مع ملائكة السرافيم: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). ولا يمكن للخاطئ أن يقف في محضر الله القدوس إلا إن أخذ من عنده ثوب الخلاص ورداء البر ولباس التقوى. وقد روى لنا المسيح مثل عُرس ابن الملك (مت ٢٢: ١-١٤)، فقال إن الملك دعا شعبه لوليمة عرس ابنه، وجهّز لمدعوّيه كل ما يمكن أن يحلموا به، ووزّع عليهم ملابس ملكية، ثم جال بين صفوف ضيوفه يرحّب بهم، فوجد أحد المدعوين لا يلبس الملابس الملكية، لأنه كان يظن أن ثيابه تصلح لحضور الوليمة، فأمر الملك بطرده خارج القصر. وهذا يعني أننا لا يمكن أن نمثل في محضر الرب إلا إن احتمينا في ستر كفارته الكريمة لنكون مقبولين في محضره. حاول أبوانا الأولان أن يسترا نفسيهما بأوراق الشجر ففشلت محاولاتهما، حتى سترهما الرب بالفداء وبأقمصةٍ من جلد. إن وقوف الخاطئ في محضر الرب مخيف، وليس له من حماية إلا حماية كفارة المسيح الذي قال: «ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك.. ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (لو ١٩: ١٠ ومت ٢٠: ٢٨).

يركز هذا المزمور على القداسة ويذكر ثلاث شخصيات، هي موسى صاحب الشريعة، وهارون الكاهن، وصموئيل النبي والقاضي، ويقول إنهم دعوا الرب فاستجاب لهم، ليس بسبب كمالهم، لكن لأنه متّعهم بالغفران والنجاة بواسطة حمل الفصح الذي حمى أبكار بني إسرائيل من الموت، وبواسطة الذبائح الكفارية التي أمر الرب بها موسى، وكلها تشير إلى كفارة المسيح

على الصليب. وقد قاد هؤلاء الثلاثة المؤمنين في طريق الرب، وصلوا لأجلهم، وعاشوا حياة مقدسة لأنهم حصلوا على القبول الإلهي، بالبر الذي من الله بالإيمان.

في هذا المزمور يقول المرنم إن الرب أرسى قواعد مُلكه في الأرض كلها، وفي هيكله المقدس، وهو يحكم بالعدل والحق والاستقامة، ولذلك يجب أن يسبّحه الجميع.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – الرب يملك على المسكونة (آيات ١-٣)

ثانياً – الرب يملك بالبر (آيتا ٤، ٥)

ثالثاً – مظاهر مُلك الرب (آيات ٦-٩)

أولاً - الرب يملك على المسكونة (آيات ١-٣)

في هذه الآيات الثلاث يقول المرنم إن الرب يملك، فترتعد المسكونة وسكانها، ويحمد المؤمنون اسمه المهوب.

١– ترتعد أمامه المسكونة وسكانها: «الرب قد ملك. ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم. تتزلزل الأرض» (آية ١). عندما يملك الرب ترتعد الشعوب وتتزلزل الأرض، إجلالاً وتوقيراً واحتراماً للخالق الذي أوجدها. قال المرنم للرب: «صوت رعدك في الزوبعة. البروق أضاءت المسكونة. ارتعدت ورجفت الأرض» (مز ٧٧: ١٨). وقال النبي إشعياء للرب: «ليتك تشقُّ السماوات وتنزل! من حضرتك تتزلزل الجبال. كما تُشعل النار الهشيم، وتجعل النارُ المياه تغلي، لتعرّف أعداءك اسمك، لترتعب الأمم من حضرتك» (إش ٦٤: ١، ٢). عندما تجلى الرب بعظمته للنبي إشعياء امتلأ الهيكل دخاناً، واهتزّت أساسات أعتابه، فصرخ النبي: «ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك ربَّ الجنود» (إش ٦: ٥). ترتعد المسكونة وسكانها لأنهم يشعرون بعدم استحقاقهم للمثول في محضر الرب، ويدركون أنهم هالكون بسبب خطاياهم، ولا سبيل لهم للنجاة إلا بالمراحم الإلهية.

ويقول المرنم إن الرب «جالس على الكروبيم». والكروبيم (في العبرية) جمع كلمة «كروب»، والمثنى كروبان، وهم قسم مختار من الملائكة المقرّبين إلى الله أكثر من سواهم، ويُعرفون بملائكة الحضرة، وأطلق عليهم علماء اليهود « ملائكة القُدرة» وقد أقامهم الله حُرّاساً لأبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها (تك ٣: ٢٤). وطلب الله من موسى أن يصنع كروبيْن من ذهب يبسطان

أجنحتهما علــى تابوت عهد الــرب في قدس الأقداس (خر ٢٥: ١٨، ١٩). والــقول «جالس على الكروبيــم» تعبيـــر رمزي لأن الذي يجلس هو الذي أكمل عمله. وهو تعبير يعني أن الملائكة بكل عـظمتهم يخدمون الله ويؤدون له السجود، ويقومون بكل ما يكلفهم به. صلى حزقيا أمام الرب وقال: «أيـــها الرب، إلهُ إســرائيل، الجالسُ فوق الكروبيم، أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض. أنت صنعت الســماء والأرض» (٢مل ١٩: ١٥). وقال المرنم لله: «يا راعي إسرائيل اصْغَ.. يا جالساً على الكروبيــم أشرِق» (مز ٨٠: ١). وفي تشبيـــه شعري يــقول داود إن الرب ركب على كروب وطار (مز ١٨: ١٠). ورأى النبي حزقيال الكروبيم تحت عرش الله (حز ١١: ٢٢). ومن فرط قوة الله الذي يـــخدمه الكروبيم تتزلزل الثوابت، فقد تزعزع المكان الذي اجتمع فيه التلاميذ وصلّوا (أع ٤: ٣١) وانفتحت أبواب ســجن فيلبي بعد ترنيم وصلوات بولس وســيلا (أع ١٦: ٢٦) وارتجفت القلوب القاســية وهي ترى عظمة عمل الله (أع ١٦: ٢٩). حقاً «كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المُعوجّ مستقيماً والعراقيب (الطريق الوعر) سهلاً» (إش ٤٠: ٤).

٢- المــؤمنون يحـمدون: «الرب عظيــم في صهيــون، وعالٍ هو على كل الشعوب. يحمدون اســمك العظيم والمهوب. قدوس هو» (أيتا ٢، ٣). في صهيون بنى الملك ســليمان الهيكل العظيم، ويقول المرنم: «الرب أحبّ أبواب صهيون أكثر من جميع مســاكن يعقوب» (مز ٨٧: ٢). «عظيمٌ هو الرب وحميــدٌ جداً في مدينة إلهنا، جبلِ قدســه» (مز ٤٨: ١). وســبب هذا الحمد أن نعمة الله العظيــمة تظهر في الهيــكل، فهناك يــنال الخاطئ المعترف غفران خطاياه وهو يقدم الذبيحة طلباً للرحمة، كما أمرت شريــعة موســى. كما أن من الهيـــكل يتضح كمال شريعة الله وتعليمه، فيحمد المؤمنون اســـمه العظيم والمهوب، لأنه القدوس، ويتحقق القول: «الرب إلهك في وسطك إلهٌ عظيم ومــخوف» (تث ٧: ٢١). «ويكون في آخر الأيام أن جبل الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتســير شعوب كثيرة ويقولون: هلمّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بــيت إله يعقوب، فيعلّمنا من طُرقه ونسلك في سُبله، لأن من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفاً، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد» (إش ٢: ٢-٤ ومي ٤: ١-٣).

وبعد مجيء المســـيح إلى أرضنا توقّف تقديم الذبائح الموسوية، وهُدم هيكل أورشليم، لأن كفارة المســـيـــح كانت المرموز إليه. فلما جاءت الذبيحة الحقيقية انتهت الرموز، كما تســقط الزهرة من الشجرة لأن الثمرة نبتت. والكنيسة اليوم هي مسكن الرب، وقد أظهر لها قوته وحكمته وبرّه وفداءه، فعليــها أن تطيــعه وأن تحمده من أجل الخلاص والفداء، ومن أجل العنايــة والرعايــة، ومن أجل

اســـتجابة الصلاة، وهو يقول لشعبها: «الذي فيكم أقوى من الذي في العالم» (١يو ٤: ٤) «المسيح فيكم رجاء المجد» (كو ١: ٢٧).. الكنيســـة اليوم هي صهيون الروحية، والمسيح في وسطها حسب وعده: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باســـمي هناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠). فلنطلب من الرب الموجود في وســطنا أن يُـظهر لنا جلال وجوده، لنعبده ونفرح به، كما فرح التلاميذ إذ رأوا الرب (يو ٢٠: ٢٠). ولنعلِّ الرب في وسـطنا، فيرتفع اســـمه القدوس في تصرفاتنا وحياتنا «لأن الرب عليٌّ مخوف، ملكٌ كبير على كل الأرض» (مز ٤٧: ٢).

ويختم المرنم هذا الجزء من مزموره بهتافه «قدوسٌ هو».

ثانياً - الرب يملك بالبر
(آيتا ٤، ٥)

في هاتين الآيتين يقول المرنم إن الرب يحب الحق، ويثبِّت الاســـتقامة، ويُجري العدل، ويطالب شعبه بالسجود عند موطئ قدميه.

١- **الرب الملك يحب الحق:** «وعزُّ الملك أن يحب الحق» (آية ٤أ). العز هو القوة، والرب قوي لأنـــه الحق الذي لا خطأ فيه ولا كذب ولا مكر. «الله نور، وليس فيه ظلمة البتَّة» (١يو ١: ٥). قال المســيـــح: «أنا هو الطريق والحق والحياة.. وتعرفون الحق، والحق يحرركم.. فإن حرركم الابن فــبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ١٤: ٦ و٨: ٣٢، ٣٦). وقال في صلاته الشفاعية: «هذه هي الحياة الأبـدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيَّ وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يو ١٧: ٣) فهو الإله الحقيـــقي بالمقارنة بالآلهة الوهمية التي عبدها الوثنيون، والآلهة الغامضة التي تعبَّد لها اليونانيون. «هوذا الله عزيـــز ولكنه لا يـــرذل أحداً. عزيـــز قدرة القلب. لا يـــحيي الشرير، بل يُجري قضاء البائسين. لا يحوِّل عينيه عن البار» (أي ٣٦: ٥-٧).

٢- **الرب الملك يثبِّت الاستقامة:** «أنت ثبَّتَّ الاســـتقامة» (آيـــة ٤ب). وقد قال: «لأني أنا الرب محبٌّ العدل، مبغض المختلس بالظلم. وأجعل أجرتهم أميـــنة، وأقطع لهم عهداً أبديـــاً.. كل الذيـــن يرونهم يعرفونهم أنهم نســـلٌ باركه الرب» (إش ٦١: ٨، ٩). ولأنه يحب الحق فهو يزيل العوج من نفوس محبِّيه الذين يتبعونه بكل قلوبهم، كما يعاقب كل أثيم أعوج.

٣- **الرب المـلـك يُجري العدل:** «أنت أجريتَ حقاً وعدلاً في يعقوب» (آية ٤ج). يعقوب هو أب الأسباط، ويُطلَق اسمه على بني إسرائيل جميعاً. ويمكن أن يكون المعنى أن الله أجرى الحق والعدل في حيـاة يـــعقوب نفســـه، وأجراه أيـــضاً في أعماله معه. لقد خلَّص يعقوب من خطاياه، كما أنقذه

من أعدائه. كان يعقوب في مطلع حياته يتعقّب الآخرين، فخدع أباه وأخاه وخاله، فغيّر حياته وغيّر اسمه من يعقوب المتعقّب إلى إسرائيل المجاهد، وبهذا التغيير أجرى حقاً وعدلاً في حياة يعقوب. ثم أجرى الحق والعدل معه، فأنقذه من أعدائه وحقّق له وعوده.. كما يمكن أن يكون المعنى أن الله أجرى الحق والعدل في حياة نسل يعقوب ومعهم، فإنه عاقبهم بالسبي البابلي لما ارتدّوا عن عبادته وقدّموا ذبائحهم للأصنام. ولما تخلّصوا نهائياً من العبادة الوثنية أعادهم إلى أرضهم بأمر من كورش الفارسي. وأجرى الله حقاً وعدلاً مع بني إسرائيل عندما أنقذهم من أعدائهم.. والرب مستعد أن يُجري هذا الحق والعدل في حياتنا ومعنا، إذ يغيّر حياتنا تغييراً جذرياً كاملاً، فيتم فينا القول: «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧). وهو يُجري الحق والعدل معنا فنقول: «إن كان الله معنا، فمن علينا؟!» (رو ٨: ٣١).

٤- **الرب الملك يستحق المُلك:** «علّوا الرب إلهنا. اسجدوا عند موطئ قدميه. قدوسٌ هو» (آية ٥). كيف نعلّي الرب إلهنا؟ وهل يحتاج إلى ارتفاع، وهو العلي العظيم؟.. المقصود أن يملك الرب على حياتنا بالكامل، فندعوه: «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع ٢٧: ٢٣)، وأن نعلّي كلمته في حياتنا بطاعتها، لتكون له الكلمة العليا فينا. وقد علّمنا المسيح أن نصلي: «ليتقدّس اسمك، ليأتِ ملكوتك. لتكن مشيئتك» (مت ٦: ٩، ١٠). والمقصود أن نقدّس نحن اسمه بالعبادة، وأن يأتي ملكوته في حياتنا بخضوعنا له، فيتحقق معنا قول القديس أغسطينوس: «عندما تفعل مشيئة الله كأنها مشيئتك، يفعل الله مشيئتك كأنها مشيئته».

ويطلب المرنم أن نسجد عند موطئ قدميه. وقد فهم بنو إسرائيل أن موطئ قدمي الرب هو تابوت العهد داخل قدس الأقداس، فقد قال داود لرؤساء شعبه: «كان قلبي أن أبني بيت قرار لتابوت عهد الرب، ولموطئ قدمي إلهنا» (١أي ٢٨: ٢). وهذا يعني أن المرنم يطالبنا بالسجود في بيت الله المقدس.. وموطئ قدمي الله هو الأرض كلها، كما قال الرب: «السماوات كرسيي، والأرض موطئ قدميّ» (إش ٦٦: ١). ويريدنا المرنم أن نعتبر الأرض كلها مكان سجود وعبادة، فلا نكتفي بشكر الله وحمده في مكان العبادة، بل حيثما نكون ونوجد.

يملك الرب بالبر لأنه «قدوسٌ هو». وعندما ندعوه كما صلى العشار: «اللهمَّ ارحمني أنا الخاطي» تنزل إلى بيتك مبرراً (لو ١٨: ١٣). فإن اعترفنا له بخطايانا ننال نعمة الغفران، فيباركنا ويجعلنا بركة. فلنسجد عند موطئ قدميه كخطاة نحتاج إلى الرحمة، وكمساكين بالروح تخلو أيدينا من أي صلاح، فنخضع له معترفين بعدم استحقاقنا، فينعم علينا بعطاياه السماوية.

ثالثاً - مظاهر مُلك الرب
(آيات ٦-٩)

في هذه الآيـات الأربع يـذكر المرنم أن مُلك الله ظهر في الماضي في حياة المؤمنين، الذين صلّوا للرب وأطاعوه.. وظهر في تعاملاته مع هؤلاء المؤمنين، فاستجاب لهم، وغفر خطاياهم، وفي محبةٍ عاقبهم على ذنوبهم ليـردّهم إليـه، فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟ (عب ١٢: ٧).. ثم يطالبنا المرنم اليوم أن نعلّي اسم الرب وأن نسجد له.

١- يظهر مُلكه في ما فعله المؤمنون قديماً: (آيتا ٦، ٧).

(أ) المؤمنون قديماً صلّوا له : «موسى وهارون بين كهنته، وصموئيل بين الذين يدعون باسمه. دعوا الرب وهو اسـتجاب لهم» (آية ٦). يذكر المرنم ثلاث شخصيات عظيمة، هي موسى وهارون وصـموئيل: موسىٰ الذي هجر عظمة مصر وفضّل أن يُذلّ مع شعب الله فجعله الله كاهناً، واستخدمه جسـراً يـعبر به الناس إلى الله، كما أنه كان بوعظه يـكلّم الشعب عن الله، وبصلواته يكلم الله عن الشعب. ولو أن موسـى بقي في مصر أميـراً لأصبح ملكاً، ولانتهى أمره بأن يرى الزائرون جثّته ترقد محنّطةً في المتحف المصري في ميـدان التحرير بالقاهرة. ولكنه فضّل أن يطيع الله وقاد شعبه في الـخروج، ورفع صلـواته لأجلهم فنصرهم الله وغفر لهم. وقد صلى موسـى لأجل شعبه أثناء الحرب مع عماليق، و«كان إذا رفع موسـى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب. فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا (هارون وحور) حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه، ودعم هارون وحور يـديه، الواحد من هنا والآخر من هناك، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع عماليق وقومه بحدّ السـيف» (خر ١٧: ١١-١٣). وغفر الله لشعبه بسـبب صلوات موسى عندما أخطأوا وعبدوا الـعجل (خر ٣٢: ٣٠-٣٢ وتث ٩: ١٨-٢١). وغفر لـهم الله مرة أخرى لـما لم يصدّقوا وعود الله وصدّقوا تقرير الجواسـيس العشرة أنهم لا يقدرون أن يمتلكوا الأرض (عد ١٤: ١٣-١٥).

والشخص الثاني الذي يذكره المرنم هو هارون شقيق موسـى، الذي اختاره الله ونسـله ليكونوا كـهنة شعبه، وقد استجاب الله لصلاة هارون يوم ثار الشعب عليه وعلى موسى بقيادة قورح، فأرسل الرب وبأ ليـهلك الشعب، فأسـرع هارون وأخذ المجمرة ووضع فيـها ناراً من على مذبح الرب، ووضـع بخوراً، وركض إلى وسط الشعب وكفّر عنهم، ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوبأ (عد ١٦: ٤١-٥٠).

والشخص الثالث الذي يـــذكره المرنم هو صموئيل، وهو ابن الصلاة، فقد أعطاه الله لأمه العاقر لما صلّت في هيـــكل الرب ليعطيها الله نســلاً، فاســتجاب لها، فقالت: «لأجل هذا الصبي صلّيت، فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لدنهُ» (اصم ١: ٢٧). وهو الذي ناداه الله في الهيكل وهو بعد صبي، فأجاب: «تكلّم يا رب لأن عبدك ســامع» (اصم ٣: ١٠). وهو الذي قال لشعبه: «حاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكفّ عن الصلاة من أجلكم، بل أعلّمكم الطريق الصالح المستقيم» (اصم ١٢: ٢٣). وعندما تضايق الشعب من أعدائه طلبوا من صموئيل أن لا يكفّ عن الصلاة لأجلهم «فصرخ صموئيل إلى الرب من أجل بني إسرائيل، فاستجاب له الرب» (اصم ٧: ٩).

(ب) المؤمنون قديمـاً أطاعوه : «بعمود الســحاب كلّمهم. حفظوا شهاداته والفريـضة التي أعطاهم» (آية ٧). كلّم الله شعبه في عمود سحاب، ليؤكد لهم بطريقة مرئيّة واضحة لا تُنسى أنه في وســطهم، يـحميهم ويرعاهم، فانتبهوا للمحبة الإلهية الكاملة، وتجاوبوا معها، وحفظوا شهاداته التي تشهد عليـــهم، والتي كتبها الرب على لوحي الحجر، وحُفظت في تابوت العهد لأنها عهدٌ بينه وبين شعبه، يــشهد علـــيــهم وعلى أعمالهم وعلى إيــمانهم و«طوبى لحافظي شهاداته» (مز ١١٩: ٢). وحفظوا الفريضة التي أعطاهم، وهي أمر تســنده سلطة، فيقول الابن لأبيه: «علّمني فرائضك» (مز ١١٩: ١٢) لأن الأب يضع لبيته قوانينه وفرائضه لسلامة أفراده ولخير أولاده ولتقدُّم الأسرة.

٢- يظهر مُلكه في ما فعله هو: (آية ٨).

(أ) اســتجاب لهـم: «أيها الرب إلهنا أنت استجبتَ لهم» (آية ٨أ) صحيح الرب هو سامع الصلاة الذي يأتي إليه كل بشر (مز ٦٥: ٢) أما شعبه فينال منه رعايةً خاصة، فســمعناه يقول: «إني رأيتُ مـذلّة شعبي في مصر، وسمعتُ صراخهم من أجل مسخّريهم. إني علمت أوجاعهم، فنزلتُ لأنقذهم» (خــر ٣: ٧، ٨). وقال للملك حزقيا: «قد سمعتُ صلاتك. قد رأيتُ دموعك. هأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة» (إش ٣٨: ٥).

(ب) غفر لهــم: «إلهاً غفوراً كنت لهم» (آية ٨ب). «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم» (ايو ١: ٩). قد يقول شخص: لا أمل لي في أن يقبلني الرب لأن خطاياي كثيرة جداً. لكن عليه أن يفكر في اللص المصلوب الذي كان يجدّف على المسيح، ولكن الرب فتح عينيه ليرى أن المصلوب في الوسط هو ملكٌ صاحب مملكة يقدر أن يُدخل إليها من يشاء، فقال له: «اذكرني يــا رب متى جئتَ في ملكوتك» فجاءته الإجابة الفوريـــة: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢، ٤٣). إن ذنب الخاطئ عظيـــم لكن عفو الرب أعظم. فلا يجب أن نؤجل التوبة. «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو ٦: ٢).

(ج) **عاقبهم:** «ومنتقماً على أفعالهم» (آية ٨ج). الرحمة لمن يقبل الرحمة، والعقاب لمن يرفضها. الذي يقبل الخلاص يتمتع بكل فوائده، والذي يرفضه يعرّض نفسه لأعظم خطر. «مخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب ١٠: ٣١). دعونا ندخل فُلك النجاة كما فعل نوح، وفلك نجاتنا هو المسيح الذي جهّز لنا الفداء والكفارة بصليب محبته. وعدم دخولنا فلك النجاة يعني هلاكنا، حتى إن كنا نظن أننا أطول الناس في القامة الروحية، وأن كانت بيوتنا الروحية أعلى البيوت، لأنه «ليس بأحدٍ غيرهِ الخلاص، لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطيَ بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع ٤: ١٢).

٣- يظهر مُلكه في ما يجب أن يفعله المؤمنون اليوم: (آية ٩).

(أ) **يجب أن يعلّوه:** «علّوا الرب إلهنا» (آية ٩أ). يكرر المرنم هنا ما سبق أن أمر به في الآية الخامسة، وهو ما يجب أن يفعله المؤمنون دائماً.

(ب) **يجب أن يسجدوا له:** «اسجدوا في جبل قدسه، لأن الرب إلهنا قدوس» (آية ٩ب). السجود هو إخضاع الإرادة للرب، والانحناء أمامه في محبة. وكل من ينحني أمامه يختبر جمال الحياة معه. «القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (مز ٥١: ١٧). وعندما يكون السجود في جبل الله المقدس تتقدّس حياة العابد ويتطهّر سلوكه. كان على الكهنة قبل دخولهم إلى القدس أن يمروا أولاً بالمرحضة ليغتسلوا (خر ٤٠: ٣٠-٣٢). وكان هذا التطهير الطقسي يرمز إلى ضرورة نقاوة القلب، كما طلب داود: «قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي» (مز ٥١: ١٠). و«طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله» (مت ٥: ٨). وعندما نصعد إلى جبل قدس الرب ونتعبّد له، تلمع وجوهنا بالفرح، كما كان جلد وجه موسى يلمع بسبب وجوده في محضر الله (خر ٣٤: ٢٩)، وقد قال المسيح: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلّمتكم به.. لا أعود أسميكم عبيداً.. لكني قد سمّيتكم أحباء لأني أعلمتُكم بكل ما سمعته من أبي» (يو ١٥: ٣، ١٥).

«الرب قد ملك.. علّوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه.. لأن الرب إلهنا قدوس».

المزمور المئة

مزمورُ حمدٍ

١ اهتفي لـلربِّ يا كلَّ الأرضِ. ٢ اعبدوا الربَّ بفرحٍ. ادخلوا إلى حضرتِه بترنُّم. ٣ اعلموا أنَّ
الربَّ هو الله. هو صنعنا، وله نحن، شعبُه وغنمُ مرعاه. ٤ ادخلوا أبوابَه بحمدٍ، ديارَه بالتسبيح.
احمدوه. باركوا اسمَه ٥ لأن الربَّ صالحٌ. إلى الأبدِ رحمتُه، وإلى دورٍ فدورٍ أمانتُه.

دعوة مكرَّرة للحمد

هذا المزمور خاتمة مجموعة مزاميـــر التســبيح للرب الملك، كما أنه ذروتها. فيه يكرر المرنم الـدعوة مرتين إلى كل الشعوب ليشتركوا مع بني إسرائيل في تسبيح الرب الإله الحقيقي وحده، الذي أرجع شعبه من ســبي بابل، فلا بد أن تتحقَّق النبوَّة: «أبناء الغريــب الذين يقترنون بالرب ليخدموه، وليحبوا اســم الرب ليكونوا له عبيداً.. آتي بهم إلى جبل قُدســي، وأفرِّحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيتَ الصلاة يُدعى لكل الشعوب» (إش ٥٦: ٧، ٨).

كان هذا المزمور يُرنَّم عادة بمناســبة تقديم ذبيحة الشكر، التي يقول عنها سفر اللاويين: «وهذه شريعة ذبيحة السلامة التي يقرِّبها للرب.. لأجل الشكر.. وإن كانت ذبيحةُ قربانِه نذراً، أو نافلة» (لا ٧: ١١-٢١). فعندما يكرم الرب المؤمن ويمنحه بركة أكبر مما ينتظر، يعبِّر عن شكره بتقديم ذبيحة الســـلامة حمداً وتسبيحاً للرب، ويرنم أثناء تقديمها كلمات هذا المزمور، فالرب هو «القادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحســب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة إلى جـميع أجيال دهر الدهور» (أف ٣: ٢٠، ٢١).. وعندما ينذر المؤمن نذراً ويعطيه الرب طلبه، كان يــقدم للرب ما نذر به، ويــرنم معه كلمات هذا المزمور.. وعندما يريد المؤمن أن يقدِّم للرب نافلةً، بمعنى قربان أو ذبيــحة تطوعية واختيارية، لأنه يحب الرب، كان يقدم نافلته ويرنم معها كلمات هذا المزمور.

فتعالوا نشارك صاحب المزمور في الترنيــم للرب الملك لأننا نريد أن نشكره قائلين: «باركي يا نــفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ١، ٢). لقد لمس حياتنا آلاف اللمســـات الرقيقة. حتى في وقت تأديبه لنا لنشكره قائلين: «تــأديباً أدَّبني الرب وإلى الموت لم يسلمني» (مز ١١٨: ١٨) لأنه في تأديبه يريد أن يحيينا ويردَّ لنا حياة القُرب منه. وهو يســتخدم الظروف الصعبة لبركة نفوســنا، وعائلاتنا، وكنيستنا. تجيئنا بركته مــرات داخل مظروف أبيض يفرحنا، كما تجيئنا أحياناً داخل مظروف أسود. فلا تتوقَّفوا عند الغلاف الخارجي، بل افتحوا رســالته واقرأوها شاكريــن، وســتجدونها تؤكد لنا من جديــد أن الله محبة،

ومحبته صافية صادقة عجيبة، لأنها من النبع الذي لا ينضب. إنه «لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، فكيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو ٨: ٣٢). فلنقدّم لله «ذبيحة التسبيح» (عب ١٣: ١٥)، وفي نضوج روحي لنقل له: أسلّمك نفسي، فباركني كيفما تشاء. «لأنك أنت تبارك الصدّيق يا رب. كأنه بترسٍ تحيطه بالرضى» (مز ٥: ١٢). نحن لا نعيش ظروف الحياة وحدنا، لكننا نعيش في المسيح وسط الظروف، ولنا فيه الحماية الكاملة. فلنشترك مع مقدّم ذبيحة السلامة في تقديم ذبيحة شكر اختيارية، مرنمين هذا المزمور، معترفين بفضل الله علينا.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – دعوة أولى مسبِّبة للحمد (آيات ١-٣)

ثانياً – دعوة ثانية مسبِّبة للحمد (آيتا ٤، ٥)

أولاً - دعوة أولى مسبِّبة للحمد (آيات ١-٣)

١- الدعوة الأولى للحمد: (آيتا ١، ٢).

(ا) **هي دعوة للجميع:** «اهتفي للرب يا كل الأرض» (آية ١). هذه دعوة عامة للبشر جميعاً ولمحبي الرب خصوصاً ليهتفوا للرب الملك شكراً وحمداً. بعضنا يمرُّ بظروف قاسية أو فشل، وبعضنا يمر بظروف مفرحة أو نجاح. والنجاح لا يستمر وكذلك الفشل، فنحن نعيش في عالم يتغيَّر باستمرار. لكن صلتنا بالرب يجب أن تستمر وتتعمَّق، لأنها لا تتوقَّف على ظروفنا، بل على علاقتنا به وعلى محبتنا له. وبقدر عمق علاقتنا به واستمرارها يكون هتافنا له وشكرنا لجلاله. فلنحب الرب بكل قلوبنا، لننال لقب سبط بنيامين: «حبيب الرب» (تث ٣٣: ١٢)، ولقب «يديديا» (٢صم ١٢: ٢٥) ومعناه «محبوب الرب» وهو اللقب الذي أطلقه ناثان النبي بأمرٍ إلهي على الملك سليمان، ولقب «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (يو ٢٠: ٢) الذي أُطلق على تلميذ المسيح يوحنا. فليكن شعارنا: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو ٤: ١٩). ولنهتف للرب، وندعو كل الأرض لتشاركنا في هذا الهتاف.

(ب) **هي دعوة للفرح:** «اعبدوا الرب بفرح. ادخلوا إلى حضرته بترنُّم» (آية ٢). تتميز عبادتنا بالترتيل والترنيم والتسبيح الفرحان، الذي تصاحبه الموسيقى، لأن الوحي يأمرنا: «لتسكُن فيكم كلمة المسيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلّمون ومُنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانيّ روحية مترنّمين في قلوبكم للرب» (كو ٣: ١٦). وإلهنا إله الفرح، وقد شبَّه المسيح ملكوت الله بوليمة عرس (مت ٢٢: ١-١٤)، كما أجرى أولى معجزاته في حفل عرسٍ بقانا الجليل (يو ٢: ١-١١)..

وضرب لنا مثل الابن الضال الذي رجع إلى نفسه وإلى أبيه، وفي هذا المثل صوَّر المسيح لنا فرح السماء والأرض بالخاطئ الواحد الذي تاب. لم يكن الابن الضال متأكداً من قبول أبيه له، لأنه كان يشعر بعدم الاستحقاق. وكم فرح بقبول أبيه له، وكم فرح الأب بعودة الابن، كما فرح العبيد الذين جهَّزوا الوليمة، وفرح الأصدقاء الذين دُعوا للوليمة لأن الابتسامة عادت إلى وجه الأب الحزين بعد رجوع ابنه (لو ١٥). وكل من يذكر أنه للمسيح يرنم: «ما أبهج اليوم الذي آمنتُ فيه بالمسيح!». قد يذكر بعضنا يوماً محدَّداً تاب فيه ونال الحياة الجديدة، وقد لا يكون عند بعضنا يوم محدد يعرفه، لكن على كل واحد منا أن يتأكد أن المسيح دخل قلبه واستلم حياته، فنسبِّح الله إله الغفران الذي يعمِّر قلوبنا بالفرح، فنقول: «فرحاً أفرح بالرب، تبتهج نفسي بإلهي. لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر» (إش ٦١: ١٠).

٢ - **سبب الدعوة الأولى للحمد:** (آية ٣).

(أ) **نحمده لأنه الله:** «اعلموا أن الرب هو الله» (آية ٣أ). دعا المرنم كل سكان الأرض ليعرفوا من هو الرب الخالق المالك فيطيعونه ويحبونه، وإذ يعرفونه حقَّ معرفته يرنمون له، لأنه مستحقٌ أن يأخذ «المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقتَ كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ ٤: ١١). ومع ذلك فما أكثر ما يضل الإنسان عن معرفة الله! غير أن الله في محبته يردُّ الضال إلى سُبُل البر من أجل اسمه (مز ٢٣: ٣). لقد ضلَّ بنو إسرائيل في زمن موسى وعبدوا العجل الذهبي، فردَّهم الرب إلى الصواب (خر ٣٢). وفي زمن النبي إيليا عبدوا البعل، إله البلاد المحيطة بهم، فتحدَّى النبي إيليا صنمهم، وأظهر الله قوته بأن أنزل النار على ذبيحة النبي إيليا، فصرخ الشعب قائلين: «الرب هو الله. الرب هو الله» (١مل ١٨: ٢١-٣٩).. فلنتأكد أن الرب هو الإله الذي يمسك بزمام كل الأمور. قال بيلاطس للمسيح: «ألستَ تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» فأجابه: «لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو ١٩: ١٠، ١١). لقد ظن بيلاطس وهو يعتلي عرش الولاية أنه صاحب سلطان، لكن صاحب السلطان الحقيقي هو المسيح الذي ارتضى أن يقف أمام بيلاطس ليبدأ السير في طريق الآلام نحو الصليب ليتمِّم الفداء العجيب، وهو الذي قال: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨: ١٨).

(ب) **نحمده لأنه الخالق:** «هو صنعنا» (آية ٣ ب). «الرب صنع الكل لغرضه» (أم ١٦: ٤). صنع كل شيء من لا شيء، دون أن يعاونه أحد، وهو يحفظ كل خليقته بكلمة أمره. صنعنا لما جبَل آدم أبانا الأول تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية (تك ٢: ٧)

ثم خلق حواء معينةً له من أحد أضلاعه. ولكن الخطية دخلت إلى العالم فأفسدت براءة الخلق الأول، وعرّت أبوينا الأولين وأخجلتهما، فستر الله الإنسان العاري، وأعاد خلقه فصار خليقة جديدة «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠). لأنه «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧). وهذا ما يدعوه المسيح «الولادة من فوق» و«الولادة من الماء والروح» (يو ٣: ٣، ٥). ولذلك يصلي كل مؤمن ويقول: أشكرك يا رب لأنك خلقتني مرتين، الخلق الجسدي، لأن «المولود من الجسد جسد هو»، والخلق الروحي لأن «المولود من الروح هو روح» (يو ٣: ٦). ويقول هذا الخالق العظيم لكل مؤمن: «لا تخف لأني فديتُك. دعوتك باسمك. أنت لي» (إش ٤٣: ١)، فتمتلئ قلوبنا بالفرح والتسبيح للرب لأننا افتدينا فداءً عجيباً بدم المسيح الثمين.

(ج) **نحمده لأنه الراعي:** «وله نحن، شعبه، وغنم مرعاه» (آية ٣ج). لسنا لأنفسنا لأنه خالقنا، ولغيره سبحانه لن نكون «كل من دُعي باسمي ولمجدي خلقته وجبلته وصنعته» (إش ٤٣: ٧). ونحن ملكه بحكم فدائه لنا «لستم لأنفسكم، لأنكم اشتُريتم بثمن. فمجّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١كو ٦: ١٩، ٢٠). ونحن له لأنه ملكنا الذي أعطانا شريعته لنحيا بحسبها. ونحن له لأنه قاضينا الذي سنقف أمامه لنقدّم حساباً عما فعلنا. وهو راعينا العظيم الذي فتش عنا في ضلالنا حتى وجدنا وردّنا إليه. لذلك يقول المؤمن: «الرب راعيّ فلا يعوزني شيء» (مز ٢٣: ١) لأن المسيح يقول: «أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف» (يو ١٠: ١١). ويقول الرسول بطرس: «كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها» (١بط ٢: ٢٥)، فالمسيح هو الراعي والأسقف، يعني أنه الناظر الذي يراقب قطيعه، فإذا ضل أحدها أو جاع أو مرض يراه ويسعفه.

ثانياً - دعوة ثانية مسببة للحمد
(آيتا ٤، ٥)

١ - **الدعوة الثانية للحمد:** «ادخلوا أبوابه بحمد، دياره بالتسبيح. احمدوه. باركوا اسمه» (آية ٤). يدعو المرنم الناس جميعاً ليدخلوا بيت الرب الذي لا يُغلق في وجه أحد. فليدخلوه وقد امتلأت نفوسهم بالحمد والتسبيح، وليحمدوا الله ويباركوا اسمه، وهم يهتفون: «فرحتُ بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١).

٢ - **سبب الدعوة الثانية للحمد:** (آية ٥).

(أ) **نحمده لأنه صالح:** «لأن الرب صالح» (آية ٥أ). ورد القول «لأن الرب صالح. إلى الأبد

رحمته» ٣٦ مرة في الكتاب المقدس (٢٦ مرة في مزمور ١٣٦، كما وردت في ١أي ١٦: ٣٤ و٢أي ٥: ١٣ و٧: ٣، عز ٣: ١١ ومز ١٠٠: ٥ و١٠٦: ١ و١٠٧: ١ و١١٨: ١، ٢٩ وإر ٣٣: ١١). الله محبة، وهو كريم مُنعمٌ سخيٌّ، لا يخطئ أبداً في أي عمل يقوم به أو يسمح به، فكل أعماله من أجل محبّيه صالحة. عرفتُ سيدة كندية من أصل يوناني تزوجت مصرياً هاجر إلى كندا، وسافرا إلى المملكة السعودية للعمل بها. وهناك تعرّفا على شاب مصري استخدمه الله ليقودهما كليهما لمعرفة المسيح معرفة خلاصية، فسلّما حياتيهما للمسيح. وعندما انتهت فترة عمل الزوجين قررا أن يتوقّفا بالقاهرة، ثم أثينا، ليكلّما أهلهما عن الخلاص بالفداء، حتى يفرح الجميع بأن تكون لهم العلاقة الحية مع المسيح. وبارك الله خدمتهما في القاهرة وأثينا، وعادا إلى كندا فرحانين. وفجأة مرض الزوج ومات تاركاً أولاده الصغار في رعاية الأرملة، التي وجدت عزاءها في أن زوجها انطلق ليكون مع الرب وهو يقول: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). وعندما كتبتُ لها معزّياً جاوبتني بأن الرب صالحٌ ولا يخطئ أبداً، وأنه في حكمته ومحبته أخذ زوجها ليكون معه في المجد. هذا اختبار حقيقي لعمل نعمة الله التي تسند وسط أصعب الظروف.. ليست كلمات الإنجيل وعوداً جوفاء، ولا هي مخدراً وأفيوناً للشعوب، لكنها حقائق مُعاشة تعلن لنا صلاح الرب. «احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح، لأن إلى الأبد رحمته. صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب» (إر ٣٣: ١٠، ١١).

(ب) **نحمده لأنه رحيم**: «إلى الأبد رحمته» (آية ٥ب). وورد القول «إلى الأبد رحمته» خمس مرات (١أي ١٦: ٤١ و٢أي ٧: ٦ و٢٠: ٢١ ومز ١١٨: ٣، ٤). ورحمته دائمة يختبرها الأبناء كما اختبرها الآباء. ولو كانت رحمته مؤقّتة لكنا هلكنا ومُتنا بسبب كثرة أخطائنا، لكن روعة الرحمة الإلهية أنها تنبع من قلب كله رحمة، لا يأتي إلا بأعمال الرحمة التي لا تتوقف أبداً. فلنطمئن إلى مراحم الله، لأنها إلى الأبد.

وما أعظم الرحمة الإلهية لو قارنّاها برحمة البشر لبعضهم. ولنضرب مثلاً لذلك نقول إنه أثناء رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى كان معه برنابا ومرقس. وفي منتصف الطريق ترك مرقس خدمته معهما ورجع إلى بيته في أورشليم حيث الراحة والأمن. ولما قرَّر الرسول بولس أن يقوم برحلته التبشيرية الثانية رفض أن يصحب مرقس معه، بحُجّة أن «الذي فارقهما ولم يذهب معهما للعمل، لا يأخذانه معهما». وكان عادلاً في رفضه. ولكن برنابا، خال مرقس، كان رحيماً بابن أخته، وقرر أن يصحب ابن أخته في رحلة تبشيرية ثانية.. كان برنابا رحيماً بمرقس، وكان مثاليا في تشجيع الضعفاء، فأطلقوا عليه لقب «ابن الوعظ» أي ابن التشجيع (أع ١٢: ٢٥ و١٣: ٥، ١٣ و١٥: ٣٦-٤١).

وظـــهرت عدالة الرسول بولس مرة أخرى في حكمه على مرقس، بعد بضعة سنوات، لما رأى جدِّية خدمة مرقس، فطلب حضوره ليـــخدم معه، لأنه نافعٌ لخدمة الرب (٢تي ٤: ١١). وكم نشكر الله من أجل رحمته ومحبته، لأنه يســـامحنا، ويمنحنا فرصة ثانية، وينسى أخطاءنا، ويقول: «أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها» (إش ٤٣: ٢٥).

(ج) **نحـمده لأنه أمين:** «إلى دورٍ فدور أمانته» (آية ٥ج). الرب أزلي أبدي لا بداية أيام له ولا نـــهاية حياة. وأمانته تلازمه دائماً «فاعلم أن الرب إلهك هو الله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث ٧: ٩).

وتظهر أمانة الله معنا في مغفرة خطايانا، فإنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايـــانا ويطهرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩).. كما تظهر أمانته في وقت تجاربنا، فإن «الله أمين الذي لا يـــدعكم تُجرَّبون فوق ما تســـتطيعون، بل ســـيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتســـتطيعوا أن تحتملوا» (١كو ١٠: ١٣).. وتظهر أمانته أيـــضاً في أنه ثبَّت إيـــماننا، فإنه «أميـــن هو الرب الذي ســـيثبّتكم ويحفظكم من الشرير» (٢تس ٣: ٣). ويبقى الرب أميناً لشعبه مهما كانوا غير أمناء (٢تي ٢: ١٣). فلنجتهد أن نكون أمناء، وأن تســـتمر أمانتنا له، لنســـــمع صوته: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخُل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢٣).

المزمور المئة والواحد

لداود. مزمورٌ

١ رحمةً وحُكْماً أغنّي. لك يا ربُّ أرنّم. ٢ أتعقّل في طريقٍ كامل. متى تأتي إليّ؟ أسلُكُ في كمالِ قلبي في وسَطِ بيتي. ٣ لا أضعُ قدامَ عينيَّ أمراً رديئاً. عملَ الزَّيغانِ أبغضْتُ. لا يلصَقُ بي. ٤ قلبٌ معوَّجٌ يَبْعُدُ عنّي. الشريرُ لا أعرفُه. ٥ الذي يغتابُ صاحبَه سرّاً هذا أقطعُه. مستكبرُ العَيْن ومنتفخُ القلبِ لا أحتملُه. ٦ عيناي على أمناءِ الأرضِ لكي أجلِسَهُم معي. السالكُ طريقاً كاملاً هو يخدِمُني. ٧ لا يسكنُ وسَطَ بيتي عاملُ غشٍّ. المتكلمُ بالكذب لا يَثْبُت أمامَ عينيَّ. ٨ باكراً أُبيدُ جميعَ أشرارِ الأرضِ، لأقطعَ من مدينةِ الربِّ كلَّ فاعلي الإثم.

الملك التقي العادل

فــي هذا المزمور يعلن داود نيّته المقدسة أن يحيا حياة النقاوة، وأن يرفض كل عوَجٍ وزيغان في مملكته. وهو يسأل إلهه: «متى تأتي إليّ؟» لأنه يريد أن يحيا في محضر الله دائماً، فيملأ حضور الله قلبه، ويســود الرب على بيته، ويقوده ويرشده، ويحكم المملكة من خلاله. عاش داود مع الله، وسبّح له، وكان سـلوكه في الحيــاة اليــومية متوافقاً مع ترتيله وشعاراته، لأنه طبّق ما رتّله على حياته الشخصية كمتعبّدٍ مخلص لله. وكملكٍ أوكل الله إليه مسؤولية حُكم شعبه ورعايته، كان يريد أن يكون الحاكم العادل لمملكة فاضلة.

فــي هذا المزمور ينقلنا داود لنتأمل واقع حياته الشخصية كمؤمن ورب بيت، وواقع حياته العملية كملك وحاكم، ويرينا تطبيق ما يقوله فم العابد على حياته العملية كل يوم.

شـرح داود أخلاقياته في مزموري ١٥، ٢٤، فتساءل: «يا رب، من ينزل في مسكنك؟ من يسكن فــي جبل قدسك؟» وأجاب: «السالك بالكمال، والعامل الحق، والمتكلم بالصدق في قلبه. الذي لا يشي بلســانه، ولا يصنع شراً بصاحبه، ولا يحمل تعييراً على قريبه» (مز ١٥: ١-٣) وتســاءل: «من يصعد إلى جبل الرب، ومن يقوم في موضع قدســه؟» وأجاب: «الطاهر اليدين، والنقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل، ولا حلف كذباً» (مز ٢٤: ٣، ٤). وكانت كلماته الأخيرة: «وحي داود بن يـسى، وحي الرجل القائم في العُلا.. مرنّم إسرائيل الحلو: روح الرب تكلم بي، وكلمته على لساني.. إذا تســلط على الناس بارٌّ يتسلط بخوف الله، وكنور الصباح إذا أشرقت الشمس. كعُشب من الأرض في صباحٍ صحوٍ مضيء بعد المطر» (٢صم ٢٣: ١-٤).

هــذا هو داود التقي، الملك العادل، الذي شهد الله عنه بالقول: «وجدتُ داود بن يسى رجلاً حسب قلبي، الذي سيصنع كل مشيئتي» (أع ١٣: ٢٢).

وقد أطلق المفسرون على مزمور ١٠١ عدّة تسميات، منها «تصوير داود للملوك» و«مزمور الأمراء». وقد حفظه عن ظهر قلب كثير من الملوك الأتقياء. ويُروى عن الملك «إرنست التقي» أنه أرسل نصّ هذا المزمور لأحد وزرائه المرتشين، فخرجت مثلاً أن يُقال عن كل مسؤول مرتش: «سرعان ما سيصله المزمور المئة والواحد ليقرأه».

ولا نعلم بالضبط ما هي المناسبة التي كُتب فيها هذا المزمور، ولكن المفسرين اقترحوا ثلاث مناسبات في حياة داود يمكن أن تكون أيٌّ منها مناسبة لكتابته:

(١) ربما كتبه بعد موت الملك شاول (٢صم ١: ١-١٠). وكان داود وقتها في الثلاثين من العمر، وجاءه قادة سبط يهوذا يطلبون منه أن يتولى أمور حكم سبطهم. وقبل داود طلبهم وملّك على سبط يهوذا سبع سنوات ونصف السنة، وكانت عاصمته مدينة الخليل التي كانت معروفة وقتها باسم «حبرون». وبهذا تغيّر حال داود تماماً فصار ملكاً بعد أيام قاسية قضاها هارباً من الملك شاول الذي كان يطارده من كهف إلى كهف. وشعر بالامتنان للرب الذي بدّل حاله، فأعلن أنه سيكون وفياً لله، وحاكماً عادلاً لشعبه.

(٢) ربما كتبه بعد موت آخر مقاوميه من عائلة شاول، ومجيء جميع الأسباط إليه ليتولى حكمهم، وقالوا له: «عظمك ولحمك نحن.. أنت تكون رئيساً على (كل بني) إسرائيل» (٢صم ٥). فتولى المُلك في أورشليم مدة ثلاث وثلاثين سنة. وفي شكره لله رنّم هذا المزمور مصلياً أن يسلك بالكمال في مخافة الله، وأن يكون حكمه على شعب الرب حكماً عادلاً.

(٣) ربما كتبه بمناسبة نقل تابوت عهد الرب إلى مدينة أورشليم، العاصمة الجديدة، كعلامة حضور الرب وسط شعبه (٢صم ٦). وفي أول الأمر تمّ نقل التابوت بطريقة مخالفة لشريعة موسى، فبدل أن يحمله الكهنة على أكتافهم حملوه على عجلة جديدة، ولما تعثّرت الثيران مدّ شخصٌ اسمه «عُزة» يده ليسند التابوت، فأماته الرب في الحال. وخاف داود من الرب، لكنه سرعان ما أدرك سبب ميتة عُزة، وعرف الطريقة السليمة التي يجب أن يحملوا بها التابوت فأطاعها، ونقل بها التابوت إلى الخيمة التي نصبها له. لذلك تساءل في هذا المزمور: «متى تأتي إليّ؟» (آية ٢). وكأنه يقول: لقد جهّزتُ نفسي وعائلتي ومدينتي بالطريقة التي ترضاها يا ربي، وصارت مدينتي مدينتك. فأريدها أن تكون دائما مدينة إقامة تابوت عهدك مع شعبك، رمزاً لحضورك وسطهم. وكأن داود يدرك معنى قول المسيح: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي.. إن أحبّني أحدٌ يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢١، ٢٣).

وأظهر له ذاتي.. إن أحبّني أحدٌ يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢١، ٢٣).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – داود الإنسان المتعبِّد (آيات ١-٤)

ثانياً – داود الملك العادل (آيات ٥-٨)

أولاً - داود الإنسان المتعبِّد
(آيات ١-٤)

١ – **المتعبِّد يشكر:** «رحمةً وحكماً أغنّي. لك يا رب أرنّم» (آية ١). يتغنّى داود كل يوم للرب الرحيم والحاكم العادل ويرتل له، كما ترنّم أيثان الأزراحي: «العدل والحقّ قاعدة كرسيّك. الرحمة والأمانة تتقدّمان أمام وجهك» (مز ٨٩: ١٤). تذكّر داود كم قابل من محاربات وضيقات، وكيف اختبر العناية الإلهية التي مدّت له يد العون والإنقاذ من كل شدّة، وأدرك أن على كل حاكم أن يمارس الرحمة والعدالة في أحكامه «فيُثبَّت الكرسي بالرحمة، ويجلس (الحاكم) عليه بالأمانة.. ويطلب الحق ويبادر بالعدل» (إش ١٦: ٥). ويدرك أيضاً أن كل مؤمن يريد أن يسلك بالكمال يجب أن تفيض حياته تسبيحاً لله الصالح، كثير الرحمة، عظيم الغفران، كما يشكره لأجل عدالته الظاهرة في أحكامه، ويكون سلوكه متوافقاً مع إيمانه، فيعامل الآخرين بالرحمة والعدل. «قد أخبرك (الرب) أيها الإنسان ما هو صالح، وماذا يطلبه منك الرب: أن تصنع الحق وتحب الرحمة، وتسلك متواضعاً مع إلهك» (مي ٦: ٨).

فلنشترك مع داود في شكر الرب والترنُّم له على عدالته، وعلى رحمته. في حياتنا نجاح وفشل، وفيها تحقيق آمالٍ وإحباطات، وفيها حلوٌ ومر، وفيها أيام صحة وأيام مرض، وأيام مكسب وأيام خسارة. فدعونا نشكر الرب على مراحمه علينا في وسط كل هذا، ونقول مع داود: «أنا دعوتُك لأنك تستجيب لي يا الله. أمِل أذنيك إليَّ. اسمع كلامي. ميِّز مراحمك يا مخلِّص المتَّكلين عليك بيمينك من المقاومين. احفظني مثل حدقة العين» (مز ١٧: ٦-٨). ودعونا نسبح الله ونشكره على أحكامه العادلة معنا، سواء كانت بالمكافأة أو بالتأديب، فقد قال الرسول بولس: «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية، وقد نسيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تَخُرْ إذا وبَّخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدِّبه، ويجلد كل ابن يقبله.. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين، فأيُّ ابن لا يؤدبه أبوه؟» (عب ١٢: ٤-٦).

٢ – **المتعبِّد يسعى للكمال:** (آية ٢).

(أ) **كمال النيّة:** «أتعقّل في طريق كامل» (آية ٢أ). في حكمة وتعقُّل يعلن داود أنه ينوي أن

يسلك بالكمال الأخلاقي، فإن «رأس الحكمة مخافة الله» (مز ١١١: ١٠) و«طريق الصدّيق استقامة» (إش ٢٦: ٧). وقد قال داود: «جميع أحكامه أمامي، وفرائضه لم أُبعدها عن نفسي» (مز ١٨: ٢٢). وبعده عندما قال الله لسليمان: «اسأل ماذا أعطيك» أجاب: «أعطِ عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك، وأميّز بين الخير والشر» فقال له: «أعطيتك قلباً حكيماً ومميِّزاً» (١مل ٣: ٥-١٥). والإنسان الحكيم العاقل هو الذي يسلك الطريق الذي يرضاه الله، لأنه الطريق الكامل. وكمثال لهذا نقول إنه ما أكثر ما يريد الإنسان أن ينتقم لنفسه، أو أن يأخذ حقوقه بيده، لأنه يعتقد أن طاعته للرب ستضيِّع حقوقه، فلا يطيع قول الله «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو ١٢: ١٩). ولكن كمال الحصول على حقوقنا، وكمال انتصارنا هو في طاعتنا لأوامر الرب بعدم الانتقام، وتسليم الأمور للرب الذي يجازي بعدالة، ويعطي كل صاحب حقٍ حقَّه. «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء» (أف ٥: ١٥).

(ب) **كمال الشوق:** «متى تأتي إليّ؟» (آية ٢ب). كانت حياة داود زاخرة بالذكريات الحلوة مع الرب، ولا بد أنه تذكّر كيف خاف من مجيء تابوت عهد الرب إلى مدينته، وقال: «كيف يأتي إليّ تابوت الرب؟» (٢صم ٦: ٩). وها هو يتخلّص من الخوف ويمتلئ بالثقة والشوق إلى حضور الرب، فيقول: «متى تأتي إليّ؟».. إنه يعبِّر عن مشاعر بني قورح في القول: «عطشت نفسي إلى الله، إلى الإله الحي. متى أجيء وأتراءى قدام الله؟» (مز ٤٢: ٢) فأعلن تشوّقه إلى قرب أقرب لله ليقدر أن يتعقّل في الطريق الكامل الذي عزم بكل قلبه أن يسير فيه، فلا يخطئ إلى نفسه، ولا يخطئ في إصدار أحكامه، لأن الرب سيعطيه الحكمة والقداسة. وفي طلبته هذه يسأل الله أن يحقّق وعده لشعبه: «في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذِكراً، آتي إليك وأباركك» (خر ٢٠: ٢٤).

دعونا نعلن شوقنا إلى الحياة في محضر الرب الدائم، ليكون ملكاً على الحياة. قل له: متى تأتي إليّ لتجعل سلوكي حسب إرادتك؟ متى تأتي إلى بيتي معبوداً، فأقول مع عائلتي: «أنا وبيتي نعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥)؟ متى تكون أنت صاحب الكلمة العليا في كل ما أفعل؟ متى تقود سفينة حياتي إلى حيث تريد وحيث تشاء؟ فهذا هو النعيم كله! وما أصدق قول القديس أغسطينوس: «اللهم، لقد خلقتنا لذاتك، فلن تجد نفوسنا راحةً إلا إذا استراحت فيك».

(ج) **كمال الحياة العائلية:** «أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي» (آية ٢ج). القصور عادةً مكان فساد ودسائس وشهوات. ولكن داود يعلن أن قصره سيكون مكان سكنى الرب الذي سيجيء إليه، وكأنه يردد الشعار: «الرب هو سيد هذا البيت، الضيف غير المنظور على كل مائدة، والسامع الصامت لكل محادثة». لم يكن داود مهتماً فقط بأن يكون سلوكه كاملاً أمام الناس كملك، بل اهتم أن

يســـلك بالكمال أمام الله في بيته، فقيل عنه إنه بعد نقل التابوت «بارك الشعب باسم رب الجنود.. ثم ذهب كل الشعب، كل واحد إلى بيـــته، ورجع داود ليبارك بيته» (٢صم ٦: ١٨-٢٠). إنه يســعى للكمال، فقال: «أكون كاملاً معه وأتحفّظ من إثمي» (مز ١٨: ٢٣)، وقال الحكيم: «الصدّيق يســـلك بكماله. طوبى لبنيه من بعده» (أم ٢٠: ٧). ويعلن داود هنا أنه ســيســـلك في كمال قلبه وسط بنيه، فيـــكون لهم القدوة الصالحة والمثل الطيب.. ولا بد أن داود كان يذكر ما كان أيوب يفعله مع أبنائه «وكان بنوه يـــذهبون ويعملون وليمة في بيت كل واحدٍ منهم في يومه.. وكان لما دارت أيام الوليمة أن أيوب أرســـل فقدّســـهم، وبكّر في الغد وأصعد محرقات على عددهم كلهم، لأن أيوب قال: ربما أخطأ بنيَّ وجدّفوا على الله في قلوبهم. هكذا كان أيوب يفعل كل الأيام» (أي ١: ٤، ٥).

إن أصعب مكان نُظهر فيـــه إيـــماننا هو البيـــت، فما أكثر ما ندّخر الكلام اللطيـــف لمعاملاتنا الـــخارجية، ولا نُبقي لأهل البيت إلا الكلام الخشن! مع أن المكان الأمثل للتعبير عن مشاعر حبنا هو البيـــت، حيـــث شريك الحياة والأبناء. والبيت هو أفضل مكان تختبر فيه إيمان الشخص مع عائلته الصغيرة والكبيرة. ويفتش الرب دوماً عن البيت التقي ليجد راحته فيه، كما بحث المســـيح عن بيتٍ يســتريح فيه يوم الأربعاء من أســـبوع الآلام، فاختار بيت مريم ومرثا ولعازر (مت ٢٦: ٦-١٣). ووجد مؤمنو مدينة كولوســـي راحتهم في بيت فليمون، فكتب بولس له وللكنيسة يقول: «بولس أسير يســـوع المســـيح، وتيموثاوس الأخ: إلى فليمون المحبوب والعامل معنا، وإلى أبفيَّة المحبوبة (زوجة فليمون) وأرخبُّس المتجنّد معنا (ابن فليمون)، وإلى الكنيســـة التي في بيتك، نعمةٌ لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» (فل ١-٣). فهل يجد المسيح بيتك واحة راحة، وهل يستريح المؤمنون في بيتك؟

٣- **المتعبِّد يكره الشر:** (آيـــتا ٣، ٤). في هاتين الآيتين يعلن داود ولاءه الكامل لله، وســـعيه إلى حياة الطاعة له، فيبتعد عن كل شر، كارهاً له.

(أ) لا يـقلّـد الأشـرار: «لا أضع قدام عينيَّ أمراً رديئاً» (آية ٣أ). وهذا يعني أنه عزم ألا يقلّد أي شيء ســـيء يراه في الأشرار، مهما كانوا مشهورين أو ناجحين، لأن ما تراه العينان وتنجذبان إليه يدخل القلب، فإن: «ســـراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيّراً.. وإن كانت عيـــنك شريرة فجســـدك كله يكون مظلماً» (مت ٦: ٢٢، ٢٣). لقد وضع أبوانا الأولان قدام عيـــنيهما الشجرة المنهيّ عنها، فوجداها جيدة للأكل، وبهجة للعيون، وشهيَّة للنظر، فعصيا الله (تك ٣: ٦). وقد تحذّر داود من فعلهما، وتعلّم وجوب الطاعة.

وهناك معنى آخر لقول داود إنه لا يـــضع أمراً رديئاً أمام عينيه، هو أنه لن يضع نصب عينيه، ولن يهدف إلى عمل رديء، لأن كل نيَّته متّجهة إلى الســـلوك الفاضل الكامل، لأنه «إن راعيتُ إثماً

فـي قلبي لا يستمع لي الرب» (مز ٦٦: ١٨)، وشعاره: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلت بالسيد الرب ملجإي، لأخبر بكل صنائعك» (مز ٧٣: ٢٨).

(ب) **يـنفض الزيغان عنه**: «عملَ الزيـغان أبغضتُ. لا يـلصقُ بي» (آية ٣ب). أوصى الله شعبه: «لا يـلتصق بيدك شيء من المحرَّم.. احترز من أن يكون مع قلبك كلامٌ لئيمٌ» (تث ١٣: ١٧ و١٥: ٩). وقد عمل داود بهذه الوصية، فقرر أن ينفض عنه كل جحود وزيغان.

(ج) **لا يـصادق الأشرار**: «قلبٌ معوَّجٌ يـبعُد عني. الشريـر لا أعرفه» (آيـة ٤). علم داود أن «كراهة الرب ملتوو القلب، ورضاه مسـتقيـمو القلوب» (أم ١١: ٢٠) فقرر أن لا يكون بينه وبين الشريـر أي نوع من العلاقة. وعلينا أن نحتذي مثال داود «فإن المعاشرات الردية تفسـد الأخلاق الجيـدة» (١كو ١٥: ٣٣). ويـجب أن نطيـع الوصيـة الرسـولية: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطةٍ للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسـيح مع بليعال؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟» (٢كو ٦: ١٤، ١٥).

ثانياً - داود الملك العادل
(آيات ٥-٨)

١- **الملك العادل يرفض المُغتاب**: «الذي يغتاب صاحبه سـراً هذا أقطعه»» (آية ٥أ). المغتاب هو الذي يمسـك سـيرة الآخرين بالكذب، ويجرح الناس بكلامه من وراء ظهورهم، فلا تكون لهم فرصة الدفاع عن أنفسـهم. ولا بد للملك من مسـاعدين ومسـتشارين يقدمون له تقارير عن العباد وللبلاد، يكونون صادقين أمناء، لا يغتابون أحداً ولا يظلمون أحداً، بل يقدمون للملك تصويراً صادقاً للناس وللأمور. فإذا كان المحيـطون بالملك أمناء جاءت تقاريـرهم أمينة، وبالتالي جاءت قرارات الملك عادلة. أما إن كان المحيـطون به أشراراً فإنهم سـيـقدمون له تقارير مزوَّرة تتبعها قرارات ظالمة وخاطئة. ولهذا لم يكن الملك داود يسـمح بوجود الذين يغتابون الناس سراً، بل كان يستبعدهم ويقطعهم من حاشيته، فإن «الحاكم المصغي إلى كلام كذب كل خدّامه أشرار» (أم ٢٩: ١٢).

٢- **الملك العادل يرفض المتكبِّر**: «مسـتكبر العين منتفخ القلب لا أحتمله» (آية ٥ب). قال داود لـلـرب: «أنت تخلِّص الشعب البائس، والأعيـن المرتفعة تضعها» (مز ١٨: ٢٧). وقد تمثَّل داود بإلهه، فكان لا يحتمل المتكبرين، الذين يشبهون هامان الذي عندما سـأله الملك أحشويروش: «ماذا يُعمل لرجلٍ يُسرُّ الملك بأن يكرمه؟» قال في نفسه: «من يُسرُّ الملك بأن يكرمه أكثر منّي؟». فاقترح أن يُلـبِس الـملك هذا الرجل الملابس السـلطانيـة، وأن يُـركَّب على فرس الملك، ويُـتوَّج بتاج الملك،

ويُطلب من أحد رؤســــاء الملك الأشراف أن يدور به في ساحة المدينة وينادي «هكذا يُصنع للرجل الذي يُســـر الملك بأن يكرمه». فأمره الملك أن يفعل هذا بمُردخاي بوّاب القصر (أس ٦: ٦-١١)! حقاً «ذبائح الله هي روحٌ منكســـرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره» (مز ٥١: ١٧). إذاً «تـسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمةً. فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه» (١بط ٥: ٥، ٦).

٣ - *الملك العادل يستخدم الأمين الكامل:* «عيناي على أمناء الأرض لكي أجلسهم معي. السالك طريـــقاً كاملاً هو يخدمني» (آية ٦). كان داود أميناً يتعقّل في طريق كامل، فأحب الأمناء الكاملين، وكان يبحث عنهم دائماً ليكونوا أفراد حاشيته ومستشاريه والمقرَّبين منه، والعاملين معه، وخدمه.

٤- *الملك العادل يطرد الكذابين:* «لا يسكن في وسط بيتي عامل غش. المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عينيّ» (آية ٧). عانى داود معاناة شديدة من الغشاشين الكاذبين الذين كانوا يشون به كذباً للملك شـــاول، فكان يطارده طالباً قتله. ولما وقع شاول في يد داود مرة قال داود لشاول: «لماذا تسمع كلام الناس القائلين: هوذا داود يطلب أذيّتك؟» (١صم ٢٤: ٩). ولما جعل الله داود ملكاً لم يكن يريد لأحدٍ أن يـــتعذّب كما تعذب هو، فطرد من بيته الغشاشين الكذبة، وهو القائل: «لتبكمْ شفاه الكذب المتكلّمة على الصدّيق بوقاحة، بكبرياء واســـتهانة» (مز ٣١: ١٨). لا يستطيع السالك بالكمال أن يتعايش مع عامل الغش، ولكنه يقول: «القديسون الذين في الأرض والأفاضل، كل مسرّتي بهم» (مز ١٦: ٣).

٥ - *الملك العادل يطهّر عاصمة مملكته:* «باكراً أُبيد جميع أشرار الأرض، لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم» (آيـــة ٨). لم يـــكتفِ داود بتطهير قصره من الكذابين الأشرار، بل أراد أن يطهر العاصمة منهم يومياً «لأنه خادم الله للصلاح.. لا يحمل الســـيف عبثاً إذ هو خادم الله، منتقم للغضب من الذي يـــفعل الشر» (رو ١٣: ٤). دعا داود عاصمة مملكته «مديـــنة الله» فأراد أن يطهرها من فاعلي الإثم لتكون المديـــنة الفاضلة، وعزم أنه «باكراً» في كل يـــوم كان يـــســـتبعد منها الأشرار والظالمين، الذين يســـيئون إلى غيرهم. قال الرب: «اقضوا في الصباح عدلاً، وانقذوا المغصوب من يد الظالم لئلا يخرج كنارٍ غضبي، فيُحرقَ وليس مَن يُطفئ، من أجل شر أعمالكم» (إر ٢١: ١٢).

فلنطلب من الرب أن يقرّبنا إليه أكثر، لأن القريب منه هو الأمين في عمله وفي بيته وفي خدمته، ويســـتحق أن يقول الرب له: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً في القليل (الذي هو حياتك الشخصية والعائلية، مع شريك الحياة والأبناء) فأقيمك على الكثير (إلى عمل أكبر وأفضل في الخدمة في وســـط المجتمع)» (مت ٢٥: ٢٣). ولنســـلك أمام الرب بكمال وأمانة، لأننا ملح الأرض ونور العالم، فيضيء نورُنا أمام الناس ويمجدوا أبانا الذي في السماوات (مت ٥: ١٣-١٦).

المزمور المئة والثاني

صلاةٌ لمسكينٍ إذا أعيا وسكب شكواهُ قدامَ الله

١ يا ربُّ، استمعْ صلاتي، وليدخُلْ إليك صُراخي. ٢ لا تحجُب وجهَك عني في يومِ ضيقي.
أمِل إليَّ أذنَك في يوم أدعوك. استجبْ لي سريعاً، ٣ لأنَّ أيامي قد فنيَتْ في دُخانٍ، وعظامي
مثلُ وقيدٍ قد يبسَتْ. ٤ ملفوحٌ كالعشبِ ويابسٌ قلبي حتى سهَوْتُ عن أكلِ خُبزي. ٥ مِن صوتِ
تنهُّدي لصِق عظمي بلحمي. ٦ أشبهتُ قوقَ البريَّةِ. صِرْتُ مثلَ بومةِ الخِرَب. ٧سَهِدْتُ وصرتُ
كعصفورٍ منفردٍ على السَّطح. ٨ اليوم كلَّه عيَّرني أعدائي. الحَنِقون عليَّ حلفوا عليَّ. ٩ إني قد
أكلتُ الرماد مثلَ الخبز، ومزجتُ شرابي بدموعٍ ١٠ بسببِ غضبك وسَخَطِك، لأنك حملتني
وطرحتني. ١١ أيامي كظلٍّ مائلٍ، وأنا مثلُ العشبِ يبسْتُ.

١٢ أما أنت يا ربُّ فإلى الدهرِ جالسٌ، وذِكْرُك إلى دور فدور. ١٣ أنت تقومُ وترحمُ صهيونَ
لأنه وقتُ الرأفةِ، لأنه جاء الميعادُ. ١٤ لأن عبيدَك قد سُرّوا بحجارتِها وحَنُّوا إلى ترابِها.
١٥ فتخشى الأممُ اسمَ الربِّ وكلُّ ملوكِ الأرض مجدَك. ١٦ إذا بنى الربُّ صهيونَ يُرى بمجدِه.
١٧ التفتَ إلى صلاةِ المُضطرِّ، ولم يَرْذُلْ دُعاءَهم. ١٨ يُكتَبُ هذا للدَّور الآخِر، وشعبٌ سوف
يُخلَقُ يسبِّحُ الربَّ، ١٩ لأنه أشرف من علُوِّ قُدسِه. الربُّ من السماءِ إلى الأرضِ نظر ٢٠ ليسمعَ
أنينَ الأسيرِ، ليطلقَ بني الموت، ٢١ لكي يُحدَّثَ في صهيونَ باسمِ الربِّ وبتسبيحِه في أورشليمَ
٢٢ عند اجتماعِ الشعوبِ معاً والممالكِ لعبادةِ الربِّ.

٢٣ ضعَّفَ في الطريقِ قوَّتي. قصَّر أيامي. ٢٤ أقول: «يا إلهي، لا تقبِضْني في نصفِ أيامي.
إلى دهرِ الدهورِ سِنوك. ٢٥ مِن قِدَمٍ أسَّستَ الأرضَ، والسماواتُ هي عملُ يديك. ٢٦ هي تبيدُ
وأنت تبقى، وكلُّها كثوبٍ تبلى. كرداءٍ تُغيِّرهنَّ فتتغيَّر. ٢٧ وأنت هو وسِنوك لن تنتهي. ٢٨ أبناءُ
عبيدِك يسكنون، وذُرِّيتُهم تُثبَّتُ أمامَك » .

صلاة لمسكين إذا أعيا

هذا المزمور خامس مزامير التوبة السبعة، وهي ٦، ٣٢، ٣٨، ٥١، ١٠٢، ١٣٠، ١٤٣. وقد طلب القديس أغسطينوس في مرضه الأخير أن يكتبوا له هذه المزامير ويعلّقوها على الحائط في مواجهة فراشه ليراها ويقرأها ويتعزى بها. وكم نحتاج إلى وقفة تأمل مع الله نراجع فيها حياتنا، ونطلب: «اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري. . وانظر إن كان فيَّ طريق باطل، واهدني طريقاً أبدياً» (مز ١٣٩: ٢٣، ٢٤). وتوزيع مزامير التوبة السبعة بين المزامير يعلّمنا أن صلواتنا يجب أن تحتوي على الشكر والتسبيح، وطلب الإنقاذ والنجاة، وطلب الانتصار على الخطايا

والضعفات، كما تحتوي على الاعتراف والتوبة. وهذا يستطلب عيوناً مفتوحة وآذاناً صاغية لصوت الله، لتكون حياتنا مَرْضِيّة أمامه.. وفي تلاوة مزامير التوبة ندرك أن الله لا يريد أن يسجل أخطاءنا ليعاقبنا عليها، بل أن نعترف بها ونتوب عنها فيغفرها. إنه أب محب قبل كل شيء، يفتح أحضانه دائماً للخاطئ التائب، وهو يقبلنا كما نحن في ضعفنا ليقوينا، وفي خطايانا ليطهرنا، ويقول: «هلمّ نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (إش ١: ١٨).

يصف لنا هذا المزمور مشاعر مريض راقد على فراشه، حزين بسبب إحساسه بخطئه الذي جلب عليه المرض، وهو يصرخ: «من صوت تنهُّدي لصق عظمي بلحمي» (آية ٥). كما أنه حزين على حال شعبه وكنيسة زمنه. فالمزمور صلاة مسكين أعيا وسكب شكواه أمام الله، لأن كأسه امتلأت بآلامه بسبب خطاياه وخطايا إخوته، وإذا تألم الجسد يتأثر العضو، وإذا تعب العضو يتأثر الجسد كله، كما قال الرسول بولس: «من يضعف وأنا لا أضعف؟ من يعثر وأنا لا ألتهب؟» (٢كو ١١: ٢٩).. إلا أن المرنم يذكر مراحم الرب الكثيرة فيتعزى ويقول: «أنت تقوم وترحم صهيون لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد» (آية ١٣). ويطلب من الرب أن يتدخل ليعيد بناء الكنيسة فيعود المجد لله لأنه «إذا بنى الرب صهيون يُرى بمجده» (آية ١٦).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - شكوى المرنم (آيات ١-١١)

ثانياً - أمل المرنم (آيات ١٢-٢٢)

ثالثاً - مفارقتان معزيتان (آيات ٢٣-٢٨)

أولاً - شكوى المرنم
(آيات ١-١١)

١ - شكوى صارخة: «يا رب استمع صلاتي وليدخل إليك صراخي. لا تحجب وجهك عني في يوم ضيقي. أمل إليّ أذنك في يوم أدعوك. استجب لي سريعاً» (آيتا ١، ٢). يصرخ المسكين الذي أعيا ساكباً شكواه للمنقذ القادر أن يعين المجرَّبين، الذي يتعطف ويترأف على البائسين، ويقوّم المنحنين ويجبر منكسري القلوب ويعزي النائحين. إنه يطلب سماع صلاته من الرب القائل: «قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥: ٢٤). وهو خائف من أن يحجب الرب نور وجهه البهي عنه في وقت ضيقه فتظلم الدنيا في وجهه، ويخشى أن يهمل الرب طلبته، أو يؤجل استجابتها، أو يمل من شكواه، فيطلب أن يدخل صراخه محضر الله، فيميل أذنه إليه ويسرع بنجدته

كما تنحني الأم لتمسح دموع طفلها الباكي. وإن كان البشر يسمعون صراخ أولادهم «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليهم؟.. إنه ينصفهم سريعاً» (لو ١٨: ٧). وحتى إن لم يمنح المؤمن ما طلبه فإنه يمنحه نعمة وقوة تساعدانه على النصرة، ويقول له: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكمل» (٢كو ١٢: ٩).

٢ - **أسباب الشكوى**: (آيات ٣-١١).

(أ) **مرض شديد**: «لأن أيامي قد فنيت في دخان، وعظامي مثل وقيدٍ قد يبست. ملفوحٌ كالعشب ويابسٌ قلبي حتى سهوْتُ عن أكل خبزي. من صوت تنهُّدي لصق عظمي بلحمي» (آيات ٣-٥). يشكو المرنم من أنه قضى أياماً يحترق فيها مثل وقيد يابس من الأسى والحزن على خطاياه وخطايا شعبه، فأخذت حياته تتسرب سريعاً وبلا فائدة كالدخان، ويبست عظامه كأعواد الحطب الجافة، وصار قلبه، مصدر حياته ونشاطه، كالعشب الملفوح الذي يبَّسته الشمس القاسية، فلم يعد يرى فرحاً حتى زهد الطعام. وكثرت تأوهاته بسبب أورامه التي يصفها بأن عظمه لصق بلحمه، كما قال أيوب: «عظمي قد لصق بجلدي ولحمي، ونجوت بجلد أسناني» (أي ١٩: ٢٠). ولعله كان يذكر القول: «بتأديبات إن أدبت الإنسان من أجل إثمه أفنيت مثل العُث مشتهاه. إنما كل إنسان نفخة» (مز ٣٩: ١١).

(ب) **وحدة قاتلة**: «أشبهتُ قوق البرية. صرتُ مثل بومة الخرب. سهدْتُ وصرت كعصفور منفرد على السطح» (آيتا ٦، ٧). شبَّه المرنم نفسه بالطيور التي تعيش بعيداً عن الناس في أماكن قاحلة وأطلال خربة، فأصبحت نذير شؤم، كما شبَّه نفسه بعصفور وحيد يغني بصوت حزين على أحد السطوح، في حرارة الشمس أو هطول المطر، وقد عجزت جناحاه عن الطيران وصدئت حنجرته من مرارة النفس.

(ج) **تعييرات الأعداء**: «اليوم كله عيَّرني أعدائي. الحنِقون عليَّ حلفوا عليَّ. إني قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجتُ شرابي بدموعٍ بسبب غضبك وسخطك، لأنك حملتني وطرحتني. أيامي كظل مائل، وأنا مثل العشب يبستُ» (آيات ٨-١١). في مرضه ووحدته شمت به أعداؤه، وعيَّروه بأن إلهه تركه، وفي حقدهم عليه وكراهيتهم له أقسموا أن يكونوا ضده ليزيدوا عذابه ويعجلوا بفنائه، فانكسرت نفسه داخله، ومضغ الرماد (رمز الحزن) وابتلعه، وامتزجت دموع الألم بشرابه، فكان لا يشبع ولا يرتوي. وعلم أن هذا كله يرجع إلى غضب الرب عليه بسبب خطاياه، فقد حمله وطرحه كزوبعة شديدة أو إعصار مدمر، كما قال إشعياء: «ذبلنا كورقة، وآثامنا كريح تحملنا» (إش ٦٤: ٦)، وأمست أيامه كظل مائل لشمس غاربة وكعشب يابس لا جمال له ولا نفع، وكأنه يقول مع إرميا: «ويلٌ لنا لأن النهار مال، لأن ظلال المساء امتدَّت» (إر ٦: ٤).

ثانياً -أمل المرنم
(آيات ١٢-٢٢)

١ – **أملـه في الرب:** «أما أنت يا رب فإلى الدهر جالس وذكرك إلى دورٍ فدور. أنت تقوم وترحم صهيـــون، لأنه وقت الرأفة، لأنه جاء الميعاد. لأن عبيدك قد سـُرّوا بحجارتها وحنّوا إلى ترابها» (آيات ١٢-١٤). الأغلب أن المرنم كتب هذه الآيات أثناء الســبي. فبعد أن رفع شكواه إلى الله رفع وجــهه إلى فوق من أجل نفسه ومن أجل شعبه، فرأى الله الأزلي الأبدي صاحب السلطان، الذي قال لموســى: «هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم، وإله إسحاق، وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد، وهذا ذكري إلى دور فدور» (خر ٣: ١٥). والذي قال عنه إرميا: «أنت يا رب إلى الأبد تجلس. كرســيّك إلى دور فدور» (مرا ٥: ١٩). فلا بد أن يرحم صهيون حســب وعوده الصادقة، كما قال إشعيـــاء: «طيّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد عُفي عنه، أنها قد قبلت من يـــد الرب ضعفين عن كل خطاياها» (إش ٤٠: ٢)، لأن وقت الرأفة قد جاء، كما قيــل لحبقوق: «لأن الرؤيـــا بعد إلى الميــعاد، وفي النهايـــة تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها، لأنها تأتي إتياناً ولا تتأخر» (حب ٢: ٣). ويؤكد المرنم أن الله لا بد يشعر بمشاعر شعبه الذين يحبون أحجار مدينة الرب التي أسقطها نبوخذنصر إلى الأرض، والذين يحنّون إلى ترابها. لقد قال ســنبلّط ســاخراً: «هل يُحيُون الحجارة من كُوَم التراب وهي مُحرقة؟» (نح ٤: ٢). فقام الرب لــيرحم، وأبطل سخرية سبنلّط ومن يشابهونه. «لأنه يقول: في وقت مقبول سمعتك وفي يوم خلاص أعنتك. هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يــوم خلاص» (٢كو ٦: ٢). «ومفديـــو الرب يرجعون ويــأتون إلى صهيــون بالترنم، وعلى رؤوســهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهد.. سريعاً يُطلَق المنحني ولا يموت في الجب ولا يُعدَم خبزُه» (إش ٥١: ١١، ١٤).

٢ – **أمله في جيل آت سيدرك:** (آيات ١٥-١٨).

عندما رفع المرنم عينيه إلى الســماء فرح وامتلأت نفســـه بالأمل في مجيء جيل جديد يعرف الرب:

(أ) **يعرف مهابة الرب:** «فتخشى الأمم اسم الرب، وكل ملوك الأرض يخشون مجده» (آية ١٥). عندما يـــعيد الرب شعبه من الســبي إلى أورشليم يدرك الملوك وشعوبهم مجد الإله القادر على كل شيء «فيخافون من المغرب اســـم الرب، ومن مشرق الشمس مجده. عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه.. فتســيــر الأمم في نورك، والملوك في ضيــــاء إشراقك» (إش ٥٩: ١٩ و٦٠: ٣).

وهكذا يـــدرك جيل ما بعد نبوخذنصر أن الرب مجيد ومهوب، فتجثو له كل ركبة ممن في الســماء ومن على الأرض، وتنتقل العبادة من صهيـــون الأرضية المحدودة إلى كل الأرض. وهذا ما حدث يوم الخمسين عندما حلَّ الروح القدس على العابدين المعيِّدين بالفصح من كل قبيلة وشعب وأمة تحت الســماء (أع ٢) فعادوا ليـبشروا بلادهم «ويكون كل من يدعو باســم الرب يخلص» (أع ٢: ٢١). «كان في أنطاكية في الكنيســة هناك أنبياء ومعلمون برنابا (القبرصي الذي أعطى حقله للكنيســـة) وسـمعان الذي يدعى نيجر (الزنجي)، ولوكيوس القيرواني، ومناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع (الأرستقراطي) وشاول (المتفقِّه في اللاهوت اليهودي)» (أع ١٣: ١).

(ب) **يـعرف مجد الرب:** «إذا بنى الرب صهيـون يـُرى بمجده» (آيــة ١٦). يظهر مجد الرب واضـحاً في كنيسته التي بناها واقتناها بدمه، ليس من حجارة منحوتة، بل من حجارة حية هي هياكل مقدســة يحل فيها بروحه، وتتم النبوَّة القائلة: «وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً.. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود» (حج ٢: ٧، ٩).

(ج) **يـعرف استجابـة الـرب:** «التفتَ إلى صلاة المضطر ولم يـرذل دعاءهم» (آية ١٧). تظهر استجابة الرب لصلاة شعبه المسبي أنه سامع الصلاة الذي يأتي إليه كل بشر (مز ٦٥: ٢)، ويتبرهن أنـه الإله الحقيقي وحده، الذي يستجيب صلاة المسكين المتعب الذي سكب شكواه أمام الله فلم يصرفه فـارغاً، وهو الذي يشجع شعبه قائلاً: «وأما أنت فمتى صلَّيت فادخُل إلى مخدعك وأغلِق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (مت ٦: ٦).

(د) **يـعرف كتابة الرب:** «يُكتَب هذا للدور الآخِر، وشعبٌ سوف يُخلَق يسبح الرب» (آية ١٨). يـســجل الوحي ويســجل التاريخ عمل الله العظيم، فيدرس الجيل القادم عظمة صنع الله مع الجيل الماضي، فيـعرفون: «الإله القديـم ملجأ، والأذرع الأبديــة من تحت» (تث ٣٣: ٢٧). ويهتفون: «بمراحم الـرب أغني إلــى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي.. أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيــه وعدله على بني البنين، لحافظي عهده وذاكري وصاياه ليعملوها» (مز ٨٩: ١ و١٠٣: ١٧، ١٨).

٣ - **أمله في الإنقاذ الإلهي:** (آيات ١٩-٢٢).

(أ) **الرب يـرى ويسمع:** «لأنه أشرف من عُلو قدسه. الرب من السماء إلى الأرض نظر، ليسمع أنيــن الأسـير، ليطلق بني الموت» (آيتا ١٩، ٢٠). «الغارس الأذن ألا يســمع؟ الصانع العين ألا يـبصر؟ الـمؤدب الأمم ألا يـبكِّت؟» (مز ٩٤: ٩، ١٠). عندما رفع المرنم صلاته نظر الرب من ســمائه ليـســتجيب الدعاء. عندما كان يشكو لم يكن الرب قد قام ليرحمه وليرحم شعبه (آية ١٣).

أما الآن فإن ميعاد الرأفة قد جاء، فأشرف الرب من علاه ونظر إلى الأرض استجابة للدعاء: «تطلّع من السـماوات وانظر من مسكن قدسك ومجدك.. فإنك أنت أبونا.. أنت يا رب أبونا، ولّيُنا منذ الأبد اسـمك» (إش ٦٣: ١٥، ١٦). ولا بد أن يسمع الله أنين الأسير الذي أضناه ليل السجن الطويل، كما فـعل مع بطرس فمنحه نوماً هادئاً وعاد فأيقظه لينقذه ويطلقه حراً (أع ١٢)، وكما فتح أبواب السجن لبولس وسـيلا وأخرجهما منه (أع ١٦). وهو يرى آلام الخاطئ الذي قيدته الخطايا والشرور، وهو يصرخ تائباً، فيطلقه من أسر الشيطان، فيقول: «الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف ٢: ٤، ٥).

(ج) الرب يعلن: «لكي يُحدَّث في صهيون باسم الرب وبتسبيحه في أورشليم عند اجتماع الشعوب والممالك لعبادة الرب» (آيـتا ٢١، ٢٢). يـميل الخطاة أن يقولوا: «الرب لا يبصر وإله يعقوب لا يلاحظ» (مز ٩٤: ٧)، ولكن الرب لم يترك نفسـه بلا شاهد، فإن شفاء المسكين الذي أعياء ورجوع الشعب المسبي إلى بلاده يجعل الجميع يدركون أن الرب هو الله، ويتوبون إليه ويؤمنون به ويسيرون في طريـقه. «عينا الرب نحو الصديقين وأذناه نحو صراخهم» (مز ٣٤: ١٥)، وكل مؤمن أنقذه الله يـهتف: «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً.. وتقولون في ذلك اليوم: احمدوا الرب. ادعوا باسمه. عرّفوا بين الشعوب بأفعاله. اذكروا بأن اسمه قد تعالى. رنموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً. ليكن هذا معروفاً في كل الأرض» (إش ١٢: ٢-٥).

ثالثاً - مفارقتان معزّيتان
(آيات ٢٣-٢٨)

بعد الشكوى جاء الأمل لأن المسـكيـن الذي أعيا هو وشعبه ثبّت نظره على الله. وفي ختام هذا المزمور امتلأت نفس المرنم بالتعزيـة لأنه رأى قِصر أيامه في نور أزلية الله وأبديته، ثم وهو يرى العالم المتغيّر من حوله في نور الثبات الإلهي.

١ - **مفارقة بين الإنسان والله:** «ضعَّف في الطريق قوتي، قصّر أيامي. أقول: يا إلهي لا تقبضني فـي نصف أيامي، إلى دهر الدهور سنوك» (آيتا ٢٣، ٢٤). بسبب المرض رأى المسكين الذي أعيا جسـده يشيخ قبل الأوان، ولكنه نقل نظره من ضعفه وقِصر أيامه ليتأمل الله صاحب السنين التي لا بدايـة لها ولا نهاية، فأدرك أن الرب خلق الإنسـان ضعيفاً ليكون فضل القوة لله، وليذكر المخلوق خـالقه فينال رحمة ويجد نعمة عوناً في حينه. «الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسـم، ويبرح كالظل ولا يقف» (أي ١٤: ١، ٢). ولكن الله الأبدي يمنح الإنسان البائد

حياة أبدية «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٤-١٦). وما أجمل أن يدعو الإنسان الرب «يا إلهي» لأن هذه العلاقة الشخصية هي التي تمنح الإنسان قداسة وحياة أبدية.

٢ - **مقارنة بين الله والطبيعة**: «من قِدمٍ أسست الأرض، والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى، وكلها كثوب تبلى. كرداء تغيِّرهن فتتغير. وأنت هو، وسنوك لن تنتهي. أبناء عبيدك يسكنون، وذريتهم تثبت أمامك» (آيات ٢٥-٢٨). عندما قارن المسكين الذي أعيا عمره بعمر السماوات والأرض وجد أن حياته قصيرة وفانية. ولما رفع نظره إلى أعلى وقارن بين الله والطبيعة التي خلقها، وجد لأن للطبيعة بداية كما أن لها نهاية، وهي مؤقتة. أما الله فهو الأزلي الذي كان قبل العالم وقد خلقه، وسيبقى بعد أن تزول هيئة هذا العالم عندما «تزول السموات بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها» (٢بط ٣: ١٠). والطبيعة تتغير طاعةً لأوامر الرب الذي يحرك الرياح وينزل الأمطار فتمتلئ البحار، ويزلزل الأرض ويفجر البراكين ويغير وجه الأرض، أما هو فيبقى أمساً واليوم وإلى الأبد (عب ١٣: ٨). وقد اقتبس الرسول بولس هذه الآيات وهو يتحدث عن المسيح كلمة الله الأزلي (عب ١: ١٠-١٢).

ورغم قصر أيام المسكين الذي أعيا يقول للرب: «أبناء عبيدك يسكنون وذريتهم تثبت أمامك» لأن الرب يسكنهم في طمأنينة ويثبتهم، فينمون ويتأصلون كشجرة مغروسة على مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل. وما أجمل صورة المؤمنين المستقبلية التي رآها النبي دانيال: «وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدامه، فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض.. أما قديسو العلي فيأخذون المملكة، ويمتلكون المملكة إلى الأبد، وإلى أبد الآبدين» (دا ٧: ١٣، ١٤، ١٨).

المزمور المئة والثالث

لـــداود

١ باركي يا نفسي الربَّ، وكلُّ ما في باطني ليباركِ اسمَه القدوسَ. ٢ باركي يـا نفسـي الربَّ،
ولا تنسَيْ كلَّ حسناتِه. ٣ الذي يغفرُ جميعَ ذنوبك، الذي يشفي كلَّ أمراضِك، ٤الذي يفدي من
الحفرةِ حياتَكِ، الـذي يـكلِّلُكِ بالرَّحمةِ والرأفةِ، ٥ الذي يُشبِعُ بالخيرِ عمرَكِ فيتجدَّدُ مثلَ النسرِ
شبابُكِ.

٦ الرب مُجري العدلَ والقضاءَ لجميعِ المظلـومين. ٧ عرَّف موسـى طُرقَه وبـني إسرائيلَ
أفعالَـه. ٨ الربُّ رحيمٌ ورؤوفٌ، طويـلُ الروحِ وكثيرُ الرحمةِ. ٩ لا يحـاكمُ إلى الأبدِ، ولا يحقدُ إلى
الدهرِ. ١٠ لم يصنعْ معَنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. ١١ لأنه مثلُ ارتفاعِ السـماواتِ
فوقَ الأرضِ قويَتْ رحمتُه على خائفيه. ١٢ كبُعْد المشرقِ من المغربِ أبعد عنا معاصينا. ١٣ كما
يـترأفُ الأبُ علـى البنينَ يترأفُ الربُّ على خائفيه. ١٤ لأنه يعرفُ جِبْلَتَنا. يـذكرُ أننا ترابٌ نحن.
١٥ الإنسان مثلُ العشبِ أيامُه. كزهرِ الحقلِ كذلك يُزهِرُ. ١٦ لأن ريحاً تعبرُ عليه فلا يـكون، ولا
يـعرفُه موضعُه بعدُ. ١٧ أما رحمةُ الربِّ فإلى الـدهرِ والأبدِ علـى خائفيـه، وعدلُه علـى بني الـبنين
١٨لحافظي عهدِه وذاكري وصاياهُ ليعملوها.

١٩ الـربُّ في السماواتِ ثبَّتَ كرسيَّه، ومملكتُه على الكلِّ تسود. ٢٠ باركوا الربَّ يـا ملائكتَه
المقتدرين قوةً، الفاعلين أمرَه عند سمـاعِ صوتِ كلامِه. ٢١ باركوا الربَّ يا جميعَ جنودِه، خدَّامَه
العاملين مرضاتَه. ٢٢ باركوا الربَّ يا جميعَ أعمالِه. في كلِّ مواضعِ سلطانِه باركي يا نفسي الربَّ.

باركي يا نفسي الرب

هذا مزمور فرح وشكر وتســبيح، يبدأ وينتهي بالقول: «باركي يا نفسي الرب». فالرب هو ملجأ المؤمن في كل وقت. عندما يــتعب يـشكو له، فيـــفتح يد محبته ويُشبع الشاكي خيراً، وهو القائل: «اسألوا تُعطَوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (مت ٧: ٧). وعندما يفرح المؤمن يتّجه إليه شاكراً مُمتنّاً، لأنه يختبر ســــخاء العطاء الإلهي، ويحسُّ بعظيم مديونيته، فيحثّ نفسه على أن تشكر، قائلاً: «باركي يا نفســـي الرب». وإن كان من الطبيعي أن نصرخ في ضيقنا، فمن الواجب أن نشكر عندما نــتبارك. وكما أننا نتوقّع الاستجابة من الرب الكريم، يتوقّع الرب منا أن نشكره عندما يعطينا، فعندما شفى المســيح عشرة رجالٍ مرضى بالبرص لم يرجع إليه ليشكره إلا واحدٌ منهم، فتســـاءل: «أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟» (لو ١٧: ١٧).

من مطلع هذا المزمور ومن ختامه نتعلّم ضرورة الشكر لله، فنبدأ حياتنا الروحية ونختمها بالشكر. فعندما نبدأ حياتنا الروحية الصحيحة بالتوبة والاعتراف، متكلين على كفارة المسيح الغافرة، يدخل المسيح قلوبنا، فنبدأ عمرنا الروحي الجديد بالشكر قائلين: «كنتُ أعمى والآن أبصر» (يو ٩: ٢٥). وعندما تقترب حياتنا على الأرض من نهايتها نباركه ونشكره، لأنه بدأ فينا عملاً صالحاً وعد أن يكمله (في ١: ٦)، وصرنا على وشك إكمال خلاصنا (رو ١٣: ١١)، بأن نسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام (مز ٢٣: ٦).. ولنبدأ كل يومٍ بدعاء: «باركي يا نفسي الرب»، ولنختمه بدعاء: «باركي يا نفسي الرب».. وعندما تعترضنا مشكلة، لنبدأ حلّها بالشكر لله حلال المشاكل، وعندما تنتهي بفضلٍ منه نشكره لأنه سمع واستجاب.

يبدأ المرنم مزموره بأن يطالب نفسه لتشكر الله على فضله عليه هو شخصياً وقد منحه خمس بركات، ثم ينتقل إلى حثّ الملائكة وجنود الرب وخدّامه وجميع أعماله لتشترك معه في شكر إله الرحمة والعدل والإعلان وحفظ العهد، الذي تسود مملكته على الجميع.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يشكر (آيتا ١، ٢)

ثانياً – خمس بركات من الله (آيات ٣-٥)

ثالثاً – رحمة الله (آيات ٦-١٢)

رابعاً – الحاجة إلى الله (آيات ١٣-١٨)

خامساً – الكل يشكرون (آيات ١٩-٢٢)

أولاً - المرنم يشكر
(آيتا ١، ٢)

في غمرة إحساس المرنم بفضل الله قال: «باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (آيتا ١، ٢). لقد بارك الله المرنم من فضله، فطالب المرنم نفسه بأن تبارك الله بكل العقل والعاطفة والإرادة، بالفكر وباللسان، في كل الظروف، لأنه شعر بعظمة ديونه للخالق الكريم. قال الرسول بولس: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف ١: ٣). وقال الرسول بطرس: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانيةً لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراثٍ لا يفنى ولا يتدنّس ولا يضمحل، محفوظٌ في السماوات لأجلكم» (١بط ١: ٣، ٤).

فهو يباركنا بعطاياه الغنية من روحية وجسـدية، ونحن نباركه بأن نرفعه، ونسبِّحه، ونقدِّس اسمه، ونشكره، ونعترف بفضله ونحكي عنه، ونقول له: «لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك» (١أي ٢٩: ١٤).

١ - **يباركه ويشكره لأنه الرب:** هو سـيد الكون وسـيد الحياة، وصاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، وله حيـوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف (مز ٥٠: ١٠). وكما يـشعر الابن بفضل أبيه لأنه «رب البيت» فيعبِّر له عن امتنانه، يعبِّر داود عن شكره لله لأنه رآه «الرب السيد».

٢ - **يباركه ويشكره لأنه القدوس:** تهتف له الملائكة: «قدوس. قدوس. قدوسٌ رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). ورأى الرائي الخليـقة تهتف له: «قدوس. قدوس. قدوس الرب الإله القادر على كل شيء، الذي كان، والكائن، والذي يـأتي» (رؤ ٤: ٨). كل أعماله نقية، وكل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليـس عنده تغيـير ولا ظل دوران (يع ١: ١٧). وهو النور الذي ليس فيه ظلمة البتة (١يو ١: ٥).

٣ - **يباركه ويشكره لأنه المحسن:** وإحسـانه إنعامٌ لا فضل للبشر فيه، فهو يُحسـن لأنه بطبيعته المنعِم الوهاب «الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيِّر» (يع ١: ٥). وبسبب سخائه في الإحسان نقول: «الـرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» لا في الماضي، ولا في الحاضر، ولا في المستقبل. «أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك. أغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ» (مز ١٣: ٥، ٦).

يُـجرَّب البشر بأن ينسوا تقديم الشكر لله، مع أنهم لم ينسوا أن يطلبوا احتياجاتهم منه! لذلك يقول: «احترز لئلا تنسـى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية.. احترز من أن تنسـى الرب إلهك» (تث ٦: ٢ و٨: ١١). وعندما نطيع هذا الأمر نقول: «إحسـانات الرب أذكر، تسابيح الرب، حسب كل ما كافأنا به الرب، والخير العظيم.. حسب مراحمه، وحسب كثرة إحساناته» (إش ٦٣: ٧).

ثانياً - خمس بركات من الله
(آيات ٣-٥)

يـذكر المرنم خمس بركات يهبها الله للمؤمن، هي: غفران جميع الذنوب، وشفاء كل الأمراض، وفداء الحياة من الحفرة، وتكليل النفس بالرحمة والرأفة، وإشباع العمر بالخير.

١ - **بركة الغفران:** «الذي يغفر جميع ذنوبك» (آية ٣أ). تبدأ البركات الخمس بشكر الله الذي يغفر جميـع ذنوب الخاطئ التائب. وبالغفران يـبدأ رضى الله عليـه، ويبدأ عمله الصالح فيه. ولا يمكن للإنسان أن يتمتع بسائر عطايا الله إلا بعد أن يتأكد أن الله قد قبله ومنحه الغفران.

(أ) معنى الغفران: كلمة الغفران غنية بالمعاني، وإليك بعض معانيها:

(١) إخلاء السبيل: لما علم يوسف النجار خطيب العذراء مريم أنها حبلى «أراد تخليتها سراً» (مت ١: ١٩) بمعنى أن يخلي سبيلها. مع الفارق بين موقف يوسف وخطيبته المطوَّبة القديسة مريم وبين موقفنا نحن كخطاة أمام الله، فنحن مذنبون وذنبنا ظاهر وثابت. ومع هذا فإن الله يقول للخاطئ التائب: أنا أُخلي سبيلك، وأغفر لك ولا أطالب بعقابك على ما ارتكبت، ولن أذيع معصيتك. وهذا ما فعله المسيح مع المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل، فقد سامحها، وقال لها: «اذهبي ولا تخطئي أيضاً» (يو ٨: ١١) ولم يسجل الإنجيل اسمها، لأن الله أخلى سبيلها وسترها. كما لم يسجل الإنجيل لنا اسم السامرية الخاطئة التي تابت (يو ٤)، وغيرهما كثيرات وكثيرون.

(٢) العتق والإطلاق: أعلن المسيح أن رسالته هي رسالة العتق والتحرير، وهو ما تنبأ عنه النبي إشعياء، فقال: «أنادي للمأسورين بالعتق» (إش ٦١: ١ ولو ٤: ١٨). وعندما سامح الملك العبد المديون العاجز عن السداد «أطلقه وترك له الدَّيْن» (مت ١٨: ٢٧)، وهو نفس معنى أن بيلاطس الوالي كان «في العيد معتاداً أن يطلق للجمع أسيراً واحداً» (مت ٢٧: ١٥) فأطلق لهم باراباس. لم يكن باراباس بريئاً، لكنه أُطلق حراً في العيد. وهذا هو الغفران، فالرب يعتق الخاطئ المقيَّد بخطاياه، ويطلقه حراً. وقد قال المسيح: «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦).

(٣) السماح: ضرب المسيح مثلاً أنه كان لمداين مديونان «وإذ لم يكن لهما ما يوفيان سامحهما جميعاً» (لو ٧: ٤٢)، بمعنى أنه غفر لهما.

(٤) الستر: يبدأ مزمور ٣٢ بالقول: «طوبى للذي غُفر إثمه وسُترت خطيته. طوبى لمن لا يحسب له الرب خطية، ولا في روحه غش»، وقال صاحب مزمور ٨٥: «غفرت إثم شعبك، سترت كل خطيتهم» (آية ٢). وعندما يستر الله الذنب لا يعود يراه لأنه غطاه وستره. حاول أبوانا الأولان أن يسترا نفسيهما بأوراق الشجر، ولكنه لم ينفع، فمنحهما الله الستر الحقيقي بالأقمصة الجلدية، من ذبيحة. هذا لباس البر، هذا من عند الله. فكم نشكر الله لأنه ستر وغطى وأخلى سبيل النفس الملوَّثة بالخطية، وأطلقها حُرَّة.

(٥) المحو: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ. استر وجهك عن خطاياي وامْحُ كل آثامي» (مز ٥١: ١، ٩)، يعني لا تجعلها مسجَّلة في سِفْرك، بل امحُها نهائياً.

(٦) الإبعاد: «كبُعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا» (مز ١٠٣: ١٢) لن يلتقي الشرق والغرب، وكذلك لن تُرى معاصي الخطاة التائبين ولن تُحسب عليهم، لأنها تُبعد كبُعد المشرق من المغرب.

(٧) الـطرح: «مَن هو إله مثلك، غافر الإثم وصافحٌ عن الذنب لبقيــة ميراثه؟ لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُـســرُّ بالرأفة. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا. وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧: ١٨، ١٩).

(٨) الــنقل: لما اعترف داود أمام النبي ناثان بخطيــته، قال له ناثان: «الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت» (٢صم ١٢: ١٣). وقال الرســول بولس عن المســيح: «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته» (كو ٢: ١٣).

(ب) أساس الغفران: هناك أساسان لحصول الخاطئ على الغفران:

(١) الأســـاس الأول هو نعمة الله: عندما كتب داود مزمور ١٠٣ بوحي الروح القدس، كان يفكر في حمل الفصح الذي وضع العبرانيــون دمه ليــلة خروجهم من مصر على العتبة العليــا لأبوابهم وعــلى قائمتيها، فرأى الملاك المُهلك الدم وعبر عنهم (خر ١٢: ١٣-٢٣)، كما كان يفكر في الحية النحاســـية التي رفعها موسى في صحراء سيناء، وكلُّ من نظر إليها من بني إسرائيل الذين لدغتهم الحيات السامة كان يُشفى من السم القاتل (عد ٢١).

وكان حمل الفصح والحية النحاسية رمزين للخلاص الآتي بالمسيح، فعندما رأى يوحنا المعمدان المســيحَ قال: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩، ٣٦). وقال الرســـول بولس: «لأن فصحنا أيضاً المســيح، قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٧: ٥). وقال المســـيح لنيقوديموس: «كما رفع مـــوسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفَع ابنُ الإنسان، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٤، ١٥).

غفران الخطيـــة إذاً هو إنعام من الله وحده «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحدٌ» (أف ٢: ٨، ٩).

(٢) الأســاس الـثاني هو الـتوبـة: صلّى جابي الضرائب: «اللهمَّ، ارحمني أنا الخاطي» فنزل إلى بيـــته مبرَّراً، وقد غفر الله له خطاياه (لو ١٨: ١٣). وقال اللص التائب للصِّ الآخَر على الصليب: «نحن (مصلوبان) لأننا ننال اســتحقاق ما فعلنا» ثم قال للمســيـــح: «اذكُرني يا رب متى جئت في ملكوتك» فأجابه المسيح: «الحقَّ أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٠-٤٣).

وليس من الســـهل على الطبيعة الإنسانية أن تعترف بخطاياها وتتوب، لأننا نحب أن نلقي اللوم علـــى غيـــرنا. أما الاعتراف بأخطائنا فيــعني أننا اكتشفنا ذنوبنا ونقصاتنا، كما اكتشفنا عجزنا عن تخليص أنفسنا، فنلجأ إلى المخلِّص القادر أن يخلِّص إلى التمام (عب ٧: ٢٥).

وفي سبيل الحصول على الغفران يحاول بعض البشر أن يحفظوا الشرائع، ولكنهم سرعان ما يكتشفون أنها تظهر لهم خطاياهم، لأنها كالمسطرة التي تكشف النقص والعوج، لكنها تعجز عن تكميل النقص وإصلاح العوج. وكلما حاول الإنسان تطبيق الشرائع اتّضح له عجزه، فيصرخ: «ويحي أنا الإنسان الشقي! من ينقذني من جسد هذا الموت؟» (رو ٧: ٢٤).

ويحاول البعض الآخر أن يحصلوا على الغفران بالقيام بأعمال صالحة، وينسون أن الوقت المبذول في العمل الصالح هو من العُمر الممنوح لهم من الله، والمال الذي يقدمونه للمحتاجين هو عطية الله، والذكاء الذي يخدمون به هو من عند الله. إذاً فلا يمكن أن نحصل على الغفران إلا بإنعام من الله، بعد أن نصدّقه ونعتمد على نعمته الواضحة في الصليب، كما رأينا في دم الفصح على الباب، وفي الحية النحاسية على الراية، لأنه «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة (بعد أن تغيّر الاتجاه). الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧). فلنرجع إلى الله تائبين، واثقين في كفارة المسيح الذي قال: «من يُقبِل إليّ لا أُخرجه خارجاً» (يو ٦: ٣٧)، فنسرع إليه قائلين: «قلتَ اطلبوا وجهي، وجهك يا رب أطلب» (مز ٢٧: ٨).

(ج) **بركات الغفران**: بدأ المرنم البركات الخمس ببركة الغفران، لأنه أساس التمتّع بكل بركات الله، فلا يمكن أن يتمتع الإنسان ببركات الله من صحة وعائلة وعمل إلا إن كان في سلام مع الله، لأن الخطية تقيم حاجزاً بين الإنسان وربّه، يحجب عنه النور الإلهي، فتظلم حياته، مهما امتلك من صحة وغنى ومعرفة وأصدقاء. لا تستطيع الصحة أن تعطي نوراً للحياة، ولا يقدر المال مهما زاد أن يشرق على قلوبنا. والمعرفة تزيد الإنسان غماً لأنه كلما زاد الإنسان معرفة زاد إحساساً بجهله، و«لعمل كتب كثيرة لا نهاية، والدرس الكثير تعبٌ للجسد» (جا ١٢: ١٢). واحدٌ فقط يقدر أن يمتعنا بالحياة، هو الله، عندما يمنحنا غفرانه، وهو القائل: «أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق على قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو ٤: ٦). «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا، ويطهّرنا من كل إثم» (١يو ١: ١٩). «الذي لنا فيه الفداء، بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته» (أف ١: ٧).

وعندما ننال غفران الله نحصل على السلام مع الله ومع نفوسنا ومع الآخرين، ويُنعم علينا بالتبنّي، لأن كل الذين قبلوا خلاص المسيح «أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين وُلدوا.. من الله» (يو ١: ١٢، ١٣). عندها يقولون لبعضهم: «انظُروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله!» (١يو ٣: ١). ويقولون: «فإذ قد تبررنا بالإيمان (بما عمله المسيح من أجلنا) فلنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه

النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً في الضيقات، عالمين أن الضيق ينشئ صبراً، والصبرُ تزكيةً، والتزكيةُ رجاءً، والرجاء لا يُخزي، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا» (رو ٥: ١-٥). فما أجمل أن نقيم في نعمة الإيمان، والقرب من الله، والسلام، فنتبع مخلِّصنا في ثقة ومحبة وطاعة.

٢ - **بركة الشفاء**: «الذي يشفي كل أمراضك» (آية ٣ب). ملكنا السماوي هو الوحيد القادر أن «يغفر جميع ذنوبك»، و«يشفي كل أمراضك».. قد يصيب المرض إنساناً بسبب إحساسه بالذنب، فيشفي الرب روحه بالغفران، ثم يشفي جسده، كما قال المسيح للمفلوج: «يا بُنيَّ، مغفورة لك خطاياك» ثم قال له: «لك أقول: قم، واحمِل سريرك واذهب إلى بيتك» (مر ٢: ٥، ١١)، وكما قال لمريض بركة بيت حسدا، بعد أن شفاه: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشرُّ» (يو ٥: ١٤).

وقد يصيب المرض إنساناً بسبب انكسار نفسه وحزنه، كما قيل: «الغمُّ في قلب الرجل يُحنيه» (أم ١٢: ٢٥). ولكنه عندما ينشئ علاقة شخصية واضحة مع الله يلجأ إليه بدالة البنين مصلياً: «أبانا الذي في السموات» (مت ٦: ٩) ويطلب تعزية من حزنه، فيتحقق معه الوعد الإلهي: «كإنسانٍ تعزّيه أمه هكذا أعزّيكم أنا» (إش ٦٦: ١٣). وبهذه العلاقة الحلوة الشخصية مع الله يُشفَى المريض من مرضه الناتج من انكسار النفس، فيقول: «لماذا أنتِ منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجَّي الله، لأني بعدُ أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (مز ٤٢: ١١)، فيسمع: «لكم أيها المتَّقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها» (ملا ٤: ٢).

وهناك أمراض جسدية. وهذه يقدّم لها الرب علاجاً بالدواء، أو بالمعجزة، أو بالنعمة التي تمكّن المريض من احتمال آلام مرضه، ويتم الشفاء الكامل بانتقال المؤمن إلى المجد السماوي.

(أ) **الشفاء هو إعادة الشيء إلى أصله**: خلق الله الإنسان صالحاً صحيحاً، ولكن الخطية دمَّرت كل شيء، فالبر والمصالحة مع الله أصيلة أما الخطية فدخيلة، والصحة أصيلة أما المرض فدخيل، لذلك قال المرنم: «قبل أن أُذلَّل أنا ضللت» (مز ١١٩: ٦٧). وعندما نقول إن الله يشفي كل أمراضنا نتحدث عن الرب الخالق الذي يُعيد الشيء إلى طبيعته الأصلية. خلق الله الإنسان بعد أن خلق كل الأشياء، ورأى أن كل ما صنعه حسن، بل وحسنٌ جداً (تك ١: ٤، ٣١). ولكن «بإنسانٍ واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو ٥: ١٢).

(ب) **الرب هو الشافي**: عرَّف الرب بني إسرائيل بنفسه أنه «الرب شافيك»، وذلك بعد

خروجهم من مصر، فقد «ارتحل موسى بإسرائيل من «بحر سوف» وخرجوا إلى «برية شور»، فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء، فجاءوا إلى «مارة» ولم يقدروا أن يشربوا ماءها لأنه مُر، لذلك دعوها «مارة». فتذمر الشعب على موسى قائلين: ماذا نشرب؟ فصرخ إلى الرب، فأراه الرب شجرة، فطرحها في الماء، فصار الماء عذباً. «هناك وضع له فريضة وحُكماً، وهناك امتحنه، فقال: إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك، وتصنع الحق في عينيه، وتصغي إلى وصاياه، وتحفظ جميع فرائضه، فمرضاً ما مما وضعتُه على المصريين لا أضع عليك، فإني أنا الرب شافيك» (خر ١٥: ٢٢-٢٦).

واللقب «الرب شافيك» في اللغة العبرية هو «يهوه روفي». ولعل الكلمة العربية «رفا» أُخذت من كلمة «روفي». والرفا هو الذي يعيد نسيج القماش المهترئ إلى أصله. والرب هو الشافي الذي يعيد نسيج الجسم البشري المهترئ إلى أصله، فتلتئم جروحه، وتُجبر كسوره. قال مارتن لوثر: «الطبيب هو إسكافي الجسد البشري، لأنه يخيط أجزاءه الممزقة معاً». والرب هو الطبيب الشافي الأعظم، فقد قال المسيح: «أتيتُ لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠). والحياة الفضلى هي الحياة السليمة التي يلمسها الرب ببركته، فيغفر جميع الذنوب ويشفي كل الأمراض. له نصلي: «اشفني يا رب فأُشفى. خلِّصني فأُخلَّص، لأنك أنت تسبيحتي» (إر ١٧: ١٤).

(ج) كيف يشفينا الرب؟

(١) يشفي عن طريق الدواء: ويذكر الكتاب المقدس حالات شفاء جرى باستخدام أدوية، منها:

* شفاء الملك حزقيا: أُصيب حزقيا بقُرحة مميتة، فقال له النبي إشعياء: «هكذا يقول الرب: أوصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش». فوجَّه حزقيا وجهه إلى الحائط وصلى: «آه يا رب! اذكر كيف سِرتُ أمامك بالأمانة وبقلب سليم، وفعلتُ الحسن في عينيك». وبكى حزقيا بكاءً عظيماً. فقال الله لإشعياء: «اذهب وقُل لحزقيا: هكذا يقول الرب إله داود أبيك: قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. ها أنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة».. وكان إشعياء قد قال: «ليأخذوا قرص تين ويُضمِّدوه على الدَّبْل (القُرحة) فيبرأ» (إش ٣٨: ١-٥، ٢١).

* شفاء أبفرودِتس: حمل أبفرودتس هدية مالية من كنيسة فيلبي للرسول بولس الذي كان مسجوناً وقتها في روما، وتطوَّع أن يقوم بخدمة الرسول، لكن المرض الشديد أقعده، فقام الرسول بتمريضه حتى شُفي. ومع أن الله كان قد وهب الرسول موهبة شفاء الناس بمعجزة (أع ١٤: ٨-١٠ و١٦: ١٦-١٨ و٢٨: ٨)، إلا أن الله في حكمته قصد أن يُشفى أبفرودتس بالطرق العادية، فعولج أبفرودتس حتى شُفي، وكتب الرسول عنه: «فإنه مرض قريباً من الموت، لكن الله رحمه. وليس

إياه وحده بل إياي أيضاً» (في ٢: ٢٧).

* شـفاء تيموثاوس: أرسل الرسول بولس وصفةً طبية إلى تيموثاوس (غالباً بنصيحة من الطبيب لوقا) قال فيها: «لا تكن في ما بعد شرّاب ماء، بل اسـتعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسـقامك الكثيرة» (اتي ٥: ٢٣).

(٢) يـشفي عن طريـق المعجزة: تمتلـئ صفحات الكتاب المقدس بقصص الشفاء المعجزي. وقال الرســول يعقوب: «أمريض أحدٌ بينكم؟ فليدعُ شيوخ الكنيســة، فيصلّوا عليه، ويدهنوه بزيتٍ، باسم الـرب. وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفَر له» (يع ٥: ١٣، ١٤). ونقدم مثَلين للشفاء المعجزي من العهدين القديم والجديد:

* شـفاء نعمان السرياني: لم يكن للبرص علاج، فكان المريض به ميتاً لا محالة. وقد نال نعمان الســرياني شفاءه من البرص بأن «غطس في الأردن سبع مرّات حسب قول رجل الله (النبي أليشع) فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطَهُر» (٢مل ٥: ١٠-١٥).

* شــفاء مولود أعرج: هذه أول معجزة جرت بعد يوم الخمسين، وفيها شُفي أعرج في الأربعين من عمره، لم يمشِ قط، فأمسكه بطرس بيده اليمنى وأقامه، فأخذ يقفز فرحاً (أع ٣).

(٣) يمـنح الـنعمة للمريض فيحتمل المرض: وأعظم نموذج على ذلك هو ما حدث مع الرســول بولس، فقال: «أُعطيــت شوكة في الجســد، ملاك الشيــطان ليلطمني» (٢كو ١٢: ٧). ولا نعرف بالضبط ما هي تلك الشوكة. ربما كانت مرضاً في عيــنيه (غل ٤: ١٣-١٥). وصلى بولس ثلاث مــرات طالباً الشفاء، فلم يُشفَ، لكن الرب قال له: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمل» فقال بعدها: «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح» (٢كو ١٢: ٩).

(٤) يمـنح الرب الشفاء الكامل في السـماء: يدرك المؤمن أن له حياة أبدية لا تنتهي أبداً، بدأت يوم فتح قلبه للرب. لذلك لا يــعتبر المؤمنُ الموتَ موتاً، لكنه انتقال إلى حياة أفضل، فيقول: «لي الحياة هي المســيح والموت هو ربح.. لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المســيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢١، ٢٣). هناك «سيمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون فيما بعد، ولا يكون حزنٌ ولا صراخٌ ولا وجع فيــما بعد، لأن الأمور الأولى قد مضت. وقال الجالس على العرش: ها أنا أصنع كل شيء جديدا» (رؤ ٢١: ٤، ٥). وهذه هي الصحة الكاملة والشفاء الكامل الذي يريد الرب أن يعطيه للمؤمن.

٣ - بركة الـفداء: «الذي يـفدي من الحفرة حياتك» (آية ٣أ). للحفرة في الكتاب المقدس معنيان: الـقبر (أي الـموت الـجسـدي)، أو الــجحيـم (أي الهلاك الأبدي). والذي يـباركه الله بمغفرة

خطايــــاه يفديه من جحيم النار، والذي يباركه بشفائه من المرض يفديه من حفرة القبر. وذكر أليهو صــديق أيوب البركتين في قوله: «ليحوّل الإنسان عن عمله، ويكتم الكبرياء عن الرجل (أي ليمنحه التوبة بتحويل مساره، ويُبعد عنه الكبرياء فيعترف للرب بذنوبه)، ليمنع نفسه عن الحفرة وحياته من الزوال بحرْبة الموت» (أي ٣٣: ١٧، ١٨). وقد نال الملك حزقيــا البركتين، فرنّم ترنيمة شكر قال فــيها: «أيها السيد، بهذه يحيون (من الموت)، وبها كل حياة روحي (من الجحيم): فتشفيني وتحييني. هوذا لــلســلامة قد تحوّلت لي المرارة، وأنت تعلّقت بنفســي من وهدة الهلاك، فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي» (إش ٣٨: ١٦، ١٧).

(أ) الفداء من الحفرة التي يحفرها الناس لنا: بهذا القول لا بد أن داود كان يــذكر مؤامرات الملك شاول ضده ليــقتله، منها أنه عرض عليــــه أن يزوّجه ابنته، إن هو قتل مئة رجل من أعداء الــملك، وهو بهذا يــحفر حفرة لداود متوقّعاً له الموت أثناء القيــام بذلك (١صم ١٨). وحفر أقرب الأقــرباء لداود، وهو ابنه أبشالوم، حفرة بأن دبّر انقلاباً ليقتله ويملك مكانه (٢صم ١٥). ولكن الرب أنقذ داود من حُفر الموت هذه.

ولا بد أيضاً أن داود كان يذكر جدّه الأكبر يوســف، وقد طرحه إخوته في بئر، ولكن الرب كان مع يوســف وفكان رجلاً ناجحاً (تك ٣٩: ٢)، وأنقذه من ســجن فرعون، وولاه منصباً رفيعاً، فقال لإخوته: «أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً.. ليحيي شعباً كثيراً» (تك ٥٠: ٢٠).

وقد يحفر لك صديقٌ حفرةً بنيّة حسنة، ليُبعدك عن شيء مكلّف لكنه لازمٌ وصالح لتحقيق مقاصد الله، كما انتهر بطرسُ المســيحَ ليُبعده عن الصليب، فقال المســيح له: «اذهب عني يا شيطان. أنت معثرةٌ لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس» (مت ١٦: ٢٣).

(ب) الفداء من الحفرة التي يحفرها إبليس لنا، أو نحفرها نحن لأنفسنا: قال الرســول يــعقوب: «لا يــقُل أحد إذا جُرّب إني أجرّب من قِبَل الله، لأن الله غيــر مجرّب بالشرور، وهو لا يــجرّب أحداً (بالشرور). ولكن كل واحد يُجرّب إذا انجذب وانخدع من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلدُ خطيـــة، والخطية إذا كملت تنتج موتاً» (يع ١: ١٣-١٥). فالإنســان الذي ينجذب بخداع إبليس يــســقط في حفرة العصيان. يخدعنا إبليس عندما يصوّر لنا الشر خيراً، فننخدع بتصويره الزائف. وإبليــس لا يــلوي ذراع أحد ليخطئ، لكنه يكتفي بالاقتراحات الكاذبة، والإنســان هو الذي يقبل أو يــرفض. حاول فرعون أن يضرّ بني إسرائيل، ولكن الضرر الذي أضرّ به بنو إسرائيل أنفسهم كان أخطر. لقد أوقع فرعون الأذى الجســدي بهم، لكن الذي أهلكهم كان تذمُّرهم على الله، وسقوطهم في قبور الشهوة في موقع اسمه «قبروت هتأوة» (عد ١١: ٣٣، ٣٤).

ويحذِّر الرب الناس من الخطأ، والإنسان هو الذي ينتبه إلى التحذير أو ينجذب إلى الخديعة. وفي الحالتين يريد الرب أن يفدي الإنسان التائب من حفرة إبليس، ومن سقوطه في فخِّه. وواضحٌ أنه لا خطر على السفينة من المياه التي تحيط بها، لكن الخطر كامنٌ في دخول المياه إليها. لذلك صلى المسيح لأجل المؤمنين قائلاً: «لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٧: ١٥).

(ج) **كيف يتمُّ الفداء**: لا بد أن داود كان يفكر في الفداء كما علَّمته شريعة موسى، فالفادي هو الذي يفدي الأسير، وهو الذي يفكُّ أسر المديون العاجز عن وفاء ديونه. وكلمة «الفادي» تعني «ولي الأمر» وتعني «المخلِّص». وولي الأمر هو القريب الأقرب، كما يتَّضح من قول نُعمي لراعوث عن بوعز: «الرجل ذو قرابةٍ لنا. هو ثاني وليِّنا» (را ٢: ٢٠)، فقد كان هناك قريبٌ أول رفض أن يقوم بمسؤولية ولي الأمر، فقام «بوعز» القريب الأقرب الثاني بالواجب كله.. وعندما قال داود إن الرب هو الذي يفدي من الحفرة حياته كان يقصد أن الرب هو أقرب قريب له، وأنه وليُّ أمره. وكان الفكاك من العبودية، ومن الديون يتم في سنة اليوبيل (لا ٢٥: ٢٥، ٤٧-٤٩). ويعلِّمنا الإنجيل أن المسيح جاء ليعلن قيام سنة اليوبيل هذه، ودعاها «سنة الرب المقبولة» التي ينادي فيها للمأسورين بالإطلاق وللمنسحقين بالحرية (لو ٤: ١٩)، وبهذا أعلن أنه فادينا، ووليُّ أمرنا، وأقرب قريب لنا، الذي وحده ينقذنا من حفرة الخطية، التي تنتهي بمن يسقط فيها إلى حفرة الجحيم الأبدي!.. وفي اليوم الأخير يقيم الرب أجساد المؤمنين من حفرة قبورهم، عند مجيء المسيح ثانيةً «لأن الرب نفسه سوف ينزل من السماء بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، والأموات في المسيح سيقومون أولاً» (١تس ٤: ١٦).

ولا بد أن نتساءل: كيف يكون المسيح قريبنا؟ يقول الوحي إن المسيح هو الخالق، وهو ابن الله منذ الأزل، ونحن المخلوقون من التراب. هو القدوس من السماء، ونحن الخطاة من الأرض.. غير أن الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، أتانا مولوداً تحت الناموس من العذراء القديسة مريم (أف ٢: ٤ وغل ٤: ٤)، و«عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦). «الكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيدٍ من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا، ونعمةً فوق نعمة» (يو ١: ١٤، ١٦) فقال له مارتن لوثر: «يا سيدي المسيح، لقد صرتَ ما لم تكنْه لأصير أنا ما لم أكنْه». صار هو إنساناً ليجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤)، وعلى الصليب حمل خطايانا وصار خطيةً لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه (٢كو ٥: ٢١). وهو بحقٍّ هذا الفداء يقول لكل من يؤمن به: «لا تخف لأني فديتك. دعوتك

باسمك. أنت لي» (إش ٤٣: ١).

عندما وُلد يوحنا المعمدان امتلأ أبوه زكريا بالروح القدس، وتنبأ قائلاً: «مباركٌ الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه» (لو ١: ٦٨). والافتقاد هو الزيارة. ووعد المسيح المؤمنين به أن يفتقدهم ويزورهم دائماً، بل أن يصحبهم في رحلة حياتهم، فقال: «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). لقد جاء المسيح في صورة إنسان وافتقد كوكب الأرض، وصنع فداءً أبدياً. وعندما كنا يائسين في حفرة خطايانا، أتانا، ولا زال يفتقدنا في كل أحوالنا: في خطايانا، وفي أمراضنا، وفي مؤامرات الأعداء علينا. ونسمعه دوماً ينادينا: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨). وعندما نقبل دعوته نصير «متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣: ٢٤).

٤ - **بركة الرحمة والرأفة:** «الذي يكللك بالرحمة والرأفة» (آية ٤ب). في البركات الثلاث الأولى رأينا الله يُنعِم علينا بالأساسيات، من غفران وشفاء وفداء، وفي البركتين الرابعة والخامسة نراه يعطي الكماليات، من تكليل الرأس بالرحمة والرأفة، والإشباع بالخير الذي يجدد الشباب. ويقول المرنم للرب إنه يكلل أولاده بالرحمة والرأفة، وهذا يعني أنه يعتبرهم أمراء، فيلبسهم إكليلاً من الرحمة والرأفة، لأنهم أبناء الملك السماوي.

(أ) **إكليل الرحمة يعني قرابة الأرحام:** الرحمة في اللغة العبرية تعني قرابة الأرحام والدم والعائلة. وقد رحم الرب شعبه بأن أنعم عليهم بالتبني، وجعلهم من عائلته وأهل بيته. فعندما أرسل موسى إلى فرعون ليُخرج بني إسرائيل من مصر أمر موسى أن يقول لفرعون: «هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر.. أطلق ابني البكر ليعبدني» (خر ٤: ٢٢، ٢٣). وقال المسيح: «الذي يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي» (مت ١٢: ٥٠). ويقول الله للمؤمنين: «فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٩). ولما كنا لا نستحق الرضا الإلهي بسبب عصياننا، فإنه يرحمنا عندما نصرخ إليه: «ارحمني يا الله حسب رحمتك. حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ» (مز ٥١: ١). وكل الذين يقبلون المسيح فادياً رحيماً يعطيهم «سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين وُلدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله» (يو ١: ١٢، ١٣) يعني الذين وُلدوا ليس من علاقة جسدية، ولا من إرادة بشرية، بل بعمل إلهي. ويتعجب المؤمنون من هذا التبني السماوي فيقولون لبعضهم: «انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله» (1يو ٣: ١) « إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني، الذي به نصرخ: يا أبا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا

أولاد الله.» (١يـو ٣: ١) «إذْ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني، الذي به نصرخ: يا أبا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثةٌ أيضاً، ورثةُ الله ووارثون مع المسـيـح» (رو ٨: ١٤-١٧). ويعود الفضل في هذا كله إلى المسـيح الذي جاء «ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني. ثم بما أنكم أبناء أرسـل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذاً لستَ بعد عبداً بل ابناً. وإن كنت ابناً فوارثٌ لله بالمسيح» (غل ٤: ٥-٧). وهذا يعني أن التبني يعطينا حقَّ أن ندعو الله: «يا أبا الآب». وهو دعاءٌ مكوَّن من كلمتين: «أبا» وهي سريانية و«الآب» وهي يـونانيـة. والمقصود أننا ننادي الله بدالة البنوَّة «أبا» وندعوه بكل الاحترام «أيـها الآب». وتعود دالة البنوَّة إلى الجراءة والقدوم الممنوحيـن لنا من الله (أف ٣: ١٢). وعندما يُنعم الله علينا بالتبنّي نصبح ورثة الله ووارثين مع المسيح. فمبارك الله.

(ب) **إكليل الرحمة يعني رافة الله على شعبه**: يـترأف الرب على شعبه بعد أن أنعم عليـهم بالتبني، وجعلهم أهل بيـته. وتظهر هذه الرأفة في قوله لموسـى: «قد رأيـتُ مذلَّة شعبي الذي في مصر.. إني علمت أوجاعهم.. فالآن هلمَّ فأرسلك إلى فرعون وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر» (خر ٣: ٧، ١٠). وعبّر النبي إشعيـاء عن رأفة الله على شعبه بقوله: «في كل ضيـقهم تضايـق، ومـلاك حضرته خلَّصهم. بمحبته ورأفته هو فكَّهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش ٦٣: ٩). وعـندما يتأمل كل مؤمن أيامه القديمة يندهل من الرحمة الإلهية، ويمتلئ قلبه بالثقة في المستقبل، لأن الله «هو هو أمسـاً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨). فالذي فكَّ المتضايق من قيوده، ورفعه وحمله كل الأيام القديمة، يفك ويرفع ويحمل في الحاضر والمسـتقبل أيضاً، كما قال الرسول بولس: «الـذي نجّانا من موت مثل هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ١٠، ١١).

وقد أظهر الله رأفته العظيـمة علينا عندما جاءنا في صورة إنسـان، و«في ما هو قد تألم مجرَّباً يـقدر أن يـعين المجرَّبين» (عب ٢: ١٨). وقد أعانهم، فكان «يطوف المدن كلها والقرى يعلِّم في مجامعها، ويـكرز ببشارة الملكوت، ويـشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب. ولما رأى الجموع تحنَّن عليـهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنمٍ لا راعي لها» (مت ٩: ٣٥، ٣٦). وعندما «أبصر جمعاً كثيراً تحنَّن عليهم وشفى مرضاهم. ولما صار المسـاء تقدم إليه تلاميذه قائلين: الموضع خلاء والوقت قد مضى. اصرف الجموع لكي يـمضوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً. فقال لهم: لا حاجة لهم أن يمضوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا.. ثم أخذ الأرغفة الخمسـة والسـمكتين.. وبارك.. فأكل الجميع وشبعوا» (مت ١٤: ١٤-٢١). وعندما وقف عند قبر لعازر وسـمع بكاء الأختيـن الحزينتين بكى لبكائهما (يو ١١: ٣٥).

(ج) إكليل الرحمة والرأفة يتوّج رؤوس المؤمنين: تظهر رحمة الرب في أنه يضع على رؤوس المؤمنين أكاليل مختلفة لها صفة الدوام، وقد قارن الرسول بولس بين الإكليل المؤقّت الفاني من الزهور، الذي يناله المتسابقون في الألعاب الأولمبية وبين الإكليل الدائم الذي يناله المؤمن المجاهد في سبيل الله، فقال: «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء. أما أولئك فلكي يأخذوا إكليلاً يفنى، وأما نحن فإكليلاً لا يفنى» (اكو ٩: ٢٥). فالمؤمنون الذين يركضون بأمانة واجتهاد في السباق الروحي العظيم، وهم يجاهدون ضد الخطية وضد الشيطان، يُنعم الرب عليهم بإكليلٍ لا يفنى، ويذكر الوحي مجموعة أكاليل يضعها الله على رأس المؤمنين:

(١) إكليل المجد والبهاء: تعجّب المرنم من مراحم الرب الخالق العظيم الذي يذكر الإنسان المخلوق من التراب ويفتقده، فقال: «إذا أرى سماواتك، عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوّنتها، فمن هو الإنسان حتى تذكره، وابن آدم حتى تفتقده؟ وتنقصه قليلاً عن الملائكة، وبمجدٍ وبهاءٍ تكلّله» (مز ٨: ٣-٥). فما أعظم الرحمة التي تضع على رأس الإنسان الضعيف إكليلاً من المجد والبهاء، وتسلطه على خليقة الرب، وتجعل كل شيء تحت قدميه!

على أن إكليل المجد الأسمى هو الذي يُنعم الله به على الرعاة المجاهدين في خدمته وخدمة من كلّفهم برعايتهم، فيقول لهم الرسول بطرس: «متى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذي لا يبلى» (ابط ٥: ٤). وكلنا راعٍ مسؤول عن رعيته، سواء كنا آباء أو أمهات أو معلّمين أو قسوسا أو مسؤولين.

(٢) إكليل الحكمة: قال سليمان الحكيم إن الحكمة: «تعطي رأسك إكليل نعمة. تاج جمالٍ تمنحك» (أم ٤: ٩). فالحكمة تاجٌ يُنعم الرب به على رؤوس المؤمنين. وقال الرسول يعقوب: «إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر، فسيعطى له» (يع ١: ٥). والإنسان الحكيم هو الذي يسلم نفسه للرب، ويكون رابح نفوس (أم ١١: ٣٠)، فينال غفران خطاياه، وشفاء أمراضه، والفداء من الحفرة، وإكليل الحكمة.

(٣) إكليل العائلة السعيدة: لأن «المرأة الفاضلة تاج لبعلها» (أم ١٢: ٤)، و«تاج الشيوخ بنو البنين، وفخر البنين آباؤهم» (أم ١٧: ٦). فمن مراحم الرب على المؤمن أن يكلله بالبيت المبارك حيث الزوجة الفاضلة، وحيث يفتخر الأبناء بالآباء، ويُتوّج الشيوخ بالأحفاد.

(٤) إكليل جمال الشيبة: من مراحم الرب أنه يمنح المؤمن إكليل الجمال بتقواه في شبابه وفي شيبته، كما قال سليمان الحكيم: «تاجُ جمالٍ شَيْبةٌ توجد في طريق البر» (أم ١٦: ٣١).

(٥) إكليل البر: وهو الذي يُنعم الله به على المجاهدين في خدمة الملكوت، الذين يحبون مجيء

المســـيح ثانيةً، من أمثال الرســـول بولس الذي قال: «فإني أنا الآن أُسكب سكيباً، ووقت انحلالي قد حضر. قد جاهدتُ الجهاد الحســـن. أكملت السعي. حفظت الإيمان. وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يـــهبه لي في ذلك اليـــوم الرب الديان العادل. وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تي ٤: ٦-٨).

(٦) **إكليل الحياة**: وهو الذي يُنعم الله به على كل من يحب الرب ويحتمل التجربة التي يسمح له بها، مثل أيوب الذي قال: «الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً.. أالخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟» (أي ١: ٢١ و٢: ١٠). ويـــطوّب الوحيُ أيوبَ وأمثاله بالقول: «طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع ١: ١٢).

وهناك خطورة ضياع أكاليلنا إن نحن أخللنا بشروط الاحتفاظ بها، ولذلك حذَّر المســـيح ملاك كنيســـة فيلادلفيا بقوله: «ها أنا آتي ســـريعاً. تمسَّك بما عندك لئلا يأخذ أحدٌ إكليلك» (رؤ ٣: ١١). وهـــذا معناه أن الله يكلِّف شخصاً آخر ليقوم بالعمل الذي تقاعس المؤمن عن القيام به، لأنه لن يترك عمله ناقصاً. وهو يمنح الإكليل الذي كان سيناله المتقاعس للشخص الذي سيقوم بالعمل.

أما امتياز الحصول على الإكليل فهو الشرف الذي ســـنناله عندما نلقيه عند قدمي المســـيح يوم نلاقيه، كما قيل عن الأربعة والعشرين شيخاً، الذين يمثلون كنيســـتي العهدين القديم والجديد: «يخرُّ الأربعة والعشرون شيـــخاً قدام الجالس على العرش، ويســـجدون للحي إلى أبد الآبدين، ويطرحون أكاليـــلهم أمام العرش قائلين: أنت مســـتحقٌ أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنةٌ وخُلقت» (رؤ ٤: ١٠، ١١). فلنتمســـك بالإكليل المعطى لنا، ليكون لنا شرف طرحه بكل شكر وعرفان عند قدمي المسيح الذي يستحق المجد والكرامة والقدرة.

٥ - **بركة الشبع والتجديد**: «الذي يُشبع بالخير عمرك، فيتجدَّد مثل النسر شبابك» (آية ٥).

(أ) **الله يُشبع**: يبارك المرنم الرب لأنه يشبعه ويمنحه كل شيء بسخاء ووفرة وغنى بحسب غناه فـــي المجد (في ٤: ١٩). وهذا ما اكتشفه الابن الضال في الكورة البعيدة، فقد توهَّم أنه في البُعد عن أبيـــه يعيش حياته كيف يشاء، وينفق كما يريد. ولكن الاختبار المر في البلد البعيد علَّمه أن في البُعد عن أبيـــه جوعاً وبؤســـاً، وأن الشبع الحقيقي لا يوجد إلا في بيت الأب، فقال: «كم من أجيرٍ لأبي يـــفضل عنه الـــخبز وأنا أهلك جوعاً. أقوم وأذهب إلى أبي» (لو ١٥: ١٨). وما أن رآه أبوه حتى احتضنه بفرح وأقام له وليمة. وقد دفع الابن الضال الثمن غالياً ليتعلم الدرس الأســـاسي الذي نرجو أن نتعلمه نحن بدون أن نجوز الآلام التي جازها الابن الضال.

وليشرح لنا المســـيح مفهوم الشبع الســـماوي قال إن ملكوت الله يشبه وليمة عرس أقامها الملك،

ومنح كل حاضريها حُلة ملوكية تتناسب مع جلال المناسبة ومع عظمة المقام الملكي. وهو يعني أن إلـــهنا الصالح يُـشبع بالخيـر عمرنا، ويــكســونا رداء البر وثوب الخلاص (مت ٢٢: ١-١٤).

ولم يكتفِ المسيح بمجرد التعليم عن الشّبع، بل أطعم خمسة آلاف جائع بخمس خبزات وسمكتين (يــو ٦: ١-١٥) ثم قال: «أنا هو خبز الحيـــاة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبـداً» (يو ٦: ٣٥). ولا زال الله يشبع المؤمنين روحياً وجسدياً، و«بركة الرب هي تُغني، ولا يزيد (الله) معها تعبا» (أم ١٠: ٢٢)، فيقولون لله: «أمامك شبع سرور، في يمينك نِعَم إلى الأبد» (مز ١٦: ١١).

(ب) الله يُشبع بالخير: «يُشبع بالخير عمرك». الخير هو ما يناسب احتياجاتنا، ويسدّدها، فنقول: «الرب راعيَّ فلا يـعوزني شيء» (مز ٢٣: ١). والخيــر هو ما يناســب طبيعة الله الخيِّرة، وهو الأغلى والأفضل، يـمنحه الله للمؤمنين لأنهم الأغلى والأفضل لديه. ويشهد داود لذلك بقوله: «كنتُ فتى وقد شِختُ، ولم أرَ صدّيقاً تُخلّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥).

(١) الخـير الأسمـــى هو خلاصه: قال المســيح: «هئنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن ســـمع أحدٌ صوتي وفتح الباب، أدخل إليـــه وأتعشى معه وهو معي» (رؤ ٣: ٢٠). فهو يُشبعنا بشخصه الكريم عندما يـــدخل قلوبنا، فيـــخلِّصنا من خطايانا. وقد وصف المرنم أحوال النفس المكبّلة بقيود الخطية والــذل، فقال: «لأنه أشبع نفساً مشتهيةً، وملأ نفساً جائعةً خبزاً. الجالسين في الظلمة وظلال الموت، موثقيـــن بالذل والحديد، لأنهم عصوْا كلام الله وأهانوا مشورة العلي، فأذلَّ قلوبهم بتعب. عثَروا ولا معيـــن. ثم صرخوا إلى الرب في ضيقهم فخلَّصهم من شدائدهم» (مز ١٠٧: ٩-١٣). أشبعهم بأن خلــصهم وحررهم. وعندما يـدخل المســيـح القلب نقول: «أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك. أشبع إذا اســتيقظتُ بشَبهك» (مز ١٧: ١٥). فنبدأ يومنا بالصلاة والحديث إلى الله فتشبع أرواحنا. وفي اليوم الأخير يُشبعنا بكمال خلاصه عندما يقيمنا من الموت لنتمتع بنور وجهه إلى الأبد.

(٢) الخير الأسمـى هو كلمته: كلمة الله تُشبع القلب الجائع، كما قال المرنم: «يَروون من دســم بيتك، ومن نهر نعمك تســـقيهم» (مز ٣٦: ٨)، «ما أحلى قولك لحنكي. أحلى من العسل لفمي» (مز ١١٩: ١٠٣)، وكما قال المســـيح: «الكلام الذي أكلّمكم به هو روح وحياة» (يو ٦: ٦٣). وقال النبي إرميا: «وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي، لأني دُعيتُ باسمك يا رب إله الجنود» (إر ١٥: ١٦).

(٣) الخير الأسمى هو تسبيحه: «كما من شحمٍ ودسم تشبع نفسي، وبشفتيْ الابتهاج يسبِّحك فمي» (مز ٦٣: ٥). يشبع المؤمن بالترتيل المســتمر على الأرض، ويكتمل شبعه في الســـماء بالترنيم الدائم. «يقودك الرب على الدوام، ويُشبع في الجدوب نفسك، وينشِّط عظامك، فتصير كجنةٍ ريّا، وكنبع مياه لا تنقطع مياهه» (إش ٥٨: ١١).

(ج) **الله يجدد الشباب**: «فيتجدَّد مثل النسر شبابُك». يشبع الله المؤمن بالخير فيتجدد شبابه، ويكون مثل النسر الذي يحلِّق عالياً. وليس المقصود هنا أن النسر يجدد شبابه، لأن النسر يموت، لكن المقصود هو قوة النسر وارتفاع تحليقه. هناك شباب يحلّقون في آفاق الروح والفكر وهم في الثمانين من العمر، وهناك شيوخ في العشرينيات من أعمارهم. وصاحب الإيمان العميق والرجاء القوي هو الذي يتجدد شبابه، لأن ثقته في الرب تجعله يقول: «لا أخاف شراً لأنك أنت معي» (مز ٢٣: ٤)، ويتحقق معه قول أليهو عن عمل الرب مع التائب: «يترأف عليه ويقول: أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة. قد وجدتُ فديةً. يصير لحمه أنضر من لحم الصبي، ويعود إلى أيام شبابه» (أي ٣٣: ٢٤، ٢٥).

ومن أمثلة الشباب المتجدد كليم الله موسى الذي مات في عمر المئة والعشرين، ويصفه الوحي بأنه لم تكل عينه ولا ذهبت نضارته (تث ٣٤: ٧) مع أن حياته كانت عامرة بالمسؤوليات الثِّقال، ولكن الرب أشبعه بالخير فتجدد شبابه. ومثله كالب بن يفُنَّة الذي قال عن نفسه: «الآن فها قد استحياني الرب.. والآن فها أنا اليوم ابن خمس وثمانين سنة، فلم أزل اليوم متشدِّداً كما في يوم أرسلني موسى. كما كانت قوتي حينئذ هكذا قوتي الآن للحرب وللخروج وللدخول» (يش ١٤: ١٠، ١١).

(١) **يرتفع المؤمن كالنسر**: كما قيل: «أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوة، يرفعون أجنحةً كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يُعْيُون» (إش ٤٠: ٣١). يجدد الرب شباب المؤمن فيصير كالنسر الذي يرفع أجنحته ويطير عالياً، وقد ارتفعت عيناه إلى الأمور الروحية العالية، فيرتقي ويسمو في النعمة وفي معرفة الرب.

(٢) **يعلِّم المؤمن غيره كما يفعل النسر**: «كما يحرِّك النسر عشَّه وعلى فراخه يرفُّ، ويبسط جناحيه ويأخذها، ويحملها على مناكبه، هكذا الرب» (تث ٣٢: ١١، ١٢). يعلِّم النسر فراخه الطيران بأن يهز عشَّه المبطن بالريش والمدعَّم بالأشواك، فتضايق الأشواك الفراخ الصغيرة، فتقفز متألمة وتبدأ في استخدام أجنحتها. وعندما تقفز أكثر تسقط من العش، فيسرع النسر الكبير ليحملها ويعيدها إلى العش لتستريح، ثم يُعيد ما أن سبق وفعله. ومرة تلو الأخرى تتعلم النسور الصغيرة استخدام أجنحتها للطيران وتترك العش. والمؤمن يشبه النسر الصغير في أن آلام الزمان الحاضر تعلِّمه أن يطير إلى آفاق روحية أعلى، كما أنه يجب أن يشبه النسر الكبير في أنه يدرِّب غيره على السير في طريق خدمة الرب، كما قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «ما سمعتَه مني بشهود كثيرين أودِعه أُناساً أمناء، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً» (٢تي ٢: ٢).

دعونا نشبع بخلاص الرب، فيتجدد شبابنا، ونصير نسوراً للرب.

ثالثاً - رحمة الله
(آيات ٦-١٢)

حدَّث المرنم نفسه عن بركات الرب، وطلب منها أن تتغنَّى بمراحمه، فهي أكثر من أن تُعد أو تُحصى، وقد قال: «ما أكرم أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جملتها! إن أحصيها فهي أكثر من الرمل» (مز ١٣٩: ١٧، ١٨). وهو يعزو إحسانات الرب عليه إلى الرحمة الإلهية وحدها، ويطلق عليها أربع صفات:

١- **رحمةٌ منصفة:** «الرب مجري العدل والقضاء لجميع المظلومين» (آية ٦). من مراحم الرب على المؤمنين أنه باستمرار ينصفهم من أعدائهم، كما أنصف داود من الملك شاول، فقال داود للملك: «فيكون الرب الديّان، ويقضي بيني وبينك، ويرى ويحاكم محاكمتي، وينقذني من يدك» فأجاب الملك: «الرب يجازيك خيراً.. والآن فإني علمتُ أنك تكون ملكاً وتثبت بيدك مملكة إسرائيل» (١صم ٢٤: ١٥، ١٩، ٢٠).

قد يبدو لنا أن الظلم قد انتصر، لكن هذا الانتصار لا يمكن أن يستمر، لأن الرب «مُجري العدل والقضاء» اليوم، على أرضنا، لجميع المظلومين. «يقوم عن يمين المسكين ليخلِّصه من القاضين على نفسه» (مز ١٠٩: ٣١). «يقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين» (إش ٢: ٤)، فيقولون: «الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب ملكنا، هو يخلِّصنا» (إش ٣٣: ٢٢). عندما وقف المسيح أمام بيلاطس قال له الحاكم بكبرياء: «ألستَ تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» فأجابه بكل الحق الذي يحرِّر النفس من الخوف: «لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتة لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق» (يو ١٩: ١٠، ١١). ولم تنتهِ حياة المسيح بصلبه يوم الجمعة، لكنه قام وغلب الموت وأنار لنا الحياة والخلود. وكل من يتحد بالمسيح كغصنٍ في كرمة ينال بركةً وحياة أبديتين.

٢- **رحمة مُعلِنة:** «عرَّف موسى طرقه وبني إسرائيل أفعاله» (آية ٧). استجاب الله صلاة موسى: «إن كنتُ قد وجدتُ نعمةً في عينيك فعلِّمني طريقك حتى أعرفك، لكي أجد نعمةً في عينيك» (خر ٣٣: ١٣) فعرَّفه الرب طرق معاملاته مع شعبه، وقال له: «الرب إلهٌ رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء» (خر ٣٤: ٦). ومن رحمة الله علينا أنه يعلن ذاته لنا، لأننا عاجزون عن معرفته بقوتنا الذاتية وبعقولنا المحدودة. قال «أبو الفيض ذو النون» المتصوِّف المصري (٨٥٩م): «عرفتُ ربي بربي، ولولا ربي ما عرفتُ ربي». ربما تعرف بعض الحقائق عن إنسان بملاحظة تصرفاته، أو بالقراءة عنه، ولكنك لن تعرفه شخصياً إلا بالاقتراب منه

ومعاشرته، وبالحديث معه ومناقشته، كما قال الرسـول بولس: «أربح المسيح وأوجد فيه.. لأعرفه وقوة قيـامته وشركة آلامه، متشبِّهاً بموته، لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات. ليس أني قد نلتُ أو صرت كـاملاً، ولكني أسعى لعلّي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع» (في ٣: ٨-١٢). صحيحٌ أننا نعرف عن الله بملاحظة خليقته العظيمة المنظمة، ولكننا لن نعرفه معرفة شخصية إلا إن عرّفنا بنفسه.

أمـا كمال المعرفة بالله فقد تمّ في المسيح، الطريق والحق والحياة (يو ١٤: ٦). لقد كلَّم الله الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، ولكنه كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي هو بهاء مجده، ورسـم جوهره، فجاء فيه الإعلان الكامل الذي طالما تنبأ الأنبياء عنه، فهو «عمانوئيل الله معنا.. الله ظهر في الجسـد.. الكلمة صار جسـداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيدٍ من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً.. الله لم يـره أحدٌ قط. الابن الوحيـد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (عب ١: ١-٣ ومت ١: ٢٣ و ١تي ٣: ١٦ ويو ١: ١٤، ١٨).

٣ - رحمة غافرة: «الرب رحيـم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة. لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسـب خطايانا، ولم يجازنا حسـب آثامنا» (آيات ٨-١٠). قال له نحميـا: «أنت إلهٌ غفورٌ وحنّان ورحيمٌ، طويل الروح وكثير الرحمة» (نح ٩: ١٧). لهذا دعا النبي يـوئيل شعبه: «ارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوفٌ رحيم، بطيء الغضب وكثير الرأفة» (يوئيل ٢: ١٣). وهـو في رحمته «لا يشاء أن يهلك أناسٌ، بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣: ٩) وقال: «حيٌّ أنا يقول السـيد الرب، إني لا أُسـرُّ بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الـرديـئة. لماذا تموتون؟» (حز ٣٣: ١١). وإذا عاقب على خطإ فهو عقاب الأب الحريـص على سـلامة ابنه، وهو القائل: «لأني لا أخاصم إلى الأبد، ولا أغضب إلى الدهر» (إش ٥٧: ١٦)، «لأني رؤوف، يـقول الرب. لا أحقد إلى الأبد» (إر ٣: ١٢). لذلك قال له الـمرنم: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمن يقف؟ لأن عندك المغفرة. لكي يُخاف منك» (مز ١٣٠: ٣، ٤).

هـناك آباء يصفحون عن أبنائهم عندما يعتذرون لهم عن خطئهم، ولكن عندما يرتكب الابن خطأً آخر يوبخه الأب على الخطأين: الجديد والقديم. وهكذا يفعل بعض الأزواج عندما يخلطون موضوع الخلاف الجديد بالقديم.. لكن الله الرحيم لا يحاكم إلى الأبد، لأنه يغفر وينسـى. «مَن هو إلهٌ مثلُك، غافرٌ الإثم، وصافحٌ عن الذنب لبقية ميراثه.. فإنه يُسـرُّ بالرأفة» (مي ٧: ١٨). وهو لا يصنع معنا حسـب آثامنا، بل «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً. لن يقدر أن ينكر نفسه» (٢تي ٢: ١٣). توجد طمأنيـنة في الغفران الإلهي، فعندما نعترف له يغفر لنا ولا يعود يذكر خطايانا. «يا أولادي، أكتب

إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحدٌ فلنا شفيع عند الآب: يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو ٢: ١، ٢).

٤ - رحمة بلا حدود: «مثل ارتفاع السموات عن الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا» (آيتا ١١، ١٢). وليس خائفوه هم المرتعبين من جبروته، بل هم الأتقياء العاملون بوصاياه، الخاضعون لسلطانه بكل محبة، لأنه «الإله الحكيم الوحيد، مخلِّصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل الدهور» (يه ٢٥). هؤلاء الأتقياء يقولون مع المرنم: «لأن رحمتك قد عظُمت إلى السماوات، وإلى الغمام حقك» (مز ٥٧: ١٠). وقال الملك حزقيا: «فإنك طرحتَ وراء ظهرك كل خطاياي» (إش ٣٨: ١٧). إنه يغفر خطايانا، ويُبعِدها عنا إبعاداً كاملاً بحسب الرحمة اللانهائية، ويقول: «أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها.. قد محوتُ كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك. ارجع إليَّ لأني فديتك» (إش ٤٣: ٢٥ و٤٤: ٢٢). فنقول: «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميعُ خطاياهم» (مي ٧: ١٩) لأن المسيح سترها بدمه الثمين. وما دام الرب غفر لنا، يجب أن نغفر لأنفسنا وللآخرين أيضاً.

رابعاً - الحاجة إلى الله
(آيات ١٣-١٨)

في هذه الآيات يعلن المرنم حاجته إلى الإله الرحيم، لأنه يشعر بضعفه، ويذكر مراحمه العظيمة الماضية على الجيل الماضي، ومراحمه العظيمة القادمة على بني البنين.

١- ضعف الإنسان: «كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه، لأنه يعرف جبلتنا يذكر أننا تراب نحن. الإنسان مثل العشب أيامه. كزهر الحقل كذلك يزهر، لأن ريحاً تعبر عليه فلا يكون، ولا يعرفه موضعه بعد» (آيات ١٣-١٦). يحب الآباء البشريون أولادهم ويترأفون عليهم، رغم أنهم بشر خطاؤون. وعلاقة الله بالمؤمنين هي علاقة أبوّة نموذجية كاملة، تعرف ضعفهم، وتحنو عليهم، لأنها تدرك طبيعتهم. «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات يهب خيرات للذين يسألونه» (مت ٧: ١١). يقول الله: «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين، وأنا لا أنساك» (إش ٤٩: ١٥). وعلَّمنا المسيح أن نبدأ صلواتنا بالقول: «أبانا الذي في السماوات» (مت ٦: ٩)، وصوَّر الآب السماوي وهو يستقبل ابنه الضال الراجع بقوله: «رآه أبوه فتحنن، وركض، ووقع على عنقه، وقبَّله» (لو ١٥: ٢٠). لذلك قال داود: «إن أبي وأمي قد تركاني، والرب يضمُّني» (مز ٢٧: ١٠).

هذا الإله الرؤوف يترأف علينا لأنه يعرف جبلتنا، ويعرف ضعف بشريتنا في مواجهة مهاجمات الشر، ويـــعرف طبيعتنا الخاطئة «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مجرَّبٌ في كل شيء مثلنا، بلا خطية» (عب ٤: ١٥). و هو يذكر أننا تراب، فقد «جبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدمُ نفساً حية» (تك ٢: ٧). قال أيوب: «الإنسان مولود الـمرأة قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسم، ويبرح كالظل ولا يقف» (أي ١٤: ١، ٢)، وقال المرنم: «ذكَر أنهم بشر. ريـــحٌ تذهب ولا تعود» (مز ٧٨: ٣٩) وصلى: «اذكُر كيف أنا زائل. إلى أي باطل خلقت جميـــــع بني آدم؟» (مز ٨٩: ٤٧). صحيحٌ أن «كل جســدٍ عُشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب. ذبُل الزهر لأن نفخة الرب هبَّت عليه. حقاً الشعب عُشب» (إش ٤٠: ٦، ٧). ووصــف كليم الله موسى الإنسان بقوله: «بالغداة كعشب يزول. بالغداة يزهر فيزول. عند المساء يـُـجزُّ فييبس» (مز ٩٠: ٥، ٦). فنحن من تراب وإلى تراب نعود، ونســمة الله داخلنا هي العنصر الإلـــهي الذي يُحيينا ويجعلنا نتطلع إلى أعلى، إلى الخالق. لكن التراب فينا هو العنصر الأرضي الذي يـــجذبنا إلى أسفل، فيقول الإنسان منا: «حينما أريد أن أفعل الحسنى أجد الشرَّ حاضراً عندي.. ويحي أنا الإنسان الشقي.. بذهني أخدم ناموس الله وبجسدي أخدم ناموس الخطية» (رو ٧: ٢١، ٢٤، ٢٥). لـــكن شكراً لله، فإن نعمة الله بقوة الروح القدس تمكِّن المؤمن أن يــقول: «ناموس روح الحيـــاة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو ٨: ٢).

وكثيــراً ما يـــفتكر الإنســـان أنه عظيم، عندما ينجح أو يغتني أو يكون صاحب نفوذ، فيعتقد أن ســلطانه دائم. ولكنه كالعشب. وإن لم يكن ثباته من الرب، وإن لم يكن ثابتاً في المســـيح، تنقلب كل موازينه، فتذريه الريح، فينتهي ولا يعرفه موضعه بعد، كما وصف صوفر النّعماتي الإنســـان الزائل بقوله لأيوب: «عينٌ أبصرته لا تعود تراه، ومكانه لن يراه بعد» (أي ٢٠: ٩).

٢ - **رحمة الله:** «أما رحمة الله فإلى الدهر والأبد على خائفيـــه، وعدله على بني البنين، لحافظي عهده وذاكري وصاياه ليعملوها» (آيتا ١٧، ١٨).

(أ) **رحمته نابعة من أبديته:** يبيد الإنسان لأنه فانٍ، أما رحمة الله فلا نهاية لها لأنه أبدي أزلي، لذلك ينصحنا المرنم: «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم، حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفســـه تهلك أفكاره. طوبى لمن إله يعقوب مُعينه، ورجاؤه على الرب إلـــهه» (مز ١٤٦: ٣- ٥). ويـــطمئن الـــمؤمنون لأن رحمة الله الدائمة هي الصخرة التي عليـــها يـــســـتندون، فيقولون: «يا رب، ملجأً كنتَ لنا إلى دور فدور» (مز ٩٠: ١). «أما أنت يا رب فإلى الدهر جالسٌ، وذكرك إلى دور فدور.. وأنت هو، وســنوك لن تنتهي. أبناء عبيدك يسكنون، وذريتهم

تثبّت أمامك» (مز ١٠٢: ١٢، ٢٧، ٢٨). «الذرية تتعبّد له. يُخبّر عنه الجيل الآتي. يأتون ويخبرون ببرّه شعباً سيُولد بأنه قد فعل» (مز ٢٢: ٣٠، ٣١).

(ب) **رحمته نابعة من عهوده:** تعهّد الله لخائفيه بالرحمة، فقد قال في الوصايا العشر: «أصنع إحساناً إلى ألوف من محبيّ وحافظي وصاياي» (خر ٢٠: ٦)، وقال: «فاعلم أن الرب إلهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث ٧: ٩). وهو أمين لعهوده، ولا تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي يتكلم به (يش ٢٣: ١٤). ووعد الله حافظي وصاياه بالعدل، وقال: «لأني أنا الرب محب العدل، مبغض المختلس بالظلم. وأجعل أجرتهم أمينة، وأقطع لهم عهداً أبدياً» (إش ٦١: ٨).

خامساً - الكل يشكرون
(آيات ١٩-٢٢)

الرب هو الملك الذي لا نهاية لملكه، وسلطانه سلطان أبدي. فلتسجد له كل الخليقة في شكر وخشوع.

١ - **سبب الشكر:** «الرب في السماوات ثبّت كرسيّه، ومملكته على الكل تسود» (آية ١٩). عرش الله ثابت في السماوات، حيث نورٌ وبهاء ومجد لا تغيير فيه. وهو الملك، صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض. «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه، حيثما شاء يُميله» (أم ٢١: ١).. اعتقد إخوة يوسف أنهم تخلّصوا منه بإلقائه في البئر وبيعه عبداً. لكن الرب أقامه على خزائن مصر (تك ٤٥: ٢٥-٢٨). كما اعتقد شيوخ اليهود أنهم تخلّصوا من المسيح بصلبه وموته ودفنه في القبر، لكن هكذا شُبِّه لهم، فقد بُعث حياً في اليوم الثالث (أع ٢: ٢٤). واعتقل الملكُ هيرودس الرسول بطرس في السجن تمهيداً لقتله، ولكن الرب نجّاه ليذيع الأخبار المفرحة عن خلاص المسيح (أع ١٢: ١١).

٢ - **المدعوون للشكر:**

(أ) **ملائكته:** «باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه» (آية ٢٠). ولعل المرنم قصد بالملائكة المقتدرين قوة الصفوف العليا من الملائكة، وهم أكثر الخلائق قوة، المستعدون دائماً لتنفيذ أوامر الرب، وهم الأكثر قدرةً على تسبيح الخالق العظيم بسبب المكانة السامية التي منحها لهم، وبسبب تكليفه لهم بخدمته. ومنهم جبرائيل الملاك الذي بشّر العذراء مريم بميلاد المسيح (لو ١: ٢٦). وقد سمع النبي إشعياء تسبيحهم كجوقة هائلة تهتف: «قدوس. قدوس. قدوس ربُّ الجنود. مجده ملء كل الأرض» فاهتزّت أساسات عتب الهيكل، وامتلأ دخاناً (إش ٦: ٣، ٤).

(ب) **خدامه**: «باركوا الرب يـــا جميع جنوده، خدامه، العاملين مرضاته» (آية ٢١). ولعل المرنم قصد بهم الصف الثاني من الملائكة، وعددهم لا يـُـحصى، قيل عنهم: «ألوفٌ ألوفٌ تخدمه، وربواتٌ ربوات وقوفٌ قدامه» (دا ٧: ١٠). هم جنوده الذيـــن يرســلهم لعمل مرضاته، فهو «الصانع ملائكته رياحاً وخدّامه لهيب نار» (مز ١٠٤: ٤)، وهم يحاربون حروب الرب، فقال النبي أليشع لتلميذه: «لا تخفْ، لأن الذيـــن معنا أكثر من الذين معهم» ففتح الرب عيني تلميذ النبي فأبصر الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار حول أليـــشع (٢مل ٦: ١٦، ١٧). وهم يحاربون في صفّ المؤمنين فإن «ملاك الرب حالٍّ حول خائفيـــه ويـــنجّيهم» (مز ٣٤: ٧) «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك» (مز ٩١: ١١) و«جميـــعهم أرواحٌ خادمة، مرســلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١: ١٤). وهم مدعوون للتســبيـــح، كما رنّم عددٌ كبيـــر منهم في جوّ أرضنا هاتفين: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرّة» (لو ٢: ١٣).

(ج) **جميـــع أعماله**: «باركوا الرب يا جميع أعماله، في كل مواضع ســلطانه. باركي يا نفســي الرب» (آيـــة ٢٢). في ختام مزموره يعود المرنم إلى ما بدأ به، فهو كواحدٍ من خليقة الله يشترك مع كـل الخليقة في الشكر والحمد والترتيل، مشاركاً كل خليقة الله في التسبيح، وهي التي تحدّث بمجد الله وتخبر بعمل يـــديه (مز ١٩: ١). فيا كل مفديي الرب، باركوا الرب، واهتفوا: «أنت مســتحقٌ أيها الـــرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقتَ كل الأشيـــاء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ ٤: ١١).

المزمور المئة والرابع

١ باركي يا نفسي الربَّ. يا ربُّ إلهي قد عظُمْتَ جداً. مجداً وجلالاً لبسْتَ. ٢ اللابسُ النورَ
كثوبٍ، الباسطُ السماواتِ كشُقّة. ٣ المسقِّفُ علاليَه بالمياهِ، الجاعلُ السحابَ مركبته، الماشي
على أجنحةِ الريحِ. ٤ الصانعُ ملائكته رياحاً وخدّامَه ناراً ملتهبةً. ٥ المؤسِّسُ الأرضَ على
قواعدِها فلا تتزعزعُ إلى الدهرِ والأبدِ. ٦ كسوْتَها الغمرَ كثوبٍ. فوقَ الجبالِ تقفُ المياهُ. ٧ مِن
انتهارِكَ تهربُ. مِن صوتِ رعدِكَ تَفِرُّ. ٨ تصعدُ إلى الجبالِ. تنزلُ إلى البقاعِ، إلى الموضعِ الذي
أسَّسْتَه لها. ٩ وضعتَ لها تُخُماً لا تتعدّاه. لا ترجعُ لتغطّي الأرضَ.

١٠ المفجِّرُ عيوناً في الأوديةِ. بين الجبالِ تجري. ١١ تسقي كلَّ حيوانِ البَرِّ. تكسرُ الفراءُ
ظمأها. ١٢ فوقَها طيورُ السماءِ تسكنُ. من بينِ الأغصانِ تُسمِّعُ صوتاً. ١٣ الساقي الجبالَ مِن
علاليه. مِن ثمرِ أعمالِكَ تشبعُ الأرضُ. ١٤ المُنبتُ عشباً للبهائمِ، وخُضرةً لخدمةِ الإنسانِ، لإخراجِ
خبزٍ من الأرضِ ١٥ وخمرٍ تفرِّحُ قلبَ الإنسانِ، لإلماعِ وجهِه أكثرَ من الزَّيتِ، وخبزٍ يُسندُ قلبَ
الإنسانِ. ١٦ تشبعُ أشجارُ الربِّ، أرزُ لبنانَ الذي نَصَبَهُ، ١٧ حيث تعشِّشُ هناكَ العصافيرُ. أما اللَّقْلَقُ
فالسَّرْوُ بيتُه. ١٨ الجبالُ العاليةُ للوعولِ. الصخورُ ملجأٌ للوبارِ.

١٩ صنع القمرَ للمواقيتِ. الشمسُ تعرفُ مغربَها. ٢٠ تجعلُ ظلمةً فيصيرُ ليلٌ فيه يدبُّ كلُّ
حيوانِ الوعرِ. ٢١ الأشبالُ تُزمجِرُ لتخطفَ ولتلتمسَ من اللهِ طعامَها. ٢٢ تُشرقُ الشمسُ فتجتمعُ،
وفي مآويها تربِضُ. ٢٣ الإنسانُ يخرجُ إلى عمله وإلى شغلِه إلى المساءِ.

٢٤ ما أعظمَ أعمالَكَ يا ربُّ! كلَّها بحكمةٍ صنعْتَ. ملآنةٌ الأرضُ مِن غِناكَ. ٢٥ هذا البحرُ
الكبيرُ الواسعُ الأطرافِ: هناكَ دبّاباتٌ بلا عددٍ. صغارُ حيوانٍ مع كبارٍ. ٢٦ هناكَ تجري السفنُ.
لَوياثانُ هذا خلقتَهُ ليلعبَ فيه. ٢٧ كلُّها إياكَ تترجّى لترزقَها قوتَها في حينه. ٢٨ تعطيها فتلتقطُ.
تفتح يدَكَ فتشبعُ خيراً. ٢٩ تحجبُ وجهَكَ فترتاعُ. تنزعُ أرواحَها فتموتُ وإلى ترابِها تعودُ.
٣٠ترسلُ روحَكَ فتُخلَقُ. وتجدِّدُ وجهَ الأرضِ.

٣١ يكون مجدُ الربِّ إلى الدهرِ. يفرحُ الربُّ بأعماله. ٣٢ الناظرُ إلى الأرضِ فترتعدُ. يمَسُّ
الجبالَ فتدخِّنُ. ٣٣ أغنّي للربِّ في حياتي. أرنِّم لإلهي ما دمتُ موجوداً، ٣٤ فيلَذُّ له نشيدي،
وأنا أفرحُ بالربِّ. ٣٥ لتُبَدِ الخطاةُ من الأرضِ، والأشرارُ لا يكونوا بعد. باركي يا نفسي الربَّ.
هللويا.

تسبيح إله الخليقة

في مزمور ١٠٣ سبّح المرنم إله النعمة والفداء، وفي مزمور ١٠٤ يسبّح إله الخليقة. ويبدأ المزموران وينتهيان بعبارة «باركي يا نفسي الرب» لنحثّ نفوسنا على الشكر، ونحضّ الآخرين

على تســبيــح الخالق، رب الفداء. ويـــتحدث مزمورنا عن الخالق الذي يُشبع خليقته بالخير، فترفع القلوب له التســبيــح لأنه يـــهتم بخليقته ويدبِّر لها كل ما تحتاجه، فيهتف التقي: «الرب راعيَّ فلا يـــعوزني شيء.. إنما خيــر ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» (مز٢٣). ويدعونا مزمورنا لأن نرفع عيــوننا إلى أعلى من حيث يأتي عوننا، فننتعش بالرب ونفرح به، وتصبح حياتنا حياة نصرة ورفعة به، ويزيد اقترابنا منه.

هذا المزمور الذي يـــسبح إله الخليقة هو نظم شعري للأصحاح الأول من ســفر التكوين، فهو يتحدث عن الأيام الستة التي خلق الله فيها كل شيء:

في اليوم الأول خلق الله النور (تك ١: ٣-٥) وهو ما يقوله المرنم في الآية ٢أ.

وفي اليـــوم الثاني خلق الجلَد، أي القبة الزرقاء، وجه الســماء المنظور (تك ١: ٦-٨) وهو ما يقوله المرنم في الآية ٢ب-٤.

وفي اليوم الثالث خلق الرب الأرض والشجر (تك ١: ٩، ١٠) وهو ما يقوله المرنم في الآيات ٥-٩.

وفي اليــوم الرابع خلق الله الشمس والقمر والنجوم (تك ١: ١٤-١٩) وهو ما يــقوله المرنم في الآيات ١٩-٢٣.

وفي اليوم الخامس خلق الله الأسماك والطيور (تك ١: ٢٠-٢٣) وهو ما يقوله المرنم في آيتي ٢٥، ٢٦.

وفي اليـــوم الســادس خلق الله الحيوان ثم الإنســان (تك ١: ٢٤-٢٨) وهو ما يقوله المرنم في الآيات ٢١-٢٤.

ودبر الله لهذه الخليقة جميعها طعامها (تك ١: ٢٩-٣١) وهو ما يقوله المرنم في الآيات ٢٧-٣٠.

ويــشبه مزمورنا أنشودة الملك المصري القديم أخناتون (١٣٧٠-١٣٥٣ ق م) الذي كتب قصيدته يــسبح الإله الواحد الذي رمز له بقرص الشمس، وتحدث فيها عن طعام الحيوان (كما في آيات ١٠-١٢ من مزمورنا)، وعن حيوانات الليل والنهار (كما في الآيات ٢٠-٢٣)، وعن الســفن في البحار (كما في آيــتي ٢٥، ٢٦). وتذكر قصيدة أخناتون أن الحياة والموت هما بأمره (كما في آيات ٢٧-٣٠). ورغم ما بيــن القصيــدة ومزمورنا من تشابه، إلا أن المزمور يتحدث عن خالق الشمس رب الــعناية، الذي لم يدركه أخناتون، ولم يستطع أن يرى من وراء الشمس، ولم يدرك أنه لا منفعة تحت الــشمس. أما نحن فنشكر الرب الذي أنارنا بكلمته المقدسة التي كتبها أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢بط ١: ٢١)، ليرفع أفكارنا إلى خالق الشمس والقمر والنجوم، وجابل الإنسان ومدبر أموره، وقائده إلى الأبدية الســعيدة، فيقول: «عرَّفتني سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك» (أع ٢: ٢٨).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – عمل إله الخليقة (آيات ١-٢٣)

ثانياً– تأمل إله الخليقة (آيات ٢٤-٣٠)

ثالثاً – عبادة إله الخليقة (آيات ٣١-٣٥)

أولاً - عمل إله الخليقة
(آيات ١-٢٣)

١ – عمل الإله الجليل: (آيات ١-٣).

(ا) **جليل في عظمته:** «باركي يا نفسي الرب. يا رب إلهي قد عظمت جداً» (آية١ أ). حث المرنم نفسه على أن يشكر الله وأن يتحدث بما فاض به قلبه من تعظيم وإجلال للرب الخالق ضابط الكل. فما أعظمه وما أعظم أعماله وحكمته العالية.

(ب) **جليل في نوره:** «مجداً وجلالاً لبست. اللابس النور كثوب» (آيتا ١ب، ٢أ). يكتسي الرب بالمجد، ويحيط به الجلال والإكرام من ملائكته وقديسيه. وقد لبس النور كثوب لا ليحجب نفسه، بل ليعلن عن ذاته وجوهره بالوضوح والنقاء والجمال فإن «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (١يو ١: ٥).

(ج) **جليل في مكانته:** «الباسط السماوات كشقة» (آية ٢ب). الله ساكن السماوات العُلا، وقد بسط الجلد الأزرق كقماشة خيمة كبيرة متصلة بغير انفصال، فكأنها قصر عظيم، وعد محبيه أنه يجهّز لهم فيه مكاناً، ومتى أعدّه يأتي ويأخذهم، حتى حيث يكون هو يكونون هم أيضاً (يو ١٤: ١-٤). وإلى أن يأتي جعل كل من يسكن في ستره يبيت في ظله (مز ٩١: ١).

(د) **جليل في حركته:** «المسقِّف علاليه بالمياه. الجاعل السحاب مركبته. الماشي على أجنحة الريح» (آية ٣). كما ثبت الرب كل شيء بكلمة فمه ثبت المياه في السحب وكأنها سقف للأرض، وجعل السحاب المتصاعد من مياه البحار مركبة له، فكان يسير أمام شعبه «نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق» (خر ١٣: ٢١). وفي نهاية العالم «يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير» (مت ٢٤: ٣٠). وهو الماشي على أجنحة الريح، وقد «هفَّ على أجنحة الرياح» (مز ١٨: ١٠). وقد سمع أبوانا الأوَّلان: «صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة» (تك ٣: ٨). وهو موجود في كل مكان، يسرع إلى معونة أولاده بقوة وسلطان على الطبيعة وعلى الظروف وعلى الصعاب وعلى الضيقات.

٢ - **عمل الإلـه الخالق**: «الصانع ملائكته ريـاحاً وخدامه ناراً ملتهبة. المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد» (آيـتا ٤، ٥). خلق الرب الملائكة أرواحاً خادمة، كالرياح في سـرعتها، وكالنار في قوتها. وقد اقتبست هذه الآية في عبرانيين ١: ٧. وهم في محضره كل حين يسـبحونه ويقدسون له (إش ٦: ١-٣). ويشترك الأتقياء معهم قائلين: «أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها. أنت تحييها كلها، وجند السـماء لك يسجد» (نح ٩: ٦). ولأن الرب إلهنا نار آكلة (عب ١٢: ٢٩) فقد جعل خدّامه ناراً ملتهبة، متأهبين لتنفيذ أوامره في السماء والأرض.

٣ - **عمل الإله صاحب السلطان**: «كسـوتها الغمر كثوب، فوق الجبال تقف المياه. من انتهارك تهرب، من صوت رعدك تفر. تصعد إلى الجبال، تنزل إلى البقاع إلى الموضع الذي أسـسته لها. وضعت لها تخماً لا تتعداه. لا ترجع لتغطي الأرض» (آيـات ٦-٩). في البدء كانت الميـاه تغطي وجه الأرض كما يـغطي الثوب الجسـد. وأمر الله: «لتجتمع المياه تحت السـماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسـة. وكان كذلك» (تك ١: ٩). ولا تزال كل المياه تطيع صوت الرب الذي وضع لها حدوداً لا تتخطاها، ويـقول الرب: «أنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر فريضة أبدية لا يتعداها، فتتلاطم ولا تسـتطيـع، وتعج أمواجه ولا تتجاوزها» (إر ٥: ٢٢) حتى لا تهلك الأرض كما وعد نـوحاً وبنيه: «أقيم ميثاقي معكم.. لا يكون طوفان ليخرب الأرض» (تك ٩: ١١). وجعل الرب قوة الميـاه الجبارة في خدمة خليقته، فالماء الموجود في البحار والأنهار يتبخر فيصعد سـحاباً، وينزل مصحوباً بصوت الرعد إلى أرضنا فيروي الجبال ويكسوها خضرة. وينزل جليداً يتحوّل مياهاً تعود إلى منابعها، فتخصب الوديان وتنتج خيراً للإنسان والطير والحيوان.

٤ - **عمل الإله المعتني**: (آيات ١٠-١٨).

هذا الإله العظيم الذي خلق كل حي يعتني بكل مخلوقاته، فقد قال المسـيح: «انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت ٦: ٢٦).

(أ) **يـروي العطاش**، «المفجّر عيوناً في الأودية، بين الجبال تجري. تسقي كل حيوان البر، تكسر الفراء ظمأها» (آيـتا ١٠، ١١). يـفجر الرب عيون مياه تجري بين الجبال، فتخرج من الصخور تسـقي كل حيوان بري غير مستأنس كالفَراء (حُمُر الوحش)، كما تروي كل حيوان أليف، وتروي البشر، فيـقول التقي: «أخرجت لهم ماء من الصخرة لعطشهم» (نح ٩: ١٥). وكما يـروي الرب عطشنا الجسدي بالماء يروي ظمأنا الروحي بالروح القدس (يو ٧: ٣٨، ٣٩).

(ب) **يُسكن الطيور**: «فوقها طيور السماء تسكن. من بين الأغصان تسمّع صوتاً» (آية ١٢). «العصفور أيضاً وجد بيتاً، والسنونة عشاً لنفسها حيث تضع أفراخها. مذابحك يا رب الجنود ملكي وإلهي» (مز ٨٤: ٣). فتتغنى للإله المعتني.

(ج) **يشبع الجياع**: «الساقي الجبال من علاليه. من ثمر أعمالك تشبع الأرض. المنبت عشباً للبهائم، وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض، وخمر تفرّح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت، وخبز يسند قلب الإنسان» (آيات ١٣-١٥). يمطر الله على الجبال العالية فترتوي الوديان وينمو العشب طعاماً للبهائم، وتنمو الحبوب لتكون خبزاً للإنسان تسد احتياجاته الأساسية، وتثمر الكروم فيكون عصيرها فرحاً يمتع الإنسان بالكماليات، فيسعد ويلمع وجهه. وفي نور العهد الجديد نفهم أن الخبز الحي هو المسيح الذي قال: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً.. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٣٥، ٥١).

(د) **يهتم بالنبات والحيوان**: «تشبع أشجار الرب، أرز لبنان الذي نصبه. حيث تعشّش هناك العصافير. أما اللقلق فالسرو بيته. الجبال العالية للوعول، الصخور ملجأ للوبار» (آيات ١٦-١٨). يضمن الرب الحياة لكل مخلوقاته، صغيرة وكبيرة، فيهيئ لها سكنها، فأشجار الرب العالية مثل أرز لبنان تشبع من الشمس والماء والتربة الخصبة، وتسكنها العصافير. أما اللقلق، وهو طائر طويل المنقار والساقين، أبيض الريش، أسود الجناحين فقد وجد بيتاً له في أشجار السرو الضخمة. ولم تعدم الوعول مخبأ، فوجدته في الجبال العالية. أما الوبار، ذلك الحيوان الذي يشبه الأرنب ويفوقه في جلده الثمين فقد قدمت له الصخور المأوى الآمن.

٥ - عمل الإله المنظِّم: (آيات ١٩-٢٣).

(أ) **نظام القمر والشمس**: «صنع القمر للمواقيت، الشمس تعرف مغربها» (آية ١٩). جعل الرب دورة الحياة تتناوب بين نهار تشرق الشمس فيه فتضيء وتدفئ، ثم تغيب فيظهر القمر ويعقب الليل النهار، ويعرف الناس بدايات الشهور، فتتم الأعياد وتقام الاحتفالات. وحكم الرب الشمس وشروقها، كما عيّن وقت غروبها، وحدد مواعيد ظهور القمر بحكمة. وثبت الاثنين في السماء ليرشد خليقته ويعلمهم الطاعة والمثابرة والنظام.

(ب) **نظام العمل والراحة**: «تجعل ظلمة فيصير ليل، فيه يدب كل حيوان الوعر. الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها. تشرق الشمس فتجتمع وفي مأويها تربض. الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء» (آيات ٢٠-٢٣). تشرق الشمس أو يطلع القمر، فيسعى كل حي

في الأرض إلى رزقه، أو يأوي إلى مكان راحته من عناء يومه. ويعرض المرنم مفارقة بين خليقة الله، فحيوان الوعر والأشبال تجول ليلاً تلتمس طعامها، ثم تهجع نهاراً. أما الإنسان فيكد ويعمل يومه حتى يأتي المساء فيأوي إلى فراشه ليستريح.

ثانياً - تأمل إله الخليقة
(آيات ٢٤-٣٠)

١ - انبهار: «ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمةٍ صنعتَ. ملآنةٌ الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف، هناك دبابات بلا عدد، صغار حيوان مع كبار. هناك تجري السفن. لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه» (آيات ٢٤-٢٦). بعد أن عدَّد المرنم بعض أعمال الرب توقَّف يتأمل بانبهار عظمة صنع هذا الخالق الحكيم الذي فاقت قدرته وحكمته حدود عقلنا البشري. «ما أكرم أفكارك يا الله عندي. ما أكثر جملتها. إن أحصها فهي أكثر من الرمل» (مز ١٣٩: ١٨). ويترنم كل تقي بسخاء الرب الذي يفيض على الأرض من غناه فتمتلئ من جوده. وتنوَّعت مصادر هذا الغنى بخيرات على سطح الأرض أو في باطنها، وتعددت أشكالها وألوانها، وكلها لخدمة الإنسان الذي يجب أن يشكر مع يعقوب قائلاً: «صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعتها إلى عبدك» (تك ٣٢: ١٠).

ويتأمل المرنم عظمة عالم البحار بما فيه من تنوع الأسماك والأحياء من صغار وكبار، فهناك الذي لا نراه بالعين المجردة، وهناك لوياثان الضخم (أي التمساح). والله يرزقها كلها طعامها، فتمرح وتلهو سعيدة. وجعل البحر في خدمة الإنسان إذ يُخرِج منه قوتاً ينوِّع طعامه، كما جعله تسهيلاً لسفره ونقل حاجياته على السفن التي تحمل الناس والبضائع.

٢ - انتظار: «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط، تفتح يدك فتشبع خيراً» (آيتا ٢٧، ٢٨). يعطي الرب بسخاء ولا يعيِّر، ولكن الإنسان في طمعه وجشعه يحب أن يمتلك أكثر! ومن فضل الله أنه لا توجد في العالم أزمة في الطعام أو الموارد الطبيعية، ولكن البشر يخلقون المشاكل بسوء التوزيع. أما في عالم الحيوان والأسماك والطيور فالأمر يختلف، لأنه متروك للرب الذي يرزق في حينه بكفاية وعدل. ومع هؤلاء يهتف التقي: «كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقاً تُخلِّي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥).

٣ - خضوع: «تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود. ترسل روحك فتُخلَق وتجدد وجه الأرض» (آيتا ٢٩، ٣٠). تحيا خليقة الله تحت سلطانه، وبإشراق نور وجهه ترى نوراً (مز ٣٦: ٩) ولها فيه وبه الحياة. فإن حجب الله هذا النور يصير الظلام والخوف

والتخبط والضيـــاع. وقد يحس التقي في زمن الضيق أو الاضطهاد أو الارتداد أو المرض أن الرب قد حجب وجهه عنه. ولكن الأكيد أن خطية الخاطئ تحجب وجه الله عنه، كما يقول الوحي: «آثامكم صارت فاصلة بيـــنكم وبين إلهكم، وخطاياكم ســـترت وجهه عنكم حتى لا يســـمع» (إش ٥٩: ٢). وللرب ســـلطان الموت مثلما له ســـلطان الحياة، وهذا أمر طبيعي لأنه الخالق، فعندما ينزع الروح يموت المخلوق، وعندما يرســـل روحه يخلق ويجدد. خلق آدم من تراب ونفخ فيه فصار نفساً حية. وســـلطانه على أرواحنا دائم، ينزعها أو يجددها. وسلطانه على أجسادنا كسلطانه على أرواحنا، فقد أقام المســـيح لعازر من بين الأموات بعد أربعة أيام (يو ١١) وأقام ابن أرملة نايين وهو في طريقه إلـى المقابر (لو٧) وأقام ابنة يايرس في الغرفة التي ماتت فيها (مر ٥). ولا يزال يقيم موتى الخطية ويـــجدد الخاطئ الهالك، ويغفر خطاياه، كما جدد المرأة الســـامرية (يو ٤) والمرأة الخاطئة (لو ٧) ومتى العشار (مر ٢) وشاول الطرسوسي (أع ٩). ونحن ننتظر حياة مجيدة عند مجيء المسيح ثانية من الســـماء، فإن الرب نفسه سوف ينزل من السماء بهتاف، فيقوم أولاً الأموات المؤمنون بالمسيح، فيخطفهم مع الأحياء المؤمنين في السحب لملاقاته في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب (١تس ٤: ١٥-١٧).

ثالثاً - عبادة إله الخليقة
(آيات ٣١-٣٥)

١ - **نعبده بسبب مجده:** «يكون مجد الرب إلى الدهر. يفرح الرب بأعماله. الناظر إلى الأرض فترتعد. يـــمس الجبال فتدخّن» (آيتا ٣١، ٣٢). مجده باقٍ إلى الأبد، وملكوته لن يزول، ونحن نتعبَّد له ونحبه ونتكل عليـــه لأنه أحبنا فضلاً، وأحبنا أولاً (هو ١٤: ٤، ١يـــو ٤: ١٩). وهو يفرح بعمل يـــديه، صانعي إرادته، الخاضعين لســـلطانه، المقدِّرين لشريعته التي يصف الوحي نزولها بالقول: «وكان جبل ســـيـــناء كله يـــدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كل الجبل جداً» (خر ١٩: ١٨).

٢ - **نعبده بالترنيم والفرح:** «أغني للرب في حياتي، أرنم لإلهي ما دمت موجوداً. فيلذ له نشيدي، وأنا أفرح بالرب» (آيتا ٣٣، ٣٤). نعبده بالتســـبيح ما دامت فينا نســـمة حياة، وبهذا نقدم له ذبيحة حمد، ثمر شفاه معترفة باســـمه (عب ١٣: ١٥). لن ينقطع تسبيحنا له في سمائه، فلنبدأه الآن، لأنه يحب تسبيحنا الذي يلذ له، ونحن نفرح به عندما يرد سبينا فنصير كالحالمين، وتمتلئ أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنماً (مز ١٢٦).

٣ – **نعبده لأنه الديان:** «لتَبِدِ الخطاةُ من الأرض، والأشرار لا يكونوا بعد. باركي يا نفسي الرب، هللويا» (آية ٣٥). تحتمل طلبة المرنم بإبادة الأشرار أن يهلك الخطاة بشرّهم، فإن الشر يميت الشرير (مز ٣٤: ٢١). وتحتمل معنى موتهم عن الخطية عند توبتهم طاعة للأمر الرسولي: «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ١١). وفي نور تعليم الإنجيل يتشوّق التقي أن يشرق الله بنوره على الخطاة فيتوبون لأنه «يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون» (١تي ٢: ٤)، فتبارك نفوسنا الرب وتهتف: هللويا. سبِّحوا الرب!

المزمور المئة والخامس

١ احمدوا الربَّ. ادعوا باسمه. عرِّفوا بين الأممِ بأعماله. ٢ غنّوا له. رنّموا له. أنشِدوا بكلِّ
عجائبه. ٣ افتخروا باسمه القدوس. لتفرحْ قلوبُ الذين يلتمسون الربَّ.
٤ اطلبوا الربَّ وقدرتَه. التمسوا وجهَه دائماً. ٥ اذكروا عجائبَه التي صنع. آياتِه وأحكامَ
فمه. ٦ يا ذرِّيةَ إبراهيمَ عبدِه، يا بني يعقوبَ مختاريه. ٧ هو الربُّ إلهُنا. في كلِّ الأرضِ أحكامُه.
٨ ذَكَرَ إلى الدهرِ عهدَه، كلاماً أوصى به إلى ألفِ دور، ٩ الذي عاهد به إبراهيمَ وقسمه لإسحاقَ
١٠ فثبَّتَهُ ليعقوبَ فريضةً ولإسرائيلَ عهداً أبدياً ١١ قائلاً: « لك أعطي أرضَ كنعانَ حَبْلَ
ميراثِكم». ١٢ إذ كانوا عدداً يُحصَى، قليلين وغرباءَ فيها. ١٣ ذهبوا مِن أمَّةٍ إلى أمةٍ، مِن
مملكةٍ إلى شعبٍ آخر. ١٤ فلم يدَعْ إنساناً يظلمُهم، بل وبَّخ ملوكاً مِن أجلِهم. ١٥ قائلاً: «لا
تمسّوا مُسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي». ١٦ دعا بالجوعِ على الأرضِ. كسر قِوامَ الخبزِ كلِّه.
١٧أرسل أمامَهم رجلاً. بيع يوسفُ عبداً. ١٨ آذَوْا بالقيدِ رجليه. في الحديدِ دخلتْ نفسُه ١٩إلى
وقتِ مجيءِ كلمتِه. قولُ الربِّ امتحنه. ٢٠ أرسل المَلكُ فحلَّه. أرسل سلطانُ الشعبِ فأطلقه.
٢١ أقامه سيداً على بيتِه ومُسلَّطاً على كلِّ مُلكه ٢٢ ليأسرَ رؤساءَه حسب إرادتِه، ويعلِّم مشايخَه
حكمةً. ٢٣ فجاء إسرائيلُ إلى مصرَ، ويعقوب تغرَّب في أرضِ حام.
٢٤ جعل شعبَه مثمراً جداً وأعزَّه على أعدائِه. ٢٥ حوَّل قلوبَهم ليبغضوا شعبَه، ليحتالوا على
عبيدِه. ٢٦ أرسل موسى عبدَه وهارون الذي اختاره. ٢٧ أقاما بينهم كلامَ آياتِه وعجائبَ في
أرضِ حام. ٢٨ أرسل ظلمةً فأظلمت، ولم يعصوا كلامَه. ٢٩ حوَّل مياهَهم إلى دمٍ وقتل
أسماكَهم. ٣٠ أفاضت أرضُهم ضفادعَ حتى في مخادعِ ملوكِهم. ٣١ أمر فجاء الذبّانُ والبعوضُ
في كلِّ تخومِهم. ٣٢ جعل أمطارَهم بَرَداً وناراً ملتهبةً في أرضِهم. ٣٣ ضرب كرومَهم وتينَهم،
وكسر كلَّ أشجارِ تخومِهم. ٣٤ أمر فجاء الجرادُ وغوغاءُ بلا عددٍ ٣٥ فأكل كلَّ عشبٍ في
بلادِهم، وأكل أثمارَ أرضِهم. ٣٦ قتل كلَّ بكرٍ في أرضِهم، أوائلَ كلِّ قوَّتِهم. ٣٧ فأخرجهم بفضةٍ
وذهبٍ، ولم يكُن في أسباطِهم عاثرٌ. ٣٨ فرحتْ مصرُ بخروجِهم لأن رعبَهم سقط عليهم.
٣٩ بسط سحاباً سَجْفاً، وناراً لتضيءَ الليل. ٤٠ سألوا فأتاهم بالسلوى، وخبزَ السماءِ أشبعهم.
٤١ شقَّ الصخرةَ فانفجرتِ المياهُ. جرت في اليابسةِ نهراً. ٤٢ لأنه ذكر كلمةَ قُدسِه مع إبراهيمَ
عبدِه. ٤٣ فأخرج شعبَه بابتهاجٍ ومختاريه بترنُّم. ٤٤ وأعطاهم أراضي الأمم، وتَعَبَ الشعوبِ
وَرِثوه، ٤٥ لكي يحفظوا فرائضَه ويطيعوا شرائعَه. هللويا.

العهد كما يحفظه الرب

هـذا ثاني المزامير التاريخية الأربعة، وهي ٧٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٦. والمزموران ١٠٥ و١٠٦ مترابطان، فمزمورنا يـتحدث عن أمانة الرب في حفظه للعهد، بينما مزمور ١٠٦ يتحدث عن عدم أمانة الإنسـان في حفظ العهد. ويختم هذان المزموران الكتاب الرابع من سفر المزامير (وهو الجزء الذي بدأ بمزمور ٩٠).

يـتحدث مزمورنا عن أعمال الله العظيـمة التي فعلها تنفيذاً لعهده مع خليله إبراهيم. وهو يشجع الراجعين من السبي، فإن كان الله قد أعطى الأرض لمجموعة من الرُحَّل في القديم لأنه وعد، فلا بد أن يـحقق وعوده لشعبه العائد من بابل، في قوله: «الصغير يصير ألفاً، والحقير أمة قوية. أنا الرب في وقته أسـرع به» (إش ٦٠: ٢٢). وهو مزمور شكر للرب الذي بارك شعبه، ويـشبه في بدايته (آيـات ١-١٥) ترنيـمة داود عندما نقل تابوت عهد الرب من بيت عوبيد أدوم الجتي إلى أورشليم (١أي ١٦: ٨-٢٢).

في هذا المزمور نجد،

أولاً دعوة لنذكر الرب (آيات ١-٧)

ثانياً الرب يذكر عهده (آيات ٨-١٥)

ثالثاً حقق الرب عهده في يعقوب ويوسف (آيات ١٦-٢٣)

رابعاً حقق الرب عهده في موسى وهارون (آيات ٢٤-٤٥)

أولاً دعوة لنذكر الرب
(آيات ١-٧)

١ - كيف نذكر الرب؟ (آيات ١-٤).

(أ) بالتسبيح له: (آيتا ١، ٢). يدعو المرنم شعبه لحمد الرب والدعاء باسمه والإعلان بالشهادة عن أعماله لجميع الأمم، وذلك بالترتيل له والإنشاد بكل عجائبه، كما رنم موسى وبنو إسرائيل بعد الخروج «أرنم للـرب فإنه قد تعظم» (خر ١٥: ١) وكما رنمت دبورة (قض ٥)، وكما طلب إشعياء: «احمدوا الرب. ادعوا باسـمه. عرِّفوا بين الشعوب بأفعاله. ذكِّروا بأن اسـمه قد تعالى. رنِّموا للـرب لأنه قد صنع مفتخراً. ليـكن هذا معروفاً في كل الأرض» (إش ١٢: ٤، ٥). ومن يسـتطيع السكوت عن الحمد وإذاعة أخبار عمل الله المفرحة معه؟ لا بد أن يهتف اللسان بالحمد،

ويعلن أن الله أعطى بركة غير متوقَّعة، أو شفى من مرض، أو أنقذ من مأزق. إنه الرب «يهوه» دائم الوجود، الذي لا يتغير.

(ب) **بالفخر والفرح:** (آية ٣). تعبُّد الذين يلتمسون الرب يملأ قلوبهم بالفرح، لأنهم يثقون أنه يستجيب لهم، كما قيل: «طلبتُ إلى الرب فاستجاب لي، ومن كل مخاوفي أنقذني» (مز ٣٤: ٤). وهو يرفع أفكارهم نحوه فيفتخرون باسمه القدوس، كما قال إشعياء للمؤمن التقي: «تبتهج بالرب. بقدوس إسرائيل تفتخر» (إش ٤١: ١٦). وهذا ما حدث مع أعضاء الكنيسة الأولى فقد «كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة. وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب» (أع ٢: ٤٦، ٤٧).

(ج) **بالتماس وجهه:** (آية ٤). «اطلبوا.. التمسوا» بالفم والقلب فيتَّجه الإنسان بعقله وقلبه وإرادته للرب طالباً رضاه وعونه ونور وجهه. «اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب» (إش ٥٥: ٦). وما أسعدنا إن أطعنا أمر المسيح: «ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملّ» (لو ١٨: ١). «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو ١٦: ٢٤). إنه يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثِّر شدَّةً (إش ٤٠: ٢٩).

٢ - ماذا نذكر للرب؟ (آيات ٥-٧).

(أ) **نذكر عجائبه وأحكامه:** (آية ٥). «اذكر ما فعله الرب إلهك بفرعون» (تث ٧: ١٨). لنذكر معجزة الخروج والأحكام التي أصدرها ضد فرعون قاسي القلب، ثم نفَّذها. وهل يمكن أن ننسى كم صنع الرب بنا ورحمنا؟ لا بد أن نذكر خروجنا من مصاعب لا مخرج منها بفضل محبته. «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته.. الذي يفدي من الحفرة حياتك» (مز ١٠٣: ٢، ٤). اذكر معجزات شفائه وإنقاذه، وقُل له: «أحمدك من أجل أني قد امتزتُ عجباً. عجيبة هي أعمالك، ونفسي تعرف ذلك يقيناً» (مز ١٣٩: ١٤).

(ب) **نذكر اختياره:** (آية ٦). لقد اختار إبراهيم ونسله، اختيار نعمة لا اختيار استحقاق «ولأجل أنه أحب آباءك واختار نسلهم من بعدهم، أخرجك بحضرته، بقوته العظيمة من مصر» (تث ٤: ٣٧). وقد اختار نسلاً روحياً لإبراهيم من كل شعب، فيؤمنون إيمان إبراهيم، ويتبعون الرب الذي تبعه إبراهيم. وما أصدق القول الرسولي: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه.. والذين سبق فعيَّنهم فهؤلاء دعاهم أيضاً. والذين دعاهم فهؤلاء برَّرهم أيضاً. والذين بررهم فهؤلاء مجَّدهم أيضاً» (رو ٨: ٩، ٣٠).

(ج) **نذكر ربوبيته:** (آية ٧). هو رب شعبه الذي اختاره، كما أنه رب الأرض كلها، يُصدر

أحكامه على الجميــع، لأنه «ديان كل الأرض» (تك ١٨: ٢٥). «فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا، متغاضياً عن أزمنة الجهل، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمعٌ أن يدين المســكونة بالعدل برجل قد عيَّنه، مقدِّماً للجميع إيماناً، إذ أقامه من الأموات» (أع ١٧: ٣٠، ٣١).

ثانياً - الرب يذكر عهده
(آيات ٨-١٥)

١ - عهد بوطن: (آيات ٨-١١).

(أ) **عهد مستمر:** (آية ٨). يذكر الرب عهده لإبراهيم وإسـحاق ويعقوب ونسلهم ولا ينساه، لأنه أوصى به إلى ألف دور، فهو «الإله الأمين الحافظ العهد والإحسـان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث ٧: ٩). يذكره إلى أن يحققه.

(ب) **عهد مؤكد:** (آيات ٩-١١).

(١) **عاهد به إبراهيم:** (آية ٩). بأن قال له: «لنسلك أعطي هذه الأرض» (تك ١٢: ٧) وكرر له الوعد مرات أخرى (تك ١٣: ١٤ و١٥: ١٨ و١٧: ٢) وأقسم له بهذا (تك ٢٢: ١٦).

(٢) **قسمه لإسحاق:** (آية ٩). وقال له: «لنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الذي أقسمتُ لإبراهيم أبيك» (تك ٢٦: ٣-٥).

(٣) **ثبَّته ليعقوب:** (آية ١٠). فقال له يوم كان مســافراً إلى بيت خاله لابان: «الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنســلك» (تك ٢٨: ١٣-١٥)، وكرر له الوعد بعد أن غيَّر اســمه إلى إسرائيل (تك ٣٥: ٩-١٢).

(ج) **نص العهد:** (آية ١١). «كنعان حبل ميراثكم» فقد كانوا يقيســون الأرض بالحبل ويقسمونها بــه. فيكونُ المعنى أن كنعان نصيب ميراث نسل إبراهيم. وكما قسم لشعبه أرضاً اختارهم نصيباً له، كما قيل: «إن قسم الرب هو شعبه.. وجده.. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة العين» (تث ٣٢: ١٠).

٢ - أصحاب العهد: (آيات ١٢-١٥).

(أ) **قليـلون:** (آية ١٢أ). تظهر أمانة الله لعهده من أنه قدّم وعداً بأرض متّســعة لعدد قليل، كان سـيزيده عدداً، وهذا ما قاله يعقوب عن أسرته: «أنا نفرٌ قليل» (تك ٣٤: ٣٠). وشعب الرب الحقيقي في كل وقت وفي كل العالم أقلية، ولكنه يقول لهم: «لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت» (لو ١٢: ٣٢).

(ب) مغتربون: (آيــة ١٢ب، ١٣). ينتقلون من بلد إلى بلد، كما قيل: «بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يــخرج إلى المكان الذي كان عتيــداً أن يــأخذه ميراثاً، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. بالإيمان تغرّب في أرض الموعد كأنها غريبة، ساكناً في خيام مع إسحاق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد بعينه» (عب ١١: ٨، ٩).

(ج) محروســون: (آيتا ١٤، ١٥). لم يســمح الله لأحد أن يظلم هؤلاء الآباء، بل وبَّخ ملوكاً من أجلهم، فوبَّخ فرعون (تك ١٢: ١٧) وأبيمالك (تك ٢٠، ٢٦)، وأمر أن لا يمس أحدٌ مسحاءه وأنبياءه بســوء. ومع أن الآباء لم يكونوا ممســوحين بدهن المسحة المقدس، إلا أنهم اعتُبروا مسحاء لأن الله اخــتارهم للقيام بواجبات مقدسة، وخصصهم لخدمات معينة، ودُعي إبراهيم نبياً (تك ٢٠: ٧). والنبي هو الذي يــكلم الناس بكلمات بنيان تبني حياتهم الإيمانية، وكلمات وعظ تشجع الســائرين في برية الحياة، وكلمات تسلية عن معاملات الله مع شعبه عبر التاريخ (١كو ١٤: ٣، ٤). وكم نتشجع ونحن نسمع: «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير» (١بط ١: ٥).

ثالثاً - حقق الرب عهده في يعقوب ويوسف (آيات ١٦-٢٢)

في هذه الآيات يروي المرنم الأحداث التي انتهت بهجرة يعقوب من كنعان إلى مصر.

١ - جوع: (آيــة ١٦). يقول المرنم إن الله دعا الجوع ليأتي على الأرض، كما قال الله: «دعوتُ بــالحر على الأرض وعلى الجبال وعلى الحنطة وعلى المسطار وعلى الزيت وعلى ما تُنبته الأرض وعلى الناس وعلى البهائم وعلى كل أتعاب اليدين» (حج ١: ١١). واســتخدم الله المجاعة في كنعان لــتحقق مقاصده. ويسمّي الجوع «كسر قوام الخبز» كأن الخبز هو العصا الذي تقوم عليه الحياة، كما تحدث النبي إشعياء عن سند الخبز وسند الماء (إش ٣: ١).

٢ - بيع وسجن: (آيتا ١٧، ١٨). أرسل الله يوسف إلى مصر من قبل مجيء المجاعة ليهيء له ولإخوته طريق الرفعة والشبع، كما قال لهم: «لاســتبقاء حياة أرسلني الله أمامكم» (تك ٤٥: ٥). فقد ســمحت عناية الله أن يُباع يوســف عبداً وأن توضع رجلاه في القيود. وفي هذا يقول المرنم: «في الحديد دخلت نفســه» وهو قول يحتمل معنى أن «الحديد دخل إلى نفســه» فيكون أن يوســف الفتى المدلل صاحب القميص الملوَّن صار في الســجن قوياً كالحديد. ولا يسمح الله بحدوث ألم للمؤمن إلا للخير. «قولوا للصديق خير» (إش ٣: ١٠).

٣ - رفعة وسلطان: (آيــات ١٩-٢٢). ظل يوســف ســجيناً «إلى وقت مجيء كلمته» أي وقت

تحقيــق وعود الله ليــوســف في أحلامه (تك ٣٧: ٥-١١) فحقَّ له أن يقول: «هذه هي تعزيتي في مذلتي لأن قولك أحياني» (مز ١١٩: ٥٠). وكان وجود يوسـف في الســجن امتحاناً لإيمانه، جازه بنجاح، بعد أن تعلَّم التواضع والصبر، وهو يــقول مع أيوب: «إذا جرَّبني أخرج كالذهب. بخطواته اســتمسكت رجلي. حفظتُ طريقه ولم أحِد» (أي ٢٣: ١٠، ١١).. وفي الموعد المحدد من عند الله أرسل فرعون ليستدعي يوسف ليكون رئيس وزراء مصر وكبير حكمائها، وصدقت مواعيد الله الذي قال: «لأني أعيِّن ميعاداً» (مز ٧٥: ٢).

٤ – **شـبع:** (آية ٢٣). وهكذا جاء يعقوب أب الأسـباط إلى مصر ضيفاً على فرعون، ولكنه أقام فيها، وأقام نسله من بعده كضيوف، وليسوا كأصحاب أرض.

رابعاً - حقق الرب عهده في موسى وهارون (آيات ٢٤-٤٥)

في هذه الآيات يروي المرنم الأحداث التي انتهت بخروج بني إسرائيل من مصر وبلوغهم أرض كنعان.

١ – **نجاح:** (آيــة ٢٤). بعد مجيء يعقوب إلى مصر يقول الوحي: «وأما بنو إســرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً وامتلأت الأرض منهم» (خر ١: ٧).

٢ – **اضطهاد:** (آية ٢٥). ســمح الله أن يتحوّل قلب فرعون ضد بني إسرائيل لكي يخرجوا إلى أرض الموعد التي وعد الله بها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فيخرج من الآكل أكل ومن الجافي حلاوة ومن الصعوبة بركة (قض ١٤: ١٤). وهو لم يعطنا روح الفشل، بل أعطانا روح القوة (٢تي ١: ٧).

٣ – **تكليف:** (آيتا ٢٦، ٢٧). جهَّز الله موسى ليقوم بتحرير الشعب المستعبَد من ذل فرعون، فهيأ له فرصة التدريــب العلمي في مصر حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم فرصة الرياضة الروحية في مديان مدة أربعين سنة. وهيأ هارون ليكون له معيناً. وفي الثمانين من العمر أمر الله موسى أن يقود شعبه إلى الحرية.

٤ – **ضربات:** (آيات ٢٨-٣٦). أنقذ الله شعبه المضطهَد بضربات أوقعها على فرعون، والتي نقرأ عـنها في خروج ٧-١١. وقد بدأ المرنم بذكر الضربة التاسعة، وهي ضربة الظلام (آية ٢٨)، لأنها الضربة التي هيَّأت فرعون وشعبه ليُخرِجوا بني إســرائيل، كما أنها كانت موجَّهة ضد الإله رع (الشمس) كبير آلهة فرعون. وبســبب ضربة الظلام لم يعص موســى وهارون كلام الرب، كما لم يــعصه فرعون. ويــعدِّد المرنم الضربات من تحويل الماء إلى دم وهي الضربة الأولى (آية ٢٩)، والضفادع وهي الضربة الثانيــة (آية ٣٠)، والذباب وهي الضربة الرابعة، والبعوض وهي الضربة

الثالثة (آيـة ٣١)، والبرد وهي الضربة الســابعة (آيـــة ٣٢)، والجراد وهي الضربة الثامنة (٣٤)، وأخيراً موت الأبكار وهي الضربة العاشرة (آية ٣٦). ولم يذكر المرنم الضربتين الخامسة والسادسة (ضربتي موت المواشي والدمامل).

٥ - **خروج:** (آيتا ٣٧، ٣٨). وبعد الضربات العشر أخرج الرب بني إســرائيل من مصر يحملون ذهباً وفضة، وكأنهم جيـش منتصر، لا يتعثَّر فيه جندي، وقد وقع الرعب على أعدائهم. «إن أرضت الرب طرق إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم ١٦: ٧).

٦ - **عناية:** (آيتا ٣٩-٤٥).

(أ) **عمود سحاب:** (آية ٣٩). بسط الرب عمود سحاب سَجْفاً (أي ستارة) ليحمي شعبه من الشمس المحرِقة أثناء ســفرهم في شبه جزيرة سيناء، وليضيء لهم ليلاً وليرشدهم إن هم سافروا بالليل (خر ١٣: ٢١، ٢٢).

(ب) **السلوى والمن:** (آية ٤٠). عندما اشتاقوا إلى اللحم ســاق لهم طيور السلوى (السمان)، وكان كل صباح يعطيهم المن (خر ١٦: ١٣). وأُطلق على المن اسـم «خبز من الســماء» (خر ١٦: ٤)، وهو مثل بزر الكزبرة، وطعمه كطعم قطائف بزيت ومنظره كمنظر المقل (عد ١١: ٧، ٨). وهو لا زال يـقول لنا: «لا تهتموا قائليــن: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس؟.. لأن أباكم يـــعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» (مت ٦: ٣١، ٣٢).

(ج) **الماء من الصخر:** (آيتا ٤١، ٤٢). في برية ســين أمر الرب موســى أن يضرب الصخرة، فضربها فأخرجت ماء غزيراً (خر ١٧: ١-٧). وفي برية صين أمر الرب موسى أن يكلم الصخرة فتخرج ماء، لكنه ضربها بغضب فخرج ماء كثير (عد ٢٠: ١-١٣). وفي هذا حقق الله وعده لإبراهيم خليله.

(د) **أعطاهم أرض كنعان:** (آيــتا ٤٣، ٤٤). ما أن نال الــشعب خلاص الرب على يـدي موســى وهارون حتى هتفوا بترتيلة الفرح والنجاة، تقودهم مريم النبية بالدف، وجميع النســاء وراءها بدفوف ورقص، ومريــم تجيبهم: «الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥: ٢٠، ٢١). وســار بهم الرب في الصحراء القاحلة حتى أوصلهم أرض الميــعاد، فتحقق قول موســى: «ومتى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي حلف لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيك، إلى مدن عظيمة جيدة لم تبْنِها، وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها، وآبار محفورة لم تحفرها، وكروم وزيتون لم تغرسها، وأكلت وشبعت، فاحترز لئلا تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية» (تث ٦: ١٠-١٢).

٧ - **هدف تحقيـق الـعهد:** (آيـــة ٤٦). قام الله بهذا كله، وكان يـــجب أن يحفظ شعبُه فرائضه ويطيعوا شرائعه، ولكنهم لم يفعلوا كما ســنرى في المزمور التالي. لكن كم نشكر الله لأنه «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه» (٢تي ٢: ١٣).

المزمور المئة والسادس

١ هلّـلـويا. احمدوا الـربَّ لأنه صالحٌ، لأن إلى الأبدِ رحمتَهُ. ٢ مَن يتكلمُ بجبروتِ الربِّ؟ مَن
يُخبرُ بكلِّ تسابيحِه؟ ٣ طوبى للحافظين الحقَّ وللصانعِ البرَّ في كلِّ حين. ٤ اذكُرْني يا ربُّ برضا
شعبك. تعهَّدْني بخلاصِك، ٥ لأرى خيرَ مختاريك. لأفرحَ بفرحِ أمّتك. لأفتخرَ مع ميراثِك.
٦ أخطأنا مع آبـائِنا. أسـأنا وأذنبْنا. ٧ آبـاؤنا في مصرَ لم يـفهموا عجائبَـك، لم يـذكروا كثرةَ
مراحمِك، فتمرَّدوا عند الـبحرِ، عند بحرِ سـوفٍ. ٨ فخلّـصهم من أجلِ اسـمِهِ ليُـعرِّفَ بـجبروتِهِ.
٩وانتهر بحرَ سوفٍ فيَبِسَ وسيَّرهم في اللُّججِ كالبريَّةِ، ١٠ وخلَّصهم من يدِ المُبغضِ، وفداهم من
يـدِ العدوِّ، ١١ وغطَّتِ الـميـاهُ مضايقيهم. واحدٌ منهم لم يَبْـقَ. ١٢ فآمنوا بكلامه. غنَّوا بتسبيحه.
١٣أسرعوا فنسـوا أعمالـه. لم ينتظروا مشورته، ١٤ بـل اشتهوا شـهوةً في الـبريـة، وجرَّبوا الله في
الـقفر، ١٥ فأعطاهم سؤلهم وأرسـل هُزالاً في أنفسهم. ١٦ وحسدوا موسـى في الـمحلّـة وهارون
قدوسَ الـرب. ١٧ فتحتِ الأرضُ وابتلعت داثان، وطبَقَت علـى جماعة أبيرام، ١٨ واشتعلـت نارٌ
في جماعتهم. اللهيب أحرق الأشرار.
١٩ صنعوا عِجلاً في حوريب وسجدوا لـتمثالٍ مسبـوك، ٢٠ وأبـدلوا مجدَهم بمثال ثور آكل
عشب. ٢١ نسـوا الله مُخلّـصَهم، الـصانعَ عظائمَ في مصر، ٢٢ وعجائبَ في أرض حام، ومخاوفَ
علـى بحر سـوف، ٢٣ فقال بإهلاكهم. لولا موسـى مختاره وقف في الثغر قدامه ليصرف غضبه عن
إتلافهم. ٢٤ ورذلـوا الأرض الـشهيَّة. لم يؤمنوا بكلمته، ٢٥ بل تمرمروا في خيامهم. لم يـسمعوا
لصوتِ الربِّ. ٢٦ فرفع يـدَه عليهم ليُسقِطهم في البريَّةِ، ٢٧ وليُسقِط نسلَهم بين الأمم، وليبدِّدَهُم
في الأراضي. ٢٨ وتعلّـقوا بـبعل فغُورَ وأكلـوا ذبائحَ الـموتى، ٢٩ وأغاظوه بـأعمالِهم، فاقتحمهمُ
الوبأ. ٣٠ فوقف فينحاسُ ودانُ فامتنع الوبأ، ٣١ فحُسِب له ذلك برّاً إلى دور فدور، إلى الأبدِ.
٣٢ وأسخطوه علـى ماءِ مَريبـةَ حتى تأذّى موسى بسببهم، ٣٣ لأنهم أمرّوا روحَه حتى فرَّطَ
بـشفتيـه. ٣٤لم يـستأصلـوا الأممَ الـذين قال لهمُ الـربُّ عنهم، ٣٥ بـل اختلطوا بـالأمم وتعلّموا
أعمالَهم، ٣٦ وعبدوا أصنامَهم فصارت لـهم شَرَكاً. ٣٧ وذبحوا بنيهم وبناتِهم لـلأوثان، ٣٨ وأهرقوا
دماً زكياً، دمَ بنيهم وبناتِهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعانَ. وتدنَّست الأرضُ بالدماءِ، ٣٩وتنجَّسوا
بأعمالِهم، وزنوا بأفعالِهم، ٤٠ فحميَ غضبُ الربِّ على شعبه وكَرِهَ ميراثَه. ٤١وأسلمهم ليدِ الأمم
وتسلّط عليهم مبغضوهم. ٤٢ وضغطهم أعداؤهم فذلّوا تحتَ يـدِهم. ٤٣مرّاتٍ كثيرةً أنقذهم، أما
هم فعصَوْهُ بـمشورتِهم، وانحطّوا بإثمِهم، ٤٤ فنظر إلى ضيقِهم إذ سـمع صراخَهم، ٤٥ وذكر لـهم
عهدَه، وندم حسـب كثرةِ رحمتِه. ٤٦ وأعطاهم نعمةً قدامَ كلِّ الـذين سـبوهم. ٤٧ خلّصْنا أيها

الــربُّ إلهُنا، واجمَعْنا من بين الأمم لنحمدَ اسمَ قُدسِك ولنتفاخرَ بتسبيحِك. ٤٨ مباركٌ الربُّ إلهُ إسرائيلَ مِن الأزلِ وإلى الأبدِ. ويقولُ كلُّ الشعبِ: «آمين». هللويا

العهد كما يحفظه الإنسان

هذا المزمور خاتمة الكتاب الرابع من سفر المزامير (وقد بدأ بالمزمور التسعين). وهو أحد المزامير الأربعة التاريخية (٧٨، ١٠٥، ١٠٦، ١٣٦). وقد ذكرنا في مقدمة مزمور ١٠٥ أن المزمورين مترابطان، يتحدث أولهما عن أمانة الله في حفظ العهد، ويتحدث مزمورنا عن ضعف الإنسان الذي لا يحفظ العهد، ويعترف فيه صاحبه بنقص الأمانة وإنكار الجميل، وهما صفتان سيئتان لازمتا بني إسرائيل عبر تاريخهم، عبَّر عنهما نحميا بقوله: «أبوا الاستماع ، ولم يذكروا عجائبك التي صنعت معهم، وصلَّبوا رقابهم. وعند تمرُّدهم أقاموا رئيساً ليرجعوا إلى عبوديتهم» (نح ٩: ١٧). ويشبه مزمورنا صلاة تدشين الهيكل لسليمان (١مل ٨)، كما يشبه صلاة نحميا (نح ٩) وصلاة دانيال (دا ٩).

يبدأ مزمورنا بالتهليل «لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته» وهو تعبير ورد ٣٦ مرة في الكتاب المقدس (٢٦ مرة في مزمور ١٣٦، كما ورد في ١أي ١٦: ٣٤ و٢أي ٥: ١٣ و٧: ٣ وعز ٣: ١١ ومز ١٠٠: ٥ و١٠٦:١ و١٠٧: ١ و١١٨: ١، ٢٩ وإر ٣٣: ١١). وورد التعبير «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في ١أي ١٦: ٤١ و٢أي ٧: ٦ و٢٠: ٢١ ومز ١١٨: ٣، ٤. وهي الحقيقة التي شجعت المرنم أن يطلب من الرب أن يعود فيخلِّص شعبه الجاحد، بمن فيهم هو، إذ يقول: «اذكرني يا رب برضا شعبك. تعهَّدني بخلاصك» (آية ٤).

وهذا المزمور أول عشرة مزامير تبدأ بكلمة «هللويا» بمعنى «سبحان الله» (وهي مزامير ١٠٦، ١١١،١١٢، ١١٣، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠ وتنتهي بها ما عدا مزموري ١١١، ١١٢). كما أن المزامير ١٠٤، ١٠٥، ١١٧ تنتهي بكلمة «هللويا» ولو أنها لا تبدأ بها.

ويتميز هذا المزمور بأنه اعترافات صادقة بخطايا شعبه ومتاعبهم وهزائمهم، يقول فيه كاتبه: «أخطأنا مع آبائنا. أسأنا وأذنبنا» (آية ٦). وهو لا يدافع عن شعبه مدفوعا بالكبرياء الوطنية، ولا يفتخر بنبي ولا كاهن ولا ملك، بل يعتذر عن خطاياهم، ويعزو كل عظمة في تاريخ شعبه إلى أمانة الرب وحفظه للعهد. إنه وصف لصلاح الله وخطية البشر.

في هذا المزمور نجد،

أولاً- دعوة لنذكر الرب (آيات ١-٥)

ثانياً - اعتراف بنقض العهد (آيات ٦-٤٦)

ثالثاً - صلاة وتمجيد ختاميان (آيتا ٤٧، ٤٨)

أولاً - دعوة لنذكر الرب

(آيات ١-٥)

١ - نذكره بتعبُّد: (آيتا ١، ٢). يبدأ المرنم بكلمة «هللويا» فيدعو المستمع للعبادة وتقديم الشكر، لأن الرب صالح رحيم اختبر المرنم وشعبه عبر العصور صلاحه ورحمته، ونحن أيضاً نشاركهم في القول: «إحسانات الرب أذكر، تسابيح الرب، حسب كل ما كافأنا به الرب والخير العظيم» (إش ٦٣: ٧). إن كل خطايا بني إسرائيل لم تضع نهاية لرحمته، فإن صلاح البشر يتعطل، وعصيانهم يستمر، ولكن رحمته تبقى، فيقول المرنم: «إذ قلت قد زلّت قدمي فرحمتك يا رب تعضدني» (مز ٩٤: ١٨). ولا يستطيع لسان مهما كان بليغاً ولا حنجرة مهما كانت ذهبية أن تخبر بعظمة صنيعه الكثيرة المعجزية.

٢ - نذكره بطاعة: (آية ٣). وما أسعد من يحفظون الحق الموحى به، ويصنعون البر دائماً، فتفيح منهم رائحة المسيح الذكية، فإنه «هكذا قال الرب: احفظوا الحق وأجروا العدل، لأنه قريب مجيء خلاصي واستعلان بري» (إش ٥٦: ١).

٣ - نذكره بانتماء: (آيتا ٤، ٥). يلتمس المرنم من الرب أن يذكره وشعبه بالرضا، لأن ليس بأحد غيره الخلاص. وهو يتقدم بطلبه بدالة البنين فيقول إن الخلاص «خلاصك» والشعب «شعبك» و«مختاروك» و«أمّتك» و«ميراثك». ويطلب أن يذكره الرب «برضا شعبك» وأن يكون جوابه السماوي عليه هو: «في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك» (إش ٤٩: ٨). وهو ينتظر أن يتعهده الرب بخلاص «شعبك» ليرى خير «مختاريك» ويفرح بفرح «أمّتك» فيفتخر مع «ميراثك». فما أروع أن ندنو من الله مصلين ونحن نثق أننا ننتمي إليه، وأن لنا علاقة شخصية معه.

ثانياً - اعتراف بنقض العهد

(آيات ٦-٤٦)

يقدم المرنم لله اعترافاً عاماً، فيقول: «أخطأنا. أسأنا وأذنبنا» (آية ٦). «الكل قد زاغوا معاً. فسدوا. ليس من يعمل صلاحاً. ليس ولا واحد» (مز ١٤: ٣). والخطأ هو عدم إصابة الهدف، والإساءة هي إحداث الضرر بشخص آخر، والذنب هو كسر القانون وارتكاب الأمر المنهي عنه. وفي الآيات ٧-٤٧ يعترف المرنم تفصيلياً بخطاياه وخطايا شعبه عبر تاريخهم، لأنه «إن اعترفنا

بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (ايو ١: ٩).

١ - **نقض العهد وقت الخروج**: (آيات ٧-١٢). كان التذمر ونقص الإيمان بالله هو خطأ بني إسرائيل الأول عند البحر الأحمر، وسببه النسيان وعدم الفهم، وهو ما ذكره موسى في نشيده بعد أن أكمل كتابة التوراة، فقال: «إنهم أمّة عديمة الرأي، ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم» (تث ٣٨: ٢٨، ٢٩). ويروي سفر الخروج (١٤: ١٠-١٢) هذا الخطأ، فبعد الضربات التي حلّت بفرعون، أمر بخروجهم، ولكنه ندم وتابعهم إلى الشاطئ الغربي للبحر الأحمر. ولما رأوا البحر أمامهم والعدو خلفهم، قالوا لموسى: «هل لأنه ليست قبورٌ في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟.. لأنه خيرٌ لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية». لم يفهموا نعمة الله، ولا أدركوا محبته لهم، ولا قدرته على إنقاذهم. ويصف المرنم خطيتهم بأنها تمرد على الإرادة الإلهية.. وكان يمكن أن يعطيهم الله طلبهم فيعيدهم إلى مصر، ولكنه من أجل اسمه ورحمته خلّصهم، ليعرف الأمم أنه القادر على كل شيء. وشقّ البحر الأحمر فعبروا، الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا. وهنا آمن بنو إسرائيل بكلام ربهم وغنوا بتسبيحه. ولكن هذا كان مؤقتاً، فسرعان ما عادوا إلى نسيانهم وجهلهم وتمردهم.

٢ - **نقض العهد في صحراء سيناء**: (آيات ١٣-٢٣).

(أ) **تذمر على الطعام**: (آيات ١٣-١٥). بعد عبور البحر الأحمر بثلاثة أيام تذمروا بسبب نقص الماء (خر ١٥: ٢٢-٢٤)، وبعد هذا بستة أسابيع تذمروا على الطعام (خر ١٦: ٢-٤)، وفي رفيديم عادوا يتذمرون بسبب الماء (خر ١٧: ٢-٤)، ونسوا عطايا الرب، ولم ينتظروا مشورته وخططه لصالحهم، وقالوا: «من يطعمنا لحماً؟ قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم. والآن قد يبست أنفسنا. ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن» (عد ١١: ٤-٦). وأعطاهم الله ما طلبوا، لكنه عاقبهم «وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم.. ضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً» (عد ١١: ٣٣). ودُعي ذلك المكان «قبروت هتأوة» أي قبور الشهوة.

(ب) **تذمر على موسى وهارون**: (آيات ١٦-١٨). قاوم قورح وجماعة من قادة بني إسرائيل موسى وهارون وقالوا: «كفاكما. إن الجماعة بأسرها مقدسة، وفي وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب؟» (عد ١٦: ٣). ورفع موسى مظلمته إلى الله، فعاقب الرب المتمردين بأن «فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم.. وخرجت نار من عند الرب وأكلت المئتين والخمسين رجلاً» (عد ١٦: ٣٢، ٣٥).

ومن المؤسف أن بين المؤمنين من يصيبه الغرور وتمتلكه الكبرياء كما حدث مع جماعة قورح،

فينافس إخوته، وتكون النتيجة أن جماعة الرب تدفع ثمن هذه المنافسة الجسدانية. وما أحوج كل مؤمن إلى سماع النصيحة: «لا يرتئي أحد فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قسم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان» (رو ١٢: ٣).

(ج) تذمر على الله: (آيات ١٩-٢٣). في سيناء صعد موسى إلى جبل حوريب ليتلقى لوحي الشريعة من الرب، وقضى هناك أربعين يوماً، فظن بنو إسرائيل أنه مات، وطلبوا من هارون أن يصنع لهم عجلاً يعبدونه، فصنعه من الذهب الذي أخذوه من المصريين (تث ٩: ٧-٢١). ولا شك أنهم كانوا متأثرين بعبادة العجل أبيس أحد معبودات المصريين. وأخذوا يهتفون: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر» (خر ٣٢: ٨). وكان عملهم هذا ثورة ضد الله الذي أمر بعدم صنع تماثيل يعبدونها (خر ٢٠: ٤)، كما أنه نسيان لفضل الرب عليهم. وأراد الرب أن يهلكهم لولا أنه استجاب صلاة موسى من أجلهم (خر ٣٢: ٩-١٤).

٣ - نقض العهد على مشارف أرض كنعان: (آيات ٢٤-٣٣).

(أ) ثورة للعودة إلى مصر: (آيات ٢٤-٢٧). أرسل موسى اثني عشر قائداً كجواسيس يستطلعون أحوال الأرض التي سيمتلكونها حسب وعد الرب لهم (عد ١٣، ١٤)، فعادوا بتقرير عن عظمة الأرض، ولكنهم قالوا إنهم لا يقدرون أن يمتلكوها لأن العمالقة ساكنون فيها، وقالوا: «كنا في أعيننا كالجراد، وهكذا كنا في أعينهم» (عد ١٣: ٣٣). فصرخ بنو إسرائيل: «ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في القفر. لماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف؟.. أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر؟.. نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر» (عد ١٤: ٢-٤). ويقول المرنم إنهم في هذا الموقف ارتكبوا خطايا متعددة، فقد رذلوا أرض الميعاد التي ترمز إلى أورشليم السماوية، ولم يؤمنوا بوعد الرب، وتذمروا، وعصوا الأوامر الإلهية. ولكن الله عفا عنهم استجابة لصلاة موسى وهارون من أجلهم (عد ١٤: ١٣-١٩).

(ب) الاشتراك في نجاسة العبادة الوثنية: (آيات ٢٨-٣١). ارتبطت كثير من العبادات الوثنية بالزنا، وقد اشترك بنو إسرائيل مع النسوة الموآبيات في هذه العبادة الفاسدة، وعبدوا وثنهم «بعل فغور» (عد ٢٥). (فغور اسم مكان). ويقول المرنم إنهم أكلوا ذبائح الأوثان الموتى، مع أن إلههم هو الرب الحي. فغضب الرب عليهم وأصابهم بالوبأ الذي قتل منهم أربعة وعشرين ألفاً (عد ٢٥: ٩). فقلم فينحاس بن هارون وقتل رجلاً إسرائيلياً وامرأة موآبية كانت تخطئ معه فامتنع الوبأ، وقال الله عن فينحاس: «أعطيه ميثاقي، ميثاق السلام، فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي» (عد ٢٥: ١٢، ١٣).

(ج) **التذمر عند ماء مريبة:** (آيتا ٣٢، ٣٣). مريبة معناها خصام. فعندما وصل الشعب إلى مريبة لم يجدوا ماءً، فاجتمعوا على موسى وهارون وخاصموهما، وصرخوا: «ليتنا فنينا فناء إخوتنا أمام الرب. لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكي نموت فيها نحن ومواشينا؟ ولماذا أصعدتمانا من مصر لتأتيا بنا إلى هذا المكان الرديء؟ ليس هو مكان زرع وتين وكرم ورمان، ولا فيه ماء للشرب» (عد ٢٠: ٣-٥). وتأذّى موسى بسبب هذه الشكوى، وصرخ إلى الرب فأمره أن يكلم الصخرة لتُخرج ماءً، لكنه في غضبه، ولأن روحه كانت مُرّة بسبب كلامهم غضب وهو الحليم، وأخطأ وضرب الصخرة، فخرج الماء غزيراً. وبسبب خطإ موسى حرمه الله من دخول أرض كنعان.

٤ - **نقض العهد في أرض كنعان:** (آيات ٣٤-٤٦).

(أ) **الخطأ:** (آيات ٣٤-٣٩). يوضح المرنم خطايا بني إسرائيل بعد دخولهم أرض الموعد بأنهم عصوا أمر الرب ولم يستأصلوا سكان تلك الأرض، كما قيل: «بنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين» (قض ١: ٢١. راجع قض ١: ٢٧، ٢٩ و٢: ١).. مع أن الأمر باستئصالهم تكرر في أماكن كثيرة، منها خر ٢٣: ٣٢، ٣٣ وتث ٧: ٢-٤. وكانت نتيجة هذا أن اختلط بنو إسرائيل بالأمم الوثنية وتعلموا منهم عبادتهم، ثم عبدوا أصنامهم، وذبحوا بنيهم وبناتهم للأصنام ليرضوا عليهم ويزيدوا محاصيلهم، كما كان الكنعانيون يفعلون. وبهذا خانوا عهودهم مع الرب إلههم، وتلوّثوا بشرور الوثنيين، فإن «المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» (١كو ١٥: ٣٣).

(ب) **العقاب:** (آيات ٤٠-٤٣). غضب الرب على بني إسرائيل بسبب خياناتهم الكثيرة وزيغانهم المستمر، فأسلمهم ليد الشعوب المحيطة بهم، فاستعبدوهم وأذلوهم. ومع هذا كان يشفق عليهم ويقيم لهم قضاةً لينقذوهم، مثل جدعون (قض ٦) ويفتاح (قض ١١) وشمشون (قض ١٣). غير أنهم استمروا في عصيانهم.

(ج) **أمانة الله لعهده:** (آيات ٤٤-٤٦). ظل الرب أميناً لعهده مع بني إسرائيل فسمع صراخهم، ونظر إلى ضيقهم، وذكر عهده معهم، وأنقذهم من أعدائهم، بل إنه أعطاهم نعمة أمام كل من حاربوهم، استجابة لصلاة سليمان: «اغفر لشعبك ما أخطأوا به إليك، وجميع ذنوبهم التي أذنبوا بها إليك، وأعطهم رحمة أمام الذين سبوهم فيرحموهم» (١مل ٨: ٥٠). وتاريخ بني إسرائيل سلسلة من ارتكاب الشر، فوقوع العقاب، فالصراخ طلباً للرحمة والإنقاذ، فحلول الرحمة الإلهية والنجاة، ليعودوا من جديد يمارسون الخطأ نفسه. وهذا هو تاريخ الإنسان الخطاء الذي يعصى وصايا الرب، فيؤدبه.

ويـــصرخ في آلامه فيـــــتحنن عليه إله الرأفة وينقذه، فيقول: «بالنهار يوصي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي» (مز ٤٢: ٨).

ثالثاً - صلاة وتمجيد ختاميان
(آيتا ٤٧، ٤٨)

١ - صلاة: (آية ٤٧). بعد أن ذكر المرنم خطايا شعبه عبر التاريخ بالتفصيل واعترف بها بأمانة، رفع صلاة كأنه يـــقول فيـــها: «ما أفظع الخطايا الكثيرة التي ارتكبناها، والتي عاقبتنا عليها برحمة، لأننا كنا نستحق عقاباً أشد مما حلّ بنا. ولكننا الآن نعترف بها ونتوب عنها، ونلجأ إلى غنى رحمتك، فـــأعِدنا إلى أرضنا ونعدك أن نكون أمناء للعهد هذه المرة، فنسبح لك ونتفاخر بهذا التسبيح، فنحن لا نزال شعبك الذي دُعي عليه اسمك، وأنت سيدنا وملاذنا الوحيد الذي عليه نتكل وبه نبتهج».

٢ - تمجيـــد: (أيـــة ٤٨). يـــمكن أن يكون هذا التمجيد خاتمة هذا المزمور، كما يمكن أن يكون تمجيداً يختم الكتاب الرابع من ســـــفر المزامير، الذي بدأ بالمزمور التسعين. وفي هذا التمجيد يبارك المرنم ربّه الأميـــن لعهده من الأزل وإلى الأبد، كما مجّده داود عندما بارك بني إســـرائيـــــل قائلاً: «مباركٌ أنت أيها الرب إله إســـرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد.. والآن يا إلهنا نحمدك ونسبح اسمك الجليـــــل» (١أي ٢٩: ١٠، ١٣). وكما طلب اللاويون من بني إســـرائيل أن يمجدوه قائلين: «قوموا باركوا الرب إلهكم من الأزل إلى الأبد، وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح» (نح ٩: ٥).

الجزء الخامس

المزمور المئة والسابع

إلى المزمور المئة والخمسين

المزمور المئة والسابع

١ احمدوا الربَّ لأنه صالحٌ، لأن إلى الأبدِ رحمتَه. ٢ ليقُلْ مفديّو الربِّ الذين فداهم مِن يدِ
العدوِّ، ٣ ومن البلدانِ جمعهم، من المشرقِ ومن المغربِ من الشمالِ ومن البحرِ. ٤ تاهوا في
البريةِ في قفرٍ بلا طريقٍ. لم يجدوا مدينةَ سكنٍ. ٥ جياعٌ عطاشٌ أيضاً. أعْيَتْ أنفسُهم فيهم،
٦ فصرخوا إلى الربِّ في ضيقِهم فأنقذهم من شدائدِهم، ٧ وهداهم طريقاً مستقيماً ليذهبوا إلى
مدينةِ سكنٍ. ٨ فلْيَحمدوا الربَّ على رحمتِه وعجائبِه لبني آدم.

٩ لأنه أشبع نفساً مشتهيةً، وملأ نفساً جائعةً خبزاً، ١٠ الجلوسَ في الظلمةِ وظلالِ الموتِ
موثقين بالذلِّ والحديدِ. ١١ لأنهم عصوا كلامَ الله وأهانوا مشورةَ العليِّ ١٢ فأذلَّ قلوبَهم بتعبٍ.
عثَروا ولا مُعين. ١٣ ثم صرخوا إلى الربِّ في ضيقِهم، فخلّصهم من شدائدِهم. ١٤ أخرجهم من
الظلمةِ وظلالِ الموتِ، وقطع قيودَهم. ١٥ فليحمدوا الربَّ على رحمتِه وعجائبِه لبني آدم.
١٦ لأنه كسر مصاريعَ نحاسٍ، وقطع عوارضَ حديدٍ.

١٧ والجهّالُ مِن طريقِ معصيتِهم ومن آثامِهم يُذلّون. ١٨ كرهَتْ أنفسُهم كلَّ طعامٍ، واقتربوا
إلى أبوابِ الموتِ. ١٩ فصرخوا إلى الربِّ في ضيقِهم فخلّصهم مِن شدائدِهم. ٢٠ أرسل كلمته
فشفاهم ونجّاهم من تهلُكاتهم. ٢١ فليحمدوا الربَّ على رحمتِه وعجائبِه لبني آدم، ٢٢ وليذبحوا
له ذبائحَ الحمدِ، ولْيَعُدّوا أعمالَه بترنُّم.

٢٣ النازلون إلى البحرِ في السفنِ، العاملون عملاً في المياهِ الكثيرةِ. ٢٤ هم رأوا أعمالَ الربِّ
وعجائبَه في العُمقِ. ٢٥ أمر فأهاج ريحاً عاصفةً فرفعَتْ أمواجَه. ٢٦ يصعدون إلى السماواتِ.
يهبطون إلى الأعماقِ. ذابت أنفسُهم بالشقاءِ. ٢٧ يتمايلون ويترنّحون مثلَ السكرانِ، وكلُّ
حِكمتِهم ابْتُلِعَت. ٢٨ فيصرخون إلى الرب في ضيقِهم، ومن شدائدِهم يخلّصُهم. ٢٩ يهدّئُ
العاصفةَ فتسكُنُ، وتسكتُ أمواجُها. ٣٠ فيفرحون لأنهم هَدَأوا، فيهديهم إلى المرفإِ الذي يريدونه.
٣١ فليحمدوا الربَّ على رحمتِه وعجائبِه لبني آدمَ، ٣٢ وليرفعوه في مَجْمَعِ الشعبِ، ولْيُسبّحوه
في مجلسِ المشايخِ.

٣٣ يجعلُ الأنهارَ قِفاراً، ومجاري المياهِ مَعْطَشةً، ٣٤ والأرضَ المثمرةَ سَبِخةً، مِن شرِّ الساكنين
فيها. ٣٥ يجعل القفرَ غديرَ مياهٍ، وأرضاً يَبَساً ينابيعَ مياه. ٣٦ ويُسْكِنُ هناك الجياعَ فيهيّئون مدينةَ
سَكَنٍ. ٣٧ ويزرعون حقولاً ويغرسون كروماً فتصنعُ ثمرَ غَلّةٍ. ٣٨ ويباركُهم فيكثُرون جداً، ولا يقلّل
بهائمَهم. ٣٩ ثمَّ يَقِلّون وينحنون من ضغطِ الشرِّ والحزنِ. ٤٠ يسكبُ هواناً على رؤساءَ، ويُضلُّهم
في تيهٍ بلا طريقٍ. ٤١ ويُعَلّي المسكينَ من الذلِّ، ويجعلُ القبائلَ مثلَ قُطعانِ الغنمِ. ٤٢ يرى
ذلك المستقيمون فيفرحون، وكلُّ إثمٍ يَسُدُّ فاه. من كان حكيماً يحفظُ هذا ويتعقّل مراحمَ الربِّ.

ترنيمة المفديين

هذا المزمور بداية الجزء الخامس من سفر المزامير، ويتناسق هذا الجزء مع سفر التثنية الذي ينبّر على كلمة الله (انظر مقدمة الكتاب). ومزمورنا ترنيمة كل مؤمن فداه الله، يذكر فيه المرنم صوراً من واقع الحياة لصلوات مستجابة وترانيم مرتفعة من تقي قد يكون تائهاً في صحراء يكاد يهلك من العطش والجوع فيهديه الطريق إلى أرض الرحب، أو قد يكون سجيناً عقاباً على ذنب جناه فيطلقه إلى الحرية، أو قد يكون مريضاً على فراشه بسبب خطاياه فيمنحه الشفاء، أو قد يكون على ظهر سفينة موشكة على الغرق فيوصله إلى الشاطئ بأمان.. ولعل المرنم كتب هذا المزمور وهو في قمة فرحه على العودة من السبي، فجعل يذكر بركات الله على كل شعب الله المفدي. و«من كان حكيماً يحفظ هذا ويتعقّل مراحم الرب» (آية ٤٣).

يبدأ مزمورنا بالقول: «احمدوا الرب لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته» وهو تعبير ورد ٣٦ مرة في الكتاب المقدس (٢٦ مرة في مزمور ١٣٦، كما ورد في ١أي ١٦: ٣٤ و٢أي ٥: ١٣ و٧: ٣، عز ٣: ١١ و مز ١٠٠: ٥ و١٠٦: ١ و١٠٧: ١ و١١٨: ١، ٢٩، إر ٣٣: ١١). وورد التعبير «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في ١أي ١٦: ٤١ و٢أي ٧: ٦ و٢٠: ٢١ ومز ١١٨: ٣، ٤.

وهناك ارتباط بين هذا المزمور وسابقَيْه، ففي مز ١٠٥: ٤٤ وعدٌ بالأرض يبرهن أمانة الله لعهوده، وفي مز ١٠٦: ٢٧ عقاب في الأرض على عدم أمانة الإنسان في حفظ عهوده، وفي مزمورنا (آية ٣) أمانة الله في استجابة الصلاة وعودة شعبه إلى أرضهم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - فرحة الفداء (آيات ١-٣)

ثانياً - ضعف الإنسان (آيات ٤-٣٢)

ثالثاً - قوة الله (آيات ٣٣-٤٢)

رابعاً - دعوة للحكمة (آية ٤٣)

أولاً - فرحة الفداء
(آيات ١-٣)

١ - **لأن الرب صالح:** (آية ١). يدعو المرنم الشعب أن يسبحوا الرب ويحمدوه لأجل صلاحه الظاهر في عنايته، فقد جهّز جنة عدن لآدم وحواء من قبل أن يخلقهما، ولكن صلاحه ظهر بصورة أعمق لما ستر عريهما بعد أن سقطا. ولا زلنا نختبر كل يوم صلاح إله العناية وإله الفداء، ورحمته

الأبـدية التي لا تتغيَّر، فإنه لا يعاملنا حسب خطايانا، بل يتنازل إلينا بغفرانه في المسيح، فنقول: «الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٨).

٢ – **لأن الرب فادٍ:** (آية ٢). يقصد المرنم أن بني إسرائيل كانوا أسرى في بابل، ففداهم الله من يد العدو، كما سبق أن فداهم من سوء تعذيبات فرعون، وعبَّر الملاك المهلك الذي رأى الدم على أبوابهم (خر ١٢: ١٣، ١٤). والفادي هو الوليُّ الأقرب. والفداء الأعظم طبعاً هو الفداء من أسر إبليس «لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة، بإمهال الله» (رو ٣: ٢٢-٢٥). والمسيح هو الوليُّ الأقرب، لأنه في ملء الزمان صار الكلمة جسداً وحلَّ بيننا، ويقول المؤمنون إنهم من ملئه أخذوا نعمة فوق نعمة. فندعوه قائلين: «اقترب إلى نفسي. فُكَّها. بسبب أعدائي افدني» (مز ٦٩: ١٨).

٣ – **لأن الرب يجمع:** (آية ٣). وعد الله أنه بعد سبعين سنة من السبي يُعيد شعبه من بابل إلى أرضهم، وحقق وعده كما تنبأ إشعياء: «يرفع رايةً للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتَّتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض» (إش ١١: ١٢). وفي هذه الآية يسجل المرنم استجابة الطلبة المرفوعة في ختام المزمور السابق: «خلِّصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا.. لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك» (مز ١٠٦: ٤٧). ونحن اليوم نشكر الله الذي يرد نفوسنا من سبي الخطية وأسرها، فنقول: «يرد نفسي. يهديني إلى سبُل البر من أجل اسمه» (مز ٢٣: ٣).

ثانياً -ضعف الإنسان
(آيات ٤-٣٢)

١- **الإنسان التائه:** (آيات ٤-٩). يقدم المرنم صورة للضعف الإنساني متمثِّلاً في مسافرين في الصحراء ضلوا طريقهم، وكادوا يهلكون عطشاً وجوعاً، ولم يجدوا بلداً يمكن أن يجدوا فيها الشراب والطعام والمأوى، فصرخوا إلى الرب، فأنقذهم بأن هداهم إلى الطريق الصحيح حيث وجدوا بلداً آهلة بالسكان. ويدعوهم المرنم إلى شكر الرب على رحمته ومعجزاته.. وهي صورة الإنسان الضال بعيداً عن بيت الآب، فيصرخ: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» فيهديه الرب إلى المسيح الذي هو الطريق والحق والحياة (يو ١٤: ٦)، مريح التعابى (مت ١١: ٢٨)، الذي يروي الظمأ بمائه الحي (يو ٤: ١٠)، ويشبع الجوع بخبز الحياة (يو ٦: ٥١)، ويهدي إلى المدينة السماوية (عب ١٢: ٢٢-٢٤). فالمجد للرب الذي ملأ نفساً جائعة خبزاً، كما أشبع الابن الضال الذي لم يكن يجد طعام الخنازير،

فأشبعه بوليمة أبوية (لو ١٥)، «كما هو مكتوب: ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدّه الله للذين يحبونه، فأعلنه لنا بروحه (١كو ٢: ٩، ١٠).

٢ - **الإنسان السجين:** (آيات ١٠-١٦). يقدم المرنم صورة ثانية للضعف الإنساني متمثّلة في سجناء موثقين في ظلمة سجن لأنهم ارتكبوا ذنباً، وهم في غاية الذل، ليس لهم محامٍ ولا مدافع. وصرخوا إلى الرب: «اذكرني يا رب» فسمع صرختهم وأنقذهم وأخرجهم من الظلمة وقطع قيودهم. ويدعوهم المرنم إلى شكر الرب على رحمته ومعجزاته، لأنه يكسر الأبواب الضخمة النحاسية، ويقطع العوارض الحديدية، فيقول كل منهم: «حللت قيودي، فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو» (مز ١١٦: ١٦، ١٧).. وهي صورة الإنسان السجين في خطاياه، فيخلّصه المسيح ويشرق عليه بنوره (يو ٨: ١٢) ويطلقه حراً (يو ٨: ٣٦) ويرفعه من حفرة السجن، ويقدم له العون، فهو «المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام» (لو ١: ٧٨، ٧٩) وهو الذي قال: «أرسل المنسحقين في الحرية» (لو ٤: ١٩).

٣ - **الإنسان المريض:** (آيات ١٧-٢٢). يقدم المرنم صورة ثالثة للضعف الإنساني متمثلة في جهّال كان ضلالهم عن سواء السبيل سبباً في مرضهم. وقد تكون الخطية قد تكون سبباً للمرض، كما قال المسيح لمريضٍ شفاه: «ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر!» (يو ٥: ١٤). ولكن الخطية ليست سبباً لكل مرض، فلم يكن المولود أعمى قد أخطأ، ولا أخطأ أبواه (يو ٩: ٢، ٣). والحالة التي يصفها المرنم حالة مريض خاطئ فقد شهيته للطعام فهزل جسده حتى اقترب من الموت، فصرخ إلى الرب طالباً الإنقاذ، فأرسل الرب كلمته وشفاه ونجّاه من الموت. وكلمة الله تحمل سلطان الله، فهو الذي يقول فيكون. إنها «حية وفعالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدَّين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ» (عب ٤: ١٢). ويدعو المرنم أمثال هذا المريض أن يشكروا الرب على رحمته ومعجزاته، وأن يذبحوا له ذبائح الحمد، ويُحصوا أفضال الله عليهم بترنُّم.. وقد أوصى الرسول يعقوب بالصلاة لأجل المريض في قوله: «أمريضٌ أحدٌ بينكم؟ فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلّوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تُغفَر له. اعترفوا بعضكم لبعضٍ بالزلات، وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥: ١٤-١٦).عندها يقدم الذي نال الشفاء «ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

٤ - **الإنسان الغارق:** (آيات ٢٣-٣٢). ويقدم المرنم صورة رابعة للضعف الإنساني متمثلة في مجموعة ملاحين متمرسين في البحر بسبب طبيعة عملهم، وقد جازوا من قبل في عواصف

عاتيــة واختبروا عجائب الله في الميــــاه العميقة. ولكن الله أمر الرياح العاصفة أن تحرك الأمواج، فــجعلت سفينتهم تعلو ثم تهبط بسرعة كبيرة ولمسافات عظيمة، وهم يترنحون كالسكارى، لا يجدون فــي حكمتهم السابقة ما يمكّنهم من مواجهة هذا الموقف الأخير المرعب، فاكتشفوا جميعاً أنهم صغار ضعاف. ولما وجد هؤلاء الشجعان المختبرون أنفســهم عاجزيــن في مواجهة البحر، عرفوا أنه لا ملجأ لهم إلا رحمة الله، فصرخوا إليــه فســمع صراخهم، وأمر الريــاح والأمواج فصار هدوء، ثم أبلغهم وجهتهم ســــالمين. فوجب عليهم أن يحمدوه على رحمته ومعجزاته.. وقال رجل حكيم: «دع الذي لا يعرفون الصلاة أن يواجهوا البحر». وهذه صورة كل من يواجه مشاكل في دائرة تخصصه يجد نفسه عاجزاً عن مواجهتها رغم كل ما عنده من خبرة، فيصرخ إلى الله فينقذه، فيهتف «انتظاراً انتظرت الرب فمال إليَّ وســـمع صراخي، وأصعدني من جب الهلاك، من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبّت خطواتي، وجعل في فمي ترنيمة جديدة، تســبيحة لإلهنا» (مز ٤٠: ١-٣). كما أنها صورة المؤمن المختبر الذي تعمّق وتثور عليــه العاصفة، فيــصرخ: «أما يــهمك أننا نهلك؟» فينتهر الرب الريح فيسود الهدوء وتطمئن النفس (مر ٤: ٣٧-٤١).

ثالثاً -قوة الله

(آيات ٣٢-٤٢)

١ - **يجعل القفر غدير مياه:** (آيات ٣٣-٣٨). تقول هذه الآيات إن الله يحوّل الأراضي الخصبة إلى صحارى بســبب شرور أهلها، كما قال موسى إن الرب يضرب أرض الخطاة، فتصير «كبريتاً وملحاً. كل أرضها حريـــق. لا تزرع ولا تنبت ولا يطلع فيها عشبٌ ما، كانقلاب ســدوم وعمورة وأدمة وصبوييـــم التي قلّبها الرب بغضبه» (تث ٢٩: ٢٣)، كما أنه يــنزل مطره على الصحراء الجرداء فتصيـــر أرضاً خضراء يجد فيها الجياع طعاماً والفقراء مكاناً للســكن، كما يقول إشعياء: «انفجرت في البرية مياه وأنهار في القفر، ويصير الســراب أجماً والمعطشة ينابيع ماء» (إش ٣٥: ٦، ٧)، فتكثر المراعي للقطعان المتزايــدة، ويــزرعون حقولاً ويغرســون كروماً ويباركهم فيزيد عددهم. وهذه صورة للبشر الذين يرجعون للرب تائبين، فيرويهم من الماء الحي كما روى السامرية (يو ٤)، وصورة للذين يرفضون الرب كما رفضه يهوذا الإسخريوطي فهلك (يو ١٧: ١٢).

٢ - **يرفع المتواضع:** (آيات ٣٩-٤٢). عندما تزيد ثروة الناس وخيراتهم قد يتكبّرون، فيوقع الله بهم عقابه فيــنقص عددهم بالموت، وتضيـــع بهجتهم ويفقدون ســلامهم وينحنون من ضغط الشر والــحزن الــذي ارتكبوه بالــقول والفعل. ويــقع الذل والهوان برؤســائهم المتكبريــن فيــضلون

في طرقهم الشريــرة.. أما المســاكين بالروح، الذين يؤمنون أن كل ما عندهم عطية من عند الرب، فيرفعهم من ذل المسـكنة ويزيد عددهم وتنمو ثروتهم الحيوانية. «لأن الله يقاوم المســتكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (١بط ٥: ٥). فيســتدّ كل فم يتكلم ضد الله، ويفرح المســتقيمون بأمانة إلههم وصلاحه، لأن إلى الأبد رحمته.

رابعاً - دعوة للحكمة
(آية ٤٣)

«من كان حكيــماً يحفظ هذا، ويتعقَّل مراحم الرب». كل من كان حكيماً يتأمل عمل الرب الفادي الـذي ينقذ الإنسان الضعيف من ضعفاته، ويعاقب الشرير على شروره، وينصف المسكين ويرفعه لا بد يــحفظ هذا في قلبه كما فعلت العذراء وهي تســمع عن أعجب معجزة، فكانت «تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها» (لو ٢: ٥١). ولا بد أن الشريــر يتّعظ ويتوب، كما أن المؤمن يزيد اعتماده على الرب وطاعته. وما أجمل القول النبوي: «من هو حكيــمٌ حتى يفهم هذه الأمور، وفهيم حتى يعرفها؟ فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها» (هو ١٤: ٩).

المزمور المئة والثامن

تسبيحةٌ. مزمورٌ لداود

١ ثابتٌ قلبي يا اللهُ. أغنّي وأرنّم. كذلك مجدي. ٢ استيقظي أيتها الربابُ والعودُ. أنا
أستيقظُ سَحَراً. ٣ أحمدُك بين الشعوبِ يا ربُّ، وأرنّم لك بين الأمم، ٤ لأن رحمتك قد عظُمت
فوق السماواتِ، وإلى الغمام حقُّك. ٥ ارتفعِ اللهمَّ على السماوات، وليرتفعْ على كلِّ الأرضِ
مجدُك، ٦ لكي ينجو أحباؤك. خلِّص بيمينك واستجبْ لي.

٧ الله قد تكلّم بقُدْسه. أبتهجُ. أقْسِمُ شكيم، وأقيسُ وادي سُكُّوت. ٨ لي جلعاد. لي منسّى.
أفرايم خُوذةُ رأسي. يهوذا صَوْلَجاني. ٩ موآبُ مِرْحَضَتي. على أدومَ أطرحُ نعلي. يا فلسطين
اهتُفي عليّ.

١٠ مَن يقودُني إلى المدينة المحصّنة؟ مَن يهديني إلى أدوم؟ ١١ أليس أنت يا اللهُ الذي
رفضتَنا، ولا تخرجُ يا اللهُ مع جيوشنا؟ ١٢ أعْطنا عوناً في الضيق، فباطلٌ هو خلاصُ الإنسان.
١٣ بالله نصنعُ ببأسٍ، وهو يدوسُ أعداءنا.

ترنيمة المنتصرين

هذا المزمور اقتباس من مزمورين، فنصفه الأول (آيات ١-٦) مقتبس من النصف الثاني من مزمور ٥٧ (آيات٧-١١)، ونصفه الثاني (آيات ٧-١٣) مقتبس من النصف الثاني من مزمور ٦٠ (آيات ٦-١٢). ومزمورا ٥٧ و ٦٠ يعبِّران في بدايتهما عن بؤس داود، ولكنهما يختتمان بأمله وثقته في الانتصار بالرب. ولما كان المرنم قد اقتبس ختامهما يكون قد هتف بنشيد المنتصر الذي امتلأ قلبه بكل الأمل والثقة والشكر. كان المرنم في المزامير الثلاثة السابقة قد دعا شعبه لحمد الرب (١٠٥: ١-٣ و١٠٦: ١ و١٠٧: ١)، وها هو في مزمورنا يعمل بالوصية التي سبق أن أوصى بها، فيؤكد أن من اختبر الصليب لا بد أن يتمتع بعده بالقيامة. فإن كنا نحمل صليبنا ونُدفن مع المسيح بالمعمودية للموت، فلا بد أن نقوم معه في جدّة الحياة، ويصير لنا أمل رائع في المستقبل (رو ٦: ٤). «صادقة هي الكلمة: إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه» (٢تي ٢: ١٣). إن ملكنا المنتصر آت ثانية، لأنه لا بد أن يملك ليضع أعداءه موطئاً لقدميه. لقد وعدنا بذلك، وهو أمين لوعوده، صادق في محبته، سخي في عطاياه «إنما لله انتظري يا نفسي لأن من قِبله رجائي» (مز ٦٢: ٥).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - التسبيح في الصعوبة (آيات ١-٦)

ثانياً - تحقيق المواعيد رغم الصعوبة (آيات ٧-١٣)

أولاً - التسبيح في الصعوبة
(آيات ١-٦)

١ - **اطمئنان صاحب التسبيح:** «ثابتٌ قلبي يا الله» (آية ١أ). بدأ المرنم بإعلان طمأنينته بالرب لأنـــه واثق فيه معتمد على صُحبته، وشعاره: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز ٧٣: ٢٥). أحيـاناً يـــقول المؤمن: خائف قلبي، لأن رياح الحياة تهبُّ عليَّ، ولأن العواصف والأمواج تحيط بســفينتي وتهدد سلامتها. ولكن عندما يوجد الرب في سفينة حياة مؤمن لا يمكن أن يهلك ذلك المؤمن، بل يهتف: «جعلتَ ســـــروراً في قلبي أعظم من سرورهم.. بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز ٤: ٧، ٨).

٢- **شكر صاحب التسبيح:** «أغني وأرنم. كذلك مجدي» (آية ١ب). القلب الثابت يغني ويرنم لله لأن إبليـــس عجز عن أن يـــزعزع ثقته بربِّه. كان شاول يطارد داود قبل أن يملك، وبعد أن تولى الـمُلك هدّد الأعداء حدود بلاده، ولكن مطاردة شاول وهجوم الأعداء لم يرهباه لأنه كان يعلم أن كل أمــوره في يد الرب، فثبت قلبه وتهلل لسانه وترنمت شفتاه بتسابيح وأغاني روحية ترددت أصداؤها فـــي مغارات الجبال التي اختبأ فيها، فعرف الجميع أن سلامه مستمد من الرب وليس من الظروف. وفـي آثار داود سار بولس وسيلا اللذان لما أُلقيا في سجن فيلبي كان قلباهما يحلقان في سماء الفرح صلاةً وتسبيحاً حتى تزعزعت أساسات السجن. وكان هذا سبباً في خلاص ضابط السجن وأهل بيته (أع ١٦).

«كذلك مجدي» ترنمت شفتاه وترنم مجده، أي أفضل ما في أعماق نفسه، فتغنّى بكل ما فكر فيه عقله، وكل ما عبَّر به لســـانه، وكل ما جمَّله خياله. سبَّح بكل مجد الصورة التي خلقه الرب عليها، فهتف: «أحمدك من أجل أني قد امتزت عجباً. عجيـبة هي أعمالك ونفســـي تعرف ذلك يقيناً» (مز ١٣٩: ١٤). وســـبَّح بكل مجد الحيـــاة الجديـــدة التي منحها الله له، وكأنه يـــقول: يا رب، مجَّدتني ورفعتني من موت خطاياي، وأقمتني من قبر الخطية، وأعتقتني وأطلقتني إلى حرية مجد أولاد الله، فكل مجدي مســـتمد منك، وهو يـــخدمك ويرفع اســـمك «أما أنت يا رب فترسٌ لي. مجدي ورافع رأسي» (مز ٣: ٣).

نـعبس حين نرى الأمور من خلال عيني العالم، ولكننا نبتهج عندما نتطلع إلى أمورنا من وجهة نظر المسيح.

٣- **حماس صاحب التسبيح:** «اســتيقظي أيتها الرباب والعود. أنا أســـتيقظ ســـحراً» (آية ٢).

كـأن عوده وربابته رقدا لما مضى هو إلى فراشه لينام. ولما استيقظ مع الفجر ليناجي إلهه، أوقظهما معه ليشاركاه أنغامه وألحانه ليرفع للرب ذبيحة حمده، أي ثمر شفاه معترفة باسـمه (عب ١٣: ١٥) وهو يـقول: «أما أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع إذا اسـتيقظت بشبهك» (مز ١٧: ١٥). فما أبهج أن نبكر للرب بقلوبنا فيعطينا زاداً لنحتمل مسؤوليات يومنا ونواجه مشاكلنا.

٤- **مكان صاحب التسبيح:** «أحمدك بين الشعوب يا رب، وأرنم لك بين الأمم» (آية ٣). لم يكن اليهود يخالطون الوثنيين ولا يعاملون السامريين، لكن داود الممتلئ بالروح ارتفع بقلبه وفكره ليشكر الرب بين الجميع من يهود وأمم، ويعلن أمامهم فرحه بالرب. وقد أعلن المسيح لنا أن الله يحب العالم كله، وأنه لا يفرّق بين إنسان وآخر بسبب جنسه «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. ليس يـهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسـيح» (غل ٣: ٢٦-٢٨). وقـد أمرنا الرب أن نذهب إلى العالم أجمع ونكرز بالإنجيل للخليقة كلها. وعلينا أن نسلك بهذه الروح الكرازية التي تتخطى حواجز الجنس واللون واللغة. وما أجمل أن يجتمع الإخوة معاً لأنه «هناك أمر الرب بالبركة: حياةٍ إلى الأبد». (مز ١٣٣: ٣).

٥- **دوافع صاحب التسبيح:** «لأن رحمتك قد عظمت فوق السموات، وإلى الغمام حقك» (آية ٤). في زمن الخروج ظهرت رحمة الله في عمود السـحاب الذي سـار أمام شعبه ليهديهم ويحميهم من حرارة الـشمس (خر ١٣: ٢١)، وعندما تابعهم أعداؤهم انتقل عامود الـسـحاب من أمامهم ووقف وراءهم ليـحميـهم من العدو (خر ١٤: ١٩). وفي أيام يشوع عظمت رحمته العالية وحقه الرفيع، فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل (يش ١٠: ١٣). وأحاط الرب المرنم بالرحمة والحق فاندفع يسـبح الرب. كان يعرف أن هناك أجرة يستحقها، وأن هناك هبة لا يستحقها، فأجرة الخطيـة هي موت، أما هبة الله فهي حيـاة أبدية في المسـيح (رو ٦: ٢٣). وهو محتاج إلى الرحمة لأنه يسـتحق الهلاك، فعظمت الرحمة فوق السـموات وسترت شروره وآثامه، وغطّته وهو يـحتمي بها من الموت كما احتمى الابن الضال في أحضان محبة أبيه وغفرانه (لو ١٥: ٢٠). ولأن العدل الإلهي لا بد أن يـسـتوفي حقه فقد ارتفع عالياً واضحاً إلى الغمام، فتغنّى المرنم به لأنه رآه علامة ميثاق في قوس قزح في السـحاب (تك ٩: ١٣)، ثم رآه في المطر الذي ينزل ليروي الأرض فتنبت غذاء للإنسان والطير والحيوان. حقا «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز ٨٥: ١٠).

٦- **تواضع صاحب التسبيح:** «ارتفع اللهم على السموات، وليرتفع على كل الأرض مجدك» (آية ٥). شعر المرنم بضآلة تسـبيحه وتمجيده للرب، فهو السيد الجالس على العرش العالي المرتفع، ترنم له جيوش الملائكة: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» المرتفع، ترنم له جيوش

الـــملائكة: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ١، ٣). ولكن أكثر البشر لا يــشعرون، ويحتاجون أن يســمعوا أمر الرب: «ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته. توضع عينا تشامخ الإنســـان، وتُخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم» (إش ٢: ١٠، ١١).. ومهما عظُم تسبيح المؤمن فهو لا يتناسب مع جلال الرب وعظمته، فيــناشد الله المرتفع أن يرتفع أكثر على الســموات، ويعلو مجده على كل الأرض، ويملك على قلوب المؤمنين وحياتهم، ويعرفه الكبير والصغير، وتجثو لاسمه كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض، ويعترف كل لســان بســـلطانه غير المحدود وملكه غير المتناهي، فهو رب الماضي والحاضر والآتي.

٧-**أمل صاحب التسبيح:** «لكي ينجو أحباؤك، خلِّص بيمينك واســتجب لي» (آية٦). يأمل المرنم أن تمتدَّ يد الله الملك العظيم إليه بالاســـتجابة فينجو لأنه حبيب الرب ولأنه يحب الرب. لقد طلب أن يـــرتفع الرب وحقه فوق الجميـــع، فينحني أمامه كل أعدائه، وينجو أحباؤه المحتمون بظل جناحيه، ويخلص كل من يدعو باسمه. ومن سماء قدسه يميل الرب أذنه ويستجيب. وما أعظم الخلاص بيمين الرب الصانعة ببأس لأولاده بشفاء الجســد وعتق الروح من أســـر الخطية والذنوب والهلاك «أعلى أحد بينكم مشقات؟ فليصلِّ. أمسرور أحد؟ فليرتل.. صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها» (يع ٥: ١٣-١٦).

ثانياً - تحقيق المواعيد رغم الصعوبة
(آيات ٧-١٢)

١- **مواعيد تحقَّقت في الماضي:** «الله تكلم بقدســـه. أبتهج، أقسم شكيم، وأقيس وادي سكوت. لي جلعاد، لي منســـى. أفرايم خوذة رأسي. يهوذا صولجاني» (آيتا ٧، ٨) يتحدث المرنم عن معاملات الله الســـابقة مع يشوع حين شقَّ نهر الأردن فعبر الشعب واســـتولوا على أراضي الشرق: ســـكوت وجلعاد (عجلون) ومنســـى، وأراضي الغرب: شكيم (نابلس) وأفرايم ويهوذا، فقاســـوها وقســـموها لـــلأسباط. لقد تكلم الرب بقدسه، فتمَّ كل ما تكلم به، لأنه لا تسقط كلمة واحدة من كلامه الصالح. أنقذ المســـتضعفيـــن في الأرض، وهدى التائهيـــن في برية ســـيناء، وجعل من هؤلاء البدو الرحَّل قادة عســـكريين يفتحون الأراضي دون أن يتلقوا أي تعليم حربي، وخلق منهم كهنة بغير أن يتلقوا تعليماً كهنوتياً، فقد كان هو قائدهم الأعظم ومعلمهم الصالح.

٢- **مواعيـد تتحقق في الحـاضر:** «موآب مرحضتي. على أدوم أطرح نعلي. يـــا فلســـطين،

اهتفي عليَّ. من يـــقودني إلى المدينة الحصينة، من يهديني إلى أدوم؟» (آيتا ٩، ١٠). واجه المرنم ثـلاثة أعداء هاجموه، أولهم موآب، وكان يرى بعين الإيمان نصرته عليها فيجعل منها مرحضة يعلو فوقها كمن يغســل أقدامه من عناء مشوار طويل لإخضاعها واســتعبادها. وكانت أدوم ثاني هؤلاء الأعداء، وقد رأى المرنم نفســه يطرح نعله على أدوم، بمعنى أنه يمتلك أرضه ويسود عليه، تحقيقاً لقول الرب ليشوع: «كل موضع تدوســه بطون أقدامكم لكم أعطيه» (يش ١: ٣). أما العدو الثالث: فلســطيــن فقد رآها المرنم تهتف له دليل الخضوع والتبعيَّة. وحقق الرب لداود ما سـبق أن توقعه بالإيمان، فيقول الوحي: «وبعد ذلك ضرب داود الفلســطينيين وذللهم.. وضرب الموآبيين وقاســهم بالحبل.. وصار الموآبيون عبيدا لداود» (٢صم ٨: ١، ٢، ١٤).

وكما كان لداود ثلاثة أعداء، يــواجه المؤمن ثلاثة أعداء: الجســد والعالم وإبليس «لأن الجسـد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجســد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غل ٥: ١٧). وعلى المؤمن أن يـنهض ليــقاوم شهوة جســده المناقضة لمشيــئة الله. أما العدو الثاني فهو العالم ومبادئه الزائفة وشهواته الزائلة، فيسمع المؤمنون روح الله يناديهم: «أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله؟ فمن أراد أن يــكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله.. قاوموا إبليــس فيــهرب منكم» (يع ٤: ٤، ٧). أما العدو الثالث فهو إبليــس الذي يخدع الناس بكلامه الباطل محاولاً أن يضل، لو أمكن، المختارين أيضاً، مع أنه لا يــملك إلا الاقتراح، ولا يــلوي ذراع أحد لينفذ اقتراحه. فإذا انجذب المؤمن إلى اقتراح إبليس وانــخدع به يرتكب الخطية، لأن الشهوة إن سكنت القلب تلد خطية. والخطية إذا كملت تنتج موتاً (يع ١: ١٤، ١٥). وإبليس «كان قتالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق.. لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو ٨: ٤٤).

غير أن الرب الذي نصر شعبه في الماضي بقيادة موسى ويشوع، والذي أيَّد داود بقوته هو نفسه القادر أن يحفظنا غير عاثرين، ويلبســنا ســلاحه الكامل لنثبت ضد مكايد إبليس وهجماته، فلا نشبه أهل هذا الدهر ولا نطبِّق مبادئهم. ومع أننا نحيـــا في العالم إلا أن العالم لا يحيا فينا. وعندها نتغير عــن شكلنا بتجديد أذهاننا نختبر إرادة الله الصالحة المَرْضيَّة الكاملة، فنقدم حياتنا على مذبح التكريس الإلهي ذبيحة حية مقدسة (رو ١٢: ١، ٢).

٣- مواعيد ستتحقَّق في المستقبل: (آيات ١١-١٣). يتطلع المرنم نحو المســتقبل برجاء وثقة، ويحدِّث إلهه بأشواق قلبه.

(أ) **تقيـيـم سبب الهزيمـة:** «أليس أنت يا الله الذي رفضتنا، ولا تخرج يا الله مع جيوشنا؟» (آية ١١). مع أن الــماضي كان عامراً بــالانتصارات إلا أنه كان يـــحوي هزائم. ويـعترف الــمرنم

أن الهزائم جاءت بسـبب خطايا الشعب وابتعاده عن تعاليم إلهه، فرفض الرب شعبه ولم يخرج مع جيشه، فانكسروا. وعندما يفتخر المؤمن بقواه أو بتقواه الشخصية ينهزم، لأن الله لا يعود يسير بوجهه أمامه. وعندما يسأل إلهه عن السبب يأتيه الجواب: «اذكر من أين سقطت وتُب واعمل الأعمال الأولى، وإلا فإني آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتُب» (رؤ ٢: ٥). وطالما كنا في العالم نحتاج إلى توبة مستمرة، وتطهير دائم من أفكار العالم، ورجوع إلى حضن الآب، فتأتينا أوقات الفرج من عنده.

(ب) إعلان الله كالمعتمد الوحيد: «أعطنا عوناً في الضيق، فباطل هو خلاص الإنسان» (آية ١٢). لما ترك الشعب ربَّه تركه الرب فانهزم، لأنه وحده الملجأ، ومنه وحده العون والانتصار على الضيق. بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً، فباطل هو خلاص الإنسان، من داخل نفسه أو من خارجها. «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (مز ١٤٦: ٣، ٤) «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣).

(ج) النصرة النهائية قادمة: «بالله نصنع ببأس وهو يدوس أعداءنا» (آية ١٣). اطمأنت نفس المرنم حينما رفع عينيه إلى أعلى من حيث يأتيه العون، فتأكد من النجاة «لا تخف لأني معك. لا تتلفت لأني إلهك. قد أيَّدتك وأعنتك وعضدتك بيمين بري» (إش ٤١: ١٠). فلنترك ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدام (في ٣: ١٣) فيعظم انتصارنا بالذي أحبنا (رو ٨: ٣٧).

المزمور المئة والتاسع

لإمام المغنّين. لداود. مزمورٌ

١ يا إلهَ تسبيحي لا تسكُتْ، ٢ لأنه قد انفتح عليَّ فمُ الشريرِ وفمُ الغش. تكلّموا معي بلسانِ
كذبٍ. ٣ بكلامِ بُغْضٍ أحاطوا بي وقاتلوني بلا سببٍ. ٤ بدل محبّتي يخاصمونني. أما أنا فصلاةٌ.
٥ وضعوا عليَّ شراً بدل خيرٍ وبُغضاً بدلَ حبي.

٦ فأقِم أنت عليه شريراً، ولْيَقِف شيطانٌ عن يمينِه. ٧ إذا حوكم فليخرُجْ مذنباً، وصلاتُه
فلتكُن خطيةً. ٨ لتكُنْ أيامُه قليلةً، ووظيفتُه ليأخُذْها آخرُ. ٩ ليكُن بنوه أيتاماً وامرأتُه أرملةً.
١٠ ليَتِهْ بنوه تيهاناً ويستعْطوا، ويلتمسوا خيراً مِن خِربِهم. ١١ ليَصْطَدِ المرابي كلَّ ما لَه، ولينْهَبِ
الغرباءُ تعبَه. ١٢ لا يكُن له باسطٌ رحمةً، ولا يكُن مُترأفٌ على يتاماه. ١٣ لتنقرِضْ ذُرّيته. في
الجيلِ القادمِ ليُمحَ اسمُهم. ١٤ ليُذكرْ إثمُ آبائه لدى الربِّ، ولا تُمْحَ خطيةُ أمّه. ١٥ لتكُنْ أمام
الربِّ دائماً، ولْيقرِضْ مِن الأرض ذِكرَهم. ١٦ من أجل أنه لم يذكر أن يصنعَ رحمةً، بل طرد
إنساناً مسكيناً وفقيراً والمنسحقَ القلبِ ليُميته. ١٧ وأحبَّ اللعنةَ فأتتْهُ، ولم يُسَرَّ بالبركة فتباعدت
عنه. ١٨ ولَبِس اللعنةَ مثلَ ثوبه فدخلت كمياهٍ في حَشاهُ وكزيتٍ في عظامِه. ١٩ لتكُن له كثوبٍ
يتعطّفُ به، وكمنطقةٍ يتنطّق بها دائماً. ٢٠ هذه أجرةُ مبغضيَّ من عند الربِّ، وأجرةُ المتكلمين
شراً على نفسي.

٢١ أما أنت يا ربُّ السيد فاصنعْ معي من أجلِ اسمِك. لأن رحمتَك طيبةٌ نجّني، ٢٢ فإني
فقيرٌ ومسكينٌ أنا، وقلبي مجروحٌ في داخلي. ٢٣ كظلٍّ عند مَيْلِه ذهبتُ. انتفضْتُ كجرادة.
٢٤ ركبتاي ارتعشتا من الصَّوم، ولحمي هُزِل عن سِمَنٍ، ٢٥ وأنا صرتُ عاراً عندهم. ينظرون إليَّ
ويُنْغِضون رؤوسَهم.

٢٦ أعنّي يا ربُّ إلهي. خلّصني حسب رحمتِك. ٢٧ ولْيَعلموا أن هذه هي يدُك. أنت يا ربُّ
فعلتَ هذا. ٢٨ أما هُم فيَلعَنون، وأما أنت فتُبارِكُ. قاموا وخزوا، أما عبدُك فيفرحُ. ٢٩ ليلبسْ
خُصمائي خجلاً، وليتعطّفوا بخِزيِهم كالرِّداء. ٣٠ أحمدُ الربَّ جداً بفمي، وفي وسَطِ كثيرين
أسبّحُه. ٣١ لأنه يقومُ عن يمين المسكين ليخلّصَه من القاضين على نفسِه.

وظيفته يأخذها آخر

يشبه هذا المزمور مزموري ٣٥ و٦٩ في أنه شكوى للرب من الأعداء الكذابين المتآمرين القتلة، وفي طلب صبّ اللعنة عليهم، بعد أن ردّوا خير المرنم شراً وحبه بغضة. وقد اعتبرت الكنيسة مزمورنا مسياوياً (أي يتنبأ بمجيء المسيا) لأن الرسول بطرس اقتبس الآية الثامنة منه كنبوّة عن

يــهوذا الإسخريوطي، فقال: «لأنه مكتوب في سفر المزامير: لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر» (أع ١: ٢٠).

وتشكل تمنيات اللعنة في آياتِ ٦-٢٠ مشكلة للمسيحي الذي يجب أن يحب أعداءه ويبارك لاعنيه ويُحســن إلى مبغضيه، ولذلك فسرها البعض بأنها كلمات اللعنة التي فاه بها أعداء المرنم ضده، ولو أن مفســريــن آخرين قالوا إنها اللعنات التي صبَّها المرنم على أعدائه، الأمر الذي يتفق مع اقتباس بطرس المشار إليه بأنها نبوَّة عن تلميذ المسيح الخائن، وهي كلمات غضب البار المعلن على الشرير «إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً» (٢تس ١: ٦).. على أن البعض رأوا فيها نبوَّة عن مصيــر أعداء المرنم لأنه بريء محب و«صلاة». وبحســب العهد القديم الذي يقول «عين بعين وسن بسن» لم يرَ غضاضة في تمني الأذى لهم وطلب القصاص منهم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – طلب المعونة الإلهية (آيات ١-٥)

ثانياً – طلب اللعنة للعدو (آيات ٦-٢٠)

ثالثاً – سبب طلب المعونة الإلهية (آيات ٢١-٢٧)

رابعاً– الاستجابة الإلهية (آيات ٢٨-٣١)

أولاً - طلب المعونة الإلهية
(آيات ١-٥)

١ – **طلبة من الإله المُسبَّح:** «يا إله تســبيحي» (آية ١أ). رغم أن المرنم متعب ونفســه مُرة من تقاول الأعداء عليــه، إلا أن هذا لم يــؤثر على ثقته بالرب ولا على علاقته بإلهه، حصنه في زمان الضيــق، فناداه بالتســبيح الشاكر على البركات الســابقة والآتية التي تخلِّص نفســه وتشفي جراحه «اشفني يا رب فأُشفى. خلِّصني فأُخلَّص، لأنك أنت تسبيحي» (إر ١٧: ١٤).

٢– **طلبة من الإله الساكت:** «لا تســكت» (آية ١ب). بسبب شدَّة آلام المرنم شعر أن الوقت طال عليــه والرب صامت لا يتدخل، فهاجت أفكاره داخله وارتفع ضجيج الأعداء خارجه، فصرخ يطلب تدخُّل الرب، ليــتبدد مضايــقوه وتنتهي مخاوفه. ولا شك أن الرب يجيبه بقوله: «هل تنســى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ » (إش ٤٩: ١٥). فلنصلِّ ونصبر له ونتوقع استجابته.

٣– **طلبة للنجاة من الكذب:** «لأنه قد انفتح عليَّ فم الشرير وفم الغش. تكلموا معي بلســان كذب» (آيــة ٢). انفتح فم الأعداء علــى الــمرنم ومعه بــافتراءات فاقت احتمالــه، فنفد صبره، ووصف

أعداءه بثلاث صفات: الشر، والغش، والكذب «فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات. والإنسان الشرير من الكنز الشرير يُخرج الشرور. ولكن.. كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» (مت ١٢: ٣٤-٣٦).

٤- **طلبة من قلب نقي:** عندما فحص المرنم نفسه وجد ثلاث صفات صالحة:

(أ) **إنه بريء:** «بكلام بُغض أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب» (آية ٣). كل ما قالوه عنه من كلام كراهية وبغض، وكل حرب شنّوها عليه لم تكن بسبب شر ارتكبه. وهو لا يبرئ نفسه البراءة المطلقة، لكنه يعلن براءته مما ألصقوه به من اتهامات ظالمة، مثل اتهام الملك شاول لداود بأنه سيأخذ المملكة منه، مع أن الرب هو الذي اختار داود دون شاول ليملك، لأن قلب داود كان حسب قلب الرب (أع ١٣: ٢١). ولا بد أن ينقذ الله المؤمن المضطهد بلا سبب، والرب يقول لنا: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين» (مت ٥: ١١). والعالم يبغض المؤمنين لأنه أبغض المسيح من قبلهم. ولو كانوا من العالم لأحبَّهم العالم (يو ١٥: ١٨، ١٩).

(ب) **إنه محب، وهو صلاة:** «بدل محبتي يخاصمونني، أما أنا فصلاة. وضعوا عليَّ شراً بدل محبتي، وبغضاً بدل حبي» (آيتا ٤، ٥). وقد قيل: «أنا سلام، وحينما أتكلم فهُم للحرب» (مز ١٢٠: ٧). قدم المرنم لأعدائه محبة، لكنهم خاصموه ورفضوا محبته، فلجأ إلى الصلاة واستجار بالرب، فوجد عنده العون، فصارت حياته بخوراً عطراً صاعداً أمام ساكن السماء لأنه قال: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلتُ بالسيد الرب ملجأي لأخبر بكل صنائعك» (مز ٧٣: ٢٨). «أما أنا فلك صلاتي يا رب في وقت رضى. يا الله، بكثرة رحمتك استجب لي» (مز ٦٩: ١٣).

ثانياً- طلب اللعنة للعدو
(آيات ٦-٢٠)

في هذه الآيات يطلب المرنم معاملة الأعداء بمثل ما أرادوا أن يوقعوه فيه، ويتنبأ بما سيصيبهم من شر ليتجرعوا كأس المرارة التي أذاقوه إياها.

١ - **طلب محاكمة العدو:** «فأقِم أنت عليه شريراً، وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنباً وصلاته فلتكن خطية» (آيتا ٦، ٧). يطلب المرنم من الرب أن يقيم على عدوه من هو أشر منه ليكون الانتقام من نفس نوع العمل. ويطلب أن يقف «شيطان» (أي خصم ومشتك) عن يمينه يوجّه له الاتهامات، ويقدم له المشورة الفاسدة المهلكة التي تفضح ذنبه. فإذا صلى لا تُقبل صلاته لأنها مكروهة عند الرب «ذبيحة الأشرار مكرهة الرب وصلاة المستقيمين مرضاته» (أم ١٥: ٨).

٢- **ضياع وظيفة العدو:** «لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر» (آية ٨). وهذا ما أصاب الملك شاول الذي عادى داود وكان يطلب أن يهلكه فهلك هو، وتولى داود المُلك. وهو ما أصاب يهوذا الخائن الشرير فأخذ مكانه آخر (أع ١: ٢٠). وقد تعني قلة الأيام انعدام البركة، فيعمِّر الشرير طويلاً، ولكن ثمره يكون سيئاً وغير مرضي أمام الرب.

٣- **فقر عائلة العدو:** «ليكن بنوه أيتاماً، وامرأته أرملة. ليته بنوه تيهاناً ويستعطوا، ويلتمسوا خبزاً من خربهم» (آيتا ٩، ١٠). لأن الرب يقصر أيام الشرير ويميته يتيتّم أطفاله وتترمّل زوجته، ويفقدون عائلهم فيعانون من العوز، يسكنون الخرب ويشتهون الخبز. وهذا ما لا يمكن أن يحدث للصديق فيقول: «كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تُخلي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥).

٤- **إفلاس العدو:** «ليصطد المرابي كل ماله، ولينهب الغرباء تعبه» (آية١١). فيزرع بلا حصاد، ويزن فضة لغير خبز ويتعب لغير شبع، ويأكل وليس إلى الشبع، ويشرب ولا يرتوي، ويكتسي ولا يدفأ، ويأخذ أجرة لكيس منقوب (إش ٥٥: ٢ وحج ١: ٦). يذهب تعبه وكده هباء وتغادره البركة وكل ما يجتنيه يذهب ثمره للمرابي والغريب.

٥- **ظلام مستقبل العدو:** «لا يكن له باسط رحمة، ولا يكن مترأف على يتاماه. لتنقرض ذريته. في الجيل القادم ليُمح اسمهم. ليُذكَر إثم آبائه لدي الرب، ولا تُمحَ خطية أمه. لتكن أمام الرب دائماً، وليقرض من الأرض ذكرهم» (آيات ١٢-١٥). يأكل الآباء الحصرم فتضرس أسنان أبنائهم. اجتماعياً يترك الشرير وراءه سيرة سيئة، واقتصادياً يورث أولاده الديون، وصحياً يترك لهم الأمراض، فيؤثر على مستقبل أبنائه إذ يعيرهم معاصروهم. وحتى إن تاب الشرير بعد سنوات شر فيغفر الرب له، يظل الناس يعيِّرون نسله، لأن الله ينسى ذنوب التائب أما البشر فيذكرونها. لقد تاب اللص المصلوب، ودخل الفردوس، ولكن الناس ظلوا يعيِّرون أولاده وأحفاده بأن أباهم وجدّهم لص مات مصلوباً!

٦- **حلول اللعنة بالعدو:** «من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً، والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته، ولم يُسرّ بالبركة فتباعدت عنه. ولبس اللعنة مثل ثوبه، فدخلت كمياه حشاه وكزيت عظامه. لتكن له كثوب يتعطّف به، وكمنطقة يتنطّق بها دائماً» (آيات ١٦-١٩). أنعم الرب على هذا الشرير وبسط له رحمة، ولكنه لم يرحم الفقير المتسوّل بل طرده من على بابه وشيَّعه بكلمات مؤلمة سحقت قلبه حزناً حتى كاد يموت. وباركه الرب بنعم الحياة الدنيا ولكنه أحب اللعنة وانحرف إلى الشر، فتباعدت البركة عنه، وأحاطت به اللعنة كثوب يرتديه نهاراً وليلاً، فدخلت إلى أحشائه كماء اللعنة لورم البطن وإسقاط الفخذ (عد ٥: ٢٢)، وتخللت

اللعنة عظامه كالزيـــت، فصارت ضعيفة هشّة. ويرمز الماء والزيت عادة للبركة، ولكن هذه البركة صارت لعنة للشريــــر الذي يطرد الفقير، فيقول الرب له: «بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٢٥: ٤٥، ٤٦).

٧- **ديـنونة الـعدو:** «هذه أجرة مبغضيّ من عند الرب، وأجرة المتكلميـن شراً على نفســي» (آية ٢٠). الرب رحيم وبار ومترأف على الجميع، يطيل أناته على الخاطئ ليتوب. «يتأنى علينا، وهو لا يـــشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة» (٢بط ٣: ٩). أما من يعاند فإنه يذخر لنفســه غضباً ودينونة مخيفة كأجرة لعدم توبته. ويحسب المرنم عدوّه إنساناً يرفض التوبة، فينال أجرة رفضه.

ثالثاً - سبب طلب المعونة الإلهية
(آيات ٢١-٢٧)

يـبدأ هذا الجزء بكلمة «أما» تعبيــراً عن تغيير موقف وعن اختلاف فكر. فبعد أن امتلأت نفس الـمرنم من مرارة رثاء الذات نتيجة ذكر سلوك الأشرار تجاهه، حوّل نظره إلى مصدر عونه وقوته. وبعد أن تذكر ظلـــم الأعداء اتجه إلى رحمة الله الدائمة يـطلب منه الحمايـة «من يـقوم لي على المســـيئين؟ من يقف لي ضد فعلة الإثم؟ لولا أن الرب معيني لسكنت نفسي سريعاً أرض السكوت» (مز ٩٤: ١٦، ١٧). ويذكر المرنم أربعة أسباب لطلب معونة الله.

١ - **لأجل اسم الـرب:** «أما أنت يا رب السـيد فاصنع معي من أجل اســمك» (آية ٢١أ). عندما أشـرق نور الرب على المرنم بنعمته الفعالة توقف عن طلب اللعنة على العدو، وهُرع إلى اسم الرب البرج الحصين الذي يركض إليه الصديق ويتمنّع (أم ١٨: ١٠) فهو الخالق المعتني، حافظ النفس من السـقوط والهلاك. حقاً «إن كان الله معنا فمن علينـــا؟» (رو ٨: ٣١). والاسـم يصف الشخصية، وشـخصية الرب محبة وقوية وقدوسة وأمينة، أما المؤمن فضعيف، ويعلم أنه لا يستحق فضل الرب، فـيحتمي في الاسم الكريم الذي دُعي عليه، ويقول: «ليس لنا يا رب ليس لنا، لكن لاسمك أعط مجداً. من أجل رحمتك من أجل أمانتك» (مز ١١٥: ١).

٢ - **لإعلان رحمة الرب:** «لأن رحمتك طيبة نجّني» (آية ٢١ب). لا يســتحق الإنسان نجاة، ولكن رحمة الله الطيـبة تنجيـــه. «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤: ٨). «إذ قلت قد زلّت قدمي فرحمتك يا ربّ تعضدني» (مز ٩٤: ١٨).

٣ - **لأن المــرنم عاجز:** «فإني فقير ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي. كظلٍّ عند ميله ذهبت. انتفضتُ كجرادة. ركبتاي ارتعشتا من الـــصوم، ولحمي هزل عن سـمن، وأنا صرتُ عاراً عندهم.

ينظرون إليّ وينغضون رؤوسهم» (آيات ٢٢-٢٥). طرد الشرير مساكين وفقراء، وأراد أن يُميت منكسري القلوب (آية ١٦). ولعل المرنم كان أحد هؤلاء، فصار كظل يميل قرب غروب الشمس وقد أشرف على الاختفاء، وأخذ ينتفض وكأن الجراد التهم خضرته، أو كأنه جرادة تنتفض لتطير. وبسبب خوفه امتنع عن الطعام فارتعشت ركبتاه ونقص وزنه، وصار موضوع السخرية عند أعدائه. ودفعه هذا ليطلب عون الله.

٤ - **لإعلان قوة الرب**: «أعنّي يا رب إلهي. خلِّصني حسب رحمتك، وليعلموا أن هذه هي يدك. أنت يا رب فعلت هذا» (آيتا ٢٦، ٢٧). لا بد أن يسرع الرب بالمعونة والنجاة. «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلَّصه.. كثيرون يرون ويخافون ويتوكلون على الرب» (مز ٣٤: ٦ و٤٠: ٣). وهكذا يعلن الرب للجميع أنه مخلِّص شعبه. ويتكرر ما قالته شعوب الأرض عندما أخرج شعبه من أرض العبودية إلى أرض الرحب. «ليبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل أبداً محبو خلاصك يتعظم الرب» (مز ٤٠: ١٦).

رابعاً - الاستجابة الإلهية
(آيات ٢٨-٣١)

يختم المرنم مزموره بذكر ثلاث مفارقات بين ما كان فيه وما وصل إليه:

١ - **البركة بعد اللعنة**: «أما هم فيلعنون، وأما أنت فتبارك» (آية ٢٨أ). وهل تصيب اللعنة من باركه الرب؟ قال الله لإبراهيم: «أبارك مباركيك ولاعنك ألعنه» (تك ١٢: ٣). ولم يستطع بلعام أن يلعن شعب الرب لأن الرب بارك شعبه، وقال: «لا تلعن الشعب لأنه مبارك» (عد ٢٢: ١٢).

٢ - **الفرح بعد الخزي**: «قاموا وخزوا. أما عبدك فيفرح» (آية ٢٨ب). كم كان خزي ضابط سجن فيلبي وهو يرى نفسه سجين خوفه، بينما بولس وسيلا منطلقين في الحرية، وقد ظهر هذا في صرخته: «يا سيديَّ، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلُص؟» (أع ١٦: ٣٠). أما هما فكانا يسبحان ويصليان. وقال بولس لأهل فيلبي: «افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا» (في ٤: ٤).

٣ - **الخلاص بعد الخطر**: «ليلبس خصمائي خجلاً، وليتعطَّفوا بخزيهم كالرداء. أحمد الرب جداً بفمي، وفي وسط كثيرين أسبحه، لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلِّصه من القاضين على نفسه» (آيات ٢٩-٣١). قصد أعداء المرنم له الشر، أما الرب فقصد بشرِّهم خيراً (تك ٥٠: ٢٠) فخزي أعداؤه، وانطلق هو يحمد ويسبح، لأن الله خلَّصه وهو قريب من الموت! وما أعظم المفارقة بين الشرير الذي يقف شيطان على يمينه (آية ٦) والمسكين الذي يقف الرب عن يمينه يعينه وينقذه.

المزمور المئة والعاشر

لداود. مزمورٌ

١ قال الربُّ لربّي: «اجلِسْ عن يميني حتى أضعَ أعداءَكَ موطئاً لقدميك». ٢ يرسلُ الربُّ
قضيبَ عزِّكَ من صهيون. تسلّطْ في وسَط أعدائِك. ٣ شعبُكَ مُنتدَبٌ في يوم قوّتك، في زينةٍ
مقدَّسةٍ مِن رَحِمِ الفجر. لكَ طلُّ حداثتِك.

٤ أقسَم الربُّ ولن يندمَ: «أنتَ كاهنٌ إلى الأبد على رُتبةِ ملكي صادق». ٥ الربُّ عن يمينِك
يحطِّم في يوم رِجْزِه ملوكاً. ٦ يدينُ بينَ الأمم. ملأ جُثثاً أرضاً واسعةً. سحق رؤوسَها. ٧من النهرِ
يشربُ في الطريق، لذلك يرفعُ الرأسَ.

المسيح الملك والكاهن

هذا المزمور من أكثر المزامير المقتبسة في العهد الجديد، فقد اقتبس منه المسيح في مت ٢٢: ٤٤ (راجع مر ١٢: ٣٦ ولو ٢٠: ٤٢، ٤٣)، واقتبس معناه في مت ٢٦: ٦٤ عندما قال: «مِن الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة». واقتبس منه الرسول بطرس في عظته يوم الخمسين (أع ٢: ٣٤، ٣٥) واقتبس في عب ١: ١٣ لبيان أن المسيح أعظم من الملائكة. وتكررت فكرة جلوس المسيح عن يمين الآب في مر ١٦: ١٩ وأع ٥: ٣١ و٧: ٥٥ ورو ٨: ٣٤ وأف ١: ٢٠ وكو ٣: ١ وعب ١: ٣ و٨: ١ و١٠: ١٢ و١٢: ٢ و١بط ٣: ٢٢. وتكرَّرت فكرة مُلكه والخضوع تحت قدميه في ١كو ١٥: ٢٤-٢٧ وعب ١٠: ١٣ و١بط ٣: ٢٢. وتكررت فكرة تفوّق كهنوته عن الكهنوت اللاوي، وأن هذا الملكوت على رتبة ملكي صادق في عب ٥: ٥-٧ و٦: ٢٠ و٧: ١٧-١٩.

إن الأوصاف الواردة في هذا المزمور لا تنطبق إلا على المسيح، فهو وحده ربُّ داود، وهو الوحيد المُقام عن يمين الله، وهو الوحيد الذي يتسلط على أعدائه إلى الأبد، وهو الوحيد الذي جمع الكهنوت والمُلك معاً. ولقد رفَّع الله الآب المسيح بعد أن رفضه الناس، فقال بطرس والرسل لرؤساء اليهود: «هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلِّصاً، ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا» (أع ٥: ٣١). ولا عجب فهو صاحب القربان الكفاري المقبول «فبعدما قدَّم عن الخطايا ذبيحةً واحدةً جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظراً بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطئاً لقدميه» (عب ١٠: ١٢، ١٣). لقد جلس عن يمين الرب لأنه الشفيع الكامل الذي لا يحتاج إلى من يشفع فيه، فهو «الذي مات، بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله، الذي أيضاً يشفع فينا» (رو ٨: ٣٤).

اقتبس المسيح الآية الأولى من هذا المزمور ليبرهن أنه المسياء وهي: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» وذلك في الأسبوع الأخير، بعد أن وجّه شيوخ اليهود إليه أربعة أسئلة:

(١) **سألوه سؤالاً شخصياً**: عندما طهّر الهيكل من الباعة والصيارفة سألوه: «بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟» فأجاب أن يوحنا المعمدان، الذي كان كل اليهود يقبلونه كنبي شهد لسلطان المسيح السماوي (مت ٢١: ٢٣-٢٧).

(٢) **وسألوه سؤالاً سياسياً**: «أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا؟» فأجاب أن الجزية يجب أن تدفع، لأننا يجب أن نعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، فنقوم بواجباتنا المدنية، وواجباتنا الروحية (مت ٢٢: ١٧-٢١).

(٣) **وسألوه سؤالاً عقائدياً**: عن سيدة تزوجت سبع مرات، ومات أزواجها السبعة، وآخر الكل ماتت هي. فلأي زوج من السبعة تكون زوجةً في القيامة؟ فأجاب أنهم في القيامة لا يُزوِّجون ولا يتزوَّجون، بل يكونون كملائكة الله. وكان سائلوه من طائفة الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة، فأكد المسيح لهم أن القيامة حقيقة، لأن الله يقول إنه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهو ليس إله أموات بل إله أحياء (مت ٢٢: ٢٣-٣٣).

(٤) **وأخيراً سألوه سؤالاً روحياً**: أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فأجاب: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك» والوصية الثانية مثلها «تحب قريبك كنفسك» (مت ٢٢: ٣٤-٤٠).

وبعد إجابته على الأسئلة الأربعة وجّه هو إليهم سؤالاً: «ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟» فأجابوا: «ابن داود» (مت ٢٢: ٤٢)، وهذا ما تقوله نبوات التوراة. فاقتبس فاتحة مزمور ١١٠، وسألهم: «فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟».. وصمت شيوخ اليهود ولم يقدروا أن يجاوبوه، لأن الإجابة الوحيدة هي أن المسيح ربي هو ابن داود بالجسد، وفي الوقت نفسه هو رب داود بالروح.

ويؤكد سؤال المسيح أن المزامير من وحي الروح القدس، ويوضّح أن مضمون مز ١١٠ لا يخصُّ ملكاً ولا كاهناً ولا نبياً من أصل أرضي، بل موضوعه المسيا المخلِّص المنتظَر الآتي من السماء، ولذلك هو أعظم من داود. وكان ملك اليهود من سبط يهوذا، ومن نسل داود، بينما كان كهنتهم من سبط لاوي ومن نسل هارون.. ومن صمت شيوخ اليهود عن الإجابة على سؤال المسيح

نستدل أن ما قاله المسيح هو التفسير الحقيقي للمزمور، والمقبول من كل طوائف اليهود. وقد اعتاد المسيح أن يثير سامعيه ليبحثوا الكتب المقدسة، فقال لهم مرة: «فتِّشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي» (يو ٥: ٣٩). وهي نصيحة لنا كلنا، لندرس الكتاب المقدس بأنفسنا، ونطلب من الذي أوحى به أن يفسِّر لنا معانيه، وأن يكشف لنا المستتر من كنوزه.

ونحن اليوم نقدر أن نقول بيقين إن المسيح الذي تجسَّد إنساناً ووُلد من العذراء القديسة مريم هو ابن داود حسب الجسد، ولكنه في الوقت نفسه هو كلمة الله بحسب الروح. وما ورد في التوراة من نبوّات عن تجسُّده وعن ألوهيته وعن التثليث الإلهي ورد كامناً، ولكنه جاء في الإنجيل معلَناً، فقد قال المسيح: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أن يقتلوه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله (يو ٥: ١٧، ١٨). وقال المسيح أيضاً: «الحقَّ الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائنٌ» فأراد اليهود أن يرجموه لأنه أطلق على نفسه لقب «الكائن» أي الله الدائم الوجود (يو ٨: ٥٨، ٥٩). وقيل عنه إنه عندما عادل نفسه بالله لم يكن مختلساً ما ليس من حقه (في ٢: ٦). وقيل: «عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد» (١تي ٣: ١٦). وقيل: «عمل شدة قوة الله الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء.. إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل» (أف ١: ١٩-٢٢ و٤: ٨-١٠).. «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السماوات: يسوعُ ابن الله، فلنتمسَّك بالإقرار، لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرَّبٌ في كل شيء مثلنا، بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة، ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤: ١٤-١٦).. «الذي هو في يمين الله! إذ قد مضى إلى السماء، وملائكةٌ وسلاطينُ وقواتٌ مُخضعةٌ له» (١بط ٣: ٢٢). وهذا يعني أن الرب قال لربي بعد أن أكمل عمل الفداء أن يجلس عن يمينه في مكان السلطة، حتى تجثو للمسيح كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن المسيح هو رب (في ٢: ١٠، ١١).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - المسيح الملك (آيات ١-٣)

ثانياً - المسيح الكاهن (آيات ٤-٧)

أولاً - المسيح الملك
(آيات ١-٣)

١ - **إعلان ملكوت المسيح:** «قال الرب لربي» (آيـة ١أ). في فاتحة المزمور يعلن داود بوحي الروح القدس أن هناك حواراً بيـن الأقانيـم الثلاثة في اللاهوت الأقدس، ولا عجب، فإنه «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو ١: ١). ويقول داود إن المسـيح الملك ربُّه، فإن الرب يطلب من ربي المسيا، الذي هو الكلمة، ومسيح الرب، أن يجلس عن يمينه. وقد سمعنا الله الابن يـقول في الـمزمور الثاني: «إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليـوم ولـدتك.. قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مز ٢: ٧، ١٢). وهذا ما عبّر عنه يـشوع لرئيس جند الرب عندما جاء إليه «فسـقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسـجد وقال له: بماذا يكلم سيدي عبده؟» فأجابه: «اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقفٌ عليه مقدس» (يش ٥: ١٤، ١٥). فلنكن مُرهفي السـمع مثل صموئيل الذي عندما دعاه الرب قال: «تكلّم يا رب لأن عبدك سـامع» (١صم ٣: ١٠) ولنطع ما قالته العذراء القديسة مريم لأهل عرس قانا الجليل: «مهما قال لكم فافعلوه» (يو ٢: ٥) ولنقل للمسـيح مع شاول الطرسوسي: «ماذا تريد يا رب أن أفعل؟» (أع ٩: ٦). ولتمتلئ نفوسـنا بالثقة في الرب الملك كلما هاجمتنا عواصف الحيـاة وأمواجها، فسـيجيئنا الرب الملك ليسـكّنها فتخضع الأمواج تحت قدميه، كما سبق أن جاء لتلاميذه ماشياً على أمواج مياه بحيرة طبرية الذي كان موشكاً أن يبتلعهم، فهدّأه وأنقذهم (مر ٦: ٤٥-٥٣).

٢ - **سموّ ملكوت المسيح:** «اجلِس عن يميني» (آية ١ب). الجلوس عن اليمين هو مكان الشرف والعظمة، كما أنه يـرمز إلى إكمال العمل، فقد أرسـل الرب كلمته المسـيح إلى عالمنا ليقوم بعمل الـفداء، ولما أكمله قال: «أنا مجّدتك على الأرض. العمل الذي أعطيـتني لأعمل قد أكملته. والآن مجّدني أنت أيـها الآب عند ذاتك بالـمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم» (يـو ١٧: ٤، ٥)، فاسـتحقّ أن يجلس عن يمين العظمة في الأعالي، ورفّعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسـمه كل ركبة ممّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (في ٢: ٩). والمساواة بين «ربـي وربي» واضحة بصورة كاملة في الإنجيل، فالمسيا أعظم من داود، لأن داود يدعوه «ربي». وداود لـم يصعد إلى السماوات، أما المسيح فقد ارتفع إلى السماء (مر ١٦: ١٩). وهو أعظم من الملائكة لأن الله لم يقُل لأحدٍ من الملائكة قطّ: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (عب ١: ١٣).

الرب وربي على عرش واحد، فقد قال المسيح: «أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠). واحد فقط هو الـذي يـسـاوي الآب في الـجوهر، هو الإلـه الـحق من الإلـه الحق، نور من نور. قال عنه

الرســــول بطرس يوم الخمسين لشيوخ اليهود: «يسوع هذا أقامه الله، ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، ســكب هذا الذي أنتم تبصرونه وتسمعونه. لأن داود لم يصعد إلى السماوات، وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميــك. فليعلم يقيناً جميع بيت إســرائيل أن الله جعل يســوع هذا، الذي صلبتموه أنتم، رباً ومســيحاً» (أع ٢: ٣٢-٣٦). قال الرب لربي اجلس عن يميني، على ذات عرشي، مساوياً لي، بعد أن أكملتَ عمل الفداء.. ولا يمكن أن يُطلب من أي مخلوقٍ بشري، مهما بلغ من القداسة أو السلطان أو معرفة أســرار ملكوت السماوات، أن يجلس عن يمين الرب، لأن اليمين مكان السلطة، والبشري مخلوق من تراب.

٣ - **انتصار ملكوت المسيح:** (آيتا ١ج، ٢).

(ا) **خضوع الأعداء للمسـيح:** «حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميــك» (آية ١ج). من الغريب أن تكون هناك مقاومة مستمرة للمسيح الملك، يصفها مز ٢ بأن ملوك الأرض ورؤساءها تآمروا عليه، ولكن الآب يقول له: «اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض مُلكاً لك» (مز ٢: ٧، ٨). «لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه» (١كو ١٥: ٢٥). ويصف ســفر الرؤيا هذه المعركة بقوله عن أعداء المســيح: «هؤلاء سيحاربون الحمل، والحمل يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك، والذين معه مدعوّون ومختارون ومؤمنون» (رؤ ١٧: ١٤). فلا بد أن يوضع الأعداء موطئاً لقدميه، علامة الهزيمة الكاملة، كما قيل في الرؤيا «وهو متسربلٌ بثوبٍ مغموس بدم، ويُدعى اسمه كلمة الله.. ومن فمه يخرج سيفٌ ماضٍ لكي يضرب به الأمم، وهو سيرعاهم بعصاً من حديد» (رؤ ١٩: ١٣، ١٥). ولكننا لا نرى الكل تحت قدمي المســيــح بعد، لأن النهاية لم تأتِ بعد. وزمن السماح هذا فرصةٌ للبعيدين ليتوبوا، وللثائرين ليتعقّلوا ويخضعوا، لأن غِنى لطف الله وإمهاله وطول أناته يمكن أن يقود البعض للتوبة (رو ٢: ٤).

(ب) **سلطة الرب المسيح:** «يرسل الرب قضيب عزّك من صهيون» (آية ٢أ). قضيب العزّ هو صولجان المُلك الذي يرمز إلى السلطة والقدرة، لحماية الرعايا، ولعقاب الثائرين «فيقضي بين الأمم ويــنصف لشعوب كثيرين» (إش ٢: ٤). وقد أرســل المســيح صولجان قوته ونعمته من أورشليم، عندما أوصى تلاميــذه أن لا يــبرحوها حتى يتعمّدوا فيها بالروح القدس، فينالون القوة ويكونون له شهوداً فيها وفي اليهودية وفي الســامرة وإلى أقصى الأرض (أع ١: ٤-٨) وهذا ما حدث فعلاً يوم الــخمسين (أع ٢: ١-٤). ويذكّرنا صولجان المسيح بعصا موسى التي شقّت البحر الأحمر ليعبر مع الشعب، وأخرجت الماء من الصخرة (خر ١٤: ٢١ و١٧: ٥). والمسيح هو الذي يشقّ لشعبه طريقاً

في البحر، ويــرويهم من نهر نعمه. ويذكِّرنا صولجان المســيح بعصا هارون التي أفرخت وأعطت أوراقاً خضراء (عدد ١٧: ٨)، فقد تجسَّد المســيح كلمة الله وجاءنا إنســاناً، فلم يؤمن به أصحاب النظرة الســطحية، وكان في نظرهم مثل عصا هارون اليابسة، لأن «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المســيح، الذي هو صورة الله» (٢كو ٤: ٤). ولكن الــذين اقتربوا منه، وفتح الله بصيرتهم ليؤمنوا به، رأوه المخلِّص والفادي، وقد برهنت لهم شخصيته وتعاليمه ومعجزاته أنه كلمة الله الذي يحمل كل ســلطان الله. ويذكِّرنا صولجان المسيح بالصولجان الذهبي الذي مدَّه الملك أحشويروش للملكة أســتير فأعطاها حقَّ التقدُّم إلى حضرته الملكية، فالمسيح هو صاحب صولجان القوة والنعمة الذي قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦) ففتح لنا باب المثول أمام عرش النعمة، وإلى الســماء. هو الذي يفتح ولا أحد يغلق، وهو الذي يغلق ولا أحد يفتح (رو ٣: ٧). هو صاحب السلطان الملكي المنتصر.

(ج) **سلطة الرب المسيح**: «تســلَّط في وسط أعدائك» (آية ٢ب). ربما كانت هذه كلمات الرب لــربي، أو كلمات الشعب لربي، أو كلمات دعاء صاحب المزمور لربي. وهي تحمل وعداً بتأكيــد الغلبة. فمع أن الأعداء يــحيــطون به من كل جانب، إلا أنه يــجب أن يتولى ويحكم، فيقطف ثمار نصرته. ومع أن أعداءه موجودون إلا أن النصرة هي للمسيح الذي خرج غالباً ولكي يغلب.

٤ – **جيش المسيح الملك**: (آية ٣).

(أ) **جيش متطوِّعين مقدَّســين**: «شعبك مُنتدبٌ في يــوم قوَّتك، في زينة مقدســة» (آية ٣أ). ســيربح المسيح معركته في يوم قوته بشعبه المنتدبين المتطوِّعين المزيَّنين بالقداسة، الذين لا يجبرهم ولا يُكرههم أحد لينضموا إليه وهو يحارب معركته المقدسة ضد الشيطان، لأن روح الله يعمل فيهم، كما عمل في بني إســرائيل فتجنَّدوا في جيش دبورة وباراق، فترنَّما عنهم قائلَيْن: «لأجل قيادة القواد في إســرائيل، لأجل انتداب الشعب، باركوا الرب» (قض ٢: ٥). وهكذا عمل روح الله في إشعياء النبي، الذي ســمع دعوة سماوية عامة تنادي: «مَن أرسل، ومن يذهب من أجلنا؟» فأجاب متطوِّعاً: «هئنذا أرســلني» (إش ٦: ٨). وهكذا فعل بولس وهو يقول لأهل كنيســة فيلبي: «إن كنتُ أنسكب أيــضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته، أُســرُّ وأفرح معكم أجمعين» (في ٢: ١٧). وهذا ما يطالبنا به الــوحي في القول: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرْضيّة عند الله.. غير متكاسلين في الاجتهاد، حارين في الروح، عابدين الرب» (رو ١٢: ١، ١١). فتعالوا نــعمل بالنصيحة الرسولية: «البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس.. احملوا ســلاح الله الكامل.. وخذوا خوذة الخلاص وســيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف ٦: ١١–١٧).

وليكن الله سيد حياتنا المطاع، ورب عائلتنا المعبود، وقائدنا في كل عملٍ يكلّفنا به.

(ب) **جيش سماويين منتشرين:** «من رحم الفجر لك طلّ حداثتك» (آية ٣ب). رحم الفجر هو أجمل ساعات النهار، ساعة يولد النور إيذاناً بانتهاء الليل وانقشاع الظلام، فقد قال المسيح: «أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة» (يو ١٢: ٤٦). وشعب الرب هم أبناء النور المولودون ثانيةً من الروح القدس، فيكونون كالندى الذي ينزل وقت الفجر، فيقال عنهم: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً.. مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون، لأنه هناك أمر الرب بالبركة: حياة إلى الأبد» (مز ١٣٣: ١، ٣).. لقد أرسل الرب صولجان قوته، الذي هو إنجيل الخلاص، الذي به أنار لنا الحياة وأنار لنا الخلود، فأقبل المؤمنون يتجنّدون في جيش الرب وهم شباب فتيٌّ كثيرو العدد، مثل ندى الفجر المنعش الذي ينتشر من السماء بوفرة وبهدوء وقت الفجر، فيروي ظمأ نفوس عطشى إلى كلمة الرب وإلى خلاصه، ويفك أسرى الشيطان من قيود خطاياهم. إنهم يندفعون متطوّعين فور سماعهم النداء الإلهي، فيصطفّون ليحاربوا معركة الرب ضد أعدائه الأشرار، ويأسرونهم إلى طاعته، مستهينين بالصعوبة وبالموت لأنهم لم يحبّوا حياتهم حتى الموت (قض ٥: ١٨ ورؤ ١٢: ١١).

فيا أيها المؤمنون الأنقياء، يا من وُلدتم من السماء في وقت الفجر، ارووا الأرض من حولكم. أنتم جيشٌ مبارك للرب، فانتشروا متطوّعين مقدّسين، لتقدّموا للعالم خلاص المسيح الملك وبركته، فأنتم «جنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢: ٩).

ثانياً - المسيح الكاهن
(آيات ٤-٧)

الكاهن هو الذي يكلّم الله عن الناس، ويكلم الناس عن الله، فهو يعلن للبشر كلام الله، ويشفع فيهم أمام الله. والمسيح كلمة الله هو الكلمة وهو المتكلم، وهو الرسالة وهو الرسول، وهو النبي وهو موضوع النبوات. في المسيح، الكلمة، عرفنا الله المعرفة الكاملة، فقد قال: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). منذ القديم أعلن الله نفسه للبشر في الطبيعة التي تحدّث بمجده، وفي الفلك الذي يخبر بعمل يديه (مز ١٩: ١)، وفي الأنبياء بأنواعٍ وطرقٍ كثيرة (عب ١: ١). أما إعلانه الأكمل فهو في كلمته الذي جاءنا مولوداً من روحه في بيت لحم، وهو الطريق والحق والحياة. وهذا «الكلمة» هو الوسيط الوحيد بين الله والناس، لأنه كاملٌ بلا خطأ فلا يحتاج إلى شفيع، وهو الذي

وفى ديون الخطاة وناب عنهم.

١ - **سمو كهنوت المسيح:** «أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهنٌ إلى الأبد على رُتبة ملكي صادق» (آية ٤). تظهر مكانة المسيح الكهنوتية السامية من أنها أُعلنت بقسم إلهي. لقد أعلن الله مُلك المسيح بكلمة منه تحمل سلطانه «قال الرب لربي»، ولكنه أعلن كهنوت المسيح بقَسم منه «أقسم الرب ولن يندم»، «فإن الناس يُقسِمون بالأعظم، ونهاية كل مشاجرة عندهم، لأجل التثبيت، هي القَسَم. فلذلك إذْ أراد الله أن يُظهِر.. عدم تغيُّر قضائه توسَّط بقسم» (عب ٦: ١٦، ١٧). ويقارن الوحيُ بين كهنوت سبط لاوي وكهنوت المسيح بقوله: «لأن أولئك (هارون ونسله) بدون قسم قد صاروا كهنة، أما هذا (الرب المسيح) فبقَسم من القائل له: أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهنٌ إلى الأبد، على رُتبة ملكي صادق» (عب ٧: ٢١، ٢٢).

وكانت هناك رُتبتان كهنوتيتان، رتبة هارون وهي الكهنوت فقط، ورتبة ملكي صادق وهي الكهنوت والمُلك. وفي هذا المزمور يعلن الوحي مكانة المسيح الكهنوتية السامية من أن كهنوته على رتبة كهنوت ملكي صادق، وليس على رُتبة كهنوت هارون. ونجد أخبار ملكي صادق في التكوين ١٤: ١٨-٢٠، وهو ملكٌ يحمل اسماً سامياً معناه «ملك البر»، وكان ملكاً على «شاليم»، أي أورشليم، ومعناها «مدينة السلام» كما كان كاهناً لله العلي، وقدّم لخليل الله إبراهيم طعاماً من خبز وخمر، وباركه، فقدّم له إبراهيم العشور تأييداً له. وبهذا يكون ملكي صادق أعظم من إبراهيم، لأنه بارك إبراهيم. ولم يكن ملكي صادق من العبرانيين، ولكنه كان محافظاً على شريعة الله القديمة بينما كان يسكن وسط الوثنيين، ولذلك كان سابقاً لإبراهيم، وسابقاً للكهنة الذين جاءوا بعده. ويرمز ملكي صادق للمسيح، فكلاهما كان كاهناً وملكاً معاً، وكلاهما ليسا من سبط لاوي حفيد إبراهيم الخليل، وليس لكهنوتهما بداية ولا نهاية معروفة، فالمسيح لا «بداية أيامٍ له ولا نهاية حياة إلى الأبد» (عب ٧: ٣).. وكلاهما يملك بالبر والسلام. فالمسيح هو البار في ذاته، والذي يبرِّر كل من يؤمنون به، فيقولون: «إذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥: ١). والمسيح هو ملك السلام الذي قال: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا.. وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (يو ١٤: ٣٠ وفي ٤: ٧). هو الملك المُسالم الذي لا يحارب بل يصنع خيراً فعندما تشاور الفريسيون عليه ليقتلوه «علم يسوع وانصرف من هناك. وتبعته جموعٌ كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يُظهِروه، لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل: هوذا فتاي الذي اخترتُه، حبيبي الذي سُرَّت به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبةً مرضوضة لا يقصف، وفتيلةً مدخِّنة لا يطفئ، حتى يُخرِج الحق إلى النصرة، وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» (مت ١٢: ١٤-٢١).

وقد سـما كهنوت المسـيـح على كهنوت هارون بدوامه، فكهنوته إلى الأبد، على رتبة ملكي صادق «إذ هو حيٌّ في كل حيـن» (عب ٧: ٢٥). وهذا بالـمفارقة مع كهنوت هارون الذي منعه الموت من البقاء، فكان بنو إسـرائيل يعيِّنون رئيس كهنةٍ جديد عندما يموت الكاهن الأول. ولما كان هارون ونسـله بحكم طبيعتهم خطائين، فقد كان رئيس الكهنة على نظام هارون يدخل إلى الأقداس بدمٍ عن نفسـه أولاً. فإذا رضي الرب عنه يعود فيدخل بدمٍ عن خطايا الشعب. أما المسيح فقد دخل إلى الأقداس لا بدمٍ عن نفسـه، لأنه لم يكن محتاجاً أن يقدم ذبيحةً عن نفسـه، لكنه دخل بدم نفسه. وكان رئيس الكهنة على رُتبة هارون يقدِّم الذبيحة إلى قدس الأقداس مرة كل سـنة، أما المسيح فقد قدَّم ذبيحةً واحدة ، فوجد فداءً أبدياً. وعلى أساس هذا الفداء هو ضامنٌ لعهدٍ أفضل.

٢ - **نصرة كهنوت المسيح**: «الرب عن يـمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم. ملأ جثثاً أرضاً واسـعة. سـحق رؤوسـها» (آيتا ٥، ٦). ماذا يفعل الرب لمن يرفض ملكوت المسيح وكهنوته؟ وما هي نتيـجة قسـاوة القلب الذي يـرفض خلاص الله؟ إنها الدينونة المخيفة في اليوم الأخيـر. «هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيـد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسـل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم. الذي يؤمن به لا يُدان، والذي لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم الله الوحيد. وهذه هي الدينونة: إن النور قد جاء إلى الـعالم، وأحبَّ الناسُ الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة» (يو ٣: ١٦-١٩). وقد يبدو الكلام عن الدينونة خشناً وقاسـياً، لكننا يجب أن ننتبه لجدِّيَّة القوانين السـماوية «فإن الذي يزرعه الإنسـان إيـاه يحصد أيضاً» (غل ٦: ٧). لقد زرع هؤلاء الأشرار ظلمةً، والآن يحصدون هلاكاً وموتاً أبدياً. صحيحٌ أن الله هو الإله المحب، ولكنه في الوقت نفسه الإله العادل.

٣ - **رفعة كهنوت المسيح**: «من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس» (آية ٧). ربما كان المسـيح هو المقصود بالذي يشرب ويرفع رأسه منتصراً، أو ربما كان المقصود هو جيش المسيح، عـلماً بأن نصرة المسيح هي نصرةٌ لجيشه، فإن أمطار البركات الإلهية تغمر أرضنا، فتمتلئ الأنهار بـالمياه لتروي شعب الله وتنعشه.. ولعل المرنم عاد بذاكرته إلى القاضي جدعون وجيشه الغالب، فقد اجتمع حوله جيـشٌ من اثنيـن وثلاثيـن ألف جندي ليحاربوا غُزاتهم المديانيين، فقال الله لجدعون: «الشعب الذي معك كثير عليَّ.. لئلا يفتخر عليَّ إسرائيل قائلاً: يدي خلَّصتني. والآن ناد:.. مَن كان خائفاً ومرتعداً فلـيـرجع ويـنصرف». فرجع اثنان وعشرون ألـفاً وبقي عشرة آلاف، فقال الرب لجدعون: «لم يـزل الشعب كثيراً. انزل بهم إلى الماء.. كل من يَلَغ بلسـانه من الماء فأوقِفه وحده، وكذا كلُّ من جثا على ركبتيـه للشُرب». وكان عدد الذين ولغوا بيدهم ثلاث مئة رجل. فقال الرب

لجدعون: «بالثلاث مئة رجل الذيـن ولغوا أخلّصكم وأدفع المديـانيين ليدك» (قض ٧: ٢-٧). وقد كان، فانتصر الذين شربوا من النهر في الطريق، ورفعوا رؤوسـهم بالنصر. لم يعطلهم النهر عن السير، بل ساعدهم عليه.

ولعل المرنم يقصد أن جيش المسيح الغالب، يستريحون ليشربوا ويأخذوا قوة، ثم يتابعون مسيرة حربهم الروحيـة ضد قوى الشر، فالرب يناديهم: «أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه» (إش ٥٥: ١). وقال المسـيـح: «إن عطش أحدٌ فليَقبل إليَّ ويشرب. مَن آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعيـن أن يقبلوه» (يو ٧: ٣٧-٣٩). وقد حلّ الروح القدس على أتباع المسـيح يوم الخمسين، فأعطاهم القوة لينتصروا على مخاوفهم وضعفاتهم، وصاروا للمسيح شهوداً في عاصمتهم، وفي اليهودية، والسامرة، ثم إلى أقصى الأرض (أع ١: ٨).

ولا زال شعب المسـيـح يـرتوون من روحه القدوس عندما يملأهم، فيرتوون بعدالة قضيتهم، ويـرتوون برضا الله عليـهم، ويرتوون بإنعامات الله وأمانته، ويرتوون بانتصارهم، فيقولون: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يروون من دسـم بيتك، ومن نهر نعمك تسـقيـهم» (مز ٣٦: ٧، ٨). فدعونا نشرب من نهر نعيـم الله، وندعو آخرين ليرتووا معنا فنرفع رؤوسـنا الـمنتصرة بخلاص الرب، حتى يـتحقّق لنا النصر النهائي الذي يـصفه الرائي بالقول: «وأراني نهراً صافياً من ماء حياة، لامعاً كبلور خارجاً من عرش الله والحمل.. وعرش الله والحمل يكون فيها، وعبيده يخدمونه، وهم سـينظرون وجهه، واسمه على جباههم، ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراجٍ أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ ٢٢: ١-٥).

المزمور المئة والحادي عشر

**١ هلّلويا. أحمدُ الربَّ بكلّ قلبي في مجلسِ المستقيمين وجماعتِهم. ٢ عظيمةٌ هي أعمالُ
الربِّ. مطلوبةٌ لكلِّ المسرورين بها. ٣ جلالٌ وبهاءٌ عملُه، وعدلُه قائمٌ إلى الأبد. ٤ صنع ذِكراً
لعجائبه. حنّانٌ ورحيمٌ هو الربُّ. ٥ أعطى خائفيه طعاماً. يذكرُ إلى الأبدِ عهدَه. ٦ أخبرَ شعبَه
بقوّةِ أعمالِه ليعطيَهم ميراثَ الأمم. ٧ أعمالُ يديه أمانةٌ وحقٌّ. كلُّ وصاياه أمينةٌ ٨ ثابتةٌ مدى
الدهرِ والأبدِ، مصنوعةٌ بالحقِّ والاستقامة. ٩ أرسل فداءً لشعبه. أقام إلى الأبدِ عهدَه. قدوسٌ
ومهوبٌ اسمُه.**

صلاح الرب

المزموران ١١١، ١١٢ مترابطان ومتشابهان في اللغة والتركيب والمحتوى، يبدأ كلاهما بالكلمة «هللويا» وهي كلمة التهليل للرب، وتعني تسبيحه وحمده لأجل أعمال نعمته في الخليقة. ونرى في أولهما قوة الله وصلاحه وعدالته، وفي ثانيهما نجاح الأتقياء وصلاحهم وعدالتهم، فصلاح الرب يقود المؤمن للتقوى، ويطبع على قلبه صفات ربه. ويوضح المزموران ما أمر المسيح به: «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل» (مت ٥: ٤٨)، والنصيحة الرسولية: «كونوا متمثّلين بالله كأولاد أحبّاء، واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح» (أف ٥: ١، ٢). والفرق بين صفات الله وصفات المؤمن أن صفات الله مطلقة وكاملة من الأزل وإلى الأبد، بينما صلاح المؤمن نسبي بقدر ما يُخلِص للرب. ويبدأ هذا الصلاح يوم يعرف المؤمنُ الربَّ ويملّكه سيداً لحياته.

يتكون كلٌّ من مزموري ١١١، ١١٢ من عشر آيات، تكوّن اثنتين وعشرين شطرة، تبدأ كل شطرة منها بحرف أبجدي من الحروف العبرية التي عددها ٢٢ حرفاً. ويبدأ مز ١١٢ من حيث ينتهي مز ١١١، فإن مز ١١١ ينتهي بالقول: «رأس الحكمة مخافة الرب» ويبدأ مزمور ١١٢ بتطويب الرجل «المتقي الرب»، لأن مخافة الله هي تقوى الله التي تؤدي إلى سعادة الحياة.

ويتبع مزمورا ١١١، ١١٢ ستّةُ مزامير (١١٣-١١٨) يسمّيها بنو إسرائيل مزامير التهليل المصري، لأنهم يترنّمون فيها للرب الذي حرّرهم من عبودية فرعون. وكانوا يرنمون مزموري ١١٣، ١١٤ قبل أن يأكلوا وليمة الفصح، كما كانوا يرنمون المزامير ١١٥ إلى ١١٨ بعد تناول وليمة الفصح، وهي المزامير التي قيل عنها إن المسيح وتلاميذه سبحوها قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون ليلة القبض على المسيح (مر ١٤: ٢٦).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - تمجيد الرب الصالح (آية ١)

ثانياً - براهين صلاح الرب (آيات ٢-٩)

ثالثاً - مخافة الرب الصالح (آية ١٠)

أولاً - تمجيد الرب الصالح
(آية ١)

١ - **نمجّده بالتهليل:** «هللويـــا» (آية ١أ). «هللويا» كلمة عبرية، معناها «ســبّحوا يهوه» وقد أصبحت كلمة دوليـــة في كل لغات العالم، شأنها شأن الكلمة العبريـــة «آميـــن» التي تعني «ثابت» و«راسخ» و«صادق». فعندما نقول «آمين» بعد الصلاة نقصد بها: «ليكن هكذا» «ليتمّ هذا الأمر» «استجب» لأنك يا رب ثابت وراســخ وصادق وأمين، لابد أن تحقّق مواعيدك في الاســـتماع لمن يدعوك. يهلل المرنم للرب ويدعو الآخرين لتسبيحه «لأن الترنّم لإلهنا صالح، لأنه مُلذّ. التسبيح لائق» (مز ١٤٧: ١).

٢ - **نمجّده بالحـمد:** «أحمد الرب بكل قلبي» (آيـــة ١ب). يـــحمد المرنم الرب الصالح من قلبه بســبب العلاقة الحبية التي تربطه به، لأن «ســـرّ الرب لخائفيه، وعهده لتعليمهم» (مز ٢٥: ١٤). ويســـتحق الرب الحمد بكل القلب الموحّد في مخافته، فهو الإله الواحد القدوس الذي نشكره في السر والعلانية، في أوقات الفرح كما في أوقات الضيق، كما قالت النصيحة الرســـولية: «أعلى أحدٍ بينكم مشقات؟ فليصلِّ. أمسرور أحد؟ فليرتل» (يع ٥: ١٣).

٣ **نمجّده مع المستقيمين:** «في مجلس المســـتقيمين وجماعتهم» (آية ١ج). يســبّحه في مجلس دائرته الخاصة حيـــث يجتمع بأصحابه المســـتقيمي القلوب، فهم الأتقياء الذين يتّفقون معه في حب الرب، وشعاره: «القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرتي بهم» (مز ١٦: ٣). وكأنه يقول لهم: «اهتفوا أيها الصدّيقون بالرب. بالمســـتقيمين يليق التسبيح» (مز ٣٣: ١). فهو «إلهٌ مهوب جداً في مؤامرة القديسين، ومخوفٌ عند جميع الذين حوله» (مز ٨٩: ٧).

ثانياً - براهين صلاح الرب
(آيات ٢-٩)

مظاهر صلاح الله كثيرة يورد المرنم منها خمساً:

١ - **أعمال الرب عظيـمة:** «عظيـــمة هي أعمال الرب، مطلوبة لكل المســـرورين بها» (آية ٢). يـــظهر صلاح الرب العظيـــم في أعماله الصالحة العظيـــمة في قوتها وتأثيرها ووفرتها. «ما أكرم أفكارك يـــا الله عندي، ما أكثر جملتها. إن أُحصيها فهي أكثر من الرمل» (مز ١٣٩: ١٧، ١٨). هو الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيِّر، وهو صالحٌ لكل الذين يطلبونه بالحق. «كل عطية صالحة وكل موهبةٍ تامة هي من فوق، نازلـــة من عند أبي الأنوار، الذي ليـــس عنده تغيـيـــر ولا ظل دوران.

شاء فولدنا بكلمة الحق» (يع ١: ١٧، ١٨). خلق الكون والإنســـان، ثم رأى أن كل ما عمله حسنٌ جـداً (تك ١: ٣١). وعنايته عظيمة وصالحة، فهو «الساقي الجبالَ من علاليه. من ثمر أعمالك تشبع الأرض.. مـا أعظمَ أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعتَ. ملآنةٌ الأرضُ من غِناك.. يكون مجدُ الرب إلى الدهر. يفرح الرب بأعماله» (مز ١٠٤: ١٣، ٢٤، ٣١).

وعظيمة هي أعمال المســيح، وجميعها تتفق مع أقواله. أشبع خمســة آلاف شخص من خمســة أرغــفة وسمكتين (يو ٦: ١-١٥) لأنه لم يشأ أن يصرف سامعيه جياعاً لئلا يخوروا في الطريق، ثم قــال: «أنا هو خبز الحياة» (يو ٦: ٤١). وقال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يــكون له نور الحيـــاة» (يو ٨: ١٢) ثم فتح عيني المولود أعمى (يو ٩). وقال: «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فســيحيا، وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥، ٢٦)، ثم أمر لعازر الذي كان قد مات منذ أربعة أيام أن يخرج من قبره، فقام (يو ١١: ٤٣).

على أن أعظم أعمال الله الصالحة هي تغيـــير قلب الإنســـان وغفران خطاياه، فهذا عمل النعمة الإلهية. وفي هذا يقول الوحي عن المؤمنين: «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المســـيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد ســـبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠). فالرب يصنع من الشرير إنساناً جديداً، يُقال عنه: «إن كان أحدٌ في المســـيح فهو خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧). وهذا التغيير يحدث للتائبين الراجعين إلى الله.

هذه الأعمال العظيمة الصالحة «مطلوبة لكل المســروربن بها» بمعنى أنهم يجب أن يدرســـوها ويتأملوها ويفكروا فيها، وطوبى للإنســـان الذي «في ناموس الرب مسرَّته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز ١: ٢).

٢ - أعمال الرب عادلة: «جلالٌ وبهاءٌ عمله، وعدله قائم إلى الأبد» (آية ٣). أعمال الرب جليلةٌ وبهيـّةٌ تظهر عدالته الدائمة التي لا تتغيـّـر. والرب القوي عادل في كل ما يــفعل. قال عنه كليمه موســى: «هوذا الصخر الكامل صنيعه. إن جميع ســبُله عدلٌ. إله أمانةٍ لا جور فيه. صدِّيقٌ وعادلٌ هو» (تث ٣٢: ٤). وقال الله على فم نبيِّه إشعياء: «هكذا يقول الرب قدوس إســـرائيل وجابله (الذي خلقه): اسألوني عن الآتيات (عن المستقبل). من جهة بنيَّ ومن جهة عمل يدي أوصوني. أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها. يداي أنا نشرتا السماوات، وكل جندها أنا أمرت» (إش ٤٥: ١١، ١٢).

وقد نتســـاءل: إن كان الله جليلاً وبهيّاً في ما يفعل، وإن كانت عدالته دائمة وفاعلة، فلماذا يسمح بظُلم الضعيف؟ ولماذا يترك المؤمنين يعانون من الأشرار؟ ولماذا يسمح للقوي أن يظلم غيره، أو أن يــفرض رأيـــه علـــيـــه؟ فما أكثر ما نرى ظلم رأس المال للعمال، وظلم أصحاب الأملاك للفعلة،

وظلم الحكّام للمحكومين.. والإجابة أن تعاملات الله مع الشرير هي تعاملات عدالة، فقد أعطاه حرية التصرُّف لأنه لا يُكرِه أحداً على عمل الخير، وهو يُطيل أناته على الشرير لعله يتوب. وفي الوقت نفسه لا بد أن ينقذ المؤمن من ضيقته الوقتية، كما قال المسيحُ إن ضيق ملاك كنيسة سميرنا ستكون مدته «عشرة أيـام» (رؤ ٢: ١٠) فهو لا يدوم ولا يستمر. ويقول الوحي للمؤمنين المتألمين: «مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزنون يسيراً بتجارب متنوِّعة، لكي تكون تزكية إيمانكم، وهي أثمن من الذهب الفاني، مع أنه يُمتَّحن بالنار، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح» (١بط ١: ٦، ٧).

٣ - أعمال الرب عجيبة: (أيات ٤-٦).

(أ) تعاملاته عجيبة: «صنع ذِكراً لعجائبه» (آية ٤أ). نصنع ذِكراً لعجائب الله عندما نحتفل بعيدي الميلاد والقيامة فنذكر محبة الله في المسيح الكلمة المتجسِّد، وفي موته وقيامته لأجل خلاصنا. وكان بنو إسرائيل يحتفلون بعيد الفصح ليذكروا عجيبة الخروج من عبودية فرعون، وقد قال الله لهم: «يكون لكم هذا اليوم تذكاراً، فتعيِّدونه عيداً للرب.. فريضة أبدية.. ويكون حين يقول لكم أولادكم: ما هذه الخدمة لكم؟ أنكم تقولون: هي ذبيحة فصحٍ للرب الذي عبر عن بيوت بني إسرائيل في مصر لما ضرب المصريين وخلَّص بيوتنا» (خر ١٢: ١٤، ٢٦، ٢٧). ويحتفل المسيحيون بالتناول من العشاء الرباني، لأنهم يذكرون «المسيح فصحنا، قد ذُبح لأجلنا» (١كو ٥: ٧) فيحتفلون به حسب قول الوحي: «إن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء» (١كو ١١: ٢٣-٢٦).

وكل من اختبر الحياة الجديدة في المسيح، يذكر كيف حرَّره المسيح من عبودية إبليس، وهو اختبار مجيد لا يُمحى من الذاكرة أبداً. وهذا الاختبار واضح عند البعض، له قصة تُذكَر وتُروى، كما حدث مع شاول الطرسوسي (أع ٩: ٤). ولكنه عند البعض الآخر بلا قصة دراماتيكية، كما حدث مع تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «أتذكَّر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدَّتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقنٌ أنه فيك أيضاً.. وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكِّمك للخلاص بالإيمان» (٢تي ١: ٥ و٣: ١٥). ولكن تيموثاوس لم يكن لينسى الكتب المقدسة التي جعلته حكيماً في معرفة طريق الخلاص.

(ب) مراحمه عجيبة: «حنَّان ورحيم هو الرب» (آية ٤ب). ولعل أجمل وصفٍ لهذا الحنان هو

القول: «ليس بارٌ ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يـــعمل صلاحاً، ليس ولا واحد.. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيـــســـوع المســـيح، الذي قدَّمه الله كفارة» (رو ٣: ١٠-١٢، ٢٤، ٢٥). وهناك وصف جميل للرحمة الإلهيـــة يقول: «الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبَّنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المســـيح» (أف ٢: ٤، ٥). والربُّ حنان ورحيم حتى إن أخطأ شعبه، كما قال نحميا عن بني إســـرائيل: «أبوا الاستماع، ولم يذكروا عجائبك.. وأنت إلهٌ غفورٌ وحنّان ورحيم، طويل الروح وكثير الرحمة، فلم تتركهم.. ولكن لأجل مراحمك الكثيرة لم تُفْنهم ولم تتركهم، لأنك إلهٌ حنّان ورحيـــم» (نح ٩: ١٧، ٣١). «هل تنســـى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسيْن، وأنا لا أنساك» (إش ٤٩: ١٥).

(ج) **عطاياه عجيـبـة:** «أعطى خائفيـــه طعاماً» (آيـــة ٥أ). الله مضيـــف كريم، قال له المرنم: «تـــرتِّب قدامي مائدة تُجاه مضايقيَّ. مسحتَ بالدهن رأسي. كأسي ريا» (مز ٢٣: ٥). قال لشعبه في صـــحراء سيناء: «أنا أمطر لكم خبزاً من السماء، فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها.. كان في المســـاء أن الســـلوى صعدت وغطّت المحلّة (المعسكر)، وفي الصباح كان سقيط النّدى حوالي المحلة، فقال موسى: هو الخبز الذي أعطاكم الرب لتأكلوا» (خر ١٦: ٤، ١٣، ١٥). وعندما عطش الشعب أمر موســـى أن يضرب الصخرة لتُخرج الماء (خر ١٧: ٦). ويقول المســـيح: «انظروا إلى طيور الســـــماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت ٦: ٢٦).

ولكن الشبع الأكبر هو الشبع الروحي بالمســـيـــح الذي قال: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من الســـماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٥١).

(د) **عهوده عجيـبـة:** «يذكر إلى الأبد عهده» (آية ٥ب). قال الله لإبراهيم خليله: «اعلم يقيناً أن نســـلك ســـيكون غريباً في أرضٍ ليست لهم، ويُستعبَدون لهم، فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التي يَستعبَدون لها أنا أدينها. وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة» (تك ١٥: ١٣، ١٤). وصدق الله وعده. فلما أذلَّ فرعون بني إســـرائيل «ســـــمع الله أنينهم، فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. وقال: أنا أيضاً قد ســـــمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرتُ عهدي» (خر ٢: ٢٤ و٦: ٥). ووعـــود الله للمؤمنين صادقة وأمينة، إذ يقول: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مـــت ٢٨: ٢٠). وعندما يدخل سفينة حياتنا يسكّن الريح ويهدأ الموج، لأنه يقول: «ثِقوا، أنا هو. لا تخافوا»

(مر ٥٠: ٦). وإن خارت قوانا في الطريق أو لاطمتنا أمواج الحياة يسرع إلى نجدتنا.

(هـ) مواريثه عجيبة: «أخبر شعبه بقوة أعماله، ليعطيهم ميراث الأمم. أعمال يديه أمانة وحق» (آيتا ٦، ٧أ). قال موسى الكليم إن الله وعد شعبه بأن «يطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك، ويأتي بك ويعطيك أرضهم نصيباً» (تث ٤: ٣٨). فأعطى الرب الأرض للشعب المستضعَف، الذي خرج من مصر ذليلاً، لا يتقن فنوناً حربية، ولا يحمل سلاحاً، ويعجز عن حماية نفسه. وكان إعطاء الأرض لنسل إبراهيم أمانةً وحقاً، لأن سكان تلك البلاد كانوا خطائين مفسدين في الأرض، فقد قال كليم الله موسى للشعب: «ليس لأجل برِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب.. لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجسٍ لدى الرب مما يكرهه، إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم.. وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك» (تث ٩: ٥ و١٢: ٣١ و١٨: ١٢).

ويتطلع المؤمنون إلى الميراث الأبدي في السماء، الذي وعدهم المسيح به، فيقولون: «مباركٌ الله أبو ربِّنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانيةً لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراثٍ لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل، محفوظٌ في السماوات لأجلكم، أنتم الذين بقوَّة الله محروسون بإيمانٍ لخلاصٍ مستعدٌ أن يُعلَن في الزمان الأخير» (١بط ١: ٣-٥).

٤ - أقوال الرب صالحة: (آيتا ٧ب، ٨).

(ا) مسجَّلة بأمانة: «كل وصاياه أمينة» (آية ٧ب). هي وصايا صالحة وأمينة بمعنى أنها تُسعد الإنسان الذي يطيعها، وتحكِّم الجهال الذين يتعلمون منها. «ناموس الرب كامل يردُّ النفس. شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً. وصايا الرب مستقيمة تفرِّح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حقٌّ عادلةٌ كلها» (مز ١٩: ٧-٩). وهي مسجَّلة بالأمانة، لأن «كل الكتاب هو موحىً به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح» (٢تي ٣: ١٦، ١٧)، لأنه «لم تأتِ نبوَّة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢بط ١: ٢١). «فعندما كمَّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتابٍ إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم، ليكون هناك شاهداً عليكم» (تث ٣١: ٢٤-٢٦). وهذا معناه أن نص التوراة مسجَّل منذ أيام موسى، وكان كل ملك من ملوك بني إسرائيل يجب أن يحتفظ بنسخة من التوراة كدستورٍ له في الحكم. وقد ظلت كلمة الله متداولة سنة بعد أخرى في أيدي المؤمنين الذين يحبون الله ويحبون كلمته، ويحافظون عليها أكثر من محافظتهم على حياتهم.

(ب) **الكلمة ثابتة**: «ثابتة مدى الدهر والأبد. مصنوعة بالحق والاستقامة» (آية ٨). الله لا يتغيَّر فلا يمكن أن تتغيَّر كلمته أو تتحرَّف، لأنها كلمة ملك الملوك. قال المرنم: «إلى الأبد يا رب كلمتك مثبَّتةٌ في السماوات» (مز ١١٩: ٨٩)، وقال النبي إشعياء: «أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد» (إش ٤٠: ٨)، وقال المسيح: «إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرفٌ واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (مت ٥: ١٨)، وقال أيضاً: «السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول» (مت ٢٤: ٣٥). لقد أوحى الله بكلمته، وهو ضامنٌ لسلامتها من أي عبث. وإن كان الملك الأرضي لا يقبل التلاعب بكلامه، فكم بالأحرى يحفظ الله كلمته من التحريف والتبديل والتغيير، خصوصاً وهي طريق الخلاص الوحيد!

وكل وعود الله صادقة وأمينة، فقد قال موسى الكليم لبني إسرائيل: «فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل» (تث ٧: ٩)، وقال يشوع: «وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفسكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم» (يش ٢٣: ١٤)، وقال سليمان: «مباركٌ الرب الذي أعطى راحةً لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (١مل ٨: ٥٦)، وقال الرسول بولس: «أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو ١: ٩).

٥ - **فداء الرب صالح**: «أرسل فداءً لشعبه. أقام إلى الأبد عهده. قدوسٌ ومهوبٌ اسمه» (آية ٩). الفادي هو الذي يفدي الأسير، وهو الذي يفكُّ أسر المديون العاجز عن وفاء ديونه. و«الفادي» هو «ولي الأمر» و«المخلِّص». وهو القريب الأقرب. والقصد من القول إن الرب فدى شعبه أن الرب قريبٌ من شعبه، وهو وليُّ أمره. وقال المسيح إنه جاء ليعلن قيام سنة اليوبيل، ودعاها «سنة الرب المقبولة» التي ينادي فيها للمأسورين بالإطلاق وللمنسحقين بالحرية (لو ٤: ١٩)، وبهذا أعلن أنه فادينا، ووليُّ أمرنا، وأقرب قريب لنا، الذي وحده يقدر أن يفدينا من خطايانا، وقال: «لا أعود أسمّيكم عبيداً .. لكني قد سمّيتكم أحباء» (يو ١٥: ١٥).

وقد أرسل الله الفداء لشعبه في الخروج من عبودية فرعون، وجعل فرعون وجيشه فدية لهم. ثم أرسل فداءً لشعبه مرة أخرى فأعادهم من السبي، وقال لهم على فم النبي إرميا: «هكذا قال الرب: إن نقضتُم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل، حتى لا يكون نهار ولا ليل في وقتهما، فإن عهدي أيضاً مع داود عبدي يُنقَض، فلا يكون له ابن مالكا على كرسيه، ومع اللاويين الكهنةِ خادميَّ. كما أن جند السماوات لا يُعدّ، ورمل البحر لا يُحصى هكذا أُكثّر نسل داود عبدي، واللاويين خادميَّ» (إر ٣٣: ٢٠-٢٢).

بهذا الفداء من عبودية إبليس ومن عبودية فرعون أظهر الرب أنه القدوس الذي يستحق أن نحبه ونمجده ونهابه ونتّقيه ونتعبّد له، فتجثو له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (في ٢: ١٠).

ثالثاً - مخافة الرب الصالح
(آية ١٠)

١- **مخافة الرب هي بدء الحكمة:** «رأس الحكمة مخافة الرب. فطنةٌ جيدة لكل عامليها» (آية ١٠أ، ب). والحكمة المقصودة هنا ليست المعرفة العقلية للأمور الفلسفية، بل التطبيق العملي لوصايا الله، فهذه هي التقوى الحقيقية. وقد نصح موسى شعبه بالقول: «ماذا يطلب منك الرب إلهك إلا أن تتّقي الرب إلهك لتسلك في كل طرقه، وتحبه، وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك» (تث ١٠: ١٢). وقال الحكيم سليمان: «فلنسمع ختام الأمر كله: اتّق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كلُّه» (جا ١٢: ١٣). وقال الرسول بطرس: «أكرموا الجميع. أحبّوا الإخوة. خافوا الله. أكرموا الملك» (١بط ٢: ١٧).

والتقوى ومخافة الرب تمنحان الإنسان فطنة وحكمة في كل ما يفعل، فقد قال أيوب: «هوذا مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي ٢٨: ٢٨)، وقال الحكيم سليمان: «الحكمة هي الرأس، فاقتنِ الحكمة، وبكل مقتناك اقتنِ الفهم» (أم ٤: ٧)، وقال النبي هوشع: «من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيمٌ حتى يعرفها؟ فإن طرق الرب مستقيمة، والأبرار يسلكون فيها، وأما المنافقون فيعثرون فيها» (هو ١٤: ٩)، وقال المسيح: «فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبّهه برجلٍ عاقل بنى بيته على الصخر، فنزل المطر وجاءت الأمطار وهبّت الرياح ووقعت على ذلك البيت، فلم يسقط» (مت ٧: ٢٤، ٢٥). و«الفطنة الجيدة تمنح نعمة» (أم ١٣: ١٥).

٢- **مخافة الرب تدفع لتسبيحه:** «تسبيحه قائم إلى الأبد» (آية ١٠ ج). يختم المرنم المزمور كما بدأه بالتسبيح للرب. كان قد قال: «عدله قائمٌ إلى الأبد» (آية ٣) وهكذا كل صفات الله، الأمر الذي يدفع المؤمن ويشجعه ليحيا حياة التقوى ولأن يقوم بالتسبيح له هنا على الأرض. وعندما يدخل سماءه يظل يسبّحه إلى الأبد. «أغنّي للرب في حياتي. أرنّم لإلهي ما دمتُ موجوداً، فيلذّ له نشيدي، وأنا أفرح بالرب» (مز ١٠٤: ٣٣، ٣٤).

المزمور المئة والثاني عشر

١ هللويا. طوبى للرجلِ المتّقي الربَّ، المسرور جداً بوصاياه. ٢ نسلُه يكونُ قوياً في الأرض.
جيلُ المستقيمين يُبارَك. ٣ رَغْدٌ وغِنى في بيته، وبرُّه قائمٌ إلى الأبد. ٤ نورٌ أشرق في الظلمةِ
للمستقيمين. هو حنّانٌ ورحيمٌ وصدّيق.
٥ سعيدٌ هو الرجلُ الذي يترأف ويُقرِض. يدبّر أمورَه بالحقّ. ٦ لأنه لا يتزعزعُ إلى الدهر. الصّدّيق
يكونُ لذكرٍ أبديّ. ٧ لا يخشى من خبرِ سوءٍ. قلبُه ثابتٌ متكلاً على الربّ. ٨ قلبه مُمكّنٌ فلا يخافُ حتى
يرى بمضايقيه. ٩ فرّق أعطى المساكين. برُّه قائمٌ إلى الأبدِ. قرنُه ينتصبُ بالمجدِ. ١٠ الشريرُ يرى
فيغضبُ. يُحرّق أسنانَه ويذوبُ. شهوةُ الشرير تُبيدُ.

صلاح التقي

كلما تأملنا صفات الله وأعماله انطبعت صورته المقدَّسة العامرة بالمحبة على قلوبنا، لأننا عادةً نتمثّل بمن نحترم ونسير في خطوات من نحب، فنرغب أن نكون صالحين مثله. إن الناس على دين ملوكهم، فإذا ملك الله على القلب تأثَّرت به الحياة. وقد أورد المرنم في المزمور ١١١ صفات الله وصلاحه، وفي مزمورنا يشرح كيف يتأثَّر المؤمن بإلهه في سلوكه اليومي. وهناك نصيحة رسولية تقول: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح» (في ٢: ٥). فلنتأمل دوماً صفات الله وأعماله ليصوغ حياتنا بحسب صلاحه الإلهي، ويضيء نورنا أمام الناس فيرون أعمالنا الحسنة ويمجدون أبانا الذي في السماوات (مت ٥: ١٦).

ينتهي المزمور السابق بالقول: «رأس الحكمة مخافة الرب. فطنةٌ جيدة لكل عامليها» ويبدأ مزمورنا بالقول: «هللويا. طوبى للرجل المتّقي الرب، المسرور جدا بوصاياه». فعندما نتأمل الرب نتّقيه، وعندما نتقيه نصبح مطوَّبين مباركين، ثم نصير مسرورين جداً بوصاياه، لا يجبرنا أحدٌ على طاعتها لأن «الناموس الكامل هو ناموس الحرية» (يع ١: ٢٥) الذي يحررنا من الخوف، فنطيع الرب لا عن اضطرار بل بالاختيار، بدافع الحب.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - بيت التقي (آيات ١-٥)

ثانياً - ثبات التقي (آيات ٦-١٠)

أولاً - بيت التقي
(آيات ١-٥)

١ - **رب البيت**: «هللويا. طوبى للرجل المتّقي الرب، المسرور جداً بوصاياه» (آية ١). التقي هو

الذي يحب الله ويهابه ويطيعه، وهو المســرور بوصاياه، والذي يزيد سروره بوصايا الرب يوماً بعد يوم، و«في ناموس الرب مســرته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز ١: ٢) الرب يوماً بعد يوم، و«في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز ١: ٢) فيقول: «أن أفعل مشيئتك يا إلـهي سُررتُ، وشريعتك في وسط أحشائي» (مز ٤٠: ٨)، ويقول: «دربّني في سبيل وصاياك لأني بــه سُررت.. كم أحببتُ شريعتك! اليوم كله هي لهجي» (مز ١١٩: ٣٥، ٩٧). تتشكل تصرفاتنا بما تتغذى به عقولنا من أفكار. فإذا قرأنا أخباراً مزعجة انزعجنا، وإذا قرأنا كتباً دنسة هاجمتنا التجارب الدنســـة. أما إن قرأنا كلمة الله وجعلناها محل سرورنا المتزايد فإنها تشجعنا على التقوى. فما أسعد الإنســـان التقي، لأن التقوى هي أساس السعادة لحياة رب البيت ولحياة أفراد البيت، فهو يقول: «أما أنـا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥). ويصلي رب البيت التقي قائلاً: «تعرّفني سبل الحياة. أمامك شبع سرور في يمينك نعمٌ إلى الأبد» (مز ١٦: ١١).

٢ - **أبناء البيت:** «نســله يكون قوياً في الأرض. جيل المستقيمين يُبارك» (آية ٢). منذ أن رأى الله أنه ليـــس جيداً أن يكون آدم وحده، فخلق له حواء معيناً نظيره، نرى الكتاب المقدس ينبّر كثيراً على أهمية العائلة وضرورة تقوى الآباء والأبناء. والتقي المســتقيم مباركٌ في بيته وفي نسله القوي صـاحب السيرة الحسنة، الذي تفيح رائحة تقواه في الأرض كلها، والذي يُقال عنه: «مَن هو الإنسان الخائف الرب؟ يعلّمه طريقاً يختاره. نفســه في الخير تبيت، ونســله يرث الأرض» (مز ٢٥: ١٢، ١٣). «أما الودعاء فيــرثون الأرض، ويتلذّذون في كثرة الســلامة» (مز ٣٧: ١١)، كما قال الرب عن إبراهيم: «يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أمم الأرض، لأني عرفته، لكي يوصي بنيه وبيـــته من بعده أن يحفظوا طريق الرب، ليعملوا براً وعدلاً، لكي يأتي الربُّ لإبراهيم بما تكلم به» (تك ١٨: ١٨، ١٩).

وهناك معنى روحي لنســل التقي القوي في الأرض، هو النسل الروحي الذي يربحه التقي للرب من العالم الخاطئ، كما اختبر الرســول بولس، فقد ولد في الإيـمان نســلاً روحيــاً، قال لبعضهم: «كأولادي الأحباء أنذركم، لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشديـــن في المســيح، ولكن ليس آباءٌ كثيرون، لأني أنا ولدتكم في المســيح بالإنجيل، فأطلب إليكم أن تكونوا متمثّلين بي» (١كو ٤: ١٤-١٦). وكل من يرجعون إلى الله بالتوبة يســمعون القول: «فلستم إذاً بعد غرباء ونُزلاً، بل رعيّةٌ مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٩).

٣ - **غِنى البيت:** (آية ٣).

(أ) **الغنى المادي:** «رغدٌ وغِنى في بيته» (آية ٣أ). يكرم الرب التقي فلا يحتاج إلى شيء، فيقول:

«الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» (مز ٢٣: ١). قال المرنم: «اتَّقوا الرب يا قدّيسيه، لأنه ليس عوزٌ لمتّقيه. الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز ٣٤: ٩، ١٠)، وقال: «كنتُ فتى وقد شخت، ولم أرَ صدّيقاً تُخلّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويُقرِض، ونسله للبركة» (مز ٣٧: ٢٥، ٢٦). والبار مبارك في بيته، وفي نسله، وفي تقواه «لا يتعبون باطلاً، ولا يلدون للرعب، لأنهم نسلُ مباركي الرب، وذُرّيتهم معهم» (إش ٦٥: ٢٣).

(ب) **الغنى الروحي**: «برُّه قائمٌ إلى الأبد» (آية ٣ب). التقي غني بالبر، والبر هو الاستقامة، وهو الموقف السليم من الله. والبار هو المستقيم صاحب الموقف السليم من الله، وهو العادل الذي يعطي كل صاحب حقٍّ حقه. وهذا البر قائمٌ إلى الأبد لأنه عطية من الله الصالح للإنسان الذي يتبرَّر بالإيمان، فيدرك أولاً أنه خاطئ فيصرخ: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو ١٨: ١٣)، ويؤمن أنه «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩) فيقول: «إذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥: ١).

في بيت التقي إذاً غِنى النعمة، حتى قال الرسول بولس: «كفقراء ونحن نُغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء» (٢كو ٦: ١٠). فالغِنى الحقيقي ليس غنى الثراء المادي ولا غنى المعرفة العلمية، فإن اثنين لا يشبعان: طالب عِلمٍ وطالب مال. أما الغِنى الحقيقي فهو غنى التقوى النافعة لكل شيء، إذ لها موعد الحياة الحاضرة والآتية (١تي ٤: ٨). وما أجمل ما وصف به الرسول بولس عائلة تيموثاوس وهو يقول له: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقنٌ أنه فيك أيضاً» (٢تي ١: ٥) فالجدَّة رفعت الصلاة من أجل الابنة، والجدة والابنة صلّتا معاً من أجل تيموثاوس، فكانت البركة للجدة والأم والابن. وما أسعد الإنسان الذي يقدر أن يقول: أشكرك يا رب من أجل إيمان أبي وأمي.. فإن لم يتوفَّر لك أن تقول هذا القول، فابدأ أنت بأن تكون بركة لأولادك ولأحفادك.

٤ - **نور البيت**: «نورٌ أشرق في الظلمة للمستقيمين. هو حنّان ورحيمٌ وصدّيق» (آية ٤). يسمح الله للأبرار أحياناً أن تكتنفهم الظلمة، أو أن يسيروا في الظلمة. ولكنهم في وادي ظل الموت لا يخافون شراً لأن الرب معهم (مز ٢٣: ٤) فقد قال المسيح: «في العالم سيكون لكم ضيق، لكن ثقوا أنا قد غلبتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣). ويشرق نور الله في الظلمة للمستقيمين، أصحاب الموقف السليم من الله، فيُقال عنهم: «نورٌ قد زُرِع للصدّيق، وفرحٌ للمستقيمي القلب» (مز ٩٧: ١١) ويُقال لهم: «يشرق في الظلمة نورك، ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر» (إش ٥٨: ١٠) لأن نور الله «يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه» (يو ١: ٥) فنرى بنور الله نوراً (مز ٣٦: ٩).

أما مصدر النور المشرق على المؤمن وسط ظلمته فهو أن الرب حنّان ورحيم وصدِّيق، فيقول مع إخوته المؤمنين: «ليس لنا يا رب، ليس لنا، لكن لاسمك أعطِ مجداً، من أجل رحمتك، من أجل أمانتك» (مز ١١٥: ١). ومن رحمة الرب وحنانه أن الظلمة لا تغيِّر إيمان المؤمن، بل تعمِّقه. فعندما تهبُّ العواصف على شجرة حية مغروسة عند المياه الجارية، فإنها تزيد جذورها عمقاً في الأرض. وعندما تجيء تجربةٌ قاسية على المؤمن تعمِّق فيه الإيمان، كما قال المسيح لبطرس: «الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكني طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعتَ ثبِّت إخوتك» (لو ٢٢: ٣١، ٣٢).

٥ - **كرم البيت:** «سعيدٌ هو الرجل الذي يترأف ويُقرِض» (آية ٥أ). بالرغم من الظلمة التي قد تكتنف التقيّ إلا أنه محسنٌ كريم لأنه يريد أن يتشبَّه بالله المحب إله كل رأفة، ولأنه يدرك أن كل ما عنده هو عطية من عند الله له، فهو ليس مالكاً، لكنه وكيل من الله على ما عنده، فيستخدم ما عنده بحكمة، ويعطي من حوله رحمة ومالاً ومعرفةً ونصيحة. وهو يطيع الوصية القائلة: «إن كان فيك فقيرٌ.. فلا تقسِّ قلبك، ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير، بل افتح يدك له، وأقرضه قدر ما يحتاج إليه» (تث ١٥: ٧، ٨). وقال الحكيم: «ارمِ خبزك على وجه المياه، فإنك تجده بعد أيام كثيرة» (جا ١١: ١). وأوصى النبي إشعياء: «أن تكسر للجائع خبزك، وأن تُدخِل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عريانا أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك» (إش ٥٨: ٧). وقال المسيح: «أعطوا تُعطَوا، كيلاً جيداً ملبَّداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذي تكيلون به يُكال لكم» (لو ٦: ٣٨). وأوصى الرسول بولس: «مشتركين في احتياجات القديسين، عاكفين على إضافة الغرباء» (رو ١٢: ١٣).

قدَّم داود تبرُّعاً سخياً لبناء هيكل للرب، ثم قال: «مَن أنا ومَن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب (نتبرع) هكذا؟ لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك» (١أخ ٢٩: ١٤). فكِّر في شخص تساعده ليقف على قدميه، لتملأ السعادة قلبك، لأن المعطي المسرور يحبه الله (٢كو ٩: ٧).

٦ - **الحق في البيت:** «يدبِّر أموره بالحق» (آية ٥ب). التقي الكريم، الذي يترأف ويُقرِض برحمة، يدبِّر كل أموره في التجارة والعمل بالحق والعدل والأمانة، فلا يظلم أحداً ليغتني، ولا يرتشي ليزيد ثروته. إن المال سيد قاس، ومتى سيطرت محبته على القلب فسدت الحياة. ومن تجارب الأغنياء أنهم قد يظلمون الفقير الضعيف، مع أن الحكيم يقول: «ظالم الفقير يعيِّر خالقه» (أم ١٤: ٣١). وقد يُصاب الأغنياء بداء الكبرياء وهم يظنون أن ثروتهم نتجت عن ذكائهم، وقد يجعلون المال معبودهم ومتَّكلهم من دون الله، وقد يصيبهم البُخل فلا يعطون الفقير، وقد يعيشون في خوف من ضياع الثروة، وقد يظنون أن أصدقاءهم يحبونهم ليستغلّوهم. ولكن التقوى تنقذ صاحبها من هذه

التجارب وتنصره عليها. إن «التقوى مع القناعة تجارةٌ عظيمة، لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضحٌ أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء» (اتي ٦: ٦، ٧).

ثانياً - ثبات التقي
(آيات ٦-١٠)

١ - **ثبات التقي في حياته:** «لأنه لا يتزعزع إلى الدهر» (آية ٦أ). التقي لا يخشى من الظلم ولا من الأشرار ولا من المستقبل، وهو «لن يُزحزَح أبداً» (أم ١٠: ٣٠) لأنه يطيع الوصية: «ألق على الرب همَّك وهو يعولك. لا يدع الصدِّيق يتزعزع إلى الأبد» (مز ٥٥: ٢٢). عندما جاءت الأخبار السيئة لأيوب خبرٌ وراء آخر، لم يتزعزع ولم يخطئ ولم ينسب لله جهالة، فرفع الرب وجهه، وردَّ سبيه، وزاد على كل ما كان له ضعفاً (أي ٤٢: ٩، ١٠)، وتحقَّق له القولُ النبوي: «ذو الرأي الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل. توكلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور» (إش ٢٦: ٣، ٤).

٢ - **ثبات ذكر التقي بعد موته:** «الصدِّيق يكون لذكرٍ أبدي» (آية ٦ب). تبقى الذكرى الصالحة للصدِّيق إلى الأبد عند الله وعند الناس. لقد ضاع ذكر كثيرين من قادة العالم، وإن ذُكر كثيرون منهم فإنهم يُذكرون باللوم. أما الصدِّيق فاسمه مكتوبٌ في سِفر الحياة وذكراه ذكراه عاطرة عند إلهه، وفي قلوب أفراد عائلته، وفي أفئدة أعضاء كنيسته.. من منَّا يقدر أن ينسى يوسف في طهارته وهو يرفض أن يرتكب الشر، أو يتغافل مزامير داود؟ ومن ينسى استجابة صلاة الملك حزقيا؟ أو يهمل ذكر رحلات الرسول بولس للتبشير بأخبار المسيح المفرحة؟ ومن منَّا ينسى أمه التقية أو أباه الصالح؟ حقاً «ذكرُ الصدِّيق للبركة، واسم الأشرار ينخر» (أم ١٠: ٧).

٣ - **ثبات التقي بالرغم من خبر السوء:** «لا يخشى من خبر سوء. قلبه ثابت متَّكلاً على الرب. قلبه مُمكَّن فلا يخاف حتى يرى بمضايقيه» (آيتا ٧، ٨). صاحب الضمير المستريح لا يخاف أخبار السوء، فيقول: «ثابتٌ قلبي يا الله، ثابتٌ قلبي» (مز ٥٧: ٧). «قولوا للصدِّيق خير» (إش ٣٠: ١٠) «ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوّون حسب قصده» (رو ٨: ٢٨). إنه مثل الرسول بطرس الذي كان نائماً في السجن رغم أنه كان مربوطاً بسلسلتين، ينتظر إعدامه في اليوم التالي (أع ١٢: ١-١١). أما الشرير فيهرب دون أن يطارده أحد (أم ٢٨: ١)، كما قال قايين: «فيكون كل من وجدني يقتلني» (تك ٤: ١٤). صحيحٌ أن «خوف الشرير هو يأتيه، وشهوة الصدِّيقين تُمنَح» (أم ١٠: ٢٤).

طوبى للرجل المتّقي الرب، المسـرور جداً بوصاياه، فلا يخاف حتى يرى قضاء الله وقد وقع على مضايقيه، فإن «السـاكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت.. يسقط عن جانبك ألفٌ وربوات عن يمينك. إليك لا يقرب. إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار» (مز ٩١: ١، ٧، ٨).

٤ – **ثبات التقي في العطاء**: «فرَّق، أعطى المسـاكين. برُّه قائمٌ إلى الأبد. قرنه ينتصب بالمجد» (آية ٩). التقي سـخيٌّ جوّاد، فإن «الديانة الطاهرة النقيّة عند الأب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحفظ الإنسـان نفسه بلا دنس من العالم» (يع ١: ٢٧). فهو يفرّق ويعطي المساكين، و«يـوجد من يفرّق فيزداد أيضاً، ومَن يمسك أكثر من اللائق وإنما إلى الفقر» (أم ١١: ٢٤)، و«من يزرع بالشحّ فبالشح أيضاً يحصد، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد» (٢كو ٩: ٦). وقد اقتبس الرسـول بولس قول المرنم هنا في رسـالته الثانية إلى كنيسة كورنثوس (٢كو ٩: ٩) وهو يـتحدث عن الكنائس الغنية التي سـاعدت الكنائس الفقيرة، فالمؤمنون الحقيقيون يفرّقون ويعطون المسـاكين، فيبقى برُّهم قائماً أمام الله والناس إلى الأبد، ويسـمعون في اليوم الأخير قول المسـيح: «تعالوا يا مباركي أبي، رِثوا المُلك المعدّ لكم منذ تأسـيس العالم.. الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٣٤، ٤٠). فحتى إن كان كل ما لديه مجرّد لقمة يـابسة، فإن الرب يباركها فيأكلها المؤمن في سلام مع عائلته، ويجعلها الرب له خيراً من بيت ملآن ذبائح مع خصام (أم ١٧: ١). صدق الحكيـم: «أكلةٌ من البقول حيـث تكون المحبة خيـرٌ من ثور معلوف ومعه بُغضة» (أم ١٥: ١٧).

ويكافئ الرب التقي الذي يفرّق ويعطي المسـاكين بأن «قرنه ينتصب بالمجد» وهو تشبيه مأخوذ من قرن الحيوان الذي يرفع رأسـه منتصباً بعد عراكه مع حيوان آخر وانتصاره عليه. وقد ترنّمت حنة أم النبي صموئيـل لما أعطاها الله نسـلاً بعد سـنوات من العُقم، كانت ضرّتها أثناءها تغيظها وتُذلّها، فقالت: «ارتفع قرني بالرب» (١صم ٢: ١). وعندما يعطي المؤمن عشور دخله لعمل الرب ولأعمال الخير يرفع الرب رأسه.

٥ – **ثبات التقي بالرغم من فاعلي السوء**: «الشرير يرى فيغضب. يحرّق أسنانه ويذوب. شهوة الشرير تبيـد» (آية ١٠). من الغريب أن يكون للتقي أعداء، ولكن المؤسـف أنه عندما يكرم الله التقي، يغضب الـشرير من بركات الرب للتقي! ولكن غضب الشرير وتحريق أسنانه لن يضرَّ إلا نفسه، فهو يذوب غيـظاً وكمداً، بيـنما ترتفع تراتيل التقي بالشكر لله، ويقول مع المرنم: «الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسـان؟ الرب لي بين معينيَّ، وأنا سأرى بأعدائي.. قوتي وترنمي الرب وقد صار لي خلاصاً. صوت ترنُّم وخلاص في خيام الصدّيقين» (مز ١١٨: ٦، ٧، ١٤، ١٥).

والآيـــة الختاميـــة في هذا المزمور تدعو الخاطئ للتوبة، لأنها تعلن عن بركات الرب للتقي، وعن شهوة الشرير البائدة. يحقق الله رغبات قلب التقي الذي يتلذّذ به فيعطيه ســؤل قلبه، أما عاملو الشر فينقطعون (مز ٣٧: ٤، ٩). «طوبى للرجل الذي لم يســلك في مشورة الأشرار.. فيكون كشجرة مغروســة على الميـاه الجارية، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل.. ليس كذلك الأشرار، لكنهم كالعُصافة التي تذرّيها الريح» (مز ١: ١، ٣، ٤).

ألا تحب أن تكون تقياً فيبارك الرب حياتك وبيتك ونســلك وعملك؟ «حِدْ عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون» (مز ٣٧: ٢٧، ٢٨).

المزمور المئة والثالث عشر

**١ هلّلويا. سبِّحوا يا عبيدَ الربِّ. سبِّحوا اسمَ الربِّ. ٢ ليكُنِ اسمُ الربِّ مباركاً مِنَ الآنَ وإلى الأبدِ. ٣مِن
مشرقِ الشمسِ إلى مغربِها اسمُ الربِّ مُسبَّحٌ. ٤ الربُّ عالٍ فوقَ كلِّ الأممِ. فوقَ السماواتِ مجدُه. ٥ مَن
مثلُ الربِّ إلهِنا الساكنِ في الأعالي! ٦ الناظرِ الأسافلَ في السماواتِ وفي الأرضِ، ٧ المقيمِ المسكينَ من
الترابِ. الرافعِ البائسَ مِن المزبلةِ ٨ ليُجلسَه مع أشرافٍ، مع أشرافِ شعبِه. ٩ المُسْكنِ العاقرَ في بيتٍ أمَّ
أولادٍ، فرحانةً. هلّلويا.**

من مشرق الشمس إلى مغربها

تُعرف المزامير الستّة ١١٣-١١٨ بمزامير «التهليل المصري» نسبةً لترنيمة الخروج المعجزي من عبودية فرعون، وتمييزاً لها عن مزامير «التهليل العظيم» (١٢٠-١٣٤) المعروفة بمزامير المصاعد. وكان بنو إسرائيل يرتلون مزامير «التهليل المصري» في ثلاثة أعياد لهم، هي الفصح، والخمسين، والمظال. كما كانوا يرتلونها في مطلع كل شهر قمري (ماعدا مطلع الشهر الأول من السنة). وكان عيد الفصح (ومعناه عيد العبور) أعظم الأعياد (تث ١٦: ١-٦)، لأنه تذكار نجاة بني إسرائيل من عبودية فرعون والخروج من مصر، فكانوا يرتلون مزموري ١١٣، ١١٤ قبل أكل خروف الفصح، ثم يرنمون مزامير ١١٥-١١٨ بعده. وكان موعد عيد الخمسين، أو عيد الأسابيع بعد عيد الفصح بخمسين يوماً، وكان شكراً على الحصاد (خر ٣٤: ٢٢). أما عيد المظال فهو آخر الأعياد السنوية الكبرى (تث ١٦: ١٦)، وكان بنو إسرائيل أثناءه يقيمون في مظال من أغصان الشجر، تذكاراً لإقامتهم أربعين سنة في صحراء سيناء (لا ٢٣: ٤٣). وقد اختارت الكنيسة مزامير ١١٣ و١١٤ و١١٨ لتُرنَّم مساء أحد عيد القيامة، لأن هذا العيد حلّ محل الأعياد اليهودية الثلاثة الفصح، والخمسين، والمظال.

والذي يذكر حادثة خروج بني إسرائيل من مصر بعد أن سامهم فرعون سوء العذاب يُذهل من عظمة المعجزات التي جرت، من قتل أبكار المصريين ونجاة أبكار بني إسرائيل، لأن الملاك المُهلك عبر عن البيوت التي رأى دم خروف الفصح على أبوابها، ويُذهل من إطعام شعب بكامله وإروائه أربعين سنة في صحراء سيناء، بالمن واللحم والماء الخارج من الصخرة. فقد كان الخروج مواجهةً بين الإله الحقيقي «يهوه» غير المنظور وآلهة المصريين التي منها العجل أبيس ونهر النيل وغير ذلك. لقد تبنّى الربُّ جماعة المستضعفين في الأرض لينقذهم من جبروت الطاغوت، أقوى حاكم لأعظم إمبراطورية في وقته. وكان المنتظَر منطقياً أن القوة العظمى تسحق الأمة الضعيفة التي لا تملك سلاحاً. لكن الرب أنقذ الشعب الضعيف، وشقَّ أمامهم البحر الأحمر. وفي ذهولنا من

المعجزات الإلهية نقول: «هللويا. سبّحوا يا عبيد الرب. سـبحوا اسم الرب.. لأن القدير صنع بي عظائم واسـمه قدوس.. إن كان الله معنا فمن علينا» (مز ١١٣: ١ ولو ١: ٤٩ ورو ٨: ٣١). حقاً «لا مثل لك بين الآلهة يا رب، ولا مثل أعمالك.. لأنك عظيمٌ أنت وصانع عجائب. أنت الله وحدك» (مز ٨٦: ٨، ١٠). ونحن اليوم مهما كنا صغار الشأن أو كنا أقلية، فإن لنا وعد المسيح: «لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت» (لو ١٢: ٣٢).

ولا زال الله الحي يُجري المعجزات في يومنا. ربما لن تحدث معك معجزة كمعجزة الخروج في حجمها، لكن لا بد قد حدثت معك معجزة فيها صلّيت، ففتح الله لك طريقاً للنجاة لم تكن تراه، ولا بد أنه سبحانه حماك من قوة غاشمة لم تكن تقدر أن تنقذ نفسك منها. وهناك معجزات أجراها معك الرب الكريم فأنقذك من مخاطر لم تكن تراها فلم تشعر بها ولم تشكر عليها. لكن عندما تعرفها تدرك عظمة عمل الرب معك، وتشترك مع صاحب المزمور في الشكر والتسبيح للرب صانع المعجزات، وتقول: «حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً.. عظَّم الرب العمل معنا، وصرنا فرحين» (مز ١٢٦: ١، ٣).

وكل من نال الحياة الجديدة في المسيح يشارك بني إسرائيل فرحة عبورهم البحر الأحمر، لأن الحياة الجديدة عبورٌ من العبودية إلى الحرية، ومن الموت إلى الحياة، ومن الظلمة إلى النور، فيقول: «كنت أعمى والآن أبصر» (يو ٩: ٢٥)، ويهتف: «هللويا. سبحوا يا عبيد الرب، سبحوا اسم الرب».

في هذا المزمور نجد:

أولاً - دعوة عامة لتسبيح الرب (آيات ١-٣)

ثانياً - تسبيح الرب لعظمة شخصه (آيتا ٤، ٥)

ثالثاً - تسبيح الرب لعظمة عمله (آيات ٦-٩)

أولاً - دعوة عامة لتسبيح الرب (آيات ١-٣)

١ - **عبيد الرب يسبّحون الرب:** «هللويا. سبّحوا يا عبيد الرب. سبحوا اسم الرب» (آية ١). يدعو المرنم سامعيه إلى تسبيح الرب لأنهم عبيده العابدون المُخلصون، الذين يقول الرب لهم: «يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترتُه، نسلَ إبراهيم خليلي، الذي أمسكتُه من أطراف الأرض، ومن أقطارها دعوتُه، وقلتُ لك: أنت عبدي، اخترتُك ولم أرفضك» (إش ٤١: ٨، ٩). والمؤمنون عبيد الرب لأنه

اشترى منهم نفوسهم وكل ما يملكون. كان العبد يُشترى بالمال، أما المؤمنون فقد اشتراهم المسيح لا بفضة ولا بذهب «بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (١بط ١: ١٩). وبهذا الشراء صرنا ملكيته، نهتف له، ونخضع لتوجيهاته، ونسبّح اسمه.

الـخليقة كلها مِلكٌ للرب الذي أوجدها وأبدعها وأعالها. فماذا يقدم العبد لخالقه وسيده إلا التسبيح الـدائم، فالـملائكة تشدو له: «قدوس. قدوس. قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). «السـماوات تحدث بمجد الله والفلك يـخبر بعمل يديه.. الجبال والآكام تُشيد أمامكم ترنُّماً وكل شجر الحقل تصفّق» (مز ١٩: ١ وإش ٥٥: ١٢). «فلنقدّم في كل حين لله ذبيحة التسـبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

ويعتزُّ المؤمنون الحقيقيون بلقب «عبد الرب» فهو اللقب الذي ناله موسـى كليم الله ١٨ مرة في التوراة (أولها تث ٣٤: ٥ وآخرها ٢أخ ٢٤: ٦، ٩)، وهو لقب يـشوع بن نون خليفة موسـى (يش ٢٤: ٢٩ وقض ٢: ٨)، وهو لقب إيليا النبي الذي قال لله: «أنا عبدك» (١مل ١٨: ٣٦)، وهو اللقب الـذي أطلقه نبوخذنصَّر ملك بابل على الفتيـة الثلاثة الذيـن ألقاهم في أتون النار لأنهم أطاعوا الله ورفـضوا أن يطيعوا الملك (دا ٣: ٢٦)، وهو ما لقّبت به العذراء القديسة مريم نفسها، فقالت بعد أن بشّرها الملاك جبرائيل بأنها سـتلد المسيح المخلِّص: «هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك» (لو ١: ٣٨)، وهو لقب اعتزَّ به الرسـول بولس فأطلقه على نفسـه في مطلع رسـائله، فقال: «بولس عبدٌ ليسـوع المسيح» (رو ١: ١) و«بولس عبد الله» (تي ١: ١) لأنه لم ينسَ أنه سقط أمام نور المسيح على وجهه على الأرض قائلاً: «يـا رب، ماذا تريـد أن أفعل؟» (أع ٩: ٦ و٢٢: ١٠)، واعتزَّ به الرسول بطرس فأطلقه على نفسه (٢بط ١: ١)، كما أطلقه الرسول يهوذا أيضا على نفسه (يه ١: ١).

عندما نعصى الرب ونديـر دفّة سـفيـنة حياتنا بحسـب رغباتنا، نتعب، فنكتشف أننا أخطأنا، ونـصرخ طالبين أن يكون هو الملك صاحب السيطرة على حياتنا. ونتعلم الدرس الذي تعلّمه نبي الله يـونان صاحب الحوت، الذي وجّه وجهه إلى عكس توجيه الله له، فبدل أن يتّجه إلى نينوى العراقية في الشمال الشرقي، اتّجه إلى ترشيش الأسبانية في أقصى الغرب، وركب سفينة مسافرة إليها، فهبّت عـاصفةٌ عاتية على السفينة كانت بلاءً على ركابها وحمولتها وعليه هو. ولم تكن النجاة ممكنةً حتى ألقوا به في البحر الهائج ليـعيده الحوت إلى حيث شاء الله له أن يكون، فرجع إلى نقطة البداية (يو ١: ٣، ١٧ و٢: ١٠). ولما أطاع يونان توجيه الله باركه وبارك أهل نينوى بكرازته، فتابوا.. فلنذكر أننا عبيد الرب، ولا حقَّ لنا أن نتجه إلا إلى حيث يريد الرب. فلتكن صلاتنا: «اجعلني عبداً لك، وإذ ذاك أصبح حراً. أرغمني أن أسلّم سيفي لك فأصبح منتصراً. فلكي أصل إلى العرش ينبغي أن ألقي تاجي عند قدميك، ولكي أقف ظافراً رافع الرأس ينبغي أن أنحني أمامك». عندها نسبّح الرب لأننا عبيد الرب.

٢ - **تسبيح الرب في كل العصور:** «ليكن اسم الرب مباركاً من الآن وإلى الأبد» (آية ٢). اسم الرب مبارك دائماً في كل وقت وزمان، يدعونه «أبانا الذي في السماوات، ليتقدّس اسمك» (مت ٦: ٩). وبسبب بُعد الناس عن الله نظن أحياناً كما ظن النبي إيليا أنه لم يبقَ أحدٌ يعبد الله سوانا. ولكن الرب يشجعنا كما شجع إيليا بقوله: «أبقيتُ سبعة آلاف، كلَّ الركب التي لم تجثُ للبعل، وكلَّ فمٍ لم يقبّله» (١مل ١٩: ١٨). وقال بطرس الرسول لبيت كرنيليوس: «أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه، بل في كل أمةٍ الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده. الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشّر بالسلام بيسوع المسيح. هذا هو رب الكل» (أع ١٠: ٣٤، ٣٥). هو بالحق رب كل الذين عرفوه مخلِّصاً، فيقولون: «أما نحن فنبارك الرب من الآن وإلى الدهر» (مز ١١٥: ١٨).

٣ - **تسبيح الرب في كل مكان:** «من مشرق الشمس إلى مغربها اسم الرب مسبَّح» (آية ٣). اسم الرب مسبّحٌ دائماً في كل مكان من الشرق إلى الغرب.. تغرب الشمس عن مكان لتشرق في مكان آخر على الأرض، وفي كل مكان تشرق عليه أو تغرب عنه يوجد من يسبِّح الرب ويهلل له، لأن فيه له شعباً أميناً، يقول عنه: «من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة، لأن اسمي عظيم بين الأمم، قال رب الجنود» (مل ١: ١١)، ويقول: «أحوِّل الشعوب إلى شفةٍ نقيّة ليدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة» (صف ٣: ٩).

ثانياً - تسبيح الرب لعظمة شخصه
(آيتا ٤، ٥)

١ - **عظمة الرب بسبب رفعته:** «الرب عالٍ فوق كل الأمم. فوق السماوات مجده» (آية ٤). «الرب عليٌّ مخوف. ملكٌ كبير على كل الأرض.. الرب قد ملك، ترتعد الشعوب. هو جالس على الكروبيم، تتزلزل الأرض. الرب عظيم في صهيون، وعالٍ هو على كل الشعوب. يحمدون اسمك العظيم والمهوب. قدوس هو» (مز ٤٧: ٢ و٩٩: ١-٣).. بنى له سليمان هيكلاً عظيماً كان بالنسبة لسليمان ولشعبه آيةً في العظمة، ولكن سليمان في صلاة تدشين الهيكل تساءل في تواضع: «هل يسكن الله حقاً على الأرض؟ هوذا السماوات لا تسعك، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيتُ!» (١مل ٨: ٢٧). ولم يكن هيكل سليمان قليلاً، لكنه كان لا شيء بالنسبة لعظمة الرب. لذلك ترفع الخليقة كلها ترنيمها لله هاتفة: «أنت مستحقٌ أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقتَ كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنةٌ وخُلقت» (رؤ ٤: ١١)، كما تهتف الخليقة المفدية قائلة: «للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين» (رؤ ٥: ١٣).

٢ - **عظمة الرب بسبب تفرُّده:** «من مثل الرب إلهنا الساكن في الأعالي!» (آية ٥). رتَّل له موسى وبنو إسـرائيل بعد الخروج قائلين: «من مثلك بين الآلهة يا رب؟ من مثلك معتزاً في القداسة، مخوفاً بالتسـابيح، صانعاً عجائب؟» (خر ١٥: ١١)، وقال له موسى بعد عبور صحراء سيناء: «أيُّ إله في السـماء وعلى الأرض يعمل كأعمالك وكجبروتك؟» (تث ٣: ٢٤). وتسـاءل النبي إشعياء: «فبمن تشبِّهون الله، وأيَّ شَبَهٍ تعادلون به؟» (إش ٤٠: ١٨). حقاً، هل يتسـاوى المخلوق بالخالق؟ هل هناك وجه شبه بين الكمال والنقص، أو بين القوة والضعف؟ هل يكون الغني المعطي مثل الفقير المتلقِّي؟.. يـتَّصف الله بالـحب الكامل فهو «الله محبة» (١يـو ٤: ٨، ١٦)، وهو القادر على كل شيء، وهو القدوس الذي بلا عيـب، وهو الحق المطلق. وفي حبه يعتني بخليقته من أزهار وطيور وبشر، حتى أن شعور رؤوسـنا جميعها مُحصاة، أو مرقَّمة عنده (مت ١٠: ٣٠). وقال المسـيح إن عصفورين يُـباعان بفلس، وخمسة تُباع بفلسين، والعصفور الذي سقط من حساب التاجر لم يسقط من حساب الله! ثم قال: «أنتم أفضل من عصافير كثيرة» (لو ١٢: ٧).

وتظهر عظمة الله في أنه يغيِّر طبيعة الخاطئ ليجعل منه إنسـاناً جديداً. تساءل النبي إرميا: «هل يغيِّر الكوشي جلده، أو النمر رُقَطه؟» (إر ١٣: ٢٣). والإجابة: لا. لكن في المسـيح يصير الفاسـد قديـسـاً لأن الله يخلق منه شخصاً جديداً، فقد غيَّر زكا جابي الضرائب من ظالم إلى معطاء، وغيَّر السـامريـة من خاطئة كان لها خمسـة أزواج، والذي كانت تعيش معه لم يكن زوجها، فتوَّبها وجعلها كارزة بالخلاص لأهل بلدها. هذا هو الرب إلهنا الساكن في الأعالي، والذي تنازل إلينا بمحبته في المسيح الكلمة.

ثالثاً - تسبيح الرب لعظمة عمله
(آيات ٦-٩)

١ - **الرب يرى الأسافل:** «الناظر الأسـافل في السماوات وفي الأرض» (آية ٦). بالنسبة للعظمة الإلهية تكون السـماوات في الأسـافل، وكذلك الأرض. فالخالق هو ربُّ الخليقة في السماوات وعلى الأرض، ومع ذلك فهو يتنازل ليسـدد احتياج المحتاجين، وينجد المتضايقين ويخلِّصهم من خطاياهم ومن ضيقاتهم. نظر إلى سجن فرعون ورأى يوسف الصدِّيق السجين بسبب طهارته، وقد «آذوا بالقيد رجليه. في الحديد دخلت نفسه.. أرسل الملكُ فحلَّه. أرسل سلطانُ الشعب فأطلقه. أقامه سيداً على بيته ومُسـلَّطاً على كل مُلكه ليأسـر رؤساءه حسب إرادته، ويعلِّم مشايخه حكمة» (مز ١٠٥: ١٧-٢٢). ونظر إلى أسـافل سـجن خطية «أغسـطينوس» في علاقاته الجنسـية الدنسة، وخلق منه «القديس أغسـطيـنوس» الأسـقف ومفسـِّر الكلمة الإلهيـة. ولا زال الله هو الأب والراعي والحافظ، فإن

عيـــني الرب نحو الصدّيقين وأذنيه إلى صراخهم (مز ٣٤: ١٥) «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدّد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (٢أخ ١٦: ٩).

٢ - ***الرب يُقيم المسكين***: «المقيم المسـكين من التراب، الرافع البائس من المزبلة ليُجلسه مع أشراف، مع أشراف شعبه» (آيتا ٧، ٨). اختار الرب جدعون الذي كان يخبط بعض الحنطة ليهرِّبها من غزاة المديانيين وجعله قاضياً ومنقذاً لبني إسرائيل (قض ٦: ١١، ١٤)، واختار شاول البنياميني الذي كان يفتش على أُتن أبيه الضالة ليجعله أول ملك على بني إسـرائيل (١صم ٩: ٣)، و«اختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم. من خلف المرضعات أتى به ليرعى شعبه.. فرعاهم حسب كمال قلبه، وبمهارة يـديـه هداهم» (مز ٧٨: ٧٠-٧٢). ورتَّلت العذراء المطوَّبة: «تعظِّم نفسـي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّـصي، لأنه نظر إلـى اتِّضاع أمته.. أنزل الأعزّاء عن الكراسـي، ورفع المتَّضعين» (لو ١: ٤٧، ٤٨، ٥٢). واختار المسـيح بعض صيادي السـمك ليجعل منهم تلاميذه، وليـكونوا صيـادي الناس (مت ٤: ١٩). وقال الرسـول بولس: «اختار الله جُهّال العالم ليُـخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليُـخزي الأقويـاء، واختار الله أدنيـاء العالم والمزدرى وغيـر الموجود ليُبطل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسدٍ أمامه» (١كو ١: ٢٧-٢٩). ويمكنك أن تقارن حالة الابن الضال بعيـداً عن بيـت أبيه وهو لا يجد ما تأكله الخنازير بحالته عندما رجع إلى بيت أبيه، فأُقيم له احتفال تكريم، ذُبح فيه العجل المسمَّن، وأُعطي حذاءً في رجليه علامة السيادة، وأُلبس خـاتماً في يده لأن أباه أعاد إليه كل ثقته فيه (لو ١٥: ٢٢).. وهكذا يستبدل الله الفقرَ بالغنى، والعار بالشرف، والمتكأ الأخيـر بالمتكإ الأول، والحزن بالفرح، وعبوديـة الخطية بحرية مجد أولاد الله، والعمى بالبصر الروحي. وأعظم ما فعله الله معنا أن المسـيح نزل إلى أقسـام الأرض السفلى لكي يـملأ الكل، وأعطى البعض أن يـكونوا رسـُلاً والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلّمين (أف ٤: ٩-١١).

٣ - ***الرب يعطي المحروم***: «المُسـْكِن العاقر في بيـتٍ، أمَّ أولادٍ، فرحانةً. هللويا» (آية ٩). لعل الـمرنم كان يذكر سارة زوجة خليل الله إبراهيم، وقد ضاع أملها في أن تلد له وهي في التسعين من العمر، فاقترحت على زوجها أن يـتزوّج جاريـتها هاجر ليـتحقّق وعد الله لخليله أنه سـيكون أباً لجمهور من الأمم. ولكن الرب أجرى المعجزة مع سـارة، وأعلن لها أنها سـتلد ابناً، فضحكت من غرابة الوعد ومن اسـتحالة تنفيذه بالقدرة الإنسـانية. ولكن وعد الله الحق تمَّ، وولدت سارة إسحاق (ومعنى اسمه: ضحك). وأنجب إسحاق يعقوب أب الأسباط.

أما حنة زوجة ألـقانة فقد كانت مذلـولة أمام ضرتها «فننَّة» لأن فننة كانت ذات أولاد بيـنما كانت حنة

عـــاقراً، فذهبت حنة إلى الهيكل تشكو لله مرارة نفسها في صلاة طويلة، حتى ظنّ رئيس الكهنة أنها سـكرانة. واسـتجاب الله طلبتها، ووهبها صموئيـل الذي قالت عنه: «لأجل هذا الصبي صلّيـت، فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لدنه» (١صم ١: ٢٧)، ثم جعل الله منه قائداً لشعبه.

ويـصف الوحي الكنيسة بمعنى روحي أنها أمّ تلد مؤمنين يحبون الله ويطيعونه. وقد تنقضي فترة طـويلة دون أن نرى نفوساً ترجع لله تائبة، فندعو مصلّين أن يرجع الخطاة إلى الرب، فيولد للكنيسة أبناء مؤمنون، ويـصبح المؤمنون الذيـن لم يسـبق لهم أن ربحوا أحداً للتوبة ذوي أولاد روحيين، فتتحقّق النبوة القائلة: «ترنّمي أيـتها العاقر التي لم تلد. أشيدي بالترنّم أيتها التي لم تمخض، لأن بني الـمسـتوحشة أكثر من بني ذات البعل، قال الرب. (يـعني من لا نتوقع لها أن تلد، بمعنى روحي، سيكون عندها أولاد أكثر من التي نتوقّع لها أن تلد). أوسعي مكان خيمتك، ولتُبْسط شُقق مساكنك. لا تُـمسكي. أطيلي أطنابك وشدّدي أوتادك (لأن الخيمة يجب أن تكبر لتتّسع لكثيرين). لأنك تمتدّين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلكِ أمماً، ويُعْمِرُ مدناً خربة» (إش ٥٤: ١-٣).

دعونا نرفع عيـوننا إلى الحقول التي ابيضّت للحصاد، فنخرج كفعلة في كرم الرب، ندعو الناس للتوبة، فيكون كل مؤمن مثل أمّ أولاد، فرحاً بالبركة، فنهتف هتاف خاتمة مزمورنا كما بدأناه بالقول: «هللويا». سبحوا الرب.

المزمور المئة والرابع عشر

١ عندَ خروجِ إسرائيلَ من مصرَ وبيتِ يعقوبَ مِن شعبٍ أعجمَ، ٢ كان يهوذا مقدسَهُ،
وإسرائيلُ محلَّ سلطانه. ٣ البحرُ رآه فهرب. الأردنُّ رجع إلى خلفٍ. ٤ الجبالُ قفزَتْ مثلَ
الكباش، والآكامُ مثلَ حُملانِ الغنم. ٥ ما لك أيها البحرُ قد هربتَ؟ وما لك أيها الأردنُّ قد رجعتَ
إلى خلفٍ؟ ٦ ومالَكُنَّ أيتها الجبالُ قد قفزْتُنَّ مثلَ الكباش، وأيتها التلالُ مثلَ حُملانِ الغنم؟
٧أيتها الأرضُ تزلزلي مِن قدامِ الرب، مِن قدام إلهِ يعقوب. ٨ المحوِّلِ الصخرةَ إلى غُدْرانِ مياهٍ،
الصَّوان إلى ينابيعِ مياهٍ.

الخروج الذي حرك الطبيعة

هذا ثاني مزامير التهليل المصري الستة (مزامير ١١٣-١١٨) التي تعبِّر عن تسبيح بني إسرائيل لما أخرجهم الرب من أرض مصر. في المزمور السابق سمعنا المرنم يتحدث عن محبة الله «الناظر الأسافل» من المساكين والبائسين. أما هذا المزمور فيعلن عن قوة الله التي أنقذت هؤلاء المساكين والبائسين، لأن هذه القوة تعمل في خدمة محبته الفعالة. ويصوِّر مزمورنا الطبيعة وقد تحركت خشية وارتعاداً من مجد الرب الذي يقود شعبه ويقول لهم: »توكلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخر الدهور» (إش ٢٦: ٤).

كانت الكنيسة الأولى ترنم هذا المزمور تسبيحاً لله في عيد القيامة، لأنه يعبِّر عن الخروج من قبر وموت، فقد كان بنو إسرائيل أمواتاً في قبر الاستعباد والتعذيب والإهانة، فأقامهم الرب منه وأطلقهم أحراراً. وهذا ما يجري في العهد الجديد بفضل قيامة المسيح الذي بعد أن صُلب وقُبر وقام من بين الأموات صار بكراً بين إخوة كثيرين (رو ٨: ٢٩). وبقيامته أعطى كل من يؤمن به رباً وفادياً الرجاء والوعد بالقيامة من قبر خطيته حسب قوله: «الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ساعة، وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٥).

وتتكرر معجزة الخروج في حياة المؤمنين أفرادا وجماعة، كما كررها الرب مع شعبه إذ أعادهم من سبي السنوات السبعين في بابل، فقد كان السبي قبراً ثانيا لبني إسرائيل بعد قبر عبودية مصر، فأخرجهم الرب منه بعد أن ذاقوا مرارة هدم الهيكل، وتوقُّف العبادة، وذل الصمت حزنا وامتناعا عن ترتيل ترنيمة الرب في أرض غريبة (مز ١٣٧: ٤). ولا زال الرب يُجري معجزة خروج جديد لنفوس المؤمنين من سبيهم في المرض والفقر والضيق، فيرنمون كلمات هذا المزمور بالشكر والحمد.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - الرب يُخرج شعبه من مصر (آيتا ١، ٢)

ثانياً - المعجزات التي رافقت الخروج (آيات ٣-٦)

ثالثاً تكرار معجزات الخروج (آيتا ٧، ٨)

أولاً- الرب يُخرج شعبه من مصر
(آيتا ١، ٢)

١ - **أخرجهم**: «عند خروج إسـرائيل من مصر وبيت يعقوب من شعب أعجم» (آية١). حادثة الخروج من مصر موضوع افتخار كل مؤمن بأعمال الرب المعجزية تجاه خاصته، وهي موضوع تسبيح وحمد للرب الذي وعد ويفي بوعده، ويبقى أميناً لا يقدر أن ينكر نفسه. لقد جاء بنو إسرائيل إلى مصر أعزاء بعد أن رحّب بهم فرعون يوسف، وخرجوا منها مكرَّمين بعد أن هُزم فرعون الخروج! وفي الدخول والخروج أكرم الرب شعبه. وهذه قصة كل مؤمن يحب الرب. لقد خلق الله الإنسان على صورته كشبهه، فالإنسان على صورة الرحمان، وأعطاه الرب سلطاناً ومكانة عظيمة. ولما أخطأ الإنسان صار تحت الدينونة العادلة، فجاء المسيح ليعيد لكل من يؤمن به رباً وفادياً حالته الأولى بالميلاد الثاني. فإنه «بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس.. لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو ٥: ١٢، ١٧).

كانت مصر أرض عبودية لا تعرف الرب، تتكلم لغةً أعجميةً غريبة في الحديث والعبادة، وتتعبّد لآلهة غريبة. ولكن الرب أنقذ شعبه من الكاتب الذي يسجل أسماء العبيد، ومن الجابي الذي يتقاضى الضرائب، ومن الذي يعد الأبراج التي بُنيت بالتسخير، فقال النبي إشعياء: «قلبك يتذكر الرعب. أين الكاتب؟ أين الجابي؟ أين الذي عدّ الأبراج؟ الشعب الشرس لا ترى. الشعب الغامض اللغة عن الإدراك، العيي بلسان لا يُفهم» (إش ٣٣: ١٨، ١٩).

٢- **سكن وسطهم**: «كان يهوذا مقدسه، وإسرائيل محل سلطانه» (آية ٢). أخرج الرب شعبه من أرض العبودية وسكن وسطهم، وجعلهم مقدسه وموضع اهتمامه وعنايته وسلطانه، فقد أمر موسى أن يجهِّز خيمة يجتمع فيها بشعبه ليعلن لهم مشيئته (عد ١٧: ٤). وكانت الخيمة أيضاً تُسمى «المسكن» حيث يسكن الله وسط شعبه (خر ٢٥: ٨). وكانت الخيمة تتوسط خيام أسباط بني إسرائيل حسب النظام الموضح في سفر العدد الأصحاح الثاني، فكانت تعلن لهم قداسة الله بسبب طقوس العبادة التي يمارسونها فيها، كما تعلن لهم حضوره المقدس، وتؤكد لهم نعمته، لأنه وهو القدوس يتنازل ليسكن وسطهم ليحبوه ويعبدوه، ويقول كل مؤمن عنه: «الإله الذي أنا له، والذي أعبده» (أع ٢٧: ٢٣). ولم يكتفِ المرنم بالحديث عن الخيمة، بل اعتبر الشعب كله مسكناً لله، كما قال لهم: «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليَّ.

فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب.. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر ١٩: ٤-٦). وهكذا صاروا مقدسه، أي هيكله الذي يتمجد فيه، ويمكن أن يُقال لهم: «أما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢: ٩).

ثانياً- المعجزات التي رافقت الخروج
(آيات ٣-٦)

رافق الخروج من مصر معجزات وقع رعبها على المصريين بالرغم من حكمتهم، وعلى الطبيعة بالرغم من جبروتها، فاستسلموا معلنين خضوعهم لسيد الخليقة.

١- **تراجعت الحواجز:** «البحر رآه فهرب. الأردن رجع إلى خلف» (آية ٣). «مدَّ موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية.. وجعل البحر يابسة وانشقّ الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم» (خر ١٤: ٢١، ٢٢). «أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت. ارتعبت أيضاً اللجج» (مز ٧٧: ١٧). «شقَّقت الأرض أنهاراً.. سيل المياه طما. أعطت اللجة صوتها. رفعت يديها إلى العلاء» (حب ٣: ٩، ١٠). وعندما حاول المصريون أن يسيروا في الطريق الذي أوجده الرب بين الأمواج انغلق عليهم فغرقوا بمركباتهم في البحر الذي سخره الرب لنجاة شعبه. «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩: ١٩).

وذكر المرنم حادثة ثانية هربت فيها المياه من أمام شعب الرب، يوم عبروا نهر الأردن بقيادة يشوع، بعد أن قال الرب له: «ويكون حينما تستقر بطون أقدام الكهنة حاملي تابوت الرب، سيد الأرض كلها، في مياه الأردن، أن مياه الأردن، المياه المنحدرة من فوق، تنفلق وتقف نداً واحداً.. فتوقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نداً واحداً.. والمنحدرة إلى بحر العربة بحر الملح انقطعت تماماً، وعبر الشعب مقابل أريحا» (يش ٣: ١٣-١٧).

٢- **استسلمت المصاعب:** «الجبال قفزت مثل الكباش، والآكام مثل حملان الغنم» (آية ٤). عندما أعطى الله الشريعة لموسى «كان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار.. وارتجف كل الجبل جداً» (خر ١٩: ١٨). «تزلزلت الجبال من وجه الرب، وسيناء هذا من وجه الرب» (قض ٥: ٥).

واليوم يقف الخاطئ المتجبّر المتكبّر مذعوراً أمام صوت الرب الذي يعلن الدينونة على الخطاة، فلا يطمئن إلا بعد أن يحتمي في كفارة المسيح الذبح العظيم. فإن شريعة الله تحكم على الخاطئ

بالموت، ولو أنها في الوقت نفســه توجّهه إلى طريــق النجاة بالفداء الذي دبّره الله بالصليب، لأنه بدون ســفك دم لا تحصل مغفرة. وكل من يــحتمي بالمســيح الفادي يقدر أن يرنم: «لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال في قلب البحار» (مز ٤٦: ٢)

٣- **اندهل المـشاهدون**: «مالك أيــها البحر قد هربت؟ ومالك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف؟ ومالكن أيــتها الجبال قد قفزتن مثل الكباش، وأيــتها التلال مثل حملان الغنم؟» (أيتا ٥، ٦). عندما صاغ الــمرنم بالروح القدس عبارات هذا المزمور شعر كأنه انتقل بالروح إلى زمن الخروج ووقف وسط الناجين، يرى عمل الرب حاضراً أمامه، فسأل البحر الأحمر ونهر الأردن عن سبب تراجعهما أمام شعب الله، وســأل جبل ســيناء والتلال المحيطة به عن سبب قفزها مثل الكباش وحملان الغنم، وأبدى دهشته من سرعة طاعة الطبيعة وخضوعها لأمر الرب بالمفارقة مع عصيان فرعون وشعبه!

لقد تزعزعت هذه الجبال الراســيــات. ولا زلنا في يومنا هذا نرى اهتزاز الثوابت الأرضية أو المعنوية التي نستند عليها، مثل المال وقوته الشرائية، فنتعلم الدرس: «إن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلباً» (مز ٦٢: ١٠)، ومثل الصحة أمام مداهمة المرض كما جرى مع أيوب الذي قال: «عظمي قد لــصق بجلــدي ولحمي، ونجوت بجلد أســناني» (أي ١٩:٢٠)، ومثل الأصحاب، كما قال بولس: «الجميــع تركوني. لا يُحســب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقوّاني» (٢تي ٤: ١٦، ١٧)، ومثل العائلة التي تهجر بالخيــانة أو الموت، كما قالت راعوث لنعمي: «إنما الموت يــفصل بيني وبينك» (را ١: ١٧). هذه كلها تهرب وتنتهي، ولا تبقى لنا إلا أمانة الرب ومحبته وعنايــته، فهذه وحدها هي الثابتة، فنقول للصعوبة: «من أنت أيها الجبل العظيم؟ أمام زربابل تصير سهلاً (أرضاً مستوية)» (زك ٤: ٧).

ثالثاً - تكرار معجزات الخروج
(آيتا ٧،٨)

١- **ستستسلم المصاعب**: «أيــتها الأرض تزلزلي من قدام الرب، من قدام إله يعقوب» (آية ٧). إن كان الــبحر قد هرب إلى خلف وقفزت الجبال مثل الكباش، فلماذا لا تتزلزل الأرض أمام الرب سيد الأرض كلها؟ «أضاءت بروقه المسكونة. رأت الأرض وارتعدت. ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب، قدام سـيد الأرض كلها. أخبرت السماوات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده» (مز ٩٧: ٤-٦). «الــذي صوته زعزع الأرض حينئذ، وأما الآن فقد وعد قائلاً: إني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل الســماء أيضاً. فقوله «مرة» أيضاً يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة، لكي تبقى الــتي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله.. لأن إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٦-٢٩).

وســـيد الأرض كلها هو «إله يـــعقوب» «إله العهد» الذي خصَّ يعقوب أبا الأســباط بإعلاناته ومراحمه وعهوده. هو إله العهد، الذي لم يعامل يعقوب حســب أعماله، بل عامله حسب كثرة محبته التي غيـّرت يـــعقوب فجعلت من المتعقِّب مجاهداً مع الله. وهو نفســه إله العهد الجديد الذي ســدّد الأعواز في عرس قانا الجليل، وأعطى نيقوديموس ولادة جديدة، وتوّب الســـامرية، وأعطى مريض بركة بيــت حِســدا صحة، وقدّم للشعب الجائع خبزاً، وفتح عيـــني المولود أعمى، وهو نور العالم، وهو الراعي الصالح الذي يـــحمي قطيـــعه، وهو الخالق الذي أقام لعازر من الموت. وفي كل مرة نتناول فيها من عشاء الرب نسمع القول الكريم: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيـــرين لمغفرة الخطايا» (متى ٢٦: ٢٨). وإله العهد هذا هو الفاعل في الطبيعة وفي قلوب البشر. «عجيبة هي أعمالك يا رب، ونفسي تعرف ذلك يقيناً» (مز ١٣٩: ١٤).

٢- **سيرتوي العطاش:** «المحوّل الصخرة إلى غدران مياه، الصَّوَّان إلى ينابيع مياه» (آية ٨). هو إله العناية. لقد أخرج شعبه من العبودية وسار بهم وسط صحراء قاحلة مدة أربعين سنة، أشبعهم فيها بالمن والســـلوى. وعندما تذمروا بســـبب نقص الماء أمر موسى في برية سين أن يضرب الصخرة لـيخرج منها ماء ليشرب الشعب «ففعل موسى.. ودعا اسم الموضع مسة ومريبة، من أجل مخاصمة بني إســرائيل، ومن أجل تجربتهم الرب، قائلين: أفي وســـطنا الرب أم لا؟» (خر ١٧: ٧). ولكنهم ســـرعان ما نسوا فعل الرب، فخاصموا موسى في برية صين لأجل الماء، فضرب الصخرة «فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها. هذا ماء مريبة حيث خاصم بنو إســـرائيل الرب فتقدس فيهم» (عد ٢٠: ١١، ١٣).

مع هذا الإله الصالح العظيـــم تســقط حواجز المقاومة وترتوي النفوس العطشى، لأن كل شيء مســـتطاع عنده، كما أننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. فلنطلب منه برجاء، ولنصلِّ بلا ملل، ولنصبر بتوقُّع، فهو الذي يـــحوّل العوز إلى وفرة، وفي وقته يـــســـرع به بطرقه الحكيمة وقلبه الرحيم. «لا تهتموا قائليـــن: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت ٦: ٣١، ٣٣).

المزمور المئة والخامس عشر

١ ليس لنا يا ربُّ ليس لنا، لكن لاسمِك أعطِ مجداً. من أجلِ رحمتِك، من أجلِ أمانتِك.
٢لماذا يقولُ الأممُ: : «أين هو إلهُهم؟» . ٣ إن إلهَنا في السماء. كُلَّما شاء صنع. ٤ أصنامُهم فضةٌ
وذهبٌ، عملُ أيدي الناس. ٥ لها أفواهٌ ولا تتكلمُ. لها أعينٌ ولا تبصرُ. ٦ لها آذانٌ ولا تسمعُ. لها
مناخرُ ولا تَشُمُّ. ٧ لها أيدٍ ولا تلمسُ. لها أرجلٌ ولا تمشي، ولا تنطقُ بحناجرِها. ٨ مثلَها يكونُ
صانعوها، بل كلُّ مَن يتّكلُ عليها.
٩ يا إسرائيلُ، اتَّكل على الربِّ. هو مُعينُهم ومِجنُّهم. ١٠ يا بيتَ هارونَ، اتَّكلوا على الربِّ.
هو مُعينهم ومِجنُّهم. ١١ يا متَّقي الربِّ، اتكلوا على الربِّ. هو معينهم ومجنُّهم. ١٢ الرب قد ذكرنا
فيباركُ. يباركُ بيتَ إسرائيل. يبارك بيتَ هارون. ١٣ يباركُ متَّقي الربِّ الصغارَ مع الكبار. ١٤ ليزِدِ
الربُّ عليكم. عليكم وعلى أبنائِكم. ١٥ أنتم مُباركون للربِّ الصانعِ السماواتِ والأرض.
١٦السماواتُ سماواتٌ للربِّ، أما الأرضُ فأعطاها لبني آدم. ١٧ ليس الأمواتُ يسبِّحون الربَّ، ولا
من ينحدرُ إلى أرضِ السُّكوت. ١٨ أما نحن فنباركُ الربَّ من الآنَ وإلى الدهرِ. هلِّلويا.

ليس لنا

هذا هو المزمور الثالث من مزامير «التهليل المصري» الستة. رأينا في أولها (مز ١١٣) محبة الله للذين هم في «أسافل الأرض» وفي الثاني (١١٤) رأينا قدرة الله في خدمة محبته التي تهزُّ الجبال وتجعل البحر يرجع إلى خلف. وفي هذا المزمور نرى أن كل هذه المعجزات ليست بسبب صلاح فينا ولا بر عملناه، إنما من أجل اسمه، فهو «يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (مز ٢٣: ٣). ويتشابه مزمورنا مع مزمور ١١٨، آخر مزامير «التهليل المصري» في أنهما كانتاتا رائعة، أي أنهما قصيدة تنشدها جوقة مرنمين بمصاحبة الموسيقى. ونرجو من القارئ أن يراجع ما قلناه في مقدمة أول مزامير «التهليل المصري» (مزمور ١١٣) كمقدمة لدراسة هذا المزمور.

يوضح مزمورنا عظمة الرب بالمفارقة مع عجز الأوثان. وهو مزمور عبادة ذو مردَّات، تبدأ الجوقة بترنيم آيات ١-٨ منه، ثم يتبادل الترنيم كلٌّ من الكاهن والجوقة حتى نهايته. وهذا المنهج في الترنيم وصفه نحميا بقوله: «فوقف الفرقتان من الحمادين في بيت الله، وأنا ونصف الولاة معي» (نح ١٢: ٤٠).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - دعاء لتمجيد اسم الرب (آيات ١-٣)

ثانياً - مفارقة بين الرب والوثن (آيات ٤-٨)

ثالثاً - دعوة للاتكال على الرب (آيات ٩-١١)

رابعاً - بركة الاتكال على الرب (آيات ١٢-١٨)

أولاً - دعاء لتمجيد اسم الرب
(آيات ١-٢)

١ - **يمجد اسمه إكراماً لشخصه:** «ليس لنا يا رب ليس لنا، لكن لاسمك أعطِ مجداً» (آية ١أ). بكل تواضع يبدأ فريق المرنمين ترنيم هذا المزمور فيطلبون من الرب أن يمجد اسمه، لأنهم لا يستحقون أن يطلبوا مثل هذا الطلب منه. وهم لا يطلبون طلباً لأجل أنفسهم، بل يطلبون أن يمجد اسمه بنجاة شعبه، فإن الذي يضطهدهم يضطهده (أع ٩: ٤)، والذي يمس حدقة عيونهم يمس حدقة عين الرب (زك ٢: ٨). وكانت هذه صلاة دانيال: «لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك، بل لأجل مراحمك العظيمة. يا سيد اسمع. يا سيد اغفر. يا سيد أصغِ واصنع. لا تؤخِّر من أجل نفسك يا إلهي، لأن اسمك دُعي على مدينتك وعلى شعبك» (دا ٩: ١٨، ١٩). ويجيب الرب: «ليس لأجلكم أنا صانع.. بل لأجل اسمي القدوس.. فأقدس اسمي العظيم.. فتعلم الأمم أني أنا الرب، يقول السيد الرب، حين أتقدس فيكم قدام أعينهم» (حز ٣٦: ٢٢، ٢٣). «من أجل اسمي أبطئ غضبي، ومن أجل فخري أمسك عنك حتى لا أقطعك. من أجل نفسي.. أفعل. لأنه كيف يدنَّس اسمي؟ وكرامتي لا أعطيها لآخر» (إش ٤٨: ٩، ١١).

والمؤمن الأمين يرفع صلاته إلى الرب باسم المسيح، لأنه يقبلنا من أجل عمله الكفاري على الصليب، ولأننا في شفاعته ننتظر الإجابة، فإنه «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون» (رو ٥: ١، ٢).

٢ - **يمجد اسمه إكراماً لرحمته وأمانته:** «من أجل رحمتك من أجل أمانتك» (آية ١ب). ويستمر المرنمون يقولون للرب إنه إن لم يتدخل لينجيهم فسيظن الوثنيون (كما يظن ضعفاء الإيمان منهم) أنه لم يرحم شعبه، ولم يحقق لهم ما سبق أن وعدهم به، وهو الذي قال: «الرب إله رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء» (خر ٣٤: ٦). ولذلك قال موسى للشعب: «ليس من كونكم من أكثر سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم» (تث ٧: ٧، ٨).

لقد دعا الرب إبراهيم من أور الكلدانيين وأعطاه وعداً واحداً حققه له برحمته وأمانته. أما نحن مؤمني العهد الجديد فقد دعانا بالمجد والفضيلة، ووهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي نصير بها شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٣، ٤). فما أسعدنا باسمه الذي دُعي علينا، وبوعوده الموهوبة لنا في المسيح فادينا.

٣ - **يمجد اسمه ليخجل الوثنيون:** «لماذا يقول الأمم: أين هو إلههم؟» (آية ٢). ويمضي المرنمون

يـطلبون تمجيد اسم الرب حتى لا يسألهم الوثنيون: أين إلهكم؟.. إن كل أعمال الرب عظيمة ومعلنة ومـنظورة في الخليقة والطبيعة والعناية، وفوق الكل في الفداء. ولكنه روح غير منظور، لذلك يسأل عابدو الأصنام شعب الرب: أين إلهكم؟.. وعندما يصرخ شعب الرب دون أن ينالوا إجابة سـريعة يسـألهم الوثنيون: إن كان إلهكم موجوداً فلماذا لا يتدخل ويخلصكم؟.. وقد سـبق لأحد المرنمين أن صرخ في انحناء نفسـه: «صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليـلاً، إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟.. لـماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ترجي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي» (مز ٤٢: ٣، ١١).

٤ - **يمجد اسمـه ليُظهر قوته:** «إن إلهنا في السـماء، كل ما شاء صنع» (آية ٣). بهذه الآية يرد الـمرنمون على سؤال الوثنيين، فإن إلههم يسكن السماء ويرى كل المضطهدين ويسمع كل صلواتهم. إنه أبونا الذي في السـماوات، وهو الفعال على الأرض، يصنع كل ما يشاء «صنع الثريا والجبار، ويـحوّل ظل الموت صبحاً، ويظلم النهار كالليل. الذي يدعو مياه البحر ويصبها على وجه الأرض. يهوه اسـمه» (عا ٥: ٨). فإن ظن الوثنيون أنه قد تخلى عن شعبه لأنهم مُتعبون، فليعلموا أنه الحي الـمخلِّص، وأن كل ما يمرُّ به أولاده من متاعب هو بسماح منه، فيقولون: «لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سـقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. أحتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه، حتى يـقيم دعواي ويجري حقي. سـيخرجني إلى النور. سـأنظر بره» (مي ٧: ٧). و«كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب ١٢: ١١).

ثانياً - مفارقة بين الرب والوثن
(آيات ٤-٨)

١ - **لا حياة في الأوثان:** «أصنامهم فضة وذهب، عمل أيدي الناس. لها أفواه ولا تتكلم. لها أعين ولا تبصر. لها آذان ولا تسـمع. لها مناخر ولا تشم. لها أيـد ولا تلمس. لها أرجل ولا تمشي، ولا تنطق بحناجرها» (آيات ٤-٧). اقتُبسـت هذه الآيات في مزمور ١٣٥: ١٥-١٨. وهي اسـتمرار لترنيـم الجوقة، وفيها يردون على الوثنيين الذين سـألوهم: «أين هو إلهكم؟» فيقولون لهم: بل أين آلهتكم أنتم؟ إنها أوثان ميتة لا تنفع ولا تضر، أما إلهنا فهو «في السـماء. كل ما شاء صنع». «ماذا نفع التمثال المنحوت حتى نحته صانعه؟.. ويـل للقائل للعود: اسـتيقظ، وللحجر الأصم: انتبه. أهو يعلِّم؟ ها هو مطلي بالذهب والفضة، ولا روح البتة في داخله. أما الرب ففي هيكل قدسـه، فاسكتي

قدامه يا كل الأرض» (حب ٢: ١٨-٢٠). «لأنهم ليسوا آلهة، بل صنعة أيدي الناس. خشب وحجارة فـأبادوهم. والآن أيها الرب خلِّصنا فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك» (إش ٣٧: ١٩، ٢٠). أما الرب فيقول أيوب له: «يداك كونتاني وصنعتاني.. كســوتني جلداً ولحماً فنسجتني بعظام وعصب. منحتني حياة ورحمة وحفظت عنايتك روحي» (أي ١٠: ٨، ١١، ١٢).

لـلأصنام أفواه ولا تتكلم، أما الرب فيـتكلم في الوحي في الكتاب المقدس، ويـهمس في قلوبنا بالحديث الباطني بكلمات المحبة والنصح والســلام، فإن «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه» (عب ١: ١، ٢).

ومن المؤسـف أنه حتى في يـومنا هذا لا نزال نرى من يصنعون أصناماً يعبدونها. وهي وإن كانت تختلف عن أوثان الأقدمين في شكلها، إلا أنها تشبهها في صفاتها، فما أكثر من يسجدون لصنم العلم، والمال، والمركز الاجتماعي، والرياضة، والجنس، والمخدرات، فيعطونها الأولوية الأولى في حياتهم، ويتحولون عن عبادة الإله الواحد، لأنه «حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (متى ٦: ٢١).

٢ - **لا حياة في عابدي الأوثان:** «مثلها يـكون صانعوها، بل كل من يتكل عليها» (آية ٨). يشبه العابدون معبوداتهم العميـاء الصماء البكماء. فمع أن نسـمة القدير وهبتهم الحياة ليعرفوه ويعبدوه ويـعيشوا له فينالوا حياة أبدية، إلا أنهم ساروا وراء الباطل وأظلم قلبهم لأن «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لكي لا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو ٤: ٤). لـقد فقدوا الحس، فلم يعودوا يستجيبون لصوت الرب، فحكموا على أنفسهم بالهلاك. «لأنه وإن وُجد ما يُسـمى آلهة، سـواء كان في السـماء أو على الأرض.. لكن لنا إله واحد: الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له. ورب واحد: يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء، ونحن به» (١كو ٨: ٥، ٦).

ثالثاً - دعوة للاتكال على الرب
(آيات ٩-١١)

في هذه الآيـات يطلب قائد الجوقة ثلاث مرات، من مختلف طبقات شعبه، أن يتكلوا على الرب، فـتجيبه الجوقة معبِّرة عن مختلف طبقات الشعب بأن الرب هو معينهم ومِجَنُّهم. والمجن ترس كبير، هو قطعة خشب مغطاة بجلد، يصدُّ به حامله سهام الأعداء.

١ - **دعوة بـني إسرائيل:** «يـا إسـرائيل، اتكل على الرب» (آية ٩أ). هذه دعوة من قائد جوقة الترنيم. والاتكال على الرب يعني الثقة في قدرته التي ترفع وتحمل وتنجي، فقد قال: «اسمعوا لي يا بيـت يعقوب وكل بقية إسـرائيل المحمَّلين عليَّ من البطن، المحمولين من الرحم. وإلى الشيخوخة

أنا هو وإلى الشيـــبة أنا أحمل» (إش ٤٦: ٣، ٤).. والاتكال يعني الخضوع والتســليم الكامل لإرادة الرب الصالحة وهو يـنجري، «ألق على الرب همك فهو يعولك. لا يدع الصدّيق يتزعزع إلى الأبد» (مز ٥٥: ٢٢).

وتردُّ الجوقة على القائد: «هو معيـــنهم ومجنهم» (آية ٩ب). «حتى إننا نقول واثقين الرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسان؟» (عب ١٣: ٦).

٢- **دعوة الكهنة:** «يا بيت هارون، اتكلوا على الرب» (آية ١٠أ). هذه دعوة من القائد.

وتردُّ الجوقة على القائد: «هو معينهم ومجنهم» (آية ١٠ب).

٣ -**دعوة الأتقياء:** «يا متقي الرب، اتكلوا على الرب» (آية ١١أ). يدعو القائد كل متقي الرب من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، الذين أنار الرب قلوبهم فعرفوه وأحبوه وتبعوه، ليتكلوا عليه، فإنه «في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (أع ١٠: ٣٥).

وترد الجوقة على القائد: «هو معينهم ومجنهم» (آية ١١ب).

رابعاً - بركة الاتكال على الرب
(آيات ١٢-١٨)

تستمر الجوقة في آيتي ١٢، ١٣ ترنم رداً على قائد الجوقة.

١ - **الرب يذكر المتكلين عليه:** «الرب قد ذكرنا فيبارك» (آية ١٢أ). هو الســيد في سمائه، الذي يذكر مخلوقاته ويعتني بها، فلا ينســى حتى عصفوراً يســـقط على الأرض (مت ١٠: ٢٩). «لأنه يـــوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك» (مز ٩١: ١١). «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن يـــاه يـــهوه قوتي وترنيمتي وقد صار لي خلاصاً» (إش ١٢: ٢). وقد يظن الأتقياء في شدة ضيقهم أنه نســيهم، فيشجعهم بقوله: «هل تنســـى المرأة رضيعها؟.. حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك. هوذا على كفيَّ نقشتك» (إش ٤٩: ١٤-١٦).

يذكر الرب الإنســـان في خطيته وضلاله ليتوّبه، ويذكره بالمواعيد العظمى والثمينة التي يحققها له، ويــذكره في احتيـــاجاته المادية فيباركه، ويذكره في مرضه فيبرئه، ويقول: «هئنذا واقف على الباب وأقرع. إن ســمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليـــه وأتعشى معه وهو معي» (رؤ ٣: ٢٠). ويهتف الأتقياء: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ٢).

٢ - **الرب يبارك المتكلين عليه:** «يــبارك بيت إســرائيل. يبارك بيت هارون. يبارك متقي الرب الصغار مع الكبار» (آيــتا ١٢ب، ١٣). رنمت الجوقة رداً على القائد أن الله يــذكر جميــع المتكليــن عليه،

وهـنا يرنمون أنه يباركهم ببركته التي تُغني، ولا يزيد الله معها تعباً (أم ١٠: ٢٢). بارك إبراهيم لما أطاع وجعله بركة (تك ١٢: ٢، ٣)، ويبارك نســل إبراهيم المؤمن من كل جنس وشعب. إنه يبارك متقي الرب من صغار الأعمار أو حديـــثي الإيمان، كما بارك اللص التائب الذي ناداه: «اذكرني يا رب مــتى جئت في ملكوتك. فقال له: اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢). ويبارك الكبار الذيــن أمضوا معه حياة طويلة عميقة في أُنس ومحبة وعبادة، كما بارك ســمعان الشيخ وحنّة النبية اللذين كانا ينتظران خلاص الرب بمولد المســيح، فرأياه بالعيان (لو ٢). فإنه «طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طرقه.. طوباك وخير لك. امرأتك مثل كرمة مثمرة.. بنوك مثل غروس الزيتون.. هكذا يُبارك الرجل المتقي الرب» (مز ١٢٨).

٣- ***الرب يزيد البركة للمتكلين عليه:*** «ليزد الرب عليكم. عليكم وعلى أبنائكم. أنتم مباركون للرب الصانع الســماوات والأرض» (آيــتا ١٤، ١٥). هاتان الآيتان ردّ قائد فرقة الترنيم على الفرقة التي قالت إن الرب يذكر وســـيبارك، فيقول لهم إن الله سيزيد لهم البركة، بأن يزيدهم عدداً ويُنعم عليهم المزيد من خيراته.

حقق الرب وعده لإبراهيـــم أن يكون نســله كرمل البحر في الكثرة وكنجوم الســماء في العدد. وعندما جاءوا إلى مصر بدعوة من يــوســف كانوا نفراً قليـــلاً، ولكنهم غادروها عدداً غفيراً، وقد باركهم الرب بكل عنايـــته، وقال لهم موســى: «الرب إلهكم قد كثركم.. الرب إله آبائكم يزيد عليكم مثلكم ألف مرة ويــباركم كما كلمكم» (تث ١: ١١). ويــطلب قائد الفريق من الرب أن يبارك أبناء جيـــله فيمنحهم بركة فوق بركة ونعمة فوق نعمة، فيكونون ملكاً للرب، وتتبارك ذريتهم لتكون أيضاً للرب، ويكون شعار الجميع: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥)، «ويُعرف بين الأمم نسلهم وذريتهم في وســط الشعوب. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب» (إش ٦١: ٩)، كما وُصف إيمان تيموثاوس أنه عديم الرياء سكن أولاً في جدته لوئيس وأمه أفنيكي (٢تي ١: ٥).

«مــباركون للرب». تحل بركة الرب الذي خلق السماء والأرض على كل الذين يتّقونه، ويمنحهم خيرات السماء والأرض، فيسبحون له ويكونون مباركين منه وله، فيجعلهم ملح الأرض ونور العالم، فيضيء نورهم قدام الناس ويرون أعمالهم الحسنة ويمجدون أباهم الذي في السموات (مت ٥: ١٣-١٦).

٤- **الجميع يباركون الرب:** (آيات ١٦-١٨). هنا تردُّ الجوقة على القائد.

(أ) **يباركون من أعطاهم الأرض:** «السماوات سماوات للرب، أما الأرض فأعطاها لبني آدم» (آية ١٦). قال قائد جوقة الترنيم في آية ١٥ إن الرب خلق السماوات والأرض، فتجيبه الجوقة أنه هو خالقها، ولكنه جعل البشر خلفاءه ووكلاءه فيها، يعملون فيها ويحفظونها (تك ٢: ١٥). وبهذا أعطاهم امتيازاً، وحمّلهم بمسؤولية. و«طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض» (مت ٥: ٥).

(ب) **يباركون من أعطاهم الحياة:** «ليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت. أما نحن فنبارك الرب من الآن وإلى الدهر» (آيات ١٧، ١٨). وتستمر الجوقة تقول للقائد إن شعب الرب يغتنمون فرصة الحياة الحاضرة لتسبيح الرب والترنم له، ولا بد أن الأتقياء سيعمرون طويلاً ليستمر تسبيح الرب. ولم يذكر المرنمون شيئاً عن الترنيم في الأبدية لأن فكرة الخلود كانت غامضة عندهم، عبَّر عنها داود بقوله: «ليس في الموت ذكرك. في الهاوية من يحمدك؟» (مز ٦: ٥)، وقال الملك حزقيا: «لأن الهاوية لا تحمدك. الموت لا يسبحك. لا يرجو الهابطون إلى الجب أمانتك» (إش ٣٨: ١٨). أما نحن فنشكر الله أن الإنجيل أنار لنا الحياة وأنار لنا الخلود، بعد أن أبطل المسيح شوكة الموت وهزم الهاوية (٢تي ١: ١٠ و١كو ١٥: ٥٥). وبهذا ندرك أن لنا دائماً فرصة الترنيم والتسبيح لله في الأرض وفي السماء. وقد رأى يوحنا الرائي ربوات ربوات يهتفون بصوت عظيم: «مستحق هو الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة». وسمع كل الخليقة تقول: «للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين» (رؤ ٥: ١٢، ١٣).

يبارك الله الأتقياء ببركات السماء والأرض، فيباركونه أثناء حياتهم على الأرض، كما يباركونه عندما يقفون أمام عرشه هاتفين «هللويا» سبحوا الرب! سبحان الله!

المزمور المئة والسادس عشر

١ أحببتُ لأنَّ الربَّ يسمعُ صوتي، تضرُّعاتي. ٢ لأنه أمال أذنه إليَّ فأدعوه مدَّة حياتي.
٣اكتنفتْني حبالُ الموتِ. أصابتني شدائدُ الهاويةِ. كابدتُ ضيقاً وحزناً، ٤ وباسمِ الربِّ دعوتُ:
«آهِ يا ربُّ، نجِّ نفسي». ٥ الربُّ حنَّان وصدِّيق وإلهُنا رحيمٌ. ٦ الربُّ حافظُ البسطاء. تذلَّلتُ
فخلَّصني. ٧ ارجعي يا نفسي إلى راحتِك لأن الربَّ قد أحسن إليكِ. ٨ لأنك أنقذتَ نفسي من
الموتِ، وعيني من الدَّمْعةِ، ورجْليَّ مِن الزَّلقِ. ٩ أسلكُ قدام الربِّ في أرضِ الأحياءِ.
١٠ آمنتُ لذلك تكلَّمتُ. أنا تذلَّلتُ جداً. ١١ أنا قلتُ في حيرتي: «كلُّ إنسانٍ كاذبٌ».
١٢ ماذا أردُّ للربِّ مِن أجل كلِّ حسناتِه لي؟ ١٣ كأسَ الخلاصِ أتناولُ، وباسمِ الربِّ أدعو.
١٤أوفي نذوري للربِّ مقابلَ كلِّ شعبه.
١٥ عزيزٌ في عينيِ الربِّ موتُ أتقيائه. ١٦ آهِ يا ربُّ. لأني عبدُك. أنا عبدُك ابنُ أمَتِك. حلَلْتَ
قيودي، ١٧ فلك أذبحُ ذبيحةَ حمدٍ، وباسمِ الربِّ أدعو. ١٨ أوفي نذوري للربِّ مقابلَ شعبِه،
١٩في ديارِ بيتِ الربِّ، في وسَطك يا أورشليمُ. هلِّلويا.

ماذا أردُّ للرب؟

كُتبت مزامير «التهليل المصري» (١١٣-١١٨) تسبيحاً لله على خلاص الأمة، والحديث فيها بصيغة الجمع، لأن الرب خلَّص شعبه كجماعةٍ من سوء عذاب فرعون. ويقف مزمورنا وسط مجموعة «التهليل المصري» يتحدَّث عن خلاص الفرد، الذي لا يضيع الاهتمام به وسط الاهتمام بالجماعة، فخلاص الله عامٌّ وشامل، لكنه في الوقت نفسه اختبار فرديٌّ وشخصي، فيه يصلي المؤمن بصيغة المفرد صلاة الشكر في عيد الفصح، لأن الملاك المُهلك عبر ببيته ولم يقتله، لأن دم حَمَل الفصح كان يغطي عتبة الباب العليا وقائمتيه. ولعل المرنم ذكر مرضاً شديداً أصابه كابد منه ضيقاً وحزناً، شفاه الرب منه ومسح دموع عينيه، وخلَّصه من الانزلاق إلى القبر. واختبار المرنم هنا يشبه اختبار الملك حزقيا عندما قال له النبي إشعياء (بناءً على أمر الرب): «أوصِ بيتك لأنك تموت». فصلى طالباً الشفاء، فاستجاب الله له وعبر الموت عنه، وأعطاه عَلامة هي أن ترجع الشمس عشر درجات في درجات السلَّم التي نزلتها، فصار يومه أطول من سائر الأيام (إش ٣٨: ١-٨).

وفي مزمورنا يشكر المرنم الرب ويتساءل: ماذا يفعل ليردَّ على فضل الرب الذي أحسن إليه؟ ويجاوب أنه سيتناول كأس الخلاص، ويدعو باسم الرب، ويوفي نذوره للرب مقابل كل الشعب. لقد استجاب الله صلاته ونجَّاه، فجاء إلى الهيكل وسط المصلِّين ليحدِّث بنعمة ربه، كما فعل مريض كورة الجدريين الذي قال المسيح له: «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر ٥: ١٩).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - المرنم يدعو الرب (آيات ١-٤)

ثانياً - الرب يستجيب المرنم (آيات ٥-٩)

ثالثاً - المرنم يشكر الرب (آيات ١٠-١٩)

أولاً - المرنم يدعو الرب
(آيات ١-٤)

١ - ***المرنم يحب الصلاة:*** «أحببتُ لأن الرب يسمع صوت تضرُّعاتي» (آية ١). ربما قصد أنه يحب الرب الذي يستجيب له، فقد قال له: «أحبُّك يا رب يا قوّتي» (مز ١٨: ١)، وقال الرسول يوحنا: «نحن نحبُّه لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو ٤: ١٩). والله محبة، وكل أعماله محبة، وهو القائل: «محبةً أبديـة أحببتُك، من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة» (إر ٣١: ٣). أو ربما قصد المرنم أنه يحب أن الرب يسمع صلاته. والحقيقة هي أن الآية تحتمل المعنيين معاً، فالمرنم يحب أن الرب يسمع صلاته، لأنه يتضرع إليه، وهو يحب الرب فيوجِّه صلاته إليه وينتظر الاستجابة. فلو لم يكن يحب الرب ما دعاه، ولو لم يكن يثق فيه ما كلَّمه.

٢ - ***المرنم يستمر في الصلاة:*** «لأنه أمال أذنه إليَّ، فأدعوه مدة حياتي» (آية ٢). استجابة الصلاة تدفع إلى مزيدٍ من الصلاة. ولقد أمال الرب أذنه في رفقٍ وحنان على المرنم، فعزم أن يستمر في الصلاة مدة حياته كلها، وهو يقول: «مباركٌ الرب لأنه سمع صوت تضرُّعي.. خلِّص شعبك وبارك ميراثك وارْعهم واحملهم إلى الأبد» (مز ٢٨: ٦، ٩). ويفرح المرنم ليس فقط باستجابة الصلاة، بل بالأنس بالله، فهو في الصلاة يكلِّم حبيبه. بعضنا يكلمه وقت الاحتياج فقط، وهو يسمع لهم، لأنه يقول: «ادعُني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني» (مز ٥٠: ١٥). لكن هناك من يتمتعون بالحديث الدائم مع الله.

وقد يتجرَّب بعض المصلِّين بالتوقُّف عن الصلاة لأن الرب (بحسب فكرهم) تأخَّر عليهم في الاستجابة، أو يظنون أنه لا يستجيب، فيقولون: صلّينا ولم يسمع، فلن نستمر في الصلاة حتى يعطي ما سبق أن طلبناه. لكن المؤمن يعرف أن الرب يستجيب دوماً. قد يعطي ما نطلبه، وقد يؤجل العطاء لوقت أفضل، وقد يمنع عنا ما نطلبه لأنه في غير صالحنا وقد يؤذينا. قال المسيح: «ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلاً، وهو متمهِّلٌ عليهم (من وجهة نظرهم). أقول لكم: إنه ينصفهم سريعا (وهو الأمر الواقع)» (لو ١٨: ٧، ٨). ولكي نطمئن يستخدم الوحي تعبيرا إنسانيا فيقول عن الصلاة إن الله «أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتَّقوا الرب، وللمفكّرين في اسمه» (مل ٣: ١٦). فلنستمر مصلِّين لنتمتع بالرب نفسه قبل أن نتمتع بعطاياه.

٣ - **الدافع على الصلاة:** «اكتنفتني حبال الموت. أصابتني شدائد الهاوية. كابدتُ ضيقاً وحزناً. وباسم الرب دعوتُ: آه يا رب نجِّ نفسي» (آيتا ٣، ٤). وجد المرنم نفسه مدفوعاً للصلاة للإله المحب المستجيب، وهو يعاني من مرض شديد كاد يُنهي حياته، وكأن الموت ربطه بحبال يسحبه بها إلى القبر، فامتلأت نفسه ضيقاً وحزناً لأنه رأى الموت والقبر كصيّادين ينصبان له الشّباك والمشانق. لم يكن المرنم يعرف المسيح الذي أبطل الموت، وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تي ١: ١٠)، لكن إيمانه القوي جعله في ضيقه هذا يلتجئ إلى الرب داعياً، لأنه قال: «أنا الرب شافيك» (خر ١٥: ٢٦). والرب يشفي بطريقته الخاصة، بحسب استحسان محبته، وبما هو أفضل للمؤمن.. قد يستجيب ويشفي باستعمال الدواء، كما شفى الملك حزقيا بالوصفة الطبية التي قدّمها له النبي إشعياء (٢مل ٢٠: ١، ٧). وقد يستجيب ويشفي بمعجزة إلهية، فهو الرب الذي لم يتغيّر والذي يسدِّد أعوازنا التي لا تتوقَّف. وقد يستجيب دون أن يشفي بأن يشدِّد المؤمن في مرضه بنعمةٍ تكفيه، كما قال للرسول بولس بعد أن صلى ثلاث مرات لترتفع عنه شوكة مرضه: «تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمل» (٢كو ١٢: ٩). وقد يستجيب الرب بأن يستلم وديعة المريض وينقلّه من عالم الآلام ويُدخِلّه المجد السماوي، ويعطيه في اليوم الأخير الجسد المجيد.

يستجيب الرب دوما صلاة المتضايق، فهو ملجأ المؤمن الذي يدعوه فينجّيه من الضيق والحزن. «الله لنا ملجأ وقوة. عونا في الضيقات وُجد شديدا. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار» (مز ٤٦: ١، ٢)، لذلك كرر المرنم دعاءه في هذا المزمور أربع مرات بقوله: «أدعوه مدة حياتي.. باسم الرب دعوتُ.. باسم الرب أدعو.. باسم الرب أدعو» (آيات ٢، ٤، ١٣، ١٧). ولا عجب، فإلى من نذهب إلا لصاحب المحبة والسلطان؟ من يشفق ويُنعِم إنعامات سامية إلا هو؟.. حياتنا الجسدية والروحية هما عطيته، فهو الملجأ الوحيد. حقاً «نظروا إليه واستناروا، ووجوههم لم تخجل» (مز ٣٤: ٥).

ثانياً - الرب يستجيب المرنم
(آيات ٥-٩)

١- **لأن الرب حنّان:** «الرب حنان وصِدّيق، وإلهنا رحيم» (آية ٥). فهو يستجيب لأنه يشفق على المتعبين. وهو يستجيب بالرغم من عدم استحقاق الإنسان، لأنه صِدّيق عطوف منعمٌ أمين لمواعيده بالاستجابة. «الرب إلهٌ رحيم ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء» (خر ٣٤: ٦). «صنع ذِكراً لعجائبه. حنّان ورحيم هو الرب» (مز ١١١: ٤). ومن فرط حنانه يقول: «اسألوا تُعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم» (مت ٧: ٧).

٢- **لأن المرنم ضعيف**: «الرب حافظ البسطاء. تذللت فخلصني» (آية ٦). يحس المرنم أمام مرضه وفي مواجهة المخاطر المحيطة به أنه بسيط، يحتاج إلى الحكمة والخبرة، وهو يعلم أن «شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً» (مز ١٩: ٧)، ويثق أن ربَّ السماء والأرض قد أخفى الحكمة عن الذين يظنون أنهم الحكماء الفهماء، وأنه يعلنها للبسطاء الذين يشبهون الأولاد في استعدادهم للتصديق والتعلُّم (مت ١١: ٢٥)، وأنه يدعو البسطاء والمزدرى وغير الموجود ليمنحهم نعمته (١كو ١: ٢٧-٢٩).. وفي بساطته وذلِّه لا يقدر أن يعاون نفسه، فيطلب من الرب أن يخلِّصه، ويصرخ مع الملك حزقيا وقت أن هدَّده ربشاقى: «يا رب، قد تضايقت. كُن لي ضامناً.. الرب لخلاصي، فنعزف بأوتارنا كل أيام حياتنا في بيت الرب» (إش ٣٨: ١٤، ٢٠).

٣- **لأن المرنم ينتظر**: «ارجعي يا نفسي إلى راحتك لأن الرب قد أحسن إليك، لأنك أنقذت نفسي من الموت، وعيني من الدمعة، ورجليَّ من الزَّلق. أسلك قدام الرب في أرض الأحياء» (آيات ٧-٩). ينتظر المرنم أن ترجع نفسه إلى الراحة التي كانت فيها قبل أن تداهمه المصائب وتكتنفه حبال الموت وتصيبه شدائد الهاوية، فيطلب من نفسه أن تهجر القلق وتطمئن. كان المرنم قد سأل نفسه: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيَّ؟ ارتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» (مز ٢٤: ٥)، وقال لها: «باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ١، ٢). وطالب نفسه في مزموري ٤٢ و١٠٣ أن ترجو الله، وأن تشكره، وفي مزمورنا يطالبها أن تستريح في الله، لأنه أحسن إليه، فيقول: «أغنّي للرب لأنه أحسن إليَّ» (مز ١٣: ٦).

والكلمة «راحتك» في الأصل العبري للمزمور جاءت في صيغة الجمع، فيكون المعنى أن الرب أحسن إلى المرنم وأراحه من جميع الجهات، كما قال سليمان: «والآن فقد أراحني الرب إلهي من كل الجهات، فلا يوجد خصمٌ ولا حادثة شر» (١مل ٥: ٤).. معروف أن معنى اسم «نوح» راحة، وقد أراح الله نوحاً في الفلك. وأما راحتنا نحن فهي في المسيح فلك نجاتنا الذي فيه نخلُص، فقد قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨)، وبفدائه الذي يغفر جميع الذنوب نستريح من عذاب الضمير، وبتقديس روحه القدوس ننجو من سطوة الخطية لأنه ينصرنا عليها، وبعطائه السخي نتخلَّص من القلق لأنه إله العناية، فنقول: «كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء» (٢كو ٦: ١٠).

ويرجع انتظار المرنم للراحة إلى اختباراته الماضية العظيمة مع الرب، فقد سبق أن أنقذ نفسه من الموت الجسدي ومن موت الخطية، كما أنقذ عينه من الدموع ورجله من الزَّلق، كما

ســــبق وقيل: «أصعدني من جب الهلاك من طين الحمأة، وأقام على صخرة رجليَّ. ثبَّت خطواتي» (مز ٤٠: ٢). إنه خالقه الذي نفخ في التراب فصار آدم نفســـاً حية (تك ٢: ٧) وهو الذي يحفظ هذه الحياة، فيقول المرنم: «أوفي ذبائح شكرٍ لك، لأنك نجَّيت نفســـي من الموت، ورجليَّ من الزلق، لكي أســـير قدام الله في نور الأحياء» (مز ٥٦: ١٣). هو الذي يعزي الحزين ويمسح دموع المتألم، وهو الذي يـــفدي حياته من الحفرة (مز ١٠٣: ٤)، فيحيا ويســـلك قدام الرب في أرض الأحياء، في نور شريـــعة الرب ونور شخصه، متمتعاً بعنايته، مثبتاً النظر عليه، فرحاناً به، مطمئناً إليه، في ســـلام داخلي وخارجي. وســـيأتي اليوم الذي فيه «يمسح الله كل دمعة من عيونهم، والموت لا يكون في ما بعد، ولا يكون حزن ولا صراخٌ ولا وجعٌ في ما بعد» (رؤ ٢١: ٤).

ثالثاً - المرنم يشكر الرب
(آيات ١٠-١٩)

١- **حيرة سبقت الشكر:** (آيـــتا ١٠، ١١). في هاتين الآيتين يعلن المرنم إيمانه بالرغم من حيرته أمام مشكلتين، هما تذلُّله، وكذب المحيطين به. ولكنه بالرغم منهما لا يزال المؤمن الشاكر.

(أ) **حيرة من الـــذل:** «آمنتُ لذلك تكلمت. أنا تذللتُ جداً» (آيـــة ١٠). كان المرنم واثقاً أن الرب ســـينجيه من مصاعبه مهما كثُرت ومهما طالت مدتها، فيرفع آيات الشكر له. ولو لم يكن متمســـكاً بإيمانه لما تكلم، فقد بقي إيمانه قوياً ثابتاً وسط كل الظروف القاسية. وهو صادقٌ في تعبيره عن واقع حياته وعن حقيقة نفسه. قال الرسول بولس: «فإذ لنا روح الإيمان عينه، حسب المكتوب: آمنتُ لذلك تـــكلمت، نحن أيضاً نؤمن، ولذلك نتكلم أيضاً» (٢كو ٤: ١٣) «لأنه من فضلة القلب يتكلم الفم» (مت ١٢: ٣٤). صحيـــحٌ أن المرنم في ذل، لكن إيمانه يقول له إن الرب ســـينجيه فيرى النور في أرض الأحياء، وســـيُرجع الرب نفســـه إلى راحتها السابقة، ويُحسن إليه وينقذه من الموت، ويمسح دموعه «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يســـوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصتَ، لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يُعترَف به للخلاص، لأن الكتاب يقول: كل من يؤمن به لا يُخزى» (رو ١٠: ٩-١١).

(ب) **حيرة من الكاذبـين:** «أنا قلت في حيـــرتي كل إنســـان كاذب» (آية ١١). لا بد أن أصدقاء المرنم وعدوه أثناء ضيقته بمســـاعدات كثيرة، ولكنهم لم يقدموها له، ربما لأنهم عجزوا، أو لأنهم لم يـــريـــدوا.. كانوا كأصحاب أيوب الذين قســـوا عليه في تجاربه الأليمة، فقال لهم: «معزّون مُتعِبون كلكم» (أي ١٦: ٢)، أو ربما كانوا كأصحاب الابن الضال الذين تجمَّعوا حوله وهتفوا له يوم كان يملك المال، لـــكنهم انفضوا عنه لـــما افتقر، فلم يـــجد إلا واحداً أرسـله إلى حقوله ليـــرعى الخنازيـــر (لو ١٥: ١٥).

وقد سبق أن تحيّر المرنم من أصحابه وقال: «أعطِنا عوناً في الضيق، فباطلٌ هو خلاص الإنسان.. إنما باطلٌ بني آدم. كذبٌ بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق. هم من باطل أجمعون» (مز ٦٠: ١١ و٦٢: ٩). ولا بد أن ثقة المرنم في أصحابه عادت إليه، فلا يمكن أن يكون كل إنسانٍ كاذباً، ولا بد أن ضيقة نفسه جعلته يصدر حكماً عاماً على كل المحيطين به. وما أكثر ما نتكل على وعود أصدقائنا وأقاربنا فيخيّبون أملنا، فندرك أهمية وصية المرنم: «لا تتّكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره. طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه على الرب إلهه» (مز ١٤٦: ٣-٥).

٢ - **تساؤل سبَق الشكر:** (آيات ١٢-١٤).

(أ) التساؤل: «ماذا أردُّ للرب من أجل كل حسناته لي؟» (آية ١٢). لا بد أن التقي يفكر في التعبير عن مشاعر شكره لله المحسن الكريم، وهو يسأل سؤال العاجز عن الوفاء بدَيْنٍ عظيم، لأن لسان حاله يقول: «صغيرٌ أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعتَ إلى عبدك» (تك ٣٢: ١٠). وكلما تمتعنا بحسنات الرب يجب أن نسأل هذا السؤال.

(ب) الرد على التساؤل: (آيتا ١٣، ١٤).

(١) تناول كأس الخلاص: « كأس الخلاص أتناول» (آية ١٣أ). يشبِّه المرنم خلاص الله بكأس مليء بالمشروب المبهج المروي يقدّمه الرب إليه، وهو يردّ على الرب بأن يقبله ويشربه، ويقول: «كأسي ريا» (مز ٢٣: ٥). ما أكثر الذين يظنون أنهم مرتوون وفي غير حاجة لكأس الخلاص، وكأنهم يقولون مع الفريسي: «اللهم، أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس.. أصوم مرتين في الأسبوع وأعشِّر كل ما أقتنيه» (لو ١٨: ١١، ١٢)، أو يقولون مع الذي قال إنه غني، وقد استغنى، ولا حاجة له إلى شيء، وهو لا يعلم أنه شقي وبائس وفقير وأعمى وعريان، ينصحه الرب أن يشتري منه ذهباً مصفًى بالنار ليستغني، وثياباً بيضاً ليلبس ويستر نفسه (رؤ ٣: ١٧، ١٨)، وقد يتكلون على مستواهم الاجتماعي الرفيع، أو على مكانتهم العائلية أو الشخصية المتميزة في الكنيسة. لكن بالرغم من كل شيء يوجد احتياج لتناول كأس الخلاص من يد الله كل يوم، فللخلاص ثلاث خطوات: الخلاص من ماضينا بالغفران، وفي حاضرنا الذي يستغرق العمر كله بالتقديس، وفي مستقبلنا عندما تنتهي الحياة على الأرض بالتمجيد مع الله في السماء. فإن لم تكن قد أخذتَ الخلاص بمعنى الغفران بالتوبة والثقة في عمل المسيح الكفاري من أجلك على الصليب، فتناوله الآن.

(٢) الدعاء باسم الرب: «وباسم الرب أدعو» (آية ١٣ب). وفي هذا الدعاء المستمر يعلن المرنم

أن الرب وحده هو الذي يستحق الشكر. «أخبر باسمك إخوتي. وسط الكنيسة أسبِّحك» (عب ٢: ١٢). لقد دعا باسم الرب لينجيه (آية ٤)، ووعد أن يدعو باسمه شاكراً (آية ١٧)، فتكون كل حياته دعاءً للرب، كما قال المرنم: «أما أنا فصلاة» (مز ١٠٩: ٤).

(٣) وفاء النذر: «أوفي نذوري للرب مقابل كل شعبه» (آية ١٤). النذر هو التعهُّد بعمل شيء ما في حالة تحقيق طلب ما، كما نذر الملك حزقيا أن يصعد إلى بيت الرب إن منحه الشفاء (٢مل ٢٠: ٨). ونجد شريعة النذور في العدد ٦: ٢-٢١. ونحن نتعهَّد للرب عهوداً كثيرة في بداية العام، أو عند استجابة صلواتنا. وعلينا أن نكون أمناء في ما نتعهد به للرب، فنوفي له النذر.

٣ - **سببان للشكر**: (آيتا ١٥، ١٦).

(أ) **التقي عزيز**: «عزيزٌ في عيني الرب موت أتقيائه» (آية ١٥). يهتم الرب بحياة الأتقياء كما يهتم بموتهم، ويحدد يوم ميلادهم ويوم وفاتهم، فإن «الله لنا إله خلاص، وعند الرب السيد للموت مخارج» (مز ٦٨: ٢٠)، «من الظلم والخطف يفدي أنفسهم، ويكرم دمهم في عينيه» (مز ٧٢: ١٤). ولكلمة «عزيز» في الكتاب المقدس ثلاثة معان على الأقل:

(١) **العزيز مكرَّم**: يقول الرب لشعبه: «إذ صرتَ عزيزاً في عينيَّ، مكرَّماً، وأنا قد أحببتُك» (إش ٤٣: ٤). بسبب هذه الكرامة نقل الرب أخنوخ إلى السماء بدون موت ورفعه إلى درجة أعلى (تك ٥: ٢٤ وعب ١١: ٥)، وقال الرسول بولس: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣)، لأن المسيح وعد أتقياءه: «أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو ١٤: ٢، ٣). ومع أن المسيح أكمل عمل الفداء وجلس عن يمين العظمة في الأعالي (عب ١: ٣)، إلا أن استفانوس الشهيد المسيحي الأول رآه «قائماً عن يمين العظمة» (أع ٧: ٥٦) ليستقبله شهيداً مكرَّماً.

(٢) **العزيز مُسِر**: قال الرب عن شعبه (ويدعوه هنا أفرايم): «أفرايم ابنٌ عزيز لديَّ، ولَدٌ مُسِرٌ» (إر ٣١: ١٢)، ووصف الرسول بولس نهاية أيامه بقوله: «فإني أنا الآن أُسكَب سكيباً. وقت انحلالي قد حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان. وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لي فقط، بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تي ٤: ٦-٨).

(٣) **العزيز مكلِّف**: لأنه غالي الثمن. وللخلاص من الخطية تكلفةٌ كبيرة «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). وموت المؤمن عزيز في عيني الله، لأنه يخرج من الكنيسة المجاهدة إلى الكنيسة المنتصرة.

(ب) التقي عبد للرب: «آهِ يا رب، لأني عبدك. أنا عبدك ابن أمتك» (آية ١٦). يقول المرنم عن نفسه إنه عبد الرب التقي، وإن أمَّه أمة الرب التقية. والعبارة مكررة في مز ٨٦: ١٦ «التفت إليَّ وارحمني. أعطِ عبدك قوَّتك وخلِّص ابن أمتك». والمؤمنون جميعاً عبيد الرب لأنه خلقهم، ولأنه يعولهم، ولأنه اشتراهم بالفداء. وهم يتشرَّفون بالعبودية له، لأن هذه العبودية هي الحرية الكاملة، فهي الانتماء لسيد الأرض كلها، وقد قال أحد القديسين: «أنا محتاجٌ إلى ربوبيتك، ولكنك لست محتاجاً لعبوديتي». ولقب العبد والأمة لقب محبَّب لنفوس المؤمنين، أُطلق على موسى مرات كثيرة (تث ٣٤: ٥ و ١أخ ٦: ٤٩)، وعلى يشوع (يش ٢٩: ٢٤ وقض ٢: ٨)، وعلى إيليا (١مل ١٨: ٣٦)، وعلى دانيال (دا ٦: ٢٠)، وعلى بولس (رو ١: ١)، وعلى بطرس (٢بط ١: ١)، وعلى يعقوب (يع ١: ١)، وعلى كل من حرَّرهم المسيح (١بط ٢: ١٦). وقد أطلقته العذراء مريم على نفسها حين قالت للملاك: «هوذا أنا أمة الرب» (لو ١: ٣٨).

وتفرِّق التوراة بين العبد المولود في البيت والعبد المشترى بالمال، فالعبد المولود في البيت أغلى لأنه ينتمي إلى ذلك البيت (تك ١٤: ١٤). وما أجمل بيت تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (٢تي ١: ٥).

والمؤمن الحقيقي هو الذي يقول للرب: «أُحبُّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر ٢١: ٥)، وهو الذي يتكلم كلاماً صالحاً عن سيده، وشعاره: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي (كأنه بواب البيت) على السكن في خيام الأشرار» (مز ٨٤: ١٠).

٤ - كيفية تقديم الشكر: (آيات ١٧-١٩).

(أ) يذبح ذبيحة الحمد: «أذبح ذبيحة حمد» (آية ١٧أ). يشبِّه المرنم تسبيحه بذبيحة شكرٍ يقدمها على مذبح الله، كما نصحنا المرنم: «اذبحْ لله حمداً، وأوفِ العليَّ نذورك» (مز ٥٠: ١٤)، وكما أمر النبي هوشع الشعب: «ارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كلَّ إثم.. فنقدِّم عجول شفاهنا» (هو ١٤: ٢). وقد نظمت التوراة ذبيحة السلامة والشكر والحمد في لاويين ٧:١١-١٣. ويقول كاتب العبرانيين: «فلنقدم به (بالمسيح رئيس كهنتنا) في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥).

(ب) يدعو باسم الرب: «باسم الرب أدعو» (آية ١٧ب). تساءل في آية ١٢ ماذا يرد للرب من أجل كل حسناته له؟ وأجاب في آية ١٣ أنه سيدعو باسم الرب، ويتحدث عن فضله وهو مبهور فخور. اعتاد البشر عندما يحققون نجاحاً مادياً أن يشاركوا أخبار نجاحهم مع غيرهم. فكم يكون مناسباً أن يعلن التقي أخبار نجاحه الروحي بفضل الرب سيد الكون، الذي بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا (رو ٥: ٨).

(ج) **يـوفي الـنـذور أمام الجـمـيـع**: «أوفي نذوري للرب مقابل شعبه، في ديـــار بيــت الرب، في وســطك يـــا أورشليـــم» (أيتا ١٨، ١٩). وعد التقي ونذر نذراً، عزم أن ينفذه أمام الجميع في بيت الـــرب. وعلينا عندما نتعهَّد لله عهداً أن نوفيه في وسط جماعة المؤمنين، في المكان الذي اختاره الله ليكون له مقدساً، حيث أمر أن تكون العبادة. وأورشليم هي عاصمة المرنم الروحية والسياسية. وهذا يعلمنا أن نعلن حمدنا للرب ونوفي نذورنا له أمام كل القيادات الروحية والســــياسية، فالرب هو ملك الملوك، وهو رب الأرباب.

وختم هذا المزمور بالدعوة «هللويا» لتسبيح الرب، كما ختم مزمور ١٠٤ و١٠٥ و١٠٦ و١١٣ و١١٥.

المزمور المئة والسابع عشر

١ سبِّحوا الربَّ يا كلَّ الأممِ. حمِّدوه يا كلَّ الشعوبِ. ٢ لأن رحمتَه قد قويَتْ علينا، وأمانةُ الربِّ إلى الدهرِ. هللويا.

كل الأمم تسبح الرب

هـذا خامس مزامير التهليل المصري الستة (مزامير ١١٣-١١٨) التي كانت تُرنَّم أثناء تناول عشاء الفصح، وكانوا يُـرتِّلونه في بدايـة العبادة وفي ختامها. وهو أقصر المزاميـر بالمفارقة مع مزمور ١١٩ أطولها جميعاً. ويدعو مزمورنا أمم العالم كله ليسبحوا الرب الإله الواحد خالقهم جميعاً والمعتني بهم، فحيـاتهم منه ورجاؤهم فيه، لأنه «يشرق شمسـه على الأشرار والصالحين، ويمطر علـى الأبرار والظالميـن» (مت ٥: ٤٥). فليـقدموا له شكر قلوبهم وعبادتهم لأنه أحبهم فضلاً، لا لصلاح فيهم ولا لبرّ عملوه، لكن بسبب كثرة رأفته وعظمة صلاحه.

وقد ظهر صلاح الله وقوته في معجزة الخروج، وهذا يـؤكد أنه لا بد ينقذ المظلومين ويعاقب الظالمين، الأمر الذي يدفع الجميع لتسبيحه وحمده. فلتلتفت إليه جميع أقاصي الأرض لتنال الخلاص، لأنه هو الله وليـس آخر (إش ٤٥: ٢٢)، فيـصير المؤمنون به من كل شعب واحداً، يتعبَّدون للإله الواحد «وليس بأحد غيره الخلاص».

وقـد اعتبرت الكنيسة هذا المزمور مسياوياً (يتنبأ عن المسيح) لأن الرسول بولس اقتبس الآية الأولى منه في رومية ١٥: ١١ عندما تحدث عن امتداد رحمة الله إلى الأمم الوثنية.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - أمر بالتسبيح (آية ١)

ثانياً - أسباب التسبيح (آية ٢)

أولاً- أمر بالتسبيح
(آية ١)

«سـبحوا الرب يا كل الأمم. حمِّدوه يا كل الشعوب» (آية ١). نسل إبراهيم «إسرائيليون، ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد» (رو ٩: ٤). أما الوثنيون فلم يكن لهم نصيب في الوعد بالبركة والميـراث، إلى أن قبل بعضهم المسـيح المخلِّص الفادي، فقال الرسـول بولس لهؤلاء: «إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسـيح، أجنبيين عن رعوية إسـرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم وبلا اله في العالم. ولكن الآن في المسـيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح» (أف ٢: ١٢، ١٣).

إلـــى هؤلاء الأمم يوجّه المرنم الدعوة ليرنموا للرب، لأنه صالح وقد أطال أناته عليهم بالرغم من شرورهم وعصيانهم، وكان كريماً سخياً في عطاياه لهم. فكيف يتعبدون للأوثان؟ إن من يعبدها أعمى ولو كان مبصراً، وجاهل ولو كان حكيماً في أمور دنياه. هل يقارن أوثانه بالرب الذي خلق الســماء والأرض، ثم نفخ في تراب فخلق منه آدم أبا البشر؟ لينظر إلى الطبيعة من حوله فيجد «الســـماوات تحدِّث بمجد الله، والفلك يـــخبر بعمل يديه» (مز ١٩: ١)، تقول للبشر: «ســبحوا الرب لأن الترنم لإلهنا صالح. لأنه مُلذ. التســبيـــح لائق» (مز ١٤٧: ١). «ذوقوا وانظروا ما أطيـــب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤: ٨).

وقـــد سمع كثيرون من الوثنيين في زمن العهد القديم نداء هذا المزمور وأمثاله، فآمنوا بالله الواحد ولفظوا أوثانهم، فصاروا مختاري الرب. من هؤلاء راحاب الزانيـــــة التي أشرق عليها الرب بنعمته المخلِّصة، فقالت للجاســـوسين اللذين أرسلهما يشوع: «الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت» (يـــش ٢: ١١)، فكان إيـــمانها بالله أقوى من حبها لـــوطنها، فمنحها الله الوطن الســـماوي الأفضل. ومنهم راعوث الموآبيـــة التي اختارت أن تصيـــر من شعب الرب لأنها رأت مراحمه وأمانته. ومنهم حيرام ملك صور الذي بارك الرب وقدم خشب أرز وخشب سرو وذهباً لبناء بيت الرب (١مل ٥). ومنهم ملكة ســبأ التي قالت لســـليمان: «مبارك الرب إلهك» (١مل ١٠). ومنهم نعمان الســـرياني رئيس الجيش السوري الذي نال بركة الشفاء من مرض البرص «فرجع إلى رجل الله (أليشع) هو وكل جيشه.. وقال: هوذا قد عرفت أنه ليس إله في كل الأرض إلا في إسرائيل» (٢مل ٥: ١٥).

وهكذا تحققت نبوات أصحاب المزامير الذين قالوا: «تتذكر وترجع إلى الرب كل أقاصي الأرض، وتســـجد قدامك كل قبائل الأمم» (مز ٢٢: ٢٧). «يـــا جميـــــع الأمم صفِّقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج، لأن الرب عليٌّ مخوف، ملك كبير على كل الأرض» (مز ٤٧: ١، ٢). «كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب، ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت وصانع عجائب. أنت الله وحدك» (مز ٨٦: ٩، ١٠).

ثانياً - أسباب التسبيح
(آية ٢)

١ - **يسبحونه لأجل رحمته:** «لأن رحمته قد قويت علينا» (آية ٢أ). لا بد أن تكون رحمة الله قوية لأنها احـــتملت أوزار البشر، فيقول المؤمن: «لأن رحمتك أمام عيني» (مز ٢٦: ٣). ويحتاج الإنسان إلى رحمة الله القوية لأنه ضعيف، فالجميع زاغوا وفســـدوا وأعوزهم مجد الله. فظهرت رحمة الله للبشر جميعاً «وأما الأمم فمجدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب: من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتل لاسمك» (رو ١٥: ٩).

«رحمته قد قويت» بمعنى تعاظمت كما تعاظمت مياه الطوفان فغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء (تك ٧: ١٨-٢٠)، وذلك لتغطي كثرة آثامنا وخطايانا وتغمرنا بفيض غفران «آثام قد قويت عليَّ.. معاصينا أنت تكفِّر عنها» (مز ٦٥: ٣). «ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً» (رومية ٥: ٢٠). «وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع» لتنقذ الخاطئ البعيد جداً عن الله.

و«قويت» بمعنى غلبت. ومصدر الرحمة هو الرب العالي ساكن السماوات، وكل من تحت سمائه يلتمس أن تشمله الرحمة فيقوى وينتصر على كل قوى الشر، لأن محبة الله القوية تغلب قساوة قلوبنا الحجرية وتحولها إلى قلوب لحمية تهتف بالإله الحي «لأنه مثل ارتفاع السموات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبُعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا» (مز ١٠٣: ١١، ١٢).

وحاجتنا كبشر إلى رحمة الله هي بمقدار الحاجة إلى الحياة «لأن غضب الله مُعلَنٌ من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم.. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ١: ١٨ و٣: ٢٤)، «لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف ٥: ١٤).

٢ - يسبحونه لأجل أمانته: «وأمانة الرب إلى الدهر» (آية ٢ب). الله أمين في صفاته ووعوده وأعماله. هو «إله أمانة لا جور فيه. صدّيق وعادل هو» (تث ٣٢: ٥). قال له داود: «والآن يا سيدي الرب أنت هو الله، وكلامك هو حق» (٢صم ٧: ٢٨). «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ (أي: إن كان بعض اليهود غير أمناء ورفضوا المسيح) أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله؟ حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً، كما هو مكتوب: لكي تتبرر في كلامك وتغلب متى حوكمت»» (رو ٣: ٣، ٤). ويوصي الرسول بولس المؤمنين من أصل يهودي ووثني فيقول: «اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قبلنا لمجد الله. وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان (اليهود) من أجل صدق الله، حتى يثبت مواعيد الآباء (مواعيد الله لإبراهيم ونسله بالمسيح). وأما الأمم فمجّدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب (في مز ١٨: ٤٩): من أجل ذلك سأحمدك في الأمم، وأرتل لاسمك. ويقول أيضاً (في تث ٣٢: ٤٣): تهللوا أيها الأمم مع شعبه. وأيضاً (في مز ١١٧: ١): سبحوا الرب يا جميع الأمم، وامدحوه يا جميع الشعوب. وأيضاً يقول إشعياء (١١: ١، ١٠): سيكون أصل يسّى والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم (يرجو الأمم الخلاص بالاعتماد عليه)» (رو ١٥: ٧-١٢).

وفي المسيح نرى رحمة الله القوية «أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١: ١٧)، كما نرى أمانته الدائمة لأن «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عب ١٣: ٨).

المزمور المئة والثامن عشر

١ احمدوا الربَّ لأنه صالحٌ، لأنَّ إلى الأبدِ رحمته. ٢ ليقُلْ إسرائيلُ « إن إلى الأبدِ رحمته».
٣ليقُلْ بيتُ هارونَ « إن إلى الأبدِ رحمته». ٤ ليقُلْ متّقو الربِّ «إن إلى الأبدِ رحمته».
٥ من الضيقِ دعوتُ الربَّ فأجابني مِن الرُّحْب. ٦ الربُّ لي فلا أخاف. ماذا يصنعُ بي
الإنسانُ؟ ٧ الربُّ لي بين معينيَّ، وأنا سأرى بأعدائي. ٨ الاحتماءُ بالربِّ خيرٌ من التوكُّل على
إنسانٍ. ٩ الاحتماءُ بالربِّ خيرٌ من التوكلِ على الرؤساء. ١٠ كلُّ الأممِ أحاطوا بي. باسمِ الربِّ
أبيدُهم. ١١ أحاطوا بي واكتنفوني. باسم الربِّ أبيدُهم. ١٢ أحاطوا بي مثلَ النَّحل. انطفأوا
كنار الشوك. باسم الربِّ أبيدُهم. ١٣ دَحَرْتَني دُحوراً لأسقُطَ، أما الربُّ فعضدني. ١٤ قوَّتي
وترنُّمي الرب، وقد صار لي خلاصاً. ١٥ صوتُ ترنُّمٍ وخلاصٍ في خيام الصِّدِّيقين. يمينُ الربِّ
صانعةٌ ببأسٍ. ١٦ يمينُ الربِّ مرتفعةٌ. يمينُ الربِّ صانعةٌ ببأسٍ. ١٧ لا أموتُ بل أحيا وأحدِّث
بأعمالِ الرب. ١٨ تأديباً أدَّبني الربُّ وإلى الموتِ لم يُسْلِمْني.
١٩ افتحوا لي أبوابَ البرِّ. أدخلُ فيها وأحمدُ الربَّ. ٢٠ هذا البابُ للربِّ. الصِّدِّيقون
يدخلون فيه. ٢١ أحمدُك لأنك استجبتَ لي وصرتَ لي خلاصاً. ٢٢ الحجرُ الذي رفضه البناؤون
قد صار رأسَ الزاويةِ. ٢٣ مِن قِبَلِ الربِّ كان هذا، وهو عجيبٌ في أعيننا.
٢٤ هذا هو اليومُ الذي صنعه الربُّ. نبتهجُ ونفرحُ فيه. ٢٥ آهِ يا ربُّ خلِّص. آهِ يا رب أنقِذ.
٢٦ مباركٌ الآتي باسمِ الرب. باركناكم من بيتِ الربِّ. ٢٧ الربُّ هو الله وقد أنار لنا. أوثِقوا
الذبيحةَ برُبُطٍ إلى قرونِ المذبحِ. ٢٨ إلهي أنت فأحمدُك. إلهي فأرفعُك. ٢٩ احمدوا الربَّ لأنه
صالحٌ، لأن إلى الأبدِ رحمتهُ.

مباركٌ الآتي باسم الرب

هذا المزمور هو آخر مزامير التهليل الستة (١١٣-١١٨)، والتي كانت تُرنَّم احتفالاً بالخروج من مصر، وكانوا يرنمونه وهم في طريقهم إلى هيكل الرب. وهو يشبه الكانتاتا، أي القصيدة التي تنشدها مجموعة من المرنمين على أنغام الموسيقى، بدون تمثيل. وموضوع هذه الكانتاتا: هيا نحمد الرب في هيكله. مباركٌ الآتي باسم الرب.

وقد اقتبس العهد الجديد آيات كثيرة من هذا المزمور، فعندما ضرب المسيح مثل الكرامين الأردياء الذين رفضوا ابن صاحب الكرم وقتلوه اقتبس من هذا المزمور آيتي ٢٢، ٢٣ في قوله: «أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا» (مت ٢١: ٤٢)، وقد تحققت نبوة مزمورنا في الصليب والقيامة،

عندما رفض اليهودُ «الكرامون» المسـيحَ المخلِّص «الابن» وقتلوه، مع أنه الحجر الذي لا يمكن أن يـقوم بناء حيـاتهم أو يسـتقيم بغيره. ومن كلمات هذا المزمور هتف الشعب يوم دخول المسـيح الانتصاري إلى أورشليم: «مبارك الآتي باسـم الرب» (آية ٢٦ مقتبسة في مت ٢١: ٩). كما رنمه المسـيح مع تلاميذه بعد وليمة الفصح، عندما رسم لنا فريضة العشاء الرباني قبل ذهابه إلى بستان جـثسيماني (مت ٢٦: ٣٠). واقتبس الرسول بطرس آية ٢٢ أيضاً مرة عندما قاوم اليهود إعلانه أن قوة المسـيح هي التي أقامت الرجل المقعد من بطن أمه، فقال لهم: «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون الذي صار رأس الزاوية» (أع ٤: ١١) ومرة أخرى ليؤكد أنه لن يخزى الذين يؤمنون بالمسـيح حجر الزاوية المختار الكريم. أما الذين يرفضونه فسيكون حجر الزاوية لهم حجر صدمة وصخرة عثرة (١بط ٢: ٦-٨). وهذه دعوة لوضع الثقة في المسـيح لأنه حجر زاوية حياتنا، ولا نقدر أن ندخل بيـت الرب ونتعبد له عبادة مقبولة بدون قبوله. كما لا يـمكن أن ندخل بيته الأبدي بدون وضع كل ثقتنا فيه.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - المرنم يدعو إلى بيت الرب (آيات ١-٤)

ثانياً - الترنيم في الطريق إلى بيت الرب (آيات ٥-١٨)

ثالثاً - الترنيم في بيت الرب (آيات ١٩-٢٩)

أولاً - المرنم يدعو إلى بيت الرب
(آيات ١-٤)

يـبدأ مزمورنا وينتهي بالدعوة: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته». وهي دعوة وردت ٣٦ مرة في الـكتاب المقدس (٢٦ مرة في مزمور ١٣٦، كما ورد في ١أي ١٦: ٣٤ و٢أي ٥: ١٣ و٧: ٣ وعـز ٣: ١١ ومز ١٠٠: ٥ و١٠٦: ١ و١٠٧: ١ و١١٨: ١، ٢٩ وإر ٣٣: ١١). وورد الـتعبيـر «إلى الأبد رحمته» خمس مرات، في ١أي ١٦: ٤١ و٢أي ٧: ٦ و٢٠: ٢١ ومز ١١٨: ٣، ٤).

١ - الدافع على الدعوة: «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته» (آيـة ١). يـدعو المرنم شعب الرب عامة للذهاب إلى بيـت الرب لتقديـم الشكر والحمد لأن إلهنا صالح ورحيـم، ورحمته إلى الدهر والأبد، لا تنتهي أبداً. فيـجب أن يهتفوا برحمته وأن يترنموا بصلاحه. «صوت الـطرب وصوت الـفرح.. صوت الـقائليـن: احمدوا رب الجنود لأن الرب صالح، لأن إلى الأبد

رحمته. صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب» (إر ٣٣: ١١)، فهو «يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون» (١تي ٢: ٤).

٢ - **المدعوون:** (آيات ٢-٤). يدعو المرنم ثلاث فئات من الناس ليذهبوا معه إلى هيكل الرب. وقد تكرر ذكر هذه الفئات في مزمور ١١٥: ٩-١١ و١٣٥: ١٩.

(أ) **بنو إسرائيل:** «ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته» (آية ٢). «بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» (مز ٨٩: ١). «يعود يرحمنا. يدوس آثامنا، وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧: ١٩).

(ب) **الكهنة:** «ليقل بيت هارون: إن إلى الأبد رحمته» (آية ٣).

(ج) **أتقياء الأمم:** «ليقل متقو الرب: إن إلى الأبد رحمته» (آية ٤). وهم الذين دخلوا الديانة اليهودية، ولكنهم لم يولدوا من نسل إبراهيم حسب الجسد. لقد آمنوا كما آمن إبراهيم، فصاروا من متّقي الرب. وقد قال المسيح: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة لراع واحد» (يو ١٠: ١٦).

ثانياً - الترنيم في الطريق إلى بيت الرب
(آيات ٥-١٨)

يسود ترنيم الفرح جماعة الرب في الطريق إلى بيت الرب، فيرنم القائد وتجاوبه الجوقة:

١ - **القائد يرنم شكراً على النجاة من الضيق:** «من الضيق دعوت الرب فأجابني من الرحب. الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟ الرب لي بين معينيَّ، وأنا سأرى بأعدائي». (آيات ٥-٧). يسير القائد، ولعله أحد الكهنة، أمام الشعب يرنم هذه الآيات بصوت منفرد، وحوله فريق الترنيم، يقطعون شوارع أورشليم متّجهين إلى الهيكل ليعبدوا الرب. ويذكر القائد أنه دعا الرب في ضيقه فاستجاب له ونجاه. ويعلن للجوقة وللسائرين معهم في الطريق إلى الهيكل أن الرب رحبٌ له من بعد الضيق، فلم يعُد يخاف، لأن الرب له بين معينيه، وقد دبَّر له مساعدين يعاونونه، فعجز أعداؤه عن إيقاع الأذى به، بل «ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علمته لأن الله لي» (مز ٥٦: ٩). «لأنه قال لا أهملك ولا أتركك، حتى إننا نقول واثقين: الرب معين لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي إنسان؟» (عب ١٣: ٥، ٦). «قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥: ٢٤). «لأنه تعلق بي أنجيه أرفعه لأنه عرف اسمي» (مز ٩١: ١٤).

٣ - **الجوقة تعلن طريق النجاة من الضيق:** «الاحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان. الاحتماء بـالرب خير من التوكل على الرؤساء» (آيتا ٨، ٩). أجابت الجوقة المرنم مؤكدةً أن الرب هو الملجأ والحمى الوحيد. عندما أعطى الملك أرتحشستا الوالي نحميا رسائل إلى ولاة الجهات المختلفة في مملكة فارس ليعطوه ما يلزم لبناء سور أورشليم، وليتولوا حراسته في الطريق (نح ٢: ٧-٩) لم تمتنع عداوة طوبيا وسنبلط لنحميا، ولا توقفت! وقد شرح سفر نحميا المقاومة المستمرة من تهديد سياسي: «أعلى الملك تتمردون؟» (نح ٢: ١٩)، ومن سخرية «إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم» (نح ٤: ٣)، ومن مقاومة عسكرية (نح ٤: ٨)، ومن تآمر لقتل نحميا (نح ٦: ٢، ١٠، ١١)، ومن رسائل تخويف (نح ٦: ١٩). وكان السبب الأول في انتصار نحميا هو: توجُّه قلبه دائماً إلى الرب (نح ٢: ٤). فما أصحَّ النصيحة: «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم حيث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم نفسه تهلك أفكاره» (مز ١٤٦: ٣، ٤).

٢ - **القائد والجوقة يعلنان النصر:** في الآيات ١٠-١٨ نسمع القائد بترنيمه المنفرد أن الخطر قادم، فيؤكدون له أن النصر آتٍ من عند الرب. ويقتنع بما قالوا، فيعلن نصره باسم الرب.

(أ) **يقول القائد:** «كل الأمم أحاطوا بي». كان المرنم وشعبه كمدينة محاصرة، كما قال المرنم: «أحاطت بي كلاب. جماعة الأشرار اكتنفتني» (مز ٢٢: ١٦). وهو الوصف الذي أوضحه نحميا بقوله: كل أعدائنا وجميع الأمم الذين حوالينا من العمونيين والفلسطينيين والعرب (نح ٦: ٧، ٨، ١٦ وعز ٤: ٧-٢٣).

(ب) **فترد الجوقة:** «باسم الرب أبيدهم» (آية ١٠). الرب الذي يفي بوعوده. «اسم الرب برج حصين، يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع» (أم ١٨: ١٠).

(ج) **يقول القائد:** «أحاطوا بي واكتنفوني».

(د) **فترد الجوقة:** «باسم الرب أبيدهم» (آية ١١).

(هـ) **يقول القائد:** «أحاطوا بي مثل النحل»، كما قال موسى لشعبه: «فخرج الأموريون الساكنون في ذلك الجبل للقائكم وطردوكم كما يفعل النحل، وكسروكم» (تث ١: ٤٤).

(و) **فترد الجوقة:** «انطفأوا كنار الشوك. باسم الرب أبيدهم» (آية ١٢). تشتعل نار الشوك بسرعة وتنطفئ بسرعة، وهكذا كان غضب العدو شديدا وسريعا، وانتهى كما بدأ، لأن الرب يدافع عن شعبه وهم يتطلعون بتعجُّب ودهشة (خر ١٤: ١٤). وهو ما قاله المرنم: «لماذا ارتجَّت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل؟.. الساكن في السماوات يضحك. الرب يستهزئ بهم.. يرجفهم بغيظه» (مز ٢: ١-٥).

(ز) **ويقول القائد:** «دحرتني دحوراً لأسقط، أما الرب فعضدني. قوتي وترنمي الرب وقد صار لي خلاصاً. صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين. يمين الرب صانعة ببأس». (آيات ١٣-١٥).

فـي كلمات القائد هذه يبدأ بمخاطبة العدو الذي حاول أن يدفعه دفعاً ليسقط، ثم يرفع عينيه إلى الرب الذي عضده فأسـنده ونصره. ولا بد أن المرنم كان يذكر ترنيمة موسى: «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلـهي فأمجّده وإلـه أبي فأرفّعه» (خر ١٥: ٢) وترنيـمة إشعيـاء: «هوذا الله خلاصي فأطمئن ولا أرتعب، لأن يـاه يهوه قوتي وترنيمتي، وقد صار لي خلاصاً» (إش ١٢: ٢). ويـذكر المرنم صوت ترانيم الخلاص وهي تعلو من الخيام المصنوعة من سعف النخل وأغصان الشجر أثناء احتفالات الفرح في عيـد المظال، آخر الأعيـاد السـنوية الكبرى وثاني أعياد الحصاد والذي كان يـقع بعد يـوم الكفارة العظيم، وفيه يذكر بنو إسـرائيل إقامتهم في مظال في البرية لا يزرعون ولا يحصدون، فعالهم الرب بالمن والسـلوى، ورواهم بالماء يجري من الصخر! وفي كل هذا يعظم انتصار القائد بالرب، فيختم بالقول: «يمين الرب صانعة ببأس» كما رنم موسى: «يمينك يا رب معتزّة بالقدرة. يمينك يا رب تحطم العدو.. تمد يمينك فتبتلعهم الأرض» (خر ١٥: ٦، ١٢).

(ح) **فترد الجـوقة:** «يمين الرب مرتفعة. يمين الرب صانعة ببأس» (آية ١٦)، وهي كلمات تؤيد تسـبيح القائد. فعندما تقوم العقبات والمتاعب في طريقنا تجيبنا السـماء بجوقة ترنيم تهتف: «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم» (مز ٣٤: ٧).

(ط) **ويـقول القائد:** «لا أموت بل أحيا وأحدّث بأعمال الرب. تأديباً أدّبني الرب، وإلى الموت لم يسـلمني» (آيتا ١٧، ١٨). يسمح الرب للعدو أن يُتعب أولاده، ويسمح أن يجوز المؤمنون في آلام وتجارب. ويـقول الحكيم: «أمينة هي جروح المحب، وغاشة هي قبلات العدو» (أم ٢٧: ٦). ولكن الـمؤمن التقي الواثق في الرب يُدرك أن يد الله من وراء كل موقف. فلنخضع تحت يد الله القوية كما يسـتسلم الإناء في يد الفخاري ليصنع منه إناءً للكرامة، عالمين أن «كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيراً فيُعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسـلام» (عب ١٢: ١١). وبهذا نعلن انتصارنا وانتصار جميـع الذيـن يمرون بمثل ما نمرُّ به، فإن المعركة والمصير كليهما في يدٍ واحدة أمينة قادرة، هي يد الرب.

ثالثاً - الترنيم في بيت الرب
(آيات ١٩-٢٩)

اقترب المرنمون من أبواب الهيكل، فينادي القائد:

١ - **الـقائد:** «افتحوا لي أبواب البر أدخل فيـها وأحمد الرب» (آيـة ١٩). لم تكن أبواب الهيكل مغلـقة فيـنادي الـقائد طالـباً فتحها، ولكن المرنم وجوقته والشعب المصاحب له يـعلنون رغبتهم

أن يقدموا العبادة للرب بالترنيم والحمد. وهذا ما قصده داود بقوله: «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد» (مز ٢٤: ٩)، فقد كانت الأبواب مفتوحة، لكن المكان يجب أن يكون مستعداً لاستقبال ملك المجد.. ويدعو المرنم أبواب الهيكل «أبواب البر» لأن الرب البار العادل يقيم فيها، ولأن الرب يبرر من يدخلونها عابدين مستسلمين له معترفين بخطاياهم، فيصبحون أبراراً، بمعنى أنهم يصيرون أصحاب موقف سليم مقبول أمامه. وقد دخل المسيح هذا الباب باستحقاق ذاته، أما نحن فندخله باستحقاق المسيح وعمله الكفاري لأجلنا. «إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رو ٥: ١).

٢ - **يرد الكهنة**: «هذا الباب للرب. الصديقون يدخلون فيه» (آية ٢٠). يؤكد الكاهن شرط الدخول في أبواب البر، فيقول إنه قاصر على الصديقين الذين نالوا التبرير من الله لأنهم صرخوا مع العشار: «اللهم ارحمني أنا الخاطي، فنزل إلى بيته مبرراً» (لو ١٨: ١٣، ١٤). فيقال لهم: «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً، لأنه عليك متوكل» (إش ٢٦: ٢، ٣).

٣ - **فيهتف القائد**: «أحمدك لأنك استجبت لي وصرت لي خلاصاً. الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا» (آيات ٢١-٢٣). تمم المرنم مطالب الله، وطلب مغفرته، فاستجاب له وصار له خلاصاً. وهكذا صار الحجر الذي رفضه البناؤون رأس الزاوية في حياته، لأنه حجر قوي جداً وكبير جداً، يربط الحوائط معاً، ويكمل البناء، فقال الله عنه: «هأنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية كريماً. أساساً مؤسساً» (إش ٢٨: ١٦). من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا، لأنه يرمز إلى المسيح نفسه، بحسب ما أعلنه لنا (في مت ٢١: ٤٢ ومر ١٢: ١٠، ١١ ولو ٢٠: ١٧). ومع هذا فقد رفضه بنو إسرائيل، قائلين: «أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟» (يو ١: ٤٦) وكانوا يتساءلون: «أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تُدعى مريم، وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا؟.. فكانوا يعثرون به» (مت ١٣: ٥٥، ٥٧). «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١١، ١٢). وقد أعلن الرسول بطرس هذه الحقيقة في قوله لليهود: «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أع ٤: ١١، ١٢). وقال عنه الرسول بولس للمؤمنين: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢: ٢٠).

٤ - **وترنم الجـوقة:** «هذا هو اليـوم الذي صنعه الرب. نبتهج ونفرح فيه. آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقِذ» (آيـــتا ٢٤، ٢٥). أيقن مرنمو الجوقة أن يوم الخلاص قد جاء من عند الرب، فالمســيح حجر الزاويـــة هو المخلِّص الآتي، ويوم مجيئه هو يوم الفرح. عندما أعلن الملاك جبرائيل للعذراء أنها ستحبل وتلد ابناً تسمّيه يسوع، هتفت: «تعظم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي» (لو ١: ٤٦، ٤٧). وقال الملاك للرعاة وقت ميـلاده: «أبشركم بفرح عظيــم يكون لجميع الشعب» (لو ٢: ١٠)، وتـرنمت جوقة الملائكة: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرَّة» (لو ٢: ١٤). وعلى كل من يســـمع هذا الخبر المفرح أن يهتف: «آه يا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ» فلا تدع فرصة الخلاص تفوتك فإن «اليوم يوم خلاص. الوقت وقت مقبول. اليوم إن ســمعتم صوته فلا تقسـوا قلوبكم» (عب ٣: ٧). ولا زال صوت الرب يدعو كل بعيد ليختبر خلاص الرب. إن لم تكن قد اختبرته ارفع قلبك مع الجوقة وقُل: «آه يـا رب خلِّص. آه يا رب أنقذ». أما كل من سـلَّم حياته للرب فيهتف: «صوت ترنم وخلاص في خيام الصديقين».

٥ - **ويـرد الـكهنة:** «مبارك الآتي باســم الرب. باركناكم من بيت الرب» (آية ٢٦). عندما يدخل الصديقون أصحاب الموقف الســليم من الله هيكل الرب يباركهم الكهنة من بيت الرب، وينادون لهم: «أوصنا» أي «يـــا رب خلِّص». وهو هتاف الشعب يوم دخول المســيح الانتصاري إلى أورشليم: «أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (مت ٢١: ٩). مبارك الرب الذي أتي لينقذ ويخلص. ومبارك أيضاً كل من يأتي من أرض الهلاك ليخلُص بالمسيح ويتمتع به.. يبارك الكهنة المســـيح ويمجدونه لأنه الآتي باسم الرب ليخلِّص كل من يحتمي به، ويباركون كل من يقبل المسيح مخلِّصاً.

٦ - **هتاف الـكهنة والقائد والجـوقة:** «الرب هو الله وقد أنار لنا. أوثقوا الذبيـحة بربط إلى قرون الـمذبح. إلـــهي أنت فأحمدك، إلهي أنت فأرفعك. احمدوا الرب لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته» (آيـــات ٢٧-٢٩). الرب هو الله وهو النور، فقد قال المسـيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يـــمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢). «الشعب الســالك في الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالســون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (إش ٩: ٢). «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة، أما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف ٥: ٨).

وكل من أشرق الرب عليـه بنوره يـــوثق نفســه ويربطها إلى قرون المذبح كذبيحة مقدَّمة لله، مكرَّســة لشخصه الكريم، كما يقول الأمر الرســولي: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجســـادكم ذبيحة حية مقدسة مرضيَّة عند الله، عبادتكم العقلية» (رو ١٢: ١)، لأن الرب جذبهم إليه

«برْبُط المحبة» (هو ١١: ٤). فيكون المؤمن مثل العبد الذي كان يقول: «أحب سيدي.. لا أخرج حراً» (خر ٢١: ٥).

ويختم الجميع تسبيحهم في بيت الرب بدعاء أن يرتفع الرب في حياتهم ويكون السيد والأول والآخِر، وهم يهتفون: «إلهي أنت فأحمدك. إلهي أنت فأرفعك، احمدوا الرب لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته».

المزمور المئة والتاسع عشر

أبجدية المحبة لله

هذا المزمور نشيد مؤمن يحب الله ويحب كلمته، ويريدها أن تكون أساس أهدافه وسلوكه اليومي، تصبح دستور حياته وتصوغ فكره. وهو يشرح العلاقة الحميمة بينه وبين كلمة الرب، وفيه يعلن إيمانه بكل ما أعلنه الله من مواعيد تحققت في حياته، ويعلن ثقته في عناية الله به، والحرية التي منحها له، فكم أنقذه وقدّس حياته بالرغم من مقاومة الأعداء له. وكل آيات هذا المزمور صلوات، ما عدا أربع آيات (هي ١-٣، ١١٥). وهو يتكوّن من ١٧٦ آية، مقسّمة إلى ٢٢ قسماً، كل قسم منها ثماني آيات، يبدأ كلٌ منها بأحد حروف الأبجدية العبرية. ولما كانت الأبجدية هي بداية تعلّم القراءة، فإن كل من يريد أن يبدأ الحياة الإيمانية العميقة الواثقة يجب أن يدرس كلمة الله لأنها الأساس. (هناك مزامير أبجدية أخرى هي ٩، ١٠، ٢٥، ٣٤، ٣٧، ١١١، ١١٢، ١٤٥).

سُمّي هذا المزمور «مزمور القديسين» لأنهم هم الذين أحبوا كلمة الله وتشبّعت أفكارهم بهاء فعاشوا بحسبها، ويقول المسيح لهم: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلّمتكم به» (يو ١٥: ٣). وسُمّي أيضاً «أبجدية المحبة لله» لأنه يشرح حالة قلب عرف وصايا الله، وأطاع الأمر: «لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك.. اكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تث ٦: ٦، ٩). وهو قلبٌ امتلأ بروح العهد الذي قال الله: «أقطعه مع بيت إسرائيل.. لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم.. لأني أصفح عن إثمهم» (إر ٣١: ٣٣، ٣٤). وهو قلبٌ عامرٌ بحب الله بالرغم من عداوة الأعداء ومقاومتهم (مز ١١٩: ٢٢، ٢٣، ٣٩).

يبدو هذا المزمور للقارئ المتعجّل أنه يكرر نفس المعاني، لكن القارئ المتأني الذي يتأمل فيه ويتلذذ به يكتشف عُمق معانيه وتنوُّع أسلوبه، فالمرنم يطلب أن يعرف كلمة الله أكثر ويفهمها أعمق ويطيعها دوماً. والمعرفة يتبعها الفهم والتطبيق، وحين نخطئ في التطبيق نتعلم من أخطائنا، ونحاول من جديد بغير يأس.

عندما كتب القديس أغسطينوس تفسيره لسفر المزامير فسّر هذا المزمور آخر الكل، وقال إنه اقترب منه بتردد وعدم ثقة بالنفس، لأنه أعمق من أن يُفسّر، فكلمة الله واسعة جداً «لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً» (مز ١١٩: ٩٦). وكم من مرة تأملنا آية ونلنا منها بركة، وعندما عاودنا قراءتها وجدنا فيها نوراً جديداً وبركة جديدة.

في هذا المزمور أعلن المرنم فرحه بكلمة الرب (آيتا ١٤، ١٦) وأكّد قيمتها عنده (آية ٧٢) فأحبها (آيات ٢٤، ٤٠، ٤٧، ٩٧، ١٠٣) وأعلن فعاليتها، فيقول: «من كلامك جزع قلبي»

(آيـــة ١٦١) لأنها كشفت له خطاياه فبكّته ضميره، كما كشفت له محبة الله المذهلة للخطاة. وهذا ما حدث للسامرية يوم التقت بالمسيح فأعلن لها سراً كانت تخفيه عنه، جعل قلبها يجزع، ولكنها جزعت أكثر لـــما أعلن لها محبته الفائقة المعرفة، وأكّد لها قبوله، ثم روى نفســها العطشى من الماء الحي. وأعلن المرنم أن الكلمة تحرّر وتقود إلى الرحب (آيـــتا ٣٢، ٤٥)، وتنوّر الحياة (آية ١٠٥)، وتحيي الميت بذنوبه وخطاياه (آيتا ١٧، ٣٧)، وتثبّت المؤمن في التمسّك بمواعيد الله (آيتا ٤٩، ٥٠).

في هذا المزمور أطلق المرنم على كلمة الله ألقاباً، يعكس كلٌ منها معنى من المعاني الحيَّة، فدعاها:

١- **شـــريعة**: وهي في العبرية «توراه» Torah وفي اليونانية «نوموس» Nomos أخذت منها العربية: ناموس، أي طريق سلوك للتهذيب والتعليم، ويجب طاعتها لأنها طريق الرب المستقيمة التي تقودنا إلى السلام والراحة والسعادة «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب» (آية ١).

٢- **كلمة**: وفي اليونانية Logos وهي لقب السيد المسيح، أي الخالق «في البدء كان الكلمة.. كل شيء به كان» (يــو ١: ١، ٣). ويتحدث هنا عن الكلمة المكتوبة التي خرجت من فم الله والتي تعلن فكره «بم يزكي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حَســب كلامك» (آية ٩). وكلمة الرب هي وسيلة اتصال الله بالبشر، فهو يـــكلمنا ليتواصل معنا «الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً (في كلمته المكتوبة) كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه (الكلمة الحي الرب يسوع المسيح)» (عب ١: ١، ٢).

٣- **فرائض**: والفريضة أمر تســنده سلطة، فيقول الابن لأبيه: «علِّمني فرائضك» (آية ١٢) لأن الأب يضع فرائض البيت لســلامة أفراده ولخير أولاده ولتقدّم الأســرة. وعند كنيســـتنا فريضتان: المعمودية، والعشاء الرباني، وتسمّيان بهذا الاسم لأن الرب أمرنا بهما.

٤- **وصايا**: وكانت الوصايا الأســـاسية تُحفر، مثل الوصايا العشر التي حفرها الله بإصبعه على لوحي حجر، ويـــجب أن تُحفر أيضاً على ألواح قلوبنا، فنقبلها ونعمل بها لأنها صالحة تقوّم طريقنا وتضمن لنا الابتعاد عن الضلال «أنت أوصيتَ بوصاياك» (آية ٤).

٥- **أحكام**: وهو تعبير قضائي يعبِّر عن حكم الله القاضي العادل الذي ســيدين العالم، فالله أصدر حكمه عليـــنا في قوله إن الإنســان خاطئ، وإن الجميع أخطأوا، وإن النفس التي تخطئ تموت. لكن الـــحكم نفسه يقول إن كل من يضع ثقته في كفارة المسيح يتصالح مع الله بفضل هذه الكفارة. فإن كنا نريـــد أن نحيا روحياً يجب أن نتصالح مع الله عن طريق كفارة المســيح. وإن كنا نريد أن نحيا في ســـلام مع الله لنحتمِ في كفارة المسيح، ونقول: «أحمدك باستقامة قلب عند تعلُّمي أحكام عدلك» (آية ٧).

٦- **شهادة**: لأنها تشهد علينا، ويُسمَّى تابوت الشهادة «تابوت عهد الرب» (تث ٣١: ٢٦) لأن الرب كتب الوصايـــا، وأمر بحفظها في تابوت العهد لأنها عهد بينه وبين شعبه يشهد عليهم وعلى أعمالهم وعلى إيمانهم

و«طوبى لحافظي شهاداته» (آيــة ٢). فإن عصيــنا ليس لدينا عذر، لأنه أعلمناء كما قال الرســول بولس: «لم أؤخِّر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلّمتكم به جهراً وفي كل بيت» (أع ٢٠: ٢٠).

٧- طـريق: كلمة الله ترسم لنا سبيل السلوك الصائب، وتعرّفنا أنها طريق: «في طرقك يسلكون» (آية ٣). كان ســلوك العهد القديم يقول: «عين بعينٍ وســن بســن» (تث ١٩: ٢١) فجاءت المسيحية طريقا جديدا يقول: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم» (متى ٥: ٤٤).

في هذا المزمور نجد أربعة أجزاء رئيسية،

الجزء الأول - المرنم يرفع قلبه للرب (آيات ١-٣٢)

الجزء الثاني - الرب إله العطاء (آيات ٣٣-٨٠)

الجزء الثالث - الرب إله الإنقاذ (آيات ٨١-١٢٨)

الجزء الرابع - الرب إله الانتصار (آيات ١٢٩-١٧٦)

الجزء الأول
المرنم يرفع قلبه للرب
(آيات ١-٣٢)

(أ) ١ طوبى لـلكاملين طريقاً، السالكين في شريعةِ الربِّ. ٢ طوبى لحافظي شهاداتِه. مِن كلِّ قلوبهم يطلبونه. ٣ أيضاً لا يرتكبون إثماً. في طُرُقِه يسلكون. ٤ أنت أوصيتَ بوصاياك أن تُحفَظ تماماً. ٥ لـيت طرقي تُثبَّت في حِفْظِ فرائضِك، ٦ حينئذٍ لا أخزَى إذا نظرتُ إلى كلِّ وصايـاك. ٧أحمدُك باستقامةِ قلبٍ عند تعلُّمي أحكامَ عدلِك. ٨ وصاياك أحفظُ. لا تتركْني إلى الغاية.

(ب) ٩ بِمَ يُزكّي الشابُّ طريقَه؟ بحِفْظه إيـاهُ حسَبَ كلامِك. ١٠ بكلِّ قلبي طلبتُك. لا تُضلَّني عن وصايـاك. ١١ خبّأتُ كلامك في قلبي لـكيـلا أخطئَ إليـك. ١٢ مبارَكٌ أنت يـا ربُّ. علّمني فرائضَك. ١٣ بشفتيَّ حسبْتُ كلَّ أحكام فمِك. ١٤ بطريقِ شهاداتِك فرحتُ كما على كلِّ الغِنى. ١٥ بوصاياك ألهجُ، وألاحظُ سُبُلَك. ١٦ بفرائضِك أتلذّذ. لا أنسى كلامَك.

(ج) ١٧ أحسِــنْ إلى عبـدِك فأحيـا وأحفظَ أمرَك. ١٨ اكشِـفْ عن عيـنيَّ فأرى عجائبَ من شريعتِك. ١٩ غريبٌ أنا في الأرضِ. لا تُخْفِ عني وصاياك. ٢٠ انسحقَتْ نفسي شوقاً إلى أحكامِك في كلِّ حينٍ. ٢١ انتهرْتَ المـتكبّـريـن الملاعين الـضالـين عن وصايـاك. ٢٢ دحْرِجْ عني الـعارَ والإهانةَ لأني حفظتُ شهاداتِك. ٢٣ جلـس أيـضاً رؤسـاءُ تقاولـوا علـيَّ. أما عبـدُك فيـناجي

بفرائضك. ٢٤ أيضاً شهاداتُك هي لذَّتي، أهلُ مشورتي.

(د) ٢٥ لصِقَتْ بالتراب نفسي فأحْيني حسب كلمتك. ٢٦ قد صرَّحْتُ بطرقي فاستجَبْتَ لي. علِّمْني فرائضك. ٢٧ طريقَ وصاياك فهِّمْني فأناجي بعجائبك. ٢٨ قطرَتْ نفسي من الحزن. أقِمْني حسب كلامك. ٢٩ طريقَ الكذب أبعِد عنّي، وبشريعتك إرحمني. ٣٠ اخترتُ طريقَ الحقّ. جعلتُ أحكامَك قدامي. ٣١ لصِقْتُ بشهاداتك. يا ربُّ لا تُخْزِني. ٣٢ في طريقِ وصاياك أجري لأنك تُرحِّب قلبي.

في هذا الجزء نجد،

أولاً – شريعة الرب ترفع القلب (آيات ١-٨)

ثانياً – المرنم يطلب النقاوة (آيات ٩-١٦)

ثالثاً – المرنم يطلب معرفة الكلمة (آيات ١٧-٢٤)

رابعاً – المرنم يطلب الحق (آيات ٢٥-٣٢)

أولاً - شريعة الرب ترفع القلب
(آيات ١-٨)

١- الشريعة تسعد القلب: (آيات ١-٣).

(أ) **سعادة السلوك:** «طوبى للكاملين طريقاً السالكين في شريعة الرب» (آية ١). يبدأ هذا المزمور بالتطويب كما يبدأ المزموران ١، ٣٢ «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار.. لكن في ناموس الرب مسرته.. طوبى للذي غفر إثمه وسُترت خطيته» (مز ١: ١، ٢ و٣٢: ١)، كما تبدأ الموعظة على الجبل بالتطويب: «طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات» (مت ٥: ٣). كل الناس في تعاسة الخطية يطلبون السعادة ولا يجدونها إلا في الشريعة التي هي طريق الله وتعليمه الواجب الطاعة، فيصيرون كاملين وبلا لوم. واليوم نعلم أن الطريق هو المسيح الذي قال: «أنا هو الطريق» (يو ١٤: ١٦). وهو الذي يقول: «ادخلوا من الباب الضيق.. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة» (مت ٧: ١٣، ١٤).

نحن بالطبيعة دنسون، بعيدون عن الطريق، لكن كل من يغتسل بالدم الذي يطهِّر من كل خطية، يتجدَّد بقوة الروح القدس، ويردُّه الرب إلى سُبُل البرّ من أجل اسمه، ويجعله يسلك أمامه بالكمال، ويمنحه النعمة القادرة أن تحفظه في الطريق الصحيح، فهو «القادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج. الإله الحكيم الوحيد مخلِّصنا» (يه ٢٤، ٢٥).

(ب) **سعادة الطاعة:** «طوبى لحافظي شهاداته، من كل قلوبهم يطلبونه. أيضاً لا يرتكبون إثماً.

في طرقه يســـلكون» (آيتا ٢، ٣). وحفظ الشيء يعني الحرص الشديد عليه، ونحن نحتفظ في القلب بما نحبه ونرغبه. وحفظ الكلمة يعني أن نعيش في خضوع لسلطانها، فهي كالمسطرة التي توضّح لنا طول قامتنا الروحية وكم هي ناقصة، وترينا مقدار العوج الذي فينا، فندرك شدّة حاجتنا إلى نعمة الله التي تكمل نقصنا وتقوّم عوجنا. والذين يدرســـون كلمة الله ويعزمون على السلوك بموجبها يسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، ويفتدون الوقت لأن الأيام شريرة (أف ٥: ١٥، ١٦). ما أسعد أيوب وهو يـقول: «بخطواته اسـتمسـكت رجْلي. حفظت طريـقه ولم أحِد» (أي ٢٣: ١١). وإذا حفظنا شهادات الرب حفظتنا «وفي حفظها ثواب عظيم» (مز ١٩: ١١).

٣- الشريعة أوامر الرب: (آيات ٤-٨).

(أ) التقي يـرغب في طاعتها: «أنت أوصيتَ بوصاياك أن تُحفظ تماماً. ليت طرقي تُثبَّت في حفظ فرائضك» (آيتا ٤، ٥). يبدأ التقي طاعته للكلمة عند معرفته أن الرب أوحى بها. وعندما يتكلم الرب فـلا بديل عن الطاعة. ويذكّر المرنم نفسه بمسؤوليته ومسؤولية شعبه، فإذا ساروا في طريق الكاملين يـــكونون قد بدأوا الطريق الســليم. وكم يختلف طريق الإنســـان عن طريق الرب «ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢). وعندما يواجه المؤمن مشكلة قد يســلك ســـلوكاً على شكل ســـلوك أهل هذا الدهر الخاطئ، فيظن أنه ينجو لو كذب، ويستريح لو انتقم، وقد يــشكُّ في محبة الله. ولكنه ســرعان ما يـــكتشف خطأه، فيــرجع إلى الرب، ويثبّت طرقه في حفظ الفرائض، فينطبق عليه الوصف: «ذو الرأي الممكن تحفظه سالما سالما لأنه عليك متوكل» (إش ٢٦: ٣).

(ب) الـتقي يـتبـارك بـطاعتها: «حينئذ لا أخزى إذا نظرتُ إلى كل وصاياك. أحمدك باســـتقامة قلب عند تعلّمي أحكام عدلك» (آيـــتا ٦، ٧). الخطية تولّد الخزي، وإذا تخلّصنا منها تزول أســـباب الخزي. لم يعرف أبونا الأول الخزي إلا بعدما اســـتمع لكلام الحية، ولم يتحرر منه إلا بعد أن ستره الإله المحب بالأقمصة المصنوعة من جلد الذبيـــحة (تك ٢١: ٣). وعندما نقرأ وصايــــاه ونتأملها لا نخزى منها، بل نشهد بها أمام الآخرين، ونقول: «لستُ أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يـــؤمن» (رو ١: ١٦). ولن نكون أتقياء بالحقيقة إلا إذا صمّمنا أن نحفظ كل وصايا الرب. و«إن لم تلُمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله، ومهما ســـألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه، ونعمل الأعمال المرضيّة أمامه» (1يو ٣: ٢١، ٢٢). ومن يطلب حياة القداســـة سيحمد الرب باستقامة قلب، ويرتفع التسبيح من قلبه المستقيم الذي يحب الله.

(ج) الـتقي يحيـا في محضر الرب: «وصاياك أحفظ. لا تتركني إلى الغاية» (آية ٨). عندما أخطأ بنو إســـرائيـــل غضب الرب عليـــهم وســـمح بســـبيهم، ولكنه لم يتركهم في الســـبي «إلى الغاية»،

بل أرجعهم بعد سبعين سنة. ويطلب المرنم من إلهه الصالح أن لا يتركه وألا يعاقبه إلى الغاية، بل أن يردّه إليه كما ردّ سبي أيوب، فعاش فرحاً في محضر الرب.

ثانياً - المرنم يطلب النقاوة
(آيات ٩-١٦)

بدأت الفقرة الأولى من المزمور بتطويب الكاملين طريقاً، وتبدأ الفقرة الثانية بتحديد معالم طريق ذلك الكمال.

١- النقاوة نتيجة الطاعة: (آيات ٩-١١).

(أ) **سؤال:** «بِمَ يزكّي الشاب طريقه؟» (آية ٩). في جزء «ب» من هذا المزمور نجد ست آيات تبدأ كلماتها بحرف الباء، لأن هذا الحرف في اللغة العربية له نفس المعنى في اللغة العبرية (وهي آيات ٩، ١٠، ١٣-١٦). والتزكية تعني أن يطهّر الشاب طريقه ويحفظ نفسه طاهراً (١تي ٥: ٢٢). كل البشر خطاؤون كفارون بنعمة الله، والشباب معرَّضون أكثر من غيرهم للشهوات الشبابية. فليكن للشاب ضمير صالح وشهادة حسنة. وعُمْر الشباب هو وقت إلقاء البذار لبلوغ الحياة الناضجة، ثم للحياة الأبدية. فما أهم البداية السليمة والاستمرار في الطريق الصحيح! وعلى الشاب أن يزكي طريقه لأن خطوةً واحدة خاطئة في زمن الشباب تقود إلى خطوات أخرى أبعد، فما أجمل النصيحة: «اذكُر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتي أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس فيها سرور» (جا ١٢: ١).. ويجاوب المرنم على السؤال الذي أثاره، فيقول: «بحفظه إياه حسب كلامك» لأن عظمة الكلمة تظهر في قدرتها على إحداث التطهير المطلوب، والكتاب المقدس هو كلمة الله، وهو «نافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي هو في البر» (٢تي ٣: ١٦). فلنتضرّع إلى إلهنا قائلين: «لا تذكر خطايا صباي ولا معاصيَّ. كرحمتك اذكرني أنت من أجل جودك يا رب» (مز ٢٥: ٧).

(ب) **طلبة:** «بكل قلبي طلبتك. لا تضلّني عن وصاياك» (آية ١٠). طلب المرنم بكل قلبه أن يكون الرب له سيداً، ومشيراً، وصديقاً ليطمئن ويسير على دربه، لا يبتعد عنه، لأنه بقدر ما يحب القداسة بكل القلب يطلب النجاة من السقوط من الخطية. «إذاً من يظنّ أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو ١٠: ١٢) لأنه «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمةً، وعاقبتها طرق الموت» (أم ١٤: ١٢).

(ج) **حرص:** «خبأتُ كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك» (آية ١١). فهم المرنم الكلمة وصدّقها وأحبها، فخبأها في مكان آمن هو قلبه باعتبارها كنزاً ثميناً يُحرص عليه من الضياع. ومن يخبئ

كـلمة الله في قلبه يكون مستعداً لمواجهة التجارب «يا ابني إن قبلت كلامي وخبأت وصاياي عندك.. فالعقل يحفظك والفهم ينصرك لإنقاذك من طريق الشرير» (أم ٢: ١، ١١، ١٢).. انتصر المسـيح على إبليس بالمكتوب. وعندما سـخر المستمعون من الرسول بطرس وزملائه بسبب تكلُّمهم بألسنة يـوم الخمسين، اقتبس الرسول بطرس من الكلمة ودافع بها عن نفسه وعن زملائه، وعن رسالته (أع ٢: ١٦). إن كلمة الله تعلن لك فكر الله وإرادته. فإذا أطعت الله كل يـوم، وخضعت للفخاري العظيم سيصنع منك إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للسيد (٢تي ٢: ٢١).

٢- النقاوة نتيجة دراسة الكلمة: (آيات ١٢-١٦).

(أ) تعلُّـم الـكلمة: «مباركٌ أنت يا رب. علِّمني فرائضك» (آية ١٢). سـبَّح المرنم الرب وباركه لأجل كل ما أعلنه له وما فعله معه، وطلب أن يـعلِّمه الفرائض التي لا يـقدر أن يعرفها إلا الذين تعلموا من القائل: «تعلَّموا مني» (مت ١١: ٢٩). وفرائض الله هي الطريق إلى القداسـة، فلنتعلمها كتلاميـذ في مدرسـة الرب، خاضعيـن لهذا المعلم، و«نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة» (١بط ١: ١٥).

(ب) رنَّد الكلمة: «بشفتيَّ حسبتُ كل أحكام فمك» (آية ١٣). أعلن المرنم بصوت عال كل أحكام الله التي إذا خبأها في قلبه ظهرت على شفتيـه، لأن من فضلة القلب يتكلم الفم (مت ١٢: ٣٤). لقد آمن فتكلم (مز ١١٦: ١٠) فشهد له ضميـره أنه بشَّر الآخريـن بما تعلَّمه من كلمة الله، ولم يُخفِ البشارة عنهم، لكنه من كنز قلبه الصالح أخرج الصالحات (مت ١٢: ٣٥)، وكان كربِّ بيـتٍ يُخرج من كنزه جدداً وعتقاء (مت ١٣: ٥٢). شبع قلبه من كلمة الله فأراد أن يـُشبع الآخريـن، وكل من يفرِّق يزداد (أم ١١: ٢٤). ذهب المرنم ينادي بأحكام الرب، لأنه أدرك مسـؤولية القول: «أنتم نور العالم.. لا يوقدون سـراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت» (مت ٥: ١٤، ١٥).

(ج) فرح بالكـلمة: «بطريق شهاداتك فرحتُ كما على كل الغنى. بوصاياك ألهج وألاحظ سبلك. بفرائضك أتلذَّذ، لا أنسـى كلامك» (آيـات ١٤-١٦). في هذه الآيات الثلاث خمسـة أفعال جديرة بالتأمل: فرحتُ، ألهج، ألاحظ، أتلذَّذ، لا أنسـى. وليس سرورٌ أعظم من معرفة كلمة الله والعمل بها. وكلما كملت الطاعة تعاظم الفرح. والذي يريد أن يتمتع بأيام السـماء على الأرض يجعل سـروره بطاعة وصايـا الله، فالابتهاج بالكلمة دليـل على أنها عملت في القلب، وطهَّرت الحياة.. وشهادات الرب أعظم من كل غِنى الأرض، وقد تلذَّذ المرنم بالكلمة أكثر من تلذُّذ الأغنياء بثرواتهم. كان داود ملكاً وغنياً، آلت إليه ثروات الشعوب كمكاسـب حرب، لكنه لم يضع قلبه عليها بل كرَّسـها لبناء بيت الرب.

يفرح أهل العالم بغنى العالم، لكن ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ (مت ١٦: ٢٦). ومتى كان لأحدٍ كثير فليست حياته من أمواله (لو ١٢: ١٥).

ومن فرط سعادة المرنم بالكلمة لهج بها وكررها، ثم لاحظها، أي ربط بين ما يردّده بفمه والحياة التي يحياها. واللهج في كلمة الله هو الطريق إلى التقوى العملية، وكل من يختبر نعمة اللهج يستمر فيه، ويطيع الوصية: «لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك، بل تلهج فيه نهاراً وليلاً، لكي تتحفّظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه» (يش ١: ٨).

ثالثاً - المرنم يطلب معرفة الكلمة (آيات ١٧-٢٤)

١- معرفة الكلمة إحسان من الله: (آيتا ١٧، ١٨).

(أ) لأنها محيية: «أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك» (آية ١٧). الحياة الجسدية والروحية إحسان من الرب، فلا يمكن أن نعرف الله معرفةً محيية إلا عندما نقبل كلمته، وهذا إنعام منه علينا. ويعترف المرنم أنه مجرد عبد، لا حقّ له أن يطلب شيئاً، وليس له أي استحقاق في ذاته، فاعتمد على نعمة الله وطلب رحمته الكثيرة، و«الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مُخلَّصون» (أف ٢: ٤، ٥). ومن إحسان الله علينا أنه يقبل أن نصرف الحياة في خدمته، وشعارنا: «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠).

(ب) لأنها عجيبة: «اكشف عن عينيّ فأرى عجائب من شريعتك» (آية ١٨). حياتنا الطبيعية تغشاها الظلمة الروحية، ولا يمكن للبصيرة العادية أن تفهم أسرار الإعلان الإلهي، فطلب المرنم من الرب أن يكشف عن عينيه ليرى عجائب الشريعة، كما صلى أليشع من أجل غلامه: «يا رب افتح عينيه فيبصر. ففتح الرب عيني الغلام، فأبصر، وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع» (٢مل ٦: ١٧) فأدرك الغلام أن الذين معهم أكثر من الذين عليهم. وإن كان المرنم قد رأى في الناموس عجائب، فكم يكون في الإنجيل! «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والإعلان في معرفته. مستنيرةً عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف ١: ١٧، ١٨). وهذا ما فعله المسيح مع تلميذي عمواس لما «فتح ذهنهم ليفهموا الكتب» (لو ٢٤: ٤٥). أما البعيدون عن إحسان الرب فقد «أُغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، الذي يُبطَل في المسيح. لكن حتى اليوم

حين يقرأ (ناموس) موســـى البرقع موضوع على قلبهم. ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفَع البرقع» (٢كو ٣: ١٤-١٦). ونحن نحتاج إلى بصيرة روحية لنرى كل ما ذخره الرب لنا في كلمته وأعماله.

٢- المرنم يحتاج للمعرفة: (آيات ١٩-٢٤).

(أ) لأنه غريب: «غريـبٌ أنا في الأرض، لا تُخْفِ عني وصاياك» (آية ١٩). أدرك المرنم أنه غريـــب في هذه الدنيا التي يحكمها إبليس، رئيس هذا العالم (يو ١٤: ٣٠ و١٦: ١١)، ودســتورها شيطاني، لأن «إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله» (٢كو ٤: ٤). ويـــرى المرنم أنه غريب لأن مبادئه مختلفة عن مبادئ من هم حوله. ويعترف كل شعب الرب أنهم غرباء، لأن الســـماء موطنهم، وليس العالم إلا مكان سياحتهم، وهم في احتياج إلى مرشد ورفيق ومعزٍّ حتى ينتهي زمان غربتهم. ويشبه الأتقياء مسيحهم الذي كان غريباً في عالمنا، وقال: «مملكتي ليست من هذا العالم.. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا» (يو ١٨: ٣٦).

(ب) لأنه مشتاق للمعرفة: «انسحقت نفسي شوقاً إلى أحكامك في كل حين» (آية ٢٠). انسحقت من شدة شوقه ليعرف أحكام الله في ما يختلف فيه الناس، فكلمة الله هي الحَكَم الذي يحسم كل خلاف، ومنها يـــعرف المؤمن مشيئة الله، ويميِّز الأمور المتخالفة، متعلِّماً من الناموس (رو ٢: ١٨). وعبَّر المرنم عن أشواقه لأنه كان دائماً يحيد عن الشر، ولا يعرج بين فرقتين، ولا يخدم سيدين.

(ج) لأنه محاط بالأشرار: «انتهرْتَ المتكبريـــن الملاعيـــن الضالين عن وصاياك. دحْرِج عني العار والإهانة لأني حفظت شهاداتك. جلس أيضاً رؤســـاء تقاولوا عليَّ، أما عبدك فيناجي بفرائضك. أيـضاً شهاداتك هي لـــذَّتي أهل مشورتي» (آيـات ٢١-٢٤). يـرى المرنم المنطق الخاطئ للعالم والأشرار، ومع ذلك يـرى نجاحهم فيـنزعج «رأيت الشرير عاتياً وارفاً مثل شجرة شارقة ناضرة» (مز ٣٧: ٣٥). إنهم يتعظمون على الله ويعملون ضد إرادته «وقالوا: كيف يعلم الله؟ وهل عند العلي معرفة؟» (مز ٧٣: ١١). ولـكن المرنم يـعرف أن «مكرهة الرب كل متشامخ القلب» (أم ١٦: ٥) ويـــقول: «مخافة الرب بُغْضُ الشرّ. الكبرياء والتعظم وطريق الشر وفم الأكاذيب أبغضتُ» (أم ٨: ١٣)، ويطلب من الرب أن لا يجعل المعاشرات الرديئة تفسد أخلاقه الجيدة (١كو ١٥: ٣٣)، ويطلب أن يـرفع عنه العار والازدراء. لقد عيَّـــره أعداؤه وأهانوه لأنه حفظ شهادات الرب، فاحتمل العار لأجـل الرب قائلاً: «إننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح» (رو ٨: ٣٦). فاختبر كيـف «أنزل الأعزّاء عن الكراسـي ورفع المتّضعيـن» (لو ١: ٥٢).. وكلما تعرَّضنا للتعبير نجد تعزيـتنا في مخلِّصنا الذي تجرّب وتألم قبلنا، ونجده قادراً أن يـــعين المجرَّبين (عب ٢: ١٨)، فهو يُســكت شفاه الكذب، ويقيم المسكين من التراب، ويعطينا نعمة لنحتمل الافتراءات، ونثق أنه سيدافع

عنا في الوقت المناسب «ويُخرج كالنور برك، وحقك مثل الظهيرة» (مز ٣٧: ٦).. ولكن من المؤسف أن بعض الاتهامات الموجَّهة ضدّنا قد تكون صحيحة. عندها نحتاج أن نسمع النصيحة: «أي مجدٍ إن كنتم تُلطَمون مخطئين فتصبرون؟ بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضلٌ عند الله» (١بط ٢: ٢٠).

وفي كل هذا كانت شهادات الرب هي لذّته، أهل مشورتي، فقد أحبّ شهادات الرب الحكيمة التي تمدّه بالمشورة وقت الحيرة وهو في مفترق الطرق، ووسط الخوف والقلق، وفي زمن الاحتياج. «وهذا أصلّيه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم، حتى تميّزوا الأمور المتخالفة، لكي تكونوا مُخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح، ومملوئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح، لمجد الله وحمده» (في ١: ٩-١١).

رابعاً - المرنم يطلب الحق
(آيات ٢٥-٣٢)

١- **لأنه مضطهَد:** «لصقت بالتراب نفسي فأحْيني حسب كلمتك» (آية ٢٥). يصوِّر المرنم نفسه ساقطاً على الأرض عاجزاً عن القيام، وهو يريد أن يعرف السبب: هل هو فساده الطبيعي الذي يجعله كلما أراد أن يفعل الحسنى وجد الشر حاضراً عنده؟ (رو ٧: ١٨)، أم هل هي المضايقات من خارجه ومن داخله؟.. إنه يعلم أن نفس الإنسان تسكن بيتاً من تراب، وبسبب سقوطها تلتصق بالتراب، فيعترف بعجزه ويطلب من الله أن يحييه، ويقول: «يا رب، إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي» (يو ٦: ٦٨، ٦٩). إن في كلمة الله قوة تمنحنا الحياة، إن طلبناها، فنسلك قدام الرب في أرض الأحياء (مز ١١٦: ٩)، ونكون «مولودين ثانيةً، لا من زرعٍ يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بط ١: ٢٣). فلتكن صلاتنا: «ألا تعود أنت فتحيينا فيفرح بك شعبك؟ أرنا يا ربُّ رحمتك، وأعطنا خلاصك» (مز ٨٥: ٦).

٢- **لأنه يحب الوصايا:** «قد صرَّحتُ بطرقي فاستجب لي، علِّمني فرائضك. طريق وصاياك فهِّمني فأناجي بعجائبك» (آيتا ٢٦، ٢٧). يصرِّح المرنم للرب بطرقه، ويعترف له، ويشكو من متاعبه، ويطلب أن يتعلم الفرائض فيناجي بمعجزات العناية العجيبة، ويقول: «الله لنا ملجأ وقوة. عوناً في الضيقات وُجد شديداً» (مز ٤٦: ١).. إن كنا حزانى يعزينا، أو ضعفاء يقوينا، أو حيارى يهدينا. «لنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة، عوناً في حينه» (عب ٤: ١٦). وكل من

يـطلب أن يفهم وصايا الرب يقول له: «أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨). «لي المشورة والرأي. أنا الفهم. لي القدرة» (أم ٨: ١٤). لقد قال الله لشعبه القديـــم: «هذه هي الطريـــق» (إش ٣٠: ٢١) وقال المسـيح لنا: «أنا هو الطريق» (يو ١٤: ٦). فلنطلب أن يـــفهّمنا لأنه معلمنا الذي قال: «إن شاء أحدٌ أن يـــعمل مشيـــئته يعرف التعليم» (يو ١٧: ٧). وحين نعرف ونفهم ننقل للآخرين ما تعلمناه، فنقول: «أعطاني الســيد الرب لســـان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة» (إش ٥٠: ٤) فنتبارك نحن ويتبارك شعبنا.

٣- **لأنه يـكره الكذب**: «قطَرت نفســي من الحزن، أقِمني حسب كلامك. طريق الكذب أبعِد عني، وبشريـــعتك ارحمني» (آيتا ٢٨، ٢٩). تذوب النفس التائبة حزناً على خطاياها، فتســكب تضرعاتها أمام الله. وتذوب النفس المضطهَدة حزناً من افتراءات الكاذبيـــن، فالعالم موضوع في الشرير، يقوده الكذاب وأبو الكذاب (يـــو ٨: ٤٤). وطريق الكذب هو طريق الخطية والضلال، وحياة الخطية كذبة من أولها إلى آخرها. لقد ذابت نفس المرنم لهذين الســببين حتى تحوّلت إلى دموع منسكبة أمام الله، كما قال أيوب: «لله تقطر عيني» (أي ١٦: ٢٠). وكثيراً ما تثقّلت نفوسنا بالأحزان حتى أحسسنا أننا نســـكَب سكيباً، لكن من الخير لنا أن نذوب حزناً من أن تتقسى قلوبنا بعدم التوبة، فلنكن من عابري وادي البكاء الذيـــن يصيّرونه ينبوعاً (مز ٨٤: ٦)، الذين في شدة حزنهم يطلبون نعمةً من الله حتى يـــقدروا أن يحتملوا الأحزان دون أن يخوروا، فيســمعون الوعد: «كأيامك قوتك» (تث ٣٣: ٢٥)، ويهتفون: «حوّلت نوْحي إلى رقصٍ لي. حللتَ مِســحي ومنطقتني فرَحاً» (مز ٣٠: ١١). فما أعظم رحمة الله الذي أعطانا شريعته التي تحفظنا من الضلال ومن طريق الكذب. «إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو ١: ٧).

٤- **لأنه يحـب الحـق**: «اخترتُ طريق الحق، جعلتُ أحكامك قدامي. لصقْتُ بشهاداتك. يا ربُّ لا تُخزني. في طريـــق وصاياك أجري لأنك ترحِّب قلبي» (آيات ٣٠-٣٢). الأفعال الموجودة في هذه الآيـــات الثلاث هي: «**اخترتُ**» أي أخذتُ قراراً أن أبغض طريق الكذب وأن أحب طريق الحق، فلا خير في مؤمن يعرج بين الفرقتين، ويخدم ســيدين. والذين يختارون طريق الحق هم الذين سبق الله فعرفهم، وســبق فعيـّنهم ليــكونوا مشابهين صورة ابنه، فدعاهم وبرّرهم، ولا بد يمجّدهم. ثم يقول: «**لصقْتُ**» أي اتّحدت بما قررتُه ولن أتركه. والذي يـلتصق بكلمة الله يـــثق ويؤمن أن يكون مقبولاً عنده. لقد بدأ المرنم هذا الجزء من المزمور بقوله: «لصقَتْ بالتراب نفســـي» وأحياه الله حسب كلمته، فقال: «لصقْتُ بشهاداتك»، وأتبعها بالقول: «يـــا ربُّ، لا تُخزني» فعظّم انتصاره بمن أحبه. بعدها يقول «في طريق وصايـــاك أجري» من العالم إليـــك. «هكذا اركضوا لكي تنالوا، وكل من يجاهد يضبط نفســـه في كل شيء»

(١كو ٩: ٢٤). ونتيجة استجابة الرب لرغبات المرنم الثلاث :اخترت، لصقت، أجري، رحّب الله له، فقال: «لأنك ترحّب قلبي» فيتّسع لكلمة الله التي هي «واسعة جداً» (مز ١١٩: ٩٦). ويرحّب الله قلوب شعبه بعمل الروح القدس فيهم، ويعطيهم الحكمة السماوية، فيقولون: «عند دعائي استجب لي، يا إله بري. في الضيق رحّبت لي. تراءف عليّ واسمع صلاتي» (مز ٤: ١). وعندما يسكب الرب محبته في قلوبنا فإن كل ما نفعله تفعله نعمة الله العاملة فينا، فنصير مثل موسى الذي فضّل «أن يُذلّ مع شعب الله على أن يكون له تمتّع وقتي بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجازاة» (عب ١١: ٢٥، ٢٦). ونصير مثل بولس الذي قال: «أسعى، لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع.. أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت، ولكني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في ٣: ١٢-١٤). لقد التصق المرنم بكلمة الرب، فرحّب له، وعندما استراح من متاعبه استخدم قواه فيما هو أفضل.

الجزء الثاني
الرب إله العطاء
(آيات ٣٣-٨٠)

(هـ) ٣٣ علّمني يا ربُّ طريقَ فرائضِك فأحفظَها إلى النهاية. ٣٤ فهّمني فألاحظَ شريعتَك وأحفظَها بكلِّ قلبي. ٣٥ دَرّبني في سبيلِ وصاياك لأني به سُررتُ. ٣٦ أمِلْ قلبي إلى شهاداتِك لا إلى المكسب. ٣٧ حوّل عينيَّ عن النظرِ إلى الباطلِ. في طريقِك أحْيِني. ٣٨ أقِمْ لعبدِك قولَك الذي لمتّقيك. ٣٩ أزِل عاري الذي حَذِرْتُ منه لأن أحكامَك طيّبةٌ. ٤٠ هأنذا قد اشتهيتُ وصاياك. بعدلِك أحْيِني.

(و) ٤١ لتأتِني رحمتُك يا ربُّ، خلاصُك حسب قولك٤٢ فأجاوبَ مُعيّري كلمةً، لأني اتّكلتُ على كلامِك. ٤٣ ولا تنزعْ من فمي كلامَ الحقّ كلَّ النزع، لأني انتظرتُ أحكامَك. ٤٤ فأحفظَ شريعتَك دائماً إلى الدهر والأبد، ٤٥ وأتمشّى في رُحْبٍ لأني طلبتُ وصاياك. ٤٦ وأتكلمُ بشهاداتِك قدامَ ملوكٍ ولا أخزى، ٤٧ وأتلذّذُ بوصاياك التي أحببتُ، ٤٨ وأرفعُ يديَّ إلى وصاياك التي وَدِدْتُ، وأناجي بفرائضِك.

(ز) ٤٩ اذكُرْ لعبدِك القولَ الذي جعلتَني أنتظرُه. ٥٠ هذه هي تعزيتي في مذلّتي، لأن قولَك

أحياني. ٥١ المتكبّرون استهزأوا بي إلى الغاية. عن شريعتِك لم أمِلْ. ٥٢ تذكّرتُ أحكامك منذ الدهر يا ربُّ فتعزّيتُ. ٥٣ الحَمِيَّةُ أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتِك. ٥٤ ترنيماتٍ صارت لي فرائضُك في بيت غربتي. ٥٥ ذكرتُ في الليل اسمَك يا ربُّ وحفظتُ شريعتَك. ٥٦هذا صار لي لأني حفظتُ وصاياك.

(ح) ٥٧ نصيبي الربُّ قلتُ لحفظِ كلامِك. ٥٨ ترضَّيْتُ وجهَك بكلِّ قلبي. ارحمني حسب قولك. ٥٩ تفكّرْتُ في طرقي وردَدْتُ قدمي إلى شهاداتِك. ٦٠ أسرعتُ ولم أتوانَ لحفظِ وصاياك. ٦١ حبالُ الأشرار التفّتْ عليَّ، أما شريعتُك فلم أنسَها. ٦٢ في منتصفِ الليلِ أقومُ لأحمدَك على أحكام برِّك. ٦٣. رفيقٌ أنا لكل الذين يتّقونك، ولحافظي وصاياك. ٦٤. رحمتُك يا ربُّ قد ملأت الأرض. علّمني فرائضك.

(ط) ٦٥ خيراً صنعتَ مع عبدِك يا ربُّ حسبَ كلامِك. ٦٦ ذَوْقاً صالحاً ومعرفةً علّمني لأني بوصاياك آمنتُ. ٦٧ قبل أن أذلَّل أنا ضللتُ. أما الآن فحفظتُ قولَك. ٦٨ صالحٌ أنت ومحسنٌ. علّمني فرائضَك. ٦٩ المتكبرون قد لفّقوا عليَّ كذباً. أما أنا فبكلِّ قلبي أحفظُ وصاياك. ٧٠سمِنَ مثلَ الشَّحمِ قلبُهم، أما أنا فبشريعتِك أتلذّذ. ٧١ خيرٌ لي أني تذلّلتُ لكي أتعلّم فرائضَك. ٧٢شريعةُ فمِك خيرٌ لي من ألوفِ ذهبٍ وفضةٍ.

(ي) ٧٣ يداك صنعتاني وأنشأتاني. فهّمني فأتعلّم وصاياك. ٧٤ مُتّقوك يرونني فيفرحون لأني انتظرْتُ كلامَك. ٧٥ قد علِمْتُ يا ربُّ أن أحكامَك عدلٌ، وبالحقِّ أذلَلْتني. ٧٦ فلْتصِر رحمتُك لتعزيتي حسب قولك لعبدِك. ٧٧ لتأتِني مراحمُك فأحيا لأن شريعتَك هي لذّتي. ٧٨ ليَخزَ المتكبرون لأنهم زوراً افتروا عليَّ. أما أنا فأناجي بوصاياك. ٧٩ ليرْجِع إليَّ مُتّقوك وعارفو شهاداتك. ٨٠ ليكُنْ قلبي كاملاً في فرائضك لكيلا أخزى.

في هذا الجزء نجد،

أولاً – احتياجات المرنم (آيات ٣٣-٤٨)

ثانياً – المشجّعات على الطلب (آيات ٤٩-٦٤)

ثالثاً – الشكر على الاستجابة (آيات ٦٥-٨٠)

أولاً - احتياجات المرنم
(آيات ٣٣-٤٨)

١- الحاجة إلى المعرفة: (آيات ٣٣-٣٥).

(أ) **علّمني فأحفظ:** «علّمني يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية» (آية ٣٣). يعلن المرنم أن حاجته الأولى هي إلى المعرفة والتعلُّم، والمعرفة معلومة تدخل عقولنا، أما التعلم فهو الخضوع بوداعة لتطبيق ما تعلمناه في الحياة اليومية «الرب صالح ومستقيم. لذلك يعلم الخطاة الطريق.. ويعلم الودعاء طرقه» (مز ٢٥: ٨، ٩). ويطلب المرنم من الله أن يعلّمه طريقاً يسير فيه إلى نهايته، وإلى نهاية حياته، حيث يحصل على الجزاء السماوي، فإن «في حفظها ثواب عظيم» (مز ١٩: ١١). أراد المرنم أن يعرف طريق القداسة العملية، فأشبع الرب فيه هذه الرغبة القلبية، لأنه يستجيب، وقد أحبنا إلى المنتهى، ولا حدود لعمل نعمته الفاعلة دائماً في المؤمن ليكمل القداسة في خوف الله. «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح» (في ١: ٦) لأنه «هوذا الله يتعالى بقدرته، ومن مثله معلماً؟» (أي ٣٦: ٢٢).

(ب) **فهّمني فألاحظ:** «فهّمني فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبي» (آية ٣٤). بعدما تعلم، طلب أن يفهم لأن «كون النفس بلا معرفة ليس حسناً» (أم ١٩: ٢). وحين بدأ في تطبيق ما تعلمه اصطدم بمقاومة الأشرار الذين وضعوا العراقيل في طريقه، فطلب ذهناً مستنيراً وفهماً مقدساً، لأن روح الحكمة والإعلان في معرفة المكتوب تفهمنا كل شيء، فإن «ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق» (١يو ٥: ٢٠). ومن المؤسف أن هناك فهماء في أعين أنفسهم فلا يطلبون الفهم السماوي «وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء» (رو ١: ٢٢). فلنطلب الفهم السماوي، لأن «الحكمة هي الرأس. فاقتنِ الحكمة، وبكل مقتناك اقتن الفهم» (أم ٤: ٧) فتلاحظ شريعته وتتمسك بها بكل قلبك «لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦: ٢١).

(ج) **دربني فأسرّ:** «دربني في سبيل وصاياك لأني به سُررت» (آية ٣٥). يطلب المرنم التدريب السماوي لتخضع إرادته للرب، لأن الله هو العامل فيه أن يريد وأن يعمل من أجل المسرة (في ٢: ١٣). والتدريب هو التعلم من التجربة والخطأ فنعرف الصواب، ونطيع الكلمة بالرغم من المقاومة، ونتمسك بها بسرور لأن المعونة السماوية تأتينا من عند الرب. وحتى إن سقطنا نقوم لأن الرب يمسك يدنا (مز ٣٧: ٢٤) «لأن الصدّيق يسقط سبع مرات، ويقوم» (أم ٢٤: ١٦)، ويتحقق له ما تحقق مع سليمان عندما قال الرب له: «سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم، هوذا قد فعلتُ حسب كلامك. هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً» (امل ٣: ١١، ١٢).. طلب المرنم التدريب ليسير في سبيل

وصايا الله الذي ســــار فيه كل عبيد الرب الأمناء، كما قال داود: «ها قد سُررت بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرفني حكمة» (مز ٥١: ٦).

٢- الحاجة إلى التقديس: (آيتا ٣٦، ٣٧).

(أ) محبــة الـكـلـمـة: «أمِل قلبي إلى شهاداتك، لا إلى المكسب» (آية ٣٦). في سبيل الوصول إلى الحياة المقدســـة طلب المرنم أن يُميل الله قلبه إلى شهاداته، لا إلى المكسب الحرام، فيكون «السالك بالحق، والمتكلم بالاستقامة، الراذل مكسب المظالم، النافض يديه من قبض الرشوة» (إش ٣٣: ١٥). وطلب أن يــحفظه الرب من الطمع الذي يُــبعد القلب عن شهادات الرب، فيطيع وصية المســيح: «انظروا وتحفَّظوا من الطمع» (لو ١٢: ١٥)، فإن محبة المال أصل لكل الشرور. ومن يــريــد أن يميل قلبه إلى محبة الله وكلمته يجب أن يتخلَّص من محبة العالم التي هي عداوة لله (يع ٤: ٤).

(ب) الهـروب من الـباطل: «حوِّل عيــنيَّ عن النظر إلى الباطل. في طريقك أحيني» (آية ٣٧). الذي يحب الكلمة يهرب من الباطل إلى المقدس. وليصل المرنم إلى حياة القداســـة طلب من الله أن يحول نظره عن الباطل الفاني غير الحقيقي، لأنه يريد أن يســـلك في طريق مستقيم، فيقاوم تجارب إبليــس الذي يــعوج الطريق، ويطيع الوصية: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحــد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة. ليـــس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته. وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (ايــو ٢: ١٥-١٧). وفي تحويل النظر عن الباطل وتثبيته في طريق الرب يملك الرب على الحياة، فيفعل المؤمن الحسنى.

٣- الحاجة إلى تحقيق الوعود: (آيات ٣٨-٤٠).

(أ) الوعود أقوال الله: «أقِم لعبدك قولك الذي لمتَّقيــك» (آيــة ٣٨). وعد الرب أتقيــاءه ببركات روحيـــة ومادية، فإن هم طلبوا أولاً ملكوت وبرَّه يزيد لهم كل شيء (مت ٦: ٣٣). وفي هذه الطلبة يســـأل المرنم الرب أن يحقق له وعوده الصادقة والأمينة (رو ٢١: ٥) فيقول: «مبارك الرب الذي أعطى راحة لشعبه حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح» (امل ٨: ٥٦).

(ب) الـوعـود طيـبـة: «أزِل عاري الــذي حذِرتُ منه لأن أحكامك طيــبة. هأنذا قد اشتهيــت وصايـــاك، بعدلك أحيني» (آيتا ٣٩، ٤٠). وعود الله لا بد أن تتحقق لأن قائلها هو الله، ولا بد أن تزيـــل عار المرنم الذي عيَّره به أعداؤه لأنه أطاع الله، فيقول: «من كل معاصيَّ نجني. لا تجعلني عاراً عند الجاهل» (مز ٣٩: ٨). وهناك تعييــر يأتي على المؤمن لأنه أخطأ، وهذا التعيير يجلب الإهانة لله وللمؤمن. لكن إن كان التعيير بســـبب طاعة الله وإتمام مشيئته فطوبى لصاحبه، كما قال

المسـيح: «طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة، من أجلي، كاذبين» (مت ٥: ١١)، وكما قيل: «إن عُيِّرتم باسـم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم» (١بط ٤: ١٤). ويـشتهي المرنم الوعود الإلهيـة الصالحة الطيبة، ويثق في العدالة الإلهية المنصفة، التي تجعله لا يهتم بأحكام الناس عليه، بل بأحكام الرب.

٤- الحاجة إلى الرحمة: (آيات ٤١-٤٨).

(أ) الـرحمة تخلّص: «لتأتني رحمتُك يا رب، خلاصُك حسـب قولك» (آية ٤١). تخلّص الرحمة الإلهية التي وعدنا الرب بها من الخطايا، ومن الضيق، ومن الأعداء، ومن العوز. ويضرع الخاطئ: «ارحمني يا الله حسـب رحمتك. حسب كثرة رأفتك اُمح معاصيَّ» (مز ٥١: ١). «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو ١٨: ١٣). ويؤسس المرنم طلبه على إيمانه الواثق في كفاية رحمة الله التي هي أفضل من الحياة (مز ٦٣: ٣). وحين تدركنا الرحمة يأتينا معها الخلاص حسب قوله: «قلتَ اطلبوا وجهي. وجهك يـا رب أطلب» (مز ٢٧: ٨). والمرنم يعرف أن خلاصه الحاضر عربون للخلاص الأبدي «هوذا الله خلاصي فأطمئن» (إش ٢١: ٢) وهو نابع من رحمة الله وليـس من أي اسـتحقاق فيـنا «بالنعمة أنتم مُخلَّصون» (أف ٢: ٥). وبالإيـمان ننال المواعيـد كما آمن إبراهيم حسـب الرجاء «فحُسب له براً» (تك ١٥: ٦).

(ب) الرحمة تجاوب المعيِّر: «فأجاوب معيري كلمة، لأني اتكلت على كلامك. ولا تنزع من فمي كلام الحق كل النزع، لأني انتظرت أحكامك، فأحفظ شريـعتك دائماً إلى الدهر والأبد» (آيات ٤٢-٤٤). عندما تدركنا رحمة الله تنقذنا، فنجاوب المعيـِّرين الذين طالما قالوا: «ليس له خلاص بإلهه» (مـز ٣: ٢). فنقول لهم: بل مواعيد الله صادقة وأمينة، نعتمد عليها كصخرة منيعة ثابتة، فإن الله هو «القادر أن يـحفظكم غيـر عاثرين، ويوقفكم أمام مجده بلا عيب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد، مخلصنا. له المجد والعظمة والقدرة والسلطان» (يه ٢٤).

وفي تواضع يـطلب المرنم من الله أن لا ينزع من فمه كلام الحق، لأنه ينتظر أحكامه، فلا يقول إلا الـحق، وينطق بكلمة الحق في أوانها لأجل مجد الله، ويكون مستعداً أن يجاوب كل من يسأله عن سبب الرجاء الذي فيه (١بط ٣: ١٥). وهذا يؤدي به إلى حفظ كلمة الله إلى نهاية الحياة، وإلى الأبد، فيـكون إنسـان الله الكامل المتأهب لكل عمل صالح (٢تي ٣: ١٧). ومع أن المؤمن يمر بلحظات ضعف أمام مقاومة الشريـر، إلا إنه يـدرك ضعفه، فيطلب أن يحفظ شريعة الرب إلى نهاية الحياة، مهما كانت تعييرات المعيِّر.

(ج) الـرحمة تجعلنا نشهد: «وأتمشّى في رحب لأني طلـبت وصايـاك، وأتكلم بشهاداتك قدام

ملوك ولا أخزى» (آيتا ٤٥، ٤٦). رحمة الله توسع لنا وتقودنا إلى الرحب، أي إلى الأرض المتسعة حـيث لا خوف ولا اضطهاد، فنتمشى في رحب بلا خوف، لأن الرب يمنحنا الطمأنينة. ليس المؤمن أسـير خطاياه لأنه بالنعمة يتحرر من كل خطية، فيفعل الخير لا كرهاً بل طوعاً. وعندما يأتي ضيق من داخل نفس المؤمن كالخوف، أو الشك، أو القلق من المستقبل، أو يـأتي من خارجه من تعيير واضـطهاد، فإنه يعتمد على إلهه، ويطيع وصاياه، فيختبر الرحب لأنه أحب الوصية، فيتكلم بشهادات الرب قدام ولاة وملوك ولا يـخزى، لأن رحبه يـشهد أن إلهه حي، كما شهد النبي إيليا أمام الملك أخآب (١مل ١٨: ٤١-٤٦)، وكما شهد الفتية الثلاثة أمام ملك بابل (دا ٣)، وكما شهد الرسول بولس أمام الواليين فيلكس وفسـتوس (أع ٢٤)، وأمام الملك أغريباس (أع ٢٦)، وهو القائل: «لأني لستُ أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن» (رو ١: ١٦).

(د) **الرحمة تلـذذ وتـدفع للتعبُّد**: «وأتلذذ بوصايـاك التي أحببتُ، وأرفع يـديَّ إلى وصاياك التي وددت، وأنـاجي بفرائضك» (آيتا ٤٧، ٤٨). حيث يكون كنزنا هناك يكون قلبنا. وكل من يحب كلمة الله يتلذَّذ بسماعها وتلاوتها والتحدُّث بها. ويتلذذ المؤمن عندما ينتصر على الخوف والشك، فلا تدخل تـهديدات العدو إلى داخل نفسه، فيثق ويثبت في كلام الله ووعوده التي تحققت معه «أحكام الرب حق عادلة كلها. أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسـل وقطر الشهاد» (مز ١٩: ٩، ١٠). فيـرفع يديه إلى وصايا الله العامرة بالمواعيد التي يحبها ويناجي بها. ورفع اليدين معناه الصلاة من مسـتغيث يقول: «أسـتغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسك» (مز ٢٨: ٢)، كما رفع موسى يديه فـانتصر شعبه (خروج ١٧: ٨-١٣). ورفع اليدين معناه ابتعادهما عن العالم وانشغالهما بما هو فوق حيث المسيح جالس (كو ٣: ١). ومعناه الصلاة بلجاجة كما فعل عزرا (عز ٩: ٥). ومعناه الثقة في أنه سـيتلقَّى المعونة والعطاء «معونتي من عند الرب صانع السـماوات والأرض» (مز ١٢١: ٢) «هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا» (مز ١٢٣: ٢).

ثانياً - المشجّعات على الطلب
(آيات ٤٩-٦٤)

١- **وعود الـرب**: «اذكُر لعبدك القول الذي جعلتني أنتظره. هذه هي تعزيتي في مذلتي، لأن قولك أحيـاني» (آيتا ٤٩، ٥٠). كانت مواعيد الرب المشجع الأول للمرنم ليطلب من إله العطاء، فطالب الرب أن يذكر وعوده المشجعة التي جعلته أن ينتظر الرب الذي قال: «ادعُني في يوم الضيق، أنقذك

فتمجدني» (مز ٥٠: ١٥). فيقول مع داود: «أيها الرب، ليثبت إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته، وافعل كما نطقت» (١أخ ١٧: ٢٣). ويذكّر المرنم الرب بوعوده الأمينة لأنها تعزيته في مذلته، ولأنها تمنحه الحياة الفضلى التي وعده بها، واثقاً أن الله يذكر ولا ينسى.

٢- **متاعب المرنم**: «المتكبرون استهزأوا بي إلى الغاية. عن شريعتك لم أمِلْ. تذكَّرتُ أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزَّيت. الحميَّة أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك» (آيات ٥١-٥٣). شجعت المتاعب المرنم ودفعته ليشكو ويطلب الإنقاذ من شدة مضايقات المستهزئين به بسبب إيمانه. والمستهزئون هم أشرُّ أنواع الخطاة لأنهم يرفضون الكلمة ويسخرون من الذين يقبلونها، وعنهم قال المسيح: «لا تعطوا القُدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها، وتلتفت فتمزقكم» (مت ٧: ٦). تمسك المرنم بالشريعة التي رفضها المتكبرون المستهزئون، ولم يمل عنها بالرغم من استهزائهم، فامتلأت نفسه بالتعزية والراحة.. ولكن استهزاء المتكبرين بكلمة الله وبعبادته جعله يغضب غضبا مقدسا، فشعر كأن الحمى أصابته ورفعت درجة حرارته، كما شعر عزرا فقال: «اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا، وآثامنا تعاظمت إلى السماء» (عز ٩: ٦). ولا بد أن المرنم خاف على مصير المستهزئين وعلى مصير أولادهم، لأن الشر يؤذي الشرير ويؤذي المحيطين به.

٣- **غربة المرنم**: «ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي. ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. هذا صار لي لأني حفظت وصاياك» (آيات ٥٤-٥٦). كان المشجع الثالث للمرنم على الطلب من إله العطاء أنه غريب في الأرض مشغول بالسماء. جسده في الأرض، ولكن روحه مع الرب ومع كلمته التي سهر على تلاوتها. والشعور بالاغتراب عن العالم طبيعي في المؤمنين، فقد «قال يعقوب لفرعون: أيام سني غربتي مئة وثلاثون سنة. قليلة وردية» (تك ٤٧: ٩). وهم يحتاجون إلى فرح سماوي يعبِّرون عنه بترنيمات هي قصائد شعر تصاحبها الموسيقى، فيصير حفظها وترديدها أسهل وأسرع. وعندما يرنم المؤمن يذكر اسم الرب بكل صفاته، ويقول: «نحمدك يا الله نحمدك، واسمك قريب» (مز ٧٥: ١). وفي ظلمة الليل وكآبة الأحزان يلجأ المؤمن لاسم الرب البرج الحصين ويتمنع (أم ١٨: ١٠). ويقول: «في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك» (مز ١١٩: ٦٢).

٤- **انتماء المرنم**: «نصيبي الرب قلتُ لحفظ كلامك. ترضَّيت وجهك بكل قلبي. ارحمني حسب قولك. تفكَّرتُ في طرقي ورددتُ قدميَّ إلى شهاداتك. أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك» (آيات ٥٧-٦٠). هذا سبب رابع شجع المرنم ليطلب من إله العطاء، فهو متأكد من انتمائه لله، لأن الرب هو نصيبه، فإن «الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن يُنزع منها» (لو ١٠: ٤٢) وقال إرميا: «نصيبي هو الرب قالت نفسي» (مرا ٣: ٢٤). وكل من يجعل الرب نصيبه يصبح الرب موضوع بهجته، ويجعل وصاياه منهاج حياته الذي عزم أن يستمر فيه حتى النهاية، ويفضل كلمة الله على كل غنى العالم ومباهجه و«طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» (لو ١١: ٢٨).

وكل من يـنتمي للرب يـحبه ويـحفظ كلامه ويـطلب مرضاته ويبتغيها، ويقول: «لا أطلقك إن لم تباركني» (تك ٣٢: ٢٦)، ولا يـكف عن طلب وجهه ورحمته، ويتفكَّر في طرقه فيفحص سـلوكه بـاستمرار قائلاً: «انظر إن كان فيَّ طريق باطل واهدني طريقاً أبدياً» (مز ١٣٩: ٢٤). «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضيـة أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز ١٩: ١٤). لقد وجد المرنم كنزه في وصايا الرب، فدفعه انتماؤه للصلاة والطلب من رب العطاء.

٥- **تمسُّك المرنم:** «حبال الأشرار التفَّت عليَّ، أما شريـعتك فلم أنسـها. في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك. رفيـقٌ أنا لكل الذين يتَّقونك ولحافظي وصاياك. رحمتك يا رب قد ملأت الأرض. علِّمني فرائضك» (آيـات ٦١-٦٤). لم يـكن المرنم في وضع مريح، لأن حبال الأشرار التفّت عليـه مثل الفخ أو الشبكة التي ألقوها عليه لتكون مشنقة يخنقونه بها. إنهم يريدونه سـجيناً أو ميتاً. ولكنه في هذه جميعها يؤكد أنه لم ينسَ شريعة الرب، بل تمسـك بها، ولم يكف عن طلب وجه الرب والسـلوك في طاعته، وشعاره: «الأشرار وضعوا لي فخاً، أما وصاياك فلم أضل عنها» (مز ١١٩: ١١٠). وفي منتصف الليل، بينما كان الناس نائمين اسـتيقظ هو ليسـجد على ركبتيه ليمجد الـرب على أحكامه، لأنه كان واثقاً أنه سينصفه لأنه إله عادل. لم يهتم بأن يراه أحد، لكنه قدّم شكره لأبيه السـماوي الذي يرى في الخفاء ويجازيه علانية. ومثالنا في الصلاة هو المسيح الذي كان يقوم باكراً جداً للصلاة (مر ١: ٣٥) ويقضي الليل كله في الصلاة (لو ٦: ١٢).

وأدَّى تمسك المرنم بكلمة الله إلى تمسكه بالمؤمنين ووجد فيهم مسرته، كما قيل: «القديسون الذين في الأرض والأفاضل، كل مسـرتي بهم» (مز ١٦: ٣). وعندما يـتمسـك المؤمنون بكلمة الرب، ويـحبون بعضهم بعضاً تمتلئ الأرض من رحمة الرب الذي «يحب البر والعدل. امتلأت الأرض من رحمة الرب» (مز ٣٣: ٥).

ثالثاً - الشكر على الاستجابة
(آيات ٦٥-٨٠)

١ - **شكر على خير الرب:** «خيـراً صنعت مع عبدك يا رب حسـب كلامك. ذوقاً صالحاً ومعرفةً علِّمني لأني بوصاياك آمنت. قبل أن أذلل أنا ضللت، أما الآن فحفظت قولك» (آيات ٦٥-٦٧). يرفع المرنم شكره لأن الرب أعطاه خيـراً، وكل ما يـصنعه الرب مع عبيده هو للخير. المرض للخير. ابتعاد الأصدقاء للخير. الخسارة خير. «قولوا للصديق خير» (إش ٣: ١٠). لا شك أن اختبار الضيق أليـم، لكن إن كان الله معنا فمن علينا؟ (رو ٨: ٣١). ولأن الله وهب المرنم خيراً يطلب منه حكمة

ليستخدم هذا الخير ليقود إلى خير أكبر «لأن كل من له يُعطى فيزداد» (مت ٢٥: ٢٩). والحكمة هي الـذوق الصالح، والقدرة على التمييز بين الخير والشر، وتعليم الآخرين أن يذوقوا وينظروا ما أطيب الـرب (مز ٣٤: ٨)، لأن «كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة في كلام البر لأنه طفل. وأما الطعام القوي فللبالغين، الذين بسـبب التمرّن قد صارت لهم الحواس مدرّبة على التمييز بين الخير والشر» (عب ٥: ١٣، ١٤). فنطيـع الوصية: «خذوا تأديبي لا الفضة، والمعرفة أكثر من الذهب المختار. لأن الحكمة خير من اللآلئ وكل الجواهر لا تساويها» (أم ٨: ١٠، ١١).

ويذكر المرنم اختباراً سـابقاً، فقد ضلَّ عن الرب فأدّبه، فقال: «أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيـتي» (مز ٣٢: ٥). وليـس لدى الله أولاد لا يخطئون، ولكن كل أولاده يتوبون، ويقولون: «إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. أحتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه» (مي ٧: ٨، ٩). ولا يجب أن ندين المخطئ، بل أن نصلي لأجله. «هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيُثبَّت، لأن الله قادر أن يثبته» (رو ١٤: ٤).

٢- شكر على صلاح الرب: «صالحٌ أنت ومحسـن. علِّمني فرائضك. المتكبرون قد لفَّقوا عليَّ كذباً، أمـا أنا فبكل قلبي أحفظ وصاياك. سمن مثل الشحم قلبهم، أما أنا فبشريعتك أتلذذ. خيرٌ لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك. شريـعة فمك خيـرٌ لي من ألوف ذهب وفضة» (آيات ٦٨-٧٢). يكرر المرنم شـكره لله إله العطاء لأنه صالح ومحسن. هو صالح في ذاته ومحسن لخلائقه. والصلاح في الإنسان صفة أو عطيـة، لكنه في الله جوهر، وليـس أحدٌ صالحاً إلا واحد، وهو الله (مر ١٠: ١٨). وتشهد إحسـانات الله بأنه صالح. «لم يترك نفسـه بلا شاهد، وهو يفعل خيراً، يعطينا من السـماء أمطاراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاماً وسروراً» (أع ١٧: ١٤). قد يُحسن الإنسان إلى شخص يحبه، أما الله فيحسن إلى من لا يستحق. قال المسيح: «فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جـيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات. يهب خيرات للذين يسألونه» (مت ٧: ١١). لقد أحسن الآب السـماوي إلى المرنم بأن أنعم عليه بالتبني (يو ١: ١٢)، ثم أعطاه كل ما يحتاج إليه (مز ٢٣: ١)، فقرر أن يـطيـع الله بكل قلبه وأن يتلذّذ بالأُنس به، رغم أنه محاطٌ بأشرار يختلقون الأكاذيب ضـده، وهم متكبرون وكاذبون، يبدو كما لو أن قلوبهم مغلَّفة بطبقة من الشحم فلا تؤثر فيها الحقائق الروحية. ويشكر المرنم الرب على متاعبه، لأنها جعلته يتمسـك بالرب ويعتمد عليه أكثر مما فعل في الماضي، فيقول: «خيـرٌ لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك». لقد رأى أن «الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكية» (رو ٥: ٣)، وعلم أن خفَّة ضيقته الوقتية تنشئ له أكثر فأكثر ثِقل مجد أبدياً (٢كو ٤: ١٧)، واعترف أن شريعة الله أفضل من كل الغِنى. وليس هناك عيب في امتلاك الذهب أو الفضة، ولكن الخطأ في أن تحتلَّ هذه مكان الشريعة في قلب الإنسان، أو في إن كان مصدرها حراماً.

٣- **شكر على أعمال الرب:** «يـداك صنعتاني وأنشأتاني. فهّمني فأتعلّم وصاياك. متّقوك يرونني فيـفرحون لأني انتظرت كلامك. قد علمت يـا رب أن أحكامك عدل، وبالحق أذللتني» (آيات ٧٣-٧٥). يـشكر المرنم ربّه لأنه خلقه، كما قال أيوب: «يداك كوّنتاني وصنعتاني كلي جميعاً» (أي ١٠: ٨)، وكما قال المرنم: «لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنعتُ في الخفاء ورُقمتُ في أعماق الأرض. رأت عيناك أعضائي، وفي سِـفرِك كلها كُتبت يوم تصوَّرت إذ لم يكن واحد منها» (مز ١٣٩: ١٥، ١٦). قال موســى في نشيده، بعد كتابة التوراة: «أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عملك وأنشأك» (تث ٣٢: ٦).. ولما يـسـقط المؤمن في الخطية ويضل يُعيد الله خلقه إناءً جديداً كما يفعل الفخاري (إر ١٨).. بالولادة الأولى دخلنا عالم الجسـد، والمولود من الجسد جسد هو. وبالولادة الثانية ندخل عالم الروح، لأن المولود من الروح هو روح «لأننا نحن عمله، مخلوقيـن في المسـيح يسـوع لأعمال صالحة، قد سـبق الله فأعدها لكي نسـلك فيها» (أف ٢: ١٠). وكثيراً ما يسـمح الله بالذل والتعب للإنسـان ليقرّبه إليه، كما قال موسـى لشعبه: «وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك.. لكي يذلك ويجربك ليعرف ما في قلبك: أتحفظ وصاياه أم لا؟ فأذلك وأجاعك وأطعمك.. لكي يعلمك» (تث ٨: ٢، ٣). وهكذا تعلّم المرنم أن أحكام الرب عادلة، وأنه إن أذلّه سـيكون هذا بالحق والعدل، وسـيـنتج له كل الخير. «عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤ ١٥: ٣).

٤- **شكر على رحمة الرب:** «فلْتصِر رحمتك لتعزيـتي حسـب قولك لعبدك. لتأتني مراحمُك فأحيا لأن شريـعتك هي لذتي» (آيتا ٧٦، ٧٧). يعود المرنم ثانية ليطلب الرحمة الإلهية وتحقيق المواعيد الإلـهية العامة لكل شعب الرب، والخاصة به هو «حسب قولك لعبدك» ويسأل التعزية نتيجةً لمراحم الرب التي هي جديـدة كل صباح (مرا ٣: ٢٣)، فإن «الله أميـن. الذي لا يدعكم تجرَّبون فوق ما تسـتطيعون، بل سـيجعل مع التجربة المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١كو ١٠: ١٣). حقاً «كإنسان تـعزيه أمه هكذا أعزّيكم أنا» (إش ٦٦: ١٣). «حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً. وأحوِّل نوحهم إلى طرب، وأعزيـهم، وأفرحهم من حزنهم. وأروي نفس الكهنة من الدسـم، ويشبع شعبي من جودي يقول الرب» (إر ٣١: ١٣، ١٤). «من أجل اسـمك يا رب تحييني. بعدلك تُخرج من الضيق نفسي» (مز ١٤٣: ١١).

٥ - **شكر على نصر الرب:** «ليـخزَ المتكبرون لأنهم زوراً افتروا عليّ، أما أنا فأناجي بوصاياك. ليـرجع إليّ متّقوك وعارفو شهاداتك. ليكن قلبي كاملاً في فرائضك لكيلا أخزى» (آيات ٧٨-٨٠). يـثق المرنم أن الله سـيـنصره، فيخزى أعداؤه الأشرار الذين افتروا عليه زوراً. ولعل المرنم كان

يذكر النصر الذي منحه الله لداود وقت انقلاب أبشالوم ابنه عليه، فخزي كل من قام ضد داود، وبقي داود ملكاً ينشد لله تراتيل الفرح والشكر، فرجع الأتقياء إلى الله يسبحونه ويشكرونه على انتصار الحق وهزيمة الباطل. وعاد المرنم يطلب ما طلبه داود: أن يكون قلبه كاملاً حتى يستمر انتصاره ولا يخزيه أحد. لقد علم أن المتكبرين افتروا عليه زوراً وأبغضوه بلا سبب، وبدل محبته كافأوه شراً، ولكن الرب أكرمه. وهو يريد أن يكرم الرب بأن يكون قلبه كاملاً. والكمال هنا هو كمال النية لا الكمال المطلق. وينوي المرنم بكل قلبه أن يخدم الرب وأن يعبده، فلا يخجل منه، لأنه «إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه» (١يو ٣: ٢١، ٢٢).

الجزء الثالث

الرب إله الإنقاذ

(آيات ٨١-١٢٨)

(ك) ٨١ تاقت نفسي إلى خلاصِك. كلامَك انتظرتُ. ٨٢ كلّت عيناي من النظر إلى قولك، فأقولُ: «متى تعزّيني؟». ٨٣ لأني قد صرتُ كزِقٍّ في الدُّخان. أما فرائضُك فلم أنسَها. ٨٤ كم هي أيامُ عبدِك؟ متى تُجري حُكماً على مضطهديَّ؟ ٨٥ المتكبّرون قد كَرُوا لي حفائر. ذلك ليس حسب شريعتِك. ٨٦ كلُّ وصاياك أمانةٌ. زوراً يضطهدونني. أعنّي. ٨٧ لولا قليلٍ لأفنوني من الأرضِ. أما أنا فلم أتركْ وصاياك. ٨٨ حسب رحمتِك أحْيني فأحفظَ شهاداتِ فمِك.

(ل) ٨٩ إلى الأبد يا ربُّ كلمتُك مُثبَّتةٌ في السماوات. ٩٠ إلى دورٍ فدور أمانتُك. أسستَ الأرضَ فثبَتتْ. ٩١ على أحكامك ثبَتَتِ اليومَ لأن الكلَّ عَبيدُك. ٩٢ لو لم تكن شريعتُك لذتي لهلكْتُ حينئذٍ في مذلّتي. ٩٣ إلى الدهرِ لا أنسى وصاياك لأنك بها أحييْتَني. ٩٤ لك أنا فخلّصني لأني طلبتُ وصاياك. ٩٥ إياي انْتَظرَ الأشرارُ ليهلكوني. بشهاداتك أفْطَنُ. ٩٦ لكلِّ كمالٍ رأيتُ حداً، أما وصيّتك فواسعةٌ جداً.

(م) ٩٧ كم أحببتُ شريعتك. اليومَ كله هي لَهَجي. ٩٨ وصيتُك جعلَتْني أحكمَ من أعدائي لأنها إلى الدهرِ هي لي. ٩٩ أكثرَ من كل معلّميَّ تعقّلتُ لأن شهاداتك هي لهَجي. ١٠٠ أكثرَ من الشيوخِ فَطِنْتُ لأني حفظتُ وصاياك. ١٠١ من كلِّ طريقِ شرٍّ منعتُ رجليَّ لكي أحفظَ كلامَك. ١٠٢ عن أحكامِك لم أمِلْ لأنك أنت علّمتني. ١٠٣ ما أحلى قولَك لحنكي! أحلى من العسلِ لفمي! ١٠٤ من وصاياك أتفطّن. لذلك أبغضتُ كلَّ طريقِ كذبٍ.

(ن) ١٠٥ سراجٌ لرجلي كلامُك ونورٌ لسبيلي. ١٠٦ حلفتُ فأبِرُّهُ أن أحفظَ أحكامَ برِّك. ١٠٧ تذلّلتُ إلى الغاية. يا ربُّ أحيِني حسب كلامك. ١٠٨ ارْتَضِ بمندوبات فمي يا ربُّ، وأحكامَك علّمني. ١٠٩ نفسي دائماً في كفّي. أما شريعتُك فلم أنسها. ١١٠ الأشرارُ وضعوا لي فخاً، أما وصاياك فلم أضلّ عنها. ١١١ وَرِثتُ شهاداتك إلى الدهر لأنها هي بهجةُ قلبي. ١١٢ عَطَفتُ قلبي لأصنعَ فرائضَك إلى الدهر، إلى النهاية.

(س) ١١٣ المتقلّبين أبغضتُ، وشريعتك أحببتُ. ١١٤ سِتْري ومِجنّي أنت. كلامَك انتظرتُ. ١١٥ انصرفوا عني أيها الأشرارُ فأحفظَ وصايا إلهي. ١١٦ اعضُدْني حسب قولك فأحيا، ولا تُخْزِني مِن رجائي. ١١٧ أسْنِدني فأخْلُصَ وأراعيَ فرائضك دائماً. ١١٨ احتقرتَ كلَّ الضالين عن فرائضك لأن مكرَهم باطلٌ. ١١٩ كزغلٍ عزلتَ كلَّ أشرار الأرض. لذلك أحببتُ شهاداتك. ١٢٠ قد اقشعرَّ لحمي من رُعْبك، ومن أحكامك جَزِعْتُ.

(ع) ١٢١ أجريتُ حُكماً وعدلاً. لا تُسْلِمْني إلى ظالميَّ. ١٢٢ كُن ضامنَ عبدِك للخيرِ لكي لا يظلمَني المستكبرون. ١٢٣ كلّت عيناي اشتياقاً إلى خلاصك وإلى كلمة برِّك. ١٢٤ اصنعْ مع عبدِك حسب رحمتِك، وفرائضَك علّمني. ١٢٥ عبدُك أنا. فهِّمني فأعرفَ شهاداتِك. ١٢٦ إنه وقتُ عملٍ للرب. قد نقضوا شريعتَك. ١٢٧ لأجل ذلك أحببتُ وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. ١٢٨ لأجل ذلك حَسِبْتُ كل وصاياك في كلِّ شيءٍ مستقيمةً. كلَّ طريقِ كذبٍ أبغضتُ.

في هذا الجزء نجد،

أولاً – تعب المرنم من أعدائه (آيات ٨١–٩٦)

ثانياً – انتظار الإنقاذ الإلهي (آيات ٩٧–١١٢)

ثالثاً – المضطهد يحب الرب ويخدمه (آيات ١١٣–١٢٨)

أولاً - تعب المرنم من أعدائه (آيات ٨١-٩٦)

١ – المرنم مضطهَد: (آيات ٨١–٨٨).

(أ) طال اضطهاده: «تاقت نفسي إلى خلاصك. كلامك انتظرت. كلّت عيناي من النظر لقولك، فأقول: متى تعزيني؟» (آيتا ٨١، ٨٢). في شدة متاعب المرنم تاق إلى خلاص إلهه وانتظر الإنقاذ بصبر وشوق. وبسبب شدة انتظار المرنم للخلاص ضعُف وصار بلا قوة. ولكن بالرغم من هذا بقي ثابتاً، يتطلع إلى الله ويطالع كلمته العامرة بالمواعيد الثمينة. ولما لم تتحقق بسرعة سأل: «متى تعزيني؟».

والإجابة الإلهية هي أن هناك ميعاداً لكل شيء يجب أن ينتظره، ولا بد أن يجيء الخلاص ولا يتأخر (حب ٢: ٣). وهو واثق أن منتظري الرب يجددون قوة (إش ٤٠: ١٣).

(ب) **صار كزق في الدخان**: «لأني قد صرت كزقٍ في الدُّخان، أما فرائضك فلم أنسها» (آية ٨٣). الزق هو القِربة التي يحفظون فيها الخمر. وتحتمل العبارة أحد معنيين: إما أن المرنم يشبِّه نفسه بقربةٍ فارغة من الخمر عُلِّقت في السقف فاسودّ لونها وجفت وتشققت من الدخان الناتج عن احتراق الأخشاب المستعملة للتدفئة والطهي، ففقدت منظرها وقيمتها، لأنها بلا استعمال.. أو أنه يشبِّه نفسه بالزق الذي وُضع فيه خمر وعُلِّق في الدخان ليصلح طعم الخمر الذي فيه. فيكون المعنى أن الله سمح باضطهاد المرنم ليُصلح من أمره. ومع أنه زق في الدخان إلا أنه لم ينس فرائض الرب، فرأى الخير الناتج من متاعبه، فإن «كل تأديب في الحاضر لا يُرى أنه للفرح بل للحزن. وأما أخيراً فيعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام» (عب ١٢: ١١).

(ج) **قصر عمره**: «كم هي أيام عبدك؟ متى تُجري حكماً على مضطهديَّ؟» (آية ٨٤). يقول المرنم إن عمره القصير يجري سراعاً دون أن يرى إنقاذ الله وعقاب الأشرار. «أيام سنينا هي سبعون سنة. وإن كانت مع القوة فثمانون» (مز ٩٠: ١٠). فإن قضى أغلبها مضطهداً، فماذا سيبقى له؟ إنه خائف أن ينتهي عمره قبل أن ينجو من مضطهديه، ويسأل الله أن يصدر أحكامه العادلة عليهم حتى يدفعوا ثمن أخطائهم، فهو الديان العادل «المُجري حكما للمظلومين.. الرب يطلق الأسرى» (مز ١٤٦: ٧).

(د) **شرور مضطهديه**: «المتكبرون قد كَرَوْا لي حفائر وذلك ليس حسب شريعتك. كل وصاياك أمانة. زوراً يضطهدونني. أعنّي. لولا قليل لأفنوني من الأرض، أما أنا فلم أترك وصاياك. حسب رحمتك أحيني فأحفظ شهادات فمك» (آية ٨٥-٨٨). المتكبرون هم الذين لا يتواضعون تحت يد الرب القوية، ويقاومون تعاليمه، ويضعون العثرات في طريق الصدِّيقين ويحفرون لهم الحُفر. ولكن المرنم يدرك أن كل وصايا الله أمينة، تقوده إلى طرق آمنة، كما أنها أمانة في عنقه يجب أن يحفظها، ويعرف أن الرب أمين لوعوده، ولا بد أن ينقذ المضطهدين المظلومين، فيقول: «من المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليّ» (مز ١٩: ١٣)، ويقول: «هيأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدامي حفرة. وسقطوا في وسطها» (مز ٥٧: ٦). وهذا ما حدث مع إرميا الذي قال أعداؤه عنه: «هلم فنفكر على إرميا أفكاراً.. فنضربه باللسان ولكل كلامه لا نصغ». فصلى: «أصغِ لي يا رب واسمع صوت أخصامي. هل يُجازى عن خير بشر؟ لأنهم حفروا حفرة لنفسي. اذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير لأردَّ غضبك عنهم» (إر ١٨: ١٨-٢٠). وعندما تدرك رحمة الله المرنم يقول: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك» (مز ١٣: ٥).

٢ - المضطهَد متعلّق بالوصايا: (آيات ٨٩-٩٦).

(أ) لأنها ثابتة: «إلى الأبد يا رب كلمتك مثبّتة في السـماوات. إلى دور فدور أمانتك. أسّسـت الأرض فثبتت. على أحكامك ثبتت اليـوم، لأن الكل عبيدك» (آيات ٨٩-٩١). كلمة الله هي رسـالة محبته للبشر، وهي ثابتة ثبوت محبة الله، لأنها جاءت من السـماوات، وهي عالية مثل السـماوات، ويحافظ عليها رب السماوات، ولا يمكن لأحد أن يغيّر منها شيئاً. قال المسيح: «إلى أن تزول السماء والأرض لا يـزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس» (مت ٥: ١٨)، وقال أيضاً: «كلامي لا يزول» (مت ٢٤: ٣٥) وقال الرسـول بطرس: «كل جسـد كعشب، وكل مجد إنسان كزهر عشب. العشب يـبس وزهره سـقط، وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد» (١بط ١: ٢٤، ٢٥). وكل من يرى النجوم ثابتة في السماء، والأرض ثابتة في مدارها يعلم أن قوانين الله الطبيعية ثابتة لا تتغير، ويتأكد أن الله يـحفظ كلمته فلا تعبث بها يد بشر كما كان لوحا الوصايا العشر محفوظين في تابوت العهد. ويحفظ الله وعوده لأتقيائه فلا يستطيع عدو أن يؤذيهم لأنهم متمسكون بها.

(ب) لأنها محيـية: «لو لم تكن شريـعتك لذتي لهلكتُ حيـنئذ في مذلتي. إلى الدهر لا أنسـى وصايـاك لأنك بها أحيـيتني. لك أنا فخلّصني لأني طلبت وصاياك. إياي انتظر الأشرار ليهلكوني. بشهاداتك أفطن» (آيـات ٩٢-٩٥). اجتمع الأعداء على المؤمن المضطهَد وافتروا عليـه كل كذب. وكـان يمكن أن يهلكوه لولا أنه تمسك بشريعة الرب وثبت في طمأنينة الوعود الإلهية، فصارت كلمة الله الحية سـبب حياة روحية وجسدية له. كان الأشرار يجدون لذّتهم في شرورهم، ولكنه اختبر اللذة والشبع والسرور في كلمة الله التي طلبها وتمسك بها ولم ينسها، فملأت نفسه بالطمأنينة، وجعلته واثقاً في إلـهه يـطلـب منه الخلاص والإنقاذ بناءً على وعوده الصالحة. «عند كثرة همومي في داخل تعزياتك تلذذ نفسـي» (مز ٩٤: ١٩). عندما يمرض المؤمن أو يصيبه الألم أو يفقد عزيزاً يلجأ إلى الكلمة المعزيـة، ويـقول: «إذا سـرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي. عصاك وعـكازك هما يعزيانني» (مز ٢٣: ٤). وعندما يشعر بالوحدة بالرغم من كثرة الموجودين حوله يجد الـرب ملجأ وحصناً، فيقول: «طلبت إلى الرب فاستجاب لي ومن كل مخاوفي أنقذني» (مز ٣٤: ٤)، لأنه يـثق في وعد المسـيح: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). لقد أطاع المرنم وصية الرب: «فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها إنسـان يحيا. أنا الرب» (لا ١٨: ٥)، ووصيـة الحكيـم: «يا ابني لا تنسَ شريعتي، بل ليحفظ قلبك وصاياي» (أم ٣: ١)، فتحقق له الوعد: «لأنه تعلق بي أنجيه. أرفّعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (مز ٩١: ١٤-١٦).

(ج) **لأنها واسعة**: «لكل كمال رأيت حداً، أما وصيتك فواسعة جداً» (آية ٩٦). كل أمجاد الإنسان وغناه وحكمته وقوته محدودة وسريعة الزوال، وكل كمال إنساني ناقص، ولا يوجد شيء في أرضنا وصل حدّ الكمال، ولكل قرار نتّخذه حسنات وسيئات. ويقول الوحي: «إنما باطل بنو آدم. كذب بنو البشر. في الموازين هم إلى فوق» (مز ٦٢: ٩). أما كلمة الله فمُحكمة لا نقص فيها، وسعت كل ما يخص حياتنا الإيمانية، فقد أعلنت لنا طريق الخلاص بوضوح، وعلّمتنا كيف تكون لنا صلة شخصية بالله. إنها ترينا شروط الحصول على الغفران وشروط استجابة الصلاة. صدق المرنم: «أحكامك لجّة عظيمة» (مز ٣٦: ٦)، وما أحوجنا إلى وعد الله: «أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨). إن كنت تخاف من الشهادة للمسيح فإن الكلمة تعطيك الإلهام والشجاعة، وإن كنت تخاصم من أساء إليك ترشدك كيف تتصالح معه، وإن كنت مهموماً تفتح لك طريق الفرح، وإن كنت تمر بضائقة مالية تطمئنك أن لك عند إلهك مخرجاً. في كل موقف تجد أن كلمة الله واسعة جداً. وعظيم هو المؤمن الذي يدرس الكلمة، وبائس من يهملها، فالكتاب المقدس يبعدك عن الخطية، والخطية تبعدك عنه.

ثانياً - انتظار الإنقاذ الإلهي
(آيات ٩٧-١١٢)

١ - **بأن منحه حكمة التصرُّف**: (آيات ٩٧-١٠٤).

(أ) **حكمة متزايدة**: «كم أحببت شريعتك! اليوم كله هي لهجي. وصيتك جعلتني أحكم من أعدائي، لأنها إلى الدهر هي لي. أكثر من معلمي تعقّلت، لأن شهاداتك هي لهجي. أكثر من الشيوخ فطنت لأني حفظت وصاياك» (آيات ٩٧-١٠٠). لم يقدر المرنم أن يصف عمق محبته لكلمة الله فقال: كم أحببت! كانت محبته لكلمة الله صدى محبة الرب له وجمال وكمال إعلاناته «أما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء» (١تي ١: ٥). وقد انتظر المرنم إنقاذ الرب لأنه منحه الحكمة، فصار أحكم وأعقل وأفطن من كل أعدائه مجتمعين. كانوا في الظاهر أقوى منه، لكن الحقيقة هي أنه صار أقوى منهم لأن «شهادات الرب صادقة تصيِّر الجاهل حكيماً» (مز ١٩: ٧). صار المرنم أكثر تعقلاً ممن علموه فنون الحرب بعد أن درس الكلمة، وأصبح أكثر فطنة من الشيوخ الذين علمتهم الحياة وعركتهم، لأن وصايا الله كانت كتابه المدرسي، والرب نفسه هو معلمه، فجاءته الحكمة من مصدر أعلى. قال المسيح: «أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال» (لو ١٠: ٢١). وقال الرسول يعقوب:

«إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيِّر، فسيعطى له» (يع ١: ٥).

(ب) **حكمة البُعد عن الشر**: «من كل طريق شرٍّ منعت رجليَّ لكي أحفظ كلامك. عن أحكامك لم أمِل لأنك أنت علَّمتني» (آيتا ١٠١، ١٠٢). لكي ينقذ الله التقي المضطهَد من مضطهديه جعله يبتعد عن الشر، لأن الشر يضعف القوي، وهو الثغرة التي ينفذ إليه العدو من خلالها. لقد منع المرنم رجليه عن طريق الأشرار، ولم يمِل عن الطريق المستقيم لأن الله علمه: «لا تمل يمْنة ولا يسْرة. باعد رجلك عن الشر» (أم ٤: ٢٧)، فقال: «بكلام شفتيه أنا تحفَّظت من طرق المعتنف» (مز ١٧: ٤). وصلى: «علمني يا رب طريقك، أسلك في حقك» (مز ٨٦: ١١).

(ج) **حكمة التلذُّذ بالكلمة**: «ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي، من وصاياك أتفطن، لذلك أبغضت كل طريق كذب» (آيتا ١٠٣، ١٠٤). لكي ينقذ الله المؤمن المضطهَد منحه معرفة جمال كلمة الرب. إنها الموسيقى السماوية التي تبدو كل موسيقى العالم أمامها نشازاً. ولم يستمع المرنم فقط إلى الكلمة، بل تغذى بها وتلذذ وشبع، فأبغض كل طريق كذب، لأنه «إذا دخلت الحكمة قلبك ولذَّت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك» (أم ٢: ١٠، ١١). وأعطته الكلمة قلباً صالحاً فأبغض الكذب لأنه طريق خاطئ، حتى إن ظهر لكثيرين أنه نافع.

٢ - **بأن نوَّر عليه**: (آيات ١٠٥-١١٢).

(أ) **نور الكلمة**: «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (آية ١٠٥). ينقذ الرب المرنم بأن يشرق عليه بالنور، ويمنحه مصباحاً (سراجاً)، لأن «الوصية مصباح والشريعة نور» (أم ٦: ٢٣)، ويكون عنده طريق (سبيل) تسير فيه قدماه، فيهديه إلى سبل البر من أجل اسمه (مز ٢٣: ٣). وبالمصباح يستنير «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور» (أف ٥: ٨). وبهذا يتأكد أنه يسير واثقاً مطمئناً في طريق الرب الذي يرشده. ونحن نضيء السراج ليلاً، والليل وقت المتاعب والاضطهادات «وعندنا الكلمة النبوية، وهي أثبت، التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢بط ١: ٩). ونحن نستنير بالكلمة المكتوبة، كما نستنير بالكلمة الحي، فقد قال المسيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢).

(ب) **نور الأمانة**: «حلفت فأبرُّه: أن أحفظ أحكام برك. تذللت إلى الغاية. يا رب أحيني حسب كلامك» (آيتا ١٠٦، ١٠٧). عندما يستنير المؤمن بكلمة الله يبر بأقسامه وينفذها ويدافع عن صحتها، ويضع نفسه تحت التزاماتها فيتمم ما تعهد به. «يحلف للضرر ولا يغيِّر» (مز ١٥: ٤) بمعنى أنه ينفذ وعوده حتى لو عاد هذا عليه بالضرر. لقد حلف المرنم وتعهد أن يكون مطيعاً لله، واحتمل في

سبيل هذه الطاعة كل اضطهاد وتعب، وهو يطلب من إلهه أن يعينه ليحيا بالأمانة، مهما كانت التكلفة، فيحيا حسب كلمة الرب، مطيعا للأمر: «اذبح لله حمدا، وأوفِ العليَّ نذورك» (مز ٥٠: ١٤).

(ج) **نور التعبُّد**: «ارتضِ بمندوبات فمي يا رب، وأحكامك علمني. نفسي دائما في كفي، أما شريعتك فلم أنسها. الأشرار وضعوا لي فخا، أما وصاياك فلم أضلَّ منها» (آيات ١٠٨-١١٠). المندوبات هي ما يزيد عن مطالب الشريعة، وهي ذبائح الصلاة والتسبيح. لقد قام المرنم بما تطلبه الشريعة، ثم قدَّم عبادة غير مفروضة لأنه يحب الله. ولا زال يطلب من الله أن يعضده بروح منتدبة (مز ٥١: ١٢) وأن يعلِّمه المزيد من المندوبات ليقدمها بسرور ومحبة. كان اليهود يصلون ثلاث مرات في اليوم، وصلى المرنم ورنم دائما في المواعيد المحددة، وزاد عليها، اعترافا بإحسانات الرب، كما قيل: «خذوا معكم كلاما وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم، واقبل حسناً فنقدم عجول شفاهنا» (هو ١٤: ١٢). «فلنقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه. ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله» (عب ١٣: ١٥، ١٦). ولنردد مع الرسول بولس: «لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرحٍ سعيي، والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله» (أع ٢٠: ٢٤).

ولما كان المرنم عابدا بسرور ومنتدبا كرهه الأشرار ونصبوا له الفخاخ والأشراك. ولم يصبه هذا بأي يأس، بل زاده تمسُّكاً بشريعة إلهه، وهو يهتف: «مبارك الرب الذي لم يسلمنا فريسة لأسنانهم، إذ انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصياد. الفخ انكسر ونحن انفلتنا» (مز ١٢٤: ٦، ٧).

(د) **نور الطاعة**: «ورثتُ شهاداتك إلى الدهر لأنها هي بهجة قلبي. عطفتُ قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر، إلى النهاية» (آيتا ١١١، ١١٢). الميراث عزيز على الإنسان لأنه بركة من أبويه. وقد اعتزَّ المرنم بكلمة الله واعتبرها ميراثه الذي ناله بدون أن يتعب فيه، فلم يكن مستعدا أن يفرط فيه أبدا. وفي شرقنا من العار أن يضيع الإنسان ميراثه أو أن يبيعه. لقد كانت كلمة الله بهجة قلب المرنم لأنه أحبَّ قائلها، فحوَّل قلبه وعطَفَهُ عن كل ما يعطل استمتاعه بها، وظل يفعل هذا إلى المنتهى. لم يسمح لعواطفه أن تقوده إلى اتجاه خاطئ؛ فتحكَّم عقله في عواطفه ووجَّهها إلى الصواب. لقد أحب ربَّه فأحب أيضا وصاياه، لأنه يعلم أنه «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلا» (يو ١٤: ٢٣).

ثالثاً - المضطهَد يحب الرب ويخدمه
(آيات ١١٣-١٢٨)

في هذه الآيات يعبِّر المرنم عن احتمائه في ستر القدير الذي أنقذه من الأشرار، ويعد منقذه بأمرين:

١ - وعد أن يحب الله: (آيات ١١٣-١٢٠).

(أ) **بأن يبتعد عن الأشرار**: «المتقلِّبين أبغضت، وشريعتك أحببت. ستري ومجني أنت، كلامك انتظرت. انصرفوا عني أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهي» (آيات ١١٣-١١٥). الأشرار متقلبون،

ذوو رأيـــين، و«رجلٌ ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه» (يع ١: ٨) نصف قلبهم يتعبّد للرب والـنصف الآخر يتعبّد للعالم. إنهم بحسب وصف النبي إيليا لهم «يعرجون بين الفرقتين» (١مل ٢١: ١٨)، وبحسب وصف المسيح لهم «يخدمون سيدين» (مت ٦: ٢٤). أما المرنم فيعلن محبته لله وتمسكه بكلمته، فقرر أن يبتعد عن الشر والأشرار، عملاً بالنصيحة «لا تضلوا، فإن المعاشرات الرديـة تفسد الأخلاق الجيدة» (١كو ١٥: ٣٣). إنه يعلم أن الصحبة الشريرة تقود إلى الشر، و«طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً» (مز ١: ١-٣)، «لأنه أيـة خلطة للبر والإثم، وأية شركة للنور مع الظلمة؟.. وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟» (٢كو ٦: ١٤، ١٥). وكل من يريد أن يركض حسناً يجب أن يطرح كل ثقل والخطية المحيطة به بسهولة (عب ١٢: ١).

(ب) **بأن يزيد اعتماده على الله**: «اعضُدني حسب قولك فأحيا، ولا تُخزني من رجائي. اسندني فأخلُص وأراعي فرائضك دائماً. احتقرتَ كل الضالين عن فرائضك لأن مكرهم باطل. كزغلٍ عزلت كل أشرار الأرض، لذلك أحببت شهاداتك. قد اقشعرّ لحمي من رعبك، ومن أحكامك جزِعتُ» (آيات ١١٦-١٢٠). اعتمد المرنم على الرب الذي أحبّه، وطلب منه أن يزيد اعتماده عليه، وعبّر عن هذا بثلاث طلبات: «**اعضدني**» (آية ١١٦) بمعنى دعّمني وأيّدني، لأنه انتظر نعمة الله التي تكفيه. وقال: «**لا تخزني**» (آيـة ١١٦) لأنه يرجوه وينتظره، والذين «نظروا إليه استناروا ووجوههم لم تخجل» (مز ٣٤: ٥). وقال: «**اسندني**» (آيـة ١١٧) أي قف إلى جواري وارفعني حتى أحيا لك و«الرب يـقوّم المنحنين. الرب يحب الصدّيقين» (مز ١٤٦: ٨). و«في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧).. وعبّر عن رغبته في زيادة الاعتماد على الرب بثلاثة عهود: «**أراعي**» (آية ١١٧) أي أن يلتفت إلى فرائض الرب ويقول: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت» (مز ٤٠: ٨). «**أحببتُ**» (آيـة ١١٩) فيكون اعتماده على الله حباً ورغبةً «أحبك يا رب يا قوتي.الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلـهي صخرتي به أحتمي» (مز ١٨: ١، ٢). «**اقشعرّ لحمي.. جزعتُ**» (آيـة ١٢٠) فقد انتفض هلعاً وارتعب من غضب الله علـى الأشرار، لأنه «من يـقف أمام الـرب الإله القدوس هذا؟» (١صم ٦: ٢٠). وهذا الخوف المقدس من علامات التقوى، كما قال حبقوق: «يا رب قد سمعت خبرك فجزعت.. سمعت فارتعدت أحشائي. من الصوت رجفت شفتاي» (حب ٣: ٢، ١٦).. وفي زيادة اعتماده على الله علم أن الله يفعل أمرين: «**احتقرتَ كل الضالين**» (آية ١١٨) فالرب يحتقر الذيـن يحتقرون شريعته، وسيكون نصيبهم العار والازدراء الأبدي (دا ١٢: ٢).

«**عزلت كل أشرار الأرض**» (آية ١١٩) أي جعلت فاصلاً بين الأشرار والأبرار هنا في الدنيا، وكذلك في الآخرة، كما قال المسيح: «في وقت الحصاد أقول للحصادين: اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً ليُحرق. وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزني» (مت ١٣: ٣٠).

٢ - **الوعد بخدمة الله:** (آيات ١٢١-١٢٨).

وصف المرنم نفسه بلقب «عبدك» ثلاث مرات (آيات ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥) وهو يعد أن يكون له خادماً أميناً.

(أ) **يخدم بإجراء العدل:** «أجريتُ حكماً وعدلاً، لا تُسلِمْني إلى ظالميَّ. كن ضامناً عبدك للخير لكيلا يظلمني المستكبرون. كلَّت عيناي اشتياقاً إلى خلاصك وإلى كلمة برك» (آيات ١٢١-١٢٣). خدمة المجتمع هي خدمة لله، ومن يرحم الفقير يقرض الرب (أم ١٩: ١٧). والمرنم عبدٌ للرب، يفعل ما يأمر به الرب، ويتمثَّل بإلهه في إجراء العدل وعمل الخير. فإن كان داود هو صاحب هذه الكلمات يكون تقييمه لنفسه صحيحاً، لأن الوحي وصفه بالقول: «وملك داود على جميع إسرائيل، وكان داود يُجري قضاءً وعدلاً لكل شعبه» (٢صم ٨: ١٥). ويطالب المرنم أن يعامله الرب بمثل ما عامل هو به الآخرين، فيحكم له بالعدل ولا يسلِّمه لظالميه، ويدعوه أن يكون ضامنه للخير حتى يستمر في عمل الخير، وحتى لا يناله ظلم الظالمين، كما قال المرنم: «اصنع معي آية للخير فيرى ذلك مبغضيَّ فيخزوا، لأنك أنت يا رب أعنتني وعزيتني» (مز ٨٦: ١٧) وكما قال أيوب «كن ضامني عند نفسك» (أي ١٧: ٣). لقد تعلَّقت عينا المرنم بإله خلاصه، وظل يتطلَّع إليه منتظرا كلمته العادلة المنصفة حتى أُرهقَت عيناه من التطلع وانتظار تحقيق الوعد الإلهي له.

(ب) **يخدم بالعمل للرب:** «اصنع مع عبدك حسب رحمتك، وفرائضك علِّمني. عبدك أنا. فهِّمني فأعرف شهاداتك. إنه وقت عمل للرب. قد نقضوا شريعتك» (آيات ١٢٤-١٢٦). إنه «وقت عمل للرب» يدافع الرب فيه الرب عن كلمته ويعمل وسطنا، وهو أيضاً الوقت المناسب ليعمل فيه المرنم للرب لأنه عبده الذي يريد أن يخدمه. ولم يقُل المرنم: «قد نقضوا شريعتك. إنه وقت عمل للرب»، لأنه كان يركز عينيه على الرب أولاً، ثم على انتظاره أن يعمل الرب فيه بعد ذلك ليصلح الفساد الناتج عن نقض الشريعة. لم ينظر أولاً إلى الجانب المظلم من نقض الشريعة، بل نظر أولاً إلى إشراق عمل الله فيه وبواسطته، فأعلن وعده بخدمة الرب بكل تواضع، واعترف ببطء تفكيره، وسأل أن يطيل الله أناته عليه وهو يعلمه الفرائض ويفهِّمه الإعلانات الإلهية، وسأل أن يكون الرب رحيماً معه ليعيش الوصايا ويحياها قبل أن يؤدي خدمته للرب. ولم ير في نفسه استحقاقاً ولا قدرة، لكنه رأى الاحتياج الشديد، فقدَّم نفسه لخدمة الله بكل وداعة. فلنتعلم من المرنم الخدمة، وروح الخدمة، ونحن نسمع الرب يقول لنا: «يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي» (مت ٢١: ٢٨).

(ج) يخدم بالحياة التقية: «لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبتُ كل وصاياك في كل شيء مستقيمة. كل طريق كذب أبغضتُ» (آيتا ١٢٧، ١٢٨). بينما المرنم يفكر في خدمة الله ويعد أن يقوم بها رأى أن أساس الخدمة الناجحة المثمرة هو الحياة التقية، فيطيع الله طاعة كاملة قبل كل شيء، ويحب كلمته أكثر من محبته للمكسب، لأنها مستقيمة تجعل حياته صدقاً وحقاً بلا كذب ولا نفاق. وهي واجبة الطاعة، فيعمل المرنم بالكلمة ولا يكون سامعاً فقط خادعاً نفسه (يع ١: ٢٢).

الجزء الرابع
الرب إله الانتصار
(آيات ١٢٩-١٧٦)

(ف) ١٢٩ عجيبةٌ هي شهاداتُك لذلك حفظتْها نفسي. ١٣٠ فتحُ كلامِك ينير، يُعقّل الجهّال. ١٣١ فغَرْتُ فمي ولهثْتُ لأني إلى وصاياك اشتقْتُ. ١٣٢ التفتْ إليَّ وارحَمْني كحقِّ محبّي اسمِك. ١٣٣ ثبِّت خطواتي في كلمتك ولا يتسلّطْ عليَّ إثمٌ. ١٣٤ افْدِني من ظلم الإنسان فأحفظَ وصاياك. ١٣٥ أضئْ بوجهك على عبدِك وعلّمني فرائضَك. ١٣٦ جداولُ مياهٍ جَرتْ من عينيَّ لأنهم لم يحفظوا شريعتك.

(ص) ١٣٧ بارٌّ أنت يا ربُّ وأحكامُك مستقيمة. ١٣٨ عدلاً أمرتَ بشهاداتك وحقاً إلى الغاية. ١٣٩ أهلكَتْني غيرتي لأن أعدائي نسوا كلامك. ١٤٠ كلمتك ممحّصة جداً، وعبدُك أحبَّها. ١٤١ صغيرٌ أنا وحقيرٌ. أما وصاياك فلم أنسَها. ١٤٢ عدلُك عدلٌ إلى الدهر، وشريعتُك حقٌّ. ١٤٣ ضيقٌ وشدّةٌ أصاباني، أما وصاياك فهي لذّاتي. ١٤٤ عادلة شهاداتك إلى الدهر. فهّمني فأحيا.

(ق) ١٤٥ صرختُ من كل قلبي. استجب لي يا رب. فرائضَك أحفظُ. ١٤٦ دعوتُك. خلّصني فأحفظَ شهاداتِك. ١٤٧ تقدّمتُ في الصُّبح وصرختُ. كلامَك انتظرتُ. ١٤٨ تقدّمتْ عيناي الهُزُعَ لكي ألهجَ بأقوالك. ١٤٩ صوتيَ استمعْ حسب رحمتِك. يا ربُّ حسب أحكامِك أحْيِني. ١٥٠ اقتربَ التابعون الرذيلة. عن شريعتك بَعُدوا. ١٥١ قريبٌ أنت يا ربُّ، وكلُّ وصاياك حقٌّ. ١٥٢ منذ زمانٍ عرفتُ من شهاداتِك أنك إلى الدهر أسّستَها.

(ر) ١٥٣ انظرْ إلى ذُلّي وأنقِذني لأني لم أنسَ شريعتك. ١٥٤ أحسِن دعواي وفُكّني. حسب كلمتك أحْيِني. ١٥٥ الخلاصُ بعيدٌ عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضَك. ١٥٦ كثيرةٌ هي

مراحمُك يا ربُّ. حسب أحكامك أحْيني. ١٥٧ كثيرون مضطهديَّ ومضايقيَّ. أما شهاداتك فلم أمِلْ عنها. ١٥٨ رأيتُ الغادرين ومَقَتُّ لأنهم لم يحفظوا كلمتك. ١٥٩ انظرْ أني أحببتُ وصاياك. يا ربُّ حسب رحمتِك أحْيني. ١٦٠ رأسُ كلامك حَقٌّ، وإلى الدهر كلُّ أحكام عدلِك.

(ش) ١٦١ رؤساءُ اضطهدوني بلا سبب، ومِن كلامك جَزِعَ قلبي. ١٦٢ أبتهجُ أنا بكلامك كمَنْ وجد غنيمةً وافرة. ١٦٣ أبغضتُ الكذبَ وكرهتُه، أما شريعتُك فأحببتُها. ١٦٤ سَبْعَ مراتٍ في النهار سبَّحتُك على أحكام عدلِك. ١٦٥ سلامةٌ جزيلةٌ لمحبّي شريعتِك، وليس لهم مَعْثرة. ١٦٦ رجوتُ خلاصَك يا ربُّ، ووصاياك عَمِلْتُ. ١٦٧ حفظتْ نفسي شهاداتِك وأحبُّها جداً. ١٦٨ حفظتُ وصاياك وشهاداتِك لأن كلَّ طُرقي أمامك.

(ت) ١٦٩ ليبلُغْ صراخي إليك يا ربُّ. حسب كلامك فهِّمني. ١٧٠ لتدخُلْ طلبتي إلى حضرتِك. ككلمتِك نجِّني. ١٧١ تُنبِعُ شفتاي تسبيحاً إذا علَّمْتني فرائضك. ١٧٢ يغنِّي لساني بأقوالك لأن كلَّ وصاياك عدلٌ. ١٧٣ لتكُن يدُك لمعونتي لأنني اخترتُ وصاياك. ١٧٤ اشتقتُ إلى خلاصِك يا رب، وشريعتُك هي لذَّتي. ١٧٥ لتحْيَ نفسي وتسبِّحَك، وأحكامُك لتُعِنّي. ١٧٦ ضللتُ كشاةٍ ضالة. اطلُب عبدَك لأني لم أنسَ وصاياك.

في هذا الجزء نجد،

أولاً – المرنم يطلب الحياة المنتصرة (آيات ١٢٩-١٤٤)

ثانياً – المرنم يحيا الحياة المنتصرة (آيات ١٤٥-١٦٠)

ثالثاً – ثمرتان للحياة المنتصرة (آيات ١٦١- ١٧٦)

أولاً - المرنم يطلب الحياة المنتصرة

(آيات ١٢٩-١٤٤)

١- لأن الكلمة شجعته على ذلك: (آيات ١٢٩-١٣١).

ذكر المرنم ثلاثة أوصاف لكلمة الله التي أعانته ليحيا الحياة المنتصرة:

(أ) **هي عجيبة:** «عجيبة هي شهاداتك، لذلك حفظتها نفسي» (آية ١٢٩). طالع المرنم كتابات الأمم من حوله، ثم طالع توراة موسى، فرأى الفرق الشاسع بين ما قرأ من كتابات بشرية وبين الإعلان الإلهي الذي رآه فائقاً لأن الله مصدره، ولأنه يوضح محبة الله للبشر، ولأن تأثيره عميق وفعال، فإن كلمة الله تخترق أعماق الإنسان وتبكته على خطاياه. فإن تاب تؤكد له خلاصه وتعزيه وتشجعه، وهي كنز ثمين يجب حفظه في القلب، فتنصر المؤمن فلا يخطئ إلى الله (مز ١١٩: ١١).

(ب) **هي منيـــرة:** «فتْح كلامك ينير، يعقّل الجهّال» (آية ١٣٠). كان المرنم يفتح كلمة الله يومياً ويدرسها، فاستنارت عيناه ونال نوراً وفهماً، وعرف أن يفرّق بين الخير والشر، وحدّد لنفسه المسار الســـليم في الحياة. وهذا ما حدث مع تلميذي عمواس عندما التقى المسيح بهما، وفتح ذهنهما ليعرفا الكتب، فانفتحت أعيـنهما وعرفاه «فقال بعضهما لبعض: ألم يــكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتب؟» (لو ٢٤: ٣٢).

(ج) **هي مشـبعة:** «فغرتُ فمي ولهثتُ لأني إلى وصاياك اشتقتُ» (آية ١٣١). كلمة الله للمؤمن الـــمبتدئ مثل اللبن العقلي العديـم الغش (١بط ٢: ٢)، وهي مثل الغذاء المشبع للمؤمن المتقدّم في إيـمانه، كما قال النبي إرميـــا: «وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي» (إر ١٥: ١٦)، وكما اختبر النبي حزقيـــال عندما قال الرب له: «كُل ما تجده.. ففتحت فمي فأطعمني.. فصار في فمي كالعســـل حلاوة» (حز ٣: ١-٣). وعندما شبع المرنم من كلمة الرب تقوّى إيمانه واستطاع أن يحيا حياة الانتصار.

٢- لأن المرنم يريد ذلك: (آيات ١٣٢-١٣٨).

كان قلب المرنم مشتاقاً للحياة المنتصرة، وطلب خمسة أمور تنصره على الإثم:

(أ) **رحمة الله:** «التفِت إليّ وارحمني كحقِّ محبي اســمك» (آية ١٣٢). لا يوجد انتصار للمؤمن إن لم يدركه الله برحمته. وتحل رحمة الله على كل من يحب الاســم الحسن ويدعوه: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» (لو ١٨: ١٣).

(ب) **طاعة الـلـه:** «ثبِّت خُطواتي في كلمتك، ولا يتســلط عليّ إثم» (آية ١٣٣). ترك المســيح للمؤمنين مثالاً لكي يتّبعوا خُطواته (١بط ٢: ٢١)، وأعلن لهم خطوات ســـلوكهم في كلمته المقدسة. فإن هم سبــلكوا طريـــق الكلمة الحي، وكلمته المكتوبة ينتصرون على الإثم الذي يهاجمهم من خارج نفوسهم ومن داخلها. وإن سقط أحدهم وارتكب إثماً فإن كلمة الله تكشف له الخطأ وترشده إلى طريق الانتصار، لأن «مِن قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنســان.. إذا ســقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده» (مز ٣٧: ٢٣، ٢٤).

(ج) **الـفـداء الإلـهي:** «افدني من ظلم الإنسان فأحفظَ وصاياك» (آية ١٣٤). الفداء هو العتق والفك من الأســر والعبودية. وكل خاطئ مســـتعبد لخطاياه أو لظلم أخيه الإنسان لا ينتصر إلا بالفداء أو الفكاك الذي يقوم به الوليُّ الأقرب، كما قالت شريعة موســى (را ٤: ٦). ويعجز الإنســان أن يفدي نفســـه لأنه أسير، فلا يفدي المؤمن إلا الله «فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقب» (مز ٣٤: ٢٢)، وفاديـــهم من ظلم الإنســـان فيـــقولون: «لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا،

إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا» (مز ١٢٤: ٢، ٣).

(د) **الرضا الإلهي:** «أضئ بوجهك على عبدك وعلّمني فرائضك. جداول مياه جرت من عينيّ لأنهم لم يحفظوا شريعتك» (أيتا ١٣٥، ١٣٦). طلب المرنم من الرب أن يضيء الظلمة المحيطة به بنور رضاه، كما قال: «أضئ بوجهك على عبدك. خلّصني برحمتك» (مز ٣١: ١٦). وعندما يرضى الرب على المؤمن يعلّمه من كلمته، فيدرك مقدار عظمة محبة الله للخطاة، وكم هي فائقة المعرفة، فينتصر على كراهيته للظالم الذي يضطهده ويبكى على الخطاة البعيدين كما قال إرميا: «سكبت عيناي ينابيع ماء على سحق بنت شعبي» (مرا ٣: ٤٨)، وكما بكى المسيح على أورشليم، وقال لها: «لو علمتِ أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك» (لو ١٩: ٤٢، ٤٣).

(هـ) **العدل الإلهي:** «بار أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلاً أمرت بشهاداتك وحقاً إلى الغاية» (آيتا ١٣٧، ١٣٨). بعد أن تألم المرنم وبكى على ضلال الخطاة، طلب أن يسود العدل الإلهي مجتمعه وعالمه، لأن الله بار، وكلمته حق وعدل، وهو يبرر التائب اللاجئ إلى مراحمه. لقد تشجّع وطلب الانتصار لأن الله لا يمنع التعزية عن البار، بل يعلمه البر والاستقامة. «إن علمتم أنه بار هو فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه» (ايو ٢: ٢٩). ويقول المرنم إن الله يريد له الانتصار، وهو يريد أن يسير في طاعة الرب، لأن إرادة الله هي قداستكم (اتس ٤: ٣).

(٣) **لأنه غيور ضد الشر:** (أيات ١٣٩-١٤٤).

(أ) **غيرته سببت له المتاعب:** «أهلكتني غيرتي لأن أعدائي نسوا كلامك. كلمتك ممحّصة جداً وعبدك أحبها. صغير أنا وحقير، أما وصاياك فلم أنسها» (أية ١٣٩-١٤١). عندما رأى المرنم شر الأشرار غار على كلمة الله وعلى تنفيذ وصاياه وتوجّع قلبه، كما غار المسيح وهو يرى بيت الله يتحوّل إلى بيت تجارة وإلى مغارة لصوص، فقال: «غيرة بيتك أكلتني» (يو ٢: ١٧). ولقد اعتبر المرنم من نسي كلام الله عدواً له لأنه عدوٌّ لله ومبغضٌ لكلمته، مع أن الكلمة ممحّصة أي أنها نقية كالذهب المصفى، لا زغل فيها مطلقاً «كلام الرب كلام نقي كفضة مصفاة في بوطة في الأرض ممحوصة سبع مرات» (مز ١٢: ٦). ولأن المرنم حفظ الشريعة، صار صغيراً وحقيراً في أعين الناس، لكن هذا لم يعطله عن طاعة الله، وقد قال المسيح: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. العالم يحب خاصته.. لأنكم لستم من العالم.. لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥: ١٨، ١٩).

(ب) **تمسك بالكلمة بالرغم من المتاعب:** «عدلك عدل إلى الدهر وشريعتك حق. ضيق وشدة أصاباني أما وصاياك فهي لذاتي. عادلة شهاداتك. إلى الدهر فهّمني فأحيا» (أيات ١٤٢-١٤٤).

عدل الله لا يـــتغير كما أن الله ليس عنده تغيير ولا ظل دوران، وكلمته باقية إلى الدهر والأبد لأنها شريعة الحق التي لا تتغير. إنها شريعة للســلوك ومرشد للحياة وطريق للســعادة. وقد طلب المرنم بالرغم من كل المتاعب أن يفهم هذه الكلمة أكثر، بالرغم من أن طاعتها ســبَّبت له الضيق والشدائد من الأشرار. إنه غيور ضد الخطأ، ولم يكن مســـتعداً أن يتنازل عن مبادئه ليحوز رضى الأشرار، فكان تمسكه بكلمة الله مصدر متاعب له. ونحن أيضاً يجب أن نطلب الفهم الروحي لكلمة الله، طاعةً للوصية الرســولية: «لتســكن فيكم كلمة المســيح بغنى، وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب» (كو ٣: ١٦).

ثانياً - المرنم يحيا الحياة المنتصرة
(آيات ١٤٥-١٦٠)

١ - المرنم حفظ الفرائض: (١٤٥-١٥٢).

(أ) حفظها لأنه صلى: «صرختُ من كل قلبي، اســتجب لي يـــا رب. فرائضك أحفظ. دعوتك. خلِّصني فأحفظ شهاداتك» (آيـــتا ١٤٥، ١٤٦). حفظ المرنم وصايا الله لأنه كان دائم الاتصال بإلهه في الصلاة. وكانت صلاته دعاء شخص يحب الرب من كل قلبه، ويخاف أن يرتكب معصية تُغضب حبيـــبه. وكان الدعاء أســلوب حيـــاته فحفظ كلمة الله وعمل بها، وعاشها. إنه يصرخ من كل قلبه متضرعاً أن يـــســـرع ربه إليه بالخلاص، فقد أراد أن يطيع الوصية، وكان قلبه موحَّداً في الطلبة، وكانت كل أشواقه مركزة في الإله الحي. وعندما نجاهد ونصرخ إلى الرب في الصلاة تتم لنا الغلبة، كما صارع يـــعقوب وقال: «لا أطلقك إن لم تباركني» (تك ٣٢: ٢٦). وينظر الله إلى قلب المصلي وإخلاصه، لا إلى عباراته المنمقة، ولا إلى طول صلاته ولا إلى عددها، فإن «من يـــحوِّل أذنه عن سـماع الشريعة فصلاته أيضاً مكرهة» (أم ٢٨: ٩). و«إن راعيتُ إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب» (مز ٦٦: ١٨). فلنعتمد على نعمة الرب ونحن نصلي لننال الحياة المنتصرة.

(ب) حفظها لأنه اســتمر في الـصلاة: «تقدَّمتُ في الصبح وصرخت. كلامك انتظرت. تقدمت عـــيناي الهُزُع لكي ألهج بأقوالك» (آيتا ١٤٧، ١٤٨). ربما كان كاتب هذا الجزء من مزمورنا كاهناً عليه مســؤولية في الهيكل، فكان يســـتيقظ مبكراً ليقوم بخدمته الدينية، وليصرخ طالباً حياة الطاعة والانتصار، وكانت عيناه تسبق أقسام الليل شوقاً للقيام بصلواته. وكان اليهود يقسمون الليل إلى ثلاثة أقســام، الهزيع الأول في أول الليل، والهزيع الثاني وهو الأوســط، والهزيع الثالث ويُســـمَّى هزيع الصبح. وكان الرومان يقســمون الليل إلى أربعة أقســام وهي مساء، ونصف الليل، وصياح الديك،

وصباحاً. ولم تكن عند المرنم وسـيلة إيقاظ مما عندنا اليوم، فكان يوقظه هاتف داخلي هو أقوى من كل ساعة أو منبّه، فكان يفتدي الوقت ليدرس كلمة الله ويصلي.

(ج) **حفظها بالرغم من المقاومة:** «اقترب التابعون الرذيلة. عن شريعتك بَعُدوا. قريبٌ أنت يا رب وكل وصاياك حق. منذ زمان عرفتُ من شهاداتك أنك إلى الدهر أسستها» (آيات ١٥٠-١٥٢). في هذه الآيـات قُرب وبُعد. اقترب الأشرار من المرنم ليـؤذوه لأنهم ابتعدوا عن شريـعة الرب. فاقترب المرنم من الرب، لأنه **قريب**. وكل من يبتعد عن الله يقترب من البشر ليؤذيهم، ولكن المؤمن مـطمئن لأن «الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق» (مز ١٤٥: ١٨). والتقي مطمئن لوصايـا الله لأنها حق، وقد عرف وآمن أن الرب أسـس مواعيده على أمانته، وفيها النعم والآمين لمجد الله (٢كو ١: ٢٠). وعرف فائدة الشريعة منذ زمن، ولم تبعده كل الصعوبات عن حفظها «لأنه من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف.. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة.. تقدر أن تفصلنا عن محبة الله» (رو ٨: ٣٥-٣٩).

٢ - ***المرنم يستمر في حفظ الفرائض:*** (آيات ١٥٣-١٦٠).

(ا) **لا ينساها حتى في الضيق:** «انظُر إلى ذلي وأنقذني لأني لم أنسَ شريعتك. أحسِـن دعواي وفُكني. حسـب كلمتك أحيني. الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك» (آيات ١٥٣-١٥٥). سـيظل المرنم يحفظ وصايا الله حتى لو قاومه الأشرار وأذلوه. وهو يعلم أن الله هو المحامي والمدافع عنه، فيقول مع النبي ميخا: «يُقيم دعواي ويُجري حقي. سيُخرجني إلى النور. سأنظر برّه» (مي ٧: ٩). وهو يطلب أن يفكّه الرب من أسر الخطاة الدائنين بأن يسدّد ديونه ويطلقه حراً، ويطلب الـحياة ذات القيمة التي وعد الله بها من يحبونه، فتكون له حياة ويكون له أفضل (يو ١٠: ١٠)، لأنه هو شفيعه. وهو يعلم أن الخلاص بعيد عن الأشرار لأنهم لم يلتمسـوا فرائض الله التي التمسها هو، فصار الخلاص قريباً منه.

(ب) **يطيعها لأن رحمة الله كثيرة:** «كثيرةٌ هي مراحمك يا رب، حسب أحكامك أحيني. كثيرون مضطهديَّ ومضايـقيَّ، أما شهاداتك فلم أمل عنها. رأيتُ الغادرين ومقتُّ، لأنهم لم يحفظوا كلمتك. انظُر أني أحببتُ وصاياك، يا رب حسـب رحمتك أحيني. رأس كلامك حق، وإلى الدهر كل أحكام عدلك» (آيـات ١٥٦-١٦٠). في هذه الآيات نجد كثرة مراحم الله الذي يحب المرنم ويحبه المرنم، كما نرى كثرة عدد الأشرار الذين يبغضون المرنم، ويبغض المرنم أفعالهم السيئة، فقال: «**كثيرة** هي مراحمك» (١٥٧) وقال: «**كثيـرون** مضطهديَّ ومضايقيَّ» (١٥٨). ومن هذا نرى الرحمة تسـبق الاضطهاد، كما أنها تتبع المؤمن، فيقول: «إنما خيرٌ ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي» (مز ٢٣: ٦).

فالرحمة أمامه وخلفه لأنه تمسّك بوصايا الله وشهاداته، فلم يعُد يخشى الاضطهادات، وسار في طريق الرب ثابتا وهو يقول: «أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع» (أع ٢: ٢٥).

ونرى في هذه الآيات فعلين يظهران متناقضين، إذ يقول: «مقتُ الغادرين» (١٥٨)، «أحببتُ وصاياك» (١٥٩). لكنهما ليسا متناقضين في الحقيقة لأن الذي يحب وصايا الله يكره شرور الغادرين ويحزن على من أحبوا الخطية ولم يحفظوا كلمة الله. لقد مقت قساوة قلوبهم ومقت الخطية بقدر ما أحب وصايا الله التي أحدثت كل التغيير في حياته.

وفي الآيتين ١٥٦، ١٥٩ يكرر المرنم الطلبة: «أحيني حسب أحكامك» و«حسب رحمتك أحيني» فهو يريد أن يحيا حسب أحكام الرب، ولكنه يعرف ضعفاته وهفواته، فيطلب أن يحيا حسب رحمة الرب. والحياة في الطلبتين عطية إلهية، حسب رحمة الله وحسب مواعيده الصالحة إذ «لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب» (يش ٢٣: ١٥).

ثالثاً - ثمرتان للحياة المنتصرة
(آيات ١٦١-١٧٦)

١- ثمرة السلام: (آيات ١٦١-١٦٨).

(أ) **سلام حتى وسط الاضطهاد:** «رؤساء اضطهدوني بلا سبب، ومن كلامك جزع قلبي. أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة. أبغضتُ الكذب وكرهته، أما شريعتك فأحببتُها. سبع مرات في النهار سبَّحتك على أحكام عدلك» (آيات ١٦١-١٦٤). يكره الأشرار الأتقياء ويضطهدونهم، وهو ما ظل المرنم يكرره طيلة هذا المزمور. اضطهده الرؤساء الذين وهبهم الرب السلطة، وأعطاهم الشريعة ليحكموا بالعدل، ولكنهم أساءوا استعمال سلطتهم واضطهدوه بلا سبب. غير أنه بقي في سلام رغم الاضطهاد، لأن الرب وقف معه وقواه، وكأنه يقول له: «لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك، يقول الرب» (إر ١: ٨)، فجعل المرنم مواعيد الرب أمامه في كل حين، وأطاع الله أكثر من الناس عملاً بقول المسيح: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد.. بل.. خافوا من الذي بعد ما يقتل الجسد له سلطان أن يلقي في جهنم» (لو ١٢: ٤، ٥). وينشئ الإيمان بالكلمة في قلب التقي جزعاً وخوفاً مقدساً يحفظه من الشر، ويعزيه ويطمئنه وسط ضيقاته. وقد خلق هذا الاطمئنان لكلام الرب في قلب المرنم بهجة مثل الجندي الذي وجد غنيمة، فقال: «جعلتَ سروراً في قلبي أعظم من سرورهم إذ كثرت حنطتهم وخمرهم. بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز ٤: ٧، ٨). لقد قال المسيح: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي» (يو ١٤: ٢٣).

وقد أحب المرنم شريعة ربه لأنها كاملة ترد النفس، فاختبر النقيضين: حب الكلمة والابتهاج بها، وبغض الكذب لأنه مكرهة الرب، وكان التقليد يفرض على اليهود أن يصلوا ثلاث مرات يومياً، في الصباح والظهر والمساء، أما المرنم فقد سبح الرب على أحكام بره سبع مرات، والسبع هو عدد الكمال.

(ب) سلام محبي الشريعة: «سلامة جزيلة لمحبي شريعتك، وليس لهم معثرة. رجوتُ خلاصك يا رب، ووصاياك عملتُ. حفظت نفسي شهاداتك، وأُحبها جداً. حفظتُ وصاياك وشهاداتك لأن كل طرقي أمامك» (آيات ١٦٥-١٦٨). سلام الله جزيل، ليس نتيجة لمعاملة الناس للمؤمن، فإنهم يضعون له العثرات، لكن لأنه أحب كلمة الله وجد فيها طمأنينته وبهجته، فمتّعه الله بوعد المسيح: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤: ٢٧). ويزيد هذا السلام كل تقي نمواً في النعمة فيرجو دوماً خلاص الرب وينتظره. ويربط المرنم بين الرجاء والطاعة. وكلما كان الإيمان حياً زادت الثقة بما يُرجى والإيقان بالأمور التي لا تُرى، وزادت الطاعة انتظاراً لتحقيق الوعد «في طريق أحكامك يا رب انتظرناك» (إش ٢٦: ٨).

٢- ثمرة الفرح: (آيات ١٦٩-١٧٦).

(أ) فرح استجابة صلاته: «ليبلغ صراخي إليك يا رب. حسب كلامك فهّمني. لتدخل طلبتي إلى حضرتك. ككلمتك نجّني. تنبّع شفتاي تسبيحاً إذا علّمتني فرائضك. يغني لساني بأقوالك لأن كل وصاياك عدل» (آيات ١٦٩-١٧٢). يصرخ المرنم أولاً كطفل خائف يحتمي في أبيه، ثم يهدأ ويطلب أن يفهم أقوال أبيه ووعوده الأمينة. وهو يطلب أن تصل طلبته إلى المسامع الإلهية فتتحقق له الوعود بالنجاة، فيتم القول: «الرب أصغى وسمع، وكُتب أمامه سفر تذكرة للذين اتقوا الرب، وللمفكرين في اسمه» (ملا ٣: ١٦). عند هذا «تنبّع» شفتا المرنم وتفيضان بتسبيحات الشكر لكثرة ما ارتوى مما تعلمه من وصايا الرب، فيصير المرنم مثل أرض غمرتها المياه فارتوت بفيض، وأخذت المياه تنبع منها، فأعطت بعد أن كانت تأخذ.

(ب) فرح نتيجة لطاعته: «لتكن يدك لمعونتي لأنني اخترت وصاياك. اشتقت إلى خلاصك يا رب، وشريعتك هي لذتي. لتحيَ نفسي وتسبحك، وأحكامك لتُعِنّي. ضللتُ كشاة ضالة. اطلب عبدك لأني لم أنس وصاياك» (آيات ١٧٣-١٧٦). ما أعظم فرح المؤمن المطيع وهو يسمع مدح الرب له. وقد ظهرت طاعة المرنم من أربع عبارات قالها:

(١) **«لأني اخترت وصاياك»** (آية ١٧٣). كان اختيار اتّباع الوصايا أول أسباب الفرح، فقد نال معونة الرب التي زادته فرحاً وضمنت استمراره فيه. والله لا يجبر أحداً على طاعته «فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون» (يش ٢٤: ١٥).

(٢)«**شريعتك هي لذَّتي**» (آية ١٧٤). تلذَّذ المرنم بكلمة الله فأطاعها، وكان هذا مصدر فرح روحي عميق له. لما كانت شريعة الله لذته حقّ له أن ينتظر خلاص الرب الموعود به في كلمة الله، والذي قال عنه الرسول بطرس: «ليس بأحد غيره (غير المسيح) الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء، قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخلص» (أع ٤: ١٢). وكل الذين وجدوا لذتهم في شريعة الله يحق لهم أن يفرحوا.

(٣) «**أحكامك لتُعنّي**» (آية ١٧٥). كانت أحكام الله وأوامره مصدر معونة له ليعيش حياة الطاعة. وعندما ينفذ المؤمن أحكام الله، وتكون وعودها معونته في زمن الضيق، فيختبر الحياة المفرحة ذات المعنى والقيمة، وتطول أيامه على الأرض، لا بعددها بل بنوعيتها. وكل من تعينه أحكام الرب يختبر الحياة الأفضل التي جاءنا المسيح بها، فيقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠)، ويقول: «عرّفتني سبُل الحياة، وستملأني سروراً مع وجهك» (أع ٢: ٢٨).

(٤) «**لم أنسَ وصاياك**» (آية ١٧٦). في كل وقت ذكر المرنم وصايا الرب فزادته تلذُّذاً وفرحاً. ولكن من الغريب أن يختم مزموره بالقول: «ضللتُ كشاة ضالة. اطلُب عبدك لأني لم أنسَ وصاياك» فنتساءل: كيف يقول هذا، وقد قال إنه يحب الرب بكل قلبه، ويتمتع بسلامه وفرحه، ولم ينسَ وصاياه؟.. الحقيقة هي أن كل مؤمن تقي يدرك أنه ضعيفٌ معرّضٌ للضلال في أي وقت. وما لم يلق بنفسه على نعمة الله فسيضل ولا يعرف كيف يرجع. إنه يذكر القول: «فمن يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو ١٠: ١٢). «كلنا كغنم ضللنا» ونضل، ولكن الرب يقول: «أسأل عن غنمي وأفتقدها كما يفتقد الراعي قطيعه.. هكذا أفتقد غنمي وأخلِّصها.. وأُخرجها من الشعوب وأجمعها من الأراضي وآتي بها إلى أرضها وأرعاها.. أرعاها في مرعى جيد. أنا أرعى غنمي.. وأطلب الضال، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح» (حز ٣٤: ١١-١٦). وبهذا يطمئن المؤمن أن الراعي الصالح لن يتركه، فهو يقول: «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٢٧-٣٠).

المزمور المئة والعشرون

ترنيمة المصاعد

١ إلى الربّ في ضيقي صرختُ فاستجاب لي. ٢ يا ربُّ نجِّ نفسي مِن شِفاه الكذب، مِن لسانِ غشٍّ. ٣ماذا يعطيك وماذا يزيدُ لك لسانُ الغشِّ؟ ٤ سهامَ جبّار مسنونةٍ مع جَمْرِ الرَّتَمِ. ٥ ويلي لغربتي في ماشِكَ، لسكني في خيامِ قيدارَ! ٦ طال على نفسي سكنُها مع مبغضِ السلام. ٧ أنا سلامٌ، وحينما أتكلّمُ فهُمْ للحربِ.

من الأرض البعيدة

مزمورنا أول خمسة عشر مزموراً (من ١٢٠-١٣٤) تُسمّى «مزامير المصاعد» كان بنو إسرائيل يرتلونها في طريق حجّهم كل سنة إلى أورشليم، عاصمتهم الدينية والسياسية، ليحتفلوا بعيد الفصح، وهو الاحتفال بعبور آبائهم البحر الأحمر ونجاتهم من عبودية فرعون. وسُمّيت المصاعد بمعنى الارتقاء والارتفاع والصعود إلى جبل الرب حيث هيكله الذي بناه سليمان. وتنقسم هذه المزامير الخمسة عشر إلى مجموعتين، تتكوّن كل مجموعة منها من سبعة مزامير يتوسطها مزمورٌ لسليمان.. خمسة من كل مجموعة لم يُذكر فيها اسم الكاتب، ومزموران لداود.

وذكر المفسرون خمسة احتمالات لمناسبة كتابتها:

١ - هي أناشيد الراجعين من سبي بابل بقيادة عزرا الكاتب، رنموها في طريق عودتهم وهم يتطلعون إلى الجبل الذي بُني عليه هيكل الله، كما قيل: «عزرا هذا صعد من بابل.. وصعد معه من بني إسرائيل.. في الشهر الأول ابتدأ يصعد من بابل، وفي أول الشهر الخامس جاء إلى أورشليم، حسب يد الله الصالحة عليه» (عز ٧: ٩).

٢ - هي مزامير كان يرتلها اللاويون على خمس عشرة درجة سلم في الهيكل الثاني، كانت توصّل بين دار النساء ودار الرجال. فكانوا يرنمون مزموراً على كل درجة من هذه الدرجات الخمس عشرة.

٣ - هي مزامير ذكرى لاستجابة الله لصلاة الملك الصالح حزقيا، فأضاف إلى عمره خمس عشرة سنة، فكُتبت هذه المزامير الخمسة عشر احتفالا بهذه السنوات الخمس عشرة (إش ٣٨: ٥، ٨، ٢٠).

٤ - هي مزامير كان الحجاج يرتلونها أثناء صعودهم إلى أورشليم ليعيّدوا ثلاث مرات في السنة، في الأعياد الثلاثة الرئيسية (لا ٢٣) كما قيل: «تكون لكم أغنيةٌ، كليلة تقديس عيد، وفرح قلب كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب» (إش ٣٠: ٢٩).

٥ - هي معانٍ روحية للارتقاء الروحي، وهي دعوة عامة للمؤمنين في كل العصور لترتفع

حيـــاتهم الروحية وتســـمو، محقِّقين الوصية الرســـولية: «انموا في النعمة وفي معرفة ربنا يســـوع المسيح» (٢بط ٣: ١٨).

تبدأ مزاميـــر المصاعد بمزمورنا، وهو صرخة متألم يعيش في بلد بعيد عن الهيكل، ويشتاق إلى الوقوف بأعتابه، يـطلب فيـــه من الرب أن يرفع عنه ألم الغربة في الأرض البعيدة، ويرفعه ليعبده ويـعيِّد له في هيكله. إنه متضايق من البُعد عن مكان العبادة، ومن سوء معاملة الأشرار. وهو يصعد بتفكيـــره إلى جذوره الروحية المشتاقة لعبادة إلهه الذي به يحيا ويتحرك ويوجد. ويعبِّر هذا المزمور عن أشواق كل مؤمن للتواجد في حضرة الله وعبادته، ولســـان حاله: «يا الله إلهي أنت، إليك أبكِّر. عطشَت إليك نفسي. يشتاق إليك جسدي في أرضٍ ناشفةٍ ويابسة بلا ماء» (مز ٦٣: ١).

في هذا المزمور نجد،

أولاً- الله يستجيب (آية ١)

ثانياً- شكوى من العدو (آيات ٢-٤)

ثالثاً- شكوى من الغربة (آيات ٥-٧)

أولاً - الله يستجيب
(آية ١)

«إلـى الرب في ضيقي صرختُ، فاستجاب لي» (آية ١). في وقت الضيق تجزع النفس فتصرخ، كطفلٍ خائف يـســـتنجد بأمه، فتطمئنه وتســـرع إليه، كما صرخ بطرس لما رأى الريح شديدة وابتدأ يـغرق، فصرخ: «يا رب، نجِّني» فمدَّ المسيح يده إليه وأمسك به وأنقذه (مت ١٤: ٣٠، ٣١). ويذكر المرنم المعيِّد ضيقاته في بلده البعيدة عن بيت الرب وكيف صلى، فاستجابه الرب وسمع شكواه. وفي نور هذه الاســـتجابة وما سبقها من اختبارات، طلب معونة جديدة، لأن نفسه ضاقت من أعدائه ومن غـربته بعيداً عن بيت الرب. إنه متألم من وشايات الأشرار، يصرخ إلى الرب باتضاع وإيمان. وهو يعلم أن الرب لا بد ســـيسمعه فتعزى وتشجع، لأنه يقول: «ادعُني في يوم الضيق، أنقذك، فتمجِّدني» (مز ٥٠: ١٥)، فيقول: «بصوتي إلى الرب أصرخ، فيجيبني من جبل قُدسه» (مز ٣: ٤).

في الأرض البعيـدة، بين الأشرار لاقى المرنم ضيقاً وســـهاماً قاتلة، فاتَّجه إلى بيت الرب، حيث يســـمع كلمته فيجد الرُّحب، ويقول: «أتمشَّى في رُحب لأني طلبت وصاياك.. لكل كمال رأيت حداً، أما وصيـــتك فواســـعة جداً» (مز ١١٩: ٤٥، ٩٦). حقاً إن الرب «إله غفور وحنان ورحيم طويل الروح وكثير الرحمة» (نح ٩: ١٧)، يرحِّب بالمرنم في مقدسه، ويستجيب له.

ثانياً - شكوى من العدو
(آيات ٢-٤)

١ - **العدو يهاجم بلسانه:** «يا رب، نجِّ نفســـي من شفاه الكذب، من لسانِ غشٍّ» (آية ٢). ما أكثر الكذب والافتراء في عالمنا. قال المرنم عن الكاذبيـــن: «لأن ليـــس في أفواههم صدق. جوفهم هوّة. حلقهم قبر مفتوح. ألســـنتهم صقلوها» (مز ٥: ٩) «يتكلمون كل واحد مع صاحبه بشفاه ملقة. بقلب فقلب يتكلمون. يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللســـان المتكلم بالعظائم، الذين قالوا: بألسنتنا نتجبّر. شفاهنا معنا. من هو ســيـــدٌ علينا؟» (مز ١٢: ٢-٤). وقد يبرر الناس كذبهم بالقول إن هناك كذبة بيضاء، أو إنها كذبة صغيرة، ولكن الوصية الرسولية تقول: «اطرحوا عنكم الكذب، وتكلّموا بالصدق كل واحد مع قريبـــه، لأننا بعضنا أعضاء البعض» (أف ٤: ٢٥). ولســـان الغش هو الذي يـــعوّج الـــمستقيم «الذي يدنّس الجسم كله، ويضرم دائرة الكون، ويُضرم من جهنم.. هو شر لا يُضبط، مملوٌّ سماً مميتاً» (يع ٣: ٦-٩).

كانت هذه الشكوى لســـان حال المســـبيين في أرض الغربة وهم يحسون بالاضطهاد الشديد من الأغلبيـــة التي تعبد الوثن من حولهم، وهم الأقليـــة يعبدون يهوه الإله الواحد الذي أمرهم أن يقولوا: «الرب إلهنا رب واحد» (مر ١٢: ٢٩)، كما أن هذه الشكوى يمكن أن تعبِّر عن حال إنســـان واحد في مكان معيـــن يعاني من صعوبات معينة. وســـواء كانت هذه شكوى فرد أو شكوى جماعة، فهي موضوع اهتمام الرب.

وقـــد اختبر المسيح ما اختبره المرنم المتألم، فقال للذين رفضوا تعليمه: «لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبُت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب. وأما أنا فلأني أقول الحق لستم تؤمنون بي» (يو ٨: ٤٣-٤٥).

٢ - **الرب يعاقب لسان الغش:** «ماذا يعطيك، وماذا يزيد لك لسان الغش؟ سهام جبّار مسنونة، مع جمر الرَّتَم» (آيتا ٣، ٤). في هاتين الآيتين يســـأل المرنم الشرير: ما هي المجازاة التي تنتظرها من تلطيخ سمعة أخيك بالكلام الكاذب؟ ماذا ســـتستفيد؟ «ليس شيء خفي لا يُظهر، ولا صار مكتوما إلا ليُعلَن» (مر ٤: ٢٢). «كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرَّر وبكلامك تُدان» (مت ١٢: ٣٦، ٣٧). لا بد أن ترتد إلى الشرير سهام دينونة الله ونار عدالته. «الله قاضٍ عادل، وإلهٌ يسخط في كل يوم. إن لم يرجع (الشرير تائبا) يحدّد (الرب) ســيفه. مدَّ قوســـه وهيّأها، وســـدّد نحوه آلة الموت. يجعل ســـهامه ملـــتهبة» (مز ٧: ١١-١٣). «الـــذيـــن صقلـــوا ألســـنتهم كالســيـــف. فوّقوا ســـهمهم كلاما مرّا ليـــرموا

الكامل في المختفى بغتة. يرمونه ولا يخشون.. فيرميهم الله بسهم. بغتة كانت ضربتهم. ويوقعون ألسنتهم على أنفسهم. يُنغض الرأس كلُّ من ينظر إليهم» (مز ٦٤: ٣، ٤، ٧، ٨)

ستصيب سهام الرب الجبار كلَّ شرير «مع جمر الرَّتم». والرَّتم شجر كانوا يحرقون جذوره فيستمر اشتعالها مدة طويلة، ويحترق جيداً وبقوة. وهذا ما يصفه المرنم بقوله: «ليسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا» (مز ١٤٠: ١٠). كل من يهرب من الله يصيب نفسه بجمر الرَّتم الملتهب الذي يستمر اشتعاله طويلاً، كما حدث لقايين بعدما قتل أخاه هابيل، فهرب من وجه الرب وسكن أرض نود (وهي كلمة عبرية تعني أرض البُعد والتعب).

يتألم المؤمن من شفاه الكذب ولسان الغش. ولكن الرب يُخرج كالنور برَّه، وحقَّه مثل الظهيرة (مز ٣٧: ٦). ويعينه على احتمال الكذب الذي لا بد سينكشف ويُعاقب، فالتجربة إلى ساعة، والنصر قادم لا شك فيه.. وكما جاءت قيامة المسيح بعد صليبه، لا بد أن يرتفع المؤمن فوق متاعبه.

ثالثاً - شكوى من الغربة
(آيات ٥-٧)

١ - **هي غُربة في بلاد بعيدة**: «ويلي لغُربتي في ماشك، لسكني في خيام قيدار» (آية ٥). ماشك هو ابن يافث (تك ١٠: ٢)، ونسله شعب يسكن في ما يُعرف الآن بغرب إيران وأرمينيا، وربما تكون ماشك هي موسكو الحالية في روسيا. وقيدار ابن إسماعيل الثاني (تك ٢٥: ١٣) ونسله قبيلة من البدو الرُّحل كانت تسكن في شبه الجزيرة العربية، وكان أفرادها في مشاحنات دائمة بينهم وبين بعضهم، وبينهم وبين جيرانهم (تك ١٦: ١٢). وما أبعد ماشك وقيدار عن هيكل الله. والأغلب أن المرنم لا يقصد أنه سكن في ماشك في أقصى الشمال، ولا في قيدار في أقصى الجنوب، إنما هو يعبِّر عن حالةٍ من الاغتراب النفسي، وكأنه موجود في بلاد بعيدة يسكن بين من يضايقونه، وسط مجتمع وثني بعيد عن الله، يعبد الأصنام. وفي هذه البلاد البعيدة لم تكن للمرنم فرصة تقديم الذبائح لله، ولا العبادة في هيكله.

٢ - **هي غربة طويلة**: «طال على نفسي سكنُها مع مبغضِ السلام. أنا سلام، وحينما أتكلم فهُم للحرب» (آيتا ٦، ٧). استمرت ويلات المرنم لأن الجيران الذين عاش وسطهم كانوا أهل حرب يبغضون السلام، بينما هو سلام، و«طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون» (مت ٥: ٩). وقد وصف المرنم نفسه بأنه صلاة (مز ١٠٩: ٤)، فلم يكن سهلاً عليه، وهو سلام وصلاة، أن يحيا بين مبغضي السلام ومحبي الحرب. ولكي نتحاشى المرور بالآلام التي جازها المرنم يجب أن نطيع

نصيحة الرسول بولس: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأي اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟ فإنكم أنتم هيكل الله الحي.. لذلك اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب، ولا تمسوا نجساً فأقبلكم، وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات.. فإذ لنا هذه المواعيد لنطهّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكمّلين القداسة في خوف الله» (٢كو ٦: ١٤-٧: ١).

وتقدم نصيحتين لكل مؤمن يقول: «أنا سلام، وحينما أتكلم فهم للحرب».

(أ) **ابتعد جغرافياً**: «باعد رجلك عن الشر» (أم ٤: ٢٧). لا تجعل بينك وبين الأشرار علاقة مباشرة، ولا تذهب إلى مكان أو تشرع في عمل تعلم أن الله يرفض أن يكون معك فيه.. عندما حدثت مخاصمة بين رعاة مواشي لوط ورعاة مواشي إبراهيم، قال إبراهيم للوط: «لا تكن مخاصمة بيني وبينك، وبين رعاتي ورعاتك، لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض أمامك؟ اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً، وإن يميناً فأنا شمالاً» (تك ١٣: ٥-٩). لكن إبراهيم لم يبتعد عن لوط بقلبه، فعندما أخذ لوط مسبياً ذهب إبراهيم وراءه لينقذه (تك ١٤).

(ب) **احتمل في صبر**: المحبة تصبر على كل شيء «لا تجازوا أحداً عن شر بشر، معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس.. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس. لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه.. لا يغلبنّك الشر، بل أغلب الشر بالخير» (رو ١٢: ١٧-٢١).

إن كنت قد سلّمت حياتك للرب، ثم ابتعدت وسكنت في أرض بعيدة، فضعفت حياتك الروحية، وأصبحت تعاني من الغربة والمتاعب في وسط مبغضي السلام، فلتكن هذه المتاعب دافعاً لك للرجوع إلى الرب الذي يرد نفسك ويهديك إلى سبل البر. فهيا نرجع من الأرض البعيدة، من أرض الضعف والفتور الروحي إلى الله، ولنصعد إلى جبل الرب بالترنيم والهتاف.

المزمور المئة والحادي والعشرون

ترنيمة المصاعد

١ أرفعُ عينيَّ إلى الجبالِ من حيثُ يأتي عوني. ٢ معونتي من عندِ الربِّ، صانعِ السماواتِ والأرضِ. ٣ لا يَدَعُ رِجْلَكَ تزِلُّ. لا ينعسُ حافظُكَ. ٤ إنه لا ينعسُ ولا ينامُ حافظُ إسرائيلَ. ٥الرب حافظُكَ. الربُّ ظلٌّ لكَ عن يدِكَ اليمنى. ٦ لا تضربُكَ الشمسُ في النهارِ، ولا القمرُ في الليلِ. ٧الربُّ يحفظُكَ من كلِّ شرٍّ. يحفظُ نفسَكَ. ٨ الربُّ يحفظُ خروجَكَ ودخولَكَ من الآنَ وإلى الدهرِ.

الرب حافظك

هذا ثاني ترانيم المصاعد، كانوا يرنمونه بعد بدء رحلة الحُجاج من مختلف البلاد متّجهين إلى هيكل الله، ليعيّدوا له. وترمز هذه الرحلة الروحية لكل حياة إيمانية، فمع أن المؤمن يعيش في العالم المتعب، إلا أنه ليس منه، كما صلى المسيح لأجلنا: «لستُ أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم. قدّسهم في حقك. كلامك هو حق» (يو ١٧: ١٥-١٧). لهذا تتّجه قلوبنا دائماً في رحلة روحية إلى أعلى لنأتنس بالرب في بيته المقدس.

في المزمور المئة والعشرين تطلع المرنم المتألم المتضايق إلى الرحلة الروحية التي سترفعه من ضيقه لأنه يتقرّب إلى الله، فترك أرض التعب بادئاً حجَّه المقدس إلى أورشليم. لكنه يعلم أنه سيلاقي مخاطر في سفره، لأن الطرق لم تكن آمنة، كما نفهم من مثّل السامري الصالح عن اليهودي المسافر من أورشليم إلى أريحا، الذي طلع عليه اللصوص وسلبوا ماله وجرحوه وتركوه بين حي وميت، فعطف عليه سامري أجنبي عنه في الدين واللغة، وأنقذه (لو ١٠).

رأى المرنم حاجته إلى الحماية، فرفع عينيه إلى الرب الذي منه يأتيه العون والحفظ وهو يذكر وعد الله لجدّه الأكبر يعقوب، فقد طمأنه الرب وهو يقوم برحلته من بيت أبيه إلى بيت خاله، وقال له: «أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردّك إلى هذه الأرض. لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتُك به» (تك ٢٨: ١٥).. وما أن رفع المرنم صوته بالترتيل حتى جاءه التشجيع من زملائه المسافرين معه، يؤكدون له أن الله سيحفظه ويحفظهم معه من كل شر.

كان الداخل إلى هيكل أورشليم يجد على يمينه غلافاً معدنياً بداخله ورقة كُتبت عليها آيات من التوراة، منها: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك.. اكتبها على قوائم بيتك» (تث ٦: ٤-٩). «إذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها.. تكثُر أيامك وأيام أولادك على الأرض» (تث ١١: ١٣-٢١)، ومنها الآية الأخيرة من مزمورنا: «الرب يحفظ

خروجك ودخولك من الآن وإلى الدهر» (آيـــة ٨).. فكان المؤمن عند دخوله الهيـــكل يـــلتفت يميناً ويلمس الغلاف المعدني رمزاً لثقته في الرب الذي يحقق مواعيده لكل من يحب الرب بكل قلبه وبكل نفسه، ويحفظه دائماً في كل تحركاته من خروج ودخول.

في كتاب «ســـياحة المسيحي» تخيَّل الكاتب يوحنا بنيان أن كل مؤمن يقوم برحلة روحية يخرج فيها من مدينة الهلاك ويتّجه إلى المدينة الســـماوية، وهي رحلة تُعرف بدايتها بأنها «ولادة جديدة». وفي أول الطريق قابل الســائح «بالوعة يأس» التي كان يمكن أن يغرق فيها لولا تمســُّكه بثقته في ربِّـه، فانتصر على اليأس واستمر في رحلته المليئة بالمصاعب التي اضطرت البعض أن يرتدّوا عن طـويق الرب، لأنهم لم يركزوا نظرهم على الرب، بل على قدراتهم الذاتية وعلى صعوبات الطريق. ويجرِّب الشيطان كل ســائح روحي يســافر نحو المدينة الســـماوية أن يحوِّل عينيه عن الله مصدر المعونة، فيفقد السلام والاطمئنان.

ما أحوج كل حاج روحي في بدايـــة رحلته أن يرتِّل كلمات هذا المزمور ليتشجَّع، وليشجِّع غيره من المؤمنين، فيثبتون حتى نهايتها، ويتعلمون أن يتكلوا على أمانة الرب وحده.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم يطلب العون (آيتا ١، ٢)

ثانياً – مرنم آخر يدعو له بالعون (آية ٣)

ثالثاً – جوقة المرنمين تؤكد له العون (آيات ٤–٨)

أولاً - المرنم يطلب العون
(آيتا ١، ٢)

«أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» (آيتا ١، ٢). مدينة أورشليم مبنيَّة على ســـبعة تلال، فرفع المرنم من بعيد عينيه إلى التلال السبعة، وركَّز انتباهه على الجبل الذي بُني عليــه الهيـــكل، وفيه كان الرب يحل بالمجد الدائم، حيث تابوت العهد، وكهنة الله العلي الذيـــن يرفعون لله تراتيل الهتاف. ويؤمن المرنم أن الرب في هيكل قدســـه، فلتصمُت كل الأرض في حضرته إجلالاً، ولتمتدّ يد معونته إلى عبده (حب ٢: ٢٠).

وربما طلـــب المرنم المعونة الإلهيـــة لأنه رأى خطراً يـــتهدّده هو شخصيـــاً، أو يـــهدد الحجاج المســـافرين معه إلى الهيكل. وقد يكون أنه رأى خطراً محدقاً بالهيكل من أعداء الرب الذين اشتكى منهم في المزمور السابق، فبدأ يرفع عينيه إلى الجبال، لا لأنه كان ينتظر المعونة من الجبال، بل من

خالــــق الجبال، فقد قال النبي إرميــا: «حقاً باطلةٌ هي الآكامْ ثروةُ الجبال. حقاً بالرب إلهنا خلاص إســـرائيل» (إر ٣: ٢٣). إنه يرفع عينيه من الجبال إلى الهيكل المبني فوق الجبل، حيث بيت صانع الســماوات والأرض، ويردِّد: «بصوتي إلى الرب أصرخ، فيجيبني من جبل قُدســـه» (مز ٣: ٤). «الرب يحامي عني. يا رب، رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ» (مز ١٣٨: ٨).

إن الله موجود في كل مكان بصورة عامة، ولــكنه موجود بصورة خاصة في مكان الســـجود والعبادة، بين المؤمنين. «المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع بل يســـكن إلى الدهر. أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (مز ١٢٥: ١، ٢).

في مطلع مزمورنا يعبِّر المرنم عن ثقته ورجائه في الرب، وهو متأكد من حصوله على المعونة مــن القادر على كل شيء، لأنه خالق كل شيء. وما أعظم الفرق بينه وبين الأصنام «الآلهة التي لم تصنع السماوات والأرض تبيد من الأرض، ومن تحت هذه السماوات. صانع الأرض بقوّته، مؤسس المســـكونة بحكمته، وبفهمه بسط السماوات» (إر ١٠: ١١، ١٢).. «فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة، ونجد نعمةً، عوناً في حيــنه» (عب ٤: ١٦). ويـــا لها من محبة ســماوية تعطي بسخاء ولا تعيِّر. «أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوة. يرفعون أجنحةً كالنسور» (إش ٤٠: ٣١).

ثانياً - مرنم آخر يدعو له بالعون
(آية ٣)

ســــمع أحد الحجاج دعاء المرنم وهو يطلب المعونة من صانع السماوات والأرض، فتوحَّد معه بقلبه، وضمَّ صوته إلى صوته، وأجابه بدعاء، وبكلمة تشجيع:

١ - **دعاء:** «لا يــدع رِجْلك تزلّ» (آية ٣أ). «لا يدع» في اللغة العبرية الأصلية للمزمور وردت في صيـــغة الأمر، وكأن الحاج يقول: أطلب من الله ألا يدع رجلك تزل، بل يثبِّتك وأنت تصعد إلى هيكل الرب. أدعوه أن يمنع القلق من أن يسيطر عليك، ويدفع عنك وعنا الخطر ويُعطيك السلام والاطمئنان.

ما أجمل أن نصلي من أجل بعضنا، ونضم أصواتنا إلى أصواتهم الداعية، فقد «ردَّ الرب ســبي أيـــوب لما صلى لأجل أصحابه» (أي ٤٢: ١٠)، «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدَّد مع الـــذيــن قلوبهم كاملة نحوه» (٢أخ ١٦: ٩) «في كل مكان عيــنا الرب مراقبتيــن الطالحيــن والصالحيــن» (أم ١٥: ٣) «ليســت خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤: ١٣). فلنشجِّع بعضنا بعضاً، واثقين مطمئنين أنه «طوبى للأمة التي الرب إلهها، الشعب الذي اختاره ميــراثاً لنفســـه. من الســماوات نظر الرب. رأى جميـــع البشر.

من مكان سُكناه تطلَّع إلى جميع سكان الأرض» (مز ٣٣: ١٢-١٤).

٢ - **تشجيع**: «لا ينعس حافظك» (آية ٣ب). ثم شجع المسافر زميله بأن الله لا يدركه النوم، فهو لا ينعس. لسان حاله يقول: «لأني عالمٌ بمن آمنت، وموقنٌ أنه قادرٌ أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم» (٢تي ١: ١٢).. ولعل المرنم كان يذكر سخرية النبي إيليا من عبّاد الوثن وهم يصلّون لأصنامهم، فقال لهم: «ادعوا بصوتٍ عالٍ لأنه إله! لعله مستغرقٌ أو في خلوة، أو لعله نائم فيتنبّه» (١مل ١٨: ٢٧).

ثالثاً - جوقة المرنمين تؤكد له العون
(آيات ٤-٨)

بعد أن عبّر المرنم عن حاجته إلى معونة الرب، وبعد أن ردَّ عليه أحد الحجاج بالدعاء والتشجيع، انضم إليهم جمهور المسافرين وصاروا جوقة ترتيل واحدة.

١ - **الرب لا ينام**: «إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (آية ٤). هذا تأكيد لما قاله الزميل. أحياناً نستنجد بأناس نائمين فلا يغيثوننا، لكن الآب السماوي لا ينعس ولا ينام. فلو أن النوم لم يواتِك في أي ليلة، فلا تتردَّد في أن تدعو إلهك الذي لا ينعس ولا ينام. لن يغضب منك لأنك أزعجته، فإن «لذّاته مع بني آدم» (أم ٨: ٣١).

لا بدّ أن أفراد جوقة المرنمين كان يذكرون تاريخ شعبهم وآلامهم في مصر عندما كان فرعون يسومهم سوء العذاب، وكيف سمع الرب صراخهم وخلَّصهم بيده القوية، وعالهم أربعين سنة في البرية بالماء من الصخرة، والمن والسلوى. «كان الرب أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم» (خر ١٣: ٢١).

هذا الإله العظيم الذي عمل المعجزة الكبيرة مع بني إسرائيل يريد أن يُجري معك المعجزات. جميع شعور رؤوسنا محصاة (مت ١٠: ٣٠)، وهو يعرفك باسمك (إش ٤٣: ١)، وقد نقشك على كفّيه (إش ٤٩: ١٦). وحتى لو ضللت يعرف أنك ابتعدت، فيفتش عليك حتى يجدك (لو ١٥: ٤).

٢ - **الرب يظلل**: «الرب حافظك. الرب ظل لك عن يدك اليمنى» (آية ٥). «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت.. بخوافيه يظللك، وتحت أجنحته تحتمي» (مز ٩١: ١، ٤). إن الرب «كمخبإٍ من الريح، وستارة من السيل، كسواقي ماء في مكان يابس، كظل صخرة عظيمة في أرض معيية» (إش ٣٢: ٢).. عندما تبعت راعوث الموآبية حماتها نعمي قال لها بوعز: «ليكافئ الرب عملك، وليكُن أجرك كاملاً من عند الرب إله إسرائيل الذي جئتِ لكي تحتمي تحت جناحيه» (را ٢: ١٢)، وكافأ الرب راعوث المؤمنة، فصارت جدّة الملك داود، الذي جاء المسيح (حسب الجسد) من نسله.

ويـــقول المرنمون إن الرب «ظِلٌ لك عن يدك اليمنى» فهو أقرب إلى كل حاج من مدينة أورشليم التي يحج إليها. ونحن لا نحتاج أن نسافر إلى مكان معيَّن لنلتقي بالرب، لأنه «عن يدك اليمنى». قال المرنم: «جعلتُ الرب أمامي في كل حيـــن، لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز ١٦: ٨) «لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلِّصه من القاضين على نفسه» (مز ١٠٩: ٣١).

٣ - **الرب يحمي**: «لا تضربك الشمس في النهار، ولا القمر في الليل» (آية ٦). بســـبب حرارة الجو كان الحاج يسافر جزءاً من النهار وجزءاً من الليل، ويستريح في الظهيرة، فكان محتاجاً للرعاية ليلاً ونهاراً، وهذا ما يـــؤكده له زملاؤه في هاتين الآيتين. وقد فعله الله مع النبي يونان وهو متعب في نينوى «فأعدَّ الرب الإله يـــقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأســـه، ليخلِّصه من غمِّه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيـــماً» (يـــون ٤: ٦). وكان الأقدمون يقولون إن النوم في ضوء القمر يصيب النائم بمتاعب عقلية. ويؤكد المرنمون أن الله لن يسمح لمحبِّيه بضربة شمس في النهار، ولا بضربة قمر بالليل!

٤ - **الرب يحفظ**: «الرب يحفظك من كل شر. يحفظ نفسك» (آية ٧). يحفظ الرب أجساد المؤمنين ويحفظ نفوســـهم أيضاً من كل شر، فقد استجاب صلاة يعبيص التي قال فيها: «ليتك تباركني، وتوسِّع تخومي، وتكون يـــدك معي، وتحفظني من الشر حتى لا يتعبُني» فآتاه الله بما ســـأل (١أخ ٤: ١٠). طلب يعبيص من الرب بركات روحية وبركات جسدية، لأنه كان يدرك أنه يمكن أن يمتلك الكثير من متاع هذا العالم، لكن «متى كان لأحدٍ كثير فليســـت حياته من أمواله» (لو ١٢: ١٥)، و«بركة الرب هي تُغني، ولا يـــزيد (الله) معها تعباً» (أم ١٠: ٢٢). لهذا طلب يعبيص من الله أن يحفظه من الشر. حقاً «أكلةٌ من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بُغضة.. لقمة يابسة ومعها سلامة خيرٌ من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم ١٥: ١٧ و١٧: ١).

٥ - **الـــرب يحـــمي دائماً**: «يـــحفظ دخولـــك وخروجك من الآن وإلى الدهر» (آيـــة ٨). الدخول والخروج يـــرمزان إلى بداية أمر ونهايته، على المســـتويين الشخصي والعام. ويؤكد المرنمون شدَّة الاحـــتياج لحماية الرب في بداية رحلة الصعود إلى هيكل الرب، كما في رحلة العودة، ليتحقق الوعد: «مباركٌ تكون في دخولـــك، ومبارك تكون في خروجك» (تث ٢٨: ٦). «الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مـــبذر الزرع، مجيئاً يجيء بالترنم حاملاً حُزمه» (مز ١٢٦: ٦). «الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمِّل إلى يوم يســـوع المســـيح» (في ١: ٦). «مِن قِبل الرب تتثبَّت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسر. إذا ســـقط لا يـــنطرح لأن الرب مُســـندٌ يده» (مز ٣٧: ٢٣، ٢٤). «والقادر أن يحفظكم غير عاثرين، ويـــوقفكم أمام مجده بلا عيـــب في الابتهاج، الإله الحكيم الوحيد مخلِّصنا، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان، الآن وإلى كل الدهور. آمين» (يه ٢٤، ٢٥).

المزمور المئة والثاني والعشرون

ترنيمة المصاعد. لداود

١ فرحتُ بالقائلين لي: «إلى بيتِ الربِّ نذهبُ». ٢ تقفُ أرجلُنا في أبوابكِ يا أورشليمُ.
٣أورشليمُ المبنيَّةُ كمدينةٍ متَّصلةٍ كلِّها، ٤ حيث صعدتِ الأسباطُ، أسباطُ الربِّ، شهادةً لإسرائيلَ،
ليحمدوا اسمَ الربِّ. ٥ لأنه هناك استوتِ الكراسيُّ للقضاءِ، كراسيُّ بيتِ داودَ. ٦ اسألوا سلامةَ
أورشليمَ. ليسترِحْ مُحبّوكِ. ٧ ليكُنْ سلامٌ في أبراجكِ، راحةٌ في قصوركِ. ٨ من أجلِ إخوتي
وأصحابي لأقولنَّ: «سلامٌ بكِ». ٩ من أجلِ بيتِ إلهنا التمسُ لكِ خيراً.

الفرح ببيت الرب

هذا مزمورٌ لداود، كان بنو إسرائيل يرنمونه في حجِّهم السنوي عندما يبلغون أسوار المدينة المقدسة وتقف أرجلهم في أبوابها. لقد تركوا أرض المتاعب التي اشتكى منها المرنم في مزمور ١٢٠، وهو يبدأ رحلة المصاعد، واستجاب الله صلاتهم التي رفعوها في مزمور ١٢١، وأعانهم وحفظهم وأوصلهم بسلام. ويقول بعض المفسرين إن داود نظم هذا المزمور بعد نقل تابوت عهد الرب إلى مدينته، وبعد أن وعده الرب أن يحفظ كرسيَّه، وأن يبني له بيتاً، بمعنى أن يعطيه نسلاً يملك على شعبه.

في هذا المزمور يقول المرنم إنه فرح جداً عندما سمع أهله وجيرانه يدعونه لينضمَّ إلى موكب المسافرين للحج إلى هيكل الرب. وعندما بلغ أسوار المدينة المقدسة امتلأ عقله بذكريات الأسباط وتعاملات الرب معهم، فصلى طالباً البركة والأمان للمكان وللعابدين.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - الفرح بسلامة الوصول (آيتا ١، ٢)

ثانياً ذكريات مقدسة (آيات ٣-٥)

ثالثاً - صلاة واثقة (آيات ٦-٩)

أولاً - الفرح بسلامة الوصول
(آيتا ١، ٢)

١ - **فرح سماع الدعوة:** «فرحت بالقائلين لي» (آية ١أ). كل مؤمن يفرح بسماع الدعوة ليتقرَّب من الرب طاعة للوصية الرسولية: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع ٤: ٨). ويرسل الرب لنا دعوات مستمرة، أولها دعوة التوبة «توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه

الرب» (أع ٣: ١٨)، وعندما نقع في الخطية نسمع الدعوة «اذكر من أين سقطت وتب» (رؤ ٢: ٥)، وعــندما نتعب ونئن نسمع الدعوة «تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

والــرب يدعونا بآية من كلمته المقدسة، أو بلمسة محبة من عطائه، أو بتأديب يوقظنا من ضلالنا، أو بكلمة من صديق يدعونا «إلى بيت الرب نذهب». وما أســعد الإنسان الذي يفرح بالدعوة ويقبلها، عالماً أن الذي يُــقبل إلى الله لا يخرجه خارجاً (يو ٦: ٣٧)، وهو «يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يُقبلون» (١تي ٢: ٤).

في مثَل الابن الضال لم يــكن الابن واثقاً من قبول أبيه له، بعد أن عصاه وبذّر أمواله. ولكن أباه رحَّب به وفرح بعودته. والسماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، كما أن الفرح يغمر نفس التائب بتوبته.

وكل من يحب الله يحب بيته، ويفرح بالصلاة فيه، فيبدأ بالقول: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء» ويـــختم بالقول: «أســكن في بيت الرب إلى مدى الأيام» (مز ٢٣: ١، ٦). ويردد: «أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك. أسجد في هيكل قدسك بخوفك» (مز ٥: ٧). وعندما نبدأ رحلتنا مع الله سنكتشف أنــه «تسير شعوب كثيرة ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلِّمنا من طرقه ونسلك في سبله» (إش ٢: ٣). لأنه «سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥).

٢ - **فرح شركة المؤمنين**: «إلى بيــت الرب نذهب» (آيــة ١ب). فرح المرنم بالدعوة، وفرح أنه سـينضم إلى مجموعة رائعة من محبّي الرب، يتعبَّدون له فتطمئن قلوبهم. كان كالجائع الذي وجد من يــدعوه للخبز، وكالعطشان الذي سمع من يدعوه إلى ينبوع ماء مع أصدقاء فرحين. وشركة المؤمنين تُفرح القلب، إذ يشجِّع بعضهم بعضاً.. في كتاب «ســياحة المســيحي» ليوحنا بنيان بدأ السائح رحلة الســفر إلى المدينة الســماوية وحده. أما زوجته فإنها عندما بدأت رحلتها اصطحبت أولادهما معها، وكم كان فرح قلبها بصُحبة كل عائلتها المتوجِّهة معها إلى المدينة الســماوية، ولســـان حالها يقول: «هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب» (إش ٨: ١٨).

في بيت الرب يجد المتعَب راحة لنفســـه، كما قال داود: «واحدةً سألت من الرب.. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي، لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرَّس في هيكله» (مز ٢٧: ٤). عندما واجه المرنم آســاف مشكلة نجاح الأشرار وتعب الأبرار، وجد الحل في بيــت الرب، فقال: «حتى دخلتُ مــقادس الله وانتبهت إلى آخِرتهم» (مز ٧٣: ١٧). وعندما وصلت رسائل ملك بابل إلى الملك حزقيا يســخر فيها منه ومن إلهه، وجد حزقيا راحته في بيت الرب «فأخذ حزقيا الرســائل من يد الرســل وقرأها، ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها حزقيا أمام الرب» فأنقذه الرب (إش ٣٧: ١٤).

٣ - **فرح العبادة:** «تقف أرجلنا في أبوابك يـا أورشليـم» (آيـة ٢). يعطي العالم فرحاً مؤقتاً لا يـستمر، أما فرح الرب فهو قوتنا «لأن يوماً واحداً في ديارك خير من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار» (مز ٨٤: ١٠). ما أجمل أن نقترب من بيت الله ولو كنا «واقفين»، فالوقوف يعني اليقظة والاستعداد للطاعة.

ثانياً - ذكريات مقدسة
(آيات ٣-٥)

١ - **العودة للمجد الأول:** «أورشليـم المبنيَّة كمدينة متَّصلة كلها» (آية ٣). عندما استولى داود على حصن اليبوسيين «أقام داود في الحصن، لذلك دعوه مدينة داود، وبنى المدينة حواليها من القلعة إلى ما حولها» (١أخ ١١: ٧، ٨). ولكن البابليين جاءوا وهدموا أسوار أورشليم وخربوا بيوتها ودمَّروا هيكلها، وسبوا المقتدرين والمتعلمين من أهلها. وبعد سبعين سنة ردَّ الرب سبي شعبه، فرجع كثيرون من المسبيين مع عزرا الكاتب وبدأوا يبنون الهيكل. وعادت مجموعة أخرى مع نحميا الوالي وبدأوا يبنون الأسوار متَّصلة ببعضها بغير ثغرة ولا فجوة (نح ٢: ١٧ و٧: ٤). فأُعيد بناء البيوت المهدَّمة، وأصبحت المدينة متكاملة الأسوار والهيكل والمباني. وكان سكانها يداً واحدة، يتعبَّدون معاً ويبنون معاً، بقلب واحد وروح واحد.

ويـنطبق التعبيـر «متَّصلةً كلها» على الحيـاة الروحيـة، فمع أننا من خلفيات وثقافات وأحوال اقتصادية واجتماعية متنوعة، إلا أننا متساوون أمام الله خالقنا والمعتني بنا وفادينا. وفي الكنيسة ننسى ألقابنا ومن أيـن أتيـنا، ونكتفي بأن نعرف أننا أبناءٌ لأب واحد. وهذا الانتساب يربطنا معاً كعائلة وإخوة بعضنا لبعض، نشبه أحجاراً حيـة في بناء واحد، نضع أيدينا في أيدي بعضنا لنؤدي رسـالة واحدة، كالأغصان في كرمة المسـيح. ونتمسَّك بالرجاء أن لنا مسكناً سماوياً يجهِّزه المسيح لنا (يو ١٤: ١-٤)، لأننا سـياح مسافرون من مدينة الهلاك إلى المدينة السماوية «جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيـتُم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. ربٌّ واحد. إيمان واحد. معمودية واحدة. إلهٌ وآب واحد للكل، الذي على الكل وبالكل وفي كلكم» (أف ٤: ٤-٦).

٢ - **ذكر المراحم الأولى:** «حيث صعدت الأسـباط، أسـباطُ الرب. شهادةً لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب» (آيـة ٤). يـذكر المرنم بفرح أن له تراثاً تاريـخياً غنياً من العبادة لله والتعبيد له، فقد اعتاد الأسباط أن يقوموا برحلة العبادة إلى هيكل الرب ثلاث مرات في السنة، طاعةً للأمر الإلهي، مرتان في الربيـع في عيـد الفطيـر وعيـد الأسـابيـع، ومرة ثالثة في الخريف للاحتفال بعيد المظال.

«ثلاث مرات في السـنة يـحضر جميع ذكورك أمام الرب إلهك، في المكان الذي يختاره، في عيد الفطير وعيد الأسـابيع وعيد المظال. ولا يحضروا أمام الرب فارغين. كل واحد حسبما تعطي يده، كبركة الرب إلهك التي أعطاك» (تث ١٦: ١٦، ١٧).

وعـيد الفطير هو عيد الفصح (بمعنى: عيد العبور) وهو الاحتفال بعبور الملاك المهلك عن بيوت بني إسـرائيل فلم يوقع بهم ضرراً، بينما قتل الابن البكر في بيوت المصريين. وسُـمي عيد الفطير لأنهم لم يكونوا يأكلون فيه خبزاً مختمراً.. وأما عيد الأسـابيع فهو عيد الخمسـين ويُسمَّى أيضاً يوم الباكورة، وهو احتفال شكر لأجل الحصاد، وكان التقليد اليهودي يقول إن الشريعة أُعطيت لموسى في اليوم الخمسين بعد خروجهم من مصر.. وعيد المظال يذكرون فيه إقامة بني إسرائيل في مظال أثناء سفرهم في البرية، فكانوا يقيمون المظال في الساحات وعلى السطوح، ويسكنونها سبعة أيام.

وفي كل حج يشهد بنو إسـرائيل لفضل الله عليهم، في عبور الملاك المُهلك عنهم، وفي إعطائهم الشريعة، وفي عنايته بهم في سنوات التيه الأربعين.

٣ - ***الشكر على العدالة:*** «لأن هناك استوت الكراسي للقضاء، كراسيُّ بيت داود» (آية ٥). فوَّض الـرب الملك ليحكم بين الناس بالعدل، وكان الملك يفوِّض قضاةً من العائلة المالكة ومن أعيان الشعب فيـجلسـون على كراسـي القضاء لينصفوا المسـكين ويحاموا عن اليتيم والأرملة. وكان المؤمنون يتوقَّعون أن يُجري الله عدلاً على فم الملك وبواسطة رجاله، فيقولون لله: «لأنك أقمت حقي ودعواي. جلسـت على الكرسي قاضياً عادلاً» (مز ٩: ٤)، ويباركهم بأن «يُخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (مز ٣٧: ٦).

ولأن الكراسي استوت للقضاء، فلا يجب أن نأخذ حقوقنا بأيدينا «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب: لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو ١٢: ١٩).

ولا شك أن عدالة الله الآن بين الناس بالملك العادل والقضاة الأمناء رمز للعدالة الأخيرة يوم نقف جميعنا أمام كرسـي المسـيح، نعطي حساباً عما فعلنا. وهذه إشارة إلى مُلك الرب السعيد «الرب قد ملك، فلتبتهج الأرض» (مز ٩٧: ١).

ثالثاً - صلاة واثقة
(آيات ٦-٩)

عندما بلغ المرنم أبواب أورشليم امتلأ قلبه بالشكر لله، وبدأ يصلي من أجل المدينة العظيمة، حيث هيـكل الرب، المكان الذي فيـه تابوت العهد بيـن الرب وشعبه والذي بدونه لا تكون هناك ذبيحة كفارية.

واليـــوم ونحن ندرس هذا المزمور نرفع عيوننا لا إلى مدينة مادية في موقع جغرافي، ولكن إلى أورشليم الســــماوية، كما قال الله: «لأني هأنذا خالقٌ سماوات جديدة وأرضاً جديدة، فلا تُذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فيـــما أنا خالق، لأني هاأنذا خالق أورشليم بهجة وشـعبها فرحاً. فأبتهج بأورشليم وأفرح بشعبي، ولا يُسمع فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ» (إش ٦٥: ١٧-١٩). وأورشليمنا الســماوية هي كنيســـة المسيح الروحية غير المنظورة، التي قال عنها يوحنا الرائي: «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزيَّنة لرجلها» (رؤ ٢١: ٢).

ويـــقدِّم الوحي تعريـــفاً لشعب الله، فيقول: «لأن اليهودي في الظاهر ليس يهودياً. وختان القلب بالـــروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليـــس من الناس، بل من الله» (رو ٢: ٢٨، ٢٩). وهذا الـتعريف يوضح طبيعة ملكوت الله: أن كل الذين قبلوا المسيح فادياً ومخلِّصاً، سواء جاءوا من أصل يـــهودي أو من أيـــة خلفية أخرى هم شعب الله، لأنه «ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري ســـكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل» (كو ٣: ١١). وهؤلاء هم شعب الرب الحقيقي. لقد جاء المسيح «إلى خاصته، وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باســمه» (يو ١: ١١، ١٢). وقد بكى المســيح على المصير الســـيء لأورشليم الأرضيـــة، وقال لها: «إنكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لســـلامك. ولكن الآن قد أُخفي عن عينيك. فإنه ســـتأتي أيامٌ ويحيط بكِ أعداؤكِ بمترسة، ويُحدقون بك ويحاصرونك من كل ناحيـــة، ويـــهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك» (لو ١٩: ٤٢-٤٤).

وفي نور هذا التفسير الروحي تعالوا نتأمل صلاة المرنم.

١ - **طلب سلامة المدينة:** «اســـألوا ســـلامة أورشليم. ليسترحْ محبّوك. ليكُن سلام في أبراجك، راحةٌ في قصورك» (آيـــتا ٦، ٧). أورشليـــم معناها مدينة الســـلام، والمرنم يطلب أن يكون حالها مشابهاً لاســـمها، عندما يصلي المؤمنون لأجلها، فيُقال: «صوت ترنمٍ وخلاص في خيام الصدِّيقين. يمين الرب صانعةٌ ببأس» (مز ١١٨: ١٥). وعندما تُســتجاب الصلاة يستريح العابدون الذين جاءوا ليـــعيِّدوا للرب في أورشليم، وتكون الأبراج المقامة على أســـوارها في ســـلام بلا هجوم من عدو، وتـكون قصورها في سلام بسبب الوفرة والنجاح. «دوروا حولها. عُدّوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متارســـها. تأملوا قصورها لكي تحدِّثوا بها جيلاً آخر، لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد» (مز ٤٨: ١٢-١٤).

والدعاء أن يكون السـلام في الأبراج، والراحة في القصور يعني الراحة من الهجمات الخارجية ومن الانقسـامات الداخلية، كما حدث مع الكنيسـة الأولى «كان لها سلام، وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع ٩: ٣١).

٢ - **طلب سلامة المؤمنين**: «من أجل إخوتي وأصحابي لأقولنَّ: سـلام بكِ» (آيـة ٨). يـعتبر المؤمن باقي المؤمنين إخوته وأصحابه، كما قال داود للشعب: «اسـمعوني يا إخوتي وشعبي» (١أخ ٢٨: ٢). وقال المسـيح: «من يصنع مشيئة أبي الذي في السـماوات هو أخي وأختي وأمي» (مت ١٢: ٥٠). والمؤمنون جميعاً إخوة «لأن الذين سـبق فعرفهم سـبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليـكون هو بكراً بيـن إخوة كثيرين» (رو ٨: ٢٩). وعندما نصلي من أجل الإخوة نصلي من أجـل نهضة الكنيسة، وراعي الكنيسة، الذي يسميه المسيح في سفر الرؤيا «ملاك الكنيسة». وعندما ينهض المؤمنون تنهض الكنيسـة. لذلك يقول المرنم إنه من أجل إخوته وأصحابه الذين يصلّون فيها ليقولنَّ: سـلام لجماعة المؤمنين. «وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (في ٤: ٧).

٣ - **طلب سلامة بيت الرب**: «من أجل بيت الرب إلهنا ألتمس لك خيراً» (آية ٩). كان بيت الرب مبنياً في المدينة المقدسـة، فمن أجل سـلامة بيت الرب يطلب السلامة للمدينة، لأن الهيكل هو قلب العبادة، وقلب المدينة كلها. وقد وُصف نحميا بأنه «رجلٌ يطلب خيراً لبني إسـرائيل» (نح ٢: ١٠). فلنطلب سـلامة الكنيسة وكل مدينة تُقام فيها كنيسة، ليتكرر ما حدث في يوم الخمسين إذ «انضم في ذلك اليـوم نحو ثلاثة آلاف نفس.. وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسـة الذين يخلُصون» (أع ٢: ٤١، ٤٧).

المزمور المئة الثالث والعشرون

ترنيمة المصاعد

١ إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً في السماواتِ. ٢ هوذا كما أن عيونَ العبيدِ نحو أيدي ساداتِهم، كما أن عينَي الجاريةِ نحو يدِ سيِّدتِها، هكذا عيونُنا نحوَ الربِّ إلهنا حتى يترأفَ علينا. ٣ ارحَمْنا يا ربُّ ارحَمْنا، لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً.٤ كثيراً ما شبعَتْ أنفسُنا مِن هُزءِ المستريحين وإهانةِ المستكبرين.

ترأف علينا

افتتح المرنم مزمور ١٢١ بالقول: «أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السماوات والأرض» وأمدَّه الله بالمعونة في السفر، ووقف في أبواب أورشليم فامتلأت نفسه هدوءاً وسكينة، وبدأ يرتل مزمورنا: «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكناً في السماوات» لأنه شعر باحتياجه الدائم، فرفع عينيه وثبَّتهما على ساكن السماوات، لأنه الرب الحي الذي يحيا في داخله. كان واثقاً من وجوده وأنه يجازي الذين يطلبونه، فوقف أمام الهيكل كعبدٍ ينتظر تعليمات سيده باتضاع كامل. وهو يعلّمنا احتياجنا الدائم إلى رفع عيوننا إلى الله، لأن العالم حولنا والجسد فينا يشدّان التفاتنا إلى أسفل، ويضعان في طريقنا المتاعب والضيقات. فإذا كنا متعَبين نتجرَّب بأن نحوِّل عيوننا عن الرب، وننظر لمواردنا الذاتية، أو نتوقَّع معونة البشر من حولنا، وننسى أن الرب قال: «ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه.. مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب متكله» (إر ١٧: ٥، ٧) فلنجتهد بكل قلوبنا أن تتجه أنظارنا دائماً إلى ساكن السماوات.

يبدأ المزمور بصيغة المفرد «إليك رفعتُ» ولكنه سرعان ما يصبح ترتيلة المؤمنين جميعاً، فيتحوَّل إلى صيغة الجمع «هكذا عيوننا نحو الرب». فلنرتل معهم هذا المزمور لنتشجع ونستمر في رفع النظر إلى الرب «حتى يترأف علينا».

في هذا المزمور نجد،

أولاً – نظرة إلى الأعالي (آيتا ١، ٢)

ثانياً – طلب الرحمة (آيتا ٣، ٤)

أولاً - نظرة إلى الأعالي
(آيتا ١، ٢)

١ – **نظرة إلى صاحب الجلال:** «إليك رفعت عينيَّ يا ساكناً في السماوات» (آية ١). بعد أن تحدَّث المرنم عن الرب في مزمور ١٢١ تحدَّث في مزمورنا إلى الرب. وبعد أن كان ينظر إلى الجبال،

رفع عينيه إلى ساكن السماوات، فصار أكثر اقتراباً منه. وارتقت العلاقة بينهما وتعمقت، فرأى الرب ملكاً وحاكماً للعالم كله، فهو رب العالمين «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيُّه. عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم» (مز ١١: ٤).. وكأن المرنم يقول: «عيناي دائماً إلى الرب، لأنه يُخرج رجليَّ من الشبكة» (مز ٢٥: ١٥). «إن إلهنا في السماء، كلما شاء صنع» (مز ١١٥: ٣).. رأى النبي إشعياء مجد الرب في هيكله، وسمع السرافيم تهتف له: «قدوس. قدوس. قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣) فأدرك أن القدوس ساكن السماء يملأ مجده كل الأرض، وهو الوحيد الذي يستحق أن نرفع عيوننا لأنه الساكن في السماوات والفعّال في الأرض، وطرقه كلها حق، وهو الذي يسرع لمعونتنا بطرقه العجيبة التي لا تخطر لنا على بال، ويقول لنا: «لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إش ٥٥: ٩).

٢ - **نظرة إلى صاحب السلطان:** «هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها..» (آية ٢أ، ب). في نور رؤية الرب ساكناً في السماوات، صاحب كل السلطان في السماء وعلى الأرض، رأى المرنم نفسه عبداً للرب. والمؤمنون جميعاً عبيد الرب لأنه خلقهم، ولأنه يعولهم، ولأنه اشتراهم بالفداء. وهم يتشرّفون بالعبودية له، لأن هذه العبودية هي الحرية الكاملة، فهي الانتماء لسيد الأرض كلها، وقد قال أحد القديسين: «أنا محتاجٌ إلى ربوبيتك، ولكنك لست محتاجاً لعبوديتي». ولقب العبد والأمة لقب محبّب لنفوس المؤمنين، أُطلق على موسى مرات كثيرة (تث ٣٤: ٥ وأي ٦: ٤٩)، وعلى يشوع (يش ٢٩: ٢٤ وقض ٢: ٨)، وعلى إيليا (١مل ١٨: ٣٦)، وعلى دانيال (دا ٦: ٢٠)، وعلى بولس (رو ١: ١)، وعلى بطرس (٢بط ١: ١)، وعلى يعقوب (يع ١: ١)، وعلى كل من حرَّرهم المسيح (١بط ٢: ١٦). وأطلقه داود على أمه، فقال: «لأني عبدك. أنا عبدك ابن أمتك» (مز ١١٦: ١٦)، وأطلقته العذراء مريم على نفسها حين قالت للملاك: «هوذا أنا أمة الرب» (لو ١: ٣٨).

وتفرّق التوراة بين العبد المولود في البيت والعبد المشترى بالمال، فالعبد المولود في البيت أغلى لأنه ينتمي إلى ذلك البيت (تك ١٤: ١٤). وما أجمل بيت تيموثاوس الذي قال له الرسول بولس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (٢تي ١: ٥).

والمؤمن الحقيقي هو الذي يقول للرب: «أُحبُّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر ٢١: ٥)، وهو الذي يتكلم كلاماً صالحاً عن سيده، وشعاره: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي (كأنه بواب البيت) على السكن في خيام الأشرار» (مز ٨٤: ١٠).

تطلّع المرنم بنظرة واسعة فرأى الله ساكناً في السماوات، وركّز النظر فرأى يده تهدي البركات لأنها مُحبّة سـخيـة، وتهدي إلى الصلاح لأنها صالحة وأميـنة ولا تُضلُّ أحداً. فأدرك أنها يـدُ صاحب السـلطان الذي يـجب أن نطيعه، كما أنها يد المنان الذي يجود علينا. فلنطع توجيهات صاحب اليد الكريـمة لننال بركاته، ولتنفتح عيـوننا وآذاننا إلى تعليماته، ولنقُل له: «ليكن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت» (مر ١٤: ٣٦). وحينئذ نخلُص وندخل ونخرج ونجد مرعى (يو ١٠: ٩)، ونقول: «ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟ كأس الخلاص أتناول، وباسم الرب أدعو» (مز ١١٦: ١٣).

(أ) **يد الرب تهدي:** في كل رحلة حيـاة المؤمن يمد الرب يده إليه، كما فعل مع شعبه في القديم «فرعاهم حسـب كمال قلبه، وبمهارة يديه هداهم» (مز ٧٨: ٧٢)، ونسمعه يقول: «أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨).

(ب) **يد الرب تعطي:** فلا نخاف ولا نقلق لأنه يهتم بكل خليقته «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حيـنه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز ١٠٤: ٢٧، ٢٨). ويقول المرنم: «كنت فتى وقد شخت، ولم أر صدّيـقاً تُخُلّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥). قال الرب للنبي إيليا: «أمرتُ الغربان أن تعولك هناك» (١مل ١٧: ٤)، فسخّر الغربان التي تخطف ليخدموا نبيّه إيليا.

(ج) **يد الرب تحمي:** «لأنك أنت تبارك الصديـق يا رب. كأنه بترس تحيطه بالرضا» (مز ٥: ١٢). ويطمئن الله شعبه بكلمات داود وهو يقول لجليات: «أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتي إليـك باسـم رب الجنود.. لأن الحرب للرب» (١صم ١٧: ٤٥-٤٧). ويقول عن كل مؤمن: «لأنه تعلّق بي أنجيـه. أرفّعه لأنه عرف اسـمي. يدعوني فأسـتجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجّده» (مز ٩١: ١٤، ١٥).

(د) **يد الرب تصحّح:** هو الأب الحنون الذي يـهتم بنقاوة حيـاة أولاده، ويـريـدهم طاهرين، فيـوصيـهم: «لا تشاكلوا (لا تكونوا على شكل) هذا الدهر، بل تغيّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرْضيّة الكاملة» (رو ١٢: ٢). وعلينا أن نقاوم الخطية، فإن لم نفعل يـؤدبنا ليقوّمنا، كما قال الوحي: «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية، وقد نسـيتم الوعظ الذي يخاطبكم كبنين: يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُر إذا وبّخك، لأن الذي يحبه الرب يـؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله. إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين، فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟» (عب ١٢: ٤-٧). «فتواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه» (١بط ٥: ٦).

(هـ) **يد الرب تكافئ:** هي تؤدبنا إن أخطأنا، وتكافئنا إن أحسنّا، كما قيل عن عزرا الكاتب الذي قاد مجموعة كبيـرة من بني إسـرائيل ليرجعوا إلى أرضهم بعد أن أصدر كورش الفارسـي أمره

بالرجوع من السبي: «عزرا هذا صعد من بابل، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل. وأعطاه الملك كل سؤله، حسب يد الرب إلهه عليه.. لأنه في الشهر الأول ابتدأ يصعد من بابل وفي أول الشهر الخامس جاء إلى أورشليم حسب يد الله الصالحة عليه» (عز ٧: ٦، ٩). ووصف هو هذا بقوله: «وقد بسط عليّ رحمة أمام الملك ومشيريه، وأمام جميع رؤساء الملك المقتدرين. وأما أنا فقد تشدَّدتُ حسب يد الرب إلهي عليَّ، وجمعت من إسرائيل رؤساء ليصعدوا معي» (عز ٧: ٢٨).

٣ - **نظرة إلى صاحب الرأفة:** «هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا» (آية ٢ج). ستظل عيون العبيد متعلّقة بيد السيد حتى يفيض عليها برحمته. كان المصلوبان يجدِّفان على المسيح ويسخران منه، ولكن عيني المصلوب التائب تثبّتتا على المسيح، فرأى فيه ما لم يره فيه الأغلبية، فقد رأى فيه رباً. ووجد عنده ما لم يجده الأغلبية، فقد رآه صاحب ملكوت، فقال له: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» فأسبغ عليه عظيم رحمته وجاوبه: «الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢، ٤٣). ما أعظم رحمة الله على كل خاطئ تائب، والرحمة هي التي تمنع عنا العقاب الذي نستحقه. «ترأف على عبيدك. أشبعنا بالغداة من رحمتك، فنبتهج ونفرح كل أيامنا» (مز ٩٠: ١٣).

هناك حرب مستمرة بين الحية ونسل المرأة، وسيظل إبليس يحارب المؤمنين بغير هوادة ولا توقُّف، فلنركز عيوننا على يد الرب حتى ننال رأفته، لأنه وعدنا بالنصرة. «ينتظر الرب ليترأف عليكم، ولذلك يقوم ليرحمكم، لأن الربَّ إلهُ حقٍّ. طوبى لجميع منتظريه» (إش ٣٠: ١٨).

ثانياً - طلب الرحمة
(آيتا ٣، ٤)

امتلأت نفس المرنم بالسعادة لأنه صعد إلى جبل الرب، ولكنه كان يعلم أنه لا بد أن يترك هيكل الرب وينزل إلى الوادي ويعود إلى مهام حياته العادية وسط الأشرار، حيث يواجه المتاعب، فطلب من الرب الرحمة.

١ - **طلب الرحمة من خطاياه:** «ارحمنا يا رب ارحمنا، لأننا كثيراً ما امتلأنا هواناً» (آية ٣).وسبب الهوان الأول هو الخطية والبُعد عن الله. ويقف المرنم في موقف طالب الرحمة، كما وقف العشار من بعيد، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهمَّ، ارحمني أنا

الخاطي» (لو ١٨: ١٣). و«إن اعترفنا بخطايـــانا فهو أميـــن وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩) «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧: ١٩).

٢ – **طلب الرحمة من الهزء والإهانة:** «كثيـــراً ما شبعت أنفســـنا من هزء المســـتريـــحين وإهانة المســـتكبريـــن» (آيـــة ٤). يطلب المرنم الرحمة من المســـيئين إليه، الذين يســـمّيهم المســـتريحين والـــمستكبرين. و«المستريحون» هم الذين يعيشون في رغد ولا يهتمون بالله بل بنفوسهم. ولا تعنيهم متاعب شعب الله ما داموا هم في راحة. وتنحصر كل آمالـــهم في مواردهم الـــشخصيـــة ونفوذهم الاجتماعي أو السياسي بسبب ما لديهم من ثروة وأصدقاء وأسرة، وهم يهزأون بالأبرار، ويستهينون بالحياة المقدســـة، ويسخرون من الذين يخافون الرب. ويقول عنهم عاموس، نبي العدالة الاجتماعية: «ويل للمستريحين في صهيون، والمطمئنين في جبل السامرة» (عا ٦: ١).

أما «المســـتكبرون» فليسوا كباراً إلا في نظر أنفسهم. قال عنهم المرنم: «المستكبرون استهزأوا بي إلى الغاية. عن شريعتك لم أمِل. تذكرتُ أحكامك منذ الدهر يا رب، فتعزّيت» (مز ١١٩: ٥١، ٥٢).

وقـــد درج «المستريحون والمستكبرون» على الهزء بشعب الرب وإهانتهم. وهذا ما جرى عندما أراد نحميا أن يبني أســـوار مدينة الله «لما ســـمع ســـنبلط الحوروني، وطوبيا العبد العموني، وجشَم الـــعربي، هزأوا بنا واحتقرونا وقالوا: ما هذا الأمر الذي أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟.. وكان طوبيـــا العموني بجانبه فقال: إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم. اســـمع يا إلهنا لأننا قد صرنا احتقاراً» (نح ٤: ٣، ٤). وهذا ما حدث للمســـيح، فهو «محتقَر ومخذولٌ من الناس، رجل أوجاع ومختبر الـــحزن، وكمســـتّر عنه وجوهنا، محتقر فلـــم نعتدّ به» (إش ٥٣: ٣). وعلى الصليب «كان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوســـهم.. وكذلك رؤســـاء الكهنة أيضاً وهم يســـتهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلّص آخرين، وأما نفســـه فما يقدر أن يخلصها.. أيضاً كان اللصان اللذان صُلبا معه يعيّرانه» (مت ٢٧: ٣٩-٤٤). وعندما نلجأ إلى المســـيح الذي تجرّب في كل شيء مثلنا ما عدا الخطية، نجده قادراً أن يعين المجرَّبين.

ونحن نتلو هذا المزمور مع صاحبه، دعونا نثبت النظر على يـــد الله الهادية المعطية، ولا نحوّل النظر عنها أبداً. وإن كنا نختبر هواناً فلنرفع عيـــوننا للرب فننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حيـــنه (عب ٤: ١٦).

المزمور المئة والرابع والعشرون

ترنيمة المصاعد. لداود

١ «لولا الربُّ الذي كان لنا»، ليقُلْ إسرائيلُ: ٢ «لولا الربُّ الذي كان لنا عندما قام الناسُ علينا ٣ إذاً لابتلعونا أحياءً عند احتماءِ غضبهم علينا. ٤ إذاً لجرفتنا المياهُ، لعَبَرَ السيلُ على أنفسنا. ٥ إذاً لعبرتْ على أنفسنا المياهُ الطاميةُ». ٦ مباركٌ الربُّ الذي لم يُسْلِمْنا فريسةً لأسنانهم. ٧ انفلتَتْ أنفسُنا مثلَ العُصفور من فخِّ الصَّيادين. الفخُّ انكسر ونحن انفلتْنا. ٨ عونُنا باسمِ الربِّ الصانعِ السماواتِ والأرضَ.

لولا الرب

هـذا خامس مزامير المصاعد التي كان بنو إسرائيل يرتلونها وهم يحجّون إلى الهيكل المبني على جبل، فكان صعودهم جغرافيـاً وروحيـاً. ونرتِّلها نحن اليوم لأننا في رحلة صعود روحي، نعلو فيه ونـرتفع في علاقتنا بالرب وننمو في النعمة وفي معرفة المسيح. فليكن كل يوم من أيام حياتنا تدرُّجاً في زيادة الطاعة لله، وفي الرفعة في محبتنا له ولإخوتنا البشر، فتتشكَّل حياتنا لتكون على صورة حياة المسيح.

في المزمور السـابق حكى المرنم عن اختبار أليـم امتلأت فيه نفسـه بالهوان وشبعت إهانة من المسـتكبريـن، فطلب رحمة الله من عدوه المتكبر، فأتاه الله بخلاص عظيم. وفي هذا المزمور يعدِّد إحسانات الرب، ويدعو المؤمنين ليشكروا الله ويسبحوه ويعلنوا ثقتهم فيه.

ولا نعرف بالضبط المناسـبة التي كُتب فيها مزمورنا، ولعلها مهاجمات سـنبلّط وطوبيّا والعرب والعمونيـين والأشدوديين الذين تآمروا معاً ليحاربوا نحميا وجماعته من بُناة الأسـوار (نح ٤: ٧-٢٣).. وصلى نحميا وأصحابه وأقاموا حراسـاً نهاراً وليلاً. ولما كمل السور سقط الأعداء في أعين أنفسهم وعلموا أن بناء السور كان من عند الرب (نح ٦: ١٦).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - دعوة للشكر (آيتا ١، ٢)

ثانياً - إحسانات الرب العديدة (آيات ٣-٧)

ثالثاً - إعلان الثقة في المستقبل (آية ٨)

أولاً - دعوة للشكر

(آيتا ١، ٢)

«لولا الرب الذي كان لنا، ليقُل إسرائيل، لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا» (آيتا ١، ٢).مرتان يـكرر المرنم: «لولا الرب الذي كان لنا» ليؤكد الحقيقة الأسـاسـية أنه «لا بالقدرة ولا بالقوة،

بل بروحي، قال رب الجنود» (زك ٤: ٦).. وهذا ما قاله يعقوب أبو الأسباط لخاله وحميه لابان، بعد أن خرج الخال وراء صهره ليهاجمه، فأوقفه الرب، وفي هذا الموقف قال يعقوب: «لولا أن الرب إله إبراهيم وهيبة إسحاق كان معي لكنت الآن قد صرفتني فارغاً. قد نظر الله مشقّتي وتعب يديّ، فوبّخك البارحة» (تك ٣١: ٤٢). وقال المرنم: «لولا أن الرب مُعيني لسَكَنَتْ نفسي سريعاً أرض السكوت» (مز ٩٤: ١٧). وهو ما قاله نحميا وهم يهاجمونه وقت بناء السور: «إلهنا يحارب عنا» (نح ٤: ٢٠). ولا بد أن المرنم كان يذكر خوف شعبه وأمامهم البحر الأحمر ووراءهم الجيش المصري، وموسى يقول لهم: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤). حقاً «إن كان الله معنا، فمن علينا؟» (رو ٨: ٣١).. «ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم. ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤: ٧، ٨). «على الله توكلت فلا أخاف. ماذا يصنعه بي الإنسان؟» (مز ٥٦: ١١).. «الرب لي فلا أخاف. ماذا يصنع بي الإنسان؟» (مز ١١٨: ٦).

«لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا» (آية ٢). ما أعظم الفرق بين الذي معنا والذين علينا! معنا الرب سيد الأرض كلها، خالقها وصاحب السلطان فيها، و«إن كان الله معنا فمن علينا؟» (رو ٨: ٣١).. «ملاك الرب حالٌ حول خائفيه وينجيهم. ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤: ٧، ٨). أما «الناس» فهم نسل آدم المخلوق من تراب. فماذا يخيفنا إن قام التراب علينا؟ «الاحتماء بالرب خيرٌ من التوكُّل على إنسان. الاحتماء بالرب خيرٌ من التوكل على الرؤساء» (مز ١١٨: ٨، ٩). «قام الناس علينا» ولكن «الرب نوري وخلاصي، ممَّن أخاف؟ الرب حصن حياتي، ممَّن أرتعب؟.. إن نزل عليَّ جيشٌ لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حربٌ ففي ذلك أنا مطمئن» (مز ٢٧: ١، ٣). نحن تراب كما أنهم تراب، لولا أن الذي وقف إلى جوارنا نحن التراب هو الرب الذي نفخ في التراب فجعل منه نفسا حية. «رب الجنود معنا، ملجأنا إله يعقوب» (مز ٤٦: ٧).

ثانياً - إحسانات الرب العديدة
(آيات ٣ -٧)

١ - **النجاة من الابتلاع:** «إذاً لابتلعونا أحياء عند احتماء غضبهم علينا» (آية ٣). حمي غضب الأشرار على شعب الله وأرادوا أن يبتلعوهم أحياء دفعة واحدة كأنهم الهاوية، مثلما حدث لعائلة قورح، الذين «انشقَّت الأرض التي تحتهم، وفتحت فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما لهم أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة» (عد ١٦: ٣١-٣٣). وفي كل جيل حاول الأشرار أن يبتلعوا المؤمنين أحياء ويقضوا عليهم فلا يبقى لهم ذكر.

وتكررت محاولاتهم بطول التاريخ، حتى سُمِّيت الكنيسة بحق «كنيسة الشهداء». ومع هذا كان دم الشهداء بذار الكنيسة! وهذا ما فعله نبوخذنصّر بالشعب الذي صرخ: «أكلني، أفناني نبوخذنصّر ملك بابل. جعلني إناءً فارغاً. ابتلعني كتنّين وملأ جوفه من نعمي. طوَّحني» (إر ٥١: ٣٤). ولكن الرب أنقذ شعبه وشجعهم بالقول: «إذا اجتزتَ في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيتَ في النار فلا تُلذع، واللهيب لا يحرقك. لأني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلِّصك» (إش ٤٣: ٢، ٣). ولهذا قدَّم الحكيم لابنه نصيحة ليُبعده عن مسايرة الأشرار، فقال: «يا ابني، إن تملَّقك الخطاة فلا ترض. إن قالوا: هلمَّ معنا نكمن للدم البريء باطلاً، لنبتلعهم أحياء كالهاوية وصحاحاً كالهابطين في الجب.. يا ابني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم» (أم ١: ١٠-١٢، ١٥).

٢ - **النجاة من الغرق**: «إذاً لجرفتنا المياه، لعبر السيل على أنفسنا. إذاً لعبرت على أنفسنا المياه الطامية» (آيتا ٤، ٥). عندما تجد عداوة العالم ثغرة فإنها تندفع منها بقوة لتجرف أمامها شعب الله. وأمام فيضانات الاضطهاد لا منقذ ولا ملجأ ولا ملاذ إلا الله. عندما شعر المرنم بالمياه الطامية التي تشبه السيل النازل من جبل يجرف أمامه كل شيء، ولا يستطيع إنسان أن يقف أمامه، صرخ: «خلِّصني يا الله لأن المياه قد دخلتْ إلى نفسي. غرقتُ في حمأة عميقة وليس مقر. دخلتُ إلى أعماق المياه. السيل غمرني.. رفعت الأنهار يا رب، رفعت الأنهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها. من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحر، الرب في العُلا أقدر» (مز ٦٩: ١، ٢ و٩٣: ٣، ٤). «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩: ١٩).

والمياه الطامية ترمز إلى الأعداء الذين يجيئون بكثرة كأمواج بحر هادرة غاضبة يهاجمون شعب الله. لكنه لن يهملهم ولن يتركهم، فكل من يسمع أقواله ويعمل بها، يشبه رجلاً عاقلاً بنى بيته على الصخر «فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبّت الرياح، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسساً على الصخر» (مت ٧: ٢٤). «لكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧).

٣ - **النجاة من الافتراس**: «مبارك الرب الذي لم يُسلمنا فريسة لأسنانهم» (آية ٦). يشبِّه المرنم الأعداء هنا بالوحوش المفترسة التي تنقضّ على فرائسها وتمزِّقها بأسنانها قبل أن تلتهمها، فلا ينقذ الفريسة إلا الراعي الصالح، الذي يناديه المرنم: «قُم يا رب. خلِّصني يا إلهي. لأنك ضربتَ كل أعدائي على الفك. هشَّمت أسنان الأشرار» (مز ٣: ٧). «يا ربُّ إلهي عليك توكلتُ. خلِّصني من الذين يطردونني ونجِّني، لئلا يفترس كأسد نفسي، هاشماً إياها ولا منقذ» (مز ٧: ١، ٢). لقد حاول الأعداء أن يفعلوا الشيء نفسه بالمسيح، فقال المرنم على لسانه بروح النبوَّة قبل صلبه بألف سنة: «لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعةٌ من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ. أحصي كل عظامي،

وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ. يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون. أما أنت يا رب فلا تبعُد. يا قوتي أسرع إلى نصرتي. أنقذ من السيف نفسي، من يد الكلب وحيدتي. خلِّصني من فم الأسد، ومن قرون بقر الوحش. استجب لي» (مز ٢٢: ١٦-٢١). وقد سمعت الصلاة، وقام المسيح من الأموات ظافراً منتصراً.

٤ - **النجاة من الفخ**: «انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن انفلتنا» (آية ٧). يشبِّه المرنم نفسه بعصفور تهدده فخاخ الصيادين. والصيادون يعرفون طبائع الطيور، فهي لا تقدر أن ترى الشبكة حتى تتجنَّبها، وإذا وقعت فيها لا تقدر أن تخلِّص نفسها منها. وما أسعد العصفور الذي له مخلِّص قوي يتدخَّل في الوقت المناسب فيكسر الفخ ويطلق العصفور، وينجي زملاءه العصافير الأخرى فلا يمسكها الفخ لأنه انكسر! وطوبى للنفس التي يسهر الرب عليها، وهي تقول: «عيناي دائماً إلى الرب، لأنه هو يُخرج رجليَّ من الشبكة» (مز ٢٥: ١٥) وتذكر الوعد: «لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوبأ الخطر» (مز ٩١: ٣).

وما أكثر فخاخ إبليس. قد يكون الفخ تعليماً غريباً، وقد يكون كبرياء المؤمن، أو شهوته المسيطرة عليه، وقد يكون سقوطه في بالوعة اليأس.. وهذه كلها يحطمها الله ويفلتنا منها، فنكون «متحيِّرين لكن غير يائسين، مضطهَدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين» (٢كو ٤: ٨، ٩).

فلنقدم الشكر لله لأجل النجاة من الابتلاع، ومن الغرق، ومن أسنان الوحوش المفترسة، ومن فخ الصيادين، لأنه يفدي حياتنا من الحفرة (مز ١٠٣: ٤).

ثالثاً - الثقة في المستقبل
(آية ٨)

«عوننا باسم الرب الصانع السماوات والأرض» (آية ٨). يعلن المرنم ثقته في المستقبل لأن مصدر معونته ورجائه هو ملك الملوك، الذي بيده قلب الملك كجداول مياه، يُميلها إلى حيث شاء (أم ٢١: ١)، وهو خالق كل الأشياء بكلمة قدرته، صنع السماوات وما فيها والأرض وما عليها، وسيحفظنا حتى يحين وقت انتقالنا من أرضه إلى سمائه «ويفرح جميع المتكلين عليك. إلى الأبد يهتفون وتظللهم. ويبتهج بك محبّو اسمك. لأنك أنت تبارك الصديق يا رب. كأنه بترس تحيطه بالرضا» (مز ٥: ١١، ١٢).

الله هو هو، أمساً واليوم وإلى الأبد. في الماضي أخرج بني إسرائيل من مصر، وكسر فخَّ فرعون، وأغرقه مع جنوده في البحر، فرنَّم موسى وبنو إسرائيل: «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي. هذا إلهي فأمجِّده. إله أبي فأرفِّعه» (خر ١٥: ٢). «اتَّكِلوا على الرب إلى الأبد، لأن في ياه الرب صخرَ الدهور» (إش ٢٦: ٤).

المزمور المئة الخامس والعشرون

ترنيمة المصاعد

١ المتوكّلون على الرب مثلُ جبلِ صهيونَ الذي لا يتزعزعُ، بل يسكنُ إلى الدهرِ. ٢أورشليمُ الجبالُ حولَها، والربُّ حولَ شعبه مِن الآنَ والى الدهرِ. ٣ لأنه لا تستقرُّ عصا الأشرار على نصيبِ الصّدّيقين لكي لا يَمُدَّ الصّدّيقون أيديَهم إلى الإثمِ. ٤ أحسِنْ يا ربُّ إلى الصالحين وإلى المستقيمي القلوبِ. ٥ أما العادلون إلى طُرقٍ مُعَوَّجةٍ فيُذهِبُهمُ الربُّ معَ فَعَلَةِ الإثم. سلامٌ على إسرائيلَ.

الرب حول شعبه

يعلن هذا المزمور أمان المؤمن الدائم بسبب قوة الرب وأمانته اللتين لا تتغيران، مثل الجبل الثابت المقدس الذي بُني عليه الهيكل. ويتكلم المرنم عن ذكريات حلوة يتبادلها المؤمنون بعد أن وصلوا إلى جبل صهيون معاً. والاسم «صهيون» قد يعني «يصون» أو «يحمي». وقد يعني «صهوة» بمعنى قمة جبل أو قلعة. وجبل صهيون، أي جبل الحصن، جبلٌ عالٍ ثابت لا يتعرض للزلازل وليس من السهل أن يغزوه عدو، ظل كما هو منذ كان في يد اليبوسيين حتى استولى عليه داود عام ١٠٠٣ ق م، وأطلق عليه اسم «مدينة داود» (٢صم ٥: ٧) ونقل إليها تابوت العهد (٢صم ٦: ١٢). ثم وسّع سليمان مدينة أورشليم شمالاً حتى شملت جبل المُريّا الذي بنى عليه الهيكل عام ٩٥٨ ق م (٢أخ ١: ٣)، وبعدها أُطلق اسم «صهيون» على كل مدينة أورشليم بما فيها الحصن وجبل المريا.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - إعلان الثقة (آيات ١-٣)

ثانياً طلب الواثق (آيتا ٤، ٥)

أولاً - إعلان الثقة
(آيات ١-٣)

١ - **ثبات المؤمن**: «المتوكّلون على الرب مثل جبل صهيون الذي لا يتزعزع بل يسكن إلى الدهر» (آية ١). يُضرب المثل بالجبال في الثبوت وعدم التغيُّر، ويُضرب المثَل بجبل صهيون لأن الله أقام هيكله فيه، ويقول الوحي: «إن الرب أسّس صهيون، وبها يحتمي بائسو شعبه» (إش ١٤: ٣٢). والمتوكل على الرب هو الذي يضع ثقته فيه عملياً، وليس نظرياً فقط، ويتصرف على أساس

هـذه الثقة، ويسلك طبقاً لهذا التعليم، فيُقال عنه: «سعيدٌ هو الرجل الذي يترأف ويُقرض. يدبِّر أموره بالحق، لأنه لا يتزعزع إلى الدهر. الصدِّيق يكون لذكرٍ أبدي. لا يخشى من خبر سـوء. قلبه ثابت متكلاً على الرب. قلبه ممكَّن فلا يخاف» (مز ١١٢: ٥-٨). والمتوكل على الرب يشبه الطفل الذي يرفعه أبوه على مكان عالٍ ثم يطلب منه أن يقفز، فيقفز إلى حضن أبيه بدون خوف قفزة الإيمان المحسوبة، حتى في الظلام، لأنه يثق أن أباه لن يتركه يسقط، فيخاطر بالقفز، وكأنه يقول مع الرسول بولس في السفينة الموشكة على الغرق: «وصرنا نُحمل» (أع ٢٧: ١٥)، فلم تكن الأمواج هي الحاملة، بل رب الأمواج. «ليس مثل الله.. الإله القديم ملجأ، والأذرع الأبدية من تحت» (تث ٣٣: ٢٦، ٢٧).. «ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥: ٧).

يعلم المؤمن أن «الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزر بها. أيضاً تثبتت المسكونة. لا تتزعزع» (مز ٩٣: ١). ويثق في الوعد: «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع. أما إحساني فلا يزول عنكِ، وعهد سلامي لا يتزعزع. قال راحمكِ الرب» (إش ٥٤: ١٠)، فيرنم: «جعلتُ الربَّ أمامي في كل حين. لأنه عن يميني فلا أتزعزع» (مز ١٦: ٨).

كان مارتن لوثر يحب مزمور ٤٦ الذي ألهمه الشجاعة، فوقف في وجه المقاومة العنيفة والتهديد بالقتل. ولا زال اللحن الذي وضعه ليرنم به مزمور ٤٦ مصدر إلهام للمؤمنين، وهم يرتلون: «الله في وسطها فلن تتزعزع. يعينها الله عند إقبال الصبح» (مز ٤٦: ٥) أي في ساعات الظلمة الشديدة قبل الفجر، لأنهم متأكدون أن نور النهار سيهزم الظلمة مهما كانت كثيفة!

٢ - **حضن المؤمن**: «أورشليم الجبال حولها، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» (آية ٢). حقيقة أن الجبال تحيط بأورشليم هي حقيقة جغرافية لا تنكرها عين. وحقيقة احتضان الله للمؤمن حقيقة روحية ثابتة ستبقى من الآن وإلى الدهر تضمن له الأمان، لأنه يعيش داخل قلعة حصينة. «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصدِّيق ويتمنَّع» (أم ١٨: ١٠). فالرب يحيط بالمتوكل عليه كالجبل الثابت الذي لا يتزعزع، محققاً وعده الصادق: «أنا، يقول الرب، أكون لها سور نار من حولها، وأكون مجداً في وسطها» (زك ٢: ٥). وهذا ما اختبره داود فقال: «إن أبي وأمي قد تركاني، والرب يضمني» (مز ٢٧: ١٠).

في كل مرة نتقدم فيها لممارسة فريضة المعمودية، لنضمَّ للرب شخصاً نال الخلاص، نقرأ نصَّ الإنجيل عن الأمر بالمعمودية، فنجده مسبوقاً بوعدٍ من المسيح، ومتبوعاً بوعدٍ آخر منه. أما الوعد السابق فيقول: «دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٨). فالمسيح صاحب كل السلطان في السماء

ليغفر خطايا الذين يعترفون بها ويعزمون على تركها، ويستجيب الصلاة، ويشفع في المحتمين به، ويرسل ملائكته لخدمتهم. أما سلطانه على الأرض فواضح من أنه لا زال الحي الذي يُجري المعجزات، وينقذ كل من يلوذ به.. أما الوعد الذي يتبع المعمودية فهو: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). وهذان الوعدان يعلِّماننا أن الرب يضمُّ كل معمَّد إلى صدر محبته كل الأيام إلى انقضاء الدهر.

٣ - **نصرة المؤمن**: «لأنه لا تستقر عصا الأشرار على نصيب الصدِّيقين، لكيلا يمدَّ الصدِّيقون أيديهم إلى الإثم» (آية ٣). ترمز العصا إلى السلطان والتحكُّم. ولكن بسبب وعود الرب لخائفيه لا يستمر تحكُّم الأشرار في نصيب الصديقين، فيقولون: «كسَّر الرب عصا الأشرار، قضيبَ المتسلِّطين» (إش ١٤: ٥). قد تجيء عصا الشرير على نصيب الصديقين بعض الوقت، وقد يتحكَّم الأشرار في المؤمنين أحياناً، لكن هذا لا بد أن ينتهي، لكيلا يمدَّ الصدِّيقون أيديهم إلى الإثم. فالمؤمنون هم شعب الله، وطالما كانوا في العالم سيكون لهم ضيق. إنهم ليسوا محصَّنين ضد التجارب. وسيجيء الوقت الذي سيحطم فيه الرب عصا الأشرار، فيُقال للمؤمنين: «ويكون في يوم يريحك الربُّ من تعبك، ومن انزعاجك، ومن العبودية القاسية التي استُعبِدتَ بها.. وتقول: كيف باد الظالم؟» (إش ١٤: ٣، ٤).

دعا الإمبراطور تراجان قسيساً أراد أن يسخر منه ومن مسيحه، فسأله: «ماذا يفعل نجاركم الناصري الآن؟» فأجابه: «يُجهِّز نعشاً للإمبراطورية الرومانية». وقد كان! فقد آمنت بالمسيح هيلانة أمُّ قسطنطين، الإمبراطور الروماني المسيحي الأول، ثم عقد قسطنطين المجمع المسكوني المسيحي في نيقية عام ٣٢٥ م، حضره ٣١٨ أسقفاً، كان أحدهم قد فقد عيناً من التعذيب، فقبَّل الإمبراطور مكان العين المقلوعة، وأمر بنسخ خمسين نسخة من الكتاب المقدس على نفقة الدولة الرومانية، وأن تكون المسيحية ديانة الدولة الرسمية.. وهكذا صنع الناصري النعش. وسيأتي اليوم الذي فيه تجثو للمسيح كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. فلن تستقر عصا الأشرار على نصيب الصديقين.

لم يخشَ المرنم أن تسرق عصا الأشرار ماله، أو تُنهي حياته، بل خاف أن تمتدَّ يد الصديقين إلى الإثم، لأن المسيح يقول لهم: «لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها» (مت ١٠: ٢٨).. لن يستقر سلطان الأشرار على نصيب المؤمنين، وهم يهتفون: «الرب نصيب قسمتي وكأسي. أنت قابض قرعتي. حبالٌ وقعت لي في النُّعماء، فالميراث حسنٌ عندي.. لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسترني بستر خيمته. على صخرة يرفعني» (مز ١٦: ٥، ٦ و٢٧: ٥).

ثانياً - طلب الواثق
(آيتا ٤، ٥)

١ - **طلب الإحسان للصالحين:** «أحْسِن يا رب إلى الصالحين وإلى المستقيمي القلوب» (آية ٤). الإحسان هو العطاء لمن لا يستحق، وهو من طبيعة الرب الصالح الذي يعطي بسخاء ولا يعيِّر (يع ١: ٥). ولا يوجد بين البشر من هو صالح كامل الصلاح ولا مستقيم كلي الاستقامة، فليس فيهم من يستحق هذا الإحسان، لأنه ليس من يعمل صلاحاً، والجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (مز ١٤: ١-٣ ورو ٣: ٢٣). والصالحون المستقيمون هنا ليسوا أصحاب الصلاح والاستقامة الكاملَيْن المطلقَيْن، بل أصحاب النيَّة الصالحة المستقيمة التي لا تطلب إلا طاعة الرب، وهم الأمناء المخلصون للرب بعزم القلب، مثل الرسول بولس الذي قال: «ليس أني قد نلتُ أو صرتُ كاملاً، ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع» (في ٣: ١٢). والرب في محبته الكثيرة يُحسن إلينا، لا لأننا نستحق، ولكن لأنه «رحيمٌ ورؤوف، بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف، غافرُ الإثم والمعصية والخطية» (خر ٣٤: ٦، ٧). قال عنه آساف المرنم: «إنما صالح الله لإسرائيل، لأنقياء القلب» (مز ٧٣: ١). هم البذار «الذي في الأرض الجيدة.. الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح، ويثمرون بالصبر» (لو ٨: ١٥). وهو ما يصف به نحميا نفسه في صلاته: «اذكرْ لي يا إلهي للخير كلَّ ما عملتُ لهذا الشعب.. فاذكرني يا إلهي للخير» (نح ٥: ١٩ و١٣: ٣١). وتظهر عظمة إحسانات الرب في:

(أ) **الخلاص:** «لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أف ٢: ٨). هذا أعظم إحسان يقدمه الرب لكل من يؤمن ويثق أن دم المسيح يطهره من كل خطية «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه (عدالته) من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله» (رو ٣: ٢٤، ٢٥).

(ب) **الغفران:** «إنه من إحسانات الرب أننا لم نفنَ، لأن مراحمه لا تزول» (مرا ٣: ٢٢). وعندما ندعوه: «اغفر لنا ذنوبنا» نثق أنه يسمع ويستجيب لأنه «يعود يرحمنا، يدوس آثامنا، وتُطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم» (مي ٧: ١٩).

(ج) **تحقيق الوعود:** ما أكثر وعود الرب التي تحققت، وأعظمها أن نسل المرأة (المسيح) يسحق رأس الحية (الشيطان) (تك ٣: ١٥)، وهو الوعد الذي تحقق في نصرة المسيح وقيامته من بين الأموات، وهكذا «ابتُلِع الموت إلى غلبة. أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟»

(١كو ١٥: ٥٤، ٥٥). ويــحقق الرب الوعود ويبقى أميناً لنا حتى إن كنا نحن غير أمناء له. لا يغيِّر طبيعته (٢تي ٢: ١٣). قال يشوع: «لم تســقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلَّم به الرب بيت إســرائيل. الكل صار.. وتعلمون بكل قلوبكم وكل أنفســكم أنه لم تسقط كلمة واحدة من جميع الكلام الصالح الذي تكلم به الرب عنكم. الكل صار لكم» (يــش ٢١: ٤٥ و٢٣: ١٤).. وقال ســليمان بعد صلاة تدشين الهيكل: «مباركٌ الرب الذي أعطى راحةً لشعبه إســرائيل حســب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (١مل ٨: ٥٦).

(د) **الإنعام بالخير**: «إحســاناتِ الرب أذكر. تسابيحَ الرب. حسب كل ما كافأنا به الرب، والخيرَ العظيم لبيت إســـرائيل الذي كافأهم به حسب مراحمه، وحسب كثرة إحساناته» (إش ٦٣: ٧). وقال داود وهو يقدم تبرعه لبناء هيكل الرب: «مَن أنا ومن هو شعبي حتى نســـتطيع أن نتبرع هكذا! لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك» (١أخ ٢٩: ١٤). وكل من يدرك إحسانات الرب يدفع عشور دخله للرب، لأن «المعطي المسرور يحبه الله» (٢كو ٩: ٧).

٢ - **طلب العقاب للآثمين**: «أما العادلون إلى طرق مُعوجّة فيُـذهبهم الرب مع فعلة الإثم» (آيــة ٥). «الــعادلــون» إلى طرق معوجة هم الذيــن يــعدلون وجوههم نحو الشر والعوَج، كما فعل بنو إســـــرائيل لما قال لهم موسى: «قد أخطأتم إلى الرب إلهكم، وصنعتم لأنفسكم عجلاً مسبوكاً، وزغتم ســريــعاً عن الطريق التي أوصاكم بها الرب» (تث ٩: ١٦). وهم مثل ابني صموئيل اللذين «مالا وراء المكســـب، وأخذا رشوةً، وعوّجا القضاء» (١صم ٨: ٣). وهم مثل شَمْعيا الذي أخذ رشوة من الأعداء ليعطل نحميا عن بناء ســـور أورشليم (نح ٦: ١٢، ١٣)، فإن «حماقة الرجل تعوّج طريقه» (أم ١٩: ٣) فيـــضم صوته مع العادلين وجوههم بعيداً عن الله، وهم يقولون له: «ابعُد عنا. وبمعرفة طرقك لا نُسر» (أي ٢١: ١٤). فيتركهم الرب لعوجهم وضلالهم فيمضون إلى مصيرهم المخيف مع فاعلي الإثم. لقد اختاروا العوج، وعليــهم أن يــحتملوا عقاب اختيارهم الأعوج، ويُقال لهم: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدّة لإبليس وملائكته» (مت ٢٥: ٤١).

* * *

ويختم المرنم مزموره بالقول: «سلام على إسرائيل» (آية ٥). فمن هم المقصودون بالحصول على الــسلام؟ يقول الوحي: «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. ليس أولاد الجســـد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسبون نسلاً» (رو ٩: ٦-٨).. وهذا يعني أن هناك «إســـرائيل» المولود من نسل إبراهيم، لكنه لا يؤمن إيمان إبراهيم، فهو إسرائيل الجســـدي. وهناك «إســـرائيـــل الله» وهم كل الذيـــن يــؤمنون إيمان إبراهيم من كل قبيلة وشعب..

إســـرائيل الجسدي لا ينال البركة لأنه رفض المسيح الذي «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم ســـلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باســـمه» (يو ١: ١١، ١٢). «إســـرائيل الله» هم الخليقة الجديدة الذين قبلوا المســـيح، ويحملون في أجسادهم علامة المسيح، وهم الذين صلبوا الجســـد مع الأهواء والشهوات. ويقول الوحي: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يســـلكون بحســـب هذا القانون عليهم سلام ورحمة، وعلى إســـرائيل الله» (غل ٦: ١٢-١٦). ســـلام على إسرائيل الروحي، وهم كل من يؤمنون إيمان خليل الله إبراهيم، ويتبعون الرب بعزم القلب.

المزمور المئة والسادس والعشرون

ترنيمة المصاعد

١ عندما ردَّ الربُّ سَبْيَ صهيونَ صِرْنا مثلَ الحالمين. ٢ حينئذٍ امتلأت أفواهُنا ضَحِكاً وألسنتنا ترنُّماً. حينئذٍ قالوا بينَ الأممِ أن الربَّ قد عظَّم العملَ مع هؤلاء. ٣ عظَّم الربُّ العملَ معنا وصِرنا فرحين. ٤ اردُدْ يا ربُّ سبيَنا مثلَ السَّواقي في الجنوب. ٥ الذين يزرعون بالدموعِ يحصدون بالابتهاج. ٦ الذاهبُ ذهاباً بالبكاءِ حاملاً مِبْذَرَ الزَّرعِ، مجيئاً يجيءُ بالترنُّم حاملاً حُزَمَه.

ابتهاج بعد دموع

في هذا المزمور يذكر المرنم بدموع سبي بني إسرائيل المؤلم في بابل مدة سبعين سنة بدءاً من عام ٥٨٦ ق م، كانت كلها تعباً وحزناً وألماً بسبب الاغتراب عن أرض الآباء، وعن هيكل الرب، بعد أن هدمه نبوخذنصَّر ونهب أوانيه وأخذ أفضل أفراد الشعب سبايا. ويذكر المرنم بابتهاج النجاة المعجزية غير المتوقَّعة عندما تدخَّل الله وعفا عنهم وأمر برجوعهم، فأصدر كورش الفارسي تصريحه بعودتهم، فعاد البعض بقيادة زربابل، وآخرون مع عزرا الكاتب، وآخرون مع الوالي نحميا. فكان رجوعهم كأنه حلمٌ، لا يكادون يصدقون حدوثه. ويُطلَق على الرجوع من السبي «الخروج الثاني» باعتباره في مثل عظمة الخروج الأول من مصر. وقد أذهل هذان الخروجان الأمم.

وواجه الراجعون من السبي مصاعب عديدة بعد أن بدأوا إعادة بناء الهيكل وترميم الأسوار المنهدمة، فصلّوا: «اردُد يا رب سبينا» وكأنهم يواجهون سبياً جديداً. وهم يطلبون من الله أن يجعل نهايتهم فرحاً كالحصاد، بالرغم من أن بدءهم مؤلم كمن يتعب وهو يزرع ويسقي وينتظر.

وهناك أوجه شبه بين مزمورنا ومزمور ٨٥ الذي يقول: «رضيتَ يا رب على أرضك.. غفرت إثم شعبك.. رجعتَ عن حموّ غضبك.. أرجِعنا يا إله خلاصنا وانفِ غضبك عنا. هل إلى الدهر تسخط علينا؟» (آيات ١-٥).

وعندما نرنم هذا المزمور نتذكر أن هناك أنواعاً من السبي، يردُّ الرب أجسادنا ونفوسنا منها كلها، وينقذنا من كل آثارها المؤلمة، مادية كانت أو معنوية، جسدية كانت أم روحية. «كثيرةٌ هي بلايا الصدِّيق، ومن جميعها ينجيه الرب» (مز ٣٤: ١٩). فالسبي لا يعني فقط خروجاً من بلادنا إلى بلاد أخرى، لكنه يعني أيضاً خروجنا من النجاح إلى الفشل، أو من الصحة إلى المرض، أو من القوة الروحية إلى الضعف الروحي. ومنها كلها يردُّنا الرب ويُرجعنا، ليس فقط إلى ما كنا فيه، بل إلى أفضل مما كنا فيه، فنقول: «يردُّ نفسي. يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (مز ٢٣: ٣).

في هذا المزمور نجد:

أولاً معجزة النجاة الماضية (آيات ١-٣)

ثانياً - طلب نجاة جديدة (آيات ٤-٦)

أولاً - معجزة النجاة الماضية (آيات ١-٣)

١ - **معجزة فاقت التصوُّر:** «عندما ردَّ الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين» (آية ١). يذكر المرنم النجاة من ضيق السبي ومتاعبه والبُعد عن مكان العبادة. ولكنه يتوقَّف ليتأمل المعجزة السماوية التي ردَّتهم إلى ديارهم، وجعلتهم كالحالمين لفرط عظمة المعجزة.. تُرى هل هو حلمٌ يستيقظون بعده على الحقيقة المُرة أنهم لا يزالون في السبي، أو هل سيقاسون سبياً من نوع جديد؟.. لقد كانوا مثل تلاميذ المسيح عندما ظهر لهم بعد قيامته، فكانوا غير مصدِّقين من الفرح ومتعجبين (لو ٢٤: ٤١).. وكانوا مثل بطرس المسجون الذي كان ينتظر إعدامه في اليوم التالي، وقد راح في نوم عميق. فجاء ملاك الرب لينقذه، وأضاء أرجاء السجن بنور سماوي، وأيقظه، وطلب منه أن يلبس نعليه ويرتدي ثيابه وفوقها رداءه لأن الجو بارد في الخارج، فخرج يتبع الملاك وهو لا يعلم أن الذي يجري حوله حقيقي، بل يظن أنه يحلم. وجازا أربع نقاط حراسة حتى وصلا إلى باب السجن الرئيسي، ففتحه الملاك، وكان بطرس لا يزال يظن أنه يحلم! فسار معه الملاك زقاقاً واحداً حتى قال بطرس في نفسه: «الآن علمتُ يقيناً أن الرب أرسل ملاكه وأنقذني» (أع ١٢: ٦-١١).

وينقذنا الرب من سبيٍ متنوع الأسباب، ويُخرجنا منه ضاحكين:

(أ) **النجاة من سبي الخطية:** الشعور بالذنب أشد قسوة ومرارة من كل سبي. ولكن الله يردُّ سبي الخاطئ التائب ويخلِّصه من سداد أجرة خطاياه بأن يغفرها له. كما يخلِّصه من نتائج خطاياه، وهي الخوف من الفضيحة وعذاب الضمير وانتظار الدينونة. كما يخلِّصه من سطوة الخطية فينصره على آثامه، ويكمل نقصاته، ويقوي ضعفاته، ويجعله قادراً أن يغفر لنفسه وللآخرين. قال المسيح: «إن ثبتّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم.. الحق الحق أقول لكم، إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٠-٣٦). كل البشر عبيد الله لأنه خلقهم، فإن عاشوا في عبودية الخطية لا يبقون في محضره إلى الأبد، بل يُلقى بهم إلى النار المُعدَّة لإبليس وجنوده. أما الابن الذي حرَّره المسيح فيبقى إلى الأبد. وكل من يدعو باسم الرب يخلُص، وكل من

يخلص يجد نفسه كالحالمين، لأنه لا يكاد يصدِّق عظمة الغفران الإلهي.

(ب) **النجاة من سبي الضيـق:** قد يكون الضيق مادياً أو معنوياً، وقد يكون الاثنين معاً، كما حدث مع يونان في جوف الحوت فقال: «دعوتُ من ضيقي الرب فاستجابني. صرختُ من جوف الهاوية فسمعتَ صوتي.. ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي» (يون ٢: ٢، ٦). وقد حدَّث الرسول بولس أهل كورنثوس عن ضيقةٍ أصابته في آسـيا فقال: «إننا تثقَّلنا جداً فوق الطاقة، حتى أيسنا من الحيـاة.. لكي لا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم من الأموات. الذي نجانا.. وهو يـنجي. الذي لنا رجاء فيـه أنه سـينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ٨-١٠). وكل متضايق يائس ثم ينجيه الرب، يكون كالحالمين الذين لا يكادون يصدقون أنهم نجوا.

(ج) **النجاة من سبي المرض:** بعد أن أوشك أيوب على الموت، وأخذ لنفسه شقفةً ليحتكَّ بها وهو جالسٌ في الرماد «ردَّ الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً» (أي ٤٢: ١٠). فكان أيوب كالحالمين. ولا شك أن لسـان حاله كان يقول: «باركي يا نفسي الرب الذي يـغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك، الذي يفدي من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة» (مز ١٠٣: ٣).

(د) **النجاة من سبي الاحتيـاج:** «اتَّقوا الرب يا قديسـيه، لأنه ليس عوزٌ لمتَّقيه. الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يـعوزهم شيء من الخير» (مز ٣٤: ٩، ١٠) .. شكا إبراهيم الخليل إلى الرب وقال: «إنك لم تعطني نسـلاً، وهوذا ابن بيتي وارثٌ لي». فقال الرب له: «لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك» (تك ١٥: ٣، ٤). ومضت سنوات قبل أن يحقِّق الله وعده. ثم جاء ثلاثة ملائكة يكلِّمون إبراهيم عن إنجابه ابناً من سارة، فضحكت سارة في باطنها، لأنها وزوجها شـيخان.. لكن «هل يستحيل على الرب شيء؟». «وافتقد الرب سارة كما قال، وفعل الرب كما تكلم، فحبلت سـارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته» (تك ١٨: ١٠-١٤ و٢١: ١-٤) وسُـمِّي المولود «إسـحاق» بمعنى ضحك، فقد كان إبراهيم وسارة كالحالمين! وقالت سارة: «قد صنع إليَّ الله ضحكاً. كل من يسمع يضحك لي».

٢ - **فرح الراجعين:** «حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً» (آية ٢أ). عندما أفاق الراجعون من كابوس السـبي للحقيقة الرائعة أنهم عائدون، أدركوا أن الرب بالحقيقة ردَّ سبيهم، ففاضت قلوبهم فرحاً عظيماً، فقد كانت الرحمة أعظم مما توقَّعوا، فلم يسـعهم إلا أن يضحكوا حتى امتلأت أفواههم ضـحكاً، وعبَّرت ألسنتهم عن فرحهم بالترنيم. «صوت ترنُّم وخلاص في خيام الصديقين. يمين الرب صانعةٌ ببأس» (مز ١١٨: ١٥). لقد انطبق عليـهم الوصف: «فتبتهجون بفرحٍ لا يُـنطَق به ومجيد،

نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس. الخلاص الذي فتش وبحث عن أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم» (١بط ١: ٨-١٠). حقاً «القلب الفرحان يجعل الوجه طَلِقاً» (أم ١٥: ١٣).

٣- **دهشة الأمم:** «حينئذ قالوا بين الأمم: إن الرب قد عظَّم العمل مع هؤلاء» (آية ٢ب). كان صوت الضحك والترنُّم والفرح صادقاً وعالياً، فتساءل الوثنيون من حولهم عن سبب هذا الضحك، فعرفوا وانذهلوا، وأدركوا أن ما جرى مع بني إسرائيل لا يمكن أن يكون إلا من عظيم صُنع الرب. «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف برَّه» (مز ٩٨: ٢).. «قد شمَّر الرب عن ذراع قُدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا» (إش ٥٢: ١٠).

٤- **شكر الراجعين:** «عظَّم الرب العمل معنا وصرنا فرحين» (آية ٣). بكل الشكر اعترف العائدون بعمل الرب العظيم وأذاعوا أخباره. لم يعزوا هذه العودة لصلاح عزرا الكاتب، ولا لمكانة نحميا الوالي، بل لله العظيم، ولسان حالهم يقول: «ترنَّمي أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً، الوعرُ وكل شجرة فيه، لأن الرب قد فدى يعقوب، وفي إسرائيل تمجَّد.. ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم، وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهُّد» (إش ٤٤: ٢٣ و٥١: ١١).

عندما بشَّر الملاك جبرائيل العذراء مريم بأنها وجدت نعمة عند الله، وأنها ستحبل وتلد المسيح مخلِّص العالم، ذهبت إلى أليصابات نسيبتها التي طوَّبتها لأنها آمنت أن يتم ما قاله الرب لها، فرنمت العذراء: «تعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي.. لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس.. صنع قوةً بذراعه. شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزّاء عن الكراسي ورفع المتَّضعين» (لو ١: ٤٦-٥٤).. «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في ٤: ٤).

ثانياً - طلب نجاة جديدة
(آيات ٤-٦)

طلب المرنم من الرب نجاةً جديدة، شبَّهها بشيئين: بامتلاء السواقي الجافة بمياه المطر، وبالحصاد المفرح بعد تعب الزرع.

١ -**طلبُ ارتواءٍ مثل السواقي:** «اردُد يا ربُّ سبينا مثل السواقي في الجنوب» (آية ٤). الجزء الجنوبي من فلسطين المعروف بصحراء النقب منطقة جافة، تخلو جداولها من المياه أثناء الصيف، وتمتلئ بعد نزول أمطار الخريف.. وكان كالب بن يفنة قد أعطى ابنته عكسة أرض الجنوب الجافة، فقالت له: «أعطني بركة. لأنك أعطيتني أرض الجنوب فأعطني ينابيع ماء»، فأعطاها أبوها الينابيع

العليا والينابيع الســفلى (قض ١: ١٥). والمرنم، شأنه شأن «عكسة ابنة كالب» يطلب ينابيع للأرض الجافة، وكأنه يــدعو الله: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يروون من دسـم بيـتك. من نهر نعمك تسـقيهم، لأن عندك ينبوع الحياة» (مز ٣٦: ٧-٩). كانت حالة المرنم وحالة شعبه تشبه السـواقي في الجنوب وقد جفَّت، فطلب فيض البركة ليروي عطشه ويُنبت زرعه، كما تمتلئ السـواقي الجافة بأمطار الخريـف المنعشة. أخطأ بنو إسـرائيل وارتدّوا عن عبادة الإله الواحد، فقال عنهم: «شعبي عمل شرَّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفســهم آباراً آباراً مشقَّقة لا تضبط ماء» (إر ٢: ١٣)، فجفَّت منابع حياتهم الإيمانية، وعاقبهم بالسبي. ونحن نشبههم في احتياجنا إلى ملء سـواقينا الروحية بالماء الحي الذي يعطي الحياة، فقد دعانا: «أيها العطاش جميعاً، هلموا إلى الميـاه.. اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه فهو قريب» (إش ٥٥: ١، ٦). وقال المسـيح: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يو ٧: ٣٧، ٣٨). وهذا التغيـيـر من الظمأ إلى الارتواء يتم بامتلائنا من الروح القدس، كما قيل بالنبي يـوئيـل: «ابتهجوا وافرحوا بالرب إلهكم، لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقِّه، ويُنزل عليكم مطراً مبكراً ومتأخراً.. وأعوِّض لكم عن السـنين التي أكلها الجراد.. ويكون بعد ذلك أني أسـكب روحي على كل بشر» (يوء ٢: ٢٣، ٢٥، ٢٨). وقد تحققت هذه النبوة يوم الخمسين، ويمكن أن تتكرر معنا اليوم.

٢ -*طلب حصاداً مثل الزارع*: الذيـن يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج. الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع، مجيـئاً يـجيء بالترنُّم حاملاً حُزمه» (آيـتا ٥، ٦). قبل نزول الأمطار تكون الأرض سـوداء جافة مشقَّقة في انتظار البذور والمطر، فيحمل الفلاح مبذر الزرع ويبذر فيها بذوره بدموع تعب من يبذر ويسقي وينتظر الثمر. وعندما تهطل الأمطار ترتوي الأرض، وتختفي شقوقها، وتنمو البذور. وسـرعان ما يجيء وقت الحصاد فيحصد الفلاح بابتهاج ويجمع محصوله وهو يرنم شكراً لله: «كللت السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً» (مز ٦٥: ١١).

ويـطلب المرنم من الرب أن يحوِّل اختبار دموعه المؤلم إلى فرح وابتهاج وترنم. وقد كان، فبعد الرجوع من السـبي كانت الأسـوار منهدمة، والهيكل مدمَّراً، فامتلأت نفوسـهم بالأحزان. وعندما شرعوا في بناء الهيـكل «كثيـرون من الكهنة واللاويـين ورؤوس الآباء، الشيوخ الذين رأوا البيت الأول، بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم» (عز ٣: ١٢). ولكن الفرح ملأ قلوبهم بعد إكمال البناء «وبنو إسـرائيل، الكهنة واللاويون وباقي بني السـبي، دشَّنوا بيت الله هذا بفرح.. وعملوا عيد الفطير سبعة أيام بفرح، لأن الرب فرَّحهم» (عز ٦: ١٦، ٢٢).

وحزن الشعب الراجع عندما رأوا الأسـوار المنهدمة، فقال لهم نحميـا: «أنتم ترون الشر الذي نحن فيه،

كـيف أن أورشليم خربة وأبوابها قد أحرقت بالنار. هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عاراً» (نح ٢: ١٧). وملأ الفرح قلوبهم بعد إكمال البناء «وعند تدشين ســور أورشليم طلبوا اللاويين من جميع أماكنهم ليـأتوا بهم إلى أورشليم لكي يدشنوا بفرح وحمد وغناء بالصنوج والرباب والعيدان.. وذبحوا في ذلك اليـوم ذبائح عظيمة وفرحوا، لأن الله أفرحهم فرحاً عظيماً. وفرح الأولاد والنسـاء أيضاً. وسُمع فرح أورشليم عن بُعد» (نح ١٢: ٢٧، ٤٣).

وفـي حياتنا الروحية توجد أحزان تتلوها أفراح، لأن الرب يردُنا منها، فنكون مثل السواقي الجافة التي تمتلئ بالمطر، ومثل الزارع الذي يفرح بالحصاد بعد تعب الزرع:

(أ) الـفرح الـذي يعقب الحـزن على الخطيـة: يـعزّي الرب كل من يـحزن على خطاياه بأن يمنحه الغفران، فيـفرح قلب التائب الذي لا يـكتم خطايـاه، بل يُقرّ بها ويتركها فيرحمه الله (أم ٢٨: ١٣)، كما قال المسيح: «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون» (مت ٥: ٤).

ويصلي المؤمن الذي اعترف بخطاياه فنال رحمة الرب، من أجل خاطئ آخر، فيكلم الله طالباً منه أن يـتوّب ذلك الخاطئ. ثم يـكلم الخاطئ عن ضرورة التوبة لله، فيـجيب الله الصلاة، ويتوب ذلك الخاطئ، لفرح قلب المؤمن الذي دعاه لقبول المسيـح، ولفرح قلب الخاطئ التائب بغفران خطاياه. ويـقول الرسول بولس: «أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي.. والغارس والساقي هما واحد، ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. فإننا نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحة الله، بناء الله» (١كو ٣: ٦-١١). وهذا ما قاله المسيـح لتلاميذه بعد ربح المرأة السـامرية للتوبة: «الحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً.. أنا أرسـلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم» (يو ٤: ٣٦-٣٨).

(ب) الـفرح الـذي يـعقب انتهاء الألم: في برية الحياة نمُر بضيقات وآلام متنوعة، قد ننحني تحت وطأتها ونحزن ونخاف ولكن «احسـبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.. طوبى للرجل الذي يـحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع ١: ٢، ١٢) «لأن للحظة غضبه. حياةٌ في رضاه. عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنم» (مز ٣٠: ٥).

(ج) الـفرح الـذي يـبدأ بلقاء المسـيـح: عندما أوشكت خدمة المسـيح على نهايتها قال لتلاميذه: «الحق الحق أقول لكم إنكم سـتبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستَحزنون ولكن حزنكم سيتحوّل إلى فرح.. عندكم الآن حزن، ولكني سـأراكم أيـضاً فتفرح قلوبكم، ولا يـنزع أحدٌ فرحكم منكم» (يو ١٦: ٢٠، ٢٢). وحزن التلاميذ لما صُلب المسيح بينما فرح شيوخ اليهود لأنه اختفى من المشهد. أما بعد القيامة فتبدّل الموقف، وفرح التلاميـذ عندما ظهر لهم وقال: «سـلام لكم».. والآن ننتظر مجيء المسـيح ثانية بكل الفرح، وعندما يعود ستسيل دموع الذين ينتظرونه بالفرح.

المزمور المئة والسابع والعشرون

ترنيمة المصاعد. لسليمان

١ إنْ لم يبنِ الربُّ البيتَ فباطلاً يتعبُ البنّاؤون. إنْ لم يحفظِ الربُّ المدينةَ فباطلاً يسهرُ
الحارسُ. ٢ باطلٌ هو لكم أن تبكّروا إلى القيام، مؤخّرين الجلوسَ، آكلين خبزَ الأتعابِ. لكنه
يعطي حبيبَه نوماً. ٣ هوذا البنونَ ميراثٌ من عند الربّ. ثمرةُ البطن أجرةٌ. ٤ كسهامٍ بيد جبّار
هكذا أبناءُ الشبيبةِ. ٥ طوبى للذي ملأ جَعْبَتَهُ منهم. لا يَخْزَوْنَ، بل يكلّمون الأعداءَ في الباب.

العائلة تتعبَّد - ١

كانت العائلات المعيِّدة في أورشليم ترنم المزمورين ١٢٧ و١٢٨ ويُطلقون عليهما «مزموري الأسرة»، وهما يعلّماننا عن صفات العائلة التقية السعيدة. وفي تأملنا فيهما ندعو الله أن يجعل عائلاتنا سعيدة تعبده في فرح، فنقول:«أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش ٢٤: ١٥). كان بنو إسرائيل، طاعةً لشريعة موسى، يصعدون إلى الهيكل ليعيّدوا كعائلات. وقد صعدت العائلة المقدسة: الصبي يسوع لما بلغ الثانية عشرة من عمره، مع أمه العذراء القديسة مريم ويوسف التقي، إلى أورشليم في العيد.

وفي ترتيل هذين المزمورين تذكر كل عائلة فضل الله عليها، وتراجع حالتها الروحية، فيعتذر المسيء لمن أساء إليه، ويغفر المُساء إليه للمسيء، ويجتمع الشمل، وتترابط الأسرة، لأن العائلة التي تتعبّد معاً تبقى معاً.

ونتعلم من هذين المزمورين أن نقيّم علاقاتنا العائلية في نور كلمة الله المقدسة، لنتأكد أنها علاقات صحيّة. ويشبّه الوحي كلمة الله بمرآة تُرينا وجوهنا، وتُظهر لنا حقيقة حالتنا الروحية كعائلات، وتكشف لنا إن كنا سامعين عاملين بالكلمة، أم سامعين خادعين نفوسنا (يع ١: ٢٢-٢٤). كما أن الكلمة المقدسة ميزان روحي يساعدنا على تقييم حياتنا وتنقيتها من أية شوائب، عملاً بقول الوحي: «بِمَ يزكّي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك» (مز ١١٩: ٩)، وهي نور كاشفٌ وموجِّه يلفت انتباهنا إلى نقائصنا لنكملها، لأنه «سراجٌ لرجلي كلامك، ونورٌ لسبيلي.. فتح كلامك ينير يعقّل الجهّال» (مز ١١٩: ١٠٥، ١٣٠). وهي كالمقياس الذي عندما نقف إلى جواره نعرف ما وصلنا إليه، وكم بلغنا بالنسبة إلى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤: ١٣).

وعندما نفكر في عائلاتنا نأخذ في اعتبارنا العائلة الكبيرة التي نشأنا فيها، والعائلة الصغيرة التي نعيش معها، فالعائلة مستمرة وممتدة، نقول عنها بالمعنى الروحي: الله إله أبي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولكنه إلهي أنا أيضاً. وتعتمد سعادة الأسرة على ما يمنحه الله لها من بركات، فهو الذي يبني البيت،

وهو الذي يــحرس أركانه قائمة ناجحة. والبيــت أســاس المجتمع، فإذا كانت العائلة ســعيدة أصبح المجتمع سليماً، ويحفظ الرب المدينة.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - بدء البيت (آيتا ١، ٢)

ثانياً - الأبناء في البيت (آيات ٣ - ٥)

أولاً - بدء البيت
(آيتا ١، ٢)

تتحدث هاتان الآيتان عن عدم جدوى المجهود الإنساني بدون العون الإلهي.

١ - **بناء البيت:** «إن لم يـبنِ الرب البيــت فباطلاً يــتعب البناؤون» (آية ١أ). الرب هو الباني الحقيقي لكل بيت، فقد يبني إنسان بيتاً ولا يسكن فيه (تث ٢٨: ٣٠). وطاعة كلمة الرب هي الأساس الذي يُقام عليه البيت الســعيد، كما قال المســيح: «كل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبِّهه برجل عاقل بنى بيسته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يســقط، لأنه كان مؤسَّساً على الصخر» (مت ٧: ٢٤، ٢٥). قد يرث الإنسان مالاً أو يربحه فيبني منزلاً، ولكن هذا البناء المادي لا يــبني بيتاً دافئاً ولا أســرة تخاف الرب وتحبه لأن «البيت والثروة ميــراثٌ من الآباء، أما الزوجة المتعقِّلة فمن عند الرب» (أم ١٩: ١٤). وما أكثر من يـــعيشون في منازل فاخرة من حجر، لكنهم لا يتمتعون فيها بالعيشة البيتية الســعيدة. نقرأ في تكوين ١١ أن الناس بنوا برج بابل الذي ارتفع بروح التحدي لله، وســرعان ما انتهى أمره. ولكننا في تكوين ١٢ نقرأ أن الله بنى بيتاً وعائلة لتارح، أب إبراهيم الخليل، فعمَّر، ومن نسله وُلد المسيح مخلِّص العالم.

٢ - **حفظ البيت:** «إن لم يــحفظ الرب المديــنة فباطلاً يــســهر الحارس» (آية ١ب). الرب هو الحارس الحقيقي، وبدون حراسته لا يستمر البيت. نقرأ في التوراة أن الملك أخآب ملك إسرائيل اتفق مع الملك يـــهوشافاط ملك يهوذا على محاربة الأراميين لاســترداد مدينة راموت جلعاد التي احتلَّها الأراميــون. ولما علم ملك أرام بالحزب، أمر جنوده بألا يقتلوا إلا الملك أخآب. وحماية لأخآب دخل يهوشافاط المعركة بملابســـه الملكية، بينما دخل أخآب متخفياً، فهاجم الأراميون يهوشافاط، فصرخ، فعرفوا أنه ليس أخآب. غير أن جندياً أرامياً رمى ســهماً عشوائياً فأصاب أخآب في مقتل. لقد حاول أخآب أن يحمي نفسه ففشل (٢أخ ١٨)!

يـبني الرب بيت الزوجين ويرزقهما نسلاً، فيصبح البيت مدينة. وإن لم يحفظ الرب هذه المدينة فلا جدوى

من حراســة رب الأســرة لها. ويســلك الوالدون بوسائلهم البشرية طرقاً عديدة ليحفظوا مدينة البيت عامرة، فيعلِّمون أولادهم في أرقى المعاهد، ويوفرون لهم أفضل الاحتياجات المادية من مسكن ومأكل وملبس، ويحتفل أفراد العائلة بالمناسـبات السعيدة، ويتبادلون الهدايا، ويقضون الأجازات معاً. ولكنهم يكتشفون أن هذه كلها لم تُســعِد البيت. أما صلاة العائلة معاً وذهابها إلى بيت الرب معاً فهما الوسيلة الفضلى لحفظ ســلام العائلات، لأن الوحي يــقول: «أنتم الذين بقوة الله محروســون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير» (١بط ١: ٥).

٣ - **رخاء البيت:** «باطلٌ هو لكم أن تبكروا إلى القيام، مؤخِّرين الجلوس، آكلين خبز الأتعاب. لكنه يــعطي حبيــبه نوماً» (آيــة ٢). القيام والجلوس يرمزان إلى فترات العمل والراحة. والمقصود أن اختصار ســاعات الراحة وإطالة ســاعات العمل هما بلا فائدة إلا إن بارك الرب، وهو يرزق الذين يحبونه بغير حســاب حتى أثناء نومهم.. كان سليمان، كاتب هذا المزمور، أغنى أهل زمانه وأكثرهم حكمة وذكاءً، وقد فطن إلى حقيقة أن «بركة الرب هي تُغني ولا يزيد (الله) معها تعباً» (أم ١٠: ٢٢).

سُئل فلاح غني: «لماذا تســتيقظ مبكراً وتسهر إلى وقت متأخر؟» فأجاب: «إن أردتَ أن تمتلك الـعالم فانهض مبكراً لتطلبه ولتفتش عليه. وإذا ملكتَه فاسهر إلى وقتٍ متأخر من الليل لتحافظ على ما ملكته منه!». هذه حكمة العالم التي تجعل الفرد يــتعبَّد لصنم المال طوال يومه ويقلق عليه طول ليله، لأنــه يظن أنه باجتهاده ويقظته يربح أموالاً تحفظ له سلامه، وتؤمِّن بيته وعائلته. لكن «لا بالقدرة ولا بــالقوة، بل بروحي قال رب الجنود» (زك ٤: ٦) فالرب يعتني بك أثناء نومك لأنك لا تقدر أن تعتني بنفســك لا في يقظتك ولا في نومك! «هكذا ملكوت الله: كأن إنســاناً يلقي البذار على الأرض، وينام ويــقوم ليـــلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف» (مر ٤: ٢٦، ٢٧)، لأن الرب وحده يعطي الثمر، ويمنح البركة ويهب السلام والاطمئنان للذين يحبونه.

وليــس معنى هذا أن نكون كســالى، بل معناه أن نفرِّق بين الطموح والطمع. اجتهد بدون إجهاد، واهتم بدون أن تعول الهم، وأطع قول المســيـــح: «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجــسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء.. أبوكم السماوي يقوتها.. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل.. فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفســه. يكفي اليوم شرُّه» (مت ٦: ٢٥-٣٤). «فإنه متى كان لأحدٍ كثير، فليســت حيــاته من أمواله» (لو ١٢: ١٥).. فلا داعي للقلق، بل لنؤمن ولنثق مطيــعين الوصية الرســولية: «ملقين كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (١بط ٥: ٧) فنتمتع بسلام الله الذي يفوق كل عقل، الذي يحفظ قلوبنا وأفكارنا وعائلاتنا في المسيح يسوع (في ٤: ٧).

ثانياً - الأبناء في البيت
(آيات ٣ - ٥)

يمتد البيت بزيادة عدد أفراده. وكثيراً ما يقولون: «تنتهي راحة العروسين بمجيء الطفل الأول، فصرخته الأولى تتبعها باقي صرخاته ليلاً ونهاراً». ولكن المرنم يرى خلاف هذا، بل يرى في البنين أربع بركات:

١ - **البنون ميراث**: «هوذا البنون ميراثٌ من عند الرب» (آية ٣أ). يرى المرنم أن أولاده مِلكٌ للرب، وقد وهبهم له، وعهد بهم إليه ليفرح بهم كعطية منه، لأن منه وبه وله كل الأشياء، وكل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان.. عندما التقى عيسو بأخيه يعقوب بعد عودته من بيت خالهما لابان أبصر النساء والأولاد، فسأل يعقوب: «ما هؤلاء منك؟». فقال يعقوب: «الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك» (تك ٣٣: ٥).

والرب أعطى المرنم أبناء ليفرح بهم ويربيهم لحساب الرب، حتى يجيء دورهم ليربوا أولادهم: «لأن المقدّس والمقدَّسين جميعهم من واحد.. أُخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبّحك. وأيضاً: أنا أكون متوكلاً عليه. وأيضاً: ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢: ١١-١٣).

٢ - **البنون أجرة**: «ثمرة البطن أجرة» (آية ٣ب). الرب يعطي الأولاد كأجرة أو مكافأة لوالديهم الأتقياء. لم يرَ المرنم أولاده نتاجاً بيولوجياً، ولا غلطة غير مقصودة، بل رأى فيهم أجراً سماوياً وبركة من عند الرب. «قال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك.. إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظِّم اسمك.. فذهب أبرام كما قال له الرب.. صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام، أنا ترس لك. أجرك كثير جداً.. الذي يخرج من أحشائك هو يرثك» (تك ١٢: ١، ٢، ٤ و١٥: ١-٤) أطاع إبراهيم الله وآمن فحُسب إيمانه له براً، وأعطاه الله ابناً في شيخوخته.

٣ - **البنون سهام**: «كسهام بيد جبار هكذا أبناء الشبيبة» (آية ٤). يُستخدم السهم للدفاع عن النفس والعرض والأرض. وأبناء الشبيبة هم الذين وهبهم الله لآباء في عمر الشباب، ميراثاً وأجرة منه، ليدافعوا عن البيت وليصدّوا هجوم العدو. ويُعتبر الوالدون «جبابرة» كما دعا الله جدعون «جبار بأس» (قض ٦: ١٢) لا لأنه كان جباراً، بل لأنه سيجعل منه جباراً، لأن فضل القوة هو لله لا لجدعون. ونحن مثل جدعون نخاف مما لم نقم به من قبل، ونرتعب من المجهول. هل سمعت صراخ طفل يذهب إلى المدرسة لأول مرة؟ هل لاحظت أباً وأماً يتلقيان طفلهما الأول بفرح وبخوف وهما

يتساءلان إن كانا سيكونان أبوين صالحين ينجحان في تربيته! ولكن الله يشجعنا بأن أبناء الشبيبة يشبهون السهام بيد جبار! وفي هذه الآية نرى مسؤولية الأبوين، ومسؤولية الأبناء:

(أ) **مسؤولية الأبوين:** على الجبار أن يتعلم بتواضع ويتدرَّب جيداً قبل أن يرمي سهمه، لأن السهم الذي ينطلق لا يعود، بل يستقل عن يد وإرادة من أطلقه. ما دام السهم في يدك تقدر أن تؤثر فيه وتوجِّهه، ولكن تأثيرك عليه ينتهي بإطلاقه من يدك.. فلنكُن قدوة صالحة لأولادنا، ولنكن معلمين صالحين لهم ما داموا معنا، وسيبقى معهم ما نزرعه فيهم، كما قال الحكيم: «ربِّ الولد في طريقه، فمتى شاخ أيضاً لا يحيد عنه» (أم ٢٢: ٦). لا تؤدِّب ابنك وأنت غاضب، بل اضبط نفسك ولا ترتعب وأنت توجِّه السهم. اعتمِد على النعمة التي تسندك. إن كانت حياتك نموذجاً صالحاً، وإن كنت ترفع الصلاة من أجلهم، وبعد هذا تقدم لهم النصيحة ستكون نِعمَ الأب الناجح. لكن لا تنس أبداً أن قدوتك يجب أن تأتي أولاً، وأن صلاتك أقوى تأثيراً من نصائحك!

والجبار الحكيم يحسب حساب سرعة الرياح التي ستواجه السهم المنطلق، فيدرك أن هناك خطايا تحيط بنا وبأولادنا بسهولة (عب ١٢: ١) ونعمة الله وحدها هي التي تحمينا وتحمي أولادنا منها. لا تنسَ أن أولادك هم عطية الله لك، وأنك مهما كنت «جبار بأس» في عقلك ويدك وثروتك، فإن الرب هو العامل فيك. أنت وأولادك كعصا موسى، لا تشقّون بحراً ولا تصنعون معجزة إلا إذا صرتم «عصا الله» (خر ٤: ٢٠). فلتكن «إنسان الله» (٢تي ٣: ١٧) لتصبح جباراً حكيماً تطلق سهاماً تصيب الهدف.

(ب) **مسؤولية الأبناء:** السهم صغير الحجم لكنه عظيم التأثير، فلا يستهِن أي ولد بقيمته في نظر الله ونظر والديه، فقد قال الله لإرميا: «لا تقُل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به» (إر ١: ٧). وهكذا كل مؤمن، هو في حد ذاته مجرد خمس خبزات وسمكتين، ليس شيئاً، ولكنه في يد المسيح يصبح بركة (يو ٦: ٩).

والسهم يجب أن يكون مستقيماً، وعلى المؤمن أن يحترس من انحناء جبهته إلا لله ولطاعته ومخافته. «فوق كل تحفُّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة.. باعِد رجلك عن الشر.. يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي» (أم ٤: ٢٣، ٢٧ و٢٣: ٢٦).

والسهم مصنوع بيد حرفي ماهر هو الرب «الرب هو الله. هو صنعنا، وله نحن شعبُه» (مز ١٠٠: ٣). وقد أوكل الله للوالدين والمعلِّمين والمرشدين الروحيين أمر مساعدة السهم على الانطلاق. وعلى كل ابنٍ كالسهم أن يذكر فضل الله عليه وفضل والديه ومعلميه ومرشديه الروحيين.

والسهم يجب أن يندفع إلى بعيد. فلتكن لنا الرؤى الروحية عندما ينسكب الروح القدس

علينا لنحقق الخطة التي رسمها الله لنا (يوء ٢: ٢٨).

والسهم يجب أن يصيب الهدف «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

٤ - **البنون خط دفاع:** «طوبى للذي ملأ جعبته منهم لا يخزون، بل يكلمون الأعداء في الباب» (آية ٥). يطوّب المرنم رب البيت الذي ربَّى أولاده مثل السهام، لأنهم لا يخزون بل يدافعون عن والديهم وعائلتهم أمام الشيوخ والقادة من أصدقاء وأعداء. فطوبى للأب الذي ملأ جعبته منهم.. والجُعبة هي الجراب الذي يحفظون فيه السهام. وواضح أن الجعبات ليست متساوية الحجم، فهناك عائلة كبيرة وأخرى صغيرة. فلا تقارن عائلتك بعائلة غيرك، ولا تقارن بين أولادك وبعضهم. وطوبى لمن منحه الله سهاماً تفرح قلبه مستقبلاً وهي تنطلق من يده الجبارة، بنعمة من الله. فلينظر الآباء لأولادهم بفخر. إن أسرعت بتوجيه اللوم لولدك لتعدِّل مساره، فطوبى لك إن أسرعت أيضاً بتوجيه المدح الذي يستحقه عندما يصيب.

احترق بيت القس وسلي (والد القس جون مؤسس مذهب الميثودست والمرنم تشارلس) وكان له ثمانية أولاد. ولما ناولوه الطفل الثامن من النافذة قال لجيرانه: «شكراً لكم.. الآن تعالوا نركع ونشكر الله، فقد أرجع لي أطفالي الثمانية. فليذهب البيت للحريق! أنا لا زلت غنياً».. هذا أب عرف قيمة أولاده.

هؤلاء الأبناء «لا يخزون، بل يكلمون الأعداء في الباب». كانت المدن القديمة مسوَّرة، ذات أبواب ضخمة، وأمام الباب الرئيسي للمدينة ساحة يجلس فيها شيوخ المدينة للفصل في المنازعات. فإذا وجَّه عدوٌ شكوى على الآب، يجيء الأبناء الصالحون إلى هذه الساحة ليدافعوا عن والدهم بالكلام، أو بالسلاح. وما أكثر المعارك الكلامية، كما هاجم جليات بني إسرائيل ثمانين مرة في خلال أربعين يوماً، ولعن داود بآلهته (١صم ١٧: ١٠، ٤٣). والأبناء الصالحون لا يخجلون من والديهم لكنهم يدافعون عنهم كما دافع داود عن شعبه.

هذه هي الأسرة السعيدة التي أسعد الله بها رب البيت. فلنذكر عائلاتنا بالشكر لله، ولنصلِّ لتنطبق هذه الأوصاف على عائلاتنا اليوم.

المزمور المئة والثامن والعشرون

ترنيمة المصاعد

١ طوبى لكلِّ مَن يتّقي الربَّ ويسلكُ في طُرُقِه، ٢ لأنك تأكلُ تَعَبَ يديك. طوباك وخيرٌ لك. ٣ امرأتُك مثلُ كرمةٍ مثمرةٍ في جوانبِ بيتِك. بنوك مثلُ غروسِ الزيتونِ حولَ مائدتِك. ٤ هكذا يُبارَكُ الرَّجلُ المتَّقي الربَّ. ٥ يباركك الربُّ من صهيونَ، وتبصرُ خيرَ أورشليمَ كلَّ أيامِ حياتِك، ٦ وترى بني بنيك. سلامٌ على إسرائيل.

العائلة تتعبَّد - ٢

صعدت العائلة كلها بصُحبة غيرها من العائلات ليحتفلوا بالعيد وهم يرنمون «مزموري الأسرة» ١٢٧ و١٢٨ شكراً لله على فضله، وهم يعدِّدون بركاته الرب وإحساناته ويذكرون مسؤولياتهم العائلية. لقد اختبروا بركات الرب للأسرة التقية من سعادة وخير يتبعانها كل أيام حياتها على الأرض، وإلى حياتها الأبدية، ففرح قلب رب الأسرة المتقي الرب بالزوجة الفاضلة والأبناء الذين انطلقوا كسهام واستقروا كغروس نامية. ويُسمِّي مارتن لوثر هذا المزمور «مزمور الزواج» لأنه دليل كل عروسين لحياة عائلية سعيدة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً - سعادة المؤمن التقي (آيتا ١، ٢)

ثانياً - عائلة المؤمن التقي (آيات ٣-٦أ)

ثالثاً - مجتمع المؤمن التقي (آية ٦ب)

أولاً - سعادة المؤمن التقي (آيتا ١، ٢)

يبدأ المزمور بتطويب الإنسان التقي، وجاءت كلمة «طوبى» هنا بصيغة الجمع، فكأن المرنم يقول: ما أسعد! ما أسعد! ما أسعد التقي! ومع أن كل إنسان يواجه في الحياة الحلو والمر، إلا أن هناك من لا يرون فيها إلا ما يشقيهم ويقولون: «الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً» (أي ١٤: ١). ولكن شكراً لله لأن هناك من يرون فيها سعادة مضاعفة فيطوِّبون أنفسهم، كما يقول المرنم في مزمورنا، فكل من يتقي الرب سعيد لأنه قد صار ابناً لله الحي ووارثاً للمجد الأبدي في المسيح.

١ - **سعادة التقوى**: «طوبى لكل من يتَّقي الرب» (آية ١أ). التقي هو الذي يخاف الله كما يقول أيوب:

«مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي ٢٨: ٢٨)، وكما يقول المرنم: «رأس الحكمة مخافة الرب» (مز ١١١: ١٠)، وكما يقول الحكيم: «مخافة الرب رأس المعرفة. أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب» (أم ١: ٧). وليس خوف التقي من الله خوف الرعب، ولا خوف النفاق والرياء، لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج (١يو ٤: ١٨)، لكنه خوف المحب الذي يخشى أن يؤذي مشاعر من يحبه، فيقول: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت» (مز ٤٠: ٨). نحن نحب آباءنا الجسديين ونهابهم ونحترمهم، ونمدحهم ونكرمهم طاعة للوصية الإلهية، ولا نحتمل أن يسيء أحدٌ إليهم، ونجتهد أن نُفرح قلوبهم. وهكذا الأمر مع الله، فنحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً (١يو ٤: ١٩)، ونطيعه لأنه يباركنا، ونكرمه لأنه يستحق إكرامنا، ونمجده ونسبحه ونقدم له ثمر شفاه معترفة باسمه (عب ١٣: ١٥)، ونطلب وجهه فتكون لنا حياة، لأن حياة في رضاه (مز ٣٠: ٥).

٢ - ***سعادة الطاعة:*** «طوبى لكل من.. يسلك في طرقه» (آية ١ب). تبدأ السعادة بالتوبة والولادة الثانية، ثم تكبر وتستمر وتنمو بسلوك الطاعة لله والتقدم في طرقه. والسلوك هو السير المتواصل إلى الأمام بدون كلل، حتى لو كان في الطريق صعاب وآلام، فقد قال المسيح: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، فإن من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت ١٦: ٢٤-٢٦). ويقول الله: «طوبى للذين يحفظون طرقي» (أم ٨: ٣٢). وقد أطلق القدماء على المسيحية اسم «الطريق» (أع ٩: ٢) لأنها أسلوب فكر وحياة يختلف عما عداه، فهو أسلوب وفكر وحياة المسيح الذي قال: «أنا هو الطريق» (يو ١٤: ٦). هو الطريق الرئيسي الذي تتفرع منه وتلتقي فيه كل طرق الخير والرحمة والمحبة فيكون فينا فكره الخيِّر المضحي (في ٢: ٥) من نحو الله، ونفوسنا، وعائلاتنا، وجيراننا، وكنيستنا ومجتمعنا. «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات» (مت ٥: ١٦).

قبل الحصول على السعادة كان للإنسان طريقه، لأنه «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت» (أم ١٤: ١٢). ولكن بعد التوبة وبداية التقوى الحقيقية يسير الإنسان في طرق الرب الذي «يهديني إلى سُبل البر من أجل اسمه» (مز ٢٣: ٣).

٣ - ***سعادة العمل:*** «لأنك تأكل تعب يديك. طوباك وخير لك» (آية ٢). يتمتع السعيد بتعب يديه فتشبع نفسه وقلبه. وكل تقي يجب أن يعمل ليسدد احتياجاته واحتياجات أسرته، لأنه «بالكسل الكثير يهبط السقف، وبتدلِّي اليدين يكِفُ (يتسرَّب) البيت» (جا ١٠: ١٨) و«العامل بيد رخوة يفتقر، أما يد المجتهدين فتُغني» (أم ١٠: ٤). وقال الرسول بولس: أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين

معي خدمتها هاتان اليــــدان» (أع ٢٠: ٣٤). وقال: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢تس ٣: ١٠).

يـــحترم التقي العمل الذي يقوم به لأن التقوى تقدّسه. إنه «يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج» (أف ٤: ٢٨). ولا يوجد عمل مخجل أو غير مقدس إلا الخطية، فعمل الزوجة والأم من أجل زوجها وأطفالها مقدس قداســـة عمل رجل الديـــن وهو يؤدي واجباته الدينية. وتحوّل التقوى العمل الشاق إلى بركة، فيـــتحقق القول: «بركة الرب هي تُغني، ولا يزيد (الرب) معها تعباً» (أم ١٠: ٢٢).

ولكن من المؤســـف أن هناك من يتعب ولا يتمتع بتعب يديه لأنه مريض، فلا يأكل ما يتعب في الحصول عليه! وأحياناً يتعب الإنســـان ولا يحصد لأن عدواً ينهب ما تعب فيه. ولكن طوبى للسالك في طريق الرب، لأنه يزرع ويحصد ما زرعه، ويتعب ويأكل تعب يديه، ويتحقق معه القول الإلهي: «يبنون بيوتاً ويسكنون فيها، ويغرسون كروماً ويأكلون أثمارها. لا يبنون وآخر يسكن، ولا يغرسون وآخر يأكل، لأنه كأيام شجرة أيامُ شعبي، ويستعمل مختاريّ عمل أيديهم. لا يتعبون باطلاً ولا يلدون للرعب، لأنهم نسل مباركي الرب، وذريّتهم معهم» (إش ٦٥: ٢١-٢٣).

قال الحكيم: «هوذا الذي رأيته أنا خيراً، الذي هو حســـنٌ: أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذي يـــتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاها الله إياها، لأنه نصيبه. أيضاً كل إنســـان أعطاه الله غِنى ومالاً وســـلطة عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه. فهذا هو عطية الله» (جا ٥: ١٨، ١٩).

ثانياً - عائلة المؤمن التقي
(آيات ٣-٦أ)

الرجل رأس البيـــت، وكل تقي يـــخاف الله ويحب أســـرته من قلب طاهر، يبارك الرب زوجته وأولاده وأحفاده. وفي الـــجزء الـــثاني من مزمورنا يـــتحدث المرنم عن الزوجة الفاضلة، والأولاد المباركين، والزوج الصالح. «طوبى للرجل المتّقي الرب، المســـرور جداً بوصاياه. نسله يكون قوياً في الأرض. جيل المستقيمين يُبارك. رغدٌ وغِنى في بيته، وبرُّه قائمٌ إلى الأبد» (مز ١١٢: ١-٣).

١ - **الـزوجة كرمة مثمرة:** «امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيـــتك» (آية ٣أ). كان للبيت فناء واســـع، حوله الغرف. وفي ذلك الفناء غير المســـقوف كانوا يزرعون كرمة، ترتفع لتغطي الحوائط باللون الأخضر الجميل المتجدد، وتظلل البيت من الحرارة الشديد، وتمدُّه بالعنب الطازج، وبالزبيب.

والزوجة الصالحة مثل الكرمة. إنه «امرأة فاضلة، من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ» (أم ٣١: ١٠).

(أ) **تجمِّل البيت:** الزوجة الصالحة كرمة تجمّل البيت بحضورها، فهي تاج لزوجها، قال الحكيم فيها: «تفتح فمها بالحكمة، وفي لسانها سُنّة المعروف. تراقب طرق أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل. يقوم أولادها ويطوّبونها، زوجها أيضاً فيمدحه» ثم يقول لها بإعزاز: «بناتٌ كثيرات عملن فضلاً، أما أنتِ ففقتِ عليهنَّ جميعاً.. الحسن غش والجمال باطل، أما المرأة المتقية الرب فهي تُمدح» (أم ٣١: ٢٦-٣٠).

(ب) **تظلِّل على البيت:** والزوجة الصالحة مثل الكرمة التي تظلل على زوجها وأولاده «بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها» (أم ٣١: ١١، ١٢).

(ج) **تثمر في البيت:** الزوجة الصالحة مثل الكرمة التي تعطي ثمراً يفرح، يأكلونه عنباً أو زبيباً مجففاً. ويظهر ثمرها في المحبة واللطف والتواضع وطول الأناة. وهي تثمر ذرية تُحسن تنشئتها بالقدوة الصالحة والتقوى فيثمرون أيضاً، وحينئذ تقول: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب ٢: ١٣). وهي تثمر أعمالاً صالحة لأسرتها «تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين.. وتقوم إذ الليل بعد وتعطي أكلاً لأهل بيتها وفريضةً لفتياتها (عملاً لخادماتها).. تمدُّ يديها إلى المغزل، وتمسك كفاها بالفَلْكة» (أم ٣١: ١٣، ١٥، ١٩).

٢ - **الأبناء غروس زيتون:** «بنوك مثل غروس (شتلة) الزيتون حول مائدتك» (آية ٣ب). والزيتونة دائمة الخضرة ونافعة جداً، قال الرب لشعبه: «دعا الرب اسمك: زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة» (إر ١١: ١٦). فيقول كلٌّ منهم: «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكلتُ على رحمة الله إلى الدهر والأبد» (مز ٥٢: ٨).

(أ) **غروس حيَّة:** لغروس الزيتون حياة في ذاتها، تبدأ بزرعها، وتزيد بنموّها. ويفرح الآباء وهم يرون نمو أبنائهم سنة بعد أخرى، فيرقبون هذا النموّ العقلي والروحي والبدني بفخر وسعادة. وتملأ حيوية الصغار ونشاطهم وحركتهم جوانب البيت بالسعادة ورنّات الضحك.

(ب) **غروس واعدة:** وغروس الزيتون واعدة بالمحصول الوفير. في بدئها لا تثمر، لكن الثمر آتٍ لا ريب فيه. ويتطلع الأبوان لنضوج أولادهما واستقلالهم ببيوت يعمرونها بالأحفاد الذين يصبحون مصدر بهجة لوالديهم وللجدود «بنون يولدون فيقومون ويخبرون أبناءهم، فيجعلون على الله اعتمادهم، ولا ينسون أعمال الله، بل يحفظون وصاياه» (مز ٧٨: ٦، ٧) يُقال عنهم: «غرستَهم فأصّلوا نمواً وأثمروا ثمراً» (إر ١٢: ٢). حقاً «تاج الشيوخ بنو البنين، وفخر البنين آباؤهم» (أم ١٧: ٦).

(ج) **غروس تحتاج إلى عنايـة:** الغروس تحتاج إلى عنايـة لتثبت وتتأصل وتعلو وتثمر. تحتاج لماء يرويها وسياج يحميها من الثعالب واللصوص. وإن تباطأ ثمرها يُنقَب حولها ويوضع زبل. وكم يحتاج أولادنا إلى كلمة تشجيع متى كانوا يستحقونها، فلا يكتفي الآباء بتقريعهم حين يخطئون. وليذكر الآباء أنهم كانوا صغاراً فشجعهم آباؤهم. والله الآب السماوي هو النموذج للآباء جميعاً في المحبة والتشجيع والغفران.

(د) **غروس مختلفة:** يختلف كل غرس زيتون عن غيره، ولكل واحد من الأولاد شخصيته المستقلة ومواهبه المتميزة. ويجب ألا نقارن الأبناء بإخوتهم ولا بغيرهم من أبناء الآخرين، خصوصاً في مرحلة المراهقة، لأنهم لم يعودوا صغاراً، ولكنهم لم ينضجوا بعد، ومع ذلك تكبر انتظاراتنا منهم، وتكبر انتظاراتهم من أنفسهم. وعندما لا يستطيعون أن يحققوا كل هذه الانتظارات يصيبهم الإحباط ويرتكبون حماقات لا يرغبون في ارتكابها. وقتها يكونون في حاجة لأن نستمع لهم ونحنو عليهم ونصلي من أجلهم ونقدم لهم القدوة والنصيحة، أكثر من التوبيخ واللوم. يجب ألا نعتبر المراهق عدواً لنا، فهو غرس زيتون ينمو ويعطي ثمراً في موعده، فليستمع الآباء للنصيحة: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم، بل ربّوهم بتأديب الرب وإنذاره» (أف ٦: ٤).

(هـ) **غروس حول المائدة:** وهم غروس زيتون حول المائدة، حيث الشكر والحديث المبهج. فليتنا نفعل ما فعله النبي صموئيل عندما زار بيت يسّى البيتلحمي، ورفض أن يجلس للطعام حتى يجيء داود الصغير ليشاركهم فيه، فتكتمل بهجة الكبار بوجوده (١صم ١٦: ١١).. ما أسعد البيت الذي يجلس فيه الجميع حول ما أعطاهم الله من طعام، يشكرون ويتمتعون بصُحبة بعضهم البعض، ويحققون القول الحكيم: «لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم ١٧: ١).

٣ - **الزوج تقي:**

(أ) **زوج مبارك:** «هكذا يُبارك الرجل المتّقي الرب. يباركك الرب من صهيون» (آية ٤، ٥أ). التقوى هي مخافة الله. وكل من يخاف الله مباركٌ في كل ما يعمله، ويسمع البركة الكهنوتية: «يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عد ٦: ٢٤-٢٦). ويُنعم الله على الزوج المبارك بهذا كله لأنه يُسرُّ بأن يكرمه. ويقول المرنم إن بركة الرب تجيء من صهيون، حيث هيكل الله وتابوت عهده. والبركة تجيئنا عندما نتعبَّد بالروح والحق في بيت الله.. والاسم «صهيون» قد يعني «يصون» أو «يحمي». وقد يعني «صهوة» بمعنى قمة جبل أو قلعة. وجبل صهيون، أي جبل الحصن، جبلٌ عالٍ ثابت، ليس من السهل أن يغزوه عدو، كان في يد اليبوسيين حتى استولى عليه داود عام ١٠٠٣ ق م، وأطلق عليه اسم «مدينة داود»

(٢صم ٥: ٧) ونقل إليها تابوت العهد (٢صم ٦: ١٢). ثم وسّـع سليمان مدينة أورشليم شمالاً حتى شـملت جبل المُريّا الذي بنى عليه الهيكل عام ٩٥٨ ق م (٢أخ ١: ٣)، وبعدها أُطلق اسم «صهيون» على كل مدينة أورشليم بما فيها الحصن وجبل المريا.

(ب) **زوج مســـتقر**: «وتبصر خير أورشليم كل أيام حياتك» (آية ٥ب). ننال الحياة المستقرة لما نعيش في بلاد مستقرة نبصر خيرها كل أيام حياتنا. لهذا «تُقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكُّرات لأجل جميـــع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب، لكي نقضي حياةً هادئة في كل تقوى ووقار، لأن هذا حســـنٌ ومقبول لدى مخلِّصنا الله، الذي يريد أن جميع الناس يخلُصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون» (١تي ٢: ١-٤).

والقول: «تبصر خيـــر أورشليم» أُمنية روحية وســياســية معاً، فقد كانت أورشليم عاصمة بني إســرائيل الدينية والســياسية، وكل مواطن مُخْلِص يطلب خير عاصمة بلاده دينياً وسياسياً. وعندما نعيـــش بالتقوى نطلب الخير الروحي والاقتصادي والســياســي لبلادنا، وهو يجيء من تقوى أفراد المجتمع، مبتدأً من محبي الرب لأن «البر يـــرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية» (أم ١٤: ٣٤).

والمؤمن التقي وعائلته المتعبِّدة يـــســـبِّبون صلاح المجتمع كله، فلتكن عائلة المؤمن مثل البذور المنتقاة في أرض جيـــدة «لكي يـــكون بنونا مثل الغروس الناميـــة في شبيبتها. بناتنا كأعمدة الزوايا منحوتات حسب بناء هيكل. أهراؤنا ملآنةً تفيض من صنف فصنف.. لا اقتحام ولا هجوم ولا شكوى في شوارعنا. طوبى للشعب الذي له هكذا. طوبى للشعب الذي الرب إلهه» (مز ١٤٤: ١٢-١٥).

(ج) **زوج معمَّر**: «وترى بني بنيـــك» (آية ٦أ). وهذا يعني الصحة وطول العمر والفرح بالأحفاد كـــما بارك الرب أيوب وزاد على كل ما كان له ضعفاً، وعاش بعد أن شُفي من مرضه مئةً وأربعين ســـنة، ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال «لأنه.. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر» (أي ٢: ٣ و٤٢: ١٠-١٧).

ثالثاً - مجتمع المؤمن التقي
(آية ٦ب)

«سلام على إسرائيل» (آية ٦ب). بهذه الكلمات يختم المرنم مزموره كما ختم مزمور ١٢٥. فمن هم المقصودون بالحصول على الســـلام؟ يـــقول الوحي: «لأن ليـــس جميع الذين من إســـرائيل هم إســـرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحســـبون نسلاً» (رو ٩: ٦-٨).. وهذا يعني أن هناك «إسرائيل» المولود من نسل إبراهيم، لكنه لا يؤمن إيمان إبراهيم، فهو إســـرائيل الجســـدي. وهناك «إسرائيل الله» وهم كل الذين يؤمنون

إيمان إبراهيم من كل قبيلة وشعب.. إســرائيل الجسدي لا ينال البركة لأنه رفض المسيح الذي «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذيــن قبلوه فأعطاهم ســلطاناً أن يــصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١١، ١٢). «إسرائيل الله» هم الخليقة الجديدة الذين قبلوا المسيح، ويحملون في أجســادهم علامة المسيح، وهم الذين صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. ويقول الوحي: «لأنه في المســيح يســوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم ســلام ورحمة، وعلى إســرائيل الله» (غل ٦: ١٢-١٦). ســلام على إســرائيل الروحي، وهم كل من يؤمنون إيمان خليل الله إبراهيم، ويتبعون الرب بعزم القلب.

لـنطلب من الله أن يسود السلام من رب السلام. سلام على كل تقي. سلام على بيوتنا. سلام على مجتمعنا وبلادنا كما وعدنا المسيح: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤: ٢٧).

المزمور المئة والتاسع والعشرون

ترنيمة المصاعد

**١ «كثيراً ما ضايقوني منذُ شبابي» ليقُل إسرائيلُ: ٢ «كثيراً ما ضايقوني منذُ شبابي، لكن لم
يقدروا عليَّ. ٣ على ظهري حَرَثَ الحرَّاثُ. طوَّلوا أتلامهم». ٤ الربُّ صِدِّيقٌ. قطع رُبُط الأشرار.
٥ فليَخزَ وليرتدَّ إلى الوراءِ كلُّ مُبغضي صهيونَ. ٦ ليكونوا كعُشبِ السطوحِ الذي ييبسُ قبل أن
يُقلَعَ، ٧ الذي لا يملأُ الحاصدُ كفَّه منه، ولا المُحزِّم حِضنَه. ٨ ولا يقولُ العابرون: «بركةُ الربِّ
عليكم. باركناكم باسمِ الربِّ».**

منذ شبابي!

تذكر الأمم ماضيها عادةً لتفتخر به وبما حققته فيه من انتصارات وإنجازات، فالمصريون مثلا يفتخرون بالأهرام والآثار العظيمة التي عاشت أكثر من خمسة آلاف سنة، ولا تزال قائمة في مهابة وجلال. وفي مزمورنا يذكر المرنم ماضيه وماضي أمته، لا للفخر الشخصي، بل ليذكر النعمة والمعونة السماوية التي حفظته حيا، وقد امتلأ بنعمة التواضع، كما قيل: «بهذا ليفتخرنّ المفتخر: بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانعُ رحمة وقضاء وعدلا في الأرض» (إر ٩: ٢٤) وكما قال الرسول بولس: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦: ١٤).

ونتيجةً للتأمل في الماضي نال المرنم شجاعة واجه بها متاعب الحاضر، فرفع صوته يشكر الله ويمجده، ودعا كل الشعب ليرتلوا معه (كما فعل في مزمور ١٢٤). ويعطي هذا المزمور كل مؤمن دافعاً للصبر على الضيقات والشدائد، بل وأكثر من هذا، فإننا «نفتخر أيضاً في الضيقات، عالمين أن الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكيةً، والتزكية رجاءً، والرجاء لا يُخزي» (رو ٥: ٣-٥). وتعلمنا الضيقات أننا بدون الرب لا نقدر أن نعمل شيئاً، ولكننا نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا. فليقُل الضعيف: بطلٌ أنا بالرب.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – متاعب الأتقياء مؤقّتة (آيات ١-٤)

ثانياً – مصير الأشرار محتوم (آيات ٥-٨)

أولاً - متاعب الأتقياء مؤقّتة
(آيات ١-٤)

١ – متاعب كثيرة: (آيتا ١، ٢).

(أ) كثرة المتاعب: «كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي.. كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي».

(آيتا ١، ٢أ).يكرر المرنم أن متاعب الأتقياء وآلامهم كثيرة في العالم الحاضر، لأنه وضع في الشرير (١يو ٥: ١٩). وقد قال المسيح: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣) . يتذكر المرنم ضيقات مرّت به وبشعبه منذ شبابهم، فقال الله: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دعوتُ ابني» (هو ١١: ١). ويبدأ شباب بني إسرائيل بحادثة الخروج عندما قال الله: «إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخّريهم. إني علمت أوجاعهم. فنزلتُ لأنقذهم من أيدي المصريين» (خر ٣: ٧، ٨). لقد ساموهم سوء العذاب «فضُرِب مدبرو بني إسرائيل الذين أقامهم عليهم مسخّرو فرعون، وقيل لهم: لماذا لم تكملوا فريضتكم من صُنع اللِّبْن أمس واليوم، كالأمسِ وأول من أمس؟» (خر ٥: ١٤). فقال الرب لموسى: «لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الرب. وأنا أُخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلّصكم بذراعٍ ممدودة وبأحكام عظيمة، وأتّخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً، فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يُخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأُدخلكم إلى الأرض التي رفعتُ يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثاً. أنا الرب. فكلم موسى بني إسرائيل هكذا، ولكن لم يسمعوا لموسى من صِغر النفس ومن العبودية القاسية» (خر ٦: ٦-٩).

لقد قاسى بنو إسرائيل من صغر أنفسهم بداخلهم، كما قاسوا من المسخرين من خارجهم، حتى صارت المعاناة خبزهم اليومي، وهي كمعاناة صاحب مزمور ١٣ الذي شكا إلى الله من الله، ثم شكا إلى الله من نفسه، وأخيراً شكا من أعدائه.

(ب) خلاص الله: «لكن لم يقدروا عليَّ» (آية ٢ب). يواجه الأتقياء المتاعب الكثيرة، ولكن الرب ينصرهم عليها، فلا يقدر الأشرار عليهم. حقاً «كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب.. إن إلى الأبد رحمته» (مز ٣٤: ١٩ و١١٨: ٢). ولسان الحال هو القول الرسولي: «كما هو مكتوب: إننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح. ولكن في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (مز ٤٤: ٢٢ ورو ٨: ٣٦، ٣٧).

تكشف الصعوبات للإنسان ضعفه وعجزه، وتُلجئه إلى صاحب القوة ليحتمي فيه، فالضيق يدفعنا لنحتمي بالله أكثر فنختبر صلاحه الأبوي «لأنه لا تستقرُّ عصا الأشرار على نصيب الصديقين لكيلا يمدّ الصديقون أيديهم إلى الإثم» (مز ١٢٥: ٣). وتدفعنا الضيقات دفعاً لطلب العناية الإلهية التي تفعل لنا ما نعجز نحن عن فعله لأنفسنا، فإن «لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منا. مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين. متحيِّرين، لكن غير يائسين. مضطهدين، لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تظهر حياة

يسوع أيضاً في جسدنا» (٢كو ٤: ٧-١٠). قال داود لجليات: «أنت تأتي إليّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود.. وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلِّص الرب، لأن الحرب للرب» (١صم ١٧: ٤٥، ٤٧). أُخذ القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية إلى مدينة روما ليلقوه إلى الأسود الجائعة في زمن الاضطهاد عام ١٠٧م فقال: «أنا حنطة الله، ستطحنني أسنان الأسود لتجعل مني خبز الله النقي» لأنه كان يعلم أن دم الشهداء بذار الكنيسة التي اشتراها المسيح بدمه، وبالرغم من هذا الاضطهاد لن تقوى عليها كل قوى الشر «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه» (إش ٥٤: ١٧).

٢ - متاعب قاسية: (آيتا ٣، ٤).

(أ) **قسوة المتاعب:** «على ظهري حرث الحُرَّاث. طوّلوا أتلامهم» (آية ٣) أتلام جمع تلم وهو ما يشقّه محراث الفلاح من الأرض. فكم كانت قسوة متاعب المرنم الذي أُلقي أرضا وضُرب بالسياط وساروا على ظهره حتى صار ظهره مثل الأرض المحروثة. وهي القسوة التي كانوا يعاملون بها أسرى تلك العصور، فقيل عن داود: «أخرج الشعب الذي فيها (في مدينة ربّة) ووضعهم تحت مناشير، ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وأمرّهم في أتون الآجُرّ» (٢صم ١٢: ٣١). وقيل عن هذا التعذيب: «وضعتِ كالأرض ظهركِ، وكالزُّقاق للعابرين» (إش ٥١: ٢٣) فأُلقي بالناس على الأرض ليمرّ العابرون على ظهورهم!

وكثيراً ما يسمح الرب لرافضي كلمته بمثل هذا العذاب القاسي ليجهِّز قلوبهم لقبول كلمته، كما يحرث المحراث الأرض لتصبح صالحة للبذار، ولتعطي ثمراً جيداً.

(ب) **خلاص الله:** «الرب صدِّيق. قطع رُبُط الأشرار» (آية ٤). يصف المرنم الرب بأنه صدِّيق، بمعنى أنه بار وعادل في كل أعماله، وهو يقول: «إلهٌ بارٌّ ومخلِّص. وليس سواي» (إش ٤٥: ٢١). عندما يخطئ شعبه يسمح لهم بالمتاعب القاسية، لكنه لا يتركهم، كما فعل مع نحميا وصحبه، فقال له نحميا: «وأنت بارٌّ في كل ما أتى علينا لأنك عملت بالحق، ونحن أذنبنا» (نح ٩: ٣٣). إنه يسمح بالتأديب، لكنه يعود ويقطع الرُّبط التي تربط الثيران بالمحراث الذي يحرث ظهر المرنم فيتوقف عمل المحراث. إن قوة العدو محدودة مهما كانت قوية، ومصير أعداء الرب معروف مقدماً «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهدير قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة، ولكنه ينتهرها فتهرب بعيدا كعُصافة الجبال أمام الريح وكالجُلِّ أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعب. قبل الصبح ليسوا هم. هذا نصيبُ ناهبينا وحظُّ سالبينا» (إش ١٧: ١٢-١٤).

ثانياً - مصير الأشرار محتوم
(آيتا ٥، ٦)

١ - **الأشرار يخزون ويرتدّون:** «فليخزَ وليرتدَّ إلى الوراء كلُّ مبغضي صهيون» (آية ٥) فهم يحاربون معركة غير متكافئة. إنهم عُبّاد أصنام يحاربون الحصن الذي بُني عليه هيكل الرب، الذي قال عنه المرنم: «عظيمٌ هو الرب وحميدٌ جداً في مدينة إلهنا، جبل قدسه.. الله في قصورها يُعرف ملجأ. لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً. لما رأوا بُهتوا، ارتاعوا، فرّوا. أخذتهم الرّعدة هناك» (مز ٤٨: ١-٦). سيرتدّون إلى الوراء طوعاً أو كرهاً، لأنهم يحاربون من هو أقوى منهم، كما قال المسيح لشاول الطرسوسي: «لماذا تضطهدني؟.. صعبٌ عليك أن ترفس مناخس» (أع ٩: ٥)، والمنخاس قطعة حديدية ينخسون بها ظهر الثور ليسرع في جر المحراث، أو أنه سن المحراث نفسه. فهل يمكن لثور أن يضرب برجله سنّ المحراث لأنه ثائر ضد الفلاح دون أن يؤذي نفسه؟ برفسه المنخاس يجرح رجله ولا يؤذي المحراث ولا صاحبه في شيء.

وقد يربح العدو معركة، لكن لا بد أنه يخسر الحرب، لأن النصرة النهائية هي للذي خرج غالباً ولكي يغلب، الذي ندعوه: «اللهم إلى تنجيتي. يا رب، إلى معونتي أسرع. ليخزَ ويخجلْ طالبو نفسي. ليرتدّ إلى خلف ويخجل المشتهون لي شراً» (مز ٧٠: ١، ٢).

٢ - **الأشرار يهلكون:** «ليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس قبل أن يُقلَع. الذي لا يملأ الحاصد كفّه منه، ولا المُحزّم حضنه» (آيتا ٦، ٧). ينمو نوعٌ من العشب على السطوح الطينية بعد نزول المطر عليها. ولأن هذا العشب ليس له عمق أرض فلا يرتفع ولا يستمر، بل يجف بسرعة قبل أن يُخرج بذوراً أو يعطي ثمراً. ولأن ساقه قصيرة لا يقدر الحاصد أن يملأ كفّه منه، كما أن الذي يحزم الحزم لا يملأ حضنه منه لأنه قليل. وهكذا الأمر مع الأشرار، فهُم مثل عشب السطوح الذي لا يُفرح قلب حاصد ولا يملأ حضن محزّم، فالشر يميت الشرير «بالغداة كعشب يزول. بالغداة يُزهر فيزول. عند المساء يُجزّ فييبس» (مز ٩٠: ٦). وقال الله عن أعداء شعبه: «قِصار الأيدي. قد ارتاعوا وخجلوا. صاروا كعُشب الحقل وكالنبات الأخضر، كحشيش السطوح، وكالملفوح قبل نموّه» (إش ٣٧: ٢٧).

٣ - **الأشرار لا يُباركون:** «ولا يقول العابرون: بركة الرب عليكم. باركناكم باسم الرب» (آية ٨). كان العابرون يحيّون الحصادين بالقول: «بركة الرب عليكم» فيجيبهم الحصادون: «باركناكم باسم الرب». ولكن العابرين الأشرار لا يحيّون الحصادين الأشرار، لأنهم لا يحبون بعضهم بعضاً، أو لأن حصادهم هزيل، أو لأن أعداءهم ينهبون حصيدهم. و«لا سلام قال الرب للأشرار» (إش ٤٨: ٢٢).

أما المؤمنون فيتمتعون ببركة الســلام، كما يقول الوحي: «وإذا ببوعز قد جاء من بيت لحم وقال لـلحصادين: الرب معكم. فقالوا له: يباركك الرب» (را ٢: ٤).. «سيقولون بعد هذه الكلمة في أرض يـهوذا وفي مدنها عندما أرد سبيهم: يباركك الرب يا مسكن البر يا أيها الجبل المقدس.. لأني أرويت النفس المعيية وملأت كل نفس ذائبة» (إر ٣١: ٢٣-٢٥).

هذه دعوة إلهيــة قويــة للتوبة والرجوع إلى الله «اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب. ليــترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثِر الغفران» (إش ٥٥: ٦، ٧).

وهي أيضاً دعوة قوية لكل مؤمن أن يتشجّع ويتشدد بالرب، لا يخاف ولا يرتعب.

المزمور المئة والثلاثون

ترنيمة المصاعد

١ مِن الأعماقِ صرختُ إليكَ يا ربُّ. ٢ يا ربُّ، اسمَعْ صوتي. لتكُنْ أُذُناكَ مصغيتَيْن إلى صوتِ تضرُّعاتي. ٣ إن كنتَ تراقبُ الآثامَ يا ربُّ يا سيدُ، فمَن يقفُ؟ ٤ لأنَّ عندكَ المغفرةَ لكي يُخاف منكَ. ٥ انتظرتُكَ يا ربُّ. انتظرَتْ نفسي وبكلامِهِ رجَوْتُ. ٦ نفسي تنتظرُ الربَّ أكثرَ من المراقبين الـصُّبحَ، أكثرَ من المراقبين الصبحَ. ٧ ليَرْجُ إسرائيلُ الربَّ، لأن عند الربِّ الرحمةَ، وعنده فدًى كثير. ٨ وهو يفدي إسرائيلَ مِن كلِّ آثامِه.

مزمور توبة

هذا المزمور سادس مزامير التوبة السبعة، وهي مزامير ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ و١٤٣. منها أربعة مزامير هي ٣٢، ٥١ ومزمورنا و١٤٣ سمّاها مارتن لوثر «المزامير البولسية» لأنها توضح أن غفران الخطايا نصيبُ كل من يؤمن ويضع ثقته في الفداء الذي دبّره الله بالمسيح، وهو الفكر الغالب في كتابات الرسول بولس.

رأينا كيف صعد الحُجّاج إلى هيكل أورشليم ومثلوا في حضرة الرب وقالوا: «تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم» وجعلوا يتذكرون مراحم الله عليهم، وتعبّدوا معاً كأفراد وكعائلات. وفي هذا الجو المفرح تذكّر أحد المرنمين خطاياه وعدم استحقاقه أن يمثل في حضرة الرب ويتمتّع بتقديم العبادة لجلاله، فاحتمى في رحمة الرب عليه، ورتّل كلمات هذا المزمور. فهو تائب يصرخ إلى الله لأنه يحسُّ بالذنب بعد أن رأى مجد الرب في هيكله. ولا بد أن ذكريات امتلاء الهيكل بالسحاب عندما دشّنه سليمان ملأت نفسه بالرهبة والتقديس (١مل ٨: ١١)، كما فعل إشعياء حين سمع الملائكة يهتفون: «قدوس قدوس قدوس» فقال: «ويل لي! إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود» (إش ٦: ٥).

في هذا المزمور دعا المرنم شعبه للاعتراف والتوبة لينالوا الغفران الإلهي. وعبّر عن مشاعر النفس البشرية التي تحس بالذنب، فتصرخ وتتضرع، وترجو وتنتظر وتترقب، ثم تثق بالإيمان المتيقن، لأن «الإيمان هو الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا تُرى» (عب ١١: ١).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – المرنم التائب يصرخ (أيات ١-٤)

ثانياً – المرنم التائب ينتظر الفداء (أيات ٥-٨)

أولاً - المرنم التائب يصرخ
(آيات ١-٤)

١ - **الإحساس بالذنب يجعلنا نصرخ:** «من الأعماق صرخت إليك يا ربُّ. يا ربُّ اسمع صوتي. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرُّعاتي» (أيتا ١، ٢). يصرخ المرنمْ «من الأعماق» تعبيراً عن حاجته المُلحّة وإحساسه بالخطر الشديد، فقد غاص تحت ثِقل خطيته. وعندما يقارن المرنم نفسه بقداسة الله يقول: يا رب، لقد تأملتْ أعماقي في نور كلمتك المقدسة، فكشفتْ نعمتُك ما بداخلها، وأنارني روحك القدوس فوجدت نفسي خاطئاً، ناقصاً، في الموازين إلى فوق، غير مستحق أن أمثل في محضرك المقدس. لذلك أصرخ إليك وأنا أشعر أني في منخفَض سحيق لأن خطاياي أبعدتني عنك، ولكن معرفتي بها ألجأتني إليك.. أنا ألوذ بك من كل مخاوفي «خلِّصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسي. غرقتُ في حمأةٍ عميقة وليس مقرٌّ. دخلتُ إلى أعماق المياه والسيل غمرني. تعبتْ من صراخي» (مز ٦٩: ١-٣).

ثم انتقل المرنم من الصراخ إلى الحديث مع الله والتضرُّع إليه. إنه يحس بالذنب، فيصرخ تارة بصوت مرتفع كطفل مذعور حتى يسمعه أبوه ويخلِّصه، ويتضرع تارة أخرى بصوت خاشع، عالماً أن مراحم الرب ستفتقده وتفتش عليه كما يفتش الراعي الصالح على الخروف الضال حتى يجده، وكما امتدت يد مراحمه الإلهية إلى يوسف فأنقذه من البئر، وإلى دانيال فأنقذه من جب الأسود.

إنه يعرف وعد الله لسليمان يوم تدشين الهيكل، وقوله: «إذا تواضع شعبي الذين دُعي اسمي عليهم، وصلّوا وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طرقهم الرديئة، فإني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم. الآن عيناي تكونان مفتوحتين وأذناي مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (٢أخ ٧: ١٤، ١٥).

٢ - **الإحساس بالذنب يدفع للتوبة:** «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمن يقف؟» (آية ٣). يدرك المرنم أنه إن كان الله يحسب عليه خطاياه ولا يمحوها برحمته، فكيف يقف أمام محكمة العدل الإلهية؟ لقد قال عزرا: «ها نحن أمامك في آثامنا، لأنه ليس لنا أن نقف أمامك» (عز ٩: ١٥). والمرنم لا يدّعي البراءة، بل يعترف بعجزه وإثمه وعدم استحقاقه أمام قداسة الله وعدالته، كما يقول أيوب للرب: «إن أخطأتُ تلاحظني ولا تُبرئني من إثمي» (أي ١٠: ١٤).

هذا هو اليأس الذي يقود إلى الأمل! إنه يأس من يعرف أن «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (رو ٣: ١٢)، ويعرف أن أجرة الخطية موت، ويعرف أن «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي الله كفارةً عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم.. إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية» (مز ٤٩: ٧، ٨، ١٥)، فيلقي رجاءه بالتمام على النعمة الإلهية، كما فعل العشار الذي وقف

مـن بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» فنزل إلى بيته مبرَّراً (لو ١٨: ٩-١٤). قال مارتن لوثر: «ســـأظل إلى آخر لحظة من حياتي شحاذاً أســـتجدي رحمة الله» لأنه «ليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع ٤: ١٢).

٣ - **الإحساس بالذنب يدفع لحياة التقوى:** «لأن عندك المغفرة لكي يُـخاف منك» (آية ٤). هذا ليـس خوف الرعب من العقاب، ولا خوف اليـــأس من الغفران، لكنه خوف التقوى بعد أن منح الله الـتائب غفرانه. إنها مخافة المهابة والاحترام والإجلال للإله القدوس، الذي له وحده القدرة والسلطان عـلى مغفرة الخطايا والذنوب، والقائل: «أنا أنا هو الماحي ذنوبكَ لأجل نفسي، وخطاياك لا أذكرها» (إش ٤٣: ٢٥). وغفران الله يـــجعلنا نحبه ونطيعه ونخدمه، وندعو إخوتنا وجيراننا ليتوبوا ويرجعوا إلى من يـمحو كغيـــم ذنوبنا وكســحابة خطايانا. فلتكن صلاتنا: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مســتقيماً جدِّد في داخلي. لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني. رُدَّ لي بهجة خلاصك، وبروح منتدبة اعضُدني، فأُعلِّم الأثمة طرقك، والخطاةُ إليـك يـــرجعون» (مز ٥١: ١٠-١٣). وهكذا نسير زمان غربتنا بخوف (١بط ١: ١٧).

ثانياً - المرنم التائب ينتظر الفداء
(آيات ٥ -٨)

١ - **ينتظر الفداء لأن الله وعد به:** «انتظرتُك يا رب. انتظرتْ نفســـي، وبكلامه رجوتُ. نفســـي تنتظر الرب أكثر من المراقبيـــن الصبح. أكثر من المراقبيـــن الصبح» (آيتا ٥، ٦). «انتظرتك» في الـلغة العبرية تعني مدّ حبلٍ من جانب إلى آخر، تقف النفس الإنسانية على أحد جانبيه، وعلى الجانب الآخر وعد الله. ويربط حبل الانتظار النفس الإنســـانية بالمواعيد الإلهية. إنه الانتظار الواثق للرحمة المعلنة «هوذا عين الرب على خائفيه الرّاجين رحمته، لينجي من الموت أنفســهم، وليســـتحييهم في الـجوع. أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو» (مز ٣٣: ١٨-٢٠). «بكلامه رجوت» فإن كلمة الله ووعوده تتحقق دائماً، لأن الله أمين وصادق، انتظره المرنم انتظار الواثق أن الذي يرجوه آتٍ بلا شك. إنه «أكثر من المراقبين الصبح» المتأكدين من أن الصبح لا بد أن يجيء، مهما بدا الظلام حالكاً والليل طويلاً. لا بد أن النور ينبلج ويطلع النهار وتشرق شمس البر.

وكان المرنم يفكر في كثيرين ممن كانوا ينتظرون الصبح:

* منهم الكهنة، فقد كان كل كاهن يـــأتي عليـــه الدور للقيام بخدمة الكهنوت يســـتيقظ مبكراً قبل

انقضاء الليل ليسرع إلى الهيكل ليقدم الذبيحة لفداء الشعب. والمرنم يريد أن يقدم خدمةً لإلهه.

* ومنهم الحراس الذين تنتهي متاعب سهرهم وحراستهم الليلية، فيعطون أجسادهم قسطها من الراحة. والمرنم يطلب راحةً لنفسه.

* ومنهم المسافرون الذين ينتظرون ضوء الصبح ليبدأوا رحلة سفرهم ويصلوا إلى غايتهم ويحققوا أهدافهم. والمرنم مسافر إلى المدينة السماوية يريد بلوغها.

* ومنهم المريض الذي يحس بالوحدة أثناء الليل، وينتظر طلوع النهار ليجد من يؤنس وحدته في مرضه. والمرنم يحس بالوحدة ويحتاج إلى شركة المؤمنين.

* ومنهم البحارة الذين وصلوا إلى الشاطئ ليلاً وينتظرون الصباح ليدخلوا الميناء. والمرنم ينتظر رسو سفينة حياته على شاطئ الأمان والراحة.

* ومنهم الخاطئ الذي يعيش في ظلام، وينتظر إشراق نور نعمة الله على قلبه، والحصول على المغفرة الإلهية.

ونحن نجد أنفسنا في كل هؤلاء المراقبين الصبح، فنحن ننتظر الرب ككهنة له نقترب إليه أكثر ونقرِّب الآخرين إليه. ونحن نشبه الحراس الذين يحتملون مسؤولية، ننتظر مجيء المسيح ثانية لتنتهي نوبة حراستنا ونستريح فيه. ونحن كالمسافرين المتَّجهين إلى المدينة السماوية، ننتظر وصولنا إليها أو مجيء المسيح ثانيةً ليأخذنا إليه. ونحن كالمرضى المتعبين الذين أرهقتهم الحياة وهم يراقبون طلوع صبح الأمل لينعشهم الرب بشركة المؤمنين. ونحن نشبه البحارة الذين يبحرون، ننتظر الوصول إلى شاطئ الأمان بسلام لنرى المدينة العظيمة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله. ونحن خطاة ننتظر المراحم الإلهية والغفران السماوي أكثر من المراقبين الصبح. واقتراب البركة يجعلنا ننتظرها بشوق يتزايد، لأن «خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور» (رو ١٣: ١١، ١٢).

٢ - **ينتظر الفداء لأن الله رحيم:** ليرجُ إسرائيلُ الرب، لأن عند الرب الرحمة، وعنده فدى كثير» (آية ٧). لم تستطع كل خطايا البشر أن تُنقص مراحم الله وفداءه ولو حبة خردل! وعلى هذا فليس لنا ملجأ من خطايانا إلا إن تغمَّدنا برحمته وفدانا بكفارته. قال الرب: «هل أفرايم ابن عزيز لديَّ أو ولد مُسرّ؟» (والإجابة الطبيعية هي: لا، لأنه خاطئ، ولكن الله يمضي فيقول: «لأني تكلمتُ به أذكره بعدُ ذكراً. من أجل ذلك حنَّت أحشائي إليه. رحمةً أرحمه يقول الرب» (إر ٣١: ٢٠). لم يكن سبط أفرايم مُسراً، بل كان يستحق العقاب، ولكن الله لم ينسه ولا تركه في خطاياه، بل كان يذكره ويكرر ذكره، ويحن عليه بكل مشاعره ويريد أن يرحمه. وهذا ما يوضحه القول الرسولي: «وأنتم إذ كنتم

أمواتاً بالذنوب والخطايا.. الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا، أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ١-٦).

نعم، عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير، مبني على عظمة الفادي، فالمسيح قدم نفسه كفارة عن البشر جميعاً مرة واحدة فوجد للجميع فداءً أبدياً. وهذا أسمى من كل ذبائح شريعة موسى، التي كانوا يقدمونها يومياً، وأسبوعياً، وفي الأعياد، وكانت كلها رمزاً إلى الواحد الوحيد، حمل الله الذي يرفع خطية العالم، الذي «يقدر أن يخلِّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧: ٢٥).

٣ - ***ينتظر الفداء لأن فداء الله كامل***: «وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه» (آية ٨). إسرائيل هنا هو نسل إبراهيم الروحي، الذين يؤمنون إيمان إبراهيم من كل خلفية وجنسية. والفداء المقدَّم من الله فداء كامل لا جزئي ودائم لا مؤقت، لأن كفارة المسيح تتسع لتغطي وتستر كل خطايا البشر في كل العصور «ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية.. ويطهرنا من كل إثم» (١يو ١: ٧، ٩). لا توجد خطية مهما عظمت لا يكفِّر عنها دم المسيح ويسترها إن جئنا إليه تائبين، فالفداء عمل إلهي، نابع من الحب الإلهي، ومتوافرٌ لنا بسبب التدخُّل الإلهي لصالح الساقطين البعيدين. هناك أمل لكل نفس خاطئة مهما كانت بعيدة حين ترجع خاشعة قائلة: «ارحمني يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ. اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهرني.. إليك وحدك أخطأت.. لكي تتبرَّر في أقوالك وتزكو في قضائك» (مز ٥١: ١-٤). فاطلب الفداء الإلهي بثقة.

هذا المزمور يكشف لنفوسنا عمق الألم الذي يسببه الإحساس بالذنب، ويشجعنا أن نصرخ من الأعماق طالبين النجاة، دون أن نبذل أي محاولات بشرية لإنقاذ نفوسنا، فكل محاولاتنا عاجزة وفاشلة. فلنلجأ إلى الرحمة الإلهية متكلين على الغفران الإلهي، المبني على الفدى الكثير، لأن الله يدعونا ويقول: «هلمَّ نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج. وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (إش ١: ١٨).

المزمور المئة والحادي والثلاثون

ترنيمة المصاعد. لداود

١ يا ربُّ لم يرتفعْ قلبي، ولم تستعْلِ عيناي، ولم أسلُكْ في العظائمِ ولا في عجائبَ فوقي،
٢ بل هدَّأْتُ وسَكَّتُّ نفسي كفطيمٍ نحوَ أمِّه. نفسي تحوي كفطيمٍ. ٣ ليَرْجُ إسرائيلُ الربَّ من الآنَ
وإلى الدهرِ.

النفس المتواضعة

هذا المزمور تعبير رائع عن الخضوع لله والتسليم الكامل لمشيئته، وهو يشجع المؤمنين ليمتلئوا بالرجاء الحي في إلهيهم الصالح.. وقد تعلّم داود صاحب هذا المزمور التواضع أمام الله، ووضع كل طموحاته الأرضية في مكانها الصحيح، وأعطى الأولوية الأولى لعمل مشيئة الله.

وعندما كان الحُجّاج يحتفلون بالعيد في حضرة الله وفي بيته، كانوا يرنمون مزمور التوبة (١٣٠) ثم بكل تواضع يرنمون هذا المزمور وهم يذكرون إحسانات الله عليهم، فيشعرون بمزيد من التواضع، كما قال جدُّهم الأكبر أب الأسباط لله: «صغيرٌ أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك، فإني بعصاي عبرتُ هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين» (تك ٣٢: ١٠).

مزمور داود هذا ترنيمة تصف تواضعه الحقيقي والصادق، فمنذ أن مسحه النبي صموئيل ملكاً حلّ روح الرب عليه، ومع هذا لم يُصبه مرض الكبرياء. وعندما سأل عن مكافأة الرجل الذي يهزم جليات الجبار غضب أخوه الأكبر أليآب عليه وقال له: «أنا علمت كبرياءك وشر قلبك، لأنك إنما نزلتَ لترى الحرب». ولكنه لم يجاوب أخاه بمثل قساوة كلام أخيه، بل اكتفى بأن قال: «ماذا عملتُ الآن؟ أما هو كلام؟» (١صم ١٧: ٢٨، ٢٩).. وبعد أن صار داود ملكاً لم يتخلّ عن تواضعه. فعندما أصعد تابوت الله إلى مدينة داود بفرح كان يرقص بكل قوته أمام الرب، فرأته زوجته ميكال بنت الملك السابق شاول من الكوّة وهو يطفر ويرقص أمام الرب، فاحتقرته في قلبها، وعندما التقت به وبّخته، فأجابها إنه تواضع: «أمام الرب الذي اختارني دون أبيك ودون كل بيته ليقيمني رئيساً على شعب الرب، فلعبتُ أمام الرب. وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعاً في عيني نفسي، وأما عند الإماء التي ذكرتِ فأتمجّد» (٢صم ٦: ١٢-٢٢).

لقد تعلم داود التواضع في مدرسة الألم، فوضع كل أمله في الرب وهو مطارد أمام شاول، ووقف الرب إلى جواره ونجاه، فعرف أنه مديون للرب بحياته وبكل ما له.

قال تشارلس سبرجن عن هذا المزمور إنه من أقصر المزامير في قراءته، ولكنه من أطولها في تعلُّم دروسه وتطبيقها.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - التعبير عن التواضع (آية ١)

ثانياً - التواضع يعلِّم الخضوع (آية ٢)

ثالثاً - التواضع يعلِّم الرجاء (آية ٣)

أولاً - التعبير عن التواضع (آية ١)

١ - لم يتكبَّر: «يا رب، لم يرتفع قلبي» يحدِّث داود الرب بكل تواضع ويقول له: «يا رب» لأنه خالقه وسيده وقائده، والملك عليه. لم تدخل الكبرياء إلى قلبه بعد أن صار ملكاً، ومنه تعلَّم ابنه سليمان، فقال: «فوق كل تحفُّظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة.. مكرهة الرب كل متشامخ القلب» (أم ٤: ٢٣ و١٦: ٥). لم يتحدث داود عن تواضعه، ولم يبالغ في تقدير نفسه، ولم يفتخر بتواضعه، ولم يمدح مزاميره، ولم يتعال بتقواه. لم يفتخر بماضيه لأنه عطية الله، ولا بحاضره لأن الرب وحده هو عارفه وضامنه، فشهد له الرب: «وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي» (أع ١٣: ٢٢).

كل مفاخر بنفسه يشبه الفريسي الذي حكى لنا عنه المسيح أنه وقف يصلي في نفسه: «اللهم أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار».. ولكن داود كان مثل العشار الذي ذهب إلى الهيكل ووقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي». وقال المسيح إن الخاطئ نزل إلى بيته مبرراً دون المتكبِّر، وقال: «لأن كل من يرفع نفسه يتَّضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو ١٨: ٩-١٤).

لقد ملَك داود نفسه وتواضع، فرفعه الله، لأن «مالك روحه خيرٌ ممَّن يأخذ مدينة» (أم ١٦: ٣٢) ولكن حفيده، الملك حزقيا تعلَّم درس التواضع بثمن كبير، إذ يقول الوحي عنه إن: «قلبه ارتفع، فكان غضبٌ عليه وعلى يهوذا وأورشليم. ثم تواضع حزقيا بسبب ارتفاع قلبه هو وسكان أورشليم فلم يأتِ عليهم غضب الرب في أيام حزقيا» (٢أخ ٣٢: ٢٥، ٢٦). «لأنه هكذا قال العلي المرتفع، ساكن الأبد، القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين، ولأحيي قلب المنسحقين» (إش ٥٧: ١٥). فلنشكر العلي المرتفع ساكن الأبد الذي يتنازل ويسكن مع المنسحق والمتواضع.

٢ - لم يشتهِ: «لم تستعلِ عيناي». ما يتمناه القلب تتطلع إليه العين، وكبرياء القلب تظهر في نظرات العينين، وقد قال المسيح: «سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون

نيِّراً. وإن كانت عينك شريرة فجسـدك كله يكون مظلماً» (مت ٦: ٢٢، ٢٣). وما أعظم نصيحة الله لـباروخ (سكرتير النبي إرميا): «وأنت، فهل تطلب لنفسك أموراً عظيمة؟ لا تطلب!» (إر ٤٥: ٥).. إن كل ما نراه في العالم هو شهوة الجسـد وشهوة العيـون وتعظم المعيشة، ليس من الآب، بل من العالم، والعالم يـمضي وشهوته، وأما الذي يـصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد (١يو ٢: ١٦، ١٧). كانت رغبات قلب داود تحت سـيطرة الله، فاستطاع أن يتحكم في عينيه، وقال للرب: «أنت تخلِّص الشعب البائس، والأعين المرتفعة تضعها» (مز ١٨: ٢٧)، لأن الرب يقول: «مسـتكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله» (مز ١٠١: ٥).

قال المسيح: «من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٦-٢٨)، وحـين لاحظ كيف اختار المدعوون للوليمة المتكآت الأولى، قال لهم: «متى دُعيت من أحدٍ إلى عرس فلا تتكئ في المتكأ الأول. لعل أكرم منك يـكون قد دُعي منه، فيأتي الذي دعاك وإياه ويقول لك: أعطِ مكاناً لهذا، فحيـنئذ تبتدئ بخجلٍ تأخذ الموضع الأخيـر. بل متى دُعيت فاذهب واتكئ في الـموضع الأخير، حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك: يا صديق، ارتفع إلى فوق. حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو ١٤: ٧-١١).

٣- لم يـطمع: «لم أسـلك في العظائم ولا في عجائب فوقي». لم يتطلع داود إلى ما هو أكثر مما أعطاه له الرب، ولم يـستعجِّل تحقيق الوعد الإلهي له بأن يملك على بني إسـرائيل. حين كان الملك شاول يطارده ليقتله كان متأكداً من أن دور الملك شاول قد انتهى، وأن دوره آت. ووقع شاول في يد داود مرتان، كان يـمكن فيهما أن يقتله ويتولى المُلك الذي وعده الله به. وقال له أتباعه: «هوذا اليوم الذي قال لك عنه الرب: هأنذا أدفع عدوَّك ليدك فتفعل به ما يحسن في عينيك» ولكنه قال: «حاشا لي مـن قِبَل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي بمسيح الرب، فأمُدُّ يدي إليه، لأنه مسيح الرب هو» (١صم ٢٤: ٦، ٧ و٢٦: ١١) ، لقد أدرك داود بقلبه الخاضع لمشيـئة الله معنى الحكمة القائلة: «تواضعوا تحت يد الله القوية لكي يرفعكم في حينه» (١بط ٥: ٦).

لم يـسـْع داود يوماً ليحصل على مركز لا يخصُّه، كما فعل سـابقه الملك شاول الذي قام بدور الـكاهن وقدم الذبيحة، فقال له النبي صموئيل: «لأنك رفضت كلام الرب، رفضك الرب من أن تكون ملكاً على إسـرائيل» (١صم ١٥: ٢٦). وما أكثر ما لا نكتفي بما أعطانا الله ونرفع أعيننا إلى ما لم يـعطه لنا. حسناً نأخذ من الرب عظائم يعطيها لنا إنعاماً منه. ولكن إن لم يعطها لنا فلنعلم أنها تناسب غيـرنا، و«لا يـرتئي (أحدنا) فوق ما يـنبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قسـم الله لكل

واحدٍ مقداراً من الإيمان» (رو ١٢: ٣). ويقول الرسول بطرس: «يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (أم ٣: ٣٤ ويع ٤: ٦ و ١بط ٥: ٥).

ثانياً - التواضع يعلّم الخضوع
(آية ٢)

لم يرتفع قلب داود، ولم تستعلِ عيناه، فتعلّم الخضوع:

١ - **خضوع التعلُّم**: «بل هدّأت وسكّتُّ نفسي كفطيمٍ نحو أمه». نجح داود في أن يصل إلى حالة الهدوء والسكون الروحيين بعد أن انتقل روحياً من حالة الرضاعة إلى حالة الفطام. والرضيع يصرخ للطعام، أما الفطيم فهادئ ومكتفٍ، لأنه لم يعُد محتاجاً لطعام الطفل، بل بدأ يأكل طعام البالغين.. والفطام هو أول إحساس الطفل بالحرمان مما يعتبره حقه الطبيعي الذي اعتاد عليه منذ وُلد. وعندما يُفطَم يصرخ، ليس بالضرورة لأنه جائع، بل لأنه يحتجّ على أمه ويرفض موقفها منه. والأم تعرف أنها يجب أن تفطمه لخيره، وهي لن تتركه جائعاً بل ستعطيه الطعام الذي يناسب عمره. وبعد صراخ واحتجاج يعود ليخضع منكسراً، ويهدئ نفسه فيفرح ويشكر لأنه صار أكثر نضوجاً.

رأى داود نفسه أول الأمر كفطيم هائج ثائر، وشعر برغباته العاطفية صاخبة متمردة، وعرف أن هذه الثورة ليست في مصلحته، فقرر أن يهدّئ نفسه ويسكّنها. ونجح في إخضاع مشاعره كطفلٍ يعتزّ بأمه بدون رضاعة، فهي والدته قبل كل شيء، حتى لو حرمته مما يعتبره من حقوقه التي اعتادها.

وتجوز نفس كل مؤمن ذات الاختبار، فتتعلم التواضع والتسليم لله لأنه الخالق والمعتني والفادي، حتى لو بدا للمؤمن أن الله يحرمه من أشياء يشتهيها، لأنه يعلم أن الله لا يحرمه من شيء إلا لينضج إيمانه ويزيد اتكاله عليه. وكلما تدرب المؤمن على قبول الحرمان الذي يريده الله، يتعلم الخضوع، لأنه يستريح بالمعطي وبمحبته أكثر من راحته بالعطية، ويصبح الرب نفسه موضوع التعزية والفرح، لا الأشياء التي يعطيها الرب. وقتها يقدر أن يقول مع حبقوق: «فمع أنه لا يُزهر التين، ولا يكون حملٌ في الكروم. يكذب عمل الزيتونة والحقول لا تصنع طعاماً. ينقطع الغنم من الحظيرة، ولا بقر في المذاود، فإني أبتهج بالرب وأفرح بإله خلاصي» (حب ٣: ١٧، ١٨). حقاً «جيدٌ أن ينتظر الإنسان ويتوقّع بسكوت خلاص الرب» (مرا ٣: ٢٦).

٢ - **خضوع التعقُّل**: «نفسي نحوي كفطيم». بعد أن نجح المرنم في تهدئة نفسه وسكّتها صارت نفسه نحوه كفطيم خاضع، لأنه حكّم عقله في الموقف، فخضعت عواطفه لعقله بعدما خسر ما كان يحبه، وتبعت إرادته المبادئ السليمة، كما قال الرسول بولس: «كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء..

أقمع جســـدي وأستعبده» (١كو ٩: ٢٥، ٢٧). طوبى لمن يتألم فتساعده آلامه على إخضاع عواطفه وفطامها، فينضج ويتعلم الاتزان الروحي، ويدرك أنه يحب الله وهو مســـتريح، كما يحبه وقت الألم والتجارب، فيتعلم من أيوب الذي شكر الله في نجاحه كما شكره في بلواه، وقال: «عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسـم الرب مباركاً.. ألخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل؟» (أي ١: ٢١ و٢: ١٠). ويقدر أن يقول مع الرسول بولس: «تعلّمتُ أن أكون مكتفيـاً بما أنا فيــه. أعرف أن أتّضع وأعرف أيضاً أن أسـتفضل. في كل شيء وفي جميع الأشـياء قد تدرّبتُ أن أشبع وأن أجوع، وأن أستفضل وأن أنقص. أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١١-١٣).

ثالثاً - التواضع يعلّم الرجاء
(آية ٣)

١ - **رجاءٌ في الـرب:** «ليَرْجُ إسـرائيل الرب». بعد أن تواضع المرنم وسـكّن نفسه أمام الرب، صار له الربُّ نفسُـه موضوع رجاء وتعزية، كما سـبق وقال: «لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنّيـن فيَّ؟ ارتجي الله لأني بعد أحمده لأجل خلاص وجهه» (مز ٤٢: ٥). وإسـرائيل الذي يرجو الـرب هو شعبه الذي يحبه في كل مكان، والذي يطيعه، مهما كانت خلفيته أو لغته أو بلده، كما يقول الوحي:«ليس جميع الذين من إسـرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. ليس أولاد الجسـد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسـبون نسلاً» (رو ٩: ٦-٨).. وهذا يعني أن هناك «إسـرائيل» المولود من نسـل إبراهيم، لكنه لا يؤمن إيمان إبراهيم، فهو إسـرائيل الجسدي. وهناك «إسـرائيل الله» وهم كل الذين يؤمنون إيمان إبراهيم من كل قبيلة وشعب.. إسرائيل الجسدي لا يـنال البركة لأنه رفض المسـيح الذي «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سـلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١١، ١٢). «إسرائيل الله» هم الخليقة الجديدة الذين قبلوا المسـيح، ويحملون في أجسادهم علامة المسيح، وهم الذين صلبوا الجسد مـع الأهواء والشهوات. ويقول الوحي: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة، وعلى إسرائيل الله» (غل ٦: ١٢-١٦). سـلام على إسرائيل الروحي، وهم كل من يؤمنون إيمان خليل الله إبراهيم، ويتبعون الرب بعزم القلب.

كان مجيء المسـيح المخلّص هو رجاء بني إسـرائيـل الأعظم، وهم ينتظرون تحقيق النبوّة:

«ها العذراء تحبل وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل (بمعنى: الله معنا).. لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابناً، وتـكون الرياسة على كتفه، ويُدعى اسمه عجيباً، مشيراً، إلهاً قديراً، أباً أبدياً، رئيس السلام» (إش ٧: ١٤ و٩: ٦).. وقد تحقّق هذا الرجاء، وجاء المسـيح مولوداً من عذراء.. واليوم عندنا رجاء بمجيء المسـيح ثانيةً إلى أرضنا ليدين العالمين بالعدل. كان مجيئه الأول مجيئاً متواضعاً، أما مجيئه ثانيةً فسـيكون مجيداً «ويبصرون ابن الإنسـان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السماوات إلى أقصائها» (مت ٢٤: ٣٠، ٣١).

علـى أن رجاءنا لا يـنحصر في الأمور الآتيـة، بل هو الآن، وإلى الأبد.. فنقول: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض.. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مز ٧٣: ٢٥، ٢٦).

٢ - **رجاءٌ الآن:** «من الآن». نحن لا نعيـش فقط على رجاء الحياة الأبدية، لكننا نعيش الآن حياة الأمل في الله وفي محبته وقوته. وكل من يـضع ثقته في الرب لا يعتمد على علمه مهما كان عالماً، ولا على مكانته مهما كان عظيـماً، ولا على ثروته مهما كان غنيـاً، ولا على أسـرته مهما كانت مرموقة، فهذه كلها تتغير ولا تدوم. «إنما لله انتظري يا نفسـي، لأن من قِبله رجائي.. إنما باطلٌ بنو آدم. كذبٌ بنو البشر. في الموازيـن هم إلى فوق.. إن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلباً» (مز ٦٢: ٥، ٩، ١٠). قد تضيع منا أشياء أو أحباء لكن يبقى وجه الرب مع الذين يحبونه.

٣ - **رجاءٌ أبـدي:** «إلى الدهر». ويـسـتمر هذا الرجاء بالرب معنا دوماً، فننتظر قيامة الأموات وحـياة الدهر الآتي، لأنه هو الكائن والذي كان، والذي يأتي. هو الألف والياء، الأول والآخر، البداية والنهاية. ليرجُ المؤمنون الرب من الآن وإلى الدهر.

المزمور المئة والثاني والثلاثون

ترنيمة المصاعد

١ اذكُرْ يا ربُّ داودَ، كلَّ ذُلّه. ٢ كيف حلَفَ للربِّ، نذَرَ لعزيزِ يعقوبَ: ٣ «لا أدخلُ خيمةَ بيتي.
لا أصعدُ على سريرِ فراشي. ٤ لا أعطي وَسَناً لعينيَّ ولا نوماً لأجفاني ٥ أو أجدَ مقاماً للربِّ، مسكناً
لعزيزِ يعقوبَ». ٦ هوذا قد سمعنا به في أفراتةَ. وجدناه في حقولِ الوَعْرِ. ٧ لندخُلْ إلى مساكنِهِ.
لنسجُدْ عند موطئِ قدميه.
٨ قُم يا ربُّ إلى راحتِك، أنت وتابوتُ عزِّك. ٩ كهنتُك يلبسون البرَّ، وأتقياؤُك يهتفون. ١٠ من
أجلِ داودَ عبدِك لا تردَّ وجهَ مسيحِك. ١١ أقسَمَ الربُّ لداودَ بالحقِّ. لا يرجعُ عنه: «من ثمرةِ
بطنِك أجعلُ على كرسيِّك. ١٢ إنْ حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلِّمُهم إياها، فبنوهم أيضاً
إلى الأبدِ يجلسون على كرسيِّك». ١٣ لأن الربَّ قد اختار صهيونَ. اشتهاها مسكناً له. ١٤ «هذه
هي راحتي إلى الأبدِ. ههنا أسكنُ لأني اشتهيتُها. ١٥ طعامَها أباركُ بركةً. مساكينَها أُشبعُ خبزاً.
١٦ كهنتَها أُلبِسُ خلاصاً، وأتقياؤُها يهتفون هُتافاً. ١٧ هناك أُنبِتُ قرناً لداودَ. رتَّبْتُ سراجاً
لمسيحي. ١٨ أعداءَه أُلبِس خِزياً، وعليه يُزهِرُ إكليلُه».

نذر داود وعهد الرب

يتحدث هذا المزمور عن رغبة الملك داود في بناء بيت للرب ليقيم فيه التابوت، الذي يرمز لحضور الرب وسط شعبه. وقد كان التابوت حتى أيامها يتنقّل من مكان إلى آخر، ففي أثناء سنوات التيه في صحراء سيناء كانوا يحملونه أثناء الترحال، وعندما يعسكرون في مكان وينصبون خيمة الاجتماع، كانوا يضعونه داخلها وسط معسكرات أسباط إسرائيل الاثني عشر. وعندما عبر بنو إسرائيل نهر الأردن ليدخلوا أرض الموعد تقدمهم التابوت، وتركوه في الجلجال، ثم نقلوه منها إلى شيلوه حيث بقي فيها ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ سنة. وذات مرة أخذوا التابوت ليتقدمهم في حرب وانهزموا، فأخذ أعداؤهم التابوت منهم ووضعوه في بيت إلههم داجون، وهو صنم نصفه الأعلى إنسان ونصفه الأسفل سمكة، فوقع الصنم وانكسر أمام تابوت الرب (١صم ٥: ١-٧). وعاقب الرب الأعداء بالأمراض، فأعادوا التابوت إلى بيت أبيناداب في قرية يعاريم، فبارك الرب بيت أبيناداب (٢صم ٦). وعندما علم الملك داود أن البركة حلت ببيت أبيناداب، أصعد تابوت الله إلى «مدينة داود» بفرح. ولم يكن داود مستريحاً لكونه ساكناً في قصر بينما تابوت الرب مقيمٌ في خيمة، فعزم أن يبني هيكلاً يقيم فيه تابوت عهد الرب. ولكن الرب أرسل إليه النبي ناثان ليقول له: «أأنت تبني لي بيتاً لسكناي؟.. أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبّت مملكته. هو يبني بيتاً لاسمي،

وأنا أثبت كرسيَّ مملكته إلى الأبد» (٢صم ٧: ٥، ١٢، ١٣). ومع أن الله أعفى داود من بناء الهيكل، إلا أنه قرر أن يـــجهِّز كل ما يســتطيعه من مواد لبنائه، فجمع أحجاراً وحديداً وخشباً وفضة وذهباً ليساعد ابنه سليمان في بناء البيت.

كُتب هذا المزمور غالباً بمناسبة انتقال التابوت من بيت أبيناداب في قرية يعاريم إلى مدينة داود، ليذكِّر الشعب برغبة داود ونذره، ومكافأة الرب له.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - صلاة الشعب من أجل داود (آيات ١-٥)

ثانياً - تعاون الشعب مع داود (آيات ٦-١٠)

ثالثاً - استجابة الرب لصلاة الشعب (آيات ١١-١٨)

أولاً - صلاة الشعب من أجل داود
(آيات ١-٥)

١ - **يطلبون أن يذكر الرب ذلّ داود:** «اذكر يا رب داود، كل ذلِّه» (آية ١). وهل ينسى الرب أيّ شيء، وهو الذي قال: «هل تنســى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينســين وأنا لا أنســاك» (إش ٤٩: ١٥). إن أمام الرب «ســفر تذكرة» نُقش فيها ماضينا وحاضرنا، مع احتياجاتنا (ملا ٣: ١٦). وكل مؤمن يشهد لأمانة الرب وصلاحه ومحبته نحو بني البشر. لقد ذكر نوحاً وأوقف الـطوفان (تك ٨: ١) وذكر إبراهيم وافتقد سارة وأعطاهما ابناً في شيخوختهما كما وعدهما (تك ٢١: ١)، وردّ ســبي أيوب وزاد على ما كان له ضعفاً (أي ٤٢: ١٠)، وذكر بني إسرائيل وأخرجهم من مصر بيــد ممدودة وذراع رفيــعة (خر ٣: ٧)، وهو يذكر رحمته وأمانته (مز ٩٨: ٣)، ويذكر إلى الدهر عهده (مز ١٠٥: ٨)، ويذكرك ويذكرني بلا انقطاع.

والمعنى الذي قصده الشعب بهذه الطلبة هو أن يــذكر الله داود ليــكافئه، فقد كان تاريــخه مليئاً بالمتاعب، فبعدما هزم جليات الجبار حسده الملك شاول وحقد عليه وأخذ يطارده ليقتله، فذلّ داود أمام المطاردة المستمرة.. ولا بد أن داود لاقى المتاعب والذل وهو يحارب ليستولي على حصن اليبوسيين الـذي سماه «مدينة داود» (٢صم ٥: ٦-٩)، وجاء إليه بالتابوت، وهناك بنى ابنه الملك سليمان هيكل الرب.. ولا بد أن داود ذلّ أمام الرب عندما حاول أن ينقل تابوت عهد الرب بطريقة مخالفة للطريقة التي طلبها الرب، فغضب الله على الشاب عُزَّة وقتله لأنه مدَّ يــده بغير احترام إلى تابوت الله (٢صم ٦). وذُلّ داود عندما أراد أن يبني بيتاً للرب، فرفض الرب، فقال داود: «هنذا في مذلتي هيأت لبيت الرب ذهباً.. وفضة.. ونحاساً وحديداً بلا وزن لأنه كثير. وقد هيأت خشباً وحجارة» (١أخ ٢٢: ١٤).

٢ - **يطلبون أن يذكر الرب نذر داود:** «كيف حلف للرب، نذر لعزيز يعقوب: لا أدخل خيمة بيتي. لا أصعد على سرير فراشي. لا أعطي وسناً لعينيّ ولا نوماً لأجفاني، أو أجد مقاماً للرب، مسكناً لعزيز يعقوب» (آيات ٢-٥). توضح هذه الآيات إصرار داود أن يوفي نذره في إقامة بيت للرب. لقد نذر لعزيز يعقوب، أي الإله الجبار القوي الذي أحسن إلى يعقوب، فلن يهدأ خاطره ولن تستقر نفسه وقلبه، ولن يستطيع أن يستريح أو ينام قبل أن يحقق بناء «مقام للرب» حسب قوله لموسى: «فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم» (خر ٢٥: ٨). ويحلف داود بعزيز يعقوب لأن جدّه يعقوب سبقه ونذر أن يبني بيتاً لله في بيت إيل وقال: «إن كان الله معي وحفظني.. هذا الحجر الذي أقمتُه عموداً يكون بيت الله، وكل ما تعطيني فإني أعشّره لك» (تك ٢٨: ٢٠، ٢٢)، ثم «أتى يعقوب إلى بيت إيل.. وبنى مذبحاً ودعا المكان إيل بيت إيل» (تك ٣٥: ٦، ٧).

ونحن اليوم نعلم أن المسكن الذي يسكن فيه الرب وسط شعبه مسكن روحي، لأنه «هكذا قال الرب: السموات كرسيي، والأرض موطئ قدميّ. أين البيت الذي تبنون لي، وأين مكان راحتي؟ وكل هذه صنعتْها يدي، فكانت كل هذه يقول الرب. وإلى هذا أنظر: إلى المسكين، والمنسحق الروح، والمرتعد من كلامي» (إش ٦٦: ١، ٢). وقد طوّب المسيح المسكين بالروح الذي يأتي للرب بيدين خاليتين يطلب المعونة والرحمة، معترفاً بخطاياه، والمرتعد من كلام الرب طاعةً لنصيحة الرسول بولس: «تمّموا خلاصكم بخوف ورعدة» (في ٢: ١٢). هذا هو القلب الذي يسكن فيه الرب، وهو المقام الحقيقي له «جسدكم هو هيكل الروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله» (١كو ١٩: ٦).

ثانياً - تعاون الشعب مع داود
(آيات ٦-١٠)

١ - **حماسهم في نقل التابوت:** «هوذا قد سمعنا عنه في أفراتة. وجدناه في حقول الوعر» (آية ٦). كان نقل التابوت حدثاً قومياً لأن التابوت يرمز لحضور الرب وسط شعبه. وتوضح هذه الآية الغيرة الشديدة التي انتقلت من قلب داود إلى قلب كل شعب الرب، وملأتهم بالرغبة في نقل التابوت إلى مدينة داود. فقد سمعوا أن التابوت في أفراتة، ومعناها: «الوديان الخصيبة، أو حقول الغابات»، وهي المنطقة التي كانت فيها قرية يعاريم ومعناها: «الغابات»، فوجدوه في حقول الوعر في بيت أبيناداب. فذهبوا وأتوا به، لأن من يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له.

٢ - **حماسهم في العبادة:** «لندخل إلى مساكنه. لنسجد عند موطئ قدميه» (آية ٧). يطلب المرنم من سامعيه أن يأتوا ويتعبّدوا في «مسكن عزيز يعقوب». لقد تحمّس بنو إسرائيل بقيادة الملك داود

ونقلوا التابوت إلى مدينة داود، وسجدوا عند موطئ قدمي الله شكراً لأنه سمح لهم أن ينقلوا تابوتعهده. وتحدثوا عن «مساكنه» بمعنى الأماكن التي أقام فيها التابوت قبل وصوله إلى مدينة داود، لأنه أقام في الجلجال، ثم نُقل إلى بيت إيل، ومنها إلى شيلوه ثم قرية يعاريم، وأخيراً إلى أورشليم. وكل مكان استقر فيه التابوت أُعتُبر مسكناً له. وحيثما يسكن الرب يعلن عن حضوره، ويصبح المكان هيكلاً له. على أن المسيح هو الإعلان الإلهي الأسمى للبشر، فبعدما كلَّم الله الآباء بالأنبياء قديماً كلَّمنا في المسيح الذي «فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو ٢: ٩)، وفي المسيح نرى الله لأنه قال: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). وكل من يقبل خلاص المسيح يدخل المسيح قلبه، كما يطالبنا الأمر الرسولي: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧) فيصبح هيكلاً للروح القدس (١كو ٦: ١٩) يرشد الناس إلى طريق الخلاص الذي وصل هو إليه.

٣ - **فرحهم بالعبادة:** فرح الشعب بثلاثة أمور، طلبها الملك سليمان في صلاته وهو يدشِّن الهيكل، فقال: «والآن قُم أيها الرب الإله إلى راحتك أنت وتابوت عزِّك. كهنتك أيها الرب الإله يلبسون الخلاص، وأتقياؤك يبتهجون بالخير. أيها الرب الإله، لا تردَّ وجه مسيحك. اذكر مراحم داود عبدك» (٢أخ ٦: ٤١، ٤٢).

(أ) **فرحوا بنقل التابوت:** «قُم يا رب إلى راحتك أنت وتابوت عزك» (آية ٨). وهي الصلاة التي كان موسى والشعب يرفعونها لله في صحراء سيناء عندما كانوا يرتحلون من مكان إلى مكان يتقدمهم تابوت عهد الرب. «وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول: قُم يا رب فلتتبدَّد أعداؤك، ويهرب مبغضوك من أمامك» . وعند ما يتوقفون عن السفر كانوا يقولون: «ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل» (عد ١٠: ٣٥، ٣٦). وقال داود: «يقوم الله، يتبدَّد أعداؤه ويهرب مبغضوه من أمام وجهه» (مز ٦٨: ١).

(ب) **فرحوا بالكهنة وبالأتقياء:** «كهنتك يلبسون البر، وأتقياؤك يهتفون» (آية ٩). أعلن المرنم أن الله يُلبس كهنته براً بمعنى أنه يبرِّرهم ليكونوا مقبولين أمامه أهلاً لخدمة الإله البار. إنه يبررهم بأن يكسوهم بره كثوب يستر عريهم، كما ستر عري آدم في الجنة، فيهتفون: «فرحاً أفرح بالرب. تبتهج نفسي بإلهي لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص. كساني رداء البر» (إش ٦١: ١٠). ويفرح المؤمنون جميعاً طاعة للأمر النبوي: «افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة» (إش ٢٦: ٢)، ويقولون مع أيوب: «لبست البرَّ فكساني. كجُبَّة وعمامة كان عدلي» (أي ٢٩: ١٤).

(ج) **فرحوا بالملك:** «من أجل داود عبدك لا تردَّ وجه مسيحك» (آية ١٠). وعد الرب داود وقال له: «يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيُّك يكون ثابتاً إلى الأبد» (٢صم ٧: ١٦).

ويطالب المرنم الرب أن يحقق مواعيده للملك داود، فلا يرفض له مطلباً يطلبه لخير شعبه «لأنك أنت تبارك الصديق يا رب. كأنه بترس تحيطه بالرضا» (مز ٥: ١٢).

ثالثاً - استجابة الرب لصلاة الشعب

(آيات ١١-١٨)

١ - **الاستجابة بخصوص الملك:** «أقسم الرب لداود بالحق، لا يرجع عنه: من ثمرة بطنك أجعل على كرسيِّك. إن حفظ بنوك عهدي وشهاداتي التي أعلِّمهم إياها، فبنوهم أيضاً إلى الأبد يجلسون على كرسيِّك» (آيتا ١١، ١٢). وعد الرب داود أن يقيم من بنيه من يملكون على شعبه، وثبَّت وعده معه بقسم لا يرجع عنه، ولا يغيِّره، لأنه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. ويقول هذا الوعد: «أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبِّت مملكته.. أنا أثبِّت كرسيَّ مملكته إلى الأبد» (٢صم ٧: ١٢، ١٣).. فقال داود للرب: «لقد أعلنتَ لعبدك قائلاً: إني أبني لك بيتاً. لذلك وجد عبدك في قلبه أن يصلي لك هذه الصلاة. والآن يا سيدي الرب، أنت هو الله وكلامك هو حق. وقد كلَّمتَ عبدك بهذا الخير» (٢صم ٧: ٢٧، ٢٨). وقد أورد أيثان الأزراحي هذا الوعد شِعراً بقوله: «قطعتُ عهداً مع مختاري. حلفتُ لداود عبدي.. مرةً حلفتُ بقُدسي أني لا أكذب لداود» (مز ٨٩: ٣، ٣٥). ولم يكن كل نسل داود صالحاً، فانقسمت المملكة في أيام رحبعام (حفيد الملك داود) إلى مملكة شمالية عاصمتها السامرة، وتكوَّنت من عشرة أسباط، حكم عليها يربعام بن نباط، ومملكة جنوبية عاصمتها أورشليم، ملك عليها رحبعام. وسقطت المملكتان في السبي لأنهما لم تحفظا عهد الرب. وكان وعد الرب لداود مرتبطاً بتحقيق شرطه الواضح، وهو أن يحفظوا عهده. غير أن وعد الله تحقَّق كاملاً في المسيح ابن داود «الذي لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش» (إش ٥٣: ٩)، «وتكون الرياسة على كتفه.. لنمو رياسته.. وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد. غيرة رب الجنود تصنع هذا» (إش ٩: ٦، ٧). وكان أيثان الأزراحي قد قال عن ملكوت المسيح: «الذي تثبُت يدي معه. أيضاً ذراعي تشدِّده.. وباسمي ينتصب قرنه.. هو يدعوني: أبي أنت. إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض.. وكرسيه مثل أيام السموات» (مز ٨٩: ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩).

٢ - **الاستجابة بخصوص صهيون:** «لأن الرب قد اختار صهيون. اشتهاها مسكناً له. هذه هي راحتي إلى الأبد. ههنا أسكن لأني اشتهيتها. طعامها أبارك بركة. مساكينها أُشبع خبزاً» (آيات ١٣-١٥). كان بنو إسرائيل يعتقدون أن الله اختار جبل صهيون لبناء الهيكل قبل أن يختار داود ليكون

ملكاً على شعبه، فيقول آســاف: «اختار ســبط يهوذا، جبل صهيون الذي أحبه، وبنى مثل مرتفعات مـقدسه، كالأرض التي أسّسها إلى الأبد. واختار داود عبده، وأخذه من حظائر الغنم» (مز ٧٨: ٦٨-٧٠). واعتقد بنو إســرائيل أن قول الرب: «هذه هي راحتي إلى الأبد» وإن لم يكن مســجّلاً بالقول، لكنه مُبرهنٌ بالفعل، فقد اختار الرب جبل المريا مكاناً لبناء الهيكل الذي يسكنه ويستريح له، ويقبل فيه صلوات شعبه وذبائحهم التي يـتقرَّبون بها إليـــه، كما اختار المســيح رسـله وقال لهم: «ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويــدوم ثمركم» (يــو ١٥: ١٦). فيا له من امتيـــاز عظيم أن نصير مختاري الملك الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب، وجعل منا جنســاً مختاراً وكهنوتاً ملوكياً، أمةً مقدسة، شعب اقتناء (١بط ٢: ٩).

ويقول الله عن صهيون: «طعامَها أبارك بركةً. مســاكينَها أُشبع خبزاً». حقاً «طوبى للمســاكين بالروح لأن لهم ملكوت الســماوات.. طوبى للجيــاع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون» (مت ٥: ٣، ٦). وقــال المسيح: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش إلى الأبد» (يــو ٦: ٣٥). ويقول الرسول بولس: «الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رو ٨: ٣٢). هو «الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع» (١تي ٦: ١٧).

٣ - **الاستجابة بخصوص الكهنة:** «كهنتها أُلبس خلاصاً. أتقياؤها يهتفون هتافاً» (آية ١٦). يستجيب الرب طلبة شعبه من أجل الكهنة فيلبســـهم أعظم رداء، هو رداء البر وثياب الخلاص التي تستر كل عيب، وتكمل كل نقص وتؤهّل الكاهن للقيام بخدمة مقبولة.

(أ) **يـعطيــه قرناً:** القرن رمز القوة، فيعطي الرب داود قوة تنطح أعداءه وتنصره عليهم، كما قال أيثان الأزراحي: «لأنك أنت فخر قوتهم، وبرضاك ينتصب قرننا، لأن الرب مِجنُّنا» (مز ٨٩: ١٧، ١٨).

(ب) **يعطيه سراجاً:** السراج رمز للنسل والامتداد، فيقول الوحي عن الملك أبيام: «لكن لأجل داود أعطاه الرب إلهه ســراجاً في أورشليــم، إذ أقام ابنه بعده وثبّت أورشليم» (١مل ١٥: ٤). أما امتداد مملكة داود الأبدية فهي في المســيح ابن داود، الســـراج المضيء، الذي قال عن نفسه: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢).

(ج) **يـعطيـه إكليـلاً:** ويــرمز الإكليــل إلى تكريس الملك لخدمة الله بخدمة شعبه، وكان الإكليل يُعطى للملك، وللكاهن (خر ٢٩: ٦). والإكليـــل مزهر أي يـــلمع بالحياة والحق، فيراه المحيطون به. وقد أمر الرب النبي زكريـــا: «خذ فضة وذهبا واعمل تيجاناً، وضعها على رأس يهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم.. فهو يبني هيكل الرب، وهو يحمل الجلال، ويتسلط على كرسيه، ويكون كاهناً على كرسيه» (زك ٦: ١١-١٣).

لـنصلِّ إلى الرب أن يجعلنا متواضعين مثل داود، وأن نكون أمناء لنذورنا وعهودنا لله كما أن الله أمين معنا.

المزمور المئة والثالث والثلاثون

ترنيمة المصاعد. لداود

١ هُوذا ما أحسنَ وما أجملَ أن يسكنَ الإخوةُ معاً. ٢ مثلُ الدُّهنِ الطيِّبِ على الرأسِ، النازلِ
على اللحيةِ، لحيةِ هارونَ، النازلِ إلى طرفِ ثيابِه. ٣ مثلُ ندى حرمونَ النازلِ على جبلِ صهيونَ.
لأنه هناك أمرَ الربُّ بالبركةِ، حياةٍ إلى الأبدِ.

وحدانية الروح

هذا مزمور معطَّر كالطيب، رقيقٌ كالندى، ليس فيه طلب ولا شكوى، وهو خالٍ من الإحساس بمشاعر الذنب. إنما هو محطة راحة، لأنه يصف مؤتمراً دينياً عالي الروحانية، وخلوة عميقة بالرب، فرحت فيها القلوب بتحقيق وعده القائل: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠)، فشعر الحاضرون أنهم كانوا على جبل تجلي، وقد تخفَّفوا من هموم العالم، وسعدوا معاً بتوحُّد القلب والفكر والإرادة في الصلاة والترنيم والعبادة، بفضل حضور الروح القدس بينهم وفيهم، فلمسهم وباركهم أفراداً وجماعة.

لقد صعد المؤمنون إلى الحج في الهيكل، وقاموا بكل مراسم الاحتفالات، وأوشكت رحلتهم للتعييد على الانتهاء، لتبدأ رحلة عودتهم إلى البلاد المختلفة التي جاءوا منها، ليواجهوا مرة أخرى مسؤوليات الحياة العادية وصعابها، ويتحملوا ما يكلِّفهم الرب به من خدمة يؤدونها له بعد أن ملأهم نعمة وبركة. لقد تحقق معهم وعد الرب لإبراهيم: «أباركك» وجاء الدور ليسمعوا: «وتكون بركة». فوقف العابدون يرنمون هذا المزمور تعبيراً عن مشاعر سعادتهم بالعبادة، وفرحتهم بتآلف قلوبهم واتحادها حول الإله الواحد الذي يمتلكهم ويسود عليهم. وهم يعلمون أنهم حين ينزلون إلى العالم يخرجون من محضر الله بالجسد ولكنهم يعيشون في حضرته بالروح. ولا بدَّ لهم أن يعيشوا إيمانهم وسط المجتمع الذي يتواجدون فيه، لأنه يحيا فيهم بروحه، فيضيئون كأنوار في العالم يقشعون ظلام إبليس، ويرى الناس أعمالهم الحسنة فيمجدون أباهم الذي في السموات.

في المزمور ١٣٢ رأينا توحُّد شعب الرب وحماسهم للعبادة حول تابوت الرب الذي هو رمز حضوره وسط شعبه، وهو توحُّد روحي حول الرب غير المنظور. وفي هذا المزمور أعلنوا محبتهم بعضهم لبعض. واليوم يتوحَّد المؤمنون في حب المسيح، فتتحد قلوبهم معاً، ويساعد أحدهم الآخر ويشجعه ويدافع عنه، بمقدار ما يمنحه الله من نعمة وقوة.

في الوحدة قوة وغلبة وانتصار وتشجيع. «اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة، لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده إن وقع، إذ ليس ثانٍ ليقيمه.. إن غلب أحدٌ على الواحد يقف مقابله الاثنان، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً» (جا ٤: ٩-١٢).

في هذا المزمور نجد،

أولاً – جمال الوحدة الروحية (آية ١)

ثانياً – وصف الوحدة الروحية (آيات ٢، ٣أ)

ثالثاً – بركات الوحدة الروحية (آية ٣ب)

أولاً - جمال الوحدة الروحية
(آية ١)

«هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً».

١ – **هوذا!**: أي تأملوا، وراقبوا، وانظروا أمراً نادر الحدوث في عالمنا! إنه الأخوّة الحقيقية! الإنسان عادة ظلوم لا يرحم أخاه إن ضعُف أخوه أو سقط، أو إن أساء إليه. وإن أخطأ إنسانٌ يسرع بإلقاء اللوم على غيره واتهامه وتوبيخه وإصدار الأحكام الجائرة ضده، مع أننا جميعاً في الموازين إلى فوق، و«الكل زاغوا وفسدوا. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (مز ١٤: ٣).

ولكن هؤلاء العابدين اتحدوا معاً في الوقوف في هيكل الله، فكانت وحدتهم وحدة المكان، واتحدوا معاً وحدة روحية هي وحدة القلوب، فكان المنظر فريداً وغريباً على عالمنا المتصارع المتحارب. وعندما رأى المرنم جمال الوحدة في العبادة راح يتغنّى بما حدث، ودعا الجميع لينظروا هذا المشهد البديع الفريد، الذي سعى أصحابه لأن يحفظوا وحدانية الروح برباط السلام (أف ٤: ٣)، فصاروا كأهرامات مصر التي بقيت شامخة خمسة آلاف سنة شاهدة على عظمة الوحدة وقوتها. ولو أن أحجار الأهرامات تفرقت فلن تظل إحدى عجائب الدنيا السبع، بل ستكون مجرد أحجار ضخمة!

٢ – **ما أحسن!**: ما أكثر الانسجام والتوافق والصلاح في وجود المؤمنين العابدين معاً! إنه كتوافق وانسجام الآلات الموسيقية المختلفة وهي تعزف لحناً واحداً يطيب له القلب وتفرح به الروح.

٣ – **وما أجمل**: ما أكثر البهجة الناتجة عن وجود المؤمنين العابدين معاً، لأنها بهجة سماوية! يكون المبهج أحياناً من الشرير، كما أغوت الحية أبوينا الأوّلين في جنة عدن «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر» (تك ٣: ٦). لكن المرنم يكلمنا عن الأجمل الأبهج من الأمور المقدسة، التي هي من عند الله الذي يُفرح العابدين ويفرح بهم، فهو يفرح بالراجعين إليه كما يفرح الراعي الذي يحمل خروفه الضال بعد أن وجده، ليردّه إلى الحظيرة.. ويبتهج قلب العابدين بالرب، فيقولون: «فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١). «يبتهج ويفرح بك جميع طالبيك. ليقل محبّو خلاصك: يتعظم الرب» (مز ٨٥: ١٦).

٤ - **أن يسكن:** ليس المقصود السكن أو الإقامة المادية الدائمة، بل السكن الروحي والعاطفي عندما يـــنفتح المؤمنون على بعضهم فتنشرح قلوبهم أحدهم بالآخر، ويلتحمون معاً في وحدانية الروح التي يحافظون عليها بالمحبة والاشتراك في الخدمة، كما قال الرســـول بولس: «أنا غرست وأبلوس سقى لكن الله كان ينمي. إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذي ينمي. والغارس والساقي هما واحد، ولـكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. فإننا نحن عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله. بناء الله» (١كو ٣: ٦-٩). ويشعر المؤمنون بالحماية والترابط في الانتماء للجســـد الواحد «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد.. وجميعنا سُقينا روحاً واحداً» (١كو ١٢: ١٣).

٥ - **الإخوة معاً:** كلنا إخوة لأننا خليـــقة الله، ولأننا وُلدنا من أب واحد هو آدم، كما قال الرســـول بولس في موعظته في أثيـــنا: «الإله الذي خلق العالم وكل ما فيـــه.. وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يـــســـكنون على كل وجه الأرض» (أع ١٧: ٢٤، ٢٦). وقد عبَّر خليـــل الله إبراهيم عن هذه الوحدة الجســـدية عندما حدثت مخاصمة بين رعاة مواشيه ورعاة مواشي لوط، فقال لابن أخيه لوط: «لا تكن مخاصمة بيـــني وبينك وبين رعاتي ورعاتك، لأننا نحن أخوان» (تك ١٣: ٨). كان إبراهيم عم لوط، ولكنه دعاه أخاً له من باب الأخوّة الجسدية التي هي رابطة الدم.

ولكن هناك رابطة أقوى هي الأخوّة الروحيـــة، أخوة الولادة الثانية من الروح القدس، التي يقول فـــيها الوحي: «جسد واحد، وروح واحد، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معموديـــة واحدة، إلـــه وأب واحد لـــلكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم» (أف ٤: ٤-٦). فالمؤمنون إخوة، لهم رب واحد يـــســـود على حياتهم، وهدف واحد يعيشون له، وتعزيات واحدة من الروح القدس تنعشهم وتلهمهم. فما أجمل أن يسكن الإخوة معاً!

ثانياً - وصف الوحدة الروحية
(آية ٢، ٣أ)

يصف المرنم وحدة المؤمنين المقدسة بوصفين:

١ - **مثل الدهن الطيب:** «مثل الدهن الطيـــب على الرأس، النازل على اللحيـــة، لحيـــة هارون، النازل إلى طرف ثيابه» (آية ٢).

(أ) **دهن يقدّس:** يـــشبّه المرنم الوحدة الروحية بين المؤمنين بمســـحة التقديس التي تغمر هارون كله. والدهن الطيب على رأس هارون هو دهن المســـحة المقدســـة الذي أعطى الرب وصفة تركيبه لموســـى ليمســـح به خيمة الاجتماع، وتابوت الشهادة، وليصبّه على رأس هارون فينزل على لحيته

وأطراف ثيابه، فيغمر جسد هارون كله، فيباركه ويقدسه ويخصصه رئيساً للكهنة لخدمة الرب وتعليم الناس (خر ٣٠: ٢٢-٣٣).

(ب) دهن يبارك: تبارك الوحدة الروحية المتحدين معاً، كما كان الدهن الطيب يبارك هارون وكل الشعب الذي يقوده في العبادة، فقد كان ينزل على حجري الجزع على صُدرة هارون التي نُقشت عليها أسماء الأسباط الاثني عشر، فيغمر الله كل شعبه مع هارون بالبركة (خر ٢٨: ٢٩). ويصف المرنم الدهن الطيب مرتين بأنه «النازل» لأن الرب هو العالي الذي يُنزل بركته، فهو مصدر البركة المؤكدة. وعندما نحاول أن نرتفع لنصل إلى منبع البركة نجد قامتنا الروحية قاصرة، فنقول إننا عبيد بطالون. لذلك ينعم الله علينا في المسيح بالدهن النازل من عنده، وبالندى النازل من لدنه، لأنه مصدر الخلاص النازل من فوق «وليس أحد صعد إلى السماء، إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو ٣: ١٣) لكي يقيم المسكين من التراب، ويرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء (١صم ٢: ٧).

(ج) دهن يفرّح: يرمز الدهن للفرح، كما قال المرنم: «أحببتَ البر وأبغضتَ الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز ٤٥: ٧)، وهو «دهن فرح عوضاً عن النوح» (إش ٦١: ٣). والوحدة الروحية مفرحة للقلب يقال عنها: «ما أحسن وما أجمل».

ويتمتع المؤمنون بفرح حقيقي ودائم، لأنه ثمر الروح القدس (غل ٥: ٢٢) «لأنه هكذا قال الرب: هأنذا أدير عليها سلاماً كنهر.. كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم.. فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب» (إش ٦٦: ١٢-١٤). كان فرح المعيدين كفرح آبائهم بتكريس هارون رئيساً للكهنة ليقوم بخدمة بيت الرب، وليقف وسيطاً بين الله وشعبه لينالوا رضاه. أما نحن فيعظم فرحنا بالمسيح رئيس كهنتنا الذي قال: «أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠)، ونفرح بتكريس أي خادمٍ لله لأننا نعلم أن الرب سيبارك شعبه من خلال خادمه.

وستفرح قلوبنا بالرب وسط عالم مليء بالضيق والشر والصراع على المادة، لأننا نحتمي بملجإنا الوحيد الذي يبدل أحزاننا فرحاً.

(د) دهن فريد: الوحدة الروحية فريدة، لا نظير لها في عالمنا، مثل دهن المسحة. وقد أمر الرب موسى: «على مقاديره لا تصنعوا مثله. مقدّسٌ هو، ويكون مقدساً عندكم» (خر ٣٠: ٣٢)، فهو دهن فريد. وهكذا الكنيسة التي اختارها المسيح لنفسه، يُقال لشعبها: «أما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب. الذين قبلاً لم تكونوا شعباً، وأما الآن فأنتم شعب الله» (١بط ٢: ٩، ١٠).

(هـ) **دهن يـــعطّر**: هذا «الدهن» ذو رائحة عطرة. والمؤمنون الحقيقيون هم رائحة المسيح الذكية، الـــذين يملأون المكان الذي يوجدون فيه بأذكى الأريج.. «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المســيح كل حين، ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان. لأننا رائحة المســـيح الذكية لله، في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون» (٢كو ٢: ١٤، ١٥).

٢ - **مثل الـندى**: «مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيـــون» (آية ٣أ). حرمون أعلى الجبال ومـــنه ينزل الندى إلى جبل صهيون (الذي بُني عليه الهيكل) الأقل منه ارتفاعاً. وينزل الندى والمطر دائماً من الأعلـــى للأســفل، فتتغطى الجبال وترتوي الوديـــان وتعطي ثمراً يــفرح به قلب الزارع والحاصد معاً. وينتظر شعب الرب هذه البركة النازلة من فوق لتغمره وترويه فيثمر.

وكما يـــعطي الرب الندى، فتنمو المزروعات وتثمر، وتكثر المراعي ويـــزداد الخير، هكذا يشبع الرب قلوبنا بشخصه، ويروي ظمأ أرواحنا، ويقول لنا: «لأنه كما ينزل المطر والثلج من الســـماء.. يرويان الأرض ويجعلانها.. تنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج مـــن فمي. لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما سُررت به وتنجح في ما أرسلتُها له. لأنكم بفرحٍ تَخرجون وبســـلام تُحضَرون. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً، وكل شجر الحقل تصفق بالأيادي» (إش ٥٥: ١٠-١٢).

ثالثاً - بركات الوحدة الروحية
(آية ٣ب)

«هناك أمر الرب بالبركة: حيـــاة إلى الأبد». يـــتبارك المعيِّدون بركة أبدية، ويتبارك أولادهم من جـــيل إلى جيل. لقد بارك الرب إبراهيم، وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب، وهو يبارك كل من يؤمن مثل إيـمانهم ويطيع مثل طاعتهم، فتمتد البركة امتداداً لأجيال قادمة بغير توقُّف. قال الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس: «أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي ســـكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيـــك أيضاً» (٢تي ١: ٥). ويلتمس المؤمنون بركة علوية لأبنائهم وأحفادهم ليعبدوا الرب ويسيروا في خوفه وحبه، وسط جيل معوج وملتوٍ، فيكونون ملحاً للأرض ونوراً للعالم.

ما أروع الوحدة والتقارب، وما أحوجنا إليها. وما أجمل أن نشعر باتحادنا بالمسيح الكرمة، فنكون أغصاناً ثابتة فيـــه نأتي بثمر كثير، ونتمتع بتحقيق وعده: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠).

المزمور المئة والرابع والثلاثون

ترنيمة المصاعد

١ هوذا باركوا الربَّ يا جميعَ عبيدِ الربِّ، الواقفين في بيتِ الربِّ بالليالي. ٢ ارفعوا أيديَكُم نحوَ القُدسِ وباركوا الربَّ. ٣ يباركُكَ الربُّ مِن صهيونَ، الصانعُ السماواتِ والأرضَ.

بين المعيِّدين والحرّاس

هذا المزمور هو آخر ترانيم المصاعد الخمسة عشر (١٢٠-١٣٤)، كان المعيدون يرتلونه في الليلة الأخيرة قبل رحلة العودة، بعد تقديم الذبيحة المسائية، وإغلاق أبواب الهيكل، وبدء نوبة الحراسة الليلية من مغيب الشمس حتى شروقها، والتي كان يتولاها أربعة وعشرون من اللاويين وثلاثة من الكهنة بالإضافة إلى رئيس الحرس. ولم يشأ المعيدون أن يتركوا الهيكل بكل ما فيه من قداسة وفرح بدون مزمور وداع، فرنموا مزمور ١٣٤ الذي يبدأ بهتاف الشعب ينادون الحرس: «باركوا الرب يا جميع عبيد الرب.. ارفعوا أيديكم نحو القدس» ويرد الحرس الساهر على المعيِّدين: «يباركك الرب». ويظل الحرس طيلة الليل يذكرون ترنيمة الزائرين الذين طالبوهم بتسبيح الرب وشكره، أثناء محافظتهم على بقاء نار المذبح مشتعلة طول الليل، وهم يغذّون مصابيح الهيكل المضاءة بزيت الزيتون النقي، ويسهرون على سلامة المبنى. وقد يتعرضون للنوم وهم يؤدون خدمتهم بطريقة عادية تلقائية بدون انبهار، لأن عملهم المقدس يصبح روتيناً، يؤدونه يومياً بطريقة أوتوماتيكية بغير تفكير. ولكن العابدين المسافرين نادوهم ليسهروا ويصلّوا، وأبلغوهم آمالهم في قضاء ليلة حيَّة مليئة بالعبادة والشكر لله على الشرف الذي منحه الله لهم في تكليفهم بخدمته دائما في هيكله المقدس.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - الشعب ينادي حراس الهيكل (آيتا ١، ٢)

ثانياً - الحراس يباركون الشعب (آية ٣)

أولاً - الشعب ينادي حرّاس الهيكل
(آيتا ١، ٢)

«هوذا باركوا الرب يا جميع عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب بالليالي. ارفعوا أيديكم نحو القدس وباركوا الرب». يدعو الشعب الراجع إلى بلاده حراس الهيكل أن يسهروا ويصلّوا ويشكروا الرب. لقد بارك الكهنة الشعب عندما علّموهم أثناء العيد عن الرب.. وجاء الوقت ليباركوا الكهنة الرب وهم يشعرون بالامتنان له على اختيارهم لخدمته، فيقدمون العبادة الحقيقية له لخيرهم ولخير

الشعب الذي يخدمونه، فيقول الجميع: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسنٌ لي» (مز ٧٣: ٢٨).

يبدأ مزمورنا كما بدأ مزمور ١٣٣ بكلمة «هوذا» ومعناها: انظروا. انتبهوا. استيقظوا. يقول الشعب للكهنة: جئنا، وها نحن عائدون، أما أنتم فمقيمون، فبكل النشاط والغيرة قوموا بخدمتكم الهامة والمقدسة التي اختاركم الرب للقيام بها، لتكونوا جديرين بشرفها «إذا كنتم.. تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١كو ١٠: ٣١).

«باركوا الرب» بمعنى: فكروا فيه، واجعلوه موضوع انشغالكم. قولوا عنه قولاً حسناً. احترموه بتوقير، واقتربوا منه بحب، واعترفوا بفضله عليكم، واشكروه لأنه سمح لكم أن تخدموه. سبحوه واحمدوه، وقولوا لأنفسكم قول داود لنفسه: «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ١، ٢).

باركوه بأن تحبوه، وتستمروا في حبه. أحبّوه لذاته، وعبِّروا عن محبتكم له، وقولوا للجميع: «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً» (١يو ٤: ١٩).

باركوه بالطاعة والخضوع لمشيئته وبالقيام بما يكلفكم به بسعادة.

باركوه بالصلاة والتواصل معه في حديث وشركة حبية مستمرة نهاراً وليلاً، فتكون صلاتكم حديث العقل الواعي وحديث العقل الباطن. حدّثوه مباشرةً بالصلاة، وحدّثوه بالتسبيح والترنم لعزته الإلهية. «سبّحوا الرب لأن الترنّم لإلهنا صالح. لأنه مُلذٌّ. التسبيح لائق» (مز ١٤٧: ١).

ويذكر الشعب ثلاثة أسباب تدفع الكهنة حراس الهيكل لأن يباركوا الرب:

١ - **هم عبيد الرب:** خصَّص الرب سبط لاوي لخدمته، ودعاهم للعمل في الهيكل، ويقول الوحي: «أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب، ولكي يقفوا أمام الرب ليخدموه ويباركوا باسمه إلى هذا اليوم. لأجل ذلك لم يكن للاوي قسمٌ ولا نصيبٌ مع إخوته. الرب هو نصيبه كما كلّمه الرب إلهك» (تث ١٠: ٨، ٩).

والمؤمنون جميعاً عبيد الرب لأنه خلقهم، ولأنه يعولهم، ولأنه اشتراهم بالفداء. وهم يتشرّفون بالعبودية له، لأن العبودية للرب هي الحرية الكاملة، ولأنها الانتماء لسيد الأرض كلها، وقد قال أحد القديسين: «أنا محتاجٌ إلى ربوبيتك، ولكنك لست محتاجاً لعبوديتي». ولقب العبد والأمة لقب محبّب لنفوس المؤمنين، أُطلق على موسى مرات كثيرة (تث ٣٤: ٥ و١أخ ٦: ٤٩)، وعلى يشوع (يش ٢٤: ٢٩ وقض ٢:٨)، وعلى إيليا (١مل ١٨: ٣٦)، وعلى دانيال (دا ٦: ٢٠)، وعلى بولس (رو ١: ١)، وعلى بطرس (٢بط ١: ١)، وعلى يعقوب (يع ١: ١)، وعلى كل من حرَّرهم المسيح (١بط ٢: ١٦). وأطلقه داود على أمه، فقال: «لأني عبدك. أنا عبدك ابن أمتك» (مز ١١٦: ١٦)، وأطلقته

العذراء مريم على نفسها حين قالت للملاك: «هوذا أنا أمة الرب» (لو ١: ٣٨).

وتـفرّق التوراة بين العبد المولود في البيت والعبد المشترى بالمال، فالعبد المولود في البيت أغلى لأنه يـنتمي إلى ذلك البيت (تك ١٤: ١٤). وما أجمل بيت تيموثاوس الذي قال له الرسـول بولس: «أتـذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لونيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (٢تي ١: ٥).

والـمؤمن الحقيقي هو الذي يقول للرب: «أُحبُّ سيدي.. لا أخرج حراً» (خر ٢١: ٥)، وهو الذي يتكلم كلاماً صالحاً عن سـيده، وشعاره: «لأن يوماً واحداً في ديارك خيرٌ من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة في بيت إلهي (كأنه بواب البيت) على السكن في خيام الأشرار» (مز ٨٤: ١٠).

٢ - **هم ساهرون في بيت الرب**: «واقفون بالليالي» فقد كان عمل بعض الكهنة نهاراً وليلاً. «وكان المغنّون رؤوس آباء اللاويـين في المخادع، وهم مُعفَوْن، لأنهم نهاراً وليلاً عليهم العمل» (١أخ ٩: ٣٣) وقد عيـنهم الملك داود «لأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسـبيحه، وكذلك في المسـاء» (١أخ ٢٣: ٣٠).

وقد يـكون المقصود بالوقوف بالليـالي المعنى الحرفي، أو قد يـكون المقصود معنوياً من ليالي الظروف القاسية والأيام الصعبة. فعندما يضل الناس عقائدياً أو سلوكياً يسهر خدام الرب في صلوات وتضرعات لحراسـة العقيدة وإعلان الحق، مفصّلين كلمة الحق بالاستقامة (٢تي ٢: ١٥)، يكرزون بالكلمة ويـعكفون على ذلك في وقت مناسـب وغير مناسـب، يوبخون وينتهرون ويعظون بكل أناة وتعليم (٢تي ٤: ٢)، فقد وصفهم الرب بأنهم حُرّاس «لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام. يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت» (إش ٦٢: ٦).

٣ - **هم يصلّون للرب**: يـرفعون أيـديـهم نحو القدس للصلاة، كما قال داود: «اسـتمع صوت تضرُّعي إذ أسـتغيث بك وأرفع يديَّ إلى محراب قدسـك» (مز ٢٨: ٢)، وطلب الرسول بولس أن يصلي الرجال رافعين أيادي طاهرة من أجل المسؤولين وأصحاب المناصب في بلادهم (١تي ٢: ٨).

ورفع اليـديـن للصلاة يـعني اتجاه القلب بكامله إلى الرب، لأن اليدين مشغولتان بالعبادة دون غيرها.. ويعني أيضاً الانتباه لصوت الرب والاسـتجابة لتوجيهاته، فنقول: «تكلم يا رب لأن عبدك سـامع» (١صم ٣: ٩).. ويعني تطلع الأعين الضارعة المترجية إلى مصدر البركة، فنقول: «أرفع عيـنيَّ إلى الجبال من حيـث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السـماوات والأرض» (مز ١٢١: ١، ٢).. ويعني رفع كل ما في المصلي وتكريسـه لله تقدمةً للرب، عملاً بالوصية الرسولية: «قدّموا أجسـادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم العقلية» (رو ١٢: ١).. ويعني طلب

العون الإلهي ومدّهما نحو الله لتلقّي الاستجابة، كما فعل موسى عندما هاجم العمالقة بني إسرائيل في صحراء سيناء، فرفع يده للصلاة طالباً الحماية. وكان إذا رفع يده ينتصر بنو إسرائيل، وإذا خفضها ينتصر العمالقة. «فلما صارت يدا موسى ثقيلتين.. دعم هارون وحور يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس». وهكذا انتصروا (خر ١٧: ٨-١٣).

ويشير الطراز القوطي في بناء الكنائس المرتفعة الأسقف، العالية الأبراج إلى هذا المعنى، حتى يرفع العابدون عيونهم وأفكارهم وقلوبهم نحو الرب بكل ثقة وحماس وتوقُّع قائلين: «هوذا كما أن عيون العبيد نحو أيدي سادتهم، كما أن عيني الجارية نحو يد سيدتها، هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا» (مز ١٢٣: ٢).

ثانياً - الحراس يباركون الشعب
(آية ٢)

يتجاوب الحراس الساهرون مع جمهور المعيدين الراجعين إلى بلادهم، ويبادلونهم التمنيات ببركة الرب، ويقولون: «يباركك الرب من صهيون الصانع السموات والأرض».

١ - **البركة من الرب:** يبارك المؤمنُ الربَّ بأن يشكره، ويقدم له في كل حين «ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥). والرب يبارك المؤمن بالغفران، فيقول المؤمن: «باركي يا نفسي الرب.. الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفي كل أمراضك. الذي يفدي من الحفرة حياتك. الذي يكللك بالرحمة والرأفة. الذي يشبع بالخير عمرك، فيتجدد مثل النسر شبابك» (مز ١٠٣: ١-٥).. ويباركه بالتغيير الداخلي وينقله «من مجد إلى مجد» (٢كو ٣: ١٨)، ويصوغه «إناءً للكرامة، مقدساً، نافعاً للسيد، مستعداً لكل عمل صالح» (٢تي ٢: ٢١)، ويجعله سبب بركة للمحيطين به في المجتمع والأسرة والكنيسة.. ويباركه بأن يسدد كل احتياجاته الروحية والمادية والفكرية والعاطفية أكثر جداً مما يطلب أو يفتكر (أف ٣: ٢٠)، ويشجعه قائلاً: «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو ١٦: ٢٤). وهذه البركات «نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١: ١٧).

٢ - **البركة من صهيون:** وصهيون الروحية هي الكنيسة، التي فيها يبارك الكهنة الشعب قائلين: «يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عد ٦: ٢٤-٢٦). وجاءت هذه البركة في صيغة المفرد، لأن شعب الرب يجتمع كرجل واحد «ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح»

(غل ٣: ٢٨)، كما تعني أن البركة هي لكل واحد من الشعب، لأن الرب يعرفه باسمه، ويقول له: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك» (إر ١: ٥).

وكانت صهيون في التوراة تعني:

(أ) حصن داود، المكان الذي بُني فيه الهيكل، حيث يسكن الله وسط شعبه. وتأتينا البركة عندما ندخل بيت الله نستمع إلى كلمته، وتُستجاب فينا صلاة المسيح: «أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن.. لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير» (يو ١٧: ١١، ١٥).

(ب) مدينة العهد: لأن فيها تابوت العهد، وقد أدخل الله كل مؤمن في عهد جديد معه مختوم بدم المسيح. وفي كل مرة يتناول فيها من مائدة العشاء الرباني يسمع المسيح يقول له: «هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٨).

٣ - **البركة من الخالق:** «يباركك الرب.. الصانع السماوات والأرض» فهو صاحب السلطان فيهما، وهو يمنح بركته لأنه محب وصالح وقادر وسلطانه كامل. وما أعظم السلطان السماوي الذي يغفر الخطايا، ويستجيب الصلاة، ويشفع في المؤمنين، ويرسل ملائكته ليخدموهم، وهو يقول لهم: «أفتح لكم كُوى السماوات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع» (ملا ٣: ١٠). وسلطانه على الأرض يمتد إلى كل شيء. «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه. حيثما شاء يميله» (أم ٢١: ١). شقَّ البحر الأحمر ليعبر شعبه، وقال لهم عن سنوات التيه: «سِرتُ بكم أربعين سنة في البرية، لم تبلَ ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبلَ على رجلك.. لكي تعلموا أني أنا الرب إلهكم» (تث ٢٩: ٥، ٦).

دعونا نرفع صلواتنا من أجل الذين يخدموننا روحياً، ونطلب من الله أن يعطيهم آذاناً صاغية لما يطلبه الشعب الذي يخدمونه منهم. أما رجال الدين فليطلبوا بركة الله صاحب السلطان للشعب الذي يخدمونه ويعظونه بكلمة وحيه الصادق.

المزمور المئة والخامس والثلاثون

**١ هللويا. سبّحوا اسمَ الربّ. سبّحوا يا عبيدَ الربّ، ٢ الواقفين في بيتِ الربّ، في ديار بيتِ
إلهنا. ٣ سبّحوا الربَّ لأن الربَّ صالحٌ. رنّموا لاسمه لأن ذاكَ حلوٌ. ٤ لأن الربَّ قد اختار يعقوبَ
لذاته وإسرائيلَ لخاصّتِه. ٥ لأني أنا قد عرفتُ أن الربَّ عظيمٌ، وربَّنا فوق جميعِ الآلهةِ. ٦ كلَّ ما
شاء الربُّ صنع في السماواتِ وفي الأرضِ، في البحار وفي كلّ اللُّججِ. ٧ المُصعِدُ السّحابَ من
أقاصي الأرضِ. الصانعُ بروقاً للمطرِ. المُخرِجُ الريحَ من خزائنه. ٨ الذي ضرب أبكارَ مصرَ من
الناسِ إلى البهائمِ. ٩ أرسل آياتٍ وعجائبَ في وسطِك يا مصرُ على فرعونَ وعلى كلّ عبيدِه.
١٠ الذي ضرب أمماً كثيرةً، وقتل ملوكاً أعزّاءَ: ١١ سيحونَ ملكَ الأموريين، وعُوجَ ملكَ باشان،
وكلَّ ممالكِ كنعان، ١٢ وأعطى أرضَهم ميراثاً، ميراثاً لإسرائيلَ شعبه.**

**١٣ يا ربُّ، اسمُك إلى الدهرِ. يا ربُّ، ذِكْرُكَ إلى دورٍ فدور. ١٤ لأن الربَّ يدينُ شعبَه، وعلى
عبيدِه يُشفِق. ١٥ أصنامُ الأممِ فضّةٌ وذهبٌ، عملُ أيدي الناس. ١٦ لها أفواهٌ ولا تتكلم. لها أعينٌ
ولا تبصر. ١٧ لها آذانٌ ولا تسمع. كذلك ليس في أفواهها نَفَسٌ. ١٨ مِثْلَها يكون صانعوها وكلُّ مَن
يتّكلُ عليها. ١٩ يا بيتَ إسرائيلَ، باركوا الرب. يا بيتَ هارونَ، باركوا الربَّ. ٢٠ يا بيتَ لاوي،
باركوا الربَّ. يا خائفي الربِّ، باركوا الربَّ. ٢١ مباركٌ الربُّ من صهيونَ، الساكنُ في أورشليمَ.
هلّلويا.**

يا خائفي الرب، باركوا الرب

هذا المزمور دعوة لتسبيح الرب الذي أعاد شعبه من السبي، فبدأوا يعيدون بناء الهيكل الذي دمره نبوخذنصّر، إلا أنهم تخاذلوا، فأرسل لهم الرب النبيين حجي وزكريا ليشجعاهم ليكملوا البناء، ففعلوا. وكان الهيكل الثاني متواضعاً جداً بالمقارنة بالهيكل العظيم الذي بناه سليمان، لأن الذين أقاموه كانوا جماعة فقيرة وقليلة. وعندما رأى كبار السن منهم ضآلة هيكلهم الجديد بالمقارنة بالهيكل الأول حزنوا جداً، فشجعهم الرب بقوله إن مجد البيت الأخير سيكون أعظم من مجد البيت الأول، إن كانت عبادتهم فيه بالروح والحق (حجي ٢: ٩). وبمناسبة إعادة البناء رنم الشعب هذا المزمور. وما أجمل أن نرفع لله تراتيل الشكر، تنشدها قلوبنا وتترنم بها ألسنتنا، فنقول لله: «أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخُلقت» (رؤ ٤: ١١).

يبدأ مزمورنا من حيث انتهى مزمور ١٣٤ آخر مزامير المصاعد، والذي دعا فيه الشعبُ اللاويين ليصلّوا ويباركوا الشعب. ويدعو مزمورنا كل خائفي الرب وبيت هارون وبيت لاوي ليباركوا الرب.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - المسبِّحون (آيات ١-٤)

ثانياً - تسبيح رب الطبيعة (آيات ٥-٧)

ثالثاً- تسبيح رب التاريخ (آيات ٨-١٢)

رابعاً- تسبيح رب الأرباب (آيات ١٣-١٨)

خامساً- دعوة للتسبيح (آيات ١٩-٢١)

أولاً - المسبِّحون
(آيات ١-٤)

١ - **يسبِّحون لأن التسبيح ضروري:** «هللويا، سبحوا اسم الرب» (آية ١أ). «هللويا» كلمة عبرية تعني سبحوا الرب، أو سبحان الله. وكل خلائق الرب تسبح خالقها العظيم الذي منه وبه وله كل الأشياء (رو ١١: ٣٦)، والذي يفتح يده فتشبع مخلوقاته خيراً (مز ١٠٤: ٢٨)، والذي إلى اسمه وإلى ذكره شهوة النفس (إش ٢٦: ٨). الملائكة تشدو له: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). وكأن المرنم يحثُّ كل الأتقياء ليقولوا: «فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر» (مز ٤٥: ١)، فترتفع أصوات التسبيح لمن وحده يستحق أن نقدم له ذبيحة الحمد، أي ثمر شفاه معترفة باسمه (عب ١٣: ١٥)، ويسبح الجميع اسمه الذي يعلن عن شخصه وكمال أعماله وعظمة صفاته. وهناك أربع صفات عظيمة لله، أولها: «الله محبة»، وثانيتها: القداسة، وثالثتها: الحكمة، ورابعتها: القوة.. الله حب مقدس، وهناك حب بشري لا يؤدي إلى قداسة. والله حب حكيم يختار لنا الأفضل، وهناك حب بشري بغير حكمة. والله حب قادر أن ينفذ أعمال محبته، وكل حب عداه ضعيف مؤقت. فلنسبح اسم الرب المحب القدوس الحكيم القادر.

٢ - **يسبحون لأنهم عبيده:** «سبحوا يا عبيد الرب، الواقفين في بيت الرب، في ديار إلهنا» (آيتا ١ب، ٢). الأتقياء عبيد الرب وعابدوه، لأنه خلقهم واشتراهم. صنعهم على صورته كشبهه، ولما ضلوا افتداهم وأعاد خلقهم، كما نرى في مثل الفخاري الذي كان يعمل وعاءً ففسد، فعاد يعمله وعاءً آخر كما حسن في عينيه (إر ١٨: ٤). وقد اشترى الله الأتقياء لا بفضة ولا بذهب «بل بدم كريم، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح» (١بط ١: ١٩). فالأتقياء عبيده وملكه بحق الخلق وبحق الشراء. وما أمجد امتياز عبيد الرب. إن لهم حق الاقتراب منه، وتقديم الخدمة له. وهو يكلف عبيده بخدمته، فيقولون: «أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي. جعلت بالسيد الرب ملجإي لأخبر بكل

صنائعك» (مز ٧٣: ٢٨). و«طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين. الحق أقول لكم إنه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم» (لو ١٢: ٣٧).

٣ - **يسبحون لأنه صالح:** «سبحوا الرب لأن الرب صالح» (آية ٣أ). «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١: ١٧). وكل من يحب الإله الصالح يحب وصاياه فيخبئها في قلبه لكي لا يخطئ إليه (مز ١١٩: ١١). و«الصالح ينال رضىً من قِبَل الرب» (أم ١٢: ٢).

٤ - **يسبحون لأن التسبيح لذيذ:** «رنموا لاسمه لأن ذاك حلو» (آية ٣ب). قد تعود كلمة «حلو» على اسم الرب، وقد تعود على الترنيم «لأن الترنم لإلهنا صالح. لأنه مُلذ. التسبيح لائق» (مز ١٤٧: ١). الرب حلو، ويشهد تاريخنا كما يشهد حاضرنا بأنه حلو ويستحق التسبيح. نسبحه لأنه إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب حافظ العهد والأمانة، ونسبحه لأنه اعتنى بنا وأعاننا كل أيام حياتنا فلم يعوزنا شيء من الخير. نسبحه لأنه طيب «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه» (مز ٣٤: ٨). وعندما نرنم لاسمه تنفتح عيوننا أكثر على حلاوته وعلى حلاوة الترنيم له، فيشرق وجهه البهي علينا ويبتسم لنا ابتسامة الرضى، فنطرح عنا كل ثقل، وكل جبل ينخفض، وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة، ونبصر خلاص الله (لو ٣: ٥، ٦). «مفديو الرب يرجعون ويأتون.. بترنم، وفرح أبدي على رؤوسهم. ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد» (إش ٣٥: ١٠). «اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمستقيمين يليق التسبيح» (مز ٣٣: ١). «حسن هو الحمد للرب والترنُّم لاسمك أيها العلي» (مز ٩٢: ١).

٥ - **يسبحون لأنه اختارهم:** «لأن الرب قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل لخاصته» (آية ٤). هذه علاقة خاصة تعتمد على نعمة الرب وحدها، كما قال المسيح: «ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم» (يو ١٥: ١٦). ويمنح اختيار النعمة تميُّزاً وتفرُّداً، ليس لصلاح فينا، لكن بسبب المحبة الإلهية التي لا نستحقها، فقد أمر الله موسى أن يقول لبني إسرائيل: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر ١٩: ٣-٦). فقد اختارهم لمسؤولية محددة هي أن ينشروا كلمته، ويكونوا وكلاء الأسرار الإلهية وحافظي العبادة الصحيحة وسط الأمم.. واختارهم «خاصة» وقال لهم: «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم

لآبائكم» (تث ٧: ٦-٨). اختار الرب يعقوب المتعقِّب وغيَّر حياته فصار إسرائيل المجاهد مع الله وجاء المسيح من نسله. واختار الرب كل من يؤمن بالمسيح من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، ليجعلهم ملوكاً وكهنة (رؤ ٥: ١٠، ١١)، «ليُظهِر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (أف ٢: ٧، ٨). لم يأتِ المؤمنون إلى الرب لكنه هو الذي تنازل وجاء إليهم ودعاهم. فالفضل كله يرجع إلى اختيار النعمة الغنية. وقد اختار المؤمنين ليباركهم، فلتمتلئ الأفواه بتسبيحه، ولنكن بركة للمحيطين بنا.

ثانياً - تسبيح رب الطبيعة
(آيات ٥-٧)

١ - **الخالق الأعظم**: «لأني أنا قد عرفت أن الرب عظيم، وربَّنا فوق جميع الآلهة» (آية ٥). «عرفت» بمعنى أن المرنم اختبر وعايش، فلم تتوقف معرفته عند سماع الأذن بل بلغت رؤية العين ويقين القلب. وجاءته المعرفة من الإعلان الإلهي، ومن اختباره الشخصي في حياته اليومية، كما قال الرسول يوحنا: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا» (١يو ١: ١). عرف أن الرب عظيم في أعماله وهو فوق كل أصنام الوثنيين، وفوق آلهة المصريين، وفوق داجون الفلسطينيين (١صم ٥: ٣). له صلى إيليا: «استجبني يا رب استجبني، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله.. سقطت نار الرب.. فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله. الرب هو الله» (١مل ١٨: ٣٦-٤٠). هو يسود فوق كل معبودات البشر في الماضي والحاضر والمستقبل.

٢ - **الخالق القادر**: «كل ما شاء الرب صنع، في السموات وفي الأرض، في البحار وفي كل اللجج. المصعد السحاب من أقاصي الأرض، الصانع بروقاً للمطر، المخرج الريح من خزائنه» (آيتا ٦، ٧). نسبح الله القادر الذي ليس من يعطل مقاصده، ولا من يحد من سلطانه، لأنه يصنع كل ما شاء. نشر السموات بلا أعمدة، وجعل فيها الشمس والقمر والنجوم لتنير الأرض، ولتحكم نظام الفصول من صيف وشتاء. وأوجد الأرض وجعلها تنبت عشباً وبقلاً وشجراً ذا ثمر، وأفاض المياه بالأسماك، وخلق طيراً يطير في الفضاء (تك ١)، وهو الذي يُصعد السحاب من مياه البحار، ويعيده مطراً على الأرض تصاحبه أصوات الرعد وأنوار البرق. وكأنه يخزن الريح في مخازن لا نراها، ويخرجها متى شاء. «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب» (يو ٣: ٨). هذا هو الإله العظيم «صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه

بسـط السموات. إذا أعطى قولاً تكون كثرة مياه في السموات، ويصعد السحاب من أقاصي الأرض. صنع بروقاً لـلمطر وأخرج الريـح من خزائنه» (إر ١٠: ١٢، ١٣). «السـموات تحدث بمجد الله والفلك يـخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يبدي علماً.. في كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مز ١٩: ١-٦). وقد دفع إلى المسيح كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فهدأ العاصفة وأطاعه البحر والرياح (مت ٨: ٢٣-٢٧)، والتقى بتلاميذه ماشياً على الماء (مت ١٤: ٢٢-٣٣).

ثالثاً - تسبيح رب التاريخ
(آيات ٨-١٢)

١ - **تاريخـه مع مصر:** «الذي ضرب أبكار مصر من الناس إلى البهائم. أرسـل آيات وعجائب في وسـطك يا مصر، على فرعون وعلى كل عبيده» (أيتا ٨، ٩). يشهد تاريخ الخروج لسلطان الرب وانتصاره لـشعبه ضد مصر، أعظم وأقوى مملـكة في ذلك الوقت، وأمر الرب موسـى أن يـقول لفرعون: «هكذا يقول الرب. إسـرائيل ابني البكر. فقلت لك أطلق ابني ليعبدني، فأبيتَ أن تطلقه. ها أنا أقتل ابنك الـبكر» (خر ٤: ٢٢، ٢٣). وضرب الرب أرض مصر بعشر ضربات، آخرها موت الأبكار. وكانت الضربات موجَّهة ضد معبودات المصريـين، ليعرفوا أن الرب هو الله وحده. كانوا يعبدون النيل ويقدمون له كل سنة عروساً، فضرب الرب ماء النيل وحوّله دماً. وكانوا يعبدون العجل أبـيس، فأهلك جميع المواشي. كانت عجائب الرب مواجهة بين «يهوه» صانع السماء والأرض وبين الوثن. ولم يـكن الرب يريد أن يهلك فرعون، بل أن يوقظه ليعرف من هو الرب. ولما رفض، دفع هو وشعبه ثمناً باهظاً «الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسـيه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وكل بكر بهيمة.. وكان صراخ عظيم في مصر» (خر ١٢: ٢٩، ٣٠).

٢ - **تاريخـه مع بـلاد كثيرة:** «الذي ضرب أمماً كثيرة وقتل ملوكاً أعزاء: سيحون ملك الأموريين، وعوج ملك باشان وكل ممالك كنعان. وأعطى أرضهم ميراثاً، ميراثاً لإسـرائيل شعبه» (آيات ١٠-١٢). يـذكر المرنم أسـماء أول ملكين قاوما بني إسـرائيل بعد خروجهم من مصر، كما يذكر أمماً كثيـرة نصر الرب شعبه عليها وأعطاهم أرضهم ليمتلكوها (عد ٢١: ٢١-٢٦ ويش ١٢: ٧-٢٤). «يـطرد من أمامك شعوباً أكبر وأعظم منك، ويـأتي بك ويعطيك أرضهم نصيباً كما في هذا اليوم» (تـث ٤: ٣٨).وهزم العبيد الضعفاء الملوك الأقوياء، لأن الحرب للرب، كما هو مكتوب: «لا بالقدرة ولا بالـقوة بل بروحي قال رب الـجنود» (زك ٤: ٦). ونتعلم من نصر الرب لشعبه رحمة الرب

على خائفيـــه، وعقابه للأشرار، كما نتعلم أنه يدافع عن شعبه. «ينزل رب الجنود للمحاربة عن جبل صهيون وعن أكمتها. كطيور مُرِفّة هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم. يحامي فينقذ. يعفو فينجّي» (إش ٣١: ٤، ٥). كما نتعلم ثبات الرب وعدم تغيره، لأنه هو هو أمســاً واليوم وإلى الأبد (عب ١٣: ٨). وهذا يــقوي إيــماننا، ويدفعنا لتســبيح الرب وتمجيده فنهتف: «شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين» (٢كو ٢: ١٤).

رابعاً - تسبيح رب الأرباب
(آيات ١٣-١٨)

١ - **الرب أزلي أبدي:** «يا رب اسمك إلى الدهر. يا رب، ذكرك إلى دور فدور» (آية ١٣). الرب هو الله، وهو الســيــد وحده الأزلي الأبدي. اســمه إلى الدهر يبقى ولا يزول ولا يتغير، فهو الألف والياء، الأول والآخِر، العلي المرتفع ساكن الأبد، القدوس اسمه (إش ٥٧: ١٥). ويدوم ذكره من جيل إلى جيل، لأن معجزاته فائقة وعجائبه كثيرة. شخصه لا يُنســى، ووصاياه لا تنســى، وإنجيله يخبر بعطايــاه وشفائه وعظمة قوته. يعبده الأتقياء فيتكلم ويتحاور معهم ويقول: «هلم نتحاجج يقول الرب» (إش ١: ١٨)، ويميل أذنه ويســمع طلباتهم، ويشعر بآلامهم ويســرع إلى معونتهم. «في كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته خلصهم. بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة» (إش ٦٣: ٩).

٢ - **الرب يحب شعبه:** «لأن الرب يــدين شعبه، وعلى عبيده يشفق» (آية ١٤). يدين الرب شعبه حين يخطئون فيعاقبهم بنفســه. ولأنه يشفق عليهم، لا يســمح للعدو بإهلاكهم «لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، وكأب بابن يُســر به» (أم ٣: ١٢). لقد كان داود حكيماً عندما أخطأ فعرض الرب عليه ثلاث عقوبات ليختار إحداها: ســبع سني جوع، أو الهروب أمام أعدائه ثلاثة أشهر، أم ثلاثة أيام وبإ، فقال داود: «لنسقط في يد الرب لأن مراحمه كثيرة، ولا أسقط في يد إنسان» (٢صم ٢٤: ١٠-١٤).

٣ - **الوثن لا حياة فيه:** «أصنام الأمم فضة وذهب عمل أيدي الناس. لها أفواه ولا تتكلم. لها أعين ولا تــبصر. لها آذان ولا تسمع. كذلك ليس في أفواهها نَفَس» (آيات ١٥-١٧). كانت هناك أوثان من خــشب ومن حجارة ومن ذهب. واليوم عندنا معبودات من نوع آخر، وكلها لا تدوم. فالبعض يعبدون الســلطة لتكون بيـــدهم مقاليد الأمور، والبعض يعبدون العِلم ويتعبدون رهباناً في محرابه، والبعض يــعبدون المال بزعم أنه يفعل الكثير.. وينسون أن السلطة هي تفويض من الله، وأن العلم بدون معرفة الرب يــدمر، وأن المال بدون مخافة الله يــصبح ســيداً قاســياً، والذين يبتغونه يضلون عن الإيمان ويــطعنون أنفسهم بأوجاع كثيرة (١تي ٦: ١٠). لقد صنع الوثنيون لأنفسهم أصناماً لا تتكلم ولا تسمع

ولا تبصر، ثم عبدوها. وقد يـــكونون أذكياء جداً في أمور دنياهم، لكنهم أغبياء جداً في أمور دينهم. ويـــصوِّر النبي إشعيـــاء غباء الوثني في أنه يـــقطع شجرة يحرق بعض فروعها ليتدفأ ويقول: «قد تدفأت.. رأيت ناراً» ويأخذ بعض أخشابها ليصنع منها صنماً يخر له ويسجد ويصلي ويقول: «نجِّني لأنك أنت إلهي» (إش ٤٤: ١٢-١٧).

٤ - **صانعو الـوثن يكونون مثل أوثانهم:** «مثلها يـــكون صانعوها وكل من يتكل عليها» (آية ١٨). مثل الشيء كمثل صاحبه، وقد قال المســـيح عن أمثال هؤلاء: «مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يســـمعون ولا يفهمون» (مت ١٣: ١٣) لا فائدة فيهم ولا رجاء لهم لأنهم وضعوا قلوبهم على ما لا ينفعهم، وتركوا ينبوع الماء الحي ونقروا لأنفسهم آباراً مشققة لا تضبط ماء (إر ٢: ١٣).

خامساً - دعوة للتسبيح
(آيات ١٩-٢١)

فـــي الآيات الأخيرة من المزمور يوجِّه المرنم الدعوة لبيت إسرائيل، وبيت هارون، وبيت لاوي، وخائفي الرب أن يـــباركوا الرب «الســـاكن في أورشليم».. كان صاحب مزمور ١١٥ قد طلب من إســـرائيل وبيت هارون ومتقي الرب أن يتكلوا على الرب (آيات ٩-١١)، كما طلب صاحب مزمور ١١٨: ٢-٤ من إســـرائيـــل وبيت هارون ومتقي الرب أن يهتفوا: «إن إلى الأبد رحمته». ويضيف المرنم في مزمورنا «بيت لاوي». فالبركة تجيء من أورشليم حيث مركز عبادة الرب، الذي يرفع له شعبه وخدامه تسابيح الشكر، فيباركهم ويفرح قلوبهم.

المزمور المئة والسادس والثلاثون

١ احمدوا الربَّ لأنه صالحٌ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٢ احمدوا إلهَ الآلهةِ، لأنَّ إلى الأبدِ
رحْمَتَهُ. ٣ احمدوا ربَّ الأربابِ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٤ الصانعَ العجائبَ العِظامَ وحدَه، لأنَّ إلى
الأبدِ رحْمَتَهُ. ٥ الصانعَ السماواتِ بفهمٍ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٦ الباسطَ الأرضَ على المياهِ، لأنَّ
إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٧ الصانعَ أنواراً عظيمةً، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٨ الشمسَ لحُكمِ النهارِ، لأنَّ إلى
الأبدِ رحْمَتَهُ. ٩ القمرَ والكواكبَ لحُكمِ الليلِ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٠ الذي ضرب مصرَ مع
أبكارها، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١١ وأخرج إسرائيلَ مِن وسْطِهم، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٢ بيدٍ
شديدةٍ وذراعٍ ممدودةٍ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٣ الذي شقَّ بحرَ سوفٍ إلى شُقَقٍ، لأنَّ إلى الأبدِ
رحْمَتَهُ. ١٤ وعبَّر إسرائيلَ في وسَطِه، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٥ ودفع فِرْعَوْنَ وقوَّتَه في بحرِ
سوفٍ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٦ الذي سار بشعبه في البرِّيةِ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٧ الذي
ضرب ملوكاً عُظماءَ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ١٨ وقتل ملوكاً أعزّاء، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَه:
١٩ سيحونَ ملكَ الأموريين، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ، ٢٠ وعُوجَ ملكَ باشانَ لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَه،.
٢١ وأعطى أرضَهم ميراثاً، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٢٢ ميراثاً لإسرائيلَ عبدِه، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ.
٢٣ الذي في مذلَّتِنا ذكَرَنا، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٢٤ ونجّانا من أعدائِنا، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ.
٢٥ الذي يعطي خبزاً لكلِّ بشرٍ، لأنَّ إلى الأبدِ رحْمَتَهُ. ٢٦ احمدوا إلهَ السماواتِ، لأنَّ إلى الأبدِ
رحْمَتَهُ.

ليس لرحمته نهاية!

هذا مزمور شكر لله على صلاحه وكثرة مراحمه وقوة عجائبه، يشترك فيه صاحبه مع صاحب مزمور ١٣٥ في الدعوة لرفع الحمد للإله الوحيد الحكيم الذي قويت رحمته على خائفيه. أخطأ بنو إسرائيل وأُخذوا للسبي فظنوا أن رحمة الله عليهم توقفت. ولكنه ردّ سبيهم فبرهن أن محبته لهم لا تنتهي وأن رحمته عليهم باقية إلى الأبد.

تكرر التعبير «لأن إلى الأبد رحمته» ٢٦ مرة في آيات المزمور الست والعشرين، وهو تكرار التأكيد الذي يذكره المرنم بعد كل ذكر لأعمال محبة الله. «ما أكرم أفكارك يا الله عندي. ما أكثر جملتها. إن أُحصها فهي أكثر من الرمل» (مز ١٣٩: ١٧، ١٨). وكان بنو إسرائيل يرددون تعبير «لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته» في عبادتهم الجمهورية، وقد ورد هذا التعبير ٣٦ مرة في الكتاب المقدس (٢٦ مرة في مزمورنا، وفي ١أي ١٦: ٣٤ و٢أي ٥: ١٣ و٧: ٣ وعز ٣: ١١ ومز ١٠٠: ٥ و١٠٦: ١ و١٠٧: ١ و١١٨: ١، ٢٩ وإر ٣٣: ١١). كما ورد تعبير «إلى الأبد رحمته»

خمس مرات، في ١أي ١٦: ٤١ و٢أي ٧: ٦ و٢٠: ٢١ ومز ١١٨: ٣، ٤. ومن دراسة هذه الشواهد الكتابيـــة نرى أن ترتيل هذا التعبير جمهورياً كان يوم نقل داود التابوت إلي الخيمة التي خصصها له في حصن داود (١أي ١٦: ٤)، ويــوم أكمل سـليـــمان بناء بيت الرب (٢أي ٥: ١٣). ويوم انتهى سـليـــمان من صلاة تدشين الهيكل (٢أي ٧: ٣)، ويوم تأســيس الهيكل الثاني (عز ٣: ١١). وكان الـشعب يردُ بالقول: «إلى الأبد رحمته» علي المرنمين، أو يرد بها اللاويون علي قائد الجوقة. ويجب أن نرددها نحن كلما تأملنا محبة الله التي لا تنتهي، وهو القائل: «محبة أبديـــة أحببتك، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة» (إر ٣١: ٣).

في هذا المزمور نجد:

أولاً - دعوة للشكر (آيات ١-٣)

ثانياً - شكر الله الخالق (آيات ٤-٩)

ثالثاً - شكر الله المُنقذ (آيات ١٠-١٥)

رابعاً - شكر الله المُنعِم (آيات ١٦-٢٦)

أولاً - دعوة للشكر
(آيات ١-٣)

١ - **شكر الإله الـصالح:** «احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلي الأبد رحمته» (آية ١). يدعونا المرنم لنقدم الحمد للرب الصالـــح، مصدر كل صلاح وصانع كل خيــر، فنقول له: «أنت يــا رب صالح وغفور وكثير الرحمـــة لكل الداعين إليك» (مز ٨٦: ٥). وهو الرب الذي يطلب الصلاح ويجازي عليه. «مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح» (رو ٢: ١٠).

٢ - **شـكر إلـه الآلهة:** «احمدوا إله الآلهة، لأن إلي الأبد رحمته» (آية ٢). تعبَّد الوثنيون لآلهة من خشب وحجر ومعادن، والــرب هو الـــذي أوجد الخشب والحجر والمعادن من العدم، فهو إله الآلهة لأنــها مخلوقاته. وهي بائدة وهو الأبدي الأزلي. والرب هو الأعلى والأقوى وسلطانه إلى دور فدور. أثناء السبي البابلي أقام الملك داريوسُ دانيـــــــال رئيساً لوزرائه، فأخذ رجال المملكة يفتشون عن شكوى ضد دانيـــال، ولم يـــجدوا فيه علَّةً إلا من جهة إلهه، فوشوا به إلى الملك، وطرحوه في جب الأسود. فقال الملك لدانيال: إلهـــــــك الحي الذي تعبده دائماً هو ينجيك. وباكراً عند الفجر أُصعد دانيـــال من الجب ولم يوجد فيه ضرر لأنه آمن بإلهه. ثم كتب الملك داريوس إلى كل الشعوب: «من قـِبلي صدر أمر بأنه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه الإله الحي القيوم

إلى الأبد، وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى» (دا ٦: ٢٦).

٣ - **شكر رب الأرباب**: «احمدوا رب الأرباب لأن إلى الأبد رحمته» (آية ٣). بمعنى أن له السيادة علـى كل صاحب سلطان، وله يخضع كل سلطان في السماء والأرض. هناك أرباب مثل رب البيت، ورب العمل، أما الرب فهو رب هؤلاء جميعاً. وهناك ملوك ورؤساء وأصحاب سلطان وسيادة، أقامهم الرب، وأوصانا أن نخضع لهم، وأمرهم بالخضوع له، لأنه سيدهم جميعاً «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه. حيثما شاء يميله» (أم ٢١: ١) «لأن فوق العالي عالياً يلاحظ، والأعلى فوقهما» (جا ٥: ٨). وهو يقول: «أليس أنا الرب ولا إله غيري؟ إله بار ومخلِّص. ليس سواي. التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليس آخر.. لي تجثو كل ركبة، يحلف كل لسان» (إش ٤٥: ٢١-٢٣).

ثانياً - شكر الله الخالق
(آيات ٤-٩)

١ - **الخالق الوحيد**: «الصانع العجائب العظام وحده» (آية ٤). هو الأزلي صانع الكون العجيب وحده عندما لم يكن هناك سواه. «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يو ١: ٣). وهو وحده الذي صنع عجائب في أرض مصر ليحرر بني إسرائيل المأسورين بيده الرفيعة. ولا زال سلطانه الإلهي فاعلاً دائماً في أرضنا. غزا الإنسان الفضاء وحتى كتابة هذه السطور وصل إلى القمر، ولا يزال يطمح إلى أبعد، لكنه لم يحقق هذا إلا باستخدام القوانين الطبيعية التي وضعها الله! وستظل عصا الله تلتهم عصي البشر، حتى لو تمكنوا بسحرهم أن يحولوها إلى حيات، فإن الرب هو الذي أعطاهم عقولاً يتفوقون بها (خر ٧: ٨-١٣). «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟.. لأن منه وبه وله كل الأشياء» (رو ١١: ٣٣-٣٦). وهو الأبدي الذي لا يزال يصنع معنا المعجزات، وعنده للموت مخارج (مز ٦٨: ٢٠)، فكم يشفي من مرض، وينقذ من عدو، وينصر على خطية ليؤهلنا لشركة ميراث القديسين في النور (كو ١: ١٢).

٢ - **الخالق الحكيم**: «الصانع السموات بفهم» (آية ٥). ما أوضح الحكمة الإلهية وراء الخلق كله. لا شيء يتخطى حدوده. كل شيء منضبط بدقَّة. أعان الله الإنسان ليخترع أشياء كثيرة، ولكن لكل ما يصنعه الإنسان عيوب ونقائص تحتاج إلى تعديل وتبديل وصيانة. أطلق الإنسان أقماراً صناعية في الفضاء ولكنه دوماً يعدِّل مساراتها. لكن «الرب بالحكمة أسس الأرض. أثبت السموات بالفهم.

بعلمه انشقّت اللجج، وتقطر السـحـاب ندى» (أم ٣: ١٩، ٢٠). تتضح حكمته لنا عندما نستعمل التليسكوب لنرى الأشياء البعيدة، كما تتضح لنا عندما نستعمل الميكروسكوب لنرى الأشياء الدقيقة، فتشهد العظائم الكبيرة لحكمته كما تشهد لها دقائقها وتفاصيلها الصغـيرة. وفي حياتنا اليومية نراه يدبر لنا الأمور الكبيرة كما يدبر صغائر الأمور «الإله الحكيم الوحيد مخلصنا، له المجـد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور» (يه ٢٥).

٣ - **الخالق المقتدر**: «الباسط الأرض على المياه» (آية ٥). «في البدء خلق الله السموات والأرض.. وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه.. وقال الله ليكن جلدٌ في وسط المياه، وليكن فاصـلاً بين مياه ومياه.. وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك» (تك ١: ١، ٢، ٦، ٩) . كانت الميـاه تغطي كل شيء إلى أن أمر الخالق والآمر الوحيد، فانحسرت المياه وظهرت الأرض، وجعـل للمياه حدوداً لا تتخطاها إلا بأمره. ولما زادت خطايـا البشر وامتلأت الأرض ظلماً، أهلكها بالطوفان. أما نوح فوجد نعمة في عيني الرب، فقال لـه: نهايـة كل بشر قد أتت أمامي. اصنع لنفسـك فلكاً. وجاء الطوفان فتعاظمت الميـاه على الأرض مئة وخمسـين يوماً. ثم أجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه ثم نشفت عن الأرض (تك ٦-٨). أهلك الرب سـكان الأرض بسـبب ظلمهم، ما عدا ثمانية نفوس هم نوح وزوجته، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم. ثم «قال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان» (تك ٨: ٢١).

٤ - **الخالق المنير**: «الصانع أنواراً عظيـمة.. الشمس لحكم النهار.. القمر والكواكب لحكم الليل» (آيـات ٧-٩). «الله نور وليس فيه ظلمة البتة» (١يو ١: ٥) وبنوره نرى نوراً (مز ٣٦: ٩). وحين كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجـه الغمر ظلمة «قال الله: ليكن نور فكان نور.. لتكن أنوار في جـلد السماء لتفصل بين النهار والليل.. فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليـل» (تك ١). هذا هو الإله الحكيـم الذي كل ما شاء بحكمة صنع، ولم يترك شيئاً للصدفة. جعل الشمس لحكم النهار لتسـتيقظ مخلوقاته لأداء ما كلفها به من عمل، وجعل القمر لحكم الليل فيه يعطي حبيبه نوماً (مز ١٢٧: ٢). «الإله الحي الذي خلق السـماء والأرض والبحر وكل ما فيها.. لم يترك نفسه بـلا شاهد. وهو يفعل خيراً، يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبنا طعاماً وسـروراً» (أع ١٤: ١٥، ١٧). وهو يـشرق على كنيسـته بنوره فيُرى عليها مجده، ويقول لها: «قومي اسـتنيري لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك.. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك» (إش ٦٠: ١-٣).

ثالثاً - شكر الله المنقذ
(آيات ١٠-١٥)

١ - **معجزة الخروج:** «الذي ضرب مصر مع أبكارها.. وأخرج إسـرائيل من وسطهم.. بيد شديدة وذراع مـمدودة» (آيات ١٠-١٢). رفع المرنم الحمد للرب المنقذ وذكر وأخبر كم صنع الرب بشعبه ورحـمهم من يـد مسخريهم، بأن: ضرب، وأخرج بيد شديدة. أحب الرب شعبه وأراد أن ينقذهم من الـذل، كما أظهر حبه لـفرعون فأطال أناته عليـه، ومنحه عدة فرص للرجوع عن فكره الخاطئ، وأنذره بعجائب عظيـمة. ولما أبى وعاند ضرب الرب مصر وأبكارها من بكر فرعون الجالس على كرسـيه إلى بكر الأسـير الذي في السـجن وكل بكر بهيمة (خر ١٢: ٢٩). ضرب الظالم ليطلق المظلوم حراً. «ها إن يـد الرب لم تقصر عن أن تخلِّص، ولم تثقل أذنه عن أن تسـمع.. فخلصت ذراعه لنفسه، وبرُّه هو عضده» (إش ٥٩: ١، ١٦).

٢ - **غرق العدو:** «شق بحر سوف إلى شقق.. وعبَّر إسرائيل في وسطه.. ودفع فرعون وقوَّته في بـحر سوف» (آيات ١٣-١٥). شقَّ البحر، وعبَّر شعبه، وأغرق الظالم. يأمر البحر والرياح فتطيعه، فصار البحر سـور ماء عن اليمين وعن اليسـار ليعبر شعبه وسط اللجج. وعندما جاء العدو كنهر دفـعته نفخة الرب (إش ٥٩: ١٩). شقَّ الصخر فأخرج ماءً يروي ظمأهم. «بمحبته ورأفته هو فكهم ورفعهم وحملهم كل الأيـام القديـمة» (إش ٦٣: ٩). ودفع القوي وجيشه في البحر ليعبر الضعيف ويقول: بطل أنا، لأن الرب قوته (يوء ٣: ١٠). ولم يكن شعبه تقياً ولا كاملاً، ولكنه في محبته يقول له: «لا تخف لأني فديتُك. دعوتُك باسـمك. أنت لي. إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذع، واللهيب لا يحرقك» (إش ٤٣: ١، ٢). وصار لحادثة الخروج الـعظيمة تذكار سنوي في الاحتفال بالفصح. وفي المسيح لم نعد نحتفل بالفصح، بل بالعشاء الرباني، فنتقدم إلى مائدة الرب وهو يقول لنا: «خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم». ثم نتناول الكأس ونسـمعه يقول: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا.. لذكري» (١كو ١١: ٢٤، ٢٥). نحن نحتفل بالمسيح فصحنا الذي ذُبح لأجلنا (١كو ٥: ٧)، ونقدم الشكر له لأنه عبر بنا إلى شاطئ الأمان.

رابعاً - شكر الله المنعم
(آيات ١٦-٢٦)

١ - **أنعم بالإرشاد:** «الذي سـار بشعبه في البريـة» (آيـة ١٦). فهو ملكهم الذي سـار أمامهم، وبمهارة يـديه هداهم (مز ٧٨: ٧٢). كان يظللهم نهاراً ويرشدهم بعمود سـحاب، وكان يضيء لهم

ويـــدفع الوحوش عنهم ويهديهم ليلاً في عمود نار «الرب حافظك.. لا تضربك الشمس في النهار ولا القمر في الليل.. الرب يحفظ خروجك ودخولك» (مز ١٢١: ٥، ٨). عالهم في البرية أربعين ســـنة. أطـعمهم المن يومياً فلم يجوعوا، ورواهم بماء خرج من الصخر. وقال لهم: «سرت بكم أربعين سنة في البرية، لم تبل ثيابكم عليكم، ونعلك لم تبل على رجلك» (تث ٨: ٤ و٢٩: ٥).

٢ - **أنعم بالـدفاع**: «الذي ضرب ملوكاً عظماء.. وقتل ملوكاً أعزاء.. ســيحون ملك الأموريين.. وعوج ملـــك باشان» (آيـات ١٧-٢٠). هيـأ الرب لشعبه في القفر ســبيـلاً، وتقدمهم من الأمام وسترهم من الخلف، وضرب فرعون العظيم حتى سمح بخروجهم من أسر عبوديته. ثم ضرب ملوكاً عظماء ليـــقدروا أن يـعبروا إلى أرض الميـــعاد، وقاتل عنهم ملوكاً ذوي بأس، مثل ســيحون ملك الأموريين «ضربه إســرائيل بحد الســيف، وملّك أرضه من أرنون إلى يبوق إلى بني عمون» (عد ٢١: ٢٤)، ومــثل عوج ملك باشان «قال الرب لموسى لا تخف منه لأني قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه» (عد ٢١: ٣٤).. ولا زال شعب الرب يــجتاز بريــة روحيـــة، تحيط به التجارب، ويـــواجه معانديـــن، لكنه يثق في صدق الوعد: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤). ويليق بالمؤمنين أن يتبعوا الوصية الرســولية: «البســوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس» (أف ٦: ١١).

٣ - **أنعم بالميـراث**: «أعطى أرضهم ميراثاً.. ميراثاً لإســرائيل عبده» (آيتا ٢١، ٢٢). أباد الرب أعداءه الـــذيـــن يـــعبدون الأصنام، وأهلك أعداء شعبه وانتزع منهم الأرض التي هو مالكها «للرب الأرض وملؤها. المســكونة وكل الســاكنين فيها» (مز ٢٤: ١)، وأعطاها ميراثاً لشعبه الذي يعبده. وفي لغة الإنجيـل يـــنعم الله على المؤمنيـــن بالتبني، فتفارقهم روح العبودية «والروح نفســه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيـــضاً، ورثة الله، ووارثون مع المســيح» (رو ٨: ١٦، ١٧)، «ميراثاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات» (١بط ١: ٤).

٤ - **أنعم بالحـريـة**: «الذي في مذلتنا ذكرنا.. ونجانا من أعدائنا» (آيتا ٢٣، ٢٤). يطلب المرنم من شــعبه أن يحمدوا الإله الذي لا ينعس ولا ينام، والذي مدّ يده ونجاهم من ذلهم. يقول: «ذكرنا» وهل الـرب ينسى «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك» (إش ٤٩: ١٥). وكثيراً ما يعاني المؤمنون من الذل، ولكنهم يدركون معنى القول: «بالإيمان موسى.. أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون، مفضّلاً بالأحرى أن يُذل مع شعب الله.. حاســـباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر لأنه كان يـــنتظر المجازاة» (عب ١١: ٢٤-٢٦). ولهذا لم ينزعج الشهداء من ذل الاســتشهاد، بل انزعج الذين قتلوهم، وصارت دماء الشهداء بذار الكنيسة، التي تنمو مثل عليقة تتوقد

بالنار ولم تكن تحترق (خر ٣: ٢).

علـى أن الذل الأكبر الذي ينجينا الرب منه هو ذل الخطية، لأن من يعمل الخطية هو عبد لها (يو ٨: ٣٤). يـذكر الله الخاطئ الهالك ويفتش عليه حتى يجده. هذا ما فعله المسيح مع اللص التائب الذي قال: «اذكرني يـا رب متى جئت في ملكوتك». فأجابه: «اليـوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢، ٤٣). وكل من يُقبل إليه لا يُخرجه خارجاً (يو ٦: ٣٧).

٥ – **أنعم بالطعام**: «الذي يعطي خبزاً لكل بشر.. احمدوا إله السماوات» (آيتا ٢٥، ٢٦). لا ينسى الرب خليـقته لأنها صنعة يديه، فيعتني بها ويقوتها ويعطيها خبزاً يُشبعها «أعين الكل إياك تترجى، وأنت تعطيـهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتُشبع كل حي رضى» (مز ١٤٥: ١٥، ١٦). وقد علّمنا أن نصلي «أبانا الذي في السموات.. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم» (مت ٦: ٩-١٣).

على أن الطعام الأسـمى الذي ينعم علينا به هو غذاء الروح، فقد قال: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون»، وقال: ««ليس موسـى أعطاكم الخبز من السـماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم.. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يو ٦: ٣٢، ٣٣، ٥١).

«احمدوا إله السماوات، لأن إلى الأبد رحمته».

المزمور المئة والسابع والثلاثون

١ على أنهار بابلَ هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكَّرنا صهيونَ. ٢ على الصَّفْصافِ في وسَطِها
علَّقنا أعوادَنا، ٣ لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلامَ ترنيمةٍ، ومعذّبونا سألونا فرحاً قائلين: «رنِّموا
لنا مِن ترنيماتِ صهيونَ».
٤ كيف نرنِّمُ ترنيمةَ الربِّ في أرضٍ غريبةٍ؟ ٥ إنْ نسيتُكِ يا أورشليمُ تَنْسى يميني ٦ ليلتصِقْ
لساني بحنكي إنْ لم أذكُرْكِ، إنْ لم أفضِّلْ أورشليمَ على أعظمِ فرحي!
٧ اذكُرْ يا ربُّ لبني أدومَ يومَ أورشليمَ، القائلين: «هُدّوا هُدّوا حتى إلى أساسيها». ٨ يا بنتَ
بابلَ المُخْرَبةَ، طوبى لمن يجازيكِ جزاءَكِ الذي جازيتِنا! ٩ طوبى لمن يُمسكُ أطفالَكِ
ويضربُ بهمُ الصَّخرةَ!

البكاء عند أنهار بابل

يروي هذا المزمور حالة الشعب المسبي في بابل نتيجة انحراف مملكة يهوذا عن العبادة الحقيقية، فقد عبد بعض أهلها الوثن، وخلط البعض الآخر عبادة الله بعبادة الوثن. أما الأتقياء فكانوا قِلّة لم يستمع أحدٌ لنصحهم. وكم أطلق الأنبياء صرخات التحذير، ولكن السامعين لم يهتموا بإصلاح طرقهم، بل سخروا من الوعظ، فسمح الله للملك نبوخذنصر ملك بابل عام ٥٨٦ ق م أن يسبيهم وأن ينهب محتويات هيكل سليمان ويخربه.. وفي أثناء سنوات السبي ضعفت مملكة بابل وفقدت استقلالها، بينما قويت مملكة فارس. وبعد سبعين سنة في السبي حقّق الله وعده الذي تنبأ به إرميا بعودة شعبه، فأمر كورش ملك فارس بعودة بني إسرائيل إلى بلادهم، وردَّ لهم ما سلبه نبوخذنصر من محتويات الهيكل، وأمرهم أن يعيدوا بناءه بمساعدة من الإمبراطورية الفارسية، على أن يصلّوا لإلههم أن يبارك حياة كورش ومملكته. ورجع بنو إسرائيل ومعهم الأوامر بإعادة البناء بمواد من مخازن الملك شخصياً، فصُدموا لما رأوا خراب البلاد الشامل، وحالة الفقر السائدة لمن بقوا فيها، ومقاومة الأعداء الذين سكنوا البلاد وتعطيلهم بناء هيكل الرب.

والأغلب أن المرنم كتب هذا المزمور عقب عودته من السبي مباشرة، فكتب فاتحة مزموره عن سنوات السبي الحزينة بصيغة الماضي (آيات ١-٣) وختم مزموره بطلب المزيد من الويلات على بابل (آيات ٧-٩).

في هذا المزمور نجد:

أولاً أحزان السبي (آيات ١-٣)

ثانياً ذكريات أورشليم (آيات ٤-٦)

ثالثاً عقاب العدو (آيات ٧-٩)

أولاً - أحزان السبي
(آيات ١-٣)

١ - **المرنم الذي لم يفرح**: «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون» (آية١). كانت أرض كنعان تلالاً يرويها المطر، أما أرض بابل فكانت ترويها أنهار كثيرة، منها دجلة والفرات ونهر خابور (الذي أقام عنده النبي حزقيال- حز ١: ١). عند تلك الأنهار جلس المسبيون بعيداً عن الناس، كما يجلس النائحون (إش ٤٧: ١، ٥)، يجترون ذكرياتهم الحزينة، وهم يغتسلون في مياه الأنهار حسب مطالب الشريعة، استعداداً لإقامة فروض عبادتهم، لأنهم كانوا عاجزين عن بناء مجمع يتعبدون فيه (كما حدث في ما بعد في مدينة فيلبي أع ١٦: ١٣). وكانت الشقة بعيدة بينهم وبين وطنهم حيث كان هيكل سليمان العظيم، الذي طالما رنموا وهم يصعدون إليه: «هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الإخوة معاً.. لأنه هناك أمر الرب بالبركة» (مز ١٣٣).

وأثارت الذكريات الشجون، فجلسوا يتذكرون ويبكون، وهم يقارنون أحوالهم في بابل بأحوالهم في أرض آبائهم وهيكل إلههم، حيث كانت تجري عبادتهم. وفي إحساس قوي بالذنب، وخوف من أن الرب قد رفضهم، انسابت دموع حزنهم مع انسياب مياه النهر، واختلطت دموع توبتهم بالمياه التي كانوا يغتسلون بها للتطهير، وتضرعوا لله طالبين العودة إلى أرض الموعد.. وهذا حال كل من يبتعد عن الرب وبيته، وهو حال كل من عطش فشرب ماءً ملحاً، وجاع فأكل الخرنوب الذي تأكله الخنازير في الكورة البعيدة. ولكن شكراً للإله الصالح الرؤوف الرحيم الذي يقبل توبة الخاطئ الراجع إليه. «فلنتقدّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤: ١٦).

٢ - **الأعواد التي لم تعزف**: «على الصفصاف في وسطها علّقنا أعوادنا» (آية ٢). كانت أشجار الصفصاف الباكي تنمو بجوار الأنهار. وعندما جلس المسبيون تحتها لم ينتبهوا إلى جمالها، ولا لاحظوا أوراقها الخضراء المدلاة تظللهم، ولا أحسوا بنسمة هواء النهر تخفف من لهيب دموعهم، بل رأوا حبات الندى وكأنها دموع تشاركهم بكاءهم وأحزانهم. وعندما علا صوت بكائهم أهملوا أعوادهم، فعلقوها على الأغصان. وتعليق الأعواد أفضل من تحطيمها كما يفعل الإنسان الذي ييأس فيحطم مصدر فرحه، أو يحطم نفسه، أو أقرب الناس إليه. كما كان تعليقها أفضل من الغناء بمصاحبتها للوثن. وهذا يعني أنهم لم يفقدوا رجاءهم، فقد كانوا «مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين. متحيرين لكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين» (٢كو ٤: ٨، ٩). علقوا أعوادهم لأنها ذكرى مجد تسبيح قديم في الهيكل الأول، ولابد أن تكون لهم فرصة استخدامها والغناء عليها من جديد تسبيحاً للرب قائلين: «بمراحم الرب أغني إلى الدهر.

لدورٍ فدورٍ أخبر عن حقك بفمي» (مز ٨٩: ١).

٣ - **الترنيمة التي لم تُرتّل**: «لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذّبونا سألونا فرحاً قائلين: رنّموا لنا من ترنيمات صهيون» (آية ٣). في أرض الهوان والغربة كانت الأحزان تملأ قلب المسبي الغريب فتسيل دموعه، وتمتلك الذكريات الماضية وجدانه، وإذا بالجاني المُسخّر يسأله أن يستخدم مقدساته ويترنم بتسابيح إلهه ليسليه! لقد كان الطلب قاسياً لأنه من عدو شامت، هازئ بالمقدسات. لم يكتفِ الغزاة بما فعلوه ببني إسرائيل من نهب وسلب وتدمير، وبما أهانوهم وأذلوهم به في الغربة، فأضافوا بطلبهم الجديد هذا ذلاً جديداً.. لعلهم ظنوا أن «يهوه» وثن يشبه آلهتهم، لم تعُد لديه القدرة أن يساعد عابديه. وهم يجهلون أن هذا الإله العظيم قصد بسنوات السبي أن يتوّب شعبه إلى الأبد عن عبادة الوثن. وهو ما حدث بالفعل بعدما رأى بنو إسرائيل الفساد المرتبط بالعبادة الوثنية، فكرهوا حتى أن يسمعوا عنها، وفطمهم اختبارهم المؤلم في بابل فطاماً نهائياً من عبادة الوثن. ويسمح الرب بأن يسقينا كأساً مراً ليبعدنا عما هو أسوأ، ويبدد مباهجنا الأرضية لكي لا يحرمنا من بركات أبدية.

ثانياً - ذكريات أُورشليم
(آيات ٤-٦)

١ - **الترنيم في أورشليم**: كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟» (آية ٤). يذكر المرنم جوقة الترنيم العظيمة التي طالما سبحت الرب بمزامير داود في هيكل سليمان، فملأت قلوب العابدين خشوعاً وشكراً لله. فلما طُلب من اليهود أن يرنموا ترنيمة صهيون في الأرض الغريبة استنكروا الطلب أن يرتلوا بعيداً عن أورشليم، لأنه اعتبروا هذا العمل خيانة لديانتهم وبلدهم، لأن تراتيل الرب كانت مرتبطة عندهم بالمكان المقدس الجليل.

ويقول بعض الناس اليوم: «كيف نرنم؟» لأسباب غير السبب الذي ذكره المرنم، فالبعض لا يرنم لأنه مشغول بالأمور المادية، والبعض الآخر يخجل أن يرنم خارج مكان العبادة. أما التقي فيشترك مع بولس وسيلا في الترنيم والصلاة حتى لو كان في السجن الداخلي (أع ١٦: ٢٤، ٢٥)، ويقول: «أغني للرب في حياتي. أرنم لإلهي ما دمت موجوداً، فيلذ له نشيدي، وأنا أفرح بالرب» (مز ١٠٤: ٣٣، ٣٤). وهذا ما فعله زنوج أمريكا الذين خطفهم تجار العبيد من أفريقيا وباعوهم ليؤدوا أقسى الأعمال وأصعبها، فوجدوا تعزياتهم في الرب، وكتبوا ترانيم روحية عميقة المعاني معروفة باسم «ترانيم الزنوج الروحية» تُرجم بعضها إلى العربية، مثل ترنيمة «نحن نرقى سلم يعقوب». فكانوا في آلامهم يرون السلم المنصوبة في الأرض ورأسها يمس السماء وملائكة الله صاعدة ونازلة عليها

(تك ٢٨: ١٢)، وكأنهم يــقولون: «لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً. لأن ما يـنظره أحد كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر» (رو ٨: ٢٤، ٢٥). وكما رنم زنوج أمريكا في أقسى الظروف يرنم كل من اختبر خلاص المسيح «أعلى أحد بينكم مشقات؟ فليصلِّ. أمســرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع ٥: ١٣) في كل مكان، لأن كل الأرض أرض الرب، وكل مكان نرنم فيه يصبح هيكلاً مقدســاً له. ويعيش المؤمن بالمسيح اليوم وسط مجتمع معادٍ مقاوم معاند، فإن طُلب منه أن يرنم ترنيمة الرب ســيرنمها دون أن يفقد ســلامه الثابت، لأنه مؤسس على الصخر. فرنِّم للرب، وجاوب كل من يسألك عن سبب الرجاء الذي فيك (١بط ٣: ١٥).

٢ – **أورشليم التي لا تُنسى**: «إنْ نسـيتُك يا أورشليم تنســى يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك. إن لم أفضّل أورشليـــم على أعظم فرحي» (آيتا ٥، ٦). لأورشليم مكانة خاصة في قلب بني إسرائيل، لأنها حصن داود ومكان إقامة تابوت العهد، وموضع تقديم الذبائح، فلا يمكن لمؤمن تقي أن ينســاها، لأنه لو نسيها ينسى غفران الله ورحمته ومواعيده ومحبته، ولا يرى إلا غضب الله وعقابه. ومعنى قول المرنم هنا أنه إن نســي أورشليم فلتعجز يمينه وليُصيبها الشلل، فلا يستطيع أن يزرع أو يــحصد، ويصبح في عوز وفاقة. وليعجز عن حمل العود للعزف والغناء، وليُصيبه الخرس فيتوقّف عـن التسبيح والشدو، فيصيبه الحزن والكمد. ويقول إن هذه الكوارث في يمينه ولسانه ستصيبه إن لم يــعطِ أورشليم الأولوية في حياته ويفضّلها على أعظم أفراحه. ولا بد أنه كان يذكر قول الرب: «لأن شعبي قد نســيني. بخروا للباطل، وقد أعثروهم في طرقهم، في السبل القديمة، ليسلكوا في شُعب، في طريقٍ غير مُسهّل» (إر ١٨: ١٥).

وعندما ينســى المؤمن بيت الرب وتعظيمه، ســواء في الســلوك أو الكلام يتعرض لآلام جسدية وفكرية وروحية نتيجة الإحســاس بالذنب. فكيف ننســى نحن اليوم علية العشاء الرباني، وبســتان جثســيماني، وتلّة الجلجثة، وصليب الفداء والخلاص، والقبر الفارغ، ويوم الخمسين؟ وكل مؤمن تقي لا ينسى ربّه وعبادته يسمعه يقول: «لأنه تعلق بي أنجيه. أرفّعه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجّده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصي» (مز ٩١: ١٤-١٦).

ثالثاً - عقاب العدو

(آيات ٧-٩)

١ – **عقاب الشامتين**: «اذكُر يا رب لبني أدوم يوم أورشليم، القائلين: هدوا هدوا حتى إلى أســاسها» (آية ٧). أدوم هم نســل عيسو أخي يعقوب وأولاد عم بني إسرائيل، وهم في الوقت نفسه جيرانهم. وبالرغم من القرابة الجســديــة والجغرافيــة كانوا دائماً يظهرون لبني إســرائيل الكراهية البالغة،

والـشماتة في كل كارثة تحل بهم. وعندما «انهالت حجارة القدس في رأس كل شارع» (مرا ٤: ١) حتى بانت أســاسات أسوار أورشليم وهيكلها صاح الأدوميون: «هدّوا، هدّوا حتى إلى أساسها» فلا تقوم لها قائمة ثانيــة. لهذا قال الله لهم: «من أجل ظلمك لأخيك يعقوب يغشاك الخزي وتنقرض إلى الأبد.. فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم. كما فعلت يُفعل بك. عملك يرتد على رأسك» (عوبديا ١٠، ١٥).

٢ - **عقاب المخربين:** «يـا بنت بابل المُخْرَبة، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا. طوبى لمن يمســك أطفالك ويضرب بهم الصخرة» (آيتا ٨، ٩). يتوقع المرنم خراب بابل جزاءً لها على تخريب أورشليم «لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦: ٢٥). ويطوّب من يفعل بها ذلك فيـهلكها ويـضرب أولادها بالصخرة، ويضرب الصخرة بأولادها، حتى يدمي قلبها ويبلغ ألـمها ذروته. ولا شك أن المرنم كان يعاني من جرح غائر، ويطلب المعاملة بالمثل، ويريد أن يرى بعينيه مجازاة الأشرار. ولا شيء يوجع الإنســان قدر آلامه من أجل أبنائه. ولكننا في عهد النعمة، وبـروح الصليب، لا نطلب هلاك العدو، بل نطلب له الغفران والتوبة، لأننا لا نكره الخاطئ وإن كنا نكره فعله الخاطئ. ولا نطلب هلاك الخاطئ، بل نطلب انصرافه عن طرقه الرديئة بالتوبة، فنصلي: «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيــضاً للمذنبين إلينا» ونسـمع الوصية: «لا تنتقموا لأنفســكم أيها الأحباء.. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب. فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه، لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢: ١٩-٢١).

مشكلتان في الأمة اليهودية

١ - **مشكلة التمايز، ورفض الآخر:** فهم اليـهود خطأً أن اختيار الله لهم يعني أنهم الشعب المتميز عن غيــره من الشعوب والأعلى فوقهم جميعاً. ولم يدركوا أن الهدف من اختيارهم هو تخصيصهم لـلكرازة لكل الأمم، كما قال الله لهم: «إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جـميع الشعوب، فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر ١٩: ٥، ٦). ولكنهم لم يـفهموا هدف هذا الاختيار، فتعالوا على ســائر الشعوب، واحتفظوا بكلمة الله لأنفســهم، فكانوا (مثلاً) لا يعاملون الســامريين (يو ٤: ٩)، ورفضوا أن يشترك معهم غيرهم من الشعوب في بناء هيكل أورشليم (عز ٤: ٢)، ولم يكونوا الكارزين للعالم. لقد نسوا وصية «تحب قريبك كنفسك» (لا ١٩: ١٨) واستبدلوها بقولة «تحب قريبك، وتبغض عدوك» (مت ٥: ٤٣).

٢ - **مشكلة ارتباط العبادة بمكان واحد:** هو هيــكل أورشليم الذي تُقدّم فيه وحده الذبيحة، ولو أنه كانت هناك مجامع كثيــرة للتعبُّد فقط. وبعد خراب الهيــكل توقف تقديم الذبيحة لأن الهيكل لم يعُد موجوداً.

وقد عبَّرت السامرية عن هذه الفكرة عندما سألت المسيح: «آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه». فأجابها: «يا امرأة، صدقيني أنه تأتي ساعة، لا في هذا الجبل، ولا في أورشليم تسجدون للآب.. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» (يو ٤: ٢٠-٢٤).

ونحن نشكر الله الذي أعلن محبته لنا في القول: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). أحب الجميع بلا تمييز بين شعب وشعب، وأمة ولسان «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح» (رو ٣: ٢٣، ٢٤).

المزمور المئة والثامن والثلاثون

لداود

**١ أحمدُكَ مِن كلِّ قلبي. قدامَ الآلهةِ أرنّمُ لكَ. ٢ أسجدُ في هيكلِ قدسِكَ، وأحمدُ اسمَكَ
على رحمتِكَ وحقِّكَ، لأنكَ قد عظَّمْتَ كلمتَكَ على كلِّ اسمِكَ. ٣ في يومَ دعوتُكَ أجبتَني.
شجّعتَني قوةً في نفسي.**

**٤ يحمدُكَ يا ربُّ كلُّ ملوكِ الأرضِ إذا سمعوا كلماتِ فمِكَ، ٥ ويرنّمون في طُرقِ الربِّ لأن
مجدَ الربِّ عظيمٌ، ٦ لأن الربَّ عالٍ ويرى المتواضعَ. أما المتكبِّرُ فيعرفُه مِن بعيدٍ. ٧ إنْ سلكتُ
في وسطِ الضيقِ تُحْيِني. على غضبِ أعدائي تمدُّ يدكَ، وتخلِّصُني يمينُكَ. ٨ الربُّ يحامي عني.
يا ربُّ، رحمتُكَ إلى الأبدِ. عن أعمالِ يديكَ لا تتخلَّ.**

شجّعتني

هـذا مزمور شكر وإعلان ثقة في الإله الصالح العادل الذي يُحسن إلى شعبه ويردُّ سبيهم، يتحدث فيه المرنم عن فضل الله عليه أمام كل الشعوب، مؤمناً أنه يستجيب صلاة الفرد والشعب، وأنه أمين لمواعيده، الأمر الذي يجعل ملوك الأرض وشعوبهم يؤمنون بالرب ويحمدونه، لأن مجد الرب عظيم، وهو يحامي عن المظلوم ويخلِّص المتضايق.

في هذا المزمور نجد،

أولاً – المرنم يحمد الرب (آيات ١-٣)

ثانياً – الملوك يحمدون الرب (آيات ٤-٦)

ثالثاً– المرنم يرجو الرب (آيتا ٧، ٨)

أولاً - المرنم يحمد الرب
(آيات ١-٣)

في هذه الآيات الثلاث يوجّه المرنم الحديث إلى الله دون أن يذكر اسم الجلالة، لأنه يرى الله بعين الإيمان، فيرفع له تسابيح الحمد والسجود. وفي هذه الآيات يصف نفسه، ويصف إلهه:

١ – صفات المرنم:

(أ) غيور: «أحمدك من كل قلبي» (آية ١أ). في غيرته الروحية من كل قلبه يقدم للرب ذبيحة حمد، هي ثمر شفاه معترفة باسمه وفضله، ويفيض قلبه بالعرفان للحي القدوس صاحب الإحسانات التي لا تُعد والعطايا التي لا تُحصى. «ما أكرم أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جملتها! إنْ أحصها فهي أكثر من الرمل» (مز ١٣٩: ١٧، ١٨).

(ب) شـجاع: «قدام الآلهة أرنم لك» (آيـة ١ب). والآلهة هنا هم عظماء الأرض وقضاتها، ذوو السـلطة، الذيـن يحكمون بين الناس. وأمام هؤلاء يشدو المرنم ترنيماته بغير خوف، عالماً أنه «إن كان الله معنا، فمن علينا؟» (رو ٨: ٣١). وفي شجاعته يتمثل بالمسـيح الذي «قال له بيلاطس: أما تـكلمني؟ ألست تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك؟» فأجاب: «لم يكن لك عليَّ سلطان الـبتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو ١٩: ١٠، ١١). إنه يقول: «لم أكتُم عدلك في وسط قلبي. تكلمتُ بأمانتك وبخلاصك. لم أُخْفِ رحمتك وحقك عن الجماعة العظيـمة» (مز ٤٠: ١٠). فقد قال المسـيح: «كل من اعترف بي قدام الناس، يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرني قدام الناس، يُنكَر قدام ملائكة الله» (لو ١٢: ٨، ٩).

(ج) متعبِّد: «أسـجد في هيـكل قدسـك» (آيـة ٢أ). تنحني ركبتا الملك داود في حضرة الملك السماوي، وينحني قلبه في هيكل إلهه في خشية ورهبة لصاحب المُلك الدائم، فقد أخذه من وراء الغنم ونصَّبه ملكاً وثبَّت مملكته وأخضع له شعبه، فلم يجد أفضل من هيكل الرب المقدس يسـجد فيه لربِّه في أُنسٍ ومحبة، وهو يـقول: «ما أحلى مسـاكنك يا رب الجنود! تشتاق بل تتوق نفسـي إلى ديار الرب. قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز ٨٤: ١، ٢) ثم يدعو الجميع: «هلمَّ نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا، لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه وغنم يده» (مز ٩٥: ٦، ٧).

٢ - **صفات الله:**

(أ) الله رحيـم: «أحمد اسمك على رحمتك» (آية ٢). يحمل الاسم كل صفات الشخص. ويعلن اسم الـرب عن صفاته وجلاله وسـلطانه وقدرته ومحبته الظاهرة في رحمته على الخاطئ الهالك، الذي تنازل المسـيح إليه ورفعه من الهاوية وأحسـن إليه وغفر له، ولم يعُد يحسب عليه خطاياه، بل أبعد عنه معاصيه كبُعد المشرق من المغرب، فقال: «حسنٌ هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي. أن يُخبَر برحمتك في الغداة وبأمانتك كل ليلة» (مز ٩٢: ١، ٢).

(ب) الله عادل: «أحمد اسـمك على.. حقِّك» (آية ٢). الرب أمين وحقٌّ وعادل. عندما ظلم الناس الـمرنم سمع ربُّه شكواه وأنصفه، وعندما أهمله الآخرون ذكره وشجعه، وعندما لم يعطوه حقه كافأه جـهاراً، لأنه عمل بالنصيحة القائلة: «سلِّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يُجري. ويُخرج مثل النور برَّك وحقَّك مثل الظهيرة» (مز ٣٧: ٥، ٦). «هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سـُبله عدل. إله أمانة، لا جور فيه. صدِّيق وعادل هو» (تث ٣٢: ٤).

(ج) الله عظيـم: «لأنك قد عظَّمت كلمتك على كل اسـمك» (آية ٢ب). يمكن أن تُترجم هذه الآية «لأنك قد عظَّمت كلمتَك. اسـمُك فوق كل شيء». ويـمكن ترجمتها كما جاءت في ترجمة «فاندايك

والبســتاني» فيكون معناها: «تحقيق وعودك يا رب فاق كل ما ســبق أن أعلنتَهُ عن نفسك.. أعمالك الخلاصية ســمت فوق كل توقُّعاتنا التي انتظرناها ونحن نتأمل الصفات التي يعلنها لنا اســمك». إن «قدرته الإلهيـــة قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما (بالمجد والفضيـلة) قد وهبَ لنا المواعيد العظمى والثمينة» (٢بط ١: ٣، ٤). «والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحســب القوة التي تعمل فينا. له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع، إلى جميع أجيال دهر الدهور» (أف ٣: ٢٠، ٢١).

و«كـلمته الحي» هو المسيح الذي أعلن لنا بر الله وكمالاته، وقد عظُم اسمه فوق كل اسم، فتنحني له كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض.

(د) الله مجيب: «في يـوم دعوتك أجبتني. شجعتني قوةً في نفســي» (آية ٣). اختبر المرنم وذاق صلاح الرب، فكانت لديه خبرة الماضي وثقة الحاضر ورجاء المستقبل. لقد دعا الرب فسمعه وأجابه ولم يـخذله، فهو المبادر بالقول: «ادعُني في يـوم الضيق، أُنقذْك فتمجِّدني» (مز ٥٠: ١٥) «ويكون أني قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أســمع» (إش ٦٥: ٢٤). وقد نظن أحياناً أنه لا يـسمعنا، فنناديه: «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ إلى متى تحجب وجهك عني؟» (مز ١٣: ١) «إلـيك يا رب أصرخ. يا صخرتي، لا تتصامم من جهتي» (مز ٢٨: ١). ولكن الرب يصغي ويسمع ويُكتب أمامه سفر تذكرة للذين اتَّقوه وفكَّروا في اسمه (ملا ٣: ١٦). «إنه ينصفهم سريعاً» (لو ١٨: ٨).

ســمع الله المرنم فقال: «شجَّعتني قوةً في نفسي». وهي قوة مستمدة من استجابة الدعاء، ومن قوة الروح القدس التي تطرد الضعف والتخاذل، فهو روح القوة والمحبة والنصح (٢تي ١: ٧). إنها القوة الـمشجعة التي خرجت من المسيح فشفت نازفة الدم (لو ٨: ٤٣-٤٨)، وهي القوة التي شجعت بولس عندما صلى ثلاث مرات ليرفع الرب عنه شوكة جسده، فأجابه: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمل» (٢كو ١٢: ٩).

ثانياً - الملوك يحمدون الرب
(آيات ٤-٦)

١ - **المـلوك يرنمون**: «يحمدك يا رب كل ملوك الأرض إذا سمعوا كلمات فمك. يرنمون في طرق الرب لأن مجد الرب عظيـــم» (آيتا ٤، ٥). انطلق لســان المرنم يعبِّر عما فاض به قلبه، وأعلن كم صنع الرب به ورحمه، وكأنه يـــهتف مع إرميا: «لا مثل لك يا رب! عظيم أنت وعظيم اســمك في الجبروت. من لا يـــخافك يا ملك الشعوب؟.. لأنه في جميع حكماء الشعوب وفي ممالكهم ليس مثلك» (إر ١٠: ٦، ٧). وســمع ملوك الأرض هتافه، ورأوا مجد الرب العظيـــم في ما أجراه معه، فآمنوا

ورنموا لمجد الرب العظيم، كما آمن الملك داريوس الفارسي الوثني بإله دانيال بعد أن رآه ينجيه من الأسود الجائعة، فقال: «من قِبلي صدر أمرٌ بأنه في كل سلطان مملكتي يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال، لأنه هو الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهي. هو ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب في السموات وفي الأرض. هو الذي نجى دانيال من جب الأسود» (دا ٦: ٢٥-٢٧). «الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله» (رو ١٠: ١٧). ولكن «كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟» (رو ١٠: ١٤). وكان داود هو الكارز، الذي فعل ما فعله إشعياء عندما سمع الرب يسأل: «من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟» فأجاب: «هأنذا أرسلني» (إش ٦: ٨). وسمع عظماء الأرض فرنموا للإله الأعظم المجيد في القدرة والقوة، الذي اختارهم وأقامهم رؤساء لشعوبهم، ليسلكوا في طرقه المستقيمة، وليحكموا بالعدل، فيكافئهم ببركاته وتأييده ونصره، ويثبت ملكهم ويعطيهم أزمنة سلام ورخاء، فيرى عليهم مجده.

٢ - **الملوك يخضعون:** «الرب عالٍ ويرى المتواضع، أما المتكبر فيعرفه من بعيد» (آية ٦). الرب عالٍ في قداسته، وقدرته، ومحبته، وعطاياه. وهو عالٍ في مكانته في قلوب عابديه. وهو في علوّه يرى الكون ومن فيه، ويعرف خفايا القلوب فيكافئ المتواضع الذي يقبل كلمة الرب ويحفظها في قلبه، ويسلك في نورها، فتصير سراجاً لرِجْله ونوراً لسبيله (مز ١١٩: ١٠٥)، وتكون ناراً تسيِّج حوله لتحميه. إنه يكون في شبه تواضع المسيح الذي أخلى نفسه وأخذ صورة عبد، ووُلد في مذود، ووضع نفسه حتى الموت، موت الصليب، فرفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم. وفي شبه تواضع العذراء مريم التي قبلت بشارة الملاك لها، وحفظت كلام الرب متفكرة به في قلبها، وأطاعته قائلة: «هوذا أنا أمة الرب.. تعظِّم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي، لأنه نظر إلى اتضاع أمته.. لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس» (لو ١: ٣٨، ٤٦-٤٨). ومع أن الرب عالٍ يحمده كل ملوك الأرض، إلا أننا نجد من يرفض الخضوع له بسبب كبريائه. والرب يعرف المتكبر من بعيد، فلا تخفى كبرياؤه، ويقول عنه: «مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله» (مز ١٠١: ٥). «كما أنه يستهزئ بالمستهزئين، هكذا يعطي نعمة للمتواضعين» (أم ٣: ٣٤). «يقاوم الله المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (يع ٤: ٦). وما أجمل أن نسمع النصيحة الرسولية:«تسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة» (١بط ٥: ٥). «لأنه هكذا قال العلي المرتفع، ساكن الأبد، القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدس أسكن، ومع المنسحق والمتواضع الروح، لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين» (إش ٥٧: ١٥).

ثالثاً - المرنم يرجو الرب
(آيتا ٧، ٨)

اخـتبر المرنم عناية الرب ومعونته في الماضي، واختبر استمرار البركة في حاضره، فامتلأ قلبه بالرجاء واليـقيـن في المسـتقبل، فأعلن ثقته في العون الآتي من نبع المحبة الذي لا ينضب وفيض الرحمة الذي لا ينتهي.

١ - **رجاء في الحياة:** «إنْ سلكتُ في وسط الضيق تُحيني» (آية ٧أ). قال المسيح: «قد كلَّمتكم بهذا ليكون لكم فيَّ سلام. في العالم سيكون لكم ضيق، لكن ثقوا. أنا قد غلبتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣). وقال داود: «الربُّ راعيَّ فلا يـعوزني شيء.. أيضاً إذا سـرتُ في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مز ٢٣: ١، ٤). ومن هذا يتضح أن المؤمن يثق أنه إن تـضايق فضيقه مؤقت لا يستمر. إنه فقط يسلك فيه، ولا بد أن الله سيخرجه منه إلى الرحب والسعة، ويـحيي نفسه وآماله، فيردُّ نفسه ويهديه إلى سبل البر من أجل اسمه (مز ٢٣: ٣) فيقول: «أنت الذي أريـتنا ضيـقات كثيرة ورديئة، فتعود تحيينا، ومن أعماق الأرض تعود فتصعدنا» (مز ٧١: ٢٠).. وينعش الرب المؤمن كما أنعش يوناثان الجائع بشهد العسل فاستنارت عيناه (١صم ١٤: ٢٨).

٢ - **رجاء في الـنجاة:** «على غضب أعدائي تمدُّ يدك، وتخلِّصني يمينك» (آية ٧ب). غضب العدو قاسٍ كنار مشتعلة تدمر، وكهوَّة سـحيقة تبتلع. لكن يد الرب الفاعلة تمتد بالخلاص، كما قال موسى لـشعبه: «اذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيـد شديـدة وذراع مـمدودة» (تث ٥: ١٥). حقاً «لولا الرب الذي كان لنا عندما قام الناس علينا، إذاً لابتلعونا أحياء عند احـتماء غضبهم علينا» (مز ١٢٤: ٢، ٣). وهذه اليد الممتدَّة ضد العدو هي نفسها اليد المنقذة الحانية التي حررت بني إسـرائيل من ذل مسـخريهم في مصر، وقادتهم أربعين سنة في القفر حتى أبلغتهم الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً.

٣- **رجاء في الحمايـة:** «الرب يحامي عني» (آية ٨أ). توكل المرنم بكل قلبه على الرب ولم يعتمد على قوته (أم ٣: ٥) وامتلأت نفسه بالثقة أن حياته آمنة في يد الرب القديرة الحامية التي تدافع عنه، فلم يـعد يخاف حتى لو نزل عليه جيش، ولو قامت عليه حرب (مز ٢٧: ٣). إنه مطمئن لأن الرب ألـبسه السلاح الكامل، وأعطاه سيف الروح الذي هو كلمة الله، فثبت ضد مكايد إبليس (أف ٦: ١١)، فـلم يعُد «يخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من وبإ يسلك في الدجى، ولا من هلاك يفسد في الظهيرة» (مز ٩١: ٥، ٦).

٤ - **رجاء في الصُّحبة:** «يـــا رب، رحمتك إلى الأبد. عن أعمال يديك لا تتخلَّ» (آية ٨ ب). يختم المرنم مزموره بالأمل في صحبة الرب له بلا نهاية، فهو معه كل الأيام إلى انقضاء الدهر (مت ٢٨: ٢٠). وعندما يـــنتهي هذا الدهر يـــبدأ الدهر الآتي في الحضرة الربانية. والذي بدأ في المؤمن عملاً صالحاً يكمله إلى يوم يســـوع المسيح (في ١: ٦)، ولا يتخلى الرب عن الذين هم له لأنهم عمل يديه الواثقين في رحمته الأبدية التي لا تهملهم ولا تتركهم. إن اختبارهم يقول: «كنتُ فتى وقد شخت. ولم أرَ صديقاً تُخلِّي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مز ٣٧: ٢٥).

«يا رب، رحمتك إلى الأبد».

المزمور المئة والتاسع والثلاثون

لإمام المغنين. لداود. مزمورٌ

١ يـا ربُّ، قد اختبرتني وعرفتني. ٢ أنت عرفتَ جلوسي وقيامي. فهمتَ فكري مِن بعيدٍ.
٣مسلكي ومَرْبَضي ذَرَّيْتَ، وكلَّ طُرقي عرفْتَ. ٤ لأنه ليس كلمةٌ في لساني إلا وأنت يا ربُّ عرفتَها
كلَّها. ٥ مِن خلفٍ ومِن قدامٍ حاصرتَني، وجعلتَ عليَّ يدَكَ. ٦ عجيبةٌ هذه المعرفةُ فوقي.
ارتفعَتْ لا أستطيعُها. ٧ أين أذهبُ مِن روحِك، ومِن وجهك أين أهربُ؟ ٨ إن صعدتُ إلى
السماواتِ فأنت هناك، وإن فرشتُ في الهاويةِ فها أنت. ٩ إن أخذتُ جناحي الصُّبح وسكنتُ في
أقاصي البحرِ، ١٠ فهناك أيضاً تهديني يدُكَ وتمسكُني يمينُك. ١١ فقلتُ: «إنَّما الظلمةُ تغشاني».
فالليلُ يضيءُ حولي! ١٢ الظلمةُ أيضاً لا تظلمُ لديك، والليلُ مثلَ النهار يضيءُ. كالظلمةِ هكذا
النورُ!

١٣ لأنك أنت اقتنيتَ كُليتيَّ. نسجْتَني في بطنِ أمي. ١٤ أحمدُكَ من أجلِ أني قد امتزتُ
عجَباً. عجيبةٌ هي أعمالُك، ونفسي تعرفُ ذلك يقيناً. ١٥ لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعْتُ
في الخفاء ورُقِمْتُ في أعماقِ الأرضِ. ١٦ رأتْ عيناك أعضائي، وفي سِفرِكَ كلُّها كُتِبَتْ يومَ
تصوَّرَتْ، إذ لم يكُنْ واحدٌ منها. ١٧ ما أكرمَ أفكارَكَ يا اللهُ عندي! ما أكثر جُمْلتَها! ١٨ إنْ أحصِها
فهي أكثرُ مِن الرَّمل. استيقظتُ وأنا بعدُ معك. ١٩ ليتَكَ تقتلُ الأشرارَ يا اللهُ. فيا رجالَ الدماءِ
ابعُدوا عني. ٢٠ الذين يكلِّمونك بالمكرِ ناطقين بالكذبِ هم أعداؤُكَ. ٢١ ألا أبغضُ مبغضيك يا
ربُّ، وأمقتُ مقاوميك. ٢٢ بُغضاً تاماً أبغضتُهم. صاروا لي أعداءً. ٢٣ اختبِرني يا اللهُ واعرِفْ
قلبي. امتحِنّي واعرفْ أفكاري، ٢٤ وانظُر إن كان فيَّ طريقٌ باطلٌ، واهدِني طريقاً أبدياً.

الكمال الإلهي

في هذا المزمور يسبح المرنم الرب الكلي الكمال، العليم بكل شيء، الحاضر في كل مكان، القدوس المنزَّه عن كل خطأ. وهو لا يعالج هذه المواضيع بطريقة فقهية عقلية، بل بأسلوب شخصي يعلن علاقة المرنم القريبة الحميمة بربِّه، فهو تعبير العابد لخالقه والابن لأبيه، فيقول في بداية المزمور إن الله اختبره وعرفه (آية ١)، وهو سعيد لأن إلهه يعرف كل شيء عنه، وهو حاضر معه دوماً. ويطالب المرنم ربَّه في نهاية المزمور أن يختبره ويعرفه لينقيه ويطهره أكثر (آيتا ٢٣، ٢٤)، فتنفتح عيناه ليرى أي خطإ فيه فيبتعد عنه، ولسان حاله يقول: «ها قد سُررتَ بالحق في الباطن، ففي السريرة تعرّفني حكمة. طهّرني بالزوفا فأطهر. اغسلني فأبيضُ أكثر من الثلج» (مز ٥١: ٦، ٧).

والمؤمن الذي يحب الله يحب أن يرى الله بعين الإيمان في كل وقت، كما يحب أن الله يراه دائماً،

فهو يــدرك أن عيــن الله عليــه مثل عين أم على طفلها. وقد يتجرَّب التقي أن يهرب من أبيه، لكنه سرعان ما يتذكر أن لا حياة له بدون أبيه، وأنه بدون أبيه لا يقدر أن يفعل شيئاً.

ويـــخاطب هذا المزمور كل إنســان بعيد عن الله ليقول له إنه لا يمكن أن يهرب من مراقبة الله الحاضر في كل مكان، والعارف بكل أمر، وينصحه بالتوبة التي هي القرار الحكيم. كما أن المزمور يخاطب التقي ويشجعه على حياة تقوى أعمق.

في هذا المزمور نجد،

أولاً- الله كامل المعرفة (آيات ١-٦)

ثانياً- الله كامل الحضور (آيات ٧-١٢)

ثالثاً- الله كامل الحكمة (آيات ١٣-١٨)

رابعاً- الله كامل القداسة (آيات ١٩-٢٤)

أولاً - الله كامل المعرفة
(آيات ١-٦)

١ - **يعرف الماضي والحاضر:** «يــا ربُّ، قد اختبرتَني وعرفتَني» (آيــة ١). اختبر الرب المرنم وعرفه لأنه صنعة يــديــه، وعرف كل شيء في حياته الروحية والنفســية والعاطفية والمادية، فهو القائل: «أنا الرب فاحص القلب، مختبر الكلى، لأعطي كل واحد حســـب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إر ١٧: ١٠). وهو لا يـــختبر ليلوم على ضعف، بل ليقوي الضعيف ويســند الســاقط، فيقول له: «جرَّبتَ قلبي. تعهَّدتَه ليلاً. محَّصتَني» (مز ١٧: ٣). إنه يعرف الإنســـان كله معرفة كاملة. يعرف شخصه وفكره وقوله وعمله معرفةً مسبَقةً كاملة. وهذه المعرفة تُخجل المتكبِّر بعلمه، وتحذِّر الخاطئ من الـــتمادي في خطئه، وتجعل التقيَّ يــحترس من ارتكاب العصيــان. كما أن هذه المعرفة تُدخِل الطمأنيــنة إلى قلوب أعضاء ملكوت الله لأن ملكهم كامل المعرفة، يـــكمل كل نقص فيهم ويقوِّم كل عوج. وهي تطمئن المصلي «لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» (مت ٦: ٨).

٢ - **يعرف السكون والحركة:** «أنت عرفت جلوســي وقيــامي. فهمتَ فكري من بعيد. مســلكي ومربضي ذرَّيتَ، وكلَّ طُرقي عرفتَ» (آيتا ٢، ٣). يعرف الرب كل ســكون المرنم «جلوسي» كما يعرف كل تحرُّكاته «قيامي». وهو في ســماواته يعرف كل ما يجول بفكر المرنم وكل ما ينويه. إنه يــعرف سـفَره «مســلكي» ومحل إقامته «مربضي» وقد ذرّاه وعرف كل ما فيه كما تذرّي المذراة المحصول فتفصل القمح من التبن. إنه يعرف «كل طرقي» أي كل الدوافع والسُبل التي يسلكها.

٣ - **يعرف الخفيّات:** «لأنه ليس كلمةٌ في لساني إلا وأنت يا ربُّ عرفتَها كلَّها. مِن خلفٍ ومِن قدامٍ حاصرتَني، وجعلتَ عليَّ يدك» (آيتا ٤، ٥). والكلمة بعد على طرف لسان المرنم يعرفها الرب. إنه يعرف الكلمة التي نُطقت والتي ستُنطَق، ويعرف البواعث على النطق بها والمعاني الكامنة وراءها والقصد منها. إنه قريبٌ من الإنسان، يحاصره من كل جهة مثل أبٍ يثبّت نظره على صغيره، فيصير الإنسان كمدينة يحاصرها قائد حتى تستسلم له، فيستولي عليها و«يجعل يده عليها» ليصالحها معه وليقرّبها إليه. وسيصل التقي إلى قمة السعادة عندما يسلم وجهه لله.

٤ - **معرفته مذهلة:** «عجيبةٌ هذه المعرفةُ فوقي. ارتفعَتْ لا أستطيعُها» (آية ٦). ويقف المرنم مذهولاً مندهشاً متعجباً من هذه المعرفة المطلقة. إنها معرفة كاملة سابقة ولاحقة، تتوّب الخاطئ وتطمئن المؤمن، وفي كل يوم يكتشف التقي لها بُعداً جديداً. «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً؟ أو من سبق فأعطاه فيُكافأ؟ لأنَّ منه وبه وله كل الأشياء. له المجد إلى الأبد. آمين» (رو ١١: ٣٣-٣٦).

ثانياً - الله كامل الحضور
(آيات ٧-١٢)

١ - **حاضر في كل مكان:** «أين أذهبُ مِن روحِك، ومِن وجهك أين أهرب؟ إن صعدتُ إلى السماوات فأنت هناك، وإن فرشتُ في الهاوية فها أنت. إن أخذتُ جناحي الصُّبح وسكنتُ في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدُك وتمسكُني يمينك» (آيات ٧-١٠). روحه القدوس ووجهه ذو الجلال حاضران في كل مكان. إنه ساكن السماء الذي لا يختفي عن عينيه شيء مما على الأرض وما تحت الأرض، ولا يمكن أن يهرب منه إنسان. قال: «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب. أما أملأ أنا السماوات والأرض؟ يقول الرب» (إر ٢٣: ٢٤). وقال عن شعبه الخاطئ: «إنْ نقبوا إلى الهاوية فمن هناك تأخذهم يدي، وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أُنزلهم، وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتّش وآخذهم، وإن اختفوا من أمام عينيّ في قعر البحر فمن هناك آمر الحيّة فتلدغهم» (عا ٩: ٢، ٣).. عندما اختبأ آدم من الرب وجده وسأله عن حاله (تك ٣: ٩)، وعندما يئس إيليا من إرساليته وهرب أرسل الله له ملاكاً ليفتقده (امل ١٩: ٥)، وعندما هرب يونان من تكليف الرب له أعدَّ الرب حوتاً يُعيده (يون ١: ١٧). ويقول المرنم إنه إن أخذ «جناحي الصُّبح» وجرى بسرعة الضوء من الشرق إلى الغرب، فإن يد الله ستكون هناك رفيقةً وهاديةً له، فإن الله «يهفُّ على أجنحة الريح» (مز ١٨: ١٠) ويرسل شفاءه على أجنحة الشمس (ملا ٤: ٢). وإن سكن المرنم في

الجزر البعيدة في «أقاصي البحر» فإن يمين الله ستطوله هناك وتمسك به، لا إمساك الشرطي للمجرم، بل لحاق الأب بولده.

ويتمتع الأتقياء بوعد المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠). فما أسعدهم لأن الرب معهم فيقولون: «إني متيقن أنه لا موت ولا حياة، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٨، ٣٩).

٢ - **يرى كل شيء**: «فقلتُ: إنما الظلمة تغشاني». فالليلُ يضيءُ حولي! الظلمة أيضاً لا تظلمُ لديك، والليلُ مثل النهار يضيء. كالظلمةِ هكذا النور!» (آيتا ١١، ١٢). تخترق عينا الله أستار الظلام «وليس خليقة غير ظاهرة قدامه، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا» (عب ٤: ١٣). «لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواته» (أي ٣٤: ٢١). قال له النبي: «عظيمٌ في المشورة وقادر في العمل، الذي عيناك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طرقه وحسب ثمر أعماله» (إر ٣٢: ١٩). حقاً «الله نور، وليس فيه ظلمة البتّة» (١يو ١: ٥) وهو ساكن في نور لا يُدنى منه (١تي ٦: ١٦) والمسيح هو النور الحقيقي (يو ١: ٩) وهو نور العالم (يو ٨: ١٢)، وحضوره فعال منير تدركه النفس التقية، وتهرب منه النفس الأثمة، فيصدق قول المسيح: «وهذه هي الدينونة: أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا توبَّخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيُقبل إلى النور لكي تظهر أعماله أنها بالله معمولة» (يو ٣: ١٩-٢١).

ثالثاً - الله كامل الحكمة
(آيات ١٣-١٨)

١ - **حكمته في الخَلْق**: «لأنك أنت اقتنيت كُلْيتيَّ. نسجتني في بطن أمي. أحمدك من أجل أني قد امتزتُ عجباً. عجيبةٌ هي أعمالك، ونفسي تعرفُ ذلك يقيناً» (آيتا ١٣، ١٤). اقتنى الرب كليتي المرنم بمعنى أنه ملك مشاعره كلها وعرفها، وكان القدماء يعتبرون الكلى مركز المشاعر، كما نقول ذلك اليوم عن القلب. لقد خلقه بحكمة وإبداع جسداً ونفساً وروحاً، و«نسجه» جنيناً في رحم أمه من ألوان وأشكال وأعضاء مختلفة، لكلٍّ منها وظيفة لاستمرار حياة الجسد، بعضها ظاهر والآخر خفي. وهو يعرف بدء حياته كما يعرف نهايتها ومصيرها الأبدي. قال له أيوب: «يداك كوّنتاني وصنعتاني كلي جميعاً.. اذكُرْ أنك جبلتَني كالطين.. ألم تصبّني كاللبن وخثّرتني كالجبن؟ كسوتني جلداً ولحماً، فنسجتَني بعظامٍ وعصب. منحتني حياةً ورحمة، وحفظَتْ عنايتُك روحي» (أي ١٠: ٨-١٢). وفي

انذهال يتأمل خلق الله العجيب، الذي لا يعرف كيف خلق، ولكنه يعرف أن حكمة الله واضحة من وراء الخلق.

٢ - **حكمته في التخطيط**: «لم تختفِ عنك عظامي حينما صُنِعْتُ في الخفاء ورُقِمْتُ في أعماقِ الأرض. رأت عيناك أعضائي، وفي سِفرك كلُّها كُتِبَتْ يوم تصوَّرَتْ، إذ لم يكن واحدٌ منها» (آيتا ١٥، ١٦). حين تكوَّنت عظام المرنم كجنين في رحم أمه كان هيكله العظمي معروفاً عند الله. وعندما رُقِمَ (أي أُبدِع في الرحم المظلم غير المنظور، الشبيه بأعماق الأرض المظلمة المجهولة) كان واضحاً في نظر الله الذي يحصي شعور رؤوسنا (مت ١٠: ٣٠). كان كل ما يجري له مكتوباً في سفر الله الذي يخطط لحياة كل إنسان بحسب قصده الصالح وإرادته المقدسة، فقد سجَّل الله عنده ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله، ولا بد أن تتحقق خطته بحسب حكمته السامية وقدرته السرمدية، وهو يتولى تنفيذ هذه الخطة تحت إشرافه المباشر. «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠) وهو يقول للتقي: «قبلما صوَّرتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجتَ من الرحم قدستُك. جعلتك نبياً للشعوب» (إر ١: ٥). «أُعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨).

٣ - **حكمته مذهلة**: «ما أكرمَ أفكارك يا الله عندي! ما أكثر جُمْلَتَها! إن أُحصِها فهي أكثرُ من الرَّمل. استيقظتُ وأنا بعدُ معك» (آيتا ١٧، ١٨). يتأمل المرنم حكمة الله الفائقة الواضحة في كل نواحي الحياة التي يعرفها والتي يجهلها، فيراها كثيرة جداً! وهو يهتف في انذهال ودهشة وتعجُّب: «ما أكرمَ أفكارك يا الله!». إنها موضوع تأمله سروره وشكره، لأنها أفكارٌ كبيرة، ومتجدِّدة، وسامية، وعملية، ونافعة، وكريمة سخية. «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون» (مز ٣٦: ٧). «ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جداً أفكارك» (مز ٩٢: ٥). ولئن تعجَّب المرنم من حكمة الله الخالق المدبِّر فإنه يتعجب أكثر من محبة الرب الفادي ويقول: «كريمة هي فدية نفوسهم.. إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية» (مز ٤٩: ٨، ١٥). ولما كانت هذه الأفكار الإلهية كريمة وكثيرة صارت تصاحب المرنم حتى ينام، وأول ما يتلذذ به عندما يستيقظ، فيصحو وهو لا زال ماثلاً في المحضر الإلهي «إذا ذكرتك على فراشي في السُّهد ألهج بك» (مز ٦٣: ٦). «ولكني دائماً معك. أمسكتَ بيدي اليمنى» (مز ٧٣: ٢٣).

رابعاً - الله كامل القداسة

(آيات ١٩-٢٤)

عندما نتأمل كمال معرفة الله وحضوره الدائم في كل مكان، ونعرف أنه كلي الحكمة، نتساءل: كيف يسمح ببقاء الأشرار يرتكبون شرورهم؟ ونسأل مع حبقوق: «لِمَ تريني (يا رب) إثماً وتبصر

(أنت يا رب) جوراً، وقدامي اغتصابٌ وظلم، ويحدُث خصام، وترفع المخاصمة نفسها؟» (حب ١: ٣). وهنا يجيء الرد على هذه التساؤلات:

١ - *القدوس يعاقب الخاطئ*: «ليتك تقتلُ الأشرار يا الله. فيا رجالَ الدماءِ ابعُدوا عني. الذين يكلِّمونك بالمكر ناطقين بالكذب هم أعداؤك» (آيتا ١٩، ٢٠). رأى المرنم الشر متجسِّداً في أولئك الأشرار، فطلب قتلهم ليتوقف الشر، ومن قَبله تساءل أيوب: «لماذا تحيا الأشرار ويشيخون، نعم ويتجبّرون قوةً؟ نسلهم قائمٌ أمامهم معهم، وذريّتهم في أعينهم. بيوتهم آمنة من الخوف، وليس عليهم عصا الله.. يحملون الدف والعود ويطربون بصوت المزمار. يقضون أيامهم بالخير». ثم قال: «في لحظة يهبطون إلى الهاوية» (أي ٢١: ٧-٩، ١٢، ١٣).

ويطلب المرنم من الأشرار أن يبتعدوا عنه حتى لا يضطهدوه، وليتفادى الاشتراك في أعمالهم الشريرة فينجو من مصيرهم المحتوم، وكأنه يقول: «انصرفوا عني أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهي» (مز ١١٩: ١١٥). وهو يدعوهم «الأشرار» أي الذين تعدّوا الحدّ الذي رسمه الله لهم، ويدعوهم «رجال الدماء» لأنهم يسفكون دماء المساكين، ويدعوهم «المتكلّمين بالمكر والناطقين بالكذب» ويدعوهم «أعداء الله» لأنهم من أبٍ هو إبليس، وشهوات أبيهم يريدون أن يفعلوا (يو ٨: ٤٤). فلا غرابة أن يوقع الله بهم عقابه.

وفي عهد النعمة نحن لا ندعو الله أن يقتل الأشرار، بل أن يتوّبهم فيتوقّفون عن ارتكاب شرورهم، فتفرح السماء بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥: ٧). وندعوهم بدعوة المسيح: «إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣: ٣، ٥).

٢ - *القدوس يمتلك مشاعر المؤمن*: «ألا أُبغضُ مبغضيك يا ربُّ، وأمقت مقاوميك. بُغضاً تاماً أبغضتهم. صاروا لي أعداء» (آيتا ٢١، ٢٢). رأى المرنم في مبغضي الرب ومقاوميه أعداء للرب ومقاومين لملكوته. ولما كان هو مِلكاً للرب وعضواً في ملكوته فقد أعلن انتماءه للرب وخصّص نفسه للقضايا المقدسة، وأعطى كل اهتمامه لمجد الرب وللتمسُّك بالعهد معه، وجعل شعاره: «المتقلّبين أبغضتُ وشريعتك أحببتُ.. رأيت الغادرين ومقتُّ لأنهم لم يحفظوا كلمتك» (مز ١١٩: ١١٣، ١٥٨).

٣ - *القدوس يطهر المؤمن*: «اختبرني يا الله واعرفْ قلبي. امتحِنّي واعرفْ أفكاري، وانظُر إن كان فيَّ طريقٌ باطلٌ، واهدِني طريقاً أبدياً» (آيتا ٢٣، ٢٤). يختم المرنم مزموره بطلبة مُخلِصة أن يعلن الرب له أي عصيانٍ كامن في قلبه أو فكره ليهجره، ويسأل الهداية بعيداً عن الطريق الباطل ليسلك الطريق الأبدي، طريق الحياة الأبدية (مز ١٦: ١١) وسبيل البر (مز ٢٣: ٣) والسلام (إش ٥٩: ٨).

إنه يطلب الامتحان الإلهي الذي لا مفرّ منه، ويسأل الإرشاد عازماً على ألاّ يحيد عنه، لأن «السهوات من يــــشعر بها. من الخطايا المســـتترة أبرئني.. لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرْضيّة أمامك يا رب، صخرتي ووليّي» (مز ١٩: ١٣، ١٤).

وصلاة طلب التطهيـــر هذه ترغب في التحرُّر من الشر، وهي صلاة شُجاعة مســـتعدة لتغيير ما يـــشير الله إليه في العقل الباطن قبل الواعي ويعلن أنه واجب التغيير. والتغيير مكلِّف دوماً. إنه يكلف هجر علاقة دنســـــة، أو ترك معاشرة رديّة أو التخلص من كتاب باطل، أو التوبة عن مشاعر سلبية. وثمن هذا الـــفحص الإلـــهي هو التوبة عن كل ما يـــناقض التقوى والإيـــمان العملي، والتنازل عن الكبرياء، والســـــعي وراء ما يكلف الله النفس به. إنه الطريق إلى الحياة الفُضلى على أرضنا والحياة الأبـــدية في محضر الله. إنه طريق من يسمع النصيحة الحكيمة القديمة: «قفوا على الطريق وانظروا، واسألوا عن السُبل القديمة: أين هو الطريق الصالح؟ وسيروا فيه، فتجدوا راحةً لنفوسكم» (إر ١٦: ٦).

تعالوا نطلب هذا الاختبار الإلهي، ونخضع لكل توجيه سماوي.

المزمور المئة والأربعون

لإمام المغنين. مزمورٌ لداود

١ أنقذني يا ربُّ من أهلِ الشرِّ. مِن رَجُلِ الظلمِ احفظني. ٢ الذين يتفكّرون بشرورٍ في
قلوبِهم. اليومَ كلَّه يجتمعون للقتالِ. ٣ سنُّوا ألسنتَهم كحيَّةٍ. حُمَةُ الأفعُوانِ تحتَ شفاهِهم. سلاه.
٤ احفظني يا ربُّ من يدي الشريرِ. مِن رَجُلِ الظلمِ انقذني. الذين تفكّروا في تعثيرِ خَطَواتي.
٥ أخفى ليَ المستكبرون فخّاً وحِبالاً. مدّوا شبكةً بجانبِ الطريقِ. وضعوا لي أشراكاً. سلاه.
٦ قلتُ للربِّ: «أنت إلهي. أصغِ يا ربُّ إلى صوتِ تضرُّعاتي. ٧ يا ربُّ السيدُ، قوَّةَ خلاصي،
ظلّلتَ رأسي في يومِ القتالِ. ٨ لا تُعطِ يا ربُّ شهواتِ الشريرِ. لا تُنجِحْ مقاصدَه. يترفَّعون. سلاه.
٩ أما رؤوسُ المحيطين بي فَشقاءُ شفاهِهم يُغطِّيهم. ١٠ ليسْقُطْ عليهم جمرٌ. ليَسْقطوا في النارِ،
وفي غمراتٍ، فلا يقوموا. ١١ رَجُلُ لسانٍ لا يثبتُ في الأرضِ. رجُلُ الظُّلمِ يصيدُه الشرُّ إلى
هلاكِه». ١٢ قد علمتُ أن الربَّ يُجري حُكْماً للمساكين وحقّاً للبائسين. ١٣ إنما الصِّدِّيقون
يحمدون اسمَك. المستقيمون يجلسون في حضرتِك.

أنقذني من أهل الشر

يصوِّر هذا المزمور متاعب مؤمن تقي يحيط به الأعداء ويضطهدونه، ويريدون أن يستميلوه إلى طرقهم الرديئة فيتعثَّر في خطواته الثابتة في طريق الرب. وهو يصرخ طالباً حماية الله وعدالته. واستجاب الرب صلاته فختم مزموره بالإعلان عن طمأنينته.

ويعلمنا هذا المزمور أن هناك حرباً مستمرة بين الخير والشر من خارج الإنسان، كما قال المسيح لأعدائه: «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو ٨: ٤٤).. كما أن هناك حرباً تدور دائماً داخل الإنسان «لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس» (غلا ٥: ١٧، ١٨).

في هذا المزمور نجد:

أولاً- مضايقات أهل الشر (آيات ١-٥)

ثانياً- طلب الحماية (آيتا ٦، ٧)

ثالثاً- طلب العدالة (آيات ٨-١١)

رابعاً- طمأنينة المرنم (آيتا ١٢، ١٣)

أولاً - مضايقات أهل الشر
(آيات ١-٥)

١ - **مضايـقات مزعجة**: «أنقذني يا رب من أهل الشر. من رجل الظلم احفظني» (آية ١). تضايق المرنم من إزعاج جماعة يسمّيهم «أهل الشر» يقودهم رجل يسمّيه «رجل الظلم». ومع أنهم لم يقتلوه لكنهم أزعجوه، فصرخ إلى الرب الذي أنقذه من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول، فكلم الرب بكلام هذا النشيـد وقال: «الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إله صخرتي به أحتمي. ترسـي وقرن خلاصي. ملـجإي ومناصي. مخلّـصي. من الظلم تخلصني. أدعو الرب الحميـد فأتخلّص من أعدائي.. الذي يخرجني من بين أعدائي، ويرفعني فوق القائمين عليّ، وينقذني من رجل الظلم» (٢صم ٢٢: ١-٤، ٤٩).

٢ - **مضايـقات مميتة**: «الذيـن يتفكرون بشرور في قلوبهم. اليوم كله يجتمعون للقتال» (آية ٢). تآمر أعداء المرنم عليـه واجتمعوا لمقاتلته. ويـقول المسـيـح عن مثل هؤلاء الأشرار المحاربين العازمين على شرهم والمستمرين فيه: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من الـعالم لكان العالم يـحب خاصته، ولكن لأنكم لسـتم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يـبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم: ليـس عبد أعظم من سـيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسـيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني» (يو ١٥: ١٨-٢١).

٣ - **مضايـقات كلامية**: «سنوا ألسنتهم كحية. حُمة الأفعوان تحت شفاههم» (آية ٣). اقتبس الرسول بـولس هذه الآية وكتب: «حنجرتهم قبر مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سمّ الأصلال تحت شفاههم» (رو ٣: ١٣). ووصـف المرنمون المضايقات الكلامية بقولهم: «فمه مملوء لعنة وغشاً وظلماً. تحت لسانه مشقّة وإثم» (مز ١٠: ٧). «لسـانك يخترع مفاسـد، كموسى مسنونة يعمل بالغش» (مز ٥٢: ٢). «أسـنانهم أسـنّة وسهام، ولسانهم سيفٌ ماضٍ» (مز ٥٧: ٤)، «سيوف في شفاههم» (مز ٥٩: ٧). «الذين صقلوا ألسـنتهم كالسـيف. فوّقوا سـهمهم كلاما مرّا» (مز ٦٤: ٣). لقد ضايقوه بالأكاذيب والإشاعات والتهديدات والمعايرات.

٤ - **مضايـقات معثّرة**: «احفظني يا رب من يدي الشرير. من رجل الظلم أنقذني. الذين تفكروا في تعثير خطواتي. أخفى لي المسـتكبرون فخاً وحبالاً. مدوا شبكة بجانب الطريق. وضعوا لي أشراكاً» (آيـتا ٤، ٥). جعل الشرير حياة المرنم على شفا الهلاك، وتابعه خطوة خطوة ليسـقطه بكل أنواع المكائد، «طالبو نفسـي نصبوا شركاً، والملتمسـون لي الشر تكلموا بالمفاسـد، واليوم كله يلهجون بالـغش» (مز ٣٨: ١٢). وحفظ الـرب الـمرنم من أن يـعثر، فقال: «الأشرار وضعوا لـي فخاً،

أما وصاياك فلم أضل عنها» (مز ١١٩: ١١٠). وهذا ما فعله أعداء المسيح عندما «ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة» (مت ٢٢: ١٥)، ولكنهم عجزوا. وهو ما حدث مع المرنم فقال: «دحرتني دحوراً لأسقط، أما الرب فعضدني» (مز ١١٨: ١٣).

ثانياً - طلب الحماية

(آيتا ٦، ٧)

١ - **الحماية من عند الرب:** «قلت للرب: أنت إلهي. أصغ يا رب إلى صوت تضرعاتي» (آية ٦). ضايق الأعداء المرنم مضايقات مزعجة، وحاولوا أن يدمّروا سمعته ويقتلوه، فصرخ يطلب الحماية من «الرب» السيد، صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض، الذي هو في نفس الوقت إلهه الذي يحبه ويعبده، فهو سيده الذي يملكه، فيقول: «حبيبي لي وأنا له» (نش ٢: ١٦). «الإله الذي أنا له والذي أعبده» (أع ٢٧: ٢٣). وما أجمل أن نعلم أنه عندما يضيع الأمان تبقى الصلاة مصدر تشجيع ورفعة ومعونة للمؤمن فيقول: «لكلماتي اصغ يا رب. تأمل صراخي. استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلّي» (مز ٥: ١، ٢). «احفظني يا الله لأني عليك توكلت. قلت للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك» (مز ١٦: ١، ٢). «أما أنا فعليك توكلت يا رب. قلت: إلهي أنت» (مز ٣١: ١٤).

٢ - **الحماية من عند المخلّص:** «يا ربُّ السيد قوة خلاصي، ظللتَ رأسي في يوم القتال» (آية ٧). في يوم القتال والمعركة واستخدام السلاح خلّص الرب التقي الصارخ إليه، وظلل رأسه كما بخوذة، فلم تصبه السهام، ولم تجرحه السيوف. وهو يعلم أن الإله القوي الذي خلّصه وظلله سيخلّصه ويظلل على رأسه. ويأمرنا الوحي: «خذوا خوذة الخلاص، وسيف الروح الذي هو كلمة الله» (أف ٦: ١٧). وهذا يعني أننا يجب أن نحتمي بالرب القوي للخلاص، وأن نتمسك بكلمته ونخبئها في قلوبنا، ونلهج فيها نهاراً وليلاً، ونقول: «أما نحن الذين من نهار فلنصحُ لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص» (١تس ٥: ٨).. ويصيب العدو رؤوسنا بالشكوك في محبة الله لنا، ولكن خوذة رجاء الخلاص تؤكد لنا أن الذين في يد الرب لا يمكن أن يخطفهم أحد منه (يو ١٠: ٢٨، ٢٩). «ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلّص، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع» (إش ٥٩:١). ويغطي خلاص الرب احتياجاتنا المادية والروحية، فيخلص من المرض بالشفاء، ومن القلق بالسلام، ومن الشك بالإيمان، ومن الشعور بالذنب بالغفران.

ثالثاً - طلب العدالة

(آيات ٨-١١)

١ - **الشرير لا ينجح:** «لا تُعطِ يا رب شهوات الشرير. لا تُنجِّح مقاصده. يترفَّعون» (آية ٨)

شهوات الشرير شريرة كلها، فهو يشتهي أن يضر المرنم ويقصد أن يدمر علاقته بالله. لذلك يطلب المرنم من العدالة الإلهية أن لا تعطي الشرير شهوته، ولا تنجح مقاصده، لئلا يتكبر وينتفخ ويترفع. وقد مرَّ الرسول بولس باختبار مشابه، فقال لأهل كورنثوس: «فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في أسيّا أننا تثقّلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً. لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات. الذي نجانا من موت مثل هذا وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ٨-١٠).

٢ - **الشرير يخزى:** «أما رؤوس المحيطين بي فشقاء شفاههم يغطيهم» (آية ٩). تكلم الأشرار ضد المرنم التقي، فقال: «سنّوا ألسنتهم كحيَّة. حُمَةُ الأُفعُوان تحتَ شفاهِهم» (آية ٣). وفي انزعاجه من الكلام القاسي طلب من العدالة الإلهية أن تغطي رؤوس هؤلاء الكذبة بالشقاء، جزاء ما قالوه ضده، فيرتد سهمهم إلى صدورهم وينالهم الخزي والخجل. وكأنه يقول: «هوذا يمخض بالإثم. حمل تعباً وولد كذباً. كرا جبّاً. حفره فسقط في الهوّة التي صنع. يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه» (مز ٧: ١٤-١٦).

٣ - **الشرير يهلك:** «يسقط عليهم جمر. ليسقطوا في النار وفي غمرات فلا يقوموا. رجل لسان لا يثبت في الأرض. رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه» (آيتا ١٠، ١١). يطلب المرنم من العدالة الإلهية أن توقع العقاب بالأشرار، فإن أجرة الخطية هي موت (رو ٦: ٢٣). سيسقط عليهم الجمر والنار كما هلكت سدوم وعمورة (تك ١٩: ٢٤، ٢٥)، وسيسقطون في غمرات الطوفان كما هلك قوم نوح (تك ٧: ١١، ١٢)، وستبتلعهم الأرض كما ابتلعت بني قورح فلا تقوم لهم قائمة (عد ١٦: ٣١-٣٣). فلا يمكن أن رجل اللسان الكاذب يثبت في الأرض، لأنها أرض الرب (لا ٢٥: ٢٣) بل يتمُّ فيه القول: «يمطر على الأشرار فخاخاً ناراً وكبريتاً، وريح السَّموم نصيب كأسهم» (مز ١١: ٦). ولا بد أن رجل الظلم يهلك بظلمه، فيصيده الشر إلى هلاكه، فإن «الشر يتبع الخاطئين، والصدّيقون يُجازون خيراً» (أم ١٣: ٢١).

رابعاً - طمأنينة المرنم
(آيتا ١٢، ١٣)

١ - **الرب ينصف المسكين:** «قد علمتُ أن الرب يُجري حكماً للمساكين وحقاً للبائسين» (آية ١٢). علم المرنم من اختباراته السابقة أن الله هو القاضي العادل الذي ينصف كل مظلوم، كما سبق وقال: «الرب يدين الشعوب. اقضِ لي يا رب كحقي، ومثل كمالي الذي فيَّ. لينتهِ شر الأشرار وثبّت الصدّيق. فإن فاحص القلوب والكلى الله البار» (مز ٧: ٨، ٩). «لأنك أقمت حقي ودعواي. جلستَ على الكرسي قاضياً عادلاً» (مز ٩: ٤). هذه شهادة اختبار، وهي إخبارٌ لكل متقي الرب ليخبروا أن وليّهم حي،

يـــنصرهم لأنه يـــــرد حقّ المظلومين وينصف المســـاكين، فيقولون: «الآن عرفت أن الرب مخلّص مســـيحه. يســـتجيبه من سماء قدسه، بجبروت خلاص يمينه» (مز ٢٠: ٦). «حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء في يوم أدعوك فيه. هذا قد علمتُه لأن الله لي» (مز ٥٦: ٩).

٢ – **المرنم يسبح الرب:** «إنما الصديقون يحمدون اسمك. المستقيمون يجلسون في حضرتك» (آية ١٣). في طمأنينة المرنم للعدالة الإلهية يحمد اســـم الرب، ويشعر بحضوره الدائم معه ويجلس دائماً في حضرته. فإن «المســـتقيم يبصر وجهه» (مز ١١: ٧)، «أمامك شبع ســـرور. في يمينك نِعَمٌ إلى الأبـــد» (مز ١٦: ١١). «تفرّحه ابتهاجاً أمامك» (مز ٢١: ٦)، فيقول: «أقمتني أمامك إلى الأبد» (مز ٤١: ١٢). «لأن كل من وُلد من الله يـــغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم: إيماننا. من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله؟» (ايو ٥: ٤، ٥).

ولا يـــمكن أن يجلس في حضرة الرب إلا الصدّيقون المستقيمون، أصحاب الموقف السليم من الله، الذين يقولون: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيـــمان إلى هذه النعمة التي نحن فيـــها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله» (رو ٥: ١، ٢). وفي النهايـــة يـــختبرون: «ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والحمل يكون فيها، وعبيده يخدمونه. وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم. ولا يكون ليل هناك، ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإله ينير عليهم، وهم سيملكون إلى أبد الآبدين» (رؤ ٢٢: ٣-٥).

المزمور المئة والحادي والأربعون

مزمور لداود

١ يا ربُّ إليك صرختُ. أسرِع إليَّ. أصغِ إلى صوتي عندما أصرخُ إليك. ٢ لتستقِمْ صلاتي كالبخور قُدّامك. ليكُنْ رفعُ يديَّ كذبيحةٍ مسائيّة. ٣ اجعلْ يا ربُّ حارساً لفمي. احفَظْ بابَ شفتيَّ. ٤ لا تُمِلْ قلبي إلى أمرٍ رديءٍ، لأتعلّل بعِلل الشرّ مع أناسٍ فاعلي إثمٍ، ولا آكلْ من نفائسِهم.

٥ ليضرِبْني الصِّدّيقُ فرحمةٌ، وليُوبِّخني فزيتٌ للرأس. لا يأبى رأسي. لأن صلاتي بعدُ في مصائبِهم. ٦ قد انطرح قضاتُهم مِن على الصخرة. وسمعوا كلماتي لأنها لذيذةٌ. ٧ كمَن يَفْلَحُ ويشقُّ الأرضَ تبدّدت عظامُنا عند فمِ الهاويةِ. ٨ لأنه إليك يا سيدُ يا ربُّ عيناي. بك احتميتُ. لا تُفْرِغْ نفسي. ٩ احفظْني مِن الفخِّ الذي قد نصبوه لي، ومن أشراكِ فاعلي الإثم. ١٠ ليسقُطِ الأشرارُ في شباكِهم حتى أنجوَ أنا بالكُلّيةِ.

احفظ باب شفتيَّ

رأينا في المزمور السابق صلاة المؤمن الذي يواجه مكايد العدو، وفي مزمورنا نراه يصارع ليحيا الحياة النقية دون أن يضحي بمبادئه بسبب ضغوط الأعداء. لقد رفض الحلول الوسط، ولم يشارك الأشرار شرورهم، وهو يصلي أن يحفظه الله من أن يخطئ بالفكر أو بالقول أو بالعمل، ويطلب أن تكون حياته أمينة لله مهما كثرت الضغوط عليه، سواء كانت من داخل نفسه، من لسان غير منضبط ومن قلب معرّض لرفض النصيحة، أو من خارج نفسه من قوات شريرة أقوى منه ظاهرة أو خفيّة.

وقد اعتادت الكنيسة الأولى أن تتلو هذا المزمور في بدء العبادة المسائية لأن الآية الثانية منه تقول: «لتستقم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن رفع يديّ كذبيحة مسائية».

في هذا المزمور نجد،

أولاً- المرنم يصلي لأجل نفسه (آيات ١-٥)

ثانياً- المرنم ينصح أعداءه (آيتا ٦، ٧)

ثالثاً- المرنم يعلن طمأنينته (آيات ٨-١٠)

أولاً - المرنم يصلي لأجل نفسه
(آيات ١-٥)

١ -طلب الاستجابة: (آيتا ١، ٢).

(أ) أسلوب الطلب: «يا رب إليك صرخت. أسرع إليّ. أصغِ إلى صوتي عندما أصرخ إليك» (آية ١).

في خوف من مجاراة الأشرار، وفي رغبة أن يـــكون نقي القلب يصرخ المرنم طالباً المعونة الإلهية السريعة. وما أجمل أن يسرع الإنسان المجرَّب بطلب النعمة التي تنصره على التجربة التي تواجهه، فيطلب الطهارة عندما تجرِّبه شهوة النجاســـة، ويطلب طول الأناة عندما يوشك أن يفقد أعصابه.. إن الحكيم لا ينتظر حتى يســـقط في الخطية ليطلب التطهير، بل يطلب المناعة ضد الخطية حالما يجرَّب بها، وقبل الوقوع فيها.

(ب) تشبيهان للطلب: (آية ٢).

(١) الصلاة كالبخور: «لتســـتقم صلاتي كالبخور قدامك» (آية ٢أ). اســـتقامة الصلاة هي انتظامها واســـتمرارها، كما قيـــل عن العبادة أيام الملك حزقيا: «كانت المحرقات كثيرة بشحم ذبائح الســـلامة وســـكائب المحرقات، فاستقامت خدمة بيت الرب» (٢أخ ٢٩: ٣٥). ويطلب المرنم أن تكون استقامة صلاته كالبخور الذي يرتفع إلى أعلى، وله رائحة ذكية «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اســـمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة.. قال رب الجنود» (ملا ١: ١١). وقد قيل: «ولما أخذ (المســـيح) السفر خرّت الأربعة الحيونات والأربعة والعشرون شيخاً أمام الحمل، ولهم كل واحد قيـــثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديســـين.. وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب، وأعطي بخوراً كثيـــراً لكي يـــقدمه مع صلوات القديســـين جـــميعهم على مذبح الذهب الذي أمام العرش. فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله» (رؤ ٥: ٨ و٨: ٣، ٤).

(٢) الصلاة كذبيحة مسائية: «ليكن رفع يديَّ كذبيحة مســـائية» (آية ٢ب). أمرت الشريعة بتقديم ذبيحة صباحاً وأخرى مساءً. والصلاة ذبيحة، فقد أمر الرب: «خذوا معكم كلاماً وارجعوا إلى الرب. قولوا له: ارفع كل إثم، واقبل حســـناً، فنقدم عجول شفاهنا» (هو ١٤: ٢). والتسبيح ذبيحة كما يقول الوحي: «فلنقدِّم به في كل حين لله ذبيحة التســـبيح، أي ثمر شفاه معترفة باســـمه» (عب ١٣: ١٥). وعمل الخير ذبيحة، كما قيل: «لا تنســـوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يسرّ الله» (عب ١٣: ١٦). وفي نهايـــة يوم عمل فيه المرنم خيراً، رفع يديه لله في صلاة وتســـبيح، كما تعوَّد، وكأنه يقول: «استمع صوت تضرُّعي إذ أستغيث بك وأرفع يديّ إلى محراب قدسك» (مز ٢٨: ٢). وهذا ما يـــجب أن نفعله اليوم، لأن الوحي طلب أن نصلي رافعين أيادي طاهرة من أجل المسؤولين وأصحاب المناصب في بلادنا (اتي ٢: ٨).

ورفع اليـــديـــن للصلاة يـــعني اتجاه القلب بكامله إلى الرب، لأن اليـــدين مشغولتان بالعبادة دون غيـــرها.. ويعني أيضاً الانتباه لصوت الرب والاســـتجابة لتوجيهاته، فنقول: «تكلم يا رب لأن عبدك

ســـامع» (اصم ٣: ٩).. ويعني تطلع الأعين الضارعة المترجية إلى مصدر البركة، فنقول: «أرفع عيـــنيّ إلى الجبال من حيـــث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع الســـماوات والأرض» (مز ١٢١: ١، ٢).. ويعني رفع كل ما في المصلي وتكريســـه لله تقدمة للرب، عملاً بالوصية الرسولية: «قدّموا أجســــادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكمْ العقلية» (رو ١٢: ١).. ويعني طلب الـعون الإلهي ومدّهما نحو الله لتلقّي الاستجابة، كما فعل موسى عندما هاجم العمالقةُ بني إسرائيل في صحراء ســيناء، فرفع يده للصلاة طالباً الحماية. وكان إذا رفع يده ينتصر بنو إسرائيل، وإذا خفضها ينتصر العمالقة. «فلما صارت يدا موســـى ثقيلتين.. دعم هارون وحور يديه، الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس». وهكذا انتصروا (خر ١٧: ٨-١٣).

٢ - *طلبات المصلي*: (آيات ٣-٥).

(ا) حفظ اللسان: «اجعل يا رب حارساً لفمي. احفظ باب شفتيّ» (آية ٣). يطلب المرنم أن يحفظه الرب من التفوُّه باللغة النابية التي ينطق بها أعداؤه المحيطون به، تتميماً للوصية: «صُن لســانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش» (مز ٣٤: ١٣). فيقول: «قلتُ أتحفّظ لســبيلي من الخطأ بلســـاني. أحفظ لفمي كمامة فيـــما الشرير مقابلي» (مز ٣٩: ١). لأن «من يحفظ فمه يحفظ نفســه. ومن يفتح شفتيه فله هلاك» (أم ١٣: ٣)، و«من يحفظ فمه ولســـانه يحفظ من الضيقات نفســـه» (أم ٢١: ٢٣). ويقول للرب: «لتكن أقوال فمي وفكر قلبي مرضية أمامك يا رب، صخرتي ووليي» (مز ١٩: ١٤). فيـــجيـــبه الرب: «لأني حينئذ أحوّل الشعوب إلى شفة نقية ليدعوا كلهم باســـم الرب، ليعبدوه بكتف واحدة.. بقية إسرائيل لا يفعلون إثماً، ولا يتكلمون بالكذب، ولا يوجد في أفواههم لسان غش» (صف ٣: ٩، ١٣). فلنسمع تحذير الرسول يعقوب: «لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا. إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل، قادر أن يلجم كل الجســد أيضاً.. فاللســـان نار.. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذيـــن قد تكوّنوا على شبه الله. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة. لا يصلح يا إخوتي أن تـــكون هذه الأمور هكذا» (يع ٣: ٢، ٦، ٩، ١٠).. ولا شك أنه «من فضلة القلب يتكلم الفم. الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يُخرج الصالحات» (مت ١٢: ٣٤، ٣٥).. وهذا ما أسرع المرنم بطلبه.

(ب) نقاوة القلب: «لا تُمِل قلـــبي إلى أمر رديء لأتعلل بعلل الشر مع أناس فاعلي إثم، ولا آكل من نفائســــهم» (آية ٤). بعد أن طلب المرنم أن يحفظه الله من خطايا اللسان، طلب أن ينقي قلبه من خطايا الفكر والعمل، ليقدر أن يقول: «بكل قلبي طلبتك. لا تضلني عن وصاياك.. ثبّت خطواتي في كلمتك ولا يتسلط عليّ إثم» (مز ١١٩: ١٠، ١٣٣). وهو لا يريد أن يعمل كما يعمل الأشرار فيشاركهم آثامهم ونفائسهم وتمتعاتهم الجســدية «لأنهم يطعمون خبز الشر ويشربون خمر الظلم» (أم ٤: ١٧)،وتقول الوصية: «لا تحسد أهل الشر ولا تشتهِ أن تكون معهم، لأن قلبهم يلهج بالاغتصاب، وشفاههم تتكلم بالمشقة» (أم ٢٤: ١، ٢).

(ج) احتمال التوبيخ: «ليضربني الصدّيق فرحمة، وليوبخني فزيت للرأس. لا يأبى رأسي. لأن صلاتي بعد في مصائبهم» (آية ٥). أراد الأشرار أن يشاركهم المرنم أفراحهم وولائمهم، ولعل قلبه مال إلى اقتراحاتهم. وسمع أصدقاؤه من المؤمنين فوبّخوه وحذروه منهم. وقد تألم من توبيخهم لأنه كان مثل ضرب على رأسه، ولو أنه كان يدرك أنه «أمينةٌ هي جروح المحب، وغاشة هي قبلات العدو» (أم ٢٧: ٦)، فلم يرفض التوبيخ، واعتبر الألم الناشئ عنه رحمة ورائحة ذكية مثل الزيوت العطرية الرائحة، لأن «الدهن والبخور يفرحان القلب، وحلاوة الصديق من مشورة النفس» (أم ٢٧: ٩). «الأذن السامعة توبيخ الحياة تستقر بين الحكماء. من يرفض التأديب يرذل نفسه، ومن يسمع للتوبيخ يقتني فهماً» (أم ١٥: ٣١، ٣٢).. «من يوبخ إنساناً يجد أخيراً نعمة أكثر من المطري باللسان» (أم ٢٨: ٢٣).

وفي قبول توبيخ الأصدقاء استمر المرنم يصلي حتى لا يشترك في مصائب الأشرار.

ثانياً - المرنم ينصح أعداءه
(آيتا ٦، ٧)

١ - **نصيحة للتوبة:** «قد انطرح قضاتهم من على الصخرة، وسمعوا كلماتي لأنها لذيذة» (آية ٦). كان رمي إنسان من على صخرة في الأزمنة القديمة وسيلة للإعدام (٢أخ ٢٥: ١١). ولما كان القضاة والحكام أشراراً، فلا بد أن يلقوا حتفهم بأن يُطرحوا من على صخرة مرتفعة، فتتناثر أشلاؤهم. ولا يتكبّر المرنم ولا يتشفّى في هؤلاء القتلى، لكنه يعظ السامعين بكلمات الله اللذيذة، فيحذّرهم من مصير الخطاة، ويدعوهم للتوبة، ويعلن لهم رحمة الله لكل تائب معترف بخطاياه.

٢ - **إعلان التوبة:** «كمن يفلّح ويشق الأرض تبددت عظامنا عند فم الهاوية» (آية ٧). الأغلب أن هذه الآية لسان حال سامعي كلمات الله اللذيذة التي تعطي أملاً للتائبين، وتجنّبهم مصير الخطاة الذين هلكوا إن هم قبلوها وآمنوا بها. لقد تحطمت وتناثرت عظام القادة الأشرار عند مداخل القبور دون أن تجد من يدفنها، وكأن فلاحاً شقّ الأرض بمحراثه فكسر ما في طريقه من عيدان وأحجار. ويبكي التائبون على نهاية أمواتهم الأشرار، ويسمعون التحذير فيرجعون إلى الله.

ثالثاً - المرنم يعلن طمأنينته
(آيات ٨-١٠)

١ - **لأنه رفع عينيه للرب:** «لأنه إليك يا سيد يا رب عيناي. بك احتميت. لا تفرغ نفسي» (آية ٨). في وقت الكارثة العظمى لهلاك القادة الأشرار، وتوبة الذين رأوا مصيرهم الحزين، رفع المرنم عينيه

إلى الله في صلاة، ليـــحتمي به من مصير الأشرار، ويطلب منه أن لا يُفرغ نفســـه، أي أن لا يُهدر حياته كما أُهدرت حياة أعدائه. وكل من يتوب يتحقق معه وعد المســـيح: «الحق الحق أقول لكم: إن من يســـمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحيـــاة. الحق الحق أقول لكم إنه تأتي ســـاعة، وهي الآن، حين يســـمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو ٥: ٢٤، ٢٥).

٢ - **لأنه في حماية الرب**: «احفظني من الفخ الذي قد نصبوه لي، ومن أشراك فاعلي الإثم» (آيـــة ٩). لو أن الشريـــر الأول هلك، لأقام الشيطان شريراً آخر يحارب المؤمن، فيعيش في معركة دائمة. لـــقد انتصر في موقعة، ومع هذا فإن العدو الشرير يجهّز له معركة أخرى. لهذا يقول الوحي: «أخيراً يا إخوتي تقووا في الرب وفي شدة قوته. البســـوا ســـلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم، على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليـــوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا» (أف ٦: ١٠-١٣). والثبوت بعد تتميم كل شيء يعني أن المعركة مســـتمرة، لذلك ينصحنا الرســـول: «اصحوا واســـهروا لأن إبليس خصمكم كأســـد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان، عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين في العالم» (١بط ٥: ٨، ٩).

٣ - **لأن الأشرار يسقطون**: «ليسقط الأشرار في شباكهم حتى أنجو أنا بالكلية» (آية ١٠). لا بد أن يســـقط العدو في الحفرة التي حفرها «يرجع تعبه على رأسه، وعلى هامته يهبط ظلمه.. معروف هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يعلق بعمل يديه» (مز ٧: ١٦، ٩: ١٦). وعندما يُمســـك الشرير في الـــشِّباك التي نصبها، لا يعود يكيد للمؤمن، فينجو بالكلية. ولا شك أن عقاب الله للخاطئ يؤكد للمؤمن المضطهد أنه إله العدل والإنقاذ والخلاص.

المزمور المئة والثاني والأربعون

قصيدةٌ لداود لما كان في المغارة. صلاةٌ

١ بصوتي إلى الربِّ أصرخُ. بصوتي إلى الربِّ أتضرَّعُ. ٢ أسكبُ أمامَه شكوايَ. بضيقي قدامَه أخبرُ. ٣ عندما أعْيَتْ روحي فيَّ، وأنت عرفتَ مسلكي في الطريقِ التي أسلكُ أخفوا لي فخاً. ٤انظرْ إلى اليمينِ وأبْصِرْ، فليس لي عارفٌ. بادَ عنّي المناصُ. ليس من يسألُ عن نفسي. ٥صرختُ إليك يا ربُّ. قلتُ: «أنت ملجإي، نصيبي في أرضِ الأحياء. ٦ أصْغِ إلى صراخي لأني قد تذلَّلتُ جداً. نجِّني من مضطهديَّ لأنهم أشدُّ منّي. ٧ أخرِجْ من الحبسِ نفسي لتحميدِ اسمِك. الصِّدِّيقون يكتنفونني لأنك تُحسنُ إليَّ».

أخرِجْ من الحبس نفسي

رأينا المرنم في مزمور ١٤٠ يواجه مكايد الأعداء، وفي مزمور ١٤١ رأيناه يصارع حتى لا يتنازل عن مبادئه ويضحي بها تحت ضغوط الأعداء، من أجل سلامته. وفي هذا المزمور يشكو من السجن والوحدة والعجز. والأغلب أن داود كتب هذا المزمور أثناء اختبائه في مغارة عدلام ومعه عائلته وأربع مئة رجل صاروا قادة مملكته عندما تولى الحُكم (١صم ٢٢).. أو لعله كتبه أثناء اختبائه في مغارة عين جدي (١صم ٢٤). وفي سجنه ووحدته تعلَّم بالألم والمعاناة ما أراد أن يعلِّمه لنا في مزمورنا، وفي مزمور ٥٧، الذي رنمه لما هرب أمام شاول في المغارة.

في هذا المزمور نجد،

أولاً- المرنم يشكو (آيات ١-٤)

ثانياً- المرنم ينتظر (آيات ٥-٧)

أولاً - المرنم يشكو
(آيات ١-٤)

١ - **أسلوب الشكوى:** «بصوتي إلى الرب أصرخ. بصوتي إلى الرب أتضرع. أسكب أمامه شكواي. بضيقي قدامه أخبر» (آيتا ١، ٢). يشكو المرنم بصراخ وتضرع وانسكاب أمام الله. لم يكتفِ بالصلاة الهادئة لأن حالته النفسية والاجتماعية كانت في الحضيض. كان مثل بارتيماوس الأعمى الذي لا شفاء له من العمى إلا بقدرة المسيح الشافية، فصرخ: «يا ابن داود ارحمني». انتهره كثيرون ليسكت، ولكن هذا الانتهار لم يوقفه عن الطلب، بل جعله يصرخ أكثر كثيراً: «يا يسوع يا ابن داود، ارحمني» (مر ١٠: ٤٧، ٤٨).

٣ - موضوع الشكوى: (آيتا ٣، ٤).

(أ) مُتعَب بريء: «عندما أعيت روحي فيَّ، وأنت عرفت مسلكي. في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً» (آيـة ٣). أعيـت روح المرنم من شدة الضيق وأصابه ما يشبه الإغماء، وكاد يفقد حياته، كما حـدث مع يونان في جوف الحوت (يون ٢: ٧). لكنه كان يعلم أن الرب يراقبه ويعرف مسلكه وكيف أنه بريء من الاتهامات التي اتهموه بها. وكان أعداؤه أيضاً يراقبونه ويعرفون الطريق التي يسلكها، فـأخفوا فيها الفخاخ التي نصبوها له. وما أكبر الفرق بين معرفة الأعداء المتآمرة المهلكة ومعرفة الله المعتنية المنقذة «لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوبإ الخطر. بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمي» (مز ٩١: ٣، ٤).

(ب) مُتعَب وحيـد: «انظُر إلى اليمين وأبصِر، فليس لي عارف. باد عني المناص. ليس من يسأل عن نفسـي» (آية ٤). طلب المرنم من الرب أن ينظر إلى جانبه الأيمن من حيث يأتي النصير ليقف إلى يمينه ويسـانده، ولن يجد الرب أحداً من القادرين على المساعدة، ولا أحداً ممن يعرفون المرنم. وسيجد أنه لم يعُد للمرنم مناص (أي مفر أو ملجأ يهرب إليه). لقد هجره أصحابه ولم يعودوا يسألون عنه، فكان مثل مريض بركة بيت حسـدا الذي قضى ثمان وثلاثين سـنة ينتظر معونة من قريب أو صـديق يلقيه في البركة متى تحرك الماء، ولكنه لم يجد من يسأل عن نفسه (يو ٥). لم يكن هناك من يدرك قدر المرنم، ولا حجم الخطر المحدق به. وما أقسـى الشعور بالوحدة! وقد قدَّم المسيح العلاج لـمثل هذا الشعور بقوله: «هوذا تأتي سـاعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيـها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي. وأنا لسـت وحدي لأن الآب معي» (يـو ١٦: ٣٢). وفي مثل هذا الموقف قال الرسـول بولس: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني. لا يُحسـب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقواني لكي تتمّ بي الكرازة ويـسـمع جميـع الأمم فأُنقذت من فم الأسـد. وسـينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلّصني لملكوته السماوي. الذي له المجد إلى دهر الدهور. آمين» (٢تي ٤: ١٦-١٨).

ثانياً - المرنم ينتظر
(آيات ٥-٧)

١ - الرب هو الملجأ: «صرخت إليـك يـا رب. قلت: أنت ملجإي» (آيـة ٥أ). كان قد صرخ وتضرع، ولا زال يصرخ وينتظر الرب لأنه الملجأ الوحيد الباقي له. «لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يـرثي لضعفاتنا، بل مجرَّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكي

ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه.. فمن ثمَّ يقدر أن يخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٤: ١٥، ١٦ و٧: ٢٥).

٢ - **الرب هو النصيب**: «نصيبي في أرض الأحياء» (آية ٥ب). الأحياء هم البشر من حوله، منهم الأتقياء ومنهم الأشرار. ولم يجد له عوناً فيهم، فقد قاومه الأشرار وعجز الأتقياء عن مساعدته، فانتظر الرب نصيبه، وكأنه يقول: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض. قد فني لحمي وقلبي. صخرة قلبي ونصيبي الله إلى الدهر» (مز ٧٣: ٢٥، ٢٦). «نصيبي هو الرب قالت نفسي، من أجل ذلك أرجوه. طيب هو الرب للذين يترجونه، للنفس التي تطلبه. جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب» (مرا ٣: ٢٤-٢٦). ولما كان المرنم ينتظر الرب نصيبه، فإنه سيحيا ولا يموت، لأنه انتمى إلى الأحياء الذين «انتقلوا من الموت إلى الحياة» بفضل موت المسيح الكفاري عنهم، فقالوا عن المسيح: «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً، معيَّنين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته» (أف ١: ١١).

٣ - **الرب هو السامع**: «أصغ إلى صراخي لأني قد تذللت جداً» (آية ٦أ). في شدة المحنة والذل استعجل المرنم الرب ليستجيب صلاته وينقذه. لقد تذلل من إهمال أهله، ومن اضطهاد أعدائه، فانتظر عون من لا يذل أحداً. «لكلماتي أصغ يا رب. تأمل صراخي. استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي لأني إليك أصلّي. يا رب، بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجّه صلاتي نحوك وأنتظر» (مز ٥: ١-٣). «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلاً وهو متمهّلٌ عليهم؟.. إنه ينصفهم سريعاً» (لو ١٨: ٧، ٨).

٤ - **الرب هو المنجي**: «نجّني من مضطهديَّ لأنهم أشد مني. أخرج من الحبس نفسي لتحميد اسمك» (آية ٦ب و٧أ). كان المرنم سجين محبسه في مغارة عدلام أو مغارة عين جدي، خوفاً من بطش الملك القاسي شاول الذي كان يتابعه ومعه جنوده ليقتله. ولا بد أنه كان مشتاقاً لتقديم العبادة للرب وللترنيم له في خيمة الاجتماع. وكان ينتظر إنقاذ الرب له ليشترك مع محبي الرب في التسبيح والتحميد. وأعطاه الرب سؤله، فتساءل: «ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي؟». وأجاب: «حللت قيودي. فلك أذبح ذبيحة حمد، وباسم الرب أدعو» (مز ١١٦: ١٢، ١٦، ١٧).

٥ - **المؤمنون هم الصُّحبة**: «الصدّيقون يكتنفونني لأنك تحسِن إليَّ» (آية ٧ب). رأى المرنم بالإيمان استجابة الرب قادمة، ورأى الصدّيقين يجتمعون معاً للعبادة ويرفعون أيادي الشكر لله الذي أحسن إليهم، ويرتلون: «أغنّي للرب لأنه أحسن إليّ.. أخبر باسمك إخوتي. في وسط الجماعة أسبحك. يا خائفي الرب سبحوه.. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين، ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع» (مز ١٣: ٦ و٢٢: ٢٢-٢٤). «قلت للرب: أنت سيدي. خيري لا شيء غيرك. القديسون الذين في الأرض والأفاضل كل مسرّتي بهم» (مز ١٦: ٢، ٣).

المزمور المئة والثالث والأربعون

مزمورٌ لداود

١ يا ربُّ اسمَعْ صلاتي وأصْغِ إلى تضرُّعاتي. بأمانتِك استجِبْ لي، بعدلِك، ٢ ولا تدخُلْ في المحاكمةِ مع عبدِك فإنه لن يتبرَّرَ قدامَك حيٌّ. ٣ لأن العدوَّ قد اضطهد نفسي. سحق إلى الأرض حياتي. أجلسَني في الظُّلمات مثلَ الموتى منذُ الدهر. ٤ أعْيت فيَّ روحي. تحيَّر في داخلي قلبي. ٥ تذكَّرتُ أيام القِدم. لهجتُ بكلِّ أعمالِك. بصنائعِ يديك أتأمَّلُ. ٦ بسطتُ إليك يديَّ. نفسي نحوَك كأرضٍ يابسةٍ. سلاه.

٧ أسرِعْ أجِبني يا ربُّ. فنيَتْ روحي. لا تحجُبْ وجهَك عنّي فأشبهَ الهابطين في الجُبِّ. ٨ أسْمِعني رحمتَك في الغداةِ لأني عليك توكلتُ. عرِّفني الطريقَ التي أسلكُ فيها لأني إليك رفعتُ نفسي. ٩ أنقذني مِن أعدائي يا ربُّ. إليك التجأتُ. ١٠ علِّمني أن أعملَ رضاك لأنك أنت إلهي. روحُك الصالحُ يهديني في أرضٍ مستويةٍ. ١١ من أجلِ اسمِك يا ربُّ تحييني. بعدلِك تُخرِج من الضيقِ نفسي، ١٢ وبرحمتِك تستأصلُ أعدائي وتُبيد كلَّ مضايقي نفسي، لأني أنا عبدُك.

لا تدخل في المحاكمة مع عبدك!

وردت في سفر المزامير سبعة مزامير توبة، هي ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ وآخرها مزمورنا. سمّاها مارتن لوثر «المزامير البولسيَّة» لأنها توضح أن غفران الخطايا نصيبُ كل من يؤمن ويضع ثقته في الفداء الذي دبَّره الله بالمسيح، وهو الفكر الغالب في كتابات الرسول بولس. وقد طلب القديس أغسطينوس في مرضه الأخير أن يكتبوا له هذه المزامير ويعلِّقوها على الحائط في مواجهة فراشه ليراها ويقرأها ويتعزى بها.

رأينا في مزمور ١٤٠ العدو يضايق المرنم، ورأيناه في مزمور ١٤١ يصارع مع نفسه حتى لا يضحي بمبادئه وهو يعيش تحت ضغوط هائلة، وفي مزمور ١٤٢ رأيناه يعبِّر عن عجزه ووحدته. وفي هذا المزمور يقول إن كل البشر خطاة: «لن يتبرر قدامك حي» (آية ٢)، وإنهم جميعا متساوون في أنهم يحتاجون إلى إرشاد الرب (آية ٨). وهو يعلم أن الله سيقبل توبته بناءً على أمانة الله وعدله اللذين ظهرا في الماضي (آيتا ١، ٥). ويختم المرنم مزموره بأن يطلب من الله البركات التي لا يحقُّ إلا للتائب أن يطلبها.

في هذا المزمور نجد،

أولاً- صلاة التوبة (آيتا ١، ٢)

ثانياً- أحزان الخطية (٣-٦)

ثالثاً- رجاء التائب (آيات ٧-١٢)

أولاً - صلاة التوبة

(آيتا ١، ٢)

١ - **أمانة الله وعدله**: «يا رب، اسمع صلاتي وأصغِ إلى تضرعاتي. بأمانتك استجب لي، بعدلك» (آية ١). يرفع المرنم صلاة التوبة معتمداً على أمانة الرب لمواعيده، فقد أعلن أنه غافر الإثم والمعصية والخطية (خر ٣٤: ٧). كما يعتمد على عدل الرب في توقيع عقوبة خطاياه على الذبيحة الكفارية، فينجو هو لأن الله لا يتقاضى أجرة الخطية مرتين.. إن الرب «أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩). «لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه» (رو ٣: ٢٢-٢٥). وتضرعات المرنم هنا هي صلاة تائب يقول: «اللهم، ارحمني أنا الخاطي» فينزل إلى بيته مبرراً (لو ١٨: ١٣). وهي صرخة خاطئ يقول: «اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك» فيُجاب: «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٢، ٤٣).. ويعتمد قبول الرب لصلاة توبتنا على عمل المسيح الذي «يقدر أن يخلِّص إلى التمام الذين يتقدَّمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم.. لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي. لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعد هو أمين» (عب ٧: ٢٥ و١٠: ٢٢، ٢٣).

٢ - **عجز المرنم عن تبرير نفسه**: «ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر قدامك حي» (آية ٢). لو أن الله أدخل المرنم في المحاكمة لهلك، لهذا لجأ إلى الرحمة الإلهية، وطلب من الرب أن لا يقاضيه، لأن «أجرة الخطية هي موت. أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦: ٢٣). وهو نفس ما قاله أيوب: «كيف يتبرَّر الإنسان عند الله؟ إن شاء أن يحاجّه لا يجيبه عن واحد من ألف.. لأنه ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فنأتي جميعاً إلى المحاكمة» (أي ٩: ٢، ٣، ٣٢). وأول عُذر يقدمه المرنم للرب في طلب عدم المحاكمة هو أنه عبد الرب، فقد قال: «لأني أنا عبدك» (آية ١٢)، وقد اشترى السيدُ العبد، فصار العبد ملكاً لسيده، يعتني به ويدبر أموره.. أما عُذره الثاني فهو أنه لن يتبرر أي إنسان أمام الرب «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمن يقف؟ لأن عندك المغفرة.. لأن عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير» (مز ١٣٠: ٣، ٧). وقال أليفاز التيماني: «من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر؟ هوذا قديسوه لا يأتمنهم، والسماوات غير طاهرة بعينيه- فبالحري مكروهٌ وفاسدٌ الإنسان الذي يشرب الإثم كالماء» (أي ١٥: ١٤-١٦).

ثانياً - أحزان الخطية
(آيات ٣-٦)

١ - للخطية عقاب: «لأن العدو قد اضطهد نفسي. سحق إلى الأرض حياتي. أجلسني في الظلمات مثل الموتى منذ الدهر. أعيت فيَّ روحي. تحيَّر في داخلي قلبي» (آيتا ٣، ٤). عرف المرنم أن الضيق الذي يجوز فيه لا بد أن يكون ناتجاً عن عصيانه، وذكر الوعظ الذي يخاطبه كابن: «يا ابني لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخر إذا وبَّخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله.. فأي ابن لا يؤدبه أبوه؟» (عب ١٢: ٥-٧). لقد أخطأ، فوقع بين يدي عدو جبار لا يرحم، أرهقه واضطهده وأذلَّه وسحقه، وسجنه، وحرمه من التمتع بالحياة، فصار كميتٍ منسيٍّ من الله والناس. وتحيَّر عقله وهو يحاول أن يعرف سبب كل هذا البلاء، وتحيَّر قلبه فتساءل: هل رفضني الرب من أن أكون ابناً له؟

٢ - الخطية تضيِّع الشركة مع الله: «تذكرتُ أيام القِدم. لهجتُ بكل أعمالك. بصنائع يديك أتأمل. بسطتُ إليك يديَّ. نفسي نحوك كأرضٍ يابسة» (آيتا ٥، ٦). «تذكر» المرنم التقي المضطهَد بسبب خطيته أيامه القديمة الجميلة التي كان يأتنس فيها بربِّه في الصلاة والتسبيح والعبادة، وافتقد تلك الشركة الحبِّية التي ضاعت منه لأن الخطية فصلت بينه وبين إلهه. و«لهج» بالمراحم والبركات التي كان الرب يغمره بها، وكرر الحديث عن كل أعمال الله الصالحة السابقة معه. و«تأمل» صنائع يدي الله السابقة معه والتي حملته كل الأيام القديمة وأعانته ونصرته على المصاعب والتحديات. وقارن هذه الروائع بالأرض الجافة التي يقف عليها، وقد خلت من الفرح الروحي، وهجرها الأنس بالله، فطلب العودة إلى الماضي المجيد، وهو يشارك آساف اختباره: «تفكرت في أيام القِدم.. أذكر ترنُّمي في الليل. مع قلبي أناجي وروحي تبحث. هل إلى الدهر يرفض الرب ولا يعود للرضا بعد؟ هل انتهت إلى الأبد رحمته؟.. ألهج بجميع أفعالك وبصنائعك أناجي» (مز ٧٧: ٥-٨، ١٢). وبسط المرنم يديه المستجديتين نحو الله، كأنهما يدا طفل يستجير بأمه من الجوع والعطش، يطلب الطمأنينة، ويتضرع: «أسمعني سروراً وفرحاً فتبتهج عظامٌ سحقتَها.. رُدَّ لي بهجة خلاصك» (مز ٥١: ٨، ١٢). إنه كالابن الضال في الكورة البعيدة وقد رجع إلى نفسه يقول: «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً! أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي، أخطأت إلى السماء وقدامك، ولستُ مستحقاً بعدُ أن أُدعى لك ابناً. اجعلني كأحد أجراك» فقام وجاء إلى أبيه (لو ١٥: ١٧-٢٠)، واعترف بجدب نفسه التي لم تعُد ترتوي من ماء الحياة فتشققت وانقطع منها الثمر، وتوقَّع أن يعطيه الله المطر البكر والمتأخر ويُشبع في الجدوب نفسه فيصير كجنَّة ريًا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه (إش ٥٨: ٨-١١).

ثالثاً - رجاء التائب
(آيات ٧-١٢)

١ - **الرحمة الإلهية:** «أسـرع أجبني يا رب. فنيت روحي. لا تحجب وجهك عني فأشبه الهابطين في الجب. أسـمعني رحمتك في الغداة لأني عليك توكلت» (آية ٧، ٨أ). سبق أن قال المرنم: «أعيت فيَّ روحي» (آية ٤)، وهنا يقول إنها فنيت، ويطلب أن يسـوع الرب بالاستجابة فيشرق وجهه عليه علامة الرضا، ويرفعه من الجب الذي أسـقطه أعداؤه فيه. «لا تحجب وجهك عني. لا تخيِّب بسخط عبدك. قد كنت عوني، فلا ترفضني ولا تتركني يـا إله خلاصي» (مز ٢٧: ٩). وهو يـطلب إجابة طلبه مع شروق شمس الغداة، فيسـمع أخبار مراحم الله في مطلع كل يوم، ويطمئن لتحقيق المواعيد الإلـهيـة، وتنقشع ظلـمته. حقاً «عند المسـاء يـبيـت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مز ٣٠: ٥).

٢ - **المعرفة الخلاصية:** «عرِّفني الطريق التي أسلك فيها لأني إليك رفعت نفسي» (آية ٨ب). بعد أن طلب الرحمة التي تُخرجه من الجب، طلب من الرب أن يعرِّفه طريقه لأنه رفع نفسـه إلى الرب وبـسط يديه نحوه. وهو في هذا يدعو مع موسى: «إن كنتُ قد وجدتُ نعمةً في عينيك فعلِّمني طريقك حتى أعرفك، فأجد نعمةً في عينيك» (خر ٣٣: ١٣). وهو يطلب مع المرنم: «طرقك يا رب عرِّفني. سـبُلك علِّمني.. علِّمني يا رب طريقك، أسلك في حقك. وحِّد قلبي لخوف اسمك» (مز ٢٥: ٤ و٨٦: ١١)، فيـجيبه الرب: «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تسـلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨)، كما «عرَّف موسى طرقه وبني إسرائيل أفعاله» (مز ١٠٣: ٧).

٣ - **الإنقاذ الإلهـي:** «أنقذني من أعدائي يا رب. إليك التجأت» (آية ٩). يجيء الإنقاذ باللجوء إلى الله الذي يـخبئ المؤمن من الخطر، فهو يـقول: «هلمَّ يا شعبي ادخُل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك. اختبئ نحو لحيـظة حتى يعبر الغضب» (إش ٢٦: ٢٠). ويجاوب المؤمن: «لأنه يخبئني في مظلته في يوم الشر. يسـترني بستر خيمته، وعلى صخرة يرفعني. والآن يرتفع رأسي على أعدائي حولي، فـأذبح في خيمته ذبائح الهتاف. أغني وأرنم للرب» (مز ٢٧: ٥، ٦). «الرب من البطن دعاني.. في ظل يده خبأني وجعلني سهماً مبرياً. في كنانته أخفاني» (إش ٤٩: ١، ٢).

٤ - **الإرشاد الإلهي:** «علِّمني أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهي. روحك الصالح يـهديني في أرض مسـتويـة» (آيـة ١٠). الله رب حياة المرنم وإلهه، وهو منقذه من أعدائه، لهذا يطلب بكل تواضع وشعور بالحاجة أن يعلِّمه إلهه المشيئة الصالحة، فلا يميل قلبه إلى طرق الأشرار المعوجة، بل يقول: «علِّمني يا رب طريقك، واهدني في سـبيل مستقيم بسبب أعدائي» (مز ٢٧: ١١)، وينال حياة جديدة فيهتف: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت، وشريعتك في وسط أحشائي» (مز ٤٠: ٨). يطلب المرنم

أن يـــكون الروح الصالح هادياً له كما صلى نحميا: «أنت برحمتك الكثيرة لم تتركهم في البرية، ولم يـــزُل عنهم عمود السـحاب نهاراً لهدايتهم في الطريق، ولا عمود النار ليلاً ليضيء لهم في الطريق التي يســـيرون فيها، وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم، ولم تمنع منّك عن أفواههم، وأعطيتهم ماءً لعطشهم» (نح ٩: ١٩، ٢٠)، لأن «طريق الصدّيق استقامة. تمهِّد أيها المستقيم سبيل الصدّيق» (إش ٢٦: ٧). ويـــهدي الروح القدس المؤمن في أرض مســتويـــة، أي إلى أرض خالية من الصعوبات والأخطار، فيقول: «رجلـــي واقفة علـــى ســـهل. في الجماعات أبارك الرب» (مز ٢٦: ١٢). والروح القدس هو «روح الحكمة والإعلان» (أف ١: ١٧) وهو المعلِّم. و«كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤).

٥ – **الحياة الفضلى:** «من أجل اسمك يا رب تحييني. بعدلك تُخرج من الضيق نفسي» (آية ١١). يطلب المرنم الحياة الفضلى من أجل اســـم الرب، لا لشيء صالح فيه. «ليس لنا.. لكن لاسمك أعطِ مجداً» (مز ١١٥: ١). وليســـت الحياة الفضلى عكس الموت فقط، بل هي أيضاً التحرر من كل ما يـــعطل الحياة المطوّبة ويمنع التمتع بها، فهي حياة الفرح والسلام التي لا توجد إلا في الشركة مع الله وطاعة كلمته، لأنه «ليس بالخبز وحده يحيا الإنســـان، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان» (تث ٨: ٣)، وقد قال الله لبني إسرائيل: «اسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلِّمكم لتعملوها، لتحيوا» (تث ٤: ١). وتمتلئ صفحات الوحي بالحديـــث عن الحياة الحاضرة الفاضلة، وعن الحياة الأبدية في محضر الله في الســـماء، فيقول المرنم: «قولك أحياني.. لا أنســـى وصاياك لأنك بها أحييتني» (مز ١١٩: ٥٠، ٩٣). «وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيَّ وحدك، ويســـوع المسيح الذي أرســـلته» (يو ١٧: ٣). «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يـــؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). وعندما «يحيا» الإنسان في المسيح ينقذ الله نفسه من كل ضيق في هذا الزمان، ولا يرى ضيقاً في الزمان الآتي.

٦ – **العدل الإلهي:** «وبرحمتك تســتأصل أعدائي وتبيد كل مضايقي نفسي، لأني أنا عبدك» (آية ١٢). ويـــنهي الـــمرنم مزموره بطلب العدالة الإلهيـــة، فإن أعداء ملكوت الله يـــقاومون الملكوت، ويـــضطهدون المسيح نفسه (أع ٩: ٤)، فيكون استئصال الأعداء وإبادة المضايقين رحمة للمرنم الذي هو عبد الله.. وإن كانت الاســتجابة الحرفية لهذه الطلبة تتناســب مع شريعة العهد القديم «عين بعين وسن بسن» فإننا في العهد الجديد نصليها بأسلوب روحي، فنقول: يا رب، استأصل أعداء ملكوتك بأن تربحهم لملكوتك، فيكونوا عبيداً لك لا أعداء لشعبك. كان اليهود أيام المســيح يقولون إن الســماء تفرح بخاطئ واحد يهلك لتســتريح الأرض من شره، ولكن المســـيح قال إن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لو ١٥: ٧، ١٠) وبهذا تســـتريح الأرض من شره، لا لأنه هلك، بل لأنه تاب عن شروره.. بهذا المعنى الروحي المسيحي نفهم الآية الأخيرة من مزمورنا، ونطبّقها في معاملاتنا.

المزمور المئة والرابع والأربعون

لداود

١ مباركٌ الربُّ صخرتي، الذي يعلّمُ يديَّ القتالَ وأصابعي الحربَ. ٢ رحمتي، وملجإي،
صَرْحي ومنقذي، مِجنّي والذي عليه توكلتُ، المُخْضِعُ شعبي تحتي. ٣ يا ربُّ، أيُّ شيءٍ هو
الإنسانُ حتى تعرفَه، أو ابنُ الإنسانِ حتى تفتكرَ به؟ ٤ الإنسانُ أشبَهُ نفخةً. أيامُه مثلُ ظلٍّ عابرٍ.
٥ يا ربُّ، طأطئْ سمواتِك وانزِلْ. المسِ الجبالَ فتُدخِّنَ. ٦ أبرِقْ بروقاً وبدِّدْهم. أرسِل
سهامَك وأزعِجْهم. ٧ أرسِل يدَك من العَلاء. أنقِذْني ونجِّني من المياهِ الكثيرةِ من أيدي الغرباء،
٨ الذين تكلّمَتْ أفواهُهم بالباطلِ، ويمينُهم يمينُ كذبٍ. ٩ يا اللهُ، أرنِّمُ لك ترنيمةً جديدةً
بربابٍ ذاتِ عشرةِ أوتارٍ أرنِّمُ لك. ١٠ المُعطي خلاصاً للملوكِ، المنقذُ داودَ عبدَه من السَّيفِ
السّوءِ.

١١ أنقِذني ونجِّني من أيدي الغرباءِ الذين تكلّمتْ أفواهُهم بالباطلِ ويمينُهم يمينُ كذبٍ.
١٢ لكي يكونَ بنونا مثلَ الغروسِ الناميةِ في شبيبتِها. بناتُنا كأعمدةِ الزوايا، منحوتاتٍ حسبَ بناءِ
هيكلٍ. ١٣ أهراؤنا ملآنةً تفيضُ من صنفٍ فصنف. أغنامُنا تنتجُ ألوفاً وربَواتٍ في شوارعِنا. ١٤
بقرُنا مُحمَّلةٌ. لا اقتحامَ ولا هجومَ ولا شكوى في شوارعِنا. ١٥ طوبى للشعبِ الذي له كهذا.
طوبى للشعبِ الذي الربُّ إلهُه.

مبارك الرب صخرتي

مزمورنا أول سبعة مزامير تسبيحية يُختَتم بها سفر المزامير، فيه يسبح المرنم الرب الذي ينصر شعبه، وهو مذهول من أن الرب العظيم يهتم بالإنسان الذي هو نفخة أو مجرد ظل عابر، ويطلب منه أن ينصره وشعبه على العدو الغريب. ولما كان واثقاً من نصر الرب يشكر بترنيمة جديدة ينظمها ويرتلها برباب ذات عشرة أوتار، ثم يصف نجاح شعبه عائلياً واقتصادياً وأمنياً وروحياً، بفضل نعمة الله.

ومعظم أفكار هذا المزمور مقتبسة من مزامير أخرى هي ٨ و١٨ و٣٩ و١٠٤ و١٣٣. ويتميَّز هذا المزمور بذكر اسم داود في صُلبه (آية ١٠)، وليس فقط في عنوانه.

في هذا المزمور نجد،

أولاً- المرنم يصف حاضره (آيات ١-١١)

ثانياً - المرنم يصف مستقبله (آيات ١٢-١٥)

أولاً - المرنم يصف حاضره
(آيات ١-١١)

١ - **انتماؤه لإله قوي:** «مبارك الرب صخرتي، الذي يعلِّم يديَّ القتال وأصابعي الحرب. رحمتي وملجإي، صرحي ومنقذي، مجني، والذي عليه توكلت. المخضع شعبي تحتي» (آيتا ١، ٢). وفي هاتين الآيتين نجد ثمانية أوصاف لقوة الله التي أعانت المرنم، فرفع ترنيم شكره للرب:

(ا) **صخرتي:** «مبارك الرب صخرتي». يبارك المرنم الله الذي باركه، كما قيل: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح» (أف ١: ٣). ويبارك المرنم ربَّه لأنه صخرته، الثابت الذي لا يتغير، القوي الذي يمكن الاعتماد الكامل عليه، وهو موضع الحماية والراحة «كظل صخرة عظيمة في أرض معيية» (إش ٣٢: ٢).

(ب) **معلِّمي:** «الذي يعلِّم يديَّ القتال وأصابعي الحرب». عندما كان داود راعياً للغنم قتل أسداً ودباً أخذا شاة ودباً من قطيعه، ثم قتل جليات الذي عيَّر جيش الرب (١صم ١٧)، فقال: «يعلِّم يديَّ القتال فتحنَى بذراعيَّ قوسٌ من نحاس» (مز ١٨: ٣٤)، ذلك أن التقي يخوض حرباً روحية دائمة، في داخله ومن خارجه. فالجسد فيه يشتهي ضد الروح، وإبليس خصمه كأسد زائر يريد أن يبتلعه، فلا بد أن يتعلَّم المؤمن من الرب كيف يحيا حياة الانتصار، فيسلك حسب الروح، ويقاوم إبليس فيهرب منه. «من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير» (أف ٦: ١٣). والله يعلِّم المؤمن ويقول له: «أعلِّمك، وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨).

(ج) **رحمتي:** رحمة الله هي محبته القوية الثابتة التي لا تتغير، ويحتاجها كل إنسان في كل زمان ومكان. ويخصص المؤمن هذه الرحمة الإلهية لنفسه، فيقول «رحمتي». والمسيح هو الرحمة، لأنه يحمل خطايا كل من يقبله رباً ومخلِّصاً. «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣).

(د) **ملجإي:** الذي يهرب إليه وقت الخطر فيجد الحماية الكاملة، ويقول: «لأنك كنتَ ملجأ لي. برج قوة من وجه العدو. لأسكننَّ في مسكنك إلى الدهور. أحتمي بستر جناحيك» (مز ٦١: ٣، ٤).

(هـ) **صَرحي:** والصرح هو البرج الحصين المرتفع، الذي يجد فيه المحارب أو المُدافع أو المحاصَر كل ما يحتاجه من ماء وطعام وسلاح. والصَّرح يُقام عادةً على صخرة مرتفعة، فيكون قادراً على الصمود. ومع أن الرب صرحٌ عالٍ إلا أنه لا يترفَّع على التقي، بل يتنازل إليه وينقذه ويحميه.

(و) **منقذي:** الرب هو الصخر الكامل صنيعه (تث ٣٢: ٤)، الذي لا بد يعلِّم تقيَّه كيف يدافع عن نفسه، ويكون له الملجأ والصرح الذي ينقذه عندما يحتمي به. «هو ينجي وينقذ ويعمل الآيات

والعجائب في السماوات وفي الأرض. هو الذي نجى دانيال من يد الأسود» (دا ٦: ٢٧).

(ز) مجنّي: «مجنّي الذي عليـــه توكلت. المخضع شعبي تحتي». والمجن هو الترس الكبير، وهو قطعة من الخشب مغطاة بالجلد، يـــتلقّى عليها المحارب ســهام العدو فلا تصيبه. «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش ٥٩: ١٩). ويـتوكل المحارب على المجن لأنه يـــحميـــه من ضربة الســهم، فلا يجرحه ولا يخترق جســده. بل إن الســهم ينغرس في المجن فيمســك المجن به، فيأخذ الـمحارب السهم ويردُّه على العدو، فيصير ما قُصد به شراً مصدر خير ودفاع وحماية، يُخضع العدو ويوقع به الهزيمة.

(ح) نصيري: «الـــمخضع شعبي تحتي». كانت هناك محاولة انقلاب من أبشالوم على أبيــه داود، وقــف فيها بعض أصدقاء داود مع أبشالوم، ولكن الرب نجى داود فخضع شعبه له (٢صم ١٥-١٩). «إذا أرضت الربَّ طرقُ إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه» (أم ١٦: ٧).

٢ - *اندهاله من الحب الإلهي*: «يا رب، أيُّ شيء هو الإنسان حتى تفتكر به! الإنسان أشبه نفخة. أيـــامه مثل ظل عابر» (آيتا ٣، ٤). يعبِّر المرنم في هاتين الآيتين عن اندهاشه من اهتمام الرب به، ويذكر وصفين للإنسان:

(أ) الإنســـان نفخة: وهذا ما دعا به آدم ابنه الـثاني هابيـل، ومعناه نفخة أو بخار. «لأنه ما هي حيـــاتكم؟ إنها بخار، يظهر قليلاً ثم يضمحل» (يع ٤: ١٤). يؤذيه الشرير، ويُضعفه المرض. «هوذا جعلتَ أيامي أشباراً. عُمري كلا شيء قدامك. إنما نفخة كل إنســـان قد جُعل.. إنما كل إنسان نفخة» (مز ٣٩: ٥، ١١).

(ب) الإنســان ظل: ويتعجب المرنم من اهتمام الله بالإنسان، مع أنه مجرد ظل لا يستمر، ولا يبقى مـكانه، ولما ينتهي لا يترك وراءه أثراً، ويبدو أنه شيء ولكنه ليس شيئاً، ويتوقف وجوده على ما هو خارجٌ عنه من ضوءٍ منير وجامدٍ مُعتم. «فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده!» (مز ٨: ٤).

٣ - *التماؤه لإله ينصره*: «يــا رب، طأطئ ســماواتك وانزل. الـمس الجبال فتدخِّن. أبرق بروقاً وبددهم. أرســـل سهامك وأزعجهم. أرسل يدك من العلاء. أنقذني ونجِّني من المياه الكثيرة، من أيدي الـغرباء الذين تكلَّمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب» (آيات ٥-٨). لا يمكن للنفخة أو الظل أن يـدافعا عن نفسيهما، فلا بديل عن وجود مدافع أعلى يحمي ويصون. هذا المدافع هو الرب وحده، كما حدث عندما تابع فرعون بني إســـرائيل، فكان البحر أمامهم والعدو وراءهم، وليس لهم نجاة منظورة، فقال لهم موســـى: «لا تخافوا. قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٣، ١٤). وقد كان.

(أ) الرب الذي ينصر: كما حدث في الخروج. هو الذي أرعب العدو ووضعه في حجمه الطبيعي الحقيقي، ونصر عبيده بمجده الإلهي إذ طأطأ عمود السحاب، وسخر الريح، وأمر البحر أن ينجي الأتقياء ويهلك الظالمين. وبقوة إلهية أبرق فبددهم. «أرسل سهامه فشتتهم وبروقاً كثيرة فأزعجهم، فظهرت أعماق المياه، وانكشفت أسس المسكونة» (مز ١٨: ١٤، ١٥).

(ب) العدو الذي انهزم: جاء الأعداء كنهر جارف، فقال الله لتقيِّه: «إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك» (إش ٤٣: ٢). والأعداء غرباء على الإيمان، قال المسيح عنهم: «تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمةً لله، وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفوني» (يو ١٦: ٢، ٣). والأيدي اليمنى للأعداء كاذبة. وترفع اليد اليمنى للصلاة، وصلاة العدو كاذبة. وترفع للقسم، وأيمان العدو ووعوده مخادعة. وقال المسيح لمثل هؤلاء الأعداء: «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب» (يو ٨: ٤٤).

٤ - ثقته في النصر الإلهي: «يا الله أرنم لك ترنيمة جديدة. برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك. المعطي خلاصاً للملوك، المنقذ داود عبده من السيف السوء. أنقذني ونجِّني من سيف الغرباء الذين تكلمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب» (آيات ٩-١١).

(أ) ثقة يعبَّر عنها بالترنيم: كان المرنم واثقاً من النصر، فجهَّز الشعر واللحن، والآلة الموسيقية ذات الأوتار العشرة. لم يكن يسلك بالعيان بل بإيمان، وهو من يرى من لا يُرى، فرأى النصر قادماً لا محالة. «أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع ٥: ١٣).

(ب) ثقة نتيجة التعاملات الماضية: رجع المرنم بذاكرته إلى الماضي، فرأى أن الله أنقذ داود من سيف السوء، أي من ويلات الحروب، وأنقذ غيره من قادة شعبه، فاطمأنت نفسه لأن «الإله القديم ملجأ» (تث ٣٤: ٢٧).

(ج) ثقة لأن العدو مهزوم: وكان المرنم واثقاً من هزيمة العدو لأنه شرير، فيده اليمنى المرفوعة في صلاة هي صلاة رياء ونفاق لأنها اليد التي ترفع السيف لتقتل البريء. كما أن يده المرفوعة للقسم تحلف كذباً. فلا بد أن يحل به العقاب. «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرُّهم من عندي، يقول الرب» (إش ٥٤: ١٧).

ثانياً - المرنم يصف مستقبله
(آيات ١٢-١٥)

كان الرب قد وعد شعبه بالبركة إن هو سمع صوت الرب إلهه وأطاعه، فقال: «مباركاً تكون في المدينة،

ومـباركاً تكون في الحقل، ومباركةً تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك، نتاج بقرك وإناث غنمك. مباركة تكون سلّتك ومعجنك» (تث ٢٨: ٣-٥). وفي هذه الآيات الأربع نرى تحقيق أربع بركات:

١ - **المستقبل العائلي**: (آية ١٢).

(أ) البنون: «لكي يـكون بنونا مثل الغروس النامية في شبيبتها» (آية ١٢أ). كنتيجة لبركات الرب وعنايـته القوية بالإنسـان الضعيف يصبح الأبناء في زمن شبابهم مثل الغروس النامية، الأمر الذي وصفه المرنم في مزاميـر المصاعد بقوله: «هوذا البنون ميـراث من عند الرب. ثمرة البطن أجرة. كسـهام بيـد جبار هكذا أبناء الشبيبة.. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك» (مز ١٢٧: ٣، ٤ و١٢٨: ٣). فالبنون ثروة حقيـقية، وهم غروس يجب أن تتعمّق جذورهم في الأرض الجيدة والبيئة المناسبة، وهم واعدون بمستقبل مبارك، ينمون ويزهرون ويثمرون، لأنهم يرتوون بالماء الحي «فمن رائحة الماء تُفرخ وتُنبت فروعاً كالغرس» (أي ١٤: ٩).

(ب) البنات: «بناتنا كأعمدة الزوايـا منحوتات حسـب بناء هيـكل» (آية ١٢ب). في هذه الحالة السـعيدة تكون البنات منحوتات كأعمدة الزوايا التي تربط سقف البيت معاً، فيكنّ سبب ارتباط وتوحُّد ووفـاق وتناغم، لم يتعب الوالدون في تربيتهن. ولا شك أن المرنم كان يفكر في الأعمدة القوية الثابتة الجميلة بفخامتها وضخامتها، فرأى بناته جميلات في ملابسـهن الزاهية وزينتهن الذهبية وقد اكتنزت أجسـادهن بالطعام الوفيـر والصحة. ولعل المرنم كان يذكر القول: «شاول ألبسـكنّ قرمزاً بالتنعُّم، وجـعل حليَّ الذهب على ملابسكنَّ» (٢صم ١: ٢٤).. وإن كان المرنم يفكر في الصحة الجسدية فهذا حسـن، وإن فكر في الذكاء العقلي فهذا أحسـن. ولكن إن فكر في التقدم الروحي فهذا هو الأحسن، فـبنات اليوم هنّ أمهات الغد، و«امرأة فاضلة من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ. بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة» (أم ٣١: ١٠، ١١).

٢ - **المستقبل الاقتصادي**: «أهراؤنا ملآنة تفيـض من صنف فصنف. أغنامنا تنتج ألوفاً وربوات في شوارعنا» (آيـة ١٣). عندما يـنصر الرب شعبه تفيض الأجران بالقمح والشعير وكل أصناف الحبوب، وتلد الأغنام في الشوارع، فتزيـد الثروة الحيـوانيـة. ويتغنى المرنم هنا بمثل ما جاء في مزمور نهاية السـنة الزراعية: «كللتَ السـنة بجودك، وآثارك تقطر دسـماً. تقطر مراعي البرية، وتتنطّق الآكام بالبهجة. اكتست المروج غنماً، والأودية تتعطف بُرّاً. تهتف وأيضاً تغني» (مز ٦٥: ١١-١٣).

٣ - **المستقبل الأمني**: «بقرنا محمَّلة. لا اقتحام ولا هجوم ولا شكوى في شوارعنا» (آيـة ١٤). يصف المرنم المستقبل المجيد للشعب الذي يحميه الرب بأنه آمن، تحمل أبقاره أحمالاً كبيرة من الحقل إلى المخازن دون أن يـهاجمه الغزاة، ولا يـقتحم أحدٌ أحداً ولا يـهاجم أحد أحداً، ولا يـشكو أحد من أحد،

فإن الجميـــع آمنون مُكتفون، يجلس كل واحد تحت كرمته وتحت تينته في طمأنينة كاملة، كما حدث أثناء مُلك ســليمان (١مل ٤: ٢٥)، فتتحقق المواعيد الإلهية: «الرب يعطي عزّاً لشعبه الربُّ يبارك شعبه بالســلام» (مز ٢٩: ١١). «الذي يجعل تخومك سلاماً ويشبعك من شحم الحنطة» (مز ١٤٧: ١٤). «وأنـا يقول الرب أكون لها سور نار من حولها، وأكون مجداً في وسطها» (زك ٢: ٥). «لأن عيني الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه» (٢أي ١٦: ٩).

٤ - **المستقبل الروحي**: «طوبى للشعب الذي له كهذا. طوبى للشعب الذي الربُّ إلهه» (آية ١٥). ويـرى المرنم مستقبلاً روحياً رائعاً لشعبه في ظل سيادة الرب الملك. «طوبى للأمة التي الرب إلهها، الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه» (مز ٣٣: ١١).

بدأ ســفر المزامير بالتطويب (مز ١: ١)، وبدأ المســيح موعظته على الجبل به (مت ٥: ٣). ما أســعد من يـعيش مع الرب وقد ســلّم زمام القيادة له، فينطبق عليه وصف تطويبات الموعظة على الجبل. لقد بدأ المســيــح خدمته في الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر ١: ١٤). فلنفتح قلوبنا لتتلقّى أخبار الإنجيل المفرحة، ولتكن قلوبنا أرضاً جيدة تقبل بذار كلمة الله وتفهمها وتأتي بثمر (مت ١٣: ٢٣).

المزمور المئة والخامس والأربعون

تسبيحةٌ لداود

١ أرفعُكَ يا إلهي الملكَ، وأباركُ اسمَكَ إلى الدهرِ والأبدِ. ٢ في كلِّ يومٍ أباركُكَ، وأسبّح
اسمكَ إلى الدهرِ والأبدِ. ٣ عظيمٌ هو الربُّ وحميدٌ جداً، وليس لعظمتِهِ استِقْصاء. ٤ دورٌ إلى دور
يسبّح أعمالَكَ، وبجبروتِكَ يُخْبِرون. ٥ بجلالِ مجدِ حمدِكَ وأمورِ عجائبِكَ ألهجُ. ٦ بقوة مخاوفك
ينطقون و بعظمتك أحدّث.٧ ذِكْرَ كثرةِ صلاحِكَ يُبْدون، وبعدلِكَ يرنّمون.

٨ الربُّ حنّانٌ ورحيمٌ، طويلُ الروحِ وكثيرُ الرحمةِ. ٩ الربُّ صالحٌ للكلِّ، ومراحمُه على كلِّ
أعمالِه. ١٠ يحمدُكَ يا ربُّ كلُّ أعمالِكَ، ويباركُكَ أتقياؤُكَ. ١١ بمجدِ مُلكِكَ ينطقون، وبجبروتِكَ
يتكلّمون. ١٢ ليُعرِّفوا بني آدمَ قدرتَكَ ومجدَ جلالِ مُلكِكَ. ١٣ مُلكُكَ مُلكُ كلِّ الدهور،
وسلطانُكَ في كلِّ دورٍ فدور.

١٤ الربُّ عاضدٌ كلَّ الساقطين، ومقوّمٌ كلَّ المنحنين. ١٥ أعيُنُ الكلِّ إياكَ تترجّى، وأنت
تعطيهم طعامَهم في حينِه. ١٦ تفتحُ يدَكَ فتشبعُ كلَّ حيٍّ رضىً. ١٧ الربُّ بارٌّ في كلِّ طُرُقِه ورحيمٌ
في كلِّ أعمالِه. ١٨ الربُّ قريبٌ لكلِّ الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحقِّ. ١٩ يعملُ رضى
خائفيه، ويسمعُ تضرُّعَهم فيُخلِّصُهم. ٢٠ يحفظُ الربُّ كلَّ مُحبّيه، ويُهلِكُ جميعَ الأشرار. ٢١ بتسبيحِ
الربِّ ينطقُ فمي. وليُباركْ كلُّ بشرٍ اسمَه القدوسَ إلى الدهرِ والأبدِ.

أسبّح اسمك إلى الدهر والأبد

مزمورنا ثاني المزامير التسبيحية السبعة التي يُختَتم بها سفر المزامير، وهو الترنيمة الجديدة التي ورد ذكرها في مز ١٤٤: ٩ «يا الله أرنم لك ترنيمة جديدة. برباب ذات عشرة أوتار أرنم لك». وكأن قلب صاحب هذا المزمور قد امتلأ بالتسبيح الختامي للصلاة الربانية: «لأن لك الملك والقوة والمجد». فهو يسبّح الملك الأبدي خالق كل البشر، الذي يسبحه الجميع ويمجدونه، لأنه الكريم الذي يحب كل خلائقه ويعطيها كل احتياجها. وكان اليهود يرنمون هذا المزمور ثلاث مرات يومياً، مرتان أثناء العبادة الصباحية ومرة ثالثة أثناء العبادة المسائية، كما كانت الكنيسة الأولي تتلوه في منتصف النهار، قبل تناول طعام الغداء. وكانت الآيتان ١٥ و١٦ منه جزءاً أساسياً من صلاة الشكر على الطعام «أعين الكل إياك تترجي، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتشبع كل حي رضى». وكان القديس يوحنا فم الذهب يتلو هذا المزمور أثناء التناول من مائدة العشاء الرباني، لأنها غذاء الروح. في مزمور ١٤٢ سكب داود شكواه، وفي مزمور ١٤٣ رفع صلاة توبة، وفي مزمور ١٤٤ طلب أن يعلّمه الرب محاربة العدو وأن يهبه النصر فيرتل ترنيمة جديدة. ثم يجيء مزمورنا بالفرح

والتمجيد على الإنصاف من الشكوى، والغفران للذنب، والنصرة على العدو.

ومزمورنا أبجدي، بمعنى أن كل آية منه تبدأ بأحد حروف الأبجدية العبرية، ولو أنه لا يحوي آية تبدأ بحرف النون. (مزمورا ٢٥ و٣٤ أبجديان، لم ترد فيهما آية تبدأ بحرف الواو). وقد لاحظ بعض المفسرين أن المزامير التي تحوي آيات تبدأ بكل الحروف الأبجدية تتحدث عن الأبرار الذين أكملوا جهادهم ووصلوا إلى الكنيسة المنتصرة في السماء. أما المزامير التي تنقصها آية تبدأ بأحد حروف الأبجدية فهي تتحدث عن أبرار على الأرض، أعضاء في الكنيسة المجاهدة، لا يزالون يجاهدون في خدمة الله وتمجيده.

في هذا المزمور نجد،

أولاً- تسبيح الله العظيم (آيات ١-٧)

ثانياً- تسبيح الله الرحيم (آيات ٨-١٠)

ثالثاً- تسبيح الله الملك (آيات ١١-١٣)

رابعاً- تسبيح الله المُحسين (آيات ١٤-٢١)

أولاً - تسبيح الله العظيم
(آيات ١-٧)

١- **عظيم في مُلكه:** «أرفعك يا إلهي الملك» (آية ١أ). يملك الله على كل العالم لأنه خالق الجميع، ولأنه يعتني بالجميع، ولأنه افتدى كل الخطاة بكفارة المسيح. دعاه داود بالقول: «استمع لصوت دعائي يا ملكي وإلهي، لأني إليك أصلي» (مز ٥: ٢). «رأوا طرقك يا الله، طرق إلهي وملكي في القدس» (مز ٦٨: ٢٤).

٢- **عظيم في أبديته:** «وأبارك اسمك إلى الدهر والأبد. في كل يوم أباركك، وأسبح اسمك إلى الدهر والأبد» (آية ١ب، ٢). هو الموجود كل يوم، والموجود إلى الدهر والأبد. «هو الإله الحي القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول، وسلطانه إلى المنتهى» (دا ٦: ٢٦). لهذا «يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب ١١: ٦). لن ينتهي تسبيح المرنم له أثناء حياته على الأرض، وسيستمر يسبح له في السماء.

٣- **عظيم في صلاحه:** «عظيم هو الرب وحميد جداً وليس لعظمته استقصاء» (آية ٣). الرب صالح وإلى الأبد رحمته، فلا يوجد من يستحق الحمد سواه، وليس لعظمة صلاحه حدود. إنها تفوق الوصف. «عظيم هو الرب وحميد جداً في مدينة إلهنا» (مز ٤٨: ١). قال عنه أليفاز: «الفاعل

عظائم لا تُفحص وعجائب لا تُعدّ» (أي ٥: ٩). بعد أن تحدَّث الرسـول بولس عن عمل الله الفدائي، وعن أمانته لوعوده بالرغم من عدم أمانة الشعب، قال: «يـا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» (رو ١١: ٣٣).

٤ - **عظيـم في معجزاته**: «دور إلى دور يسـبح أعمالك، وبجبروتك يخبرون. بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج. بقوة مخاوفك يـنطقون، وبعظمتك أحدِّث. ذكر كثرة صلاحك يُـبدون، وبعدلك يـرنمون» (آيـات ٤-٧). يُـجري الرب معجزات للشعب ككل، ويجري معجزات للأفراد، ولذلك «يـخبرون وينطقون ويُبدون ويرنمون» كشعب، كما أن المرنم كفرد يقول «ألهج وأحدِّث». تسـبِّح الأجيـال المتتابعة من جماعة وأفراد الرب على أعماله المعجزية التي يجريها، وسـبق فأجراها مع آبائهم، وهم يثقون أنه سيجريها مع أولادهم. عندما كان بنو إسرائيل يحتفلون بعيد الفصح كان الأولاد يسـألون آباءهم: «ما هذه الخدمة لكم؟» فيجيبونهم: «هي ذبيحة فصح للرب الذي عبر عن بيوت بني إسـرائيل في مصر، لما ضرب المصريين وخلَّص بيوتنا» (خر ١٢: ٢٦، ٢٧). وقال موسـى في نشيده: «اذكر أيام القِدم، وتأملوا سـني دور فدور. اسـأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك» (تث ٣٢: ٧). ويـقول المؤمن: «اللهمَّ قد علَّمتني منذ صباي، وإلى الآن أخبر بعجائبك» (مز ٧١: ١٧).. وقال الرسـول بولس: «كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم الأموات، الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سـينجي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ٩، ١٠).

ثانياً - تسبيح الله الرحيم
(آيات ٨-١٠)

١ - **رحمته فاعلة**: الرب حنان ورحيـم، طويل الروح وكثير الرحمة. الرب صالح للكل، ومراحمه على كل أعماله» (آيـتا ٨، ٩). أعلن الله أنه حنان ورحيم (خر ٣٤: ٦) وكرر الأتقياء هذا الإعلان في كل عصر، فذكره الـمرنم في مز ٨٦: ١٥ و١٠٣: ٨، وردَّده الوالي نحميـا في صلاته (نح ٩: ١٦، ١٧)، والنبي يوئيل (٢: ١٣) والنبي يونان (٤: ٢). وليست رحمة الله مجرد مشاعر من جانبه، لكنها أفعال واقعية ملموسـة. إنها ترحم الخاطئ بالخلاص، وترحم المجروح بالعزاء، وترحم الحائر بالإرشاد. قال عنها النبي ناحوم: «صالح هو الرب. حصنٌ في يـوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليـه» (نا ١: ٧). وتظهر رحمته في جلالها الكامل في الفداء، فيـقول الوحي: «الجميـع أخطأوا وأعوزهم مجد الله. متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفارة» (رو ٣: ٢٣-٢٥). ويـقول: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالـذنوب والـخطايـا.. الله الـذي هو غني في الرحمة،

من أجل محبته الكثيـــرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايـــا أحيـــانا مع المســـيح. بالنعمة أنتم مخلّصون» (أف ٢: ١، ٤، ٥).

٢ - **رحمته مشكورة:** «يـــحمدك يا رب كل أعمالك ويباركك أتقياؤك» (آية ١٠). تخضع الطبيعة لقوانيـــن الله خالقها، وتشهد لعظمته بحجمها الهائل. أما الأتقيـــاء فيـــشعرون بعظمة رحمته التي لا يـــستحقونها، فيـــباركونه. لقد انبهرت عقولهم من رحمته فيمجدونه، وانبهرت بها قلوبهم فيحبونه، وانبهرت بها إرادتهم فيطيعونه، ويهتفون: «أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك. أغني للرب لأنه أحسن إليَّ» (مز ١٣: ٥، ٦).

ثالثاً - تسبيح الله الملك
(آيات ١١-١٣)

١ - ***صاحب المُـلك المجيد:*** «بمجد مُلكك يـــنطقون، وبجبروتك يتكلمون» (آية ١١). مُلكه مجيد وقوته عظيـــمة، يتحدث به الأتقياء. تكلم به نوح وعائلته بينما الطوفان يهلك الخطاة، ونطق به لوط بيـــنما تحرق النيران ســـدوم وعمورة. وهذا الجبروت في خدمة محبة الله، فهو الملك المحب الذي يقول: «كنت أجذبهم بحبال البشر، بربُط المحبة. وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم، ومددتُ إليه مـــطعماً إياه» (هو ١١: ٤). وفي مُلكه وسلطانه أعطى كل من يقبلون المسيح رباً وفادياً نعمة البنوية له (يـــو ١: ١٢)؛ وفي النهايـــــة يقول للتقي: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥: ٢١).

٢ - ***صاحب المُـلك المُعلَن:*** «ليعرّفوا بني آدم قدرتك ومجد جلال مُلكك» (آية ١٢). عندما يندهل الـــمؤمنون من مجد مُلـــك الله يـــخبرون البشر من حولهم بما فعله الله لهم. وكلما ذكرنا صُنع الفداء العجيـــب ننفذ وصية المســـيح لنا بخصوص التناول من العشاء الرباني: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يـــجيء» (١كو ١١: ٢٦)، وننفذ وصيـــته للمجنون الذي شُفي: «اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك» (مر ٥: ١٩).

٣ - ***صاحب المُـلك الأبـدي:*** «مُلكك مُلك كل الدهور، وســـلطانك في كل دور فدور» (آية ١٣). هذا مُلك الأزلي الأبدي، الذي قال عنه نبوخذنصر ملك بابل: «الآيـــــات والعجائب التي صنعها معي الله الـــعلي حسـُـن عندي أن أخبر بها. آيـــاته ما أعظمها، وعجائبه ما أقواها. ملكوته ملكوت أبدي، وسلطانه إلى دور فدور» (دا ٤: ٢، ٣).

رابعاً - تسبيح الله المحسن
(آيات ١٤-٢١)

١ - **يسند الساقط**: «الرب عاضدٌ كل الساقطين» (آية ١٤أ). يسقط الإنسان تحت ثقل الخطية التي تقيّده بسلاسل لا يفكه منها إلا الرب عاضد الساقطين، كما يسقط تحت وطأة الحزن فلا يرفعه إلا معزّي الحزانى ومريح التعابى «لأن سواعد الأشرار تنكسر، وعاضد الصدّيقين الرب.. من قبل الرب تتثبّت خطوات الإنسان، وفي طريقة يُسرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مُسندٌ يده» (مز ٣٧: ١٧، ٢٤). لهذا يدعوه المرنم: «اعضُدني حسب قولك فأحيا، ولا تُخْزني من رجائي» (مز ١١٩: ١١٦).

٢ - **يقيم المنحني**: «ومقوّمٌ كل المنحنين» (آية ١٤ب). ينحني الإنسان تحت ثقل الديون، أو بسبب الأمل الضائع، أو بسبب عجزه عن مواجهة المواقف. وعندما يصرخ إلى الرب يزيل الحِمل من على كتفه، ويعطيه قوة للاحتمال، كما شفى المسيح المرأة المنحنية التي لم تكن تقدر أن تنتصب، فطرد منها روح الضعف، فاستقامت ومجدت الله (لو ١٣: ١٠-١٧)، وكما قال لبولس بخصوص شوكة جسده التي تضرّع للرب بسببها: «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكمل» (٢كو ١٢: ٩).

٣ - **يطعم الجميع**: «أعين الكل إياك تترجّى، وأنت تعطيهم طعامهم في حينه. تفتح يدك فتُشبع كل حيٍّ رضى» (آيتا ١٥، ١٦). «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين.. لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت ٥: ٤٥، ٦: ٢٥-٢٧). لذلك قال المرنم: «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز ١٠٤: ٢٧، ٢٨). وتترجاه عيون الأتقياء ليشبعهم بالمسيح الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد (يو ٦: ٥١).

٤ - **يصنع البر**: «الرب بار في كل طرقه، ورحيم في كل أعماله» (آية ١٧). الرب بار عادل، وهو رحيم أيضاً. ولا تتصالح عدالته مع رحمته إلا في صليب المسيح، الذي فيه ينال العدل بكل جلاله حقَّه، لأن المسيح احتمل في جسده ونفسه عقوبة الخطية. وفي الصليب تظهر الرحمة بكل قوتها وجمالها، كما قال المرنم: «الرحمة والحق التقيا. البر والسلام تلاثما» (مز ٨٥: ١٠). «أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم.. لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطيةً لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه» (٢كو ٥: ١٨، ٢١). «وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره (بجلدته) شُفينا» (إش ٥٣: ٥).

٥ - **يستجيب الصلاة:** «الرب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق. يعمل رضى خائفيه، ويسمع تضرعهم فيخلّصهم» (آيتا ١٨، ١٩). الرب قريب قُرب المحب من حبيبه، فيسرع بالمعونة إليه وينصفه سريعاً (لو ١٨: ٨). ولا شيء يفصل الرب عن المحتاجين إلى رحمته، فهو قريب منهم، يُميل أذنه ويصغي إليهم وينجيهم (مز ٤٠: ١)، ويشجعنا الوحي بالقول: «اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب» (إش ٥٥: ٦). وكل من يدعوه بالحق من قلب مُخلص يجده السامع المجيب، لأنه يدعو بقلب مؤمن واثق، يحب الله ويخضع له. «شهوة الصدّيقين تُمنَح» (أم ١٠: ٢٤). «لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا له؟» (تث ٤: ٧). «قريب أنت يا رب، وكل وصاياك حق» (مز ١١٩: ١٥١).

٦ - **يصنع العدل:** «يحفظ الرب كل محبّيه، ويهلك جميع الأشرار» (آية ٢٠). هذا الملك يحسن للبار فيحفظه من شر الأشرار، ومن غواية تجارب إبليس، ومن اتّخاذ القرار الخاطئ. وفي عدالته يُهلك الشرير بشره، فعندما يحفر حفرة يسقط فيها، وعندما يدحرج حجراً يرجع عليه (أم ٢٦: ٢٧). وهذا ما اختبره المرنم، فقال: «هيّأوا شبكة لخطواتي. انحنت نفسي. حفروا قدامي حفرة. سقطوا في وسطها» (مز ٥٧: ٦). لهذا شجّع المسيح تلاميذه بالقول: «تكونون مُبغَضين من الجميع من أجل اسمي، ولكنّ شعرةً من رؤوسكم لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم» (لو ٢١: ١٧، ١٨). «لا ينعس حافظك.. الرب ظل لك عن يدك اليمنى» (مز ١٢١: ٣، ٥).

٧ - **يستحق التسبيح:** «بتسبيح الرب ينطق فمي، وليبارك كل بشر اسمه القدوس إلى الدهر والأبد» (آية ٢١). بدأ المرنم مزموره بأن رفع إلهه الملك العظيم الرحيم المحسن، وختمه بأن سبح له بالفم المعترف بالفضل، ثم أعلن أن كل البشر الذين تمتعوا بعطائه المقدّس وببرّه المقدّس يشاركونه التسبيح للاسم القدوس في هذا الدهر، وفي الدهر الآتي، ويهتفون جميعاً: «باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ٢).

«بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج».

المزمور المئة والسادس والأربعون

١ هلِّلويا. سبِّحي يا نفسي الربَّ. ٢ أسبِّحُ الربَّ في حياتي، وأرنِّمُ لإلهي ما دمتُ موجوداً.٣ لا
تتَّكلوا على الرؤساءِ، ولا على ابنِ آدمَ، حيثُ لا خلاصَ عندَه. ٤ تخرجُ روحُه فيعودُ إلى ترابه.
في ذلك اليوم نفسِه تَهلكُ أفكارُه.
٥ طوبى لمَنْ إلهُ يعقوبَ معينُه، ورجاؤُه على الربِّ إلهه ٦ الصانعِ السماواتِ والأرضَ، البحرَ
وكلَّ ما فيها. الحافظِ الأمانةَ إلى الأبدِ، ٧ المُجري حُكماً للمظلومين، المعطي خبزاً للجياعِ.
الربُّ يطلِقُ الأسرى. ٨ الربُّ يفتحُ أعينَ العُمي. الربُّ يقوِّمُ المُنحنين.الربُّ يحبُّ الصِّدِّيقين.
٩الربُّ يحفظُ الغرباءَ. يَعْضُدُ اليتيمَ والأرملةَ. أما طريقُ الأشرار فيُعوِّجُه. ١٠ يَملِكُ الربُّ إلى
الأبد. إلهُكِ يا صهيونُ إلى دورٍ فدور. هلِّلويا.

تسبيح المعين الوحيد

يسبِّح المرنم في هذا المزمور الرب المخلِّص والمنقذ الوحيد، ويحذِّر سامعيه من الاعتماد على أي مخلوق. وقد يقدم المخلوق معونته في أول الأمر، لكنها لا تستمر لأنه قابل للموت، أما الرب فهو الحي إلى الأبد. ومزمورنا هو أول خمسة مزامير تُعرف بمزامير الهللويا (١٤٦-١٥٠) لأنها كلها تبدأ بالكلمة «هللويا» وتنتهي بها (مزمور ١٤٧ يبدأ بالقول «سبحوا الرب» وهي نفسها كلمة هللويا)، كان اليهود يرتلونها في العبادة الصباحية. ويقول التقليد اليهودي إن النبيين حجي وزكريا اشتركا في جمع مزامير الهللويا الخمسة، وتضيف الترجمة السبعينية إلى بداية كل مزمور منها القول «لحجي وزكريا». ومزمورنا دعوة قوية لحمد الخالق لا المخلوق، فهو متَّكل جميع البشر، والمصدر الوحيد لكل خير وبركة، وهو يُجري الحق والعدل لكل أتقيائه، ويغفر الذنوب بقوة محبته، ويشبع الجياع من كنز غناه.

في هذا المزمور نجد،

أولاً - تسبيح الرب (آيتا ١، ٢)
ثانياً - عجز البشر (آيتا ٣، ٤)
ثالثاً- كفاية الرب (آيات ٥-١٠)

أولاً - تسبيح الرب
(آيتا ١، ٢)

يبدأ مزمورنا وينتهي بكلمة «هللويا» وهي كلمة عبرية معناها «سبحوا يهوه» أو «سبحان الله» ويُقصد بها تمجيد الرب، واشتُقَّت منها الأفعال في معظم لغات الأرض، وهي تُرنَّم كترنيمة قائمة بذاتها في ألحان موسيقية مشهورة مثل «كورس هللويا» للموسيقار هاندل. وقد دخلت لغتنا العربية

كما دخلتها كلمة «أميــن» العبريـــة أيضاً، ومعناها «ثابت» أو «راســخ» أو «صادق» أو «أمين». وعندما نختم بها الصلاة نقصد أن نقول: «ليكن هذا الأمر» أو «استجب».

١ - **ضرورة التسـبيح**: «هللويا. سبحي يا نفسي الرب» (آية ١). دعا المرنم إلى تسبيح الرب عامة، بادئاً بنفســه، فيقول لها بصيغة الأمر: «ســبحي يا نفســي». وكأنه يقول: سبّحيه أيتها النفس الواثقة بــالرب، والتي اختبرت صلاحه، وعاشت بفضل عونه وإحساناته. «باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته» (مز ١٠٣: ١، ٢). سبحي يا أعماقي، ويا ســريرتي المســتورة عن الناس والمكشوفة أمام خالقك، اشهدي لحقّه وجلاله ومحبته لك، وخبّري كم صنع بك ورحمك. رنمي للرب وافرحي به. حدّثيــه في أُنس ومحبة فإنه يــســمعك ويـــتلذذ بك. اجعلي الآخرين يرون فرحك بالرب ويعلمون ســبب الرجاء الذي فيك والذي يمكن أن يكون فيهم أيضاً.

٢ - **دوام التسبيح**: «أسبح الرب في حياتي، وأرنم لإلهي مادمت موجوداً» (آية ٢). لم يكن تسبيح المرنم من شفتيه فقط، بل كانت حياته كلها تســـبيحة للرب. ويشهد لهذا التسبيح تفكيره وسلوكه. وقد عزم أنه مادامت فيه نسمة حياة فلن يكف أو يمل من التسبيح والشكر. والمؤمن يسبح الرب حتى وهو يــجوز المصاعب «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً» (٢كو ٤: ١٧). وهو يسبح الذي خلقه وحمله كل الأيام الماضية، والذي سيظل يحمله إلى الشيخوخة وإلى الشيبة (إش ٤٦: ٤). ولما كانت حياة المؤمن أبدية في المســيح، فإن تسبيحه يبدأ هنا على الأرض ولا يتوقف أبداً في السماء، حيث عبيده يسبحونه بقيثارات الله (رؤ ١٥: ٢).

ثانياً - عجز البشر
(آيتا ٣، ٤)

١ - **نصيحة أمينة**: «لا تتكلوا علي الرؤســـاء ولا على ابن آدم، حيث لا خلاص عنده» (آية ٣). يــنهانا الــمرنم عن الاتكال على أصحاب النفوذ من الرؤســاء، بالرغم من أنهم قد يـــفوقوننا قوة أو مركزاً، فنلجأ إليهم ليســاعدونا ونحن نعتقد أن ســـلطتهم ستنهي مشاكلنا، وننسى أنهم تحت التجارب والآلام مثلنا، وأن عندهم احتيـــاجات يبحثون عمّن يســددها، ومشاكل يحتاجون إلى من يحلها. ومن همومهم القاتلة كيفية الاحتفاظ بســـلطانهم، مع أنه لو دام لغيرهم ما انتهى إليهم. أما الأغنياء فيخافون على ضيـــاع مالهم، ويقلقون على اســتثماره، ومهمومون بجمع المزيد منه، ويشكّون في المتعاملين معهم لئلا يخدعوهم. ومع هذا فالاعتماد على البشر وارد دوماً، حتى أن ربشاقى قائد جيش سنحاريب مــلك أشور عيّر حزقيا ملك يهوذا بقوله: «ما هو هذا الاتكال الذي اتكلته؟.. إنك قد اتكلت على عكاز

هذه القصبة المرضوضة، على مصر التي إذا توكأ أحد عليـــها دخلت في كفِّه وثقبتها. هكذا فرعون مـلك مصر لجميع المتوكلين عليه» (إش ٣٦: ٤، ٦). ونجرِّب أحياناً بأن نعتمد على نفوذنا الشخصي أو مركزنا الاجتماعي أو المالي، وفي لحظة يضيع ما نعتمد عليه! فلنســتمع إلى قول الحكيم: «توكَّل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد» (أم ٣: ٥). وهذا لا يعني الامتناع كلية عن طرق أبواب إخوة لنا ننشد معونتهم فالأخ للشدة يــولد (أم ١٧: ١٧). ولكن لنكن أولاً ناظرين إلى فوق، من حيث يأتي عوننا، فإن «معونتي من عند الرب، صانع السماوات والأرض» (مز ١٢١: ٢).

٢ - مبررات النصيحة: «ولا على ابن آدم، حيــث لا خلاص عنده. تخرج روحه فيعود إلى ترابه. في ذلك اليوم تهلك أفكاره» (آيتا ٣ب، ٤). يبرهن المرنم على صدق نصيحته بأربعة أمور:

(ا) البشر ضعفاء: لأنهم أبناء آدم، وكلمة «آدم» من الكلمة العبريـــة «أدماه» ومعناها الأرض، فقد «جـبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية» (تك ١: ٧). فرؤساء اليوم هم تراب الغد يدوسهم الإنسان والحيوان!

(ب) البـشر لا يـنجّون احدا: «لا خلاص عنده» الإنســان لا يســتطيع أن يخلص نفسه إن لم تأته معونة من أعلى، ولا يقدر أن يفدي نفســه من عقوبة الخطية. وإن كان عاجزاً عن إنقاذ نفسه، فكيف ينقذ غيره!

(ج) البـشر مائتون: «تخرج روحه فيعود إلى ترابه» (آية ٤أ). الإنسان تراب تذريه الريح. ومهما علا يــــوماً وملأ الجو فإن مصيره النهائي هو القبر. بعرق وجهه يأكل خبزاً حتى يعود إلى الأرض التي أُخذ منها. «لأنك تراب، وإلى تراب تعود» (تك ٣: ١٩). فكيف نتكل على العدم غير الموجود؟!

(د) تـدبـيرات الـبشر وقتيـة: «في ذلك اليوم نفســه تهلك أفكاره» (آية ٤ب). يظن الإنسان أنه باقٍ إلى الأبد، فيــحلم ويــخطط ويـطمح. ولكن ما هي حياتنا؟ إنها بخار يظهر قليلا ثم يضمحل (يع ٤: ١٤). كان يجب أن يقول: «إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك» (يع ٤: ١٥). والإنســـان الحكيم هو الذي يــصلي قائلاً: «عرِّفني يــــا رب نهايتي، ومقدار أيامي كم هي، فأعلم كيف أنا زائل. هوذا جعلت أيــــامي أشباراً، وعمري كلا شيء قدامك. إنما نفخة كل إنســان قد جُعل. إنما كخيال يتمشَّى الإنســـان» (مز ٣٩: ٤-٦). فكيف نتكل على زائل مثلنا؟ «هكذا قال الرب: ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه. مبارك الرجل الذي يتكل على الرب، وكان الرب متكله» (إر ١٧: ٥، ٧).

ثالثاً - كفاية الرب
(آيات ٥-١٠)

١ - **تطويب الواثق في الرب:** «طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه على الرب إلهه» (آية ٥). هناك سعادة وفرح ورجاء لمن تجيء معونته من عند الرب، الذي غيّر يعقوب المتعقب لأخيه عيسو وجعل منه «إسرائيل» الذي يجاهد مع الله، فقال: «صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك» (تك ٣٢: ١٠). من كان الرب معينه له فيض بركة ونبع سلام لا ينضب، به يتقوى ويحتمي ولا يخزى، لأن الرب صالح وأمين وأمانته إلى الأبد. حتى إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً، لن يقدر أن ينكر نفسه (٢تي ٢: ١٣). «طوبى للرجل الذي جعل الرب متكله، ولم يلتفت إلى الغطاريس والمنحرفين إلى الكذب» (مز ٤٠: ٤)، فيقول: «بك يا رب احتميت فلا أخزى إلى الدهر.. لأنك أنت رجائي يا سيدي الرب، متكلي منذ صباي» (مز ٧١: ١، ٥).

٢ - **أسباب الثقة في الرب:** (آيات ٦-١٠).

(ا) **الرب هو الخالق:** «الصانع السماوات والأرض، البحر وكل ما فيها» (آية ٦أ). في الرب كفاية المؤمن لأنه القوي خالق السماوات والأرض، وصاحب السلطان فيها كلها. سلطانه على السماوات وكل ما فيها من شمس وقمر ونجوم وكواكب، وهو موجد الأرض وما عليها والمسكونة والساكنين فيها، «قلب الملك في يد الرب كجداول مياه، حيثما شاء يُميله» (أم ٢١: ١). فنقول له: «أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد» (نح ٩: ٦).

(ب) **الرب أمين:** «الحافظ الأمانة إلى الأبد» (آية ٦ب). في الرب كفاية المؤمن لأنه أمين لوعوده، كما قال يشوع: «لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلّم الرب به بيت إسرائيل. بل الكل صار» (يش ٢١: ٤٥)، وقال سليمان الحكيم: «مباركٌ الرب الذي أعطى راحةً لشعبه إسرائيل حسب كل ما تكلم به، ولم تسقط كلمة واحدة من كل كلامه الصالح الذي تكلم به عن يد موسى عبده» (امل ٨: ٥٦).

(ج) **الرب عطوف:** (آيات ٧-٩).

في الرب كفاية المؤمن لأنه عطوف على الجميع، وقد قال المسيح: «روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لو ٤: ١٨، ١٩). ويذكر المرنم ثمانية أنواع من الناس الذين يعطف الرب عليهم:

(١) **المظلوم:** «المُجري حكماً للمظلومين» (آية ٧أ). الإنسان ظلوم لأخيه الإنسان لكن

«الرب يُجري العدل والقضاء لجميع المظلومين» (مز ١٠٣: ٦) فإن ظُلمت سلِّمه شكواك، وانتظره واصبر له، فإنه يقيم دعواك ويُخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة (مز ٣٧: ٦).

(٢) **الجائع**: «المعطي خبزاً للجياع» (آية ٧ب). أطعم بني إسرائيل في البرية أربعين سنة بالمن، وعندما طلبوا اللحم أعطاهم السلوى «لأنه يشبع نفساً مشتهية، وملأ نفساً جائعة خبزاً» (مز ١٠٧: ٩). وقد علّمنا المسيح أن نطلب منه خبزنا كفافنا (مت ٦: ١١)، وهو القادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر (أف ٣: ٢٠). وهو يشبع جوعنا الروحي بنفسه، فقد قال المسيح: «أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً» (يو ٦: ٣٥).

(٣) **الأسير**: «الرب يطلق الأسرى» (آية ٧ج). الرب يفك القيود ويطلق الأسير إلى الحرية. كان بطرس مسجوناً يحرسه ستة عشر جندياً، وصلّت الكنيسة من أجله، فأرسل الرب ملاكه وأيقظه وأسقط السلاسل من يديه ورجليه وفتح له باب السجن وأطلقه حراً (أع ١٢). وعندما كان بولس وسيلا سجينين في فيلبي «حدثت بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن، فانفتحت في الحال الأبواب كلها، وانفكت قيود الجميع» (أع ١٦: ٢٦).. على أن إطلاق الأسرى الأخطر والأهم هو تحرير أسرى الخطية الذين قيدهم إبليس، فيخلصهم الرب ويمنحهم حياة جديدة كما فعل المسيح مع السامرية (يو ٤) ومع المرأة الخاطئة (يو ٨) وزكا العشار (لو ١٩).. وهو يحرر من الخوف واليأس والفشل والمرارة والحقد والعادات السيئة «الرب فادي نفوس عبيده، وكل من اتكل عليه لا يُعاقب» (مز ٣٤: ٢٢).

(٤) **الأعمى**: «الرب يفتح أعين العمي» (آية ٨أ). يفتح أعين الجسد كما شفى المسيح المولود أعمى (يو ٩) والأعميين اللذين صرخا إليه فأعطاهما بحسب إيمانهما (مت ٩). وهو يشفي من عمى البصيرة الذي هو أخطر من عمى البصر، وقد قال المسيح: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة» (يو ٨: ١٢).

(٥) **المنحني**: «الرب يقوّم المنحنين» (آية ٨ب). شفى المسيح المرأة المنحنية التي لم تكن تقدر أن تنتصب البتة بعد أن ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة «ووضع عليها يديه، ففي الحال استقامت ومجدت الله» (لو ١٣: ١٣). وهو يقوّم كل من أثقلته الهموم فانحنى تحتها، لأنه القائل: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (مت ١١: ٢٨).

(٦) **الصدِّيق**: «الرب يحب الصدّيقين» (آية ٨ج). الصديق هو البار، أي صاحب الموقف السليم من الله، وليس أحد باراً في ذاته، ولكنه يتبرر بالإيمان بالمسيح، «فإذ قد تبررنا بالإيمان

لنا سـلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون» (رو ٥: ١، ٢). والرب يحب الصديقين لأنهم لم يحاولوا تبرير نفوسهم، بل لجأوا إلـى رحمته صارخيـن: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» فصاروا مبرَّريـن (لو ١٨: ١٣، ١٤). «أما خلاص الصديقين فمن قِبَل الرب، حصنهم في زمان الضيق» (مز ٣٧: ٣٩).

(٧) الغريب: «الرب يحفظ الغرباء» (آية ٩أ). يحفظ الرب الغريب المسافر العابر، غير المستقر، اللاجئ الذي ليـس له حق إقامة، لأنهم بلا معيـن. يهتم الرب بالطبقات المهمَّشة في المجتمع، لأنه خالقهم وأبوهم. وهو يـقول لكل من يـهتم بهم: «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). وليست الغربة مجرد اغتراب جسدي عن الوطن أو ابتعاد عن الأهل، فهناك اغتراب نفسـي وإحساس بالوحدة حتى لو كان الشخص يعيش بين أهله. وهناك وحدة واغتراب في المرض، فنصرخ للرب: «التفِتْ إليَّ وارحمني لأني وحد ومسكين أنا» (مز ٢٥: ١٦) فيسمعنا ويرد سبينا ويحفظ نفوسنا ويهدينا إلى سبل البر من أجل اسمه.

(٨) اليتيم والأرملة: «الرب يعضد اليتيم والأرملة» (آية ٩ب). يساند الرب من لا سند له. «غنّوا لله. رنـموا لاسمه.. أبو اليتامى وقاضي الأرامل الله في مسكن قدسه» (مز ٦٨: ٤، ٥). أسند الرب الأرملة وابنها اليتيم بعد أن أعطت النبي إيليا أولوية في الكعكة التي خبزتها، حتى أن «كوار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم ينقص حسب قول الرب الذي تكلم به عن يد إيليا» (١مل ١٧: ١٦). وتحنن المسيح على أرملة نايين وأقام وحيدها من الموت (لو ٧: ١٢-١٥).

(د) الرب يعاقب الشرير: «أما طريـق الأشرار فيعوِّجه» (آية ٩ج). في الرب كفاية المؤمن لأنه يـعاقب الشرير، ويخرج من عوجه بركة للمؤمن. «مكرهة الرب طريق الشرير» (أم ١٥: ٩) لأنها طريق الحيدان عن الرب، وليست طريق الوصية المستقيمة، والحائدون عن الرب في التراب يُكتَبون (إر ١٧: ١٣). ويـرد الـرب الـشر علـى رأس الشريـر، كما قال للملك أخآب الذي قتل نابوت اليزرعيلي واغتصب كرمه: «في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً» (١مل ٢١: ١٩). يعوِّج الرب طريق الشرير ليحمي المؤمن منه، فيخرج من الآكل أكل ومن الجافي حلاوة (قض ١٤: ١٤)، كما قال يـوسـف لإخوته: «أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً.. ليحيي شعباً كثيراً» (تك ٥٠: ٢٠).

(هـ) الرب هو الملك: «يـملك الرب إلى الأبد. إلهك يا صهيون إلى دور فدور. هللويا» (آية ١٠). في الرب كفايـة المؤمن لأنه ملك الملوك ورب الأرباب، وليـس لملكه نهايـة. كل ملوك الأرض يبيدون ويموتون، ولكن الرب حي إلى الأبد، يسبحه المؤمن لأنه ملك حياته المتربع على عرش قلبه

يـستحق شكره وتكريمه وحمده، يعظم اسمه ويعلن حقه ويعرّف بصلاحه ويخبر الجميع بجوده. الرب هو الســـيد منذ الأزل وإلى الأبد، وهو ليس محدوداً بمكان، وليس إله شعب دون شعب، وهو يقول: «وُجدت من الذين لم يطلبوني، وصرت ظاهراً للذين لم يســألوا عني» (رو ١١: ٢٠ مقتبسة من إش ٦٥: ١) وهو يقول: «من يغلب فســأجعله عموداً في هيكل إلهي، ولا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اســم إلهي واســـم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد» (رؤ ٣: ١٢).

هللويـــا! ســـبحوه. باركوه. مجدوه، يباركّكم ويحرســكم ويضيء بوجهه عليكم ويرحمكم، ويرفع وجهه عليكم ويمنحكم سلاماً (عدد ٦: ٢٤-٢٦).

المزمور المئة والسابع والأربعون

١ سبِّحوا الربَّ لأن الترنُّم لإلهنا صالحٌ. لأنه مُلِذٌّ. التسبيحُ لائقٌ. ٢ الربُّ يبني أورشليمَ. يجمعُ منفيِّي إسرائيلَ. ٣ يشفي المنكسري القلوبِ، ويَجْبُرُ كَسْرَهم. ٤ يُحْصي عددَ الكواكبِ. يدعو كلَّها بأسماءٍ. ٥ عظيمٌ هو ربُّنا وعظيمُ القوّةِ. لفهمِه لا إحصاءَ. ٦ الربُّ يرفعُ الودعاءَ، ويضعُ الأشرارَ إلى الأرضِ.

٧ أجيبوا الربَّ بحمدٍ. رنِّموا لإلهنا بعودٍ. ٨ الكاسي السماواتِ سحاباً. المُهيِّئِ للأرضِ مطراً. المُنبتِ الجبالَ عُشباً. ٩ المُعطي للبهائمِ طعامَها، لفراخِ الغربانِ التي تصرخُ. ١٠ لا يُسَرُّ بقوّةِ الخيلِ. لا يرضى بساقَي الرَّجلِ. ١١ يرضى الربُّ بأتقيائه، بالرّاجين رحمتَه.

١٢ سبِّحي يا أورشليمُ الربَّ. سبِّحي إلهَكِ يا صهيونُ. ١٣ لأنه قد شدَّد عوارضَ أبوابِكِ. باركَ أبناءَكِ داخلَكِ. ١٤ الذي يجعلُ تخومَكِ سلاماً، ويُشبعُكِ مِن شحمِ الحِنطةِ. ١٥ يرسلُ كلمتَه في الأرضِ. سريعاً جداً يُجري قولَه. ١٦ الذي يعطي الثلجَ كالصّوفِ، ويُذرّي الصَّقيعَ كالرَّمادِ. ١٧ يُلقي جَمْدَهُ كفُتاتٍ. قدّامَ بَرْدِه مَن يقفُ؟ ١٨ يرسلُ كلمتَه فيذيبُها. يهُبُّ بريحِه فتسيلُ المياهُ. ١٩ يُخبرُ يعقوبَ بكلمتِه وإسرائيلَ بفرائضِه وأحكامِه. ٢٠ لم يصنعْ هكذا بإحدى الأممِ، وأحكامُه لم يعرفوها. هللّويا.

التسبيح مُلذٌّ ولائق

هـذا مزمور تسبيح لله لا نعرف بالضبط زمن كتابته، فربما يكون قد كُتب أثناء العودة من السبي، وفيه يقدم الشعب الشكر لله الذي جمع شعبه من بلاد السبي وأعادهم إلى أرضهم تحقيقاً لنبوّة إرميا: «هـا أيامٌ تأتي يقول الرب وأرد سبي شعبي إسرائيل ويهوذا، يقول الرب، وأُرجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم إياها فيمتلكونها» (إر ٣٠: ٣)، وربما كُتب بمناسبة إعادة بناء أسوار أورشليم بقيادة نحميا، كما يقول الوحي: «وعند تدشين سور أورشليم طلبوا اللاويين من جميع أماكنهم ليأتوا بهم إلى أورشليم لكي يدشنوا بفرح وحمد وغناء بالصنوج والرباب والعيدان» (نح ١٢: ٢٧). وأياً كانت مناسبة كتابة المزمور، فهو دعوة مفتوحة لكل شعب الرب ليسبحوا الرب ويتغنوا بمراحمه وإحساناته، فتسبيحه لائق وواجب في كل وقت وكل ظرف، لأنه صالح ومحبته لا تتوقّف أبداً ولا تتغير، فنهتف: «أغـني للرب في حياتي. أرنم لإلهي ما دمت موجوداً، فيلذّ له نشيدي، وأنا أفرح بالرب» (مز ١٠٤: ٣٣، ٣٤).

فـي هذا المزمور ثلاثة أقسام رئيسية، يبدأ كل قسم منها بدعوة للتسبيح، يعقبها توضيح أسباب هذا التسبيح وموضوعه، ليذكر المؤمن جود الرب الدائم وذراعه الممدودة ويمينه القوية، فإن «الرب ملجأ

لشعبه» (يوء ٣: ١٦) و«الإله القديم ملجأ، والأذرع الأبدية من تحت» (تث ٣٣: ٢٧).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - شكر على ردّ السبي (آيات ١-٦)

ثانياً - شكر على العناية الإلهية (آيات ٧-١١)

ثالثاً - شكر على السلام (آيات ١٢-٢٠)

أولاً - شكر على ردّ السبي
(آيات ١-٦)

١ - **دعوة للتسبيح:** «سبحوا الرب لأن الترنّم لإلهنا صالح، لأنه مُلذّ. التسبيح لائق» (آية ١). هذه دعوة وهي في الوقت نفسه أمر.

(أ) **التسبيح صالح:** «سبّحوا.. لأن الترنم لإلهنا صالح». ارفعوا أصوات الحمد ليسمع الرب الصالح أصواتكم، و«ليس أحدٌ صالحاً إلا واحد وهو الله» (مت ١٩: ١٧)، والتسبيح يُسرُّه. وإن كانت الخليقة كلها تسبح ربَّ الكون فجديرٌ بنا أن نشترك معها في تمجيده، وهو القائل: «ذابح الحمد يمجدني، والمقوّم طريقه أُريه خلاص الله» (مز ٥٠: ٢٣). والتسبيح صالح للرب الصالح لجميع الذين يطلبون وجهه، فهو مصدر كل صلاح، وعندما نرنم له تصبح قلوبنا وأفكارنا صالحة، ونبتهج ونتقوى ونتشجع، ويزول عنا اليأس والخوف، ونهزم إبليس ونقوى على أعدائنا. والترنم لإلهنا صالح لمن يسمعون تسبيحنا، لأنه يدعوهم ليشتركوا معنا في أفراح التسبيح، عملاً بالوصية الرسولية: «أمسرور أحد؟ فليرتّل» (يع ٥: ١٣). والتسبيح أفضل استخدام للغة الكلام، وأمتع اجتماع يتناغم فيه الإخوة معاً فرحاً بالأب الواحد الذي يشتركون في الإنشاد له.

(ب) **التسبيح مُلذ:** «لأنه مُلذّ» (آية ١ب). ملذ للرب وملذ للمرنم، فهو ينعش العقل والقلب «سبحوا الرب لأن الرب صالح. رنموا لاسمه لأن ذاك حلو» (مز ١٣٥: ٣).

(ج) **التسبيح لائق:** «التسبيح لائق» (آية ١ج). لائق بالرب لأنه صاحب الفضل علينا، فنحن به نحيا ونتحرك ونوجد، وبدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً. وهو لائق بالجلال الإلهي، ولائق بنا لنردَّ له شيئاً من حسناته، فكل شيء عندنا هو من عنده. فلنقدم «في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه» (عب ١٣: ١٥). والتسبيح لائق لأنه تعبير عن محبتنا لمن أحبنا فضلاً وبذل نفسه عنا ليردَّ سبي نفوسنا من أرض الضلال ويعيدنا إلى حظيرته فيباركنا، ويوسّع لنا من بعد ضيق، ويقرّبنا إليه من بَعد بُعد، ويشفينا من بعد مرض، ويُشبعنا من بعد جوع، ويُلبسنا ثياب البر من بعد عري الخطية.

٢ – الدافع على التسبيح: (آيات ٢-٦).

(أ) الله يبني ويجمع: «الرب يبني أورشليم، يجمع منفيي إسرائيل» (آية ٢). عندما عصى بنو إسرائيل الرب سمح بسبيهم إلى بابل، فحرموا من عبادته في هيكله المقدس. وعندما انتهت سنوات السبي السبعون أعادهم إلى بلادهم فأعادوا بناء أسوار أورشليم المهدّمة، فامتلأت أفواههم ضحكاً وألسنتهم ترنماً للرب الصالح الذي جمعهم من بعد شتات، وسبّحوه لأنه يبني ما أخربه العدو، ولا يترك مدينته، ولا يتخلى عن أتقيائه، ويعين الضعيف ويقيم الساقط. فتحققت لهم نبوّة إشعياء: «مفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم، وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهد» (إش ٥١: ١١). ولا زال الرب يبني المؤمنين هياكل للروح القدس بعد أن هدمتهم الخطية وأبعدتهم عن الله «فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله: إني سأسكن فيهم، وسأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً» (٢كو ٦: ١٦).

(ب) الله يعزي: «يشفي المنكسري القلوب ويجبر كسرهم» (آية ٣). كم حزن بنو إسرائيل في السبي وهم يذكرون مدينتهم ومقدساتهم التي دنسها الوثنيون ودمروها، وحزنوا على خطاياهم التي أوقعتهم أسرى شعب وثني لا يعرف الله، فصارت آثامهم فاصلةً بينهم وبين إلههم ومكان عبادته. وقد عبّر الوالي نحميا عن هذا في قوله: «بكيتُ ونُحتُ أياماً، وصُمْت وصلَّيت أمام إله السماء. وقلت للملك.. كيف لا يكمد وجهي والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار؟» (نح ١: ٤ و٢: ٣). ولكن الرب عزّاهم وشفى قلوبهم الكسيرة برحمته.. واليوم يعزينا الرب، فقد جاء المسيح إلى أرضنا ليشفي منكسري القلوب (لو ٤: ١٨) من ارتكاب خطية، أو خيانة عزيز، أو فقد قريب، أو ضياع أمل، فتنحني النفس تحت هذا الحمل الثقيل وتصرخ إلى الرب، فيسمع، ويعصب ويجبر ويغفر ويشفي ويفدي من حفرة اليأس ويكلل بالرحمة والرأفة (مز ١٠٣). فما أمجد أن نذكر أن لنا رجاءً في المسيح الذي تألم مجرَّباً ويقدر أن يُعين المجرَّبين (عب ٢: ١٨).

(ج) الله يعرف: «يُحصي عدد الكواكب. يدعو كلها بأسماء. عظيم هو ربنا وعظيم القوة. لفهمه لا إحصاء» (أيتا ٤، ٥). قال الله لخليله إبراهيم: «انظر إلى السماء وعُدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها» (تك ١٥: ٥). وهو يقول للبشر: «ارفعوا عيونكم وانظروا: من خلق هذه؟ من الذي يُخرج بعدد جُندها، يدعو كلها بأسماء؟ لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقَد أحد.. أما عرفت، أم لم تسمع؟ إله الدهر الرب، خالق أطراف الأرض، لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص» (إش ٤٠: ٢٦، ٢٨). فلنسبّح خالق الكون الذي يعرف عدد النجوم التي خلقها، ويميّزها بأسماء، ولا يسقط كوكبٌ منها بدون أمره، فإنه خلق كل الأشياء، وهي بإرادته كائنة. لقد أوجدت كلمة قدرته الكون كله من لا شيء، وتحفظه إلى الدهر.

«كل ما شاء الرب صنع في السماوات وفي الأرض، في البحار وفي اللجج» (مز ١٣٥: ٦). وهو الذي أوجدنا، ويرعانا. حتى شعور رؤوسنا جميعها محصاة، ولا تسقط واحدة منها دون إذنه (متى ١٠: ٣٠). إنه يعرفنا بأسمائنا (يو ١٠: ٣)، ويشعر معنا، ويتضايق لضيقنا، وملاك حضرته يخلِّصنا (إش ٦٣: ٩) ويقول لنا: «لا تخف لأني فديتك. دعوتك باسمك، أنت لي» (إش ٤٣: ١).

(د) الله يحكم بالعدل: «الرب يرفع الودعاء، ويضع الأشرار إلى الأرض» (آية ٦). عندما أخطأ بنو إسرائيل عاقبهم الله بالعدل، وأسلمهم لأعدائهم. وفي السبي انكسرت قلوبهم على خطاياهم، فكان العادل الرحيم الذي حقَّق وعده لسليمان: «إذا تواضع شعبي الذين دُعي اسمي عليهم، وصلّوا وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طرقهم الرديئة، فإنني أسمع من السماء، وأغفر خطيتهم، وأبرئ أرضهم» (٢أي ٧: ١٤). رفع الله وجه نحميا الوديع المتواضع الذي اعترف بخطايا بني إسرائيل، وخطايا بيت أبيه، وخطاياه هو (نح ١: ٦) ووضع الأشرار الذين عطلوا بناء بيت الرب إلى الأرض. حقاً إن الرب «يحب الحق، ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يُحفَظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصدِّيقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد» (مز ٣٧: ٢٨، ٢٩). «معروفٌ هو الرب. قضاءً أمضى. الشرير يعلَق بعمل يديه. الأشرار يرجعون إلى الهاوية، كل الناسين الله» (مز ٩: ١٦، ١٧). أما الودعاء فطوبى لهم لأنهم يرثون الأرض (مت ٥: ٥).

ثانياً - شكر على العناية الإلهية
(آيات ٧-١١)

١ - دعوة للتسبيح: «أجيبوا الرب بحمد. رنِّموا لإلهنا بعود» (آية ٧). يكرر المرنم الدعوة لشعبه ليجيبوا على إحسانات الرب بالحمد والترنيم، بأصواتهم وآلاتهم الموسيقية. لقد ردَّ سبي الشعب الذي أخطأ فيجب أن يتجاوب شعبه معه بحمده والترنيم له. عندما أخطأ آدم وعصى الرب اختبأ من الرب، ففتَّش الرب عليه لأنه يريد أن يستر عريه. كان يجب أن يذهب آدم المخطئ إلى الرب معترفاً بذنبه طالباً غفرانه، ولما لم يفعل ناداه الله ليستره. ولا زال الرب يفتش عن كل ضال حتى يجده. «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم» (٢كو ٥: ١٩). فلنجب على صلاح الرب بالحمد من القلب واللسان، وليعلُ صوتنا مع آلات العزف قائلين: «قوّتي وترنُّمي الرب، وقد صار لي خلاصاً» (مز ١١٨: ١٤).

٢ - الدافع على التسبيح: (آيات ٨-١١).

(أ) شكر على الثروة الزراعية: «الكاسي السموات سحاباً المهيئ للأرض مطراً، المنبتِ الجبال عشباً» (آية ٨). يجب أن يحمد الشعب الرب لأنه لم يخلقهم ويتركهم للظروف، بل اعتنى

بـهم ودبّر كل احتياجاتهم، وهيّأ كل ما يجعل الزرع والأعشاب تنمو. حتى الجبال التي لا يسكنها أحد نالت نصيبها من عناية الرب كما تناله الوديان. «الســـــاقي الجبال من علاليه. من ثمر أعمالك تشبع الأرض. المنبت عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان، لإخراج خبز من الأرض» (مز ١٠٤: ١٣، ١٤).

(ب) شكر على الثروة الحيـوانية: «المعطي البهائم طعامها، لفراخ الغربان التي تصرخ» (آية ٩). نقدم الشكر للرب الذي يعتني بكل خليقته من ضعيف وقوي، فالبهائم ذات أحجام كبيرة وأجساد قوية، والإنســـان يستخدمها في مساعدته، لكن الرب يعطيها طعامها لأنها تعجز عن تدبير قوتها بنفسها. أما صغار الغربان العاجزة عن العناية بنفسها فتجد أيضاً الرعاية الإلهية. وقد سأل الله أيوب: «من يهيئ للغراب صيــــده إذ تنعب فراخه إلى الله وتتردد لعدم القوت؟» (أي ٣٨: ٤١). قال المســيح: «تأملوا الغربان. إنها لا تزرع ولا تحصد، وليـــس لها مخدع ولا مخزن. والله يُقيتها. كم أنتم بالحري أفضل من الطيور!» (لو ١٢: ٢٤). فلنشكر الرب الذي لا ينسى أحداً.

(ج) شكر على الـرضى الإلهي: «لا يُـســرُّ بقوَّة الخيل. لا يرضى بســاقي الرجل. يرضى الرب بأتقيائه، بالراجين رحمته» (آيتا ١٠، ١١). يتحدث المرنم عن أســـلحة الحرب في أيامه، فيذكر قوة الخيل وقدرة الرجال على ســـرعة الجري في الكر والفر، ويقول إن بني إسرائيل الذين لم يقدروا أن يصمدوا في الحرب أمام جحافل مملكة بابل، عادوا إلى أرضهم، بســـبب رضا الرب عليهم. ولم تقُم عودتهم على قوتهم الحربيـــة، بل على تقواهم وانتظارهم لرحمته، فالرب يكرم أتقياءه الذين يخشونه ويـــخضعون له بخوف المحبة وطاعتها. قال المرنم: «لن يخلُص الملك بكثرة الجيش. الجبار لا يُنقَذ بعِظم القوة. باطلٌ هو الفرس لأجل الخلاص، وبشدَّة قوته لا يـنجي. هوذا عيــــن الرب على خائفيه الراجين رحمته» (مز ٣٣: ١٦-١٨).

ثالثاً - شكر على السلام
(آيات ١٢-٢٠)

١ - دعوة لـلتسبيح: «ســبحي يا أورشليم الرب. ســبحي إلهك يا صهيون» (آية ١٢). لا يتوقف الـمرنم عن دعوة شعبه وتشجيعهم ليسبحوا ربهم الذي اختارهم ليكونوا دُعاة الحق والخير في العالم، فـقد اختار أورشليم وحصن صهيون مكاناً لإقامة هيكل سليمان. ويشجع المرنم شعبه ليفرحوا ويعلنوا عن فرحهم بالامتيـــاز والاختيار الإلهيين. ومن يجب أن يســبح الرب كشعب الرب الذي دُعي عليه اســمه، والذي ردَّ ســبيه بنعمته! فلنســـبح هذا الإله العظيم، الذي نحن له والذي نعبده وننتمي إليه، قائلين مع المرنم: «من لي في السماء؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض» (مز ٧٣: ٢٥).

٢ - **الدافع على التسبيح:** (آيات ١٣-٢٠).

(أ) عناية الله: (آيتا ١٣، ١٤).

(١) تمنح الحمايـــة: «لأنه قد شدَّد عوارض أبوابك، وبارك أبناءك داخلك» (آية ١٣). العوارض هي العتب الأعلى الذي يثبت فيه الباب لكي يدور فينفتح وينغلق بســـهولة (انظر نح ٣: ٣، ٦، ١٣-١٥). وقد شدَّد الله عوارض الأبواب العليا لكي لا تسقط، ولتنفتح لأهل البيت الداخلين بسلام، ولتنغلق في وجه الأعداء فيـــحمي الله شعبه، فيكونون «كطيور مُرفَّة. هكذا يحامي رب الجنود عن أورشليم. يـــحامي فيـــنقذ. يـــعفو فينجي» (إش ٣١: ٥). لقد حمى الله أبكار شعبه الموجودين داخل بيوتهم من الملاك المهلك، بينما هلك أبكار المصريين، لأن بني إسرائيل أطاعوا التوجيه الإلهي القائل: «يأخذون من الدم ويـــجعلونه على القائمتين والعتبة العليا.. ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم، فلا يـــكون عليـــكم ضربةٌ الهلاك حين أضرب أرض مصر» (خر ١٢: ٧، ١٣). والرب دائماً يـــحمي عوارض أبواب شعبه «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٨) لأن الذي فيـــها أقوى من الذي في العالم (ايـــو ٤: ٤). فما أجمل الوعد القائل: «على أســـوارك يا أورشليم أقمت حراساً لا يسكتون كل النهار وكل الليل» (إش ٦٢: ٦).

(٢) تمـــنح الطمأنينة: «الذي يجعل تخومك سلاماً، ويشبعك من شحم الحنطة» (آية ١٤). عناية الله بشعبه تجعل حدودهم آمنة، فلا يـــهاجمهم مُعتدٍ أثيـــم، بل يـــجعل أعداءهم يســـالمونهم، ويقول لهم: «ويســـكن شعبي في مسكن السلام، وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة» (إش ٣٢: ١٨). وحيث يســـود السلام تسود البركة، ويفيض الرب على شعبه بشبع من دسم الحنطة بحسب جوده «لأنه قبل هذه الأيام لم تكن للإنسان أجرة.. ولا سلامٌ لمن خرج أو دخل.. أما الآن.. زرْعُ السلام. الكَرْم يعطي ثمره، والأرض تعطي غلّتها، والسماوات تعطي نداها، وأُملِّك بقية هذا الشعب هذه كلها» (زك ٨: ١٠-١٢).

(ب) سلطان الله: (آيات ١٥-٢٠).

(١) سلطان كلمته: «يرســـل كلمته في الأرض. سريعاً جداً يُجري قوله» (آية ١٥). يدعو المرنم شعبه ليســـبِّحوا الرب صاحب الســـلطان، الذي يقول «كن فيكون» وهو الذي يأمر فيصير «قال الله: ليـــكن نور فكان نور» (تك ١: ٣). وكلمته تُجري مقاصده الصالحة. لم تســـقط كلمة واحدة من كل كـــلامه الصالح (١مل ٨: ٥٦). في القديم صارت كلمة الرب إلى شعبه بالأنبياء، ولكنه كلَّمنا في ابنه «الـــكلمة صار جسداً وحلَّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيدٍ من الآب، مملوءاً نعمة وحقاً» (يو ١: ١٤). تـــنازل «الكلمة» وهو المرتفع، واتضع وهو العالي، وافتقر وهو الغني لكي نستغني بفقره. كان الأنبياء يؤيدون رســـائلهم بالقول: «هكذا قال الرب». أما المسيح فكان يقول: «الحق الحق أقول لكم»

لأنه الكلمة والمتكلم، والرسالة والرسول، والنبي وموضوع النبوات، الذي دُفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض. قال للميت: «أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم» (لو ٧: ١٤، ١٥) «انتهر الريح وقال للبحر: اسكت. ابكم. فسكنت الريح وصار هدوء عظيم.. وقالوا.. من هو هذا؟ فإن الريح أيضاً والبحر يطيعانه» (مر ٤: ٣٩، ٤١). ولا زالت كلمته تعمل في القلوب، لأن «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهِّباً لكل عمل صالح» (٢تي ٣: ١٦، ١٧).

(٢) **سلطان قدرته**: «الذي يعطي الثلج كالصوف، ويذرّي الصقيع كالرماد. يلقي جَمْدَه كفتات. قدام بَرْده من يقف؟ يرسل كلمته فيذيبها. يهبُّ بريحه فتسيل المياه» (آيات ١٦-١٨). يدعو المرنم شعبه ليسبحوا الرب شكراً على قدرته الظاهرة في سلطانه على الطبيعة. في الشتاء يعطي الثلج الأبيض كالصوف، ويذري الصقيع رمادي اللون، ويُنزل الجليد كفتات الخبز، فيرتجف الإنسان من شدة البرد. وسرعان ما يجيء الربيع فتذوب هذه كلها، وتهب الرياح الدافئة فتذوب الثلوج. هناك مناطق حارة تهطل فيها الأمطار، وهناك مناطق قطبية تغطيها الثلوج، وتنبت في هذه وتلك أنواع مختلفة من النباتات. في هذه المناطق تعيش أنواع من البشر والحيوان والطير، دبر الله لكل منها الظروف والطعام التي تلائمها وتعينها على البقاء. ويشبّه المرنم الثلج بالصوف لأنهما يشتركان في اللون الأبيض، ولأن الرب صانعهما كليهما، ولأنهما لازمان للحفاظ على الحياة. ويصف المرنم الحالات التي نرى فيها الماء، فهو ثلج وجَمْد وصقيع، يذوب ليصبح ماءً يروي الأرض، فتنمو النباتات، ويأكل الإنسان والطير والحيوان، ويشربون.

(٣) **سلطان شريعته**: «يخبر يعقوب بكلمته، وإسرائيل بفرائضه وأحكامه» (آية ١٩). أحب الرب بني إسرائيل، وباركهم بشريعته، ووعظهم بأنبيائه، وعرّفهم بأحكامه وطرقه، فقال لهم موسى: «احفظوا واعملوا. لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب.. لأنه أي شعب عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا؟.. وأي شعب عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة؟» (تث ٤: ٦-٨). أعطى الرب كلمته لبني إسرائيل، وكلمنا في المسيح «الكلمة الحي» وهو يعطي الحياة الأبدية لكل من يقبل المسيح الفادي والمخلِّص في كل قبيلة وشعب وأمة ولسان.

(٤) **سلطان حريته**: «لم يصنع هكذا بإحدى الأمم، وأحكامه لم يعرفوها. هللويا» (آية ٢٠). اختار الله بني إسرائيل ليعطيهم شريعته مكتوبة على لوحي حجر أعطاهما لموسى كليمه، ليكونوا «مملكة كهنة وأمة مقدسة» (خر ١٩: ٦). ولكنهم احتفظوا بشريعة الرب لأنفسهم، ولم يعلّموها للوثنيين من حولهم، بل إنهم كسروها وعصوا. لقد دعاهم ليكونوا نوراً للعالم وملحاً للأرض، واختارهم ليخبروا

الأمم بحقّه، كما قال لإبراهيم: «أباركك.. وتكون بركة» (تك ١٢: ٢). لكنهم احتفظوا بالبركة لأنفسهم، فأخذها منهم وأعطاها لكل من يقبل فداء المسيح، وقال الوحي عن المسيح: «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١١، ١٢). فصار هؤلاء المؤمنون الأمة التي تعرف الشريعة، فتهتف مع صاحب المزمور «هللويا!». فسبحان الله الذي فتح باب الإيمان لكل من يقبله!

المزمور المئة والثامن والأربعون

**١ هلِّلويا. سبِّحوا الربَّ مِن السماوات. سبِّحوه في الأعالي. ٢ سبِّحوه يا جميعَ ملائكتِه.
سبِّحوه يا كلَّ جنودِه. ٣ سبِّحيه يا أيتها الشمسُ والقمرُ. سبِّحيه يا جميعَ كواكبِ النور. ٤ سبِّحيه
يا سماءَ السماوات، ويا أيتها المياه التي فوقَ السماواتِ. ٥ لتسبِّحِ اسمَ الربِّ، لأنه أمر فخُلقَت،
٦ وثبَّتها إلى الدَّهرِ والأبدِ. وضع لها حدّاً فلن تتعدّاه.**

**٧ سبِّحي الربَّ من الأرض يا أيتها التنانينُ وكلَّ اللججِ. ٨ النارُ والبَرَدُ، الثلجُ والضبابُ، الريحُ
العاصفةُ الصانعةُ كلمته، ٩ الجبالُ وكلُّ الآكام، الشجرُ المثمرُ وكلَّ الأرز، ١٠ الوحوشُ وكلُّ
البهائم، الدباباتُ والطيورُ ذواتُ الأجنحة، ١١ ملوكُ الأرضِ وكلُّ الشعوبِ، الرؤساءُ وكلُّ قضاةِ
الأرض، ١٢ الأحداثُ والعذارى أيضاً، الشيوخُ مع الفتيانِ، ١٣ ليسبِّحوا اسمَ الربِّ، لأنه قد تعالى
اسمُه وحدَهُ. مجدُه فوقَ الأرضِ والسماواتِ، ١٤ وينصبُ قرناً لشعبه، فخراً لجميعِ أتقيائه، لبني
إسرائيلَ الشعبِ القريبِ إليه. هلِّلويا.**

سبِّحوه في الأعالي

يبدأ هذا المزمور وينتهي بكلمة «هللويا» وهي كلمة عبرية معناها «سبحوا الرب» أو سبحان الله! فالمزمور ترنيمة شكر لله الذي ينصر شعبه، ويردّهم من سبيهم، ويقرِّبهم إليه، كما تقول الآية الأخيرة منه: «ينصب قرناً لشعبه، فخراً لجميع أتقيائه، لبني إسرائيل، الشعب القريب إليه. هللويا». ولعل هذا المزمور كُتب استجابةً لقول اللاويين لبني إسرائيل: «قوموا باركوا الرب إلهكم من الأزل إلى الأبد، وليتبارك اسم جلالك المتعالي على كل بركة وتسبيح. أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها. وأنت تحييها كلها، وجُند السماء لك يسجد» (نح ٩: ٥، ٦).

في هذا المزمور يدعو المرنم السماء وما فيها لتسبح الرب، فتستجيب الأرض لتسبيح السماء وتسبح معها. تبدأ السماء وتردُّ الأرض، فترنم الخليقة كلها معلنةً صلاح الرب الذي يستحق التمجيد والتسبيح، وتشترك كجوقة موسيقية متكاملة، ترفع ألحان الحمد للرب صخر الدهور الذي يُنعم على الكل. ونكاد نرى صاحب المزمور يطفر فرحاً كما فعل داود وجميع بني إسرائيل حين أصعد تابوت الرب بالهتاف وبصوت البوق «وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب» (٢صم ٦: ١٤). فلننقُل مع المرنم: «فأنا أيضاً أحمدك برباب، حقَّك يا إلهي. أرنم لك بالعود يا قدوس إسرائيل. تبتهج شفتاي إذ أرنم لك، ونفسي التي فديتَها» (مز ٧١: ٢٢، ٢٣).

في هذا المزمور نجد،
أولاً - السماء وما فيها تسبّح الرب (آيات ١-٦)
ثانياً - الأرض وما فيها تسبّح الرب (آيات ٧-١٤)

أولاً - السماء وما فيها تسبح الرب
(آيات ١-٦)

كان معظم الناس في زمن المرنم يعبدون الملائكة والشمس والقمر والنجوم، وهي معبودات باطلة. ويـــدعو المرنم هذه المعبودات الوثنية أن تبادر بإعلان عبادتها لله المعبود الوحيد، لأنه خالقها، حتى يخجل الذين يعبدونها، ويسجدون لخالقهم وخالق معبوداتهم. والمرنم يدعوهم بدعوة الله لهم: «أخبروا. قدّموا ليتشاوروا معاً. من أعلمَ بهذه منذ القديم؟ أخبر بها منذ زمان؟ أليس أنا الرب ولا إله غيري؟ إلهٌ بـار ومخلِّص. ليس سواي» (إش ٤٥: ٢١). ومن الغريب أننا لا نزال نسمع عن أناسٍ يأتون من بلاد بعيـــدة لزيارة الأهرامات وأبي الهول والمعابد المصرية القديمة ويقيمون عندها طقوســاً دينية لعبادة الشمس، كما لا تزال بعض القبائل البدائيـــة الوثنية تعبد المخلوق دون الخالق. ويحمّلنا هذا المزمور مســؤولية دعوة هؤلاء لعبادة الرب الخالق، فنذهب إلى العالم أجمع ونكرز بالإنجيل للخليقة كلها (مر ١٦: ١٥) «لأنه مكتوب: أنا حي يقول الرب، إنه لي ســتجثو كل ركبة، وكل لسان سيحمد الله» (رو ١٤: ١١، مقتبسة من إش ٤٥: ٢٣). ولقد رأى يوحنا اللاهوتي الحيوانات الأربعة، التي تمثّل الخليقة غيـر الناطقة «لا تزال نهاراً وليلاً قائلةً: قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء، الذي كان والكائن والذي يأتي» (رؤ ٤: ٨).

١ - دعوة للتسبيح: «هللويا. سبّحوا الرب من السماوات. سبحوه في الأعالي» (آية ١). قال بِلدد الشوحي، صديق أيوب: «هل من عددٍ لجنوده؟ وعلى من لا يشرق نوره؟» (أي ٢٥: ٣). وفي تهليل يدعو صاحب مزمورنا الخليقة الموجودة في الســماوات أن تسبّح الرب من عليائها من أجل الرفعة التي منحها وميّزها بها. ويدعو ســائر البشر ليشتركوا معه في تسبيح خالقهم، فتصعد أصواتهم إليه رائحةً عطرة. والتســبيح يفرح قلب الله لأنه يُســمعه صوت خليقته وعمل يديه، وهم يهتفون: «أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض، حيث جعلت جلالك فوق السماوات!» (مز ٨: ١).

٢ - المدعوون للتسبيح: (آيات ٢-٤).

(أ) الملائكة وجنوده: «سبّحوه يا جميع ملائكته. سبّحوه يا كل جنوده» (آية ٢). وكان هذا نداء داود: «باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند ســماع صوت كلامه. باركوا الرب يـا جميـــع جنوده، خدامه العاملين مرضاته» (مز ١٠٣: ٢٠، ٢١). وهذا ما رآهم إشعياء يفعلونه،

فقال: «رأيت السـيد جالسـاً على كرسي عالٍ ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه.. وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الـجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ١-٣). وهذا ما فعلوه عندما وُلد المسـيح، فظهر جمهورٌ من الجند السماوي مسبِّحين الله وقائلين: «المجد لله في الأعالـي، وعلى الأرض السـلام، وبالناس المسـرة» (لو ٢: ١٣، ١٤). وقال يـوحنا الرائي: «وسـمعتُ صوت ملائكة كثيرين حول العرش.. قائلين بصوت عظيم: مستحق هو الحمل المذبوح أن يـأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليـقة مما في السـماء وعلى الأرض وتحت الأرض، وما علـى الـبحر، كل ما فيـها قائلة: للجالس على العرش وللحمل البركة والكرامة والمجد والسـلطان إلى أبد الآبدين» (رؤ ٥: ١١-١٣). فهُم يسبحون سيد السماء والأرض، وهم جنوده، والأرواح التي يرسلها ليخدموا الذين سيرثون الخلاص (عب ١: ١٤).

(ب) الـشمس والـقمر والكواكب: «سبحيه يا أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور» (آية ٣). الله نور وليس فيه ظلمة البتة (١يو ١: ٥). ويدعو المرنم كل المخلوقات النورانية أن ترفع التسـبيـح لمصدر بهائها ولمعانها، والفاعل فيها لتضيء الكون، فقد «عمل الله النورين العظيمين: الـنور الأكبر لحُكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليـل. وجعلها الله في جَلد السـماء لتنيـر على الأرض» (تك ١: ١٦، ١٧). وهي تدور في فلكها تعلن دائماً مجد الصانع العظيـم المحب لخليقته. «السـماوات تحدِّث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه. يومٌ إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يبدي علماً» (مز ١٩: ١، ٢). واليـوم نسـبح الرب الذي لم يـتركنا في ظلام العالم وعتامة الخطية، بل أرسـل لنا المسـيـح يقول: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحيـاة» (يو ٨: ١٢). فلنسـلك كأولاد نور (أف ٥: ٨) وليضئ نور أعمالنا الحسـنة أمام الناس فيمجدوا أبانا الذي في السماوات ويشتركوا معنا في تقديم السبح له (مت ٥: ١٦).

(ج) سمـاء الـسماوات والمياه: «سـبحيه يا سـماء السماوات، ويا أيتها المياه التي فوق السماوات» (آية٤). سماء السماوات هي السماوات العُلى، وقد قال موسى: «هوذا للرب إلهك السماوات، وسماء السـماوات، والأرض وكل ما فيها» (تث ١٠: ١٤). وقد صعد الرسـول بولس إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢: ٢) وقالت الكتابات اليهودية المتأخرة إن السـماوات سبعٌ. والمرنم يدعو السماوات العُلى أن تـسبح خالقها، وتشاركها مياه السحب التي يقول عنها سفر التكوين: «قال الله: ليكن جَلَدٌ في وسط الـمياه. وليكن فاصلاً بين مياهٍ ومياه. فعمل الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. وقال الله: لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك» (تك ١: ٦-٩). وهذه المياه تحت أمر الرب الذي في سـنة ست مئة من حياة نوح فجَّر كل

ينابيع الغمر العظيم «وانفتحت طاقات السماء، وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة.. ثم ذكر الله نوحاً.. فهدأت المياه. وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء، فامتنع المطر من السماء» (تك ٧: ١١، ١٢ و٨: ١، ٢).

٣ – **موضوع التسبيح**: (آيتا ٥، ٦).

(أ) أمر فخلقت: «لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخُلقت» (آية ٥). يقول المرنم إن السبب الجوهري لقيام هذه المخلوقات بتسبيح الخالق هو أنه أوجدها بأمرٍ منه. ولو لم يكن الرب قد أمر ما وُجدت. وتحس الطبيعة كلها بهذا الشرف فتسبح الرب وتعلن مجده وعظمةِ صنع يديه. ونحن اليوم نسبحه لأنه خلقنا خليقة جسدية بالميلاد الجسدي، ومنّا من يسبحونه أكثر لأنهم صاروا خليقة جديدة روحية بالميلاد الثاني من فوق. فإن لم تكن قد نلت الميلاد الثاني، فلتسمع قول المسيح: «إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣: ٥، ٦). لقد خلقنا الرب على صورته، ولكننا أفسدنا هذه الصورة الأولى بخطايانا، وهو يُعيد خلقنا إن رجعنا إليه تائبين، فنقدر أن نقول: «نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

(ب) ثبّتها: «وثبّتها إلى الدهر والأبد» (آية ٦أ). أعمال الرب تسبحه لأنه خلقها ويثبّتها، فهو ضابط الكل، وفيه يقوم الكل (كو ١: ١٧)، وكلها كائنةٌ بقدرته وإرادته، وثابتة تشهد لصلاحه. «كلمة الرب مستقيمة، وكل صُنعه بالأمانة.. امتلأت الأرض من رحمة الرب. بكلمة الرب صُنعت السماوات وبنسمة فمه كل جنودها» (مز ٣٣: ٤-٦).

(ج) وضع لها حداً: «وضع لها حداً فلن تتعدّاه» (آية ٦ب). تسبح الخليقة الله لأنه جعل لها قوانين وحدوداً لا تتخطاها ولا تتعداها، فإن الرب هو «الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً، وفرائض القمرِ والنجوم للإضاءة ليلاً. الزاجر البحر حين تعجُّ أمواجه» (إر ٣١: ٣٥)، وهو الذي جعل عهده مع النهار والليل، فرائض السماوات والأرض (إر ٣٣: ٢٥).

وما فعله الرب بالطبيعة يفعله معنا، فقد خلقنا، وأعاد خلقنا، لأنه «إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧). ووضع لنا قوانين وشرائع لا يجب أن نتعداها لنحيا في رضاه وتطول حياتنا على الأرض، ليس بالضرورة بعدد السنين، بل بعمق الحياة وكمالها كما قال المسيح: «أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل» (يو ١٠: ١٠). فلنثبت في المسيح الذي قال: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ» (يو ١٥: ٤).

ثانياً - الأرض وما فيها تسبح الرب
(آيات ٧-١٤)

١ - المدعوون للتسبيح: (آيات ٧-١٢).

(ا) البحار وسكانها: «سبِّحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين، وكل اللجج» (آية ٧). يدعو التنانين والزحافات الضخمة بأنواعها، صاحبة الأحجام والقوات الضخمة لتسبِّح الرب الذي خلقها، عندما «قال الله: لتفِض المياه زحافات ذات أنفس حية.. فخلق التنانين العظام، وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها» (تك ١: ٢٠، ٢١). لتسبحه لأنه يعتني بها ويطعمها رغم ضخامة كمية الطعام الذي تلتهمه. ويطلب المرنم من اللجج، مكان سكن تلك التنانين أن تنضمَّ إلى ساكنيها في تسبيح الرب، لأنه جعل من الماء لججاً تحيا فيها الكائنات الضخمة كما تحيا فيها الصغيرة الحجم، وتبحر فيها القوية العنيفة مع الضعيفة الوديعة. وجعل تلك اللجج تحمل السفن الضخمة كما تحمل قوارب النزهة الرقيقة.

(ب) قُوى الطبيعة: «النار والبرد، الثلج والضباب، الريح العاصفة الصانعة كلمته» (آية ٨). يدعو المرنم ما ندعوه قُوى الطبيعة لتسبح الرب، وهي في الحقيقة قُوى الرب الظاهرة للعيان أو الخفية عن الرؤية، ولكن فعاليتها محسوسة، فإن «الريح تهبُّ حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب» (يو ٣: ٨). رأى المرنم في العاصفة أضواء البرق، مختلطة بأصوات الرعد، فيهطل البرد تارة، والثلج تارة أخرى، ويتكوَّن الضباب. وفي هذه كلها يعلن الرب عن قدرته، ويسدِّد بهذه الظواهر الطبيعية احتياجات خليقته «لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتُنبت وتعطي زرعاً للزارع وخبزاً للآكل، هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررت به، وتنجح في ما أرسلتُها له» (إش ٥٥: ١٠، ١١).

(ج) المرتفعات والنباتات: «الجبال وكل الآكام، الشجر المثمر وكل الأرز» (آية ٩). يطلب المرنم من الجبال والتلال أن تتضع أمام الرب العالي وتعظم اسمه وتشيد بترنمه. ويدعو الأشجار المثمرة، وأشجار الأرز العالية الدائمة الخُضرة ذات الرائحة العطرية أن تشارك الجبال في ترنيمها، وتنحني للسيد صاحب الفضل والسلطان. «الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً، وكل شجر الحقل تصفِّق بالأيادي» (إش ٥٥: ١٢). ويتعلم المؤمنون من الجبال المرتفعة ومن النباتات أن يدركوا ارتفاعهم بالرب فوق العالم وآلامه، فيتواضعون تحت يد الله القوية ليرفعهم في حينه (١بط ٥: ٦) ويكونون «كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل» (مز ١: ٣).

(د) **الحيوانات العجماء:** «الوحوش وكل البهائم، الدبابات والطيور ذوات الأجنحة» (آية ١٠). يدعو المرنم الوحوش التي تفترس لتحصل على طعامها، وكل البهائم التي تبحث عن قوتها، وكل ما يدب على الأرض كبُر أو صغُر، وطيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن والرب يقوتها، يدعو هذه كلها لتسبح الرب الذي يستحق أن يسمع منها أصوات الحمد والتسبيح، لأن مراحمه جديدة عليها كل صباح.

(هـ) **كل البشر:** «ملوك الأرض وكل الشعوب، الرؤساء وكل قضاة الأرض. الأحداث والعذارى، أيضاً الشيوخ مع الفتيان» (آيتا ١١، ١٢). تنتهي الدعوة للتسبيح بأن يدعو المرنم الإنسان تاج الخليقة ليسبح الرب، فيدعو كل البشر من كل مركز اجتماعي ورسمي، من كل جنس وعمر ليرتلوا لله. يبدأ بدعوة أصحاب السلطان من ملوك ورؤساء وقضاة، كلَّفهم الرب بحكم الشعوب بالعدل، ووضعهم في أعلى المناصب الرئاسية والقيادية، وأعطاهم الحكمة لعمل مشيئته الصالحة. ثم يتّجه بحديثه إلى الشعوب كلها ليرفعوا التسبيح لله، فتلهج ألسنتهم بترانيم الشكر والتسبيح للرب الصالح الذي يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون (١تي ٢: ٤).

وبعد أن دعا المرنم الشعوب عامة للتسبيح، اختصَّ بندائه فئات عُمْرية، منها البراعم الصغيرة في بداية الطريق من شبان وصبايا، فترتفع عيونهم لتنظر إلى جمال الرب، وتتطلع إلى غدٍ مشرق. ومنها الشيوخ بكل حكمتهم ووقارهم، والفتيان بكل قوتهم وحماسهم ليؤكدوا أن الرب هو الله، وأن كل ما عداه باطل وقبض الريح.

٢ - موضوع التسبيح: (آيتا ١٣، ١٤).

(أ) **يسبحون الاسم المجيد:** «ليسبحوا اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسماوات» (آية ١٣). اسم الرب دلالة على شخصيته، وإعلان عن صفاته وقدراته ومراحمه. «جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه» (حب ٣: ٣). «احمدوا الرب. ادعوا باسمه. عرّفوا بين الشعوب بأفعاله. ذكّروا بأن اسمه قد تعالى. رنموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً. ليكن هذا معروفاً في كل الأرض» (إش ١٢: ٤، ٥). وليس اسم آخر قد أُعطي تحت السماء بين الناس به ينبغي أن نخلُص (أع ٤: ١٢). صنع رحمة وأجرى عدلاً، فامتلأ الكون من مجده، وهو المستحق وحده أن يأخذ المجد والكرامة والتسبيح.

(ب) **يسبحونه لأنه نصر شعبه:** «ينصب قرناً لشعبه، فخراً لجميع أتقيائه» (آية ١٤أ). يرمز القرن إلى القوة الغالبة، وعندما ينصب الله لشعبه قرناً يمنحهم النصرة والعزّة والكرامة، فيفتخر جميع أتقيائه وخائفيه بالواهب الناصر «كما هو مكتوب: من افتخر فليفتخر بالرب» (١كو ١: ٣١،

مقتبسة من إر ٩: ٢٣، ٢٤). «لأنك قلت: أنت يا رب ملجإي، جعلت العليَّ مسكنك، لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك. لأنه تعلَّق بي أنجيه، أرفِّعه لأنه عرف اسمي» (مز ٩١: ٩، ١٠، ١٤). «الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم، فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب.. هو فخرك وهو إلهك الذي صنع معك تلك العظائم والمخاوف التي أبصرتها عيناك» (تث ١٠: ١٥، ٢١).

(ج) يسبحونه لأنه قرَّبهم إليه: «لبني إسرائيل الشعب القريب إليه. هللويا» (آية ١٤ب). اختار الله بني إسرائيل وقرَّبهم إليه، لا لأنهم أكثر الشعوب، فهم أقل من سائر الشعوب، بل اختارهم من محبته لهم (تث ٧:٧). والقُرب من الله يعني المصالحة معه، فإن الخطية تفصل بيننا وبينه ولكنه يصالحنا لنفسه بيسوع المسيح، أي إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم (٢كو ٥: ١٨، ١٩). كما أن القرب منه يعني شركة الأنس به والحب له فنقول: «أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ٤). «فلستم إذاً بعد غرباء ونزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٩). والقرب منه يجعلنا نريد أن نتشبَّه به طاعة للوصية الرسولية: «كونوا متمثِّلين بالله كأولاد أحباء، واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا، قرباناً وذبيحة لله، رائحة طيبة» (أف ٥: ١، ٢). والقُرب منه يجعلنا في رعايته وعنايته، كما يعني أننا سنكون معه إلى الأبد، كما قال المرنم: «الرب راعيَّ فلا يعوزني شيء.. وأسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام» (مز ٢٣: ١، ٦).

ويختم المرنم مزموره بقوله «هللويا» سبحوا الله! سبحان الله!

المزمور المئة والتاسع والأربعون

١ هلّلويا. غنّوا للربّ ترنيمةً جديدةً، تسبيحته في جماعةِ الأتقياء. ٢ ليفرحْ إسرائيلُ بخالقه.
ليبتهجْ بنو صهيونَ بملكِهم. ٣ ليسبِّحوا اسمَه برقص. بدُفٍّ وعودٍ ليرنّموا له. ٤ لأن الربَّ راضٍ عن
شعبه. يُجمِّل الودعاءَ بالخلاص. ٥ ليبتهجِ الأتقياءُ بمجدٍ. ليرنّموا على مضاجعِهم. ٦ تنويهاتُ
اللهِ في أفواهِهم، وسيفٌ ذو حدّين في يدِهم، ٧ ليصنعوا نقمةً في الأممِ وتأديباتٍ في الشعوب، ٨
لأسْرِ ملوكِهم بقيودٍ وشرفائهم بكبولٍ من حديدٍ. ٩ ليُجْروا بهمُ الحُكْمَ المكتوبَ. كرامةٌ هذا
لجميعِ أتقيائه. هلّلويا.

يجمّل الودعاء بالخلاص

يبدأ هذا المزمور وينتهي بكلمة «هللويا» أي سبحوا الرب، أو سبحان الله، وفيه يدعو المرنم شعب الله ليسبحوا الرب، لأنه اختارهم لنفسه من كل قبيلة وشعب وأمة ولسان، ليحمدوه ويرفعوا اسمه ويهللوا بتمجيده، ويصنعوا مشيئته ويحققوا مقاصده. إنهم خاصته الذين أحبهم وخلّصهم وكلّفهم أن يحملوا أخباره السارة وحقه إلى كل الشعوب. وهم مدعوون لتسبيحه على حاضرهم المؤمَّن عنده، وعلى مستقبلهم المضمون بيده. ويحذِّر المزمور الشعوب المعادية لعبادة الله بسوء العقاب «لأن الأمّة والمملكة التي لا تخدمك تبيد» (إش ٦٠: ١٢).

في هذا المزمور نجد،

أولاً - تسبيح لأجل الحاضر (آيات ١-٤)

ثانياً - تسبيح لأجل المستقبل (آيات ٥-٩)

أولاً - تسبيح لأجل الحاضر
(آيات ١-٤)

١ - صفات المسبِّحين: (آيتا ١، ٢).

(أ) نالوا بركة جديدة: «هللويا، غنوا للرب ترنيمة جديدة» (آية ١أ). منح الله المؤمنين بركات متنوعة، وفي كل يوم تتجدد مراحمه عليهم، لأن أمانته كثيرة (مرا ٣: ٢٣، ٢٤). وكلما ينال المؤمن بركة جديدة يرتل ترنيمة جديدة شكراً على الفضل الجديد. إن معاملات الرب مع المؤمنين عجيبة ومتنوعة وسخية وبلا حدود، وهو يستحق منهم شكراً جديداً كل يوم. لقد منحهم حياة جديدة بعد أن أشرفوا على موت محقق، وأنقذهم من مخاطر مؤكدة ومن تجارب أكبر من قدرتهم على احتمالها، وأمدّهم باحتياجاتهم اليومية. وهو لا يزال يجود على شعبه ليعلن لهم فضله وصلاحه وغناه بطرق

ملموســة واضحة، فينعشهم ويجدد قواهم، لأنهم تعلموا شيئاً جديداً ودخلوا معه عمقاً جديداً، فيهتفون: «رنـموا للرب يا أتقياءه واحمدوا ذكر قدسه.. عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنُّم»» (مز ٣٠: ٤، ٥). «اهتفوا أيها الصديقون بالرب. بالمســتقيمين يليق التسبيح. احمدوا الرب بالعود. بربابة ذات عشرة أوتار رنموا له أغنية جديدة. أحسـنوا العزف بهتاف» (مز ٣٣: ١-٣). «رنموا للرب ترنيمة جديــدة. رنمي للرب يا كل الأرض. رنموا للرب. باركوا اســمه. بشِّروا من يوم إلى يوم بخلاصه» (مز ٩٦: ١، ٢). وفي التسبيح يعلن المؤمنون محبتهم للرب، واعترافهم بإحسانه، وتمجيدهم لشخصه لأنه أحبهم أولاً.

(ب) هم اتقيــاء «تســبيحه في جماعة الأتقياء» (آية ١ب). يعلو صوت التســبيح وســط جماعة الأتـقياء، الذين يخافون الله، بعد أن بلغوا رأس المعرفة. والأتقياء هم الأمناء في أداء واجباتهم للرب، وهم المســـرورون جداً بوصاياه التي تصيِّر الجاهل حكيماً، الذين يُقال عنهم: «طوبى للرجل المتقي الرب المســـرور جداً بوصاياه» (مز ١١٢: ١).. وهم يتَّقون الرب ويخافونه ليس رعباً من العقاب، ولا طاعة لأوامر ســيدٍ قاس، ولكنه يخشونه خشية الحرص على مرضاة من يحبون ويهابونه مهابة الحب والاحترام. والأتقياء هم الذين يرتلون ترنيمة جديدة تتجدد كل يوم. ومن يسبح الرب كما يسبحه الأتقياء؟! ومن يعلن فضله كما يعلنه مختاروه؟! إنهم يعلنون عن فضله بألسنتهم وبسلوكهم.

(ج) هم فرحانون: «ليفرح إســـرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم» (آية ٢). يدعو المرنم محبي الرب ليرتلوا للرب ترتيل الفرح لسببين:

(١) لأنه الخـالق: هم فرحانون بربِّهم الصانع الماهر والفخاري العظيــم، الذي يصنع من الأتقياء أواني للكرامة نافعة لخدمته، مســـتعدة لكل عمل صالح (٢تي ٢: ٢١). «إذاً إن كان أحدٌ في المسيح فــهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧). فهو يستحق أن نذبح له ذبيحة الحمد، أي ثمر شفاه معترفة باسمه (عب ١٣: ١٥). «هلمَّ نسجد ونركع ونجثو أمام الرب خالقنا. لأنه هو إلهنا ونحن شعب مرعاه، وغنم يده» (مز ٩٥: ٦، ٧).

(٢) لأنه الملـك: وهم فرحانون بربهم الملك الذي يــشرِّع لهم، وشريعته كاملة ترد النفس وتهديها إلى ســبل البر والاســتقامة، وتضمن الوصول إلى الأبديــة الســعيدة. وتتحدى شريعة الملك حرية الــمتسيِّبين، لكنها تضمن للمطيعين الأمان وبلوغ الهدف، فالشريعة مثل القضبان اللازمة لسلامة سير القطار.. وهو الملك الذي يخطط لشعبه، فيقول له التقي: «عرفتُ يا رب أنه ليس للإنســـان طريقه. ليــس لإنســان يــمشي أن يــهدي خطواته» (إر ١٠: ٢٣). فيجيبه: «أعلِّمك وأرشدك الطريق التي تســلكها. أنصحك. عيني عليك» (مز ٣٢: ٨). والملك يهتم بحاضر شعبه ومستقبلهم، فيضع الخطط

لكفايتهم المادية والعاطفية والاجتماعية، ويدبر لهم احتياجاتهم فلا يعوزهم شيء.. وهو الملك الذي يدافع عن شعبه، حتى قال موسى لشعبه وهو يرى البحر الأحمر أمامه، وجيش فرعون وراءه: «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر ١٤: ١٤). وقال المسيح: «خرافي تسمع صوتي، وأنا أدعوها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي» (يو ١٠: ٢٧، ٢٨). فيقول المؤمن: «إن نزل عليَّ جيشٌ لا يخاف قلبي. إن قامت عليَّ حربٌ ففي ذلك أنا مطمئن» (مز ٢٧: ٣).. وهو الملك الذي يقضي لشعبه، «الله هو القاضي. هذا يضعه وهذا يرفعه» (مز ٧٥: ٧). عيناه تريان كل شيء، وهو يعرف خفيات القلوب، فيُحسِن إلى كل من يفعل مشيئته ويجازيه علانية، ويعاقب الظالم وينقذ المظلوم من يده، فيقول الذي أُنصف: «تبتهج شفتاي إذ أرنم لك، ونفسي التي فديتها، ولساني أيضاً اليوم كله يلهج ببرك» (مز ٧١: ٢٣، ٢٤).

٢ - **التعبير عن التسبيح:** «ليسبحوا اسمه برقص. بدفٍ وعودٍ ليرنموا له» (آية ٣). نحن نعبِّر لله عن تسبيحنا بالأسلوب الذي ينبع من حضارتنا. وفي زمن المرنم كان الناس يعبِّرون عن شكرهم لله بالرقص، وكانوا يستخدمون الآلات الموسيقية التي يعرفونها من دف وعود. وهذا ما فعلته مريم أخت هارون وقت الخروج من مصر، فيقول الوحي: «أخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم: رنموا للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر» (خر ١٥: ٢٠، ٢١). لقد عبَّرت مريم والنساء معها بالكلمات والموسيقى والرقص، بالشفاه وبالأجساد، بالقلب والفكر عن فرحهن وتعظيمهن للرب الذي أنقذ شعبه. وقد ينتقد بعضنا اليوم استخدام الرقص والدف والعود للتعبير عن محبتنا للرب، كما انتقدت ميكال بنت الملك شاول زوجها داود، فيقول الوحي: «داود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات من خشب السرو، بالعيدان وبالرباب وبالدفوف وبالجنوك وبالصنوج.. خرجت ميكال.. وقالت: ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم، حيث تكشَّف اليوم في أعين إماء عبيده كما يتكشف أحد السفهاء» (٢صم ٦: ٥، ٢٠).. ولكن المرنم في مزمورنا يعبِّر للرب عن شكره وتسبيحه بالأسلوب الذي كان يناسب مجتمعه.

٣ - **دوافع التسبيح:** (آية ٤).

(أ) رضى الرب: «لأن الرب راضٍ عن شعبه» (آية ٤ أ). أعظم ما يرجوه إنسان من ربه أن يرضى عنه، فيقول: «جعلتَ سروراً في قلبي أعظم من سرورهم إذ كثرت حنطتهم وخمرهم. بسلامة أضطجع، بل أيضاً أنام، لأنك أنت يا رب منفرداً في طمأنينة تسكنني» (مز ٤: ٧، ٨). ولا يرضى الرب عنا لصلاحٍ فينا، ولكن لأجل محبته الكثيرة «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). وكل من يحتمي في كفارة المسيح

يـــنال رضى الرب، لأن الرب لا يعود يرى خطايا الخاطئ التائب، بل يرى عمل المســيح الكفاري الذي ستره، فيحسب له بر المسيح. لهذا ندعو الله: اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا خطايانا.

(ب) جمال الحياة: «يُجمِّل الودعاء بالخلاص» (آية ٤ب). أفسد العصيان الصورة الجميلة البريئة والطبيعة النقية التي خلق الله الإنسان الأول عليها. فقد «خلق الله الإنســـان على صورته» (تك ١: ٢٧) ولكن الجميع زاغوا وفســـدوا، وصار الإنسان ظلوماً كفاراً. وعندما ينظر الله من سمائه ليرى هل من فاهم طالب الله، يـــجد أن الجميع فســدوا، فينادي بكل الحب: «التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض، لأني أنا الله وليــس آخر» (إش ٤٥: ٢٢)، ويـــقدِّم الخلاص المجاني للبشر جميعاً. وطوبى للمســـاكين بالروح الذين يدركون حاجتهم المُلحَّة إلى رحمة الله، فيصرخون: «اللهمَّ ارحمني أنا الخاطي» (لو ١٨: ١٣). ويصلّون مع داود: «قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله، وروحاً مســـتقيماً جدِّد في داخلي» (مز ٥١: ١٠). ويجمِّل الله الخاطئ التائب بأن يلبسه ثياب الخلاص ويكسوه برداء البر (إش ٦١: ١٠). هذا هو لباس التقوى الذي يواري الســيئات، وهو رداء تســـبيح من عند الله عوضاً عن الروح اليائسة (إش ٦١: ٣). وكل من يرتدي ثياب الخلاص تتغير صورته في نظر نفسه وفي أعين الآخريـــن، لأن الله الذي يــــغفر لنا يقدِّســـنا كل يوم. ويذكر الوحي أنواعاً من الخطايا، يقول بعدها للمؤمنين: «وهكذا كان أناسٌ منكم. لكن اغتســلتُم، بل تقدَّســـتم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو ٦: ١١).

يـــديـــر الله أعظم معهد تجميـــل. إنه يجمِّل الشفتين بالكلام الصالح، والأذنين بالاســـتماع للكلام الـــصالح، واليدين بالعمل الصالح، والرِّجلين بالذهاب إلى المكان الصالح. وما أسعد الوديع المتواضع القابل للتعلُّم الذي يجمِّله الله بالخلاص من خطاياه.

ثانياً - تسبيح الأجل المستقبل
(آيات ٥-٩)

١ – صفات المسبِّحين: (آيتا ٥، ٦).

(ا) ممـــجَّدون: «ليبتهج الأتقياء بمجد» (آية ٥أ). الأتقياء في مجد لأنهم ثابتون في الرب، فرحانون به، تتفرَّس عيونهم في جماله، وهم يســـتمدون سلوكهم من شريعته، وينتظرون المجد الذي يكللهم الله بـــه، فيقولون بعد حياة جهاد طاهرة: «جاهدتُ الجهاد الحسن. أكملت السعي. حفظت الإيمان. وأخيراً قد وُضع لي إكليـــل البر، الذي يـــهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تي ٤: ٧، ٨). وكل تقي يهاب الله ويخاف من أن يعصى حبيبه، ينال نصيـــب اســـتفانوس، الـــشهيـــد الـــمســـيـــحي الأول، فقد «شخَصَ إلـــى الـــســـماء وهو ممتلئ

من الروح القدس فرأى مجد الله، ويســـوع قائماً عن يمين الله» (أع ٧: ٥٥). ما أعظم المجد الذي يــعيــشه التقي على الأرض محفوظاً في يدي الله. وما أعظم المجد الذي ينتظره بعد الوفاة، كما قال المسيح للص التائب: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو ٢٣: ٤٣).

(ب) مستريحون: «ليرنموا على مضاجعهم» (آية ٥ب). عند حلول الليل يهجع التقي في مضجعه فيخلو إلى نفسه، يذكر فضل الله عليه، ويقول: «بشفتي الابتهاج يسبحك فمي إذا ذكرتُك على فراشي. في السُّهد ألهج بك، لأنك كنت عوناً لي، وبظل جناحيك أبتهج» (مز ٦٣: ٥-٧). ثم يحاســب نفسه ويــقيّم ما فعله خلال يومه. فإن أحسن يشكر الله صاحب الفضل الذي ساعده ليعمل الحسن. وإن أساء يعلن توبته إلى الرب في صلاة خاشعة، فيؤكد الله له الغفران، فيرتاح قلبه ويتهلل لسانه في مضجعه. وحتى عندما يــضطجع المؤمن مريــضاً فإنه يرنم، لأن «الرب يعضده على فراش الضعف. مهّدت مضجعه كله في مرضه» (مز ٤١: ٣)، ولأنه يعلم أن الرب شافيه (خر ١٥: ٢٦).

(ج) مُخبرون: «تنويــهات الله في أفواههم» (آيــة ٦أ). يــنوّهون دائماً بفضل الله ويعظّمونه كلما تحدّثوا، ويلهجون بمحبته، فتنطق ألسنتهم بكثرة مراحمه، ويعلنون للجميع معاملات عنايته، ويخبرون بــصنيعه معهم. في ناموس الرب مسرتهم، في شريعته يلهجون نهاراً وليلاً (مز ١: ٢). فلنشهد للرب ونلهج بذكره على الدوام، فيهرب منا كل خوف، ويرتفع عنا كل اضطهاد، ويأتينا كل عون وفرح ونصرة.

(د) متسلّحون: «وســيف ذو حدّين في يدهم» (آية ٦ب). لا يتحدث المرنم عن ســيف أو رمح معدني من أســلحة الحرب، بل عن كلمة الرب التي هي سيف الروح (أف ٦: ١٧)، وهي قوية فعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وتخترق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، وتميّز أفكار الــقلب ونياته (عب ٤: ١٢). ويفهم التقي أن سلاحه روحي، حسب القول الرسولي: «أسلحة محاربتنا ليســت جســـدية، بل قادرة على هدم حصون» (٢كو ١٠: ٤). وموقف المسيحي من أسلحة الحرب المادية القاتلة هو موقف ســيده المســيح، فعندما جاء يهوذا الإسخريوطي ومعه «جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤســاء الكهنة وشيوخ الشعب.. وإذا واحد من الذين مع يسوع مدّ يده واستلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه. فقال له يســوع: رُدَّ ســيفك إلى مكانه، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦: ٤٧-٥٤).

٢ - **نتيجة التسبيح:** (آيات ٧-٩).

كل كلمة تسبيح، وكل لهج باسم الرب، يحمل إنذاراً للخطاة أن يتوبوا، ونداءً للبعيدين أن يرجعوا.

(أ) إدانة الــشعوب: «ليــصنعوا نقمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب» (آية ٧). النور يؤذي العين المريـــضة، وتســبيحات المؤمنين وفرحهم نور يضيء الطريق للذين يحبون الله، ولكنه يؤذي عيون

الأشرار لأنه يفضح خطاياهم، فيهاجمون أهل النور. قال المسيح: «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يــحب خاصته، ولكن لأنكم لســتم من العالم، بل أنا اخــترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم» (يو ١٥: ١٨، ١٩). ونقمة المؤمنين في الأمم ليست نتيجة كراهية، ولا هي تأديباتٌ بســلاح مدمر وجيوش قاتلة، فإن الوصية الرســولية تقول: «باركوا على الذيــن يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا. لا تجازوا أحداً عن شر بشر. إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عــطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه» (رو ١٢: ١٤، ١٧، ٢٠). لكن تأديب الشعوب يكون بإعلان رسالة المحبة والخلاص، فتكون الرسالة بركةً لمن يقبلها، ولعنة لمن يرفضها.

(ب) سبي الملوك: «لأسْــر ملوكهم بقيــود، وشرفائهم بكبولٍ من حديد» (آية ٨). المؤمنون الذين يســبحون الله يأسرون الملوك، فإن الله عيَّن الملوك والشرفاء ليطيعوه ويقيموا قضاءه. وإن لم يفعلوا يــؤدبهم ويــوقع بهم الهزيمة. وكانت العادة في الحروب أن الجيش الغالب يأخذ الملك المهزوم مقيداً أســيراً مذلولاً، كما يســوق نبلاءه مكبَّلين بقيود حديدية. والمرنم هنا يعلن انتصار ملكوت الله على ملكوت الظلمة، وتقييد رئيســه إبليس بالقيود، وتكبيل جنوده الشياطين بالكبول. وفي هذا القول رؤية مســتقبلية، لأن ملكوت المسيا سيهزم إبليس، فقد قال المسيح: «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من الســماء» (لو ١٠: ١٨)، وقال الرســول يهوذا إن «الملائكة الذين لم يحفظوا رياســتهم، بل تركوا مســكنهم، حفظهم (الرب) إلى ديــنونة اليوم العظيم بقيودٍ أبدية تحت الظلام» (يه ٦). ولذلك ينصح المرنم الملوك العصاة بالقول: «فالآن يــا أيــها الملوك تعقَّلوا. تأدَّبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبِّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق، لأنه عن قليل يتَّقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مز ٢: ١٠-١٢).

(ج) إجراء الحكم الإلهي: «ليُــجْروا بهم الحكم المكتوب» (آيــة ٩أ). كتب الله حُكماً يقول: «أجرة الخطيــة هي موت» (رو ٦: ٢٣) و«النفس التي تخطئ هي تموت» (حز ١٨: ٢٠). و«ويلٌ للذين يقضون أقضية البُطل، وللكتبة الذين يسجِّلون جوراً» (إش ١٠: ١). ويقول الله: «ها قد كُتب أمامي: لا أســكت بل أجازي. أجازي في حضنهم» (إش ٦٥: ٦). وقال أيــوب: «لأنك كتبتَ عليَّ أموراً مُرَّة، وورَّثتني آثام صباي» (أي ١٣: ٢٦). ولا بد أن يــنفذ الله الحكم المكتوب، وهو يكلِّف الأتقياء بتنفيذه، كما قال الوحي: «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟» (١كو ٦: ٢).

(د) كرامة الأتقيــاء: «كرامةٌ هذا لجميــع أتقيائه» (آية ٩ب). ينهزم الأشرار وينتصر المؤمنون، كرامة لجميــع الأتقياء، فإن الرب يكرم الذين يكرمونه، والذين يحتقرونه يصغرون (١صم ٢: ٣٠). فلنســبح الرب ونعلن حقه في كل الأرض، لأن تســبيحنا يقود بعض الناس للتوبة، ولكنه يحكم على

الأشـــرار بالهلاك. إن ترنيمنا شهادة للإله البار، وتهليلنا إعلان عن بركة وسعادة وسلام كل من يتبعه في ثقة ومحبة وطاعة، فنسـمع قوله: «تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ تأسـيس العالم» (مت ٢٥: ٣٤) ولكنه في الوقت نفسـه إعلان القضاء على الأشرار الذيـن يسـمعون الحكم الإلهي المخيـف: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المُعدَّة لإبليس وملائكته.. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٢٥: ٤١، ٤٦).

المزمور المئة والخمسون

**١ هللّويا. سبّحوا اللهَ في قُدسِه. سبّحوهُ في فلَكِ قوّتِه. ٢ سبّحوه على قُوّاتِهِ. سبّحوه حسبَ
كثرةِ عظمتِه. ٣ سبّحوه بصَوْتِ الصّور. سبّحوه بربابٍ وعودٍ. ٤ سبّحوه بدفٍّ ورقص. سبّحوه بأوتار
ومِزمار. ٥ سبّحوه بصُنوجِ التّصْويتِ. سبّحوه بصُنوجِ الهُتافِ. ٦ كلُّ نسَمَةٍ فلْتُسبِّحِ الربَّ. هللّويا.**

كل نسمة فلتسبح الرب

هـذا المزمور خاتمة سفر المزامير، كما أنه آخر مزامير التهليل الخمسة (١٤٦-١٥٠)، وهو قمة التسـبيـح والتمجيـد لله. ولا بد أن كل دموع المؤمن التقي وأنينه وحزنه على خطاياه، وضيقه من أعدائه، وخوفه من ضعفاته ينتهي بتسـبيحة شكر لله، لأنه «عند المسـاء يبيت البكاء، وفي الصباح ترنُّم» (مز ٣٠: ٥). في هذا المزمور يدعو المرنم كل نسـمة أن تسبح الرب لأنه مُعطي الحياة لكل الكائنات بنسـمة فمه. ويـدعو كل قوى السـماء والأرض، وكل خليـقة ظاهرة وغير مرئية لتفرح وتشترك في احتفال دائم بالرب الأزلي الأبدي.

ويستحث المرنم البشر ليعزفوا بكل آلة موسيقية متوافرة لديهم، عندهم وعند غيرهم من الشعوب، ليـرتفع النغم الجميـل بالثناء والحمد لله. وكل ثناء يـعلو على صوت الثناء والحمد لله يعني أننا قد أعطيـنا المجد لغيـره، ونكون قد ارتكبنا خيانةً ضده، وإننا قد أشركنا معه أحداً في عبادته، مع أن الوصية الرسولية تقول: «أيها الأولاد، احفظوا أنفسكم من الأصنام» (١يو ٥: ٢١). وكل من لا يسبّح الرب يسلبه حقه الواجب عليه. فعلى كل نسمة أن تسبح الرب.

المزموران الأول والأخير من مزامير التهليل الخمسة (١٤٦-١٥٠) يبدآن وينتهيان بكلمة «هللويا» لكنهما يختلفان في الفحوى، فالأول يطوِّب التقي الذي يلهج في ناموس الرب ويوضح الواجبات الروحية المطلوبة من التقي، والمزمور الأخيـر يدعونا لنملأ حياتنا بالتسـبيح بغير ملل. وهناك ارتباط كبير بين اللهج في ناموس الرب نهاراً وليلاً وتسبيح الرب، لأن صاحب القلب الممتلئ بكلمة الله يفيض لسانه تسبيحاً للرب.

في هذا المزمور تتكرر دعوة التسـبيح ثلاث عشرة مرة، وهي دعوة لكل الأتقياء أن يسـبحوا الـرب لأنه أنعم عليـهم بالتبني. فلنعلن عن محبتنا له وشكر قلوبنا على هذا الإنعام الإلهي الذي لا نستحقه لولا دم الحمل الكريم الذي فدانا بذبح عظيم.

في هذا المزمور نجد:

أولاً- تسبيح الرب (آيتا ١، ٢)

ثانياً - آلات التسبيح للرب (آيات ٣-٥)

ثالثاً - المسبِّحون للرب (آية٦)

أولاً - تسبيح الرب
(آيتا ١، ٢)

١ - **مكان تسبيح الرب:** «هللويا. سبحوا الله في قُدسه. سبحوه في فَلَك قوته» (آية١). «هللويا» نداء لعبيد الرب القدوس ليرفعوا آيات التسبيح ويشيدوا ترنماً وهتافاً لكلي القداسة، ونبع النقاء والمحبة. وهم «في قدسه» يجب أن يطيعوا الوصية الرسولية: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة، لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١: ١٥، ١٦ مقتبسة من لا ١١: ٤٤). وقُدس الرب هو كل مكان يتعبّد فيه الأتقياء للرب.

(أ) **قُدس الرب هو بيت العبادة:** الرب حاضر في كل مكان، لكنه حاضرٌ بصورة خاصة في بيته، كما يقول المسيح: «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨: ٢٠). وينصحنا المرنم: «هاتوا تقدمةً وادخلوا دياره. اسجدوا للرب في زينة مقدسة» (مز ٩٦: ٨، ٩) لأنه «ببيتك تليق القداسة يا رب» (مز ٩٣: ٥). فليكن تسبيحنا في بيته، مكان تقديسه وعبادته، حيث نصلي كما علّمنا المسيح: «ليتقدس اسمك». وقد لا يكون مكان عبادة الله كنيسة، بل قد يكون سجناً، فعندما سُجن بولس وسيلا في فيلبي أخذا يصليان ويرتلان ويسبحان الله بصوت مرتفع حتى سمعهما المسجونون. وحدثت زلزلة عظيمة زعزعت أساسات السجن، فانفتحت الأبواب وانفكّت قيود الجميع (أع ١٦: ٢٥، ٢٦).

(ب) **قُدس الرب هو مكان اختلاء المؤمن بالرب:** كل مكان يركع فيه المؤمن ليصلي هو قُدسٌ للرب، وقد أمرنا المسيح: «متى صلّيتَ فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك، وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (مت ٦: ٦). وما أجمل أن تمتزج صلوات المؤمن مع تسبيحه للرب، فيشكر ويطلب، ويحمد ويتضرع.

(ج) **قُدس الرب هو سماؤه:** قال المرنم: «سبحوه في فَلَك قوته» والفلك هو الجَلَد (تك ١: ٧). «الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيُّه» (مز ١١: ٤). هناك سماء الطيور، وسماء النجوم، والسماء العليا، حيث تسبح له الملائكة، وقد سمعهم النبي إشعياء يرتلون: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ١-٣). وفي السماء يرتل قديسوه الذين غسلوا ثيابهم وبيضوها بدم الحمل: «الخلاص لإلهنا الجالس على العرش، وللحمل» (رؤ ٧: ١٠).

والتسبيح في فلك قوة الله يجعلنا نتأمل قوة الله وقداسته. القوة بدون قداسة تظلم وتدمر، والقداسة بدون قوة لا تستطيع أن تنفذ. والرب بقوة قداسته لا يعسر عليه أمر، وكل عطية صالحة هي من عنده. فلنسبح هذا الإله العظيم القدوس القادر على كل شيء في كل مكان نتعبّد له فيه.

٢ - **سبب تسبيح الرب:** «سبحوه على قوّاته. سبحوه حسب كثرة عظمته» (آية ٢). يسبح المؤمنون

الـرب لأنهم يُجري معهم الآيات والمعجزات بحسب كثرة عظمته. وقواته ظاهرة في الخلق، فقد أوجد الموجود من العدم، بمجرد كلمة منه. وهو يجدِّد قلب الخاطئ بميلادٍ جديد من فوق، ويجعل من الفاسد قديسـاً «ليُظهِر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسـيح يسوع» (أف ٢: ٧). و«إن كان أحدٌ في المسـيـح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو ٥: ١٧).. وتظهر قوته العظيـمة في عنايـته بخليـقته التي يرزقها كلها. ويسـأل الله أيوب: «أتصطاد للّبوة فريـسـة؟ أم تُشبع نفس الأشبال؟» (أي ٣٨: ٣٩)، وقال المرنم: «كلها إياك تترجّى لـترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيراً» (مز ١٠٤: ٢٧، ٢٨). وقال المسيح: «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسـادكم بما تلبسـون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟» (مت ٦: ٢٥، ٢٦).

على أن أعظم أعمال الله هو محبته الفدائيـة، فقد أحبَّ أبويـنا الأوَّلين، وقبل أن يخلقهما هيَّأ لهما جـنة ليعيشا فيها ويتمتعا بثمارها. ولكن محبته لهما ظهرت أكثر بعد أن عصيا، فسترهما بجلد ذبيحة، وكان هذا السـتر رمزاً للسـتر الذي دبَّره المسيح لنا بفدائه وكفارته، فقال الرسول بولس: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسـوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفَّارةً، بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة، بإمهال الله. لإظهار برِّه في الزمان الحاضر ، ليكون باراً، ويبرر من هو من الإيمان بيسوع» (رو ٣: ٢٤-٢٦).

ثانياً - آلات التسبيح للرب
(آيات ٣-٥)

يـدعو المرنم المؤمنين ليستخدموا كل الآلات الموسيقية المتوافرة عندهم وعند غيرهم من الشعوب في رفع ألحان التسـبيح للرب القدوس. فالصور هو القرن أو البوق، استخدمه الإيطوريون. واستخدم الأركاديون المزمار، وهو يشبه الأرغول أو الأرغن. واسـتخدم الكريتيون العود، والمصريون الدف أو الطبلة الصغيرة، واسـتخدم العرب الصنوج أو الصاجات. ويريد المرنم أن يكون التسبيح مبهجاً، وأن لا يدَّخر المؤمنون وسعاً في الحصول على آلات العزف المفرحة.

١ - الـصور: «سبحوه بصوت الصور» (آية ٣أ). والصور هو قرن الثور أو الخروف، وعند النفخ فيه يُصدر صوتاً عالياً واضحاً يسمعه الجميع.

(أ) أعلن صوت الـصور نزول الوحي: عندما أعطى الله شريـعته لشعبه صاحبها صوت الصور (خر ١٩: ١٦). وعندما أعلن الرب رسـالة خاصة على يد الرسـول يوحنا للكنائس السبع، كان صوت

البوق يسبقها، فقال يوحنا: «كنت في الروح في يوم الرب. وسمعت ورائي صوتاً عظيماً كصوت بوق قائلاً: أنا هو الألف والياء. الأول والآخِر. والذي تراه اكتُب في كتاب وأرسِل إلى السبع الكنائس.. بعد هذا نظرت وإذا بابٌ مفتوح في السماء، والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً: اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا» (رؤ ١: ١٠، ١١ و٤: ١). والمقصود أن صوت الله دائماً واضح مسموع لا تخطئه الأذن. و«من له أذنان للسمع فليسمع» (مت ١٣: ٩).

(ب) **أعلن صوت الصور بدء الأعياد:** كان بنو إسرائيل ينفخون في الأبواق كلما أقبل أحد الأعياد، كما قيل: «انفخوا في رأس الشهر بالبوق، عند الهلال، ليوم عيدنا» (مز ٨١: ٣)، وكانوا يعلنون به بدء سنة اليوبيل، السنة التي يتحرر الناس فيها من الديون، وتعود الأرض المرهونة إلى أصحابها (لا ٢٥: ٩، ١٠). وقد أشار المسيح إلى سنة اليوبيل الحقيقية التي بدأت بمجيئه (لو ٤: ١٩)، لأنه «إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦).

(ج) **صوت البوق يعلن قدوم يوم الكفارة:** كان بنو إسرائيل يعلنون بدء يوم الكفارة العظيم بالنفخ في البوق، وهو يوم الصوم الوحيد عندهم، وفيه يدخل رئيس الكهنة أولاً إلى قدس الأقداس بدمٍ عن نفسه. ثم يخرج ليعود بدمٍ آخر ليكفر عن خطايا الشعب (لا ١٦: ٣٤ و٢٥: ٩). وهو رمز لعمل المسيح الكفاري على الصليب، فإن المسيح رئيس كهنتنا دخل إلى الأقداس بدم نفسه (لا بدمٍ عن نفسه) مرة واحدة، فوجد لنا فداءً أبدياً (عب ٩: ١٢).

(د) **صوت البوق يعلن التعبئة للحرب:** كان بنو إسرائيل ينفخون في الصور للتحذير والتعبئة للحرب (إر ٤: ٥). ونحن اليوم في حرب روحية مع إبليس وجنوده، فلنضرب دوماً بالبوق ليستعد الأتقياء كما أمر المسيح: «اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة» (مت ٢٦: ٤١). وكما أمرتنا الوصية الرسولية: «اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسدٍ زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين في الإيمان» (١بط ٥: ٨، ٩).

(هـ) **صوت البوق يعلن مجيء المسيح ثانية:** «لأن الرب نفسه سوف ينزل من السماء بهتافٍ، بصوت رئيس ملائكةٍ، وبوق الله. والأموات في المسيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب» (١تس ٤: ١٦، ١٧ راجع ١كو ١٥: ٥٢).

٢ - **رباب وعود:** «سبحوه برباب وعود» (آية ٣ب). وهما آلتان وتريتان، وللربابة عشرة أوتار وأحياناً اثنا عشر وتراً. واليوم توجد آلات وترية أخرى كالبيانو والكمان. وبالعزف على الآلات الوترية تصدر موسيقى حلوة تجذب القلوب، وتشد الانتباه بما يصاحبها من كلمات وتسبيحات لله. فلتصاحب هذه الآلات تسبيح الأتقياء ليتلذذ المرنمون والسامعون، ويمجدوا الله.

٣ - **الدف والرقص:** «سبحوه بدف ورقص» (آية ٤أ). الدف هو الطبلة الصغيرة تعزف عليها اليدان في إيقاعات مختلفة تترجم مشاعر الفرح بالرب. وفي الرقص يشارك الجسد والقدمان بالحركة، حسب الإيقاع، انطلاقاً وابتهاجاً. وقد كان الدف والرقص يصاحبان تسبيحات الفرح بعبور البحر الأحمر عندما «أخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها. وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص» (خر ١٥: ٢٠).

٤ - **أوتار ومزمار:** «سبحوه بأوتار ومزمار» (آية ٤ب). يمتزج العزف أحيانا بآلة وترية مع آلة نفخ، وكان أول من استخدم هذا الامتزاج «يوبال» الذي كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار (تك ٤: ٢١).

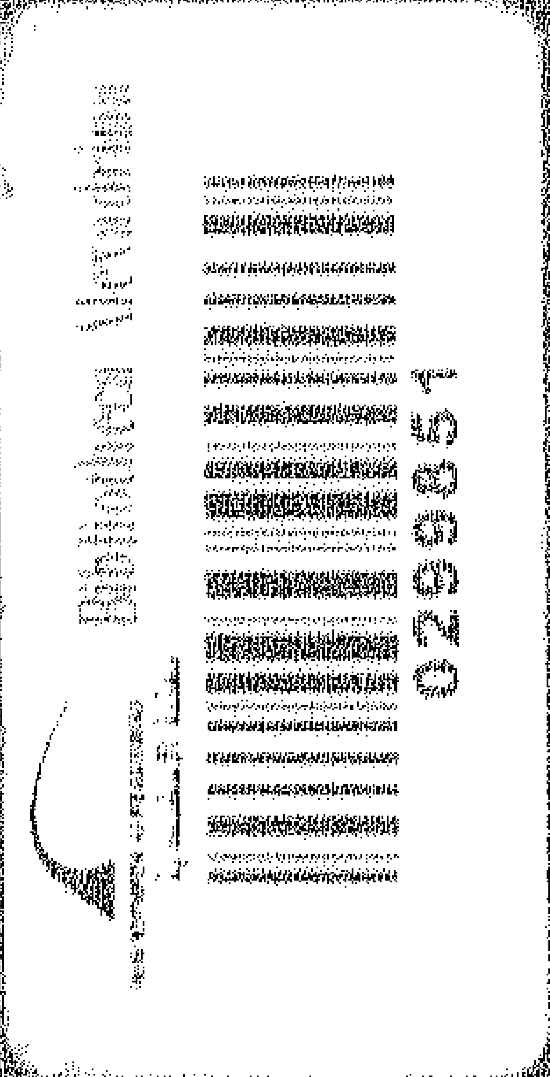
٥ - **صنوج التصويت والهتاف:** «سبحوه بصنوج التصويت. سبحوه بصنوج الهتاف» (آية ٥). الصنوج هي الصاجات، الصغيرة منها للتصويت، والكبيرة للهتاف. وهي من صفائح نحاسية مقعرة أو مجوفة تضرب إحداها بالأخرى فتحدث موسيقى تزيد فرح الشعب بعبادة الرب.

وواضحٌ من كلمات المزمور أننا يجب أن نستخدم كل آلة موسيقية متوافرة، وكل ما يستحدث لتسبيح الرب، مع ترنيم شفاهنا وحركات أيدينا وأقدامنا، لأنه «حيث روح الرب هناك حرية» (٢كو ٣: ١٧)، وقد «كان جميع بني إسرائيل يُصعِدون تابوت عهد الرب بهتاف، وبصوت الأصوار والأبواق والصنوج، يصوّتون بالرباب والعيدان.. والملك داود يرقص» (١أخ ١٥: ٢٨، ٢٩).

ثالثاً - المسبّحون للرب
(آية ٦)

«كل نسمة فلتسبح الرب. هللويا» (آية ٦). هذه الآية هي نهاية سفر المزامير الذي يدعو كل من نال نسمة حياة أن يسبح خالقه، فتتحد الخليقة كلها في إعلان التمجيد والحب لمن وهبها الحياة والنعمة، ويقولون: «أسبّح الرب في حياتي. أرنم لإلهي مادمت موجوداً» (مز ١٤٦: ٢). ومع كل نسمة هواء تدخل صدورنا لتجدد حياتنا يتجدد شكرنا لله ووعودنا له بأن نطيعه، ونخضع له، ونتكل عليه بكل قلوبنا. فلنسبحه بإيمان واثق أنه العظيم المنتصر وأن لنا به وفيه النصرة و«يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو ٨: ٣٧)، ونقول له: «تعرّفني سبل الحياة. أمامك شبع سرور. في يمينك نعم إلى الأبد» (مز ١٦: ١١) «أما أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع إذا استيقظت بشبهك» (مز ١٧: ١٥).

هللويا! افرحوا بالرب كل حين، لأن فرح الرب هو قوتكم. «حسنٌ هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي. أن يُخبَر برحمتك في الغداة وأمانتك كل ليلة، على ذات عشرة أوتار وعلى الرباب على عزف العود. لأنك فرّحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج. ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جداً أفكارك» (مز ٩٢: ١-٥).


Bibliotheca Alexandrina
0299851